التراث

ألحان السواجع

بين البادي والمراجع

تأليف

صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي

٦٩٦ - ٧٦٤ هـ

الجزء الأول

تحقيق وتقديم

دكتور محمد عبد الحميد سالم

ألحان السواجع

بين البادى والمراجع

تأليف

صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدى

٦٩٦ - ٧٦٤ هـ

تحقيق وتقديم

دكتور محمد عبد الحميد سالم

الجزء الأول

الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٥

التراث

● الكتاب: «ألحان السواجع بين البادى والمراجع».
● المؤلف: صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدى
● دراسة وتحقيق: دكتور/ محمد عبد الحميد سالم
● الطبعة الأولى: ٢٠٠٦م
● طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
● الغلاف والإخراج الفنى: اميمة على احمد

الهيئة المصرية العامة للكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

وبعد

فعقد دراستي للشعر المصرى فى العصر الفاطمى الثانى فى مرحلة الماجستير، اطلعت على بعض مصادر العصر المملوكى ومراجعه. وعقدت العزم وقتئذ أن يكون موضوعى لدرجة الدكتوراه فى أدب هذا العصر؛ مشاركة فى إحياء بعض تراثه، وتأصيلاً لتخصصى فى المرحلة السابقة.

واستوقفنى فى ذلك الوقت ما قاله الدكتور محمود رزق سليم[1]؛ تعليقاً على الرسائل الإخوانية التى يحتويها كتاب «ألحان السواجع»: «فى أعقاب حديثنا هذا عن المعارضات والمناقضات والمراسلات، وما يتصل بها، نلفت النظر (إلى) أن هذا الموضوع يستأهل بحثاً مستقلاً؛ تبحث فيه أسبابه وعلله ودوافعه...». وازددت يقيناً بجدوى هذه الموسوعة، وتمثيلها لأدب الصفدى بصفة خاصة، وأدب معاصريه بصفة عامة حين اطلعت على نسخة منها بدار الكتب المصرية.

وبعدئذ أخذت أتطلع إلى نسخ المخطوط. وما يمكن الحصول عليه منها. وكانت مفاتيح هذه الطرق الكتب الشاملة التى ترشد إلى مواضع المخطوطات، وبخاصة كتاب المستشرق الألمانى (كارل بروكلمان). هذا إلى جانب مراجعتى لفهارس المخطوطات فى كثير من

المكتبات العامة العربية منها وغير العربية. إلى أن عثرت على قدر كبير منها، يمكن تصنيفه في مجموعات على النحو التالي:

المجموعة الأولى:

وهى أربع نسخ، كتبت في القرن الثامن الهجري - عصر الصفدي - بل لعل بعضها كتب في حياة المؤلف، كما يشير إلى ذلك المفهرسون - على ما سيأتي - وهذه النسخ هي:

١ - النسخة رقم ٢٥٠١ بأحمد الثالث. والمصورة على (الميكروفيلم) تحت رقم ٥٥ أدب، بمعهد المخطوطات العربية. (ومنها نسخة كاملة - للجزأين - مكبرة - بحوزتي) تحت رقم ٧٤/٥ بمعهد المخطوطات.

٢ - النسخة رقم: ٨٦٣١ ببرلين.

٣ - النسخة رقم: ٣٢٦ بالأسكوريال، والمصورة على (الميكروفيلم تحت رقم ٧٤/٥ بمعهد المخطوطات).

٤ - النسخة رقم: ١٠١٦ بالمتحف البريطاني.

ولقد اخترت أولى هذه النسخ أصلاً، لكمالها، ووضوحها، وضبط حروفها، ومقابلتها بغيرها، وضربت صفحاً عن الباقي، لوجود نقص فيه كثير - على ما سأبين - إذ المعول عليه في اعتماد النسخ واعتبارها، هو التمام، والكمال، والوضوح إلى جانب قدم التاريخ وغير ذلك.

المجموعة الثانية:

وهى أربع نسخ مجهولة التاريخ. وهذه النسخ هي:

١ - النسخة رقم: ٤٢٦ أدب تيمور، بدار الكتب المصرية.

٢ - النسخة رقم: ٤٦١ أدب تيمور، بدار الكتب المصرية.

٣ - النسخة رقم: ٦٨٦ أدب تيمور، بدار الكتب المصرية.

٤ - النسخة رقم: ٦١١ بليبزج (ألمانيا).

المجموعة الثالثة:

وهى سبع نسخ، كتبت فى القرن الحادى عشر الهجرى وهى:

١ ـ النسخة رقم (١): بمكتبة جامع الباشا بالموصل. والمصورة على «الميكروفيلم»، تحت رقم ٢٥ (أدب وتراجم)، بالمكتبة المركزية بجامعة بغداد[٢] بغداد. (ومنها نسخة على «الميكروفيلم» بحوزتى).

٢ ـ النسخة رقم: ٢٠٦٧ بالمكتبة الأهلية بباريس.

٣ ـ النسخة رقم: ١١٤٣ بالخزانة الملكية بالرباط، والمصورة على (الميكروفيلم) تحت رقم ٢٧ خزانة، بمعهد المخطوطات (ومنها نسخة كاملة ـ للجزأين ـ مكبرة بحوزتى).

٤ ـ النسخة رقم: ٨٧ بابسالا (السويد).

٥ ـ النسخة رقم: ٨٩ بجاريت (أمريكا).

٦ ـ النسخة رقم: ١٢٦٢ أدب، بدار الكتب . والمصورة على «الميكروفيلم» تحت رقم ٥٤ أدب بمعهد المخطوطات (ومنها نسخة كاملة مكبرة ـ للجزأين ـ بحوزتى).

٧ ـ للنسخة رقم: ١٤٩٣ أدب، بدار الكتب المصرية.

المجموعة الرابعة:

وهى نسخة واحدة، موجودة تحت رقم: ٧٩١٦ أدب بدار الكتب المصرية. وقد كتبت هذه المخطوطة فى القرن الثانى عشر الهجرى.

المجموعة الخامسة:

وهى عبارة عن نسختين، كتبتا فى القرن الرابع عشر الهجرى، وهما:

١ ـ النسخة رقم: ٤٨١٦ أدب طلعت، بدار الكتب المصرية.

٢ ـ النسخة رقم: ٨٨ أدب، بجاريت.

المجموعة السادسة:

وهى نسخة واحدة بالمكتبة البلدية؛ بالإسكندرية تحت رقم ١٢٧٦ ب. والمصورة على «الميكروفيلم» تحت رقم: ٥٧ (أدب)، بمعهد المخطوطات العربية، وسأبين عند وصفها، لماذا أفردتها بمجموعة على حدة.

المجموعة السابعة:

وهى نسخة ذكرت خطأ، فى فهارس المخطوطات العربية ببرلين تحت رقم: ٨٦٣٢.

المجموعة الثامنة:

وهى عبارة عن نسختين أشار إليهما بروكلمان ـ ضمن ما أشار إليه ـ، ولكنها بيعتا أو أهديتا إلى أماكن أخرى ـ على ما سأوضح ـ وهما:

١ ـ النسخة رقم ٥٥ (ببرل ـ هولندا).

٢ ـ نسخة بيروت المذكورة بمجلة المجمع العلمي العربى بدمشق: (١٣٤/٥).

ولست ـ بعد ذلك ـ أدعى أننى قد عثرت على كل نسخ الكتاب، إذ «مهما أجهد المحقق نفسه للحصول على أكبر مجموعة من المخطوطات، فإنه سيجد وراءه معقباً، يستطيع أن يظهر نسخاً أخرى من كتابه[٣]».

ولكنى أقول: إن ما قد حصلت عليه يعد قدراً صالحاً تطمئن إليه نفوس الباحثين، أو بعبارة أدق، اطمأنت إليه نفسى.

يقول الأستاذ عبدالسلام هارون ـ بعد أن يدعو الباحث إلى بذل أقصى جهوده فى الحصول على أكبر قدر ممكن من المخطوطات، وإلى عدم التوقف.. بعد ذلك ـ : «فليس وراء الباحث إلا أن يقارب البحث مقاربة مجتهدة، بحيث يغلب على ظنه، أنه قد حصل على قدر صالح مما يريد[٤]»، وهذه هى النتائج التى توصلت إليها. والحمد لله.

*

وبعد، فسأحاول فى السطور القادمة وصف كل نسخة من النسخ السابقة على حدة:

١ - النسخة الأم:

تقع هذه النسخة فى مجلدين الأول منهما يقع فى: ٢١٢ ورقة. والثانى يقع فى: ٢٠١ ورقة ذات صفحتين، مسطرتها (١٥) سطراً، ويحتوى السطر على (١٢) كلمة تقريباً. وهى من الحجم الكبير: ٢٠ فى ٢٦ سم. وقد كتبت هذه المخطوطة فى القرن الثامن الهجرى، بخط مشرقى، نسخى جميل، مضبوط بالشكل. بل لعل هذه النسخة قد كتبت فى حياة الصفدى، كما أشار إلى ذلك مفهرسو معهد المخطوطات العربية(٥).

هذا، كما تمتاز هذه النسخة بوجود حواش، وتصويبات على هامشها. وبخلوها من أى شطب، أو كشط، مما يدل على أنها منقولة عن مسودة سابقة، وأنها قد قوبلت على ما نقلت عنه، كما تمتاز أيضاً، بعدم وجود الفراغات التى أشار الصفدى إليها فى خطبة كتابه بقوله:

«وقد تركت فى بعض البداءات والمراجعات بياضاً؛ رجاء أن تظفرنى يد التطلب بما يسد الخلة. مما يدل على كمالها وتمامها، وترجيح أن تكون مادتها، هى آخر ما استطاعه الصفدى فى جمع رسائله، بعد سد الخلل الذى أشار إليه. وبخاصة أنها قد انفردت، دون غيرها، من نسخ المجموعة الأولى، بذكر رسائل كتبت فى ربيع الأول سنة ٧٦٤هـ، أى قبل وفاة الصفدى بأربعة أشهر تقريباً.

كل هذا رشحها - فى تقديرى - أن تكون أصلاً، يصح الاعتماد عليه، إلى جانب أن الخط الذى نسخت به يحتوى على عدة ظواهر، يغلب وجودها فى كثير من المخطوطات التى نسخت فى القر الثامنن الهجرى، وأوائل التاسع أيضاً. - وعهدتها فى كتب الصفدى وغيره - مع أن بعض هذه الظواهر، لائحة فى غير هذا التاريخ تقريباً. من هذه الظواهر، مثلاً: قصر الممدود، واطراد تسهيل الهمزة المتوسطة، وإغفال وضع نقطتى التاء المربوطة فى نهاية السجعة، ووضع ألف عمودية صغيرة، مع ميل قليل إلى الجهة اليمنى فوق الحرف المفتوح، وتحت الحرف المكسور. وكذلك عدم الاهتمام برسم همزة القطع، فوق الألف، أو تحتها، إلى غير ذلك(٦).

صفحة العنوان:

اهتم الناسخ بعنوان الكتاب، فأودعه في شكل زخرفي جذاب، قائلاً:

(الجزء الأول من ألحان السواجع بين البادى والمراجع. تصنيف الإمام العلامة، فريد دهره، ونتيجة عصره، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى) وبأسفل هذا الشكل من جهة اليسار، توجد دائرة مكتوب فيها: «الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله» وتحت هذه الآية ـ داخل الدائرة ـ توقيع، لم أتبينه. وبأعلى هذه الصفحة ـ فوق الشكل الزخرفي ـ كتبت هذه العبارة أيضاً: (المجلد الأول من كتاب ألحان السواجع بين البادى والمراجع؛ للصفدى). وعلى نفس الصفحة من أعلى يوجد توقيع آخر مطموس.

بداية المخطوط، ونهايته:

يبدأ هذا المخطوط في الورقة الثانية بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم. رب يسر. الحمد لله الذى جعل البادئ أميرً، وقدر للمراجع أن يكون مأموراً...» ومن الملاحظ أن ما ورد من المقدمة في هذه الورقة، ـ بصفحتيها ـ جاء داخل شكل زخرفي مربع.

وينتهى الجزء الأول في الورقة: ٢١٢ بقول:

«قلت أرضٌ بالنيل يروى ثراها فلهـــذا الكتـــانُ نَوّر أزرق.

هنا تم الجزء الأول، من ألحان السواجع». وبالورقة: ٢١٣ ورد ما يلى:

(ويتلوه في الجزء الثانى، على بن عبدالكافى. والحمد لله حق حمده، وصلاته على سيدنا محمد وآله، وصحبه الطيبين الطاهرين، وسلامه).

ويبتدئ الجزء الثانى بعد صفحة العنوان ـ التى تشبه عنوان الجزء الأول ـ بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

«الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام الأتمّان الأعمّان الأكملان الأطيبان على سيدنا محمد عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين.

أمـا بعـد فـهـذا حـين الشروع فى الجـزء الثـانى من كـتـاب ألـحـان السـواجع بين البـادى والمراجع، وبالله التوفيق.

بقية حرف العين

وقد تقدم فى الجزء الأول ذكر جماعة من هذا الحرف والتّتمة ترد فى هذا الجزء الثانى، إن شاء الله تعالى.

فمنهم على بن عبدالكافى...».

وينتهى فى الورقة ٢٠١ بقوله:

«يا من ســـما بين الورى قدره اكشف لنا عنـــه وعن أصله.

تم الكتاب».

الشكل العام الداخلى للمخطوط:

اهتم الناسخ بجمال الخط، وأناقة السطور، وتزينها، ويتمثل ذلك فيما يلى:

(أ) كتابة الحرف المعجمى وسط السطر، بخط نسخ كبير وجميل.

(ب) كتابة اسم العلم ونسبه بنفس الخط السابق تقريباً.

(جـ) وقد كتب بالهامش ـ أمام كل علم من الأعلام، المترجم لهم ـ لقبه وشهرته. بخط أجمل مما سبق، وتحت خط يحتويهما.

(د) اعتاد الناسخ وضع الشعر الوارد فى النسخة، كل بيت بين فاصلتين، كما يفصل الشطرين، فاصلة أخرى. هكذا (،......،......،).

(هـ) وأن يكمل أى سطر نقصت كلماته، بأشكال زخرفية، كقوله مثلاً فى الورقة: ١٧٢ :

(كـثـيـراً لانقطاع كـتـبى عنه .·. .·. .·. .·. .·. .·. .·.

حـيـث الخـيـام برمل غـزة لى ســادةٌ عندى أعــزة)(٢)

(و) كما اعتاد أن يكتب عناوين الرسائل، بخط متميز عن باقى السطور حجماً، وفى وسط السطر غالباً.

٢ ـ نسخة برلين[٨]: رقم ٨٦٣١:

تقع هذه النسخة فى: ٢٥٨ ورقة، من الورق المصقول، السميك، ذى اللون الأصفر، المائل قليلاً إلى اللون البنى. والمقاس الخارجى للورقة هو: ٢١ فى ١٥ سم. وأما الداخلى فهو ١٥,٥ فى ٩ سم. وتوجد فى وسط هذه النسخة وريقات ملتصقة. والكثير من الأوراق تركت بيضاء، لإكمالها فيما بعد. وبعض الأوراق مفككة تماماً.

والغلاف جلدى جميل، بنى اللون (بلسان) ومزين بالذهب.

هذا والعنوان قد جاء على الورقة الثالثة (أ) وهو: (ألحان السواجع بين البادئ والمراجع لخليل بن أيبك الصفدى) . وعلى الورقة الثالثة (ب) ابتدأ المخطوط بقوله: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى جعل البادئ أميراً..» وعلى الورقة الخامسة (أ) نسخت أول رسالة، وهى لإبراهيم بن أحمد بن محمد القاضى أمين الدين بن غانم. والخط كبير ـ نوعاً ما ـ وواضح، ومتساو، ومضبوط بالشكل إلى حد ما. وبداية الأسماء، وكذا عناوين الرسائل، مكتوبة بمداد أحمر، وبخط متميز ـ فى حجمه ـ عن باقى السطور.

ولم يذكر المفهرسُ الناسخَ، كما شك فى تاريخ النسخ، مرجحاً أن تكون هذه النسخة منقولة عن نسخة بخط الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤هـ الموافق ١٣٦٣م.. وقد بين أن التواريخ الواردة فى الكتاب تتراوح بين سنة ٧١٦هـ، ٧٥٧هـ. ومن هذه الإشارة ـ إلى جانب كثرة الأوراق، التى تركت بيضاء فى المخطوطة ـ استطعت أن أتبين مدى النقص الكبير فى هذه النسخة، حيث سقط منها كثير من الرسائل التى أرخت بعد هذا التاريخ المشار إليه، على ما يبدو من الأصل وغيره من النسخ. لهذا لم أعتمد عليها، لفقدها شرط الكمال والتمام.

٣ ـ نسخة الاسكوريال:

تقع النسخة كلها فى: ١٧٩ ورقة من الحجم الكبير: ٢٠ فى ٢٦ سم. والجزء الأول ـ يقع منها فى: ١٧٠ ورقة. وباقى الأوراق تشتمل على ترجمة على بن عبدالكافى (وهو بداية

الجزء الثانى) وبكل ورقة صفحتان، ومسطرة الصفحة ١٧ سطراً. وقد كتبت فى حياة الصفدى - كما أشار إلى ذلك مفهرسو[٩] معهد المخطوطات - بخط مشرقى نسخى جميل، ومضبوط بالشكل، وهو ذات الخط الذى نسخت به النسخة الأم.

والمخطوطة على هذا غير كاملة، فقد سقط منها كثير من الأعلام الذين ورد ذكرهم فى الأصل، وفى كثير من النسخ: كالترجمة رقم: ٢٢، ٢٣، ٤٦، ٥١، وغيرها. كما سقط منها كثير من الرسائل، كالتى كتبت سنة ٧٦٤هـ، وقد أشرت إليها من قبل. لذلك لم أعتمد عليها، مع ترجيحى أن هذه النسخة كانت أسبق فى النسخ من النسخة الأم، أو نقلت عن نسخة أسبق منها. ولكن المعول عليه هو التمام.

هذا، وبالورقة الأولى (أ) - وعلى النصف الأخير منها - قوله: (ألحان السواجع بين البادى والراجع - والمراجع - الجزء الأول، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى: الحمد لله الذى جعل البادى أميراً. وبعد فقد كنت قديماً[١٠] ..). وعلى الصفحة (ب) من هذه الورقة أبيات متفرقة، منها:

لو كان فى شرف المأوى بلوغ منى   لم تبرح الشـــمس يوماً دارة الحمل.

وعليها أيضاً فقرة: (بسم الله الرحمن الرحيم، يا طالب الدنيا، والموت يطلبه، كيف يفرح..) وبالورقة الثانية (أ) قوله: (للطغرائى).

فديتك أقوال الوشـــاة كثيرة   وهنّ ظهـــورٌ ما لهنّ بطـــون)

وبعد ذلك أبيات أخرى.

كما يوجد العنوان مرة ثانية - على الصفحة (ب) من الورقة السابقة - فى شكل زخرفى. وعلى هذه الصفحة أيضاً، عدة تمليكات، مما يدل على الانتفاع بالنسخة، وتداولها.

وقد ابتدأ المخطوط على الورقة الثالثة (أ) بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم: عفوك اللهم. الحمد لله الذى جعل البادئ أميراً) وانتهت النسخة بقوله:

(وقد جمع[11] الله الشتيتين بعدما يظنـان كل الظـن ألا تلاقـيا)

بدون إشارة إلى انتهاء الجزء، أو ذكر الناسخ، أو غيرهما.

٤ ـ نسخة لندن: رقم ١٠١٦ بالمتحف البريطانى:

تقع هذه النسخة فى: ١١٢ ورقة، مقاسها ٨،٥ فى ٦ بوصة، بواقع ١٥، أو ١٦ سطراً، وطول السطر ٤ بوصات تقريباً. وقد كتبت المخطوطة بخط نسخي جميل ـ ببضعة حركات ـ فى القرن الرابع عشر الميلادى تقريباً. أى فى عصر المؤلف.

وهذه النسخة غير كاملة، حيث تبتدئ بذكر (حسن بن جعفر، بدر الدين بن شمس الدين البلبيسى، الطبيب بالقاهرة المحروسة). وتنتهى بذكر (عبدالله بن على محمد بن سليمان بن غانم، علاء الدين).

هذا، ولم يذكر على صفحاتها الأولى، عنوان المخطوط، أو اسم المصنف.

٥ ـ النسخة رقم: ٤٢٦ أدب تيمور. بدار الكتب المصرية.

هذه النسخة ناقصة لم يكتمل بها الجزء الأول من المخطوط. وموضوعه، خطأ، بفهرس دار الكتب المصرية تحت عنوان: ديوان مراسلات صلاح الدين الصفدى. حيث فقد منها صفحة العنوان، وجزء كبير من مقدمة الصفدى لكتابه. وابتدأ بقوله:

«وأخذت ألتقطه من كل بقعة، وأجمعه كما فى قول العوام من كل زوق رقعة، فكم أصابنى فى هذا السوم سآمة...».

ولم يذكر بالنسخة اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ. وإن كان اهتمام الناسخ بالمخطوط يبدو فى تزيينه بالمداد الأحمر فى عناوين الرسائل، وأسماء الأعلام، وبعض الكلمات داخل الرسائل وغيرها. وعلى هامشها بعض التصويبات.

والمخطوط يحتوى على ٢٠٨ صفحة من القطع المتوسط. بكل صفحة ٢٣ سطراً. وبالسطر ١١ كلمة تقريباً.

وبالصفحة رقم ٢٠٨ عشرة أسطر منها:

«يـا كريماً بـدُرَّ لفـــظ ثمـين	هو أجلى فى كل عين وأجـــدى
فق على البحر فى عطاياك والفخر	فَهْوَ أعطى دراً قليــــلاً وأكـدى.
قد حلت الأشــعار بالنـثر حـلاً	

والشطر الثانى من البيت الأخير مكانه بياض كباقى الصحيفة. وهذه الأبيات من رسالة لعبد الله بن على به محمد بن سليمان.

وبعد ص ٢٠٨ تركت ثلاثة أوراق فارغة.

٦ ـ **النسخة رقم: ٤٦١ أدب تيمور.** «والمرموز إليها بالرمز (م)».

هذه النسخة جزءان فى مجلد واحد ـ دون تعيين ـ وتقع فى: ٧٢٩ صفحة.. مسطرتها ٢١ سطراً، بكل سطر عشر كلمات تقريباً، وهى من الحجم المتوسط. ومكتوبة بخط نسخ واضح ـ وعلى الرغم من أنها مجهولة الناسخ، وتاريخ النسخ فإننى قد اعتمدت عليها ورمزت إليها إليها بالرمز (م)، مرجحاً أن يكون نسخها فى آخر القرن العاشر ـ أو الحادى عشر ـ معتمداً، فى هذا، على مطابقتها لمجموعة رسائل مخطوطة ـ بدار الكتب ـ تحت رقم ٢٢٦ مجاميع تيمور. وهذه المجموعة، بخط محمد بن زيد الدين، هلال الحنفى المتوفى ١٠١٢هـ.

وقد كتب العنوان على الصفحة الأولى هكذا: (ألحان السواجع بين البادى والمراجع، للشيخ الأديب الصلاح الصفدى). وعلى صفحة العنوان وكذا على ص ٧٣٠ يوجد تمليك على كل منهما.

وقد بدأ المخطوط فى ص ٢ بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذى جعل البادى أميراً...).

وانتهى فى ص ٧٢٩ بقوله:

(يا من سما بين الورى قدره	اكشــف لنا عنه وعن أصــــله)

والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه، سيدنا محمد نبى الرحمة، وآله وسلامه، وحسبنا الله، ونعم الوكيل).

وقد اعتاد الناسخ أن يكتب كلمة «شعر» بالمداد الأحمر قبل الأبيات الوارد خلال النثر. كما أنه ينسخ الشعر على هيئة النثر كثيراً. ومن الملاحظ، أيضاً، كثرة التصويبات، والتعليقات على هوامش النسخة. مما يدل على مقابلتها بغيرها، والانتفاع بها، ويشجعنى - إلى جانب وضوح الخط، وترجيح قدم التاريخ - على اتخاذها من النسخ المساعدة.

٧ - **النسخة رقم: ٦٨٦ أدب تيمور**، بدار الكتب:

هذه النسخة فى ١١٢ صفحة. ومجهولة الناسخ، وتاريخ النسخ. وهى من الحجم الصغير.. وعلى الورقة الأولى منها قوله: (قطعة من ألحان السواجع بين البوادى والمراجع. النادى، أو الراجح..).

٨ - **النسخة رقم ٦١١ بليبزج (ألمانيا):**

هذه النسخة قد أشار إليها، بروكلمان برقم ٦١٤. وهى جزءان فى مجلد واحد - دون تعيين - وعدد أوراقها ٣٣٩ ورقة، ذات صفحتين، ومسطرة الصفحة ١٧ سطراً. وهى من الحجم المتوسط ١١,٥ فى ١٨,٥ سم. ومجهولة الناسخ، وتاريخ النسخ. كما أنها مكتوبة بخط مشوش، بأيدى تركية وفارسية. وقد كتب العنوان، على وجه الورقة الأولى فى شكل جميل. كما كتب النص بأحبار مختلفة. وفيه بعض البقع. والأول من الأعلام هو: إبراهيم بن أحمد...، والأخير هو: يوسف بن محمد.

٩ - **نسخة الموصل:**

هذه النسخة جزءان فى مجلد واحد - مع الإشارة إلى بداية الجزء الثانى - وتقع فى ٢٥٢ ورقة. وهى من الحجم المتوسط (٢٠ فى ١٥ سم). وقد كتبت فى سنة ١٠٠١هـ، بخط نسخ جميل وواضح. والناسخ مجهول. وكتب، على الورقة الأولى من المخطوطة، عدةُ أبياتٍ؛ فى تقريظ الكتاب. أما الورقة الثانية، والصفحة (أ) من الورقة الثالثة. فمكتوب عليها - فى شكل

زخرفى (فهرس أسماء رجال هذا الكتاب) . وبعد ذلك تركت الصفحة (ب) ، من هذه الورقة، بيضاء. أما الصفحة (أ) من الورقة الرابعة، فقد كتب فى وسطها، من أعلى، (كتاب الألحان والسواجع. للصفدى) . وتعد الصفحة (ب) من هذه الورقة، هى صفحة العنوان، حيث كتب بها ـ من أعلى فى شكل زخرفى، (كتاب ألحان السواجع فى البادى والمراجع. تأليف الشيخ الإمام العلامة، المقدم فى فنون الأدب، اليقظ الفهامة، صلاح الدين خليل بن أيبك..) .

وفى الفراغ الباقى من هذه الصفحة، كتبت عشرة أبيات ميميّة. وعلى هامشها ـ من اليسار ـ تمليكان تقريباً.

وقد ابتدأ الكتاب على الورقة الخامسة (أ) بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن. الحمد لله الذى جعل البادى أميراً..) وانتهى فى الورقة ٢٥٠ (ب) بقوله:

(يا من سـما بين الورى قدره اكشـف لنا عنـه وعن أصـله.

تم الكتاب المبارك بعون الله ومنه...) إلخ. وبعـد ذلك توجـد تمليكات فى الورقة ٢٥١ . أما الورقة ٢٥٢ فمكتوب عليها كلمة (النهاية) فى معظم عرض الورقة. ويبدو فى نهاية المجلد. عدد ١٢ ورقة فى كتاب آخر يسمى (أنيس الجليس فى التجليس) وهو مجهول المؤلف.

وينتهى الجزء الأول؛ من هذا الكتاب، فى الورقة ١٣٠ (أ) بقوله:

(قلت أرض بالنيل يروى ثراها فلهـذا الكتان نـور أزرق)

وبعد هذا البيت مباشرة خط. ثم ابتدأ الجزء الثانى من الكتاب ـ فى السطر الرابع من أسفل ـ بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم) وكتبت ـ أمام البسملة على الهامش ـ عبارة هى: الجزء الثانى من ألحان السواجع) وانتهى الجزء الثانى بقوله:

يا من سما بين الورى قدره اكشـف لنا عنه وعن أصـله.

هذا وقد اهتم الناسخ بالشكل الجمالى للصفحة. كما اهتم بكتابة الأعلام، وعناوين الرسائل، بخط متميز، لونا وحجماً، عن باقى السطور. وكذلك اهتم بمقابلتها على النسخة المنقولة عنها. ويظهر ذلك من التصويبات الهامشية.

وعلى الرغم من وجود الرسائل الأخيرة التى كتبت سنة ٧٦٤هـ بهذه النسخة، فقد سقط منها عدد كبير من الأعلام برسائلهم إلى الصفدى،ورسائل الصفدى إليهم.

١٠ ـ النسخة رقم ٢٠٦٧ بباريس:

هذه النسخة جزءان فى مجلد واحد ـ بدون تعيين ـ وعدد أوراقها ٢٤٩ ورقة. كل ورقة لوحتان، وبكل لوحة ٢٥ سطراً. ومقاسها ٢٠ فى ١٤ سم

وقد كتبت هذه المخطوطة بخط نسخ جميل، وواضح، ومزين بالحبر الأحمر فى عناوين التراجم، وبداية الفقرات. كتبها محيى الدين بن على بن البارزى، الإمام الثانى بالمدرسة السليمية، فى سنة ١٠٠٤هـ ـ ١٥٩٦م.

وقد بدأ المخطوط بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم. رب يسر، وأعن يا كريم. الحمد لله الذى جعل البادى أمير..) وانتهى بقوله:

(يا من سما بين الورى قدره اكشـــف لنا عنه وعن أصـــــله)

والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على خير خلقه سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ورضى الله عن كل الصحابة أجمعين. وكان الفراغ من تعليقه عشية الأحد ثانى شعبان المكرم سنة ١٠٠٤هـ على...) إلخ.

وهــذه النســخة ناقصة؛ إذ قد سقط منها كثير من الأعلام، وهم أصحاب التراجم رقم: (٧، ١٨، ١٩، ٢٤، ٣٠، ٣٦، ٤٢، ٤٦، ٤٧، ٥١، ٥٢، ٥٣) وغيرهم.

١١ ـ نسخة الرباط: المرموز إليها بالرمز (ز):

هى جزءان فى مجلد واحد ـ دون تعيين ـ وعدد أوراقها ٢٥٠ ورقة. ومسطرة الصفحة ٢٥ سطراً. بكل سطر ١١ كلمة تقريباً. وهى من الحجم الكبير ٢٠ فى ٢٦ سم.

وقد كتبها بقلم نسخى جيد سنة ١٠٠٧ هـ، محمد بن عبدالباقى البرلسى.

صفحة العنوان:

على هذه الصفحة كتب (كتاب ألحان السواجع فى المبادى والمراجع)، وكتبت، أيضاً، قصيدة عددها أربعة عشر بيتاً، غير واضحة فى كثير من كلماتها. كما كتب تمليكان مطموسان تماماً.

ابتدأ المخطوط، على الورقة الثانية (أ) بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله وسلم على نبيه محمد. الحمد لله الذى جعل البادى أسيراً..).

وانتهى، على الورقة ٢٥٠ (أ) بقوله:

(يا من سما بين الورى قدره . اكشـــف لنا عنه وعن أصـــــله)

انتهى كتاب ألحان السواجع فى المبادى والمراجع. فخر المتأدبين..) إلخ.

الشكل العام الداخلى للمخطوط:

يتلخص هذا فيما يأتى:

(أ) لم يهتم الناسخ بالشكل الخارجى للورقة، فلم يضع السطور داخل إطار، أو غيره.

(ب) كتبت الأعلام، وكذا عناوين المكاتبات، بخط متميز حجماً عن الخط العام فى باقى النسخة.

(جـ) كثر التحريف والتصحيف فى بداية النسخة، وتلاشى تدريجياً بعد ذلك. وقد اعتذر الناسخ عن ذلك فى آخر المخطوط بقوله: (فليعذر الواقف على هذه النسخة، فإن نسخة الأصل المنقولة منها مخبطة).

(د) يبدو من النسخة إلمام الناسخ بعلم العروض، وتهاونه فى علم النحو.

(هـ) على هامش النسخة كثير من التصويبات، والتعليقات، مما يدل على مقابلتها بغيرها، والانتفاع بها، مما حملنى - إلى جانب قدم تاريخها، واكتمال تراجمها - إلى اتخاذها من النسخ المساعدة.

(و) بالنسخة كثير من الفراغات، المدونة فيها، كلمة (بياض).

١٢ ـ نسخة السويد: رقم ٨٧ بابسالا:

هي جزءان في مجلد واحد. وتقع في ٣٣٣ صفحة، مسطرتها ٢١ سطراً، وهي من الحجم الثمين. ومجلدة تجليداً شرقياً جميلاً. وقد كتبت بخط نسخ واضح في سنة ١٠٠٩هـ وناسخها مجهول.

وقد كتب العنوان ـ في شكل زخرفي، مزين بالذهب ـ على وجه الورقة الأولى، وهو: (ألحان السواجع في المبادي والمراجع). وعلى هذه الصفحة بعض التمليكات التي تدل على الانتفاع بالنسخة.

وقد بدأت المخطوطة على الورقة الثانية (أ) بقوله (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي جعل البادي أسيراً، وقدر للمراجع...). وانتهى بقول الناسخ: (انتهى كتاب ألحان السواجع في المبادي والمراجع، لمولانا فخر المتأدبين، وعمدة اللغويين...) إلخ.

هذاو ويتلخص الشكل العام الداخلي للمخطوطة، فيما يلي:

(أ) أولى الناسخ العام للصفحات اهتماماً كبيراً؛ حيث حصر الرسائل بين إطار هندسي ذي لون أحمر

(ب) كتبت الأعلام، والعناوين بخط متميز حجماً عن الرسائل، وبأحبار مختلفة اللون، بين الأحمر والأزرق.

(حـ) على هوامشها بعض التعليقات.

(د) يكثر فيها البياض، كما ينتشر بينها البقع، وآثار البلل.

١٣ ـ النسخة رقم ٨٩ بجاريت (بأمريكا):

هي جزءان في مجلد واحد. وتقع في ٣١٤ ورقة ذات صفحتين، بكل صفحة ٢١ سطراً. نسخها رامي محمد بن محمود، الشهير باسم علي بك (علائي بك[١٢]) زاده، سنة ١٠٢٧ هـ ـ ١٦١٨م. على ورق أملس، مصقول، وبخط نسخ واضح، ومزين باللون الأحمر.

وعلى هامش المخطوطة بعض التعليقات، مكتوبة باللون الذهبى على الصفحتين الأوليين، وباللون الأحمر فى باقى الصفحات.

ويظهر العنوان على بطاقة ملتصقة على الغلاف، وهو: (ألحان السواجع بين البادى والمراجع). وعلى هذه الصفحة، توجد أيضاً، بعض التمليكات، كما يوجد عنوان المخطوطة، كذلك، على أطراف الصفحة الأولى. والمخطوطة مجلدة تجليداً شرقياً (مع غلاف بين الجلدة والكتاب).

وهذه النسخة قد اشتريت من مكتبة البارودى ببيروت سنة ١٩٢٥م كما يقول المفهرس. وسيأتى الحديث عن نسخة ببيروت فيما بعد.

١٤ ـ النسخة رقم ١٢٦٢ أدب بدار الكتب (والمرموز إليها بالرمز (ب):

هذه النسخة جزءان، كل جزء فى مجلد مستقل. والجزء الأول منها يقع فى ١٥٩ ورقة، والجزء الثانى فى ١٦٠ ورقة، من الحجم الكبير ٢٠ فى ٣٦ سم. وبكل ورقة لوحتان. وبكل لوحة ١٩ سطراً، وبكل سطر ١٢ كلمة تقريباً.

وقد كتبت هذه النسخة، بخط نسخ واضح، فى شهر شعبان سنة ١٠٣٠هـ. كتبها صلاح ابن عبدالله بن أحمد، شمس الدين بن أمير المؤمنين المهدى، أحمد بن يحيى:

وعلى الصفحة (ب) من الورقة الأولى ، كتب العنوان، وهو (كتاب ألحان السواجع فى البادى والمراجع). وعلى هذه الصفحة كثير من التمليكات مما يؤكد استخدامها، والانتفاع بها. وفى الثلث الأخير من أسفل هذه الصفحة، مكتوب بخط كبير ـ مماثل لخط العنوان:

(وصلى الله على سيدنا محمد وآله). ومكتوب عليها كذلك، هذان البيتان:

(يارب الخمسة الأشـــــباح   أفضـل من غاد ومن سارى

محمد، وعلى، ثم فاطمـــة   وشبر، وشبير، صفوة البارى)

وقد كُتب على الصفحة (أ) من هذه الورقة، وكذا الورقة الثانية بصفحتيها، باللغتين العربية والأجنبية ـ كُتب بعض مؤلفات الصفدى ومصنفاته، مبتدئة بشرح لامية العجم،

ومنتهية بقوله: (ألحان السواجع للبادى والمراجع، تأليف صلاح الدين، الشيخ خليل الصفدى...) إلخ.

وابتدأ المخطوط ـ على الورقة (أ) ـ بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى جعل البادى أميراً...)، وانتهى على الورقة ١٥٩ (أ) بقوله:

(قلت أرض بالنيل يروى ثراها فإذا الكتان نور أزرق

تم الجزء الأول، من كتاب ألحان السواجع، بمن الله وحمده).

أما الجزء الثانى فقد ابتدأ بقوله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام الأتمان، الأعمان، الأكملان، الطيبان على سيدنا محمد رسوله وعبده...».

وانتهى فى الورقة ٣١٩ أ بقوله:

يا من سما بين الورى قدره اكشف لنا عنه وعن أصله.

هذا آخر كتاب ألحان السواجع بين البادى والمراجع. والحمد لله وحده وصلاته وسلامه على أرفع الخلق قدراً، وأسماهم جلالاً وفخراً سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه...».

وبعد ذلك إلى الورقة ٣٢٢ أ نقرأ مجموعة من أشعار لبعض الشعراء.

ومن الملاحظ أن هذه النسخة كالنسخة الأم فى استقلال الأجزاء، وفى كمال الرسائل أيضاً؛ إذ ذكر بين رسائلها ما كتب سنة ٧٦٤هـ قبل وفاة الصفدى بأربعة أشهر تقريباً.

أ ما عن الشكل العام الداخلى للمخطوط، فيتلخص، فيما يلى:

(أ) اهتم الناسخ بشكل الورقة، فالسطور المكتوبة يحوطها إطار مكون من ثلاثة خطوط. وللشعر إطار خاص به داخل الإطار السابق، ويبعد عنه من الجانبين بمقدار سنتيمتر واحد.

بل أحياناً يكتب أبياتاً بطريقة طولية، داخل هذا الإطار الخاص بالشعر، على يسار الأبيات المكتوبة. كما أن عنوان المكاتبات له إطاره الخاص به أيضاً.

(ب) كتبت الأعلام والعناوين بخط متميز، حجماً، عن باقى الرسائل.

(جـ) على الهامش الكثير من التصويبات والتعليقات التى تدل على مقابلتها بغيرها، وتزكيها للاعتماد عليها.

(د) لم يهتم الناسخ بالنقط. فمثلاً قوله: (وهل جمع شملى؟) مكتوب هكذا (وهل حمع - بالحاء المهملة - شملى) إلخ.

١٥ - النسخة رقم ١٤٩٣ أدب بدار الكتب. (والمرموز إليها بالرمز (أ)..):

هى جزءان فى مجلد واحد - دون تعيين - وتقع فى ٣٢٢ ورقة ذات صفحتين. بكل صفحة منهما، (١٩) سطراً، وبكل سطر (١١) كلمة تقريباً. وهى من الحجم المتوسط، ومكتوبة بخط نسخ جميل. كتبها محمد بن برهان سنة ١٠٦٤هـ.

هذا، وعلى صفحة العنوان أكثر من ثمانية تمليكات. وفى نهاية المخطوط بعض آخر منها. وعلى هوامشها تصويبات وتعليقات كثيرة تدل على استخدامها، والانتفاع بها، ومقابلتها بغيرها وتزكيها للاعتماد عليها.

وعلى صفحة العنوان تقريظ لكتاب (ألحان السواجع)، نظمه رمضان العطيفى. وهو عبارة عن أربعة أبيات سينية.

وابتدأت المخطوطة على وجه الورقة الأولى بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين. الحمد لله الذى جعل البادى أمير...).

وانتهى بقوله:

«اكشف لنا عنه وعن أصله. والحمد لله رب العالمين... وحسبنا الله ونعم الوكيل».

وجاء على الورقـة ٣٢٣ (قـال كـشف الظنون: ألحـان السـواجع بين البـادى والمـراجع، للشيخ...).

هذا ولم يهتم الناسخ كثيراً بكتابة الشعر الوارد خلال النثر فى سطور مستقلة.

١٦ ـ النسخة رقم ٧٩١٦ أدب بدار الكتب المصرية:

هى جزءان فى مجلد واحد ـ دون تعيين ـ وتقع فى ٢٤٢ ورقة ذات وجهين، مسطرتها ٢٢ سطراً. وبكل سطر ١٣ كلمة تقريباً. وهى فى حجم الثمن.

وهذه النسخة كتبت بخط نسخ جميل، وواضح. كتبها محمد جواد بن الحاج عبده الرضا جواد فى سنة ١١٢٥هـ. وقد سجل الناسخ على الورقة ٢٤٢ قوله: (وقد كـان انتساخـه من نسخة سقيمة جداً، لا تخلو من غلط....) إلخ.

وقد كتب العنوان بالقلم الرصاص، وهو (ألحان السواجع) فقط. وعلى صفحة العنوان ذكر بعض الأشعار. هذا، والورقة التالية للعنوان تركت بيضاء؛ لم يسجل فيها إلا تمليك واضح.

وعلى الصفحة (ب) من الورقة الأولى ابتدأ المخطوط بقوله: (بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذى جعل البادى أميراً...).

وانتهى على الورقة ٢٤٢ (ب) بقوله:

يا من سما بين الورى قدره اكشــــف لنا عنه وعن أصــــــله.

انتهى ألحان السواجع فى البادى والمراجع، بعون الله، وحسن توفيقه، وكان الفراغ من تسويده ...) إلخ.

أما عن الشكل العام الداخلى للمخطوطة، فيتلخص فيما يلى:

(أ) اهتمام الناسخ بوضع السطور داخل إطارات بالمداد الأحمر.

(ب) كتبت العناوين باللون الأحمر، وبخط متميز حجماً عن باقى الرسائل.

(جـ) اهتم الناسخ بكتابة اسم العلم - وحده - باللون الأحمر؛ ووضعه داخل إطار خاص به. كما اهتم فى الهامش بكتابة اسم العلم ولقبه بنفس اللون الأحمر.

(د) بهامش النسخة تصويبات وتعليقات، تدل على مقابلتها بغيرها والانتفاع بها.

١٧ - النسخة رقم ٨٨ بجاريت:

هى جزءان فى مجلد واحد - بلا تحديد - وتقع فى ٣١٥ ورقة. ومقاسها ١٩,٢ فى ١٣,٤ سم، والصفحة المكتوبة بمقاس قدره ١٥,٥ فى ٩ سم، ومسطرتها ٢٠ : ٢٢ سطراً.

وهى مكتوبة على ورق شرقى، بخط نسخ واضح. كتبها - سنة ١٣٠٥هـ سنة ١٨٨٧م - محمد عبدالعزيز بن محمد راغب.

وعلى صفحة العنوان نفس التقريظ الذى كتبه رمضان العطيفى على النسخة ١٤١٣ (أدب) وهو الأبيات الأربعة السينية.

وقبل صفحة العنوان يوجد فهرس بالأسماء الواردة فى المخطوطة. يليها عبارة تفيد أن المخطوطة كتبت بطلب، وعلى نفقة أحمد وهبى (وهبه[١٣]) بائع كتب فى حلب، وهو الذى رتب المخطوطة بنفسه.

وقد اهتم الناسخ بكتابة العناوين الرئيسة للرسائل باللون الأحمر كما يوجد بالهامش بعض التعليقات التى تدل على مقابلتها على النسخة المنقولة عنها.

ويشير المفهرس إلى أن هذه النسخة قد اشتريت من (برل - هولندا) سنة ١٩٠٠م.

١٨ - النسخة رقم ٤٨١٦ أدب طلعت، بدار الكتب المصرية:

هى جزءان فى مجلد واحد - بلا تعيين - وتقع فى ٤٧٧ ورقة، ذات وجهين، بكل وجه (٢١) سطراً. وبكل سطر سبع أو ثمانى كلمات تقريباً. وهى من الحجم الكبير. ومكتوبة بخط نسخ جميل، كبير، واضح. كتبها محمود بن عثمان عنه ١٣٤٥هـ. وهى منقولة - كما نص الناسخ فى آخر المخطوطة - من النسخة رقم ١٤٩٣ (أدب). ولكنها لم تقابل عليها. بدليل كثرة العبارات، بل السطور، الساقطة منها.

١٩ ـ النسخة رقم ١٢٧٦ ب بالإسكندرية.

تقع هذه النسخـة فى (٥٠) ورقـة، وهى منتخـبات أدبية ولغوية وغيـرهما من جميع العصور. وما ورد فيها من كتاب (ألحان السواجع) لا يتعدى سبع ورقات. وهى ضمن الرسائل المذكورة تحت اسم: عبدالله بن على بن سليمان ـ جمال الدين بن غانم. وهو صاحب الترجمة رقم (٤٥) من التراجم العامة فى (ألحان السواجع). ولما كانت هذه النسخة تنفرد عما سواها بصفة معينة، أوردتها ـ من قبل ـ فى مجموعة مستقلة.

٢٠ ـ النسخة رقم ٨٦٣٢ ببرلين:

تقع هذه النسـخـة فى ٦٣ ورقـة، مقاسـها الخـارجى ١٧ فى ١٦ سم والداخلى ١١ فى ١٠,٥ سم.

وورقها مصقول، سميك، أصفر. وعنوانها مفقود، غير أنه قد وجد على هامش الورقة الأولى منها، عبارة، هى (من مراسلات الصفدى).

وتبتدئ المخطوطة بقوله:

(جاء البشير بأن يوسف قد شـفى   مرضى الزمان، لأن يوسف قد شفى)

وتنتهى فى الورقة ٦٣ بقوله: (وتناوبت الأقلام نسخها، فإنها طيارة، لا يقيدها إلا الكتاب؛ وهذا فضل لا ينتهى).

ويشير المفهرس إلى أنها تحتوى على خطابات فى نثر مسجوع، معنونة فى معظمها بقوله: (من كتاب إلى والدى). وقد شك المفهرس فى نسبة هذا الكتاب إلى الصفدى، مستدلاً بما ورد فى الورقة الثالثة (ب) من حديث عن زيارة القدس ودمشق سنة ٦٨٣هـ، ومعلقاً على ذلك بقوله: (إن الصفدى قد ولد سنة ٦٩٧هـ، وإذ كانت الرسائل له، فيمكن أن يكون التاريخ مصحفاً، أو ربما يكون المؤلف إنساناً آخر).

ويضاعف الشك فى صلة هذه النسخة بكتاب (ألحان السواجع) أن الصفدى فى الرسائل الواردة فى كتابه ـ بجزأيه ـ لم يذكر شيئاً يتصل بوالده. كما لم يوجد فيه أية إشارة إلى زيارة

القدس. وكذلك لم توجد بين مادته، أيضاً، هذه البداية الشعرية، أو النهاية النثرية اللتان تضمنتهما هذه النسخة. ومن الملاحظ أن هذه النسخة مما أشار إليها بروكلمان أيضاً، مما يدل على أنه كان يعتمد على الفهارس فقط وينقل عنها، دون أن يرى النسخة بنفسه.

٢١ - النسخة رقم ٥٥ (ببرل - ليدن - هولندا) : -

هذه النسخة قد أشار إليها بروكلمان - ضمن ما أشار إليه، وتحدث عنها فهرس المخطوطات العربية (ببرل) بإيجاز [١٤]، مبيناً (أنها مراسلات شعرية ونثرية بين الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤هـ، ومعاصريه. وهؤلاء الأعلام مرتبون حسب الترتيب الأبجدى). وحين حاولت التوصل إلى هذه النسخة، أفدت من أحد المبعوثين المصريين، بأنها غير موجودة. فلعلها هى النسخة رقم ٨٨ بجاريت، تلك التى أشار إليها المفهرس، بأنها قد اشتريت من برل سنة ١٩٠٠م.

٢٢ - نسخة بيروت:

هى من النسخ التى أشار إليها بروكلمان، محيلاً إلى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (١٣٤/٥). ولقد حاولت الحصول عليها فأجبت بعدم وجودها [١٥].

هذا، وحين قرأت ما كتبه مفهرسو المخطوطات الشرقية حول النسخة ٨٩ بجاريت، وأنها اشتريت من مكتبة البارودى ببيروت سنة ١٩٢٥م، عدت إلى ما كتبه الأستاذ: عيسى إسكندر المعلوف - فى الجزء الثالث - من مجلة المجمع العلمى بدمشق - الصادر فى أزار (مارس) سنة ١٩٢٥م - ما كتبه عن كتاب (ألحان السواجع وغيره وهو فى حديثه عن (خزائن الكتب العربية.. من نفائس الخزانة البارودية الكبرى ببيروت) : فألفيته يقول فى ص ٣٢: «إن المخطوطات فى مدينة بيروت قليلة، لأن خزائنها القديمة لعبت بها أيدى الحروب والنكبات، فلم يبق منها إلا خزائن بعض علمائها المتأخرين، ومدارسها الكبيرة». ثم يقول - فى آيار (مايو) سنة ١٩٢٥م - فى ختام حديثه عن هذه الخزانة: «هذا ما انتخبته من الخزانة

البارودية. وبعض هذه المؤلفات بيع، أو أُهدى. ولا يزال الباقى فيها من النادر. وحينئذ ترجح عندى ما يلى:

إما أن تكون هذه النسخة قد بيعت فى خلال الأشهر الأولى من سنة ١٩٢٥م، قبل حديثه عنها، واعتمد فى الإشارة إليها على ما كتب عنها بفهرس الخزانة. وإما أن يكون قد اطلع عليها بنفسه، ثم انتقلت بعد ذلك إلى جاريت، وبخاصة أن آخر حديثه عن الخزانة كان فى مايو سنة ١٩٢٥م، فلا مانع أن تكون قد بيعت خلال الأشهر السبعة الباقية من هذا العام. وإما أن تكون بالخزانة نسخة أخرى من الكتاب غير المشار إليه فى فهارس (جاريت)، ولم أستطع الحصول عليها.

صلة الكتاب بالصفدى. والاختلاف حول عنوانه:

لم ينسب هذا الكتاب فى فهارس المخطوطات العربية منها وغير العربية، وفى كثير من كتب التراجم القديمة[١٦] - لم ينسب لغير صلاح الدين الصفدى.

ولكن الاختلاف الواقع بينها يتجلى فى عنوان الكتاب، وبعبارة أدق فى المقطع الأخير من هذا العنوان. فهو عند صاحب الدرر: (ألحان السواجع بين المبادى والمراجع). وعند صاحب البدر الطالع: (ألحان السواجع بين المبادئ والمراجع). وقريب من هذا الاختلاف شوهد فى عرض كل نسخة من نسخ المخطوط من قبل.

ولكننى اخترت من بين هذه العناوين ما ورد على النسخة الأم، والنسخة (م)، والنسخة رقم ٨٩ بجاريت؛ إذ أن الصفدى عند ذكره الرسائل المتبادلة بينه وبين محمد بن عبدالرحمن، شمس الدين بن الصائغ، فى الجزء الثانى من كتاب (ألحان السواجع) يقطع بصحة اسمه فى قوله مخاطباً صديقه: «وقد استأنف المملوك - يعنى نفسه - كتاباً وسمه بألحان السواجع بين البادى والمراجع. ذكر المملوك فيه مولانا وغيره من أهل العصر».

وكذلك فى ترجمته لناصر الدين بن النشاى فى كتابه (الوافى بالوفيات) يقول: «وبينى وبينه مجاراة فى كثير من الألغاز وغيرها، وربما أثبتها فى كتابى: «ألحان السواجع بين البادى والمراجع» إن شاء الله تعالى».

منهج التحقيق:

لما كانت نسخة (أحمد الثالث) من أقدم النسخ تاريخاً، وأجملها خطاً، وأصحها ضبطاً، وأكملها مادة ـ اتخذتها أصلاً. واكتفيت بالإشارة إليها فى الحاشية بقولى: (فى الأصل كذا).

واستأنست إلى جانبها بأربع نسخ هى:

١ ـ النسخة رقم: ١٤٩٣ (أدب) ورمزت إليها بالحرف (أ).

٢ ـ النسخة رقم: ١٢٦٢ (أدب) ورمزت إليها بالحرف (ب).

٣ ـ النسخة رقم: ٢٧ (خزانة) ورمزت إليها بالحرف (ز).

٤ ـ النسخة رقم: ٤٦١ (أدب تيمور) ورمزت إليها بالحرف (م).

وعلى الرغم من أن النسخة الأم هى المصدر الأساسى لنسخ النص، كان اعتمادى على النسخة (ب)، حينما التقى بكلمات أو سطور مطموسة فى الأصل. محيطاً ما أنقله عنها بمعترضتين؛ لأتوثق من صحته عند المقابلة مع النسخ الأخرى.

واتضح لى أثناء المقابلة بهذه النسخ أن بعض الرسائل ساقط من الأصل، ومن (ب). فأثبته فى موضعه حسبما ورد فى النسخ، بعد التوثق من توفر شرط المعاصرة، والتيقن من سلامة النص ونسبته إلى الصفدى أو مراسله. كما أثبت كل زيادة غير ذلك، ونوهت بها.

أما اختلاف العبارة بين النسخ فلم أهتم بتسجيل إلا ما فيه نظر[١٦]. أما غير ذلك فلم أعبأ به، ولم ألتفت إليه؛ تخفيفاً عن القارئ الذى ينشد النص سليماً مضبوطاً.

ومن أمثلة هذه الاختلافات التى ضربت عنها صفحاً:

(شيخ الإسلام شيخنا ـ شيخنا شيخ الإسلام)، (فنونها يسبح.. ويحكى ـ فنونها تسبح... وتحكى). (فنشقت نشر عبيرها ـ ونشقت نشر عبيرها)، (وكتبت إليه ـ فكتبت إليه)، (تفك رموز ـ تحل رموز)، (كنظام الدر من أنواعه ـ كنظام الدر فى أنواعه) وما شاكل ذلك.

وشمل تحقيق النص ضبطه ضبطاً صحيحاً، وتصحيح ما وقع فيه من تصحيف أو تحريف، ومقابلته على جميع ما تيسر لى من كتب الصفدى وغيره، من المعاصرين له وغير المعاصرين. سواءٌ منها الكتب المطبوعة أو المخطوطة، والأدبية وغير الأدبية.

كما شمل التحقيق تخريج ما ورد فى النص من القرآن الكريم، أو من الأحاديث، أو من إشارات تاريخية وغيرها، أو من الحِكم والأمثال والأشعار.

كما شمل التحقيق كذلك الترجمة للأعلام الذين ورد ذكرهم فى المخطوط، مذيلاً التراجم بذكر مراجعها. ومن لم يتسنَّ لى الوصول إليه نبهت عليه[١٨].

وقد انتهيت فى تحقيق هذا العمل إلى وضع فهارسه العامة، مختتماًببيان المصادر والمراجع التى اعتمد عليها فى تحقيقه[١٩].

وبعد، فلعل من أبرز ما اعترضنى من صعوبات فى تحقيق هذا الكتاب، ندرة وجود الرسائل المتبادلة بين الصفدى ومعاصريه؛ فإن الكثير منها لم تحتفظ به المصادر إلا فى القليل النادر. ومعظمها مبعثر، أو موجز، فى الكتب سواء منها المعاصرة للصفدى، أو التى ظهرت بعده.

ومن أبرز الصعوبات أيضاً ما تعلق بالأشعار وتخريجها؛ فلقد بث الصفدى ومعاصروه فى رسائلهم الكثير منها، ومعظمها ينتسب إلى عصور متأخرة يصعب على الباحث الحصول على دواوين شعرائها.

ولم أذكر هذه الصحاب السابقة تنويها بالتغلب على معظمها؛ بل اعتذاراً عما يظهر فى هذا العمل من نقص. آملاً أن يكون به ما يرضى الله والحقيقة. والحمد لله على ما أعان، وله الشكر على ما وفق.

هوامش مقدمة المحقق:

(١) فى كتابه (عصر السلاطين ٨/٤٥٤).
(٢) انظر فهرس المخطوطات العربية المصورة بالعراق/٨.
(٣) الأستاذ عبدالسلام هارون فى كتابه (تحقيق النصوص ونشرها/٣٦).
(٤) المرجع السابق.٣٧.
(٥) انظر فهرس المخطوطات المصورة ١/٤٢٦.
(٦) انظر مقدمة (نصرة الثائر/٢٣).
(٧) كذا ورد البيت في النسخة.
(٨) تكرم الأستاذ الدكتور/ رمضان عبدالتواب، بترجمة ما ورد تحت وصف هذه النسخة فى فهرس برلين.
(٩) انظر: "فهرس الاسكوريال بالمعهد: ٧٤، ٧٥)
(١٠) كذا بالنسخة.
(١١) كذا فى الأصل. والصواب. "يجمع".
(١٢) الشك من المفهرس.
(١٣) الشك من المفهرس.
(١٤) انظر ص ٩ من الكتالوج الخاص ببرل.
(١٥) تكرم أحد الأخوة اللبنانيين ببذل هذا الجهد أخيراً.
(١٦) انظر (البدر الطالع ١/٢٤٣)، (والدرر الكامنة ٢/١٧٦).
(١٧) وهذا غير ما قدم للجامعة، فقد بينت ثمة كل اختلاف.
(١٨) أما خصائص هذه الرسائل شعرية ونثرية، وأهم أغراضها، ومنزلتها بين أدب الرسائل الإخوانية فى تاريخنا الأدبى - فقد أفردت له بحثاً خاصاً بعنوان: (الأدب الإخوانىّ فى القرن الثامن الهجرىّ: بين الصفدىّ ومعاصريه فى مصر والشام) طبع دار الهانى بالقاهرة.
(١٩) كما لم يهتم الناسخ إلا بالفاصلة والنقطة من علامات التنصيص. وجاءت بقية العلامات فى النص من وضعى الخاص.

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر[١]

الحمد لله الذى جعل البادئ أميراً. وقدّرللمُراجع أن يكون مأموراً، ومَرَجَ بينهما[٢] بَحْرَيْن يلتقيان يخرجُ منهما اللؤلؤ منظوماً ومنثوراً. نَحمدُه على نعمه التى تُراجع مَنْ شكر، وتتعاهد من غَفَل عن حَمدها، وتزيدُ من أدّى الواجب (وادّكر)[٣]، وتأتى إلى مستحقّها تارةً بمعنى مُتقدم وتارة بمعنى مبتكر. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً جُبِلت عليها الجِبِلّة، وأنِسَت بالعقيدة الصحيحة الهادية، واستوحشت من البدع العليلة المُضلة، وثَبَّتَت دعائم أدلّتها لما غدت شُبَهُ الباطل مضمحلة. ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل من أجاب وأجاد، وأعان على نوائب الدهر وأعاد، وأبان فضل هذه اللغة العربية فأبان[٤] ما سواها وأباد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خَلّصُوا من النّفاق فأخلصوا، وسابقوا إلى اتّباعه فما تصبروا ولا تربصوا، وصَدَّقُوا فى محبته وبالغوا، فما تخرصوا ولا ترخصوا، صلاة يتضوع نشرها عِطراً، ويتنوع بشرها دُرّاً، ما تواصل الأحباب (وما)[٥] تراسل الأصحاب وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعدُ: فقد كنتُ قديماً جمعتُ كتابى الذى وسمته بالمجاراة والمُجازاة، وأودعته جملة من مجاراة الشعراء ومجازاة الأدباء. وليس لى فيه بعد المقدمة غير التفرد بالجمع، ولا لى فى

قوافيه حظ فى جرّ ولا نصبٍ ولا رفَع. وقد أحببتُ الآن أن أجمع ما دار بينى وبين فُضلاء عـصـرى، والأئمـة الذين[٦] يجب أن تُكتب محاسنهم بالذهب المصرى، مما بدأت فيه وراجعت، وقلدتُ فيـه وتابعتُ، ليكون ذلك فى هذه الأوراق مجموعاً، ويبيتُ طائرهُ فى غضون الغضون منها مسموعاً. على أننى لم أعتَن قديماً بمثل هذا، وأهملت من ضبطه شيئاً كثيراً إهمالاً أذى[٧] فإننى ضيعت منه فى زمن الصبى جانباً وافراً، وكنتُ لمثل هذا النوع لا أُريه من الاحتراز وجهاً سافراً. فلما اضطررتُ إلى جمعه، وظمِئت نفسى إلى سقيا غيثه وهَمْعه، أخذتُ ألتقطه من كل بُقعة، وأجمعه كما فى قول العوام: من كل زوق[٨] رُقعَة، فكم أصابتنى فى هذا السَّومِ سآمه، وكم لزمتنى فى بعض المواضع بعض غرامه. وقد تركت فى بعض البداءات والمُراجعات بياضاً، وغادرت منها مناهل لم أردها وحياضاً؛ رجاء أن تظفرنى يد التطلب بما يسد الخلة ويشفى العلة، وينفى الغلة[٩]، فمتى وجدتُ جُدتُ وثنيت إليه الطِّلّية[١٠] وعدت.

(من الكامل)

وعلىّ أن أقضى صلاتى بعدما ... فاتت إذا لم أقضـها فى وقتها[١١]

وليعذر الواقفُ على ما هو فيه منحطُّ العمل، غيرُ راقٍ إلى درجة الكمال بدرُه، ولم تُشرق شمسه فى الحمل[١٢]؛ فإن فيه أشياء لم تهذبها الروية وأعجلها الارتجالُ، وألقاها الفكرُ من رأس القلم فجاءت فيه بُنيّات[١٣] الطريق لعدم الوصول إلى ربّات الخذور والحجال.

(من الطويل)

(وليس يُعابُ المرء فى يوم جُبنه ... إذا عرفت منه الشّجاعة بالأمس[١٤])

وقد رتبته على حروف المعجم، فأذكر فى الحرف اسم منْ كتب إلىّ وكتبت إليه، وجلا أبكاره الغر (علىّ)[١٥] وجلوت عليه. وبالله الاستعانة وعليه الاتكالُ فى إبلاغ النفس عذرها وأداء الأمانة، لا إله غيره، ولا ولىّ سواه سبحانه.

هوامش مقدمة الصفدي:

(١) انفردت نسخة الأصل بهذه الجملة الدعائية.

(٢) في الجملتين اقتباس قول الله عز وجل «مرج البحرين يلتقيان» الآية: ١٩ من سورة الرحمن. وقوله: «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» الآية: ٢٢ من سورة الرحمن أيضاً.

(٣) ساقطة من الأصل والزيادة من النسخ المعاونة.

(٤) أبان: أبعد.

(٥) الزيادة عن (أ، م).

(٦) لعل الذهب المصري ينفرد بمزية كما يفهم من العبارة.

(٧) في أ، م): «ورب إهمال آذى».

(٨) لعل أصل هذا المثل: «من كل زيق رقعة «ومن أمثلة المولدين: «هو من كل زيق رقعة ومن كل قدر مغرفة» وقيل: من كل زق (مجمع الأمثال ٢: ٣٧٤).

(٩) «ويشفي العلة وينفي الغلة» كذا في جميع النسخ. وقد ورد هذا التعبير للصفدى فى (جنان: ٨). برواية: «ويشفى الغلة، وينفى العلة» وهذا هو المشهور.

(١٠) والطلية: ـ بضم الطاء المضعّفة وفتحها ـ: العنق، وجمعها (الطلى).

(١١) البيت للمعرى (سقط الزند: ٢٩) برواية: إذا لم آتها، من قصيدته التى مطلعها:

يا راعـــى الود الذى أفعـــاله   تغنى بظــاهر أمرها عن نعتها

(١٢) الحمل: نجم من نجوم البروج.

(١٣) بنيات الطريق: هى الطرق الصغار المتشعبة من الطريق الأعظم.

(١٤) اختلف في نسبة هذا البيت ففى (العقد ١: ١٤٤، ونهاية الأرب ٣: ٣٥٢) منسوب لعمرو بن معد يكرب. وعبارة النويرى: «... فى جبن يومه... منه الحماية بالأمس» وفى بهجة المجالس ١: ٤٩١، وفصل المقال ١: ٢٥١، وحاشية نصرة الثائر: ٥٧) منسوب إلى أوس بن حجر، والرواية في بهجة المجالس هكذا: «وما بفرار اليوم عار على الفتى...». والبيت بديوان أوس، ٥٢ برواية: «من جبن يومه، وقد عرفت، من مقطوعة مطلعها:

أجاعلة أم الحصــــين خزايــــة   على فرارى أن لقيت بــنى عبس

وفى شرح الحماسة للتبريزى ٢/٢٢، ومحاضرات الأدباء ٣/١٤٨ ط دار مكتبة الحياة بيروت، وحاشية بهجة المجالس ١/٤٩١ (، وبهجة الناظر الورقة/ ١٠٣ب).

منسوب إلى عبدالله بن غلفاء. والرواية فى الأخيرة:

«وليس الفرار اليوم عاراً على الفتى   إذا ....»

(١٥) الزيادة عن (أ، م).

حرف الهمزة

إبراهيم(*) بن أحمد بن محمد القاضى أمين الدين بن الشيخ الإمام شهاب الدين بن الشيخ شمس الدين بن غانم أحدُ كُتَّابِ الإنشاء[1] الشريف بالشام المحروس (كتب إلى[2]) وكتبت[3] أنا جوابه من رحبة مالك بن طوق[4]) فى سنة ثلاثين وسبعمائة:

(من الطويل)

كـتـابُك نورٌ صُنْتُهُ لجُفـونى ... وتـاجُ عُلاً أعـددْتُه لجَبِينى(٥)

أتانى فلا والله ما احتجت بعدها ... إلى أن تُقِرَّ الحادثات عُيونى

ونفْسَ من ضيقٍ برَحْبَة مالك ... أُكـابِدُه من لوعـةٍ وحنينِ

فما الطَّرْفُ إذْ أبصرتُه بمسهَّد ... ولا القلبُ إذ عاينتُه بحزينِ

تُغَازِلُنِى ألفاظُه فى سطُوره ... بسحرٍ معانٍ من لَوَاحظ عينِ

وأنظرُ فى منثُوره مُتَنزِّهًا ... فأشهدُ سَجْعَ الوُرْقِ فوقَ غُصونِ

غدوتَ أمينَ الدِّين بالفضلِ باديًا ... وفُزْتَ بسبقٍ فى العلاء مُبينِ

بعثتَ مِثالاً ما ظَفِرْتُ بمثْله ... وحسبُك من حُسْنٍ بغير قرينِ

فما كلُّ حُسنٍ مثله بمُكمَّلٍ ... ولا كُلُّ دُرٍّ مثلُهُ بثَمينِ

بضائعُه تَجْلو علَىَّ محاسنًا ... ولستَ على هذا لَها بزبُونِ

لأن الذى وشَّى مطارفَ حُسْنِها ... فتًى حازَ أشتاتَ الفضائلِ دُونى

أضعْتُ أنا فضلى، وأصبحَ حافظًا ... وكيف يضيعُ الفضلُ عند أمينِ(٦) ؟!

وكتب هو إلى القاضي ناصر الدين[٧] صاحب ديوان الإنشاء الشريف ونحن بمرج الغسولة[٨] وقد زادت الأمطار والرياح:

(من الطويل)

وليلة بتنا والرياحُ عواصفٌ ... بوبْلٍ كنَبْلٍ للخيام يُخرِّقُ[٩]
فقلتُ لصحبي دُونكم وسفينةً[١٠] ... وإلا بلا شكٍّ من الماء نغرقُ
فقالوا: يُنجِّينا الإله بسعْد مَنْ ... لنا ناصرٌ من كلِّ خطْبٍ يُؤرِّقُ.

فكتب إليه المشار إليه: (من الطويل)

لئن أرسل الله الرياح فإنَّها ... مبشرةٌ والقولُ فيها مُصدَّقُ[١١]
وليس معَاذَ الله إرْسالُها لما ... يُخافُ ولطفُ الله بالخلْقِ مُحْدِقُ[١٢]
وحكمتُها سوقُ السَّحَابِ إلى رُبًا ... ليَحْيى بها ميْتٌ ويظهر رونَقُ
وقَدْ ظَهرَتْ آثارُ صُنْعِ الـهنا ... وأصبح نَوْرُ الرَّوضِ وهْوَ مُحدِّقُ
فلسْتَ ترى زُهرَ الشَّقيقِ مُبكِّرًا ... بقَطرِ النَّدى إلا كُئوسًا تدفَّقُ
وأغصانَ أشجارِ الرياضِ عرائسٌ ... تَزفُّ ليجلوها الغديرُ المرَوَّقُ[١٣]
(وكلُّ من الطيرِ المغرِد ساجعٌ ... يُرجِّعُ ألحانًا عليهن رَوْنَقُ[١٤]
وكلٌّ بشُكرِ الله ينطقُ صائحًا ... ومن عَجَبٍ خُرْسٌ تقومُ فتَنْطِقُ
أيا من غدا يستوعبُ الوقتَ مدْحَهُ ... لنقص فعال، وهْوَ قولٌ مُلفَّقُ[١٥]
إذا ما شكرتَ الله زادك رفعةً ... فشكرُك[١٦] إيَّاهُ شعارٌ مُوفقُ
تسوِّدُ أوراقًا وتكتبُ مأثمًا ... ويظْهرُ منكَ القولُ وهْوَ مُزوقُ
ونظمُك عندي جوهرٌ ونظامُهُ ... بليغٌ وهذا النَّظمُ بالصِّدْقِ أليَقُ.

فتأذى القاضي أمين الدين المشار إليه، وقال قد تبت عن نظم الشعر فكتبت أنا إليه ارتجالا:

(من السريع)

تابَ أمينُ الدّينِ من نَظْمه وخلّصَ الأقوامَ من ذَمّه[١٧]
وقال: لاَ عُدْتُ إلى مِثْلها فقُلْتُ: لا[١٨] تَهْرُبْ من سَهْمه
فقال لِي: والله لو أنّه مسّك لَمَا مِلْتُ إلى شمّه
فقد كفَى ما نِلْتُه من أذًى وما التقَى قلبِيَ مِن همّه.

وكتب[١٩] إليه القاضى ناصر الدين المشار إليه:

(من السريع)

إنْ كان قد تاب بلا مِرْيةٍ وأحْسَنَ التّوبةَ من جُرْمه[٢٠]
وقدّمَ الإخلاصَ فى فعْله وقولُه دلّ على حزمه
ونحن[٢١] قد نمسكُ إقلاعَهُ عَنْ ذَنْبه العَزْمَ على ذَمّه
لأنَهُ سيّدُ إخوانه وهْوَ أمينُ الدينِ فى قومه
وإنْ أعادَ القول فيما بدا منْهُ، ولاحَ الزّيفُ فى نَظْمه
فإننى مستأنِفٌ همّةً[٢٢] فى منْعه، والقولَ فى ذَمّه.

فكتبت أنا أيضاً[٢٣]

(من السريع)

إن أمينَ الدين مُذْ تابا أغلقَ للآداب أبوابا
وكانت الأعطافُ من نظمه ونَثْره تهتزُّ إعجابا
وكيف يَنْسى لذّةً طالما أدار لها بالكعب دُولابا[٢٤]
ما زال مُذْ شبَّ على نظمه حتى رأيْنَا رأسَه شابا
وذهْنُه فى كلّ معْنًى إذا حاولَه يسبقُ نشّابا[٢٥]
فإن يكون أمسى غشيماً كما يَزْعُمُ أعطيناه ركّابا.

وكتب هو[٢٦] إلى وقد تخلفت عن التوجه إلى المرج صحبة الجماعة الموقعين.

(من الطريق)

خليلَىَّ ما المرجُ الخصيبُ بطيّبٍ إذا لم يرَ إبراهيمُ وجْهَ خليله
وما هو إلا مارجٌ بَعْدَ بُعْده ولو زارَهُ جَالَ النّدى بنجيله

وكنت قد كتبت أبياتاً لمّا حصل (لى[٢٧]) يرقانٌ، أعتذر فيها عن عدم التوجه إلى المرج جاء منها فى الجواب: (من الخفيف)

يابْنَ سِينَا[٢٨] الزّمانِ مِنكَ شِفَائى ... وَوَلاَئى المشهورُ فيك نجاتى
جاء للعبد منك قانونُ نَظْمٍ ... فى إشاراته حَلَى النغمات
ما تَرَى علتى التى قد عَرَتْنى ... وَيَرتْنى بِرَىِ المُدَى القاطعات
فاصفرارى[٢٩] هذَا وأَبْيَضُ شَيْبى ... (نرجسٌ للنفوس غير مُوَاتى
تمّ عندى تَشْبِيهُ شيبى بِتَمّ[٣٠] ... قد غدا ناظراً بعين البُزَاة.

وكتبت أيضاً:

(من السريع)

صفّرَنى ذا الْيَرقانُ الذى ... بِمِثْلِهِ الأسْقَامُ لم تَظْهر
ينفرُ مَنْ يُبْصِرنى مُقْبلاً ... حتى كأنى من بنى الأصفرِ[٣١]

وكتبت أيضاً:

(من الطويل)

(تصدقَ خلاّقى علىّ بصحةٍ ... تسرُ، وأعطانى زماناً وعافانى
ومر على غيرى سقام وصحةٌ ... ولم يُر قَانٍ مثل ذا يرقانى)[٣٢]

فكتب هو إلى[٣٣]:

(من الكامل)

حاشاك من ألم ألمّ بمهْجَةٍ ... قد مسها ألمٌ من اليرقانِ
وكُفيتَ كلّ مُلمّةٍ ومَخَافَةٍ ... ولَبِستَ ثوبَ سلامةٍ وأمانِ
مُتَمتِعاً مُتنعماً فى جِلْقِ الشهباءِ ذاتِ جنى وذاتِ جنَانِ[٣٤]

وتَرَى بهـا أترابَهـا وكـواعـبا[٣٥]		بخـدودهن شـقـائقُ النعـمـانِ
يا واحـداً فى جـيله بجـمـيله		كـمْ فـى فـنـون فِنـاك مـن أفـنـانِ
مَنْ ذا يُضَارِعُ بَحْرَ شِعـرِكَ فى الوَرَى		يـا حـبـرَ علمٍ مَالَهُ مِن ثـانٍ.

إبراهيم(*) بن محمود بن سليمان بن فهد القاضى بن القاضى الكبيرُ الرئيسُ جمالُ الدين أبو إسحق ابن العلامة شيخِنا الإمام الكاتبِ شهاب الدين بن الإمام زين الدِّين الحلَبى كاتب السر الشريف[٣٦] بحلب المحروسة. كتب إلى وهو بالقاهرة، وأنا بها فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة ملغزاً فى اسم غُلْبَك[٣٧].

(من السريع)

إنَّ اسمَ مَن أهْوَاهُ تَصْحِـيـفُهُ		وصفٌ لِقَلْبِ المُدْنَفِ العـانى[٣٨]
وشَطْرُهُ من قَبْل تصـحـيـفـه		يُقـادُ فـيـه المـذنبُ الجـانى[٣٩]
وان أزَلْتَ الـرُّبـعَ مِنْهُ غدَا		مـصـحـفاً لى منه ثلثـان
وَهُوَ إذا صَحَّفْتَهُ ثـانيا		اسمٌ لِمَحْبُوب لـنـا ثَانٍ.

فكتبت الجواب إليه عند ذلك[٤٠]:

(من السريع)

لغـزُك يـا من رُؤيتى وَجْهَهُ		تكحل بالأنوار أجـفـانى
هدَى[٤١] ضَمِيـرى لِمَعمى حلّـهِ		وأيد الـقـول ببـرهان
إن زالَ مِنْهُ الـربعُ معَ قَلْبِه		فـإنه للمُذنب[٤٢] الجـانى
علـيـك[٤٣] تصحـيفُ الذى رُمْتَهُ		فـالقلبُ فى تَصْحِيـفـه الثّانى

وأنشدت جماعة الديوان كُتّابَ الإنشاءِ بمصرَ الشريفِ لغزا، كنت نظمته بالشام المحروس فى مثقاب[٤٤] وهو:

(من السريع)

مـــا غـــائصٌ فى يابسٍ كُلّمـــا جلدْتُه[٤٥] سَوْطًا أجـــاد العـــمـلْ

ذُو مُقْلةٍ غـــاص بهـــا رأسُه والرأسُ فى العـــادةِ مأوى المُقَلْ.

فكتب إلىّ القاضى جمال الدين الجواب: (من السريع)

مـيـقـاتُ[٤٦] ما ألغزت لى فى اسمه تمّ بتـصـحـيـلى له واكـتـملْ

يدورُ بالـقــوس مدَى سـيـره بدءًا وعـــودًا ليـــتمّ العمَلْ.

وكتبت أنا إليه أهنئه بعوده إلى كتابة السر[٤٧] الشريف بحلب المحروسة فى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة:

(من الطويل)

بـعَوْدتِك الـغرّاء قـــرّتْ نـواظرٌ وأمسَتْ وُجُوهُ البِشـــر وهْىَ نـواضرُ

فــروض[٤٨] الأمـــانى ظلُّه بك وارفٌ وحوْضُ الـتهَانـــى ظـلُّهُ مــنك وافرُ

لأنبَائكَ الحُسْنَى أصـــغْنَا مَسَامعًا فـيـاطيبَ مــا أملَتْ علينا البـشـائرُ

وفِيْنـــا بنذْرٍ أوْجبَتْهُ عـلــى الـورى صنائعُك اللآتى حوتهـــا المـــآثرُ

وقُمْنا بمـــا ألزمـــتَنا من محَامدٍ إذا تُليت تســعى إليـــهـــا المنابرُ

لـــك الله مَوْلـــىً جُودُهُ ملأ الـــملا فروضُ الندى بالفـضل زاه وزاهر[٤٩]

روَى خـبـرَ الإحْسَان عنك أولو النُّهَى وحـقـقـهُ عند الأنام[٥٠] التـــواترُ

فـــلا عدم الإســـلامُ شـــخصَك كلّمَا ترنّحَ غُصْنٌ فــــوقَهُ ناح طـائرُ.

يقبل الأرض ويهنّئ نفسه والأنامَ والأيام، ومن خطَّ الطروس، ووشّح[٥١] بُرودَها بالأقلام، ومن كتب الإنشاء فآخى من كلامه بين الجواهر فى النظام، ومن نظم قريضة فأخمل من الخمائل ساجعات الحمام، لأن مولانا ـ بسط الله ظله ـ بركةُ هذا الوجود، ومن هبّات نسيمه ينشَقُ الناسُ عرْفَ الهبات والجود. وينهى ما حصل له من الابتهاج والسرور، والهناء الذى التحف منه بالتُحف وحباه[٥٢] الحبُور، فالله تعالى يديم أيامَ مولانا التى هى أمانٌ من الحوادث والغِيَر، وجمالُ الكتب والسِّيَر، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى.

فكتب هو الجواب إلىّ عن ذلك[٥٣]:

(من الطويل)

بفَضْلِ صلاحِ الدينِ سُرَّت سَرائرٌ ... ووافَت إليها بالتَّهاني البشائرُ
وبالسَّبْقِ منه حازَ كلَّ فضيلةٍ ... فبإحْسانه والفضلُ وافٍ ووافرُ
أتاني كتابٌ منه أبهجَ ناظري ... حكى الرَّوضَ روَّاهُ من السُّحْبِ ماطرُ
حوى من بديعِ النظمِ عِقدَ بلاغةٍ ... لهُ جوهرٌ في طِرْسِه مُتَناثرُ
وكَمْ فيه من مَعْنى يروقُ بديعه ... فيا حُسْنَ ما أمْلَتْ عليه المحابرُ
فأعْجزني عن وَصْفِ ما قَدْ حواهُ من ... بيانٍ فوَصْفي عند ذلك قاصرُ
ولم أستَطع ردَّ الجوابِ لأنَّني ... أحاولُ أن تَدْنو إليَّ الزَّواهر
فسامحِ بفضلٍ منك عبداً مُقصِّرًا ... فإنَّك بالإغضاءِ للعيبِ ساتِرُ.

يُقَبِّلُ الأرضَ لازالت مطالِعُها مشارقَ الأنوار، ومرابعُها مراتعَ التهاني ومواطن المسار، وينهي ورود المشرَّف العالي، المشتمل من جوهر البديع على ما يخجل زهْر اللآلي، فقبَّله المملوك حين وافاه، وأجلَّ محلّه حين تلقاه، وكلّف بمضمونه فكلما انتهى إلى منتهاه أعاد لثمه وابتداه، وعلم ما تفضل به مولانا من تهنئة المملوك بالمنصب الذي كان المملوك عنه بفضل الله في غنى، والرُّتبة التي ما ازداد المملوك بها إلا التعب والعنا، وتحقق المملوك صدقةَ مولانا التي ألفها قديماً وآنفاً، ومحبتَه التي لم يزل المملوك على مثلها مقيماً، وبمثلها عارفاً. وعلم مولانا الكريم محيطٌ بأن المملوك كان قد حطَّ[٥٤] عنه واستراح وسكن، وأغلق الدكان ولزم الوطن، فلما اتفق بعد ذلك للمموك ما اتفق من المقادير التي لا محيد عنها، والأمور التي إن سخط أو رضي لابد منها، ما أمكنه إلا التسليم لحكم الله وأمره، والرضا بما قدّره من حلو القضاء ومرّه، ولعل ذلك أن لا يكون لشر قضاه الله، بل لخير قدّره، ورزق يسّره، وأجرٍ ساقه وقرّره. والمملوك يرجو أن تكون الآخرة إلى خير، فقد قربت المنزلة، وحث إليها السير. وقد تقلَّد المملوك لمولانا هذا الإحسان، وهو يعتذر من التقصير عن القيام بشكر هذه العوارف الحسان، فلو كان بين يدي مولانا لانفتح له من المعاني كلُّ باب، واقتبس من فوائده، وفرائده ما ينظمه في سلك هذا الجواب، وإنما بعده عن فضائل مولانا أوجبت له الإعتراف بتقصيره والتعويض بقليل اللفظ عن كثيره، وما ثم غير صفح مولانا الجميل، والله يبلّغه من الأماني نهايةَ التأميل بمنه وكرمه إن شاء الله.

ولما أبطأ عني جوابه؛ لأن حامله أخّره عنده، كتبت أنا كتاباً إليه في هذا المعنى، وافتتحته بقول القائل[٥٥]:

(من البسيط)

أتمّ سعدك من لقاك أوّله ولا استَرَدّ حياةً منك مُعطيها.

فكتب هو إليّ الجواب[٥٦]: (من البسيط)

يا مالكاً لم تزل تأتى عوارفه يُعيدُها كرماً منهُ ويُبديها
وافى مُشرّفك العالى فقبّله عبدٌ لأنعمك اللاتى تُواليها
لازلت ترقى إلى العلياء منزلة لا يستطيعُ مُدانٍ أن يُدانيها
ولا برحتَ مدى الأيام ترفُلُ فى ملابسٍ منك بالتقوى تُعليها.

يُقبّلُ الأرض لازالت ساحتُها تُقبّل وتُخدَم، وأوصافُ محاسنها يُبدأُ بها الذكرُ الجميلُ ويُختم، وينهى بعد دعائه الذى فرضُه عليه تحتّم، واعتداده بمنته التى كلُّ ذى جودٍ من كرمها يتعلم.

إبراهيم(*) بن على، الشيخ برهان الدين المعروفُ بابن غلام النورى، وبالمعمارِ وبالحجّارِ - رحمه الله تعالى - وفاته بالقاهرة سنة تسع وأربعين وسبعمائة فى طاعون مصر.

كتب إلىّ وقد وردت القاهرة فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة، فى زمن الملك الصالح إسماعيل[٥٧] بن الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمهم الله أجمعين:

وافى صلاح الدين مصراً فيا نِعم خليلاً[٥٨] حلّها بالفلاحْ
فليهْنِها الإقبالُ إذ أصبحت بالملك الصالحِ دارَ الصلاحْ.

فكتبت الجواب إليه[٥٩]: (من السريع)

خليلُ فى الشام هلالٌ بدا وبدرُ إبراهيم فى مصرَ لاحْ
ذا كاملٌ من حيثُ ذا ناقصٌ وذاك برهانٌ وهذا صلاحْ[٦٠]

إبراهيم(*) بن عبدالله[٦١] بن عسكر الأديب الفاضل الشيخُ برهان الدين أبو إسحاق بن الشيخِ الإمام العلامة شرفِ الدين القيراطى المصرى.

لما توفى شيخُنا شيخُ الإسلام قاضى القضاة تقىُّ الدين أبو الحسن على السبكى الشافعى رثاه بقصيدة نونية[٦٢]. فجهزها ولده الشيخُ الإمام العلامة بهاءُ الدين أبو حامد[٦٣] أحمدُ إلىّ

قرين[٦٤] ما رثى به. فكتبت الجواب إليه وقلت عند ذكر القصيدة النُونية[٦٥]: وأما نونيةُ سيدنا الشيخ برهانِ الدين القيراطى فإن المملوك وازن بقناطيره قيراطها، وأهدى إلى الرؤوس والآذان تيجانها وأقراطها، وقال: (من السريع)

وَزَنْتُ أهلَ النظمِ فى عصْرِنَا … من غَيْرِ إجْحافٍ وإسْقاطِ
فأهلُ مصرٍ عندَ وزنى لَهُمْ … زادُوا على الناسِ بقيراطِ[٦٦]

فَنُونها يسبح من فنونها في يمّ، ويحكى[٦٧] لمن غاب عن المأتم ما تم، والله يمتع الآداب بهذه الفوائد الفضّة، ولا يؤاخذه بما صنعت بنا بنت[٦٨] فكره، فإنها جمعت الأحزان وجعلت الدموع مرفضّه[٦٩].

ثم إن جواب الشيخ بهاء الدين عاد معطوفاً على قصيدة نظمها الشيخ برهان الدين القيراطى[٧٠] وهى: (من السريع)

يا حاكِماً عدّلَ أقوالَهُ … فلم تَزِغْ يوماً بإسقاطِ
أقمت للشعرِ عَمُوداً لهُ … بأرض مصرٍ أوْ فُسطاطِ[٧١]
بناتُ أفكارِكَ فيه غدتْ … مَصونةً عن شُبَهِ الواطى
تسمو قوافيه[٧٢] فَيَغْتَطُها … من فكرِكم عزمةُ مُحتاطِ
لَجَجْتَ فى أبحرِهِ سابحاً … إذ وقفَ الناسُ على الشاطى
حلّى لنا مَصرَ وقدْ حلّها … من دررِ النّظم بأسماطِ
جَزّارُها[٧٣] أمستْ تقاطيعُهُ … تُدْعَى وقدْ بارت بأسقاطِ
مُذْ[٧٤] جاءها منك القَرِيضُ الذى … يَخْشى مُضاهيه سُطا السّاطى
كأن الربيعَ الطلقَ[٧٥] وافى لها … فشُنّفت منه بأقراطِ
لو شَهِدَ الوراقُ[٧٦] تحبيرَهُ … يرَى له أقلامَ خطّاطِ
أوْ سرّحَ الحلّىُّ فى روضهِ … طرْفًا أبى[٧٧] تقريظَ أمشاطِ
حلّىَ وحلّوَى كم شدَدْنا لَهُ … مَناطقَ الشكرِ بأوساطِ[٧٨]
مقبولُ أعمالِك فيه رمَى … أعمالَ أقوامٍ بإحباطِ

طُلتَ(٧٩) وطافَ النّاسُ بيتَ العُلا … فَقُتَّهم سَبقًا بأشواطِ
قالَ العدا: أفرطتَ في مدحه … فقلتُ: هذا فوقَ إفراطي
إن نَثَّرَ الدهرُ لنا ناظمًا … قُلنا لهُ: يا خيرَ لقّاطِ
أو شُبِّهَتْ بالبيضِ أقلامُهُ … فغيرُها يُدعى بمشراطِ
أصابَ أغراضًا تَسامَتْ فلا … تَدنو إليها خُطوةُ الخاطي
ساءَ مزاجُ الناسِ او خِلقتُهم … قدْ طُبِعوا من شرِّ أخلاطِ
عنْ شُغُلِ الخيراتِ قد أصبحوا … (أفرغَ من حجّامِ ساباطِ(٨٠))
أُهدي مراثيكَ التي صُغتَها … في عالمٍ حَبْرٍ بأقساطِ
قالتْ لنا الساعةُ لمّا قضى: … مَصرعُ ذا من بعضِ أشراطي
مَضى إمامًا للورى حجّةً … وفازَ في الخُلْدِ بأنماطِ(٨١)
وناطَ بي حزنًا ثيابُ الأسى … فاليومَ ذاتي ذاتُ أنواطِ(٨٢)
وعامُنا في مصرَ من أجلِه … (عامُ ابنِ همّامِ بدمياطِ)(٨٣)
اغضِ صلاحَ الدين يا سيِّدًا(٨٤) … مُنتخَبًا من خيرِ أسباطِ
فمِصرُ قالت للشّآم: ارجِعي … بسيِّدٍ للنجمِ حطّاطِ
جميعُ أجزائي غدت دُونَه … كيفَ أُساويهِ بقيراطِ
ما للمثاقيلِ إذا وازنتْ … دُرًّا وتبرًا، غيرُ أقساطِ
رضاكَ عمّا قُلتُ يا سيِّدي … يُسخِطُ ضِدّي أيَّ إسخاطِ
أرقصني مُطربُه فَرحةً … بينَ بني الدُّنيا بآباطي

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك(٨٥).

(من السريع)

غيداءُ ما احتاجت لمشّاطِ(٨٦) … أم دُرُّ بحرٍ مالَه شاطي؟!
أم روضةٌ فيحاءُ أمْ حلّةٌ … من رَقْمِ تنّيسَ(٨٧) ودمياطِ؟!
أمْ شِعرُ مَن زادت قناطيرُهُ … فضلاً، وقدْ سُمّي بقيراطِ؟!
نعم ولا ليسَ ذا دارجًا … في حُكمِ أدراجٍ وأسفاطِ(٨٨)
فالحبّةُ انضافتْ إلى أُختِها … كأنّها من خَرْطِ خرّاطِ
مُحكمةُ الألفاظِ من أجلِها … قد سقَطت حِكمةُ سُقراطِ

لَو دخلت[٨٩] سمعَ أبقراطَ ها … جنَّهُ وحلَّته بأقراطِ

تَشعَّبَت فيها مَجارٍ من الـ … آداب تحتاجُ لِقُنباطِ[٩٠]

يَا خجلَتِي منها وقَدْ بِنْتُ … فى النَّظمِ أوهَامى وأغلاطى

وصحَ عِندى أن كل الَّذى … عمِلتُه اختصَّ بإحبَاطِ

وكُنْتُ من نظمى أرَى أنَّنى … أرفُلُ فى سكرِ لاطِ[٩١]

حتَى أتتنى[٩٢] وإذا مِعْطفى … يلتفُ فى بُرنُسٍ بُرناطِ

زَفَّتَها خودًا إلى جِلَّقٍ … فى خِلقٍ شُقَّتْ وأسمَاطِ[٩٣]

حلَّتُها جلَّتْ فما مَسَّها … راحةُ رفَّاءٍ وخيَّاطِ

وشَعْرُها شعر فتاةٍ سمَا … عن كفِّ مَحَّارٍ وأمشَاطِ

أما السَّرَاجان[٩٤] فقد أصبَحَا … قُدَّامَها فى زِىِّ نَفَّاطِ

وابنُ الحريرى[٩٥] مقاطيعُهُ … أكسدُ من مقطعِ سُنباطِ

وكلُّ مِصرىٍّ مُصِرٌ على … فضلِكَ من عُرْبٍ[٩٦] وأقباطِ

وكلُّ شامٍ[٩٧] شَامَ مِنكَ السَّنا … وغَارَ حتَّى كلُّ غِرْناطِ

فاحفظ لآلى النَّظمِ إنِ جُزتَ فى … القصرين من غيْلَةِ بطَّاطِ[٩٨]

لا تمشِ إلا باحترازٍ على … نظمِكَ من لِصٍّ وشرَّاطِ

كيف أُجارى[٩٩] فى المعَالى لمن … أناتُهُ تَسبقُ أشواطِى

ولو رأى تِلكَ وذِى حاكمٌ … ما ارتابَ فى الحُكم بإسقاطى

لو شئتَ جبرى من جوَابى لَها … لكَانَ فى عِدةِ إسقَاطى[١٠٠]

فخُذْ فهذا بعضُ ما عقَنت … وخزَّنتُ فى الذِّهْنِ أخلاطى

لا أنسَ ما قد أذكرتَنى به … من فقْدِ حبْرٍ[١٠١] جدَّ مُحتاطِ

يلقطُ بالذوقِ الذى عنده … متنَ الأحاديث بملقَاطِ

ويُخرجُ الأحكام من ضمنها … والماءَ يحتاجُ لأنباطِى[١٠٢]

إن قالَ فالناسُ سكوتٌ لهُ … كأنَّهُم أبْنَاءُ أنبَاطِ

يمشى إلى الجنَّاتِ بالعلم فى … سُرادقٍ من فوقِ أنمَاطِ

عليه من خَلاَّقِهِ رحمةٌ … تضيقُ عنها خطوةُ الخاطِى.

وجهزت هذه القصيدة طيّ كتاب إلى الشيخ الإمام[١٠٣] بهاء الدين أبي حامد، وكتبت عند ذكر هذه القصيدة، وانتقل المملوك إلى القصيدة الطائية، والبلاغة الطائية، فلو أن الطائيين حيان لَسلّمَا قبل أن سلّما[١٠٤]، واعترفا لشاعرهما[١٠٥] بالفضل وندما على كل ما كلّما. ولو كانت الطاء (حرف الراء[١٠٦] لما زادت) على هذه العدة، ولا أذعنتْ لناظمها[١٠٧] وجاءته في جدّة هذا الرونق والجدّة.

يا مولانا هذا الشيخ برهان الدين نكت حرف الطاء، وأخذ جميع ما فيه من النكت، وعلم أن الذي يجاريه - إن أفلح - جاء سُكَيْتا[١٠٨] وسكَتْ.

أما قوله مصر والفسطاط فلم يمر بالمملوك مثلها، ولا فاء عليه ظلُّها، وأما تقاطيفُ الجزار وأسقاطُه، فلو كان حياً صحّ حذفُه من هذه الصناعة وإسقاطُه. وأما ذكره الأقراطَ مع الربيع والتشذيف، فصناعة فائقة في النظم والتصنيف. وأما تسريحُ الحليّ وتقريظ الأمشاطي، فهذا قول من خاض لُجّة هذا الفن، وترك الناسَ على الشاطي. وأما الأوساط والشد مع (ذكر)[١٠٩] الحلوى، فما يجد المملوك ولا غيره صبرا على هذه البلوى. وأما أنه يأخذ المثل موزوناً في حجام ساباط، فهذا سعدُ عملٍ منزهٍ[١١٠] عن الإحباط. وأمام عام ابن همامٍ بدمياط، فقد زاد إعجابي به في الإفراط. وأما الرقص بالأباط فرحه، فأمرٌ ما يحتاج الحسن شرحه. وما كان المملوك مع هذه النكت الأدبية، إلا أنه جرى على عادة الكُتّاب في سد المخزومه، وبعث بجواب ألفاظه مع الاعتراف مرحومه، وإن كانت من الحسن محرومه[١١١]، ولكن المملوك واثقٌ بأن مولانا يسدّ خللها، ويبرّد غلّلها، ولولا أن مولانا واسطة هذه الوساطة لما أجاب، وضُرب بينه وبين المجاراة ألفُ حجاب، ولكن هي في خفَارة إحسانه، وإثارة زهزهته[١١٢] لها واستحسانه، إن شاء الله تعالى.

أحمد(*) بن إسماعيل الصَّدْرُ شهابُ الدين المصريُّ المعروفُ بسُمَيْكَه.

كتب هو إليّ لما قدمت إلى القاهرة في سنة خمس وأربعين وسبعمائة:

(من الرمل)

أرضَ مِصرَ استبْشِرِي ثُمّ أبشِرِي فلقدْ فُقْتِ علَى كُلِّ الأراضِي

إذْ بِكِ الـفُرْسُ زكـتْ أفْنَانُهُ فاضحكِي زَهْوًا على غُصْنٍ[١١٣] الفِياضِ

فكتبت أنا إليه:

(من الرمل)

أحْرُفٌ أم زُخْرفٌ أم زَهَرٌ راقَ للأعْيـن فـى وَسْطِ الـريـاض؟!
مــا رأتْ عَيْنَاى خطًا أسْوَدًا قـطُ أحلَى[١١٤] منه فى ذاك البياض.

أحمد[*] بن بلبان الشيخُ الإمامُ الفاضلُ شهابُ الدين بنُ النقيب

الشافعى مفتى دار العدل الشريف ومدرس العادلية الصغيرة[١١٥]، وغـيـرها بالشـام المحروس.

كتبت إليه من الرحبة المحروسة أول قدومى إليها فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة، أسأله عن خير جماعة من الأصحاب بالقاهرة المحروسة من جملة كتاب:

(من المتقارب)

رَحلْتُ، وفــى مصْرَ لــى سَادَةٌ يَطُولُ عنَــائــى بــهــمْ واكْتِئَابِى[١١٦]
جَفَوْنِى وَضَنُّوا بـأخْبـارِهِمْ فأصْبَحْتُ أطْلُبُهـــا مـن صحَابِى
عَسَى خَبَـرٌ عَنْهُمُ صـادِقٌ أطـالِعُهُ مــن كِتَابِ الــشّهَابِ.

فكتب هو الجواب إلىّ:

(من مجزوء البسيط)

يا غـرسَ ذى العـرش لا شـريك لـه أنبــتك الله، ثم لاحــصـــدك
ألومُ مــن يرتــجى لِحاقَك فـى الــ مجـــد، كمَا لا ألـوم من حسَدَكْ
جارَاكَ أهـلُ الـعلا فـانْقَطَعَتْ أنـفـاسُهُمْ قبْلَ قـطْعِهـم أمدَكْ.

حَرَسَ (الله)[١١٧] نقودَ فضله المطبوعة، وغرسَ له فى القلوب مودةً كثمار الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة[١١٨] ـ وينهى بعد دُعاء يستغرق أوقات فكره، وولاءٍ يقوم مقام شكره، وثناءٍ لا يكرره لاحتياج مولانا إليه، ولكن لذةً بذكره[١١٩] ـ ورودَ مثاله الكريمِ وقد راقَ منظرُه، وفاق خُبرُه وخبرُه، وهو الذى اشتمل حقيقة على الإحسان والمحاسن، وأشبه الحبيبَ فى ظَرفه وطَرفه، فلا عجب إن القلبَ لبعده آسٍ والدمعَ آسِن.

(من السريع)

عارضَ بالإحْسَانِ حُسْناً لَهُ لا يبلغ الوصفُ مدى كنهه
لَيسَ لَهُ عَيْبٌ سوى أنَّهُ لا تَقَعُ العَيْنُ على شِبْهِه[١٢٠]

لا كما وصف به مولانا كتاب المملوك، وأخذ به في طُرُق التهكم عندما سلك به ذلك السلوك، وكثَّر حين شبَّهه بالدر، وقد أحاط بالأعناق في السلوك. وأظنُّ مولانا قصد تنبيه المملوك على الأدب، مع أهل الأدب، وطلب هذا الأمرَ مع الطُّلابِ (وما كل وقت ينجح الطلب)[١٢١]، والرجوع إلى زيد وعمرو، فما هذا مما يحصل بالاشتغال بكلام العرب. يا مولانا قد فهم المملوك الإشارة (وامتثل الإمارة[١٢٢]، وهو يستغفر الله تعالى من التلطيخ على هذا الفن البديع الذي ما عرف منه غير الاستعارة، فقابله بالتقبيل على العادة، وعرف كيف تكون الإجابةُ والإجادة، فسقى الله رياض هذه البراعة التي ما رأى المملوك أحلى من ثمار غرسها، ورعى عهود هذه البراعة التي ما شاهد أحلى من مُروض طِرسها، فلقد فتكت أبكار معانيها بالألباب، فعدَّ عن المدام يُصفَّق بالرحيق[١٢٣]، وفتنت القلب المؤمن، إلا أن له منها عذابَ جهنَّمَ وعذاب الحريق[١٢٤]، واستوقفت النواظر ببدائع حسنها، والخواطرَ ببدائع إحسانها، فعدَلا عن بُنيات الطريق[١٢٥].

(من الكامل)

وحَدِيثُهَا السِّحْرُ الحَلالُ لو انَّه لَم يَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المُتَحَرِّزِ[١٢٦]
إن طَالَ لَم يُمْلَل، وإن هِيَ أوْجَزَتْ وَدَّ المُحَدَّثُ أنها لَم تُوجِزِ
شَرَكُ العُقُولِ، وفِتْنَةٌ مَا مِثْلُهَا لِلمُطْمَئِنِّ، وعُقْلَةُ المُسْتَوفِزِ.

فأما ما تصدق به من وصف أشواقه ومكارمه، إلى غير ذلك، فقد شكر المملوك لمولانا هذه العوارف، وذم أياماً أضاع المملوكُ فيها زهر الآداب من غرس ظلّه الوارف، وندم حيث لا ينفعه الندم على ما فرَّط في جانب تلك المعارف[١٢٧]، ولكن ما شاهد المملوك كتعاسته في تلك الأيام ولا كحَظِّه الناقص، ولا سمع بأعثر من جدّه فيها، وهو على الأعقابِ ناكص[١٢٨].

(من الكامل)

وإذا سمعت بأن محروماً أتى ماءً ليشربه فغاض فصدّق

فقد يجمع الله الشتيتين، وقد يطوى الله لبعيد الأمل شُقّة البين[129].

فكتبت أنا الجواب إليه: يقبل الأرض ويستمر على ولائه الذى لم يحتج، إذ يحتجُّ به إلى بُرهان تأييدٍ، ولا تأييدِ برهانٍ، ولم يعتز، إذ يعتز به (إلى[130] عون أنصار، ولا نصرِ أعوان. وثنائه الذى يترنح له الغصن ويترنم الطائر، ويتغنى به الراكب، ويتغنم السائر.

(من الكامل)

لا طاب للمسك شذا نفحةٍ إن كان أذكى من ثنائى عليك[131]

وينهى ورود المشرف العالى، فقرن وفود بالإفادة، وجوده بالإجادة، وأبان الضُّر وأباده، وأعان الصبر وأعاده. فكم من ألفاظه من فاكهة لذيذةٍ وشراب[132]، وكم فى وصل خطه من حكمةٍ وفصل خطاب[133]، قد قسم الحسنُ بين لفظه ومعناه، واقتصر الجمالُ على مجموعه، فما تخطّاه حرفاً ولا تعداه، فأين نقصُ ابن زيدون[134] فى الأدب عن كماله، وإخلال ابن[135] أبى الخصال من خلاله، وأين عطَلُ صاحب القلائد[136] من عقوده، وحوالةُ ابن الصيرفى[137] فى نقوده، وأين قصورُ الفاضل[138] من تفننه، ووهن العماد[139] من تمكنه، هيهات ما لابن شهيد[140] حلاوته، ولا لصاحب المرقص والمطرب[141] تلاوته، فلو رآه ابنُ بسام عبَسَ وقطَّب[142]، وجلس بين يديه وتأدب، ولو عاينه البديعُ[143] لفَّ ما نَشَر من إنشائه، ورمى قلمَ المكاتبة بدايةً، وانسل بدائه.

(من الطويل)

إذا كان هذا شأن من قد ذكرته فما قدرُ وصلى فى نظام وفى نثر

ومن كان معدودًا معَ الشُّهبِ العلا فَيَالَيْتَ شِعْرِى أَيْنَ يُدْرِكُهُ شِعـــرى؟!

والله يمتع أبناءَ الأدب بهذه الفضائل، ويزيدُهم ببقاءِ مولانا كريمَ أخلاق ولُطفَ شمائل، بمنه وكرمه إن شاءَ الله تعالى.

أحمد(*) بنُ الحسن بنِ محمدٍ مُجيرُ الدين الخياطُ، الشاعرُ الدْمشْقي.

كتب هو إلى في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة(١٤٤). فكتبت أنا إليه الجواب: وقف المملوك على القصيدة التى أضحت بيوتها كالقصور، وألفاظها طالت على أبناءِ الزمنِ لما عندهم من الفترة والقصور، وكلماتها أحاطت بمعانيها إحاطةَ الهالات بالشموس(١٤٥)، والداراتِ بالبدور، فنظر إلى الحسناءالتى غلَا مهرُها، وعلا قدرُها، وغلب أمرُها، وخلب سحرُها، وطاب نشرُها، وطال برُها، وقلَّبَ وجهه(١٤٦) في سماءِ حسُنها، واعترف بالعجز عن تساوى ألفاظه بوزنها، ونظر فكرُه في نجوم ألفاظها للمعارضة «فقال إنى سقيم»(١٤٧)، وعَوَّذَ حاءَ قافيتها، وميمَ ملاحتها بحَم، فكم فيها من ألفٍ هي كالغصن الرطيب، وعينٍ كالطرف الفاترِ من الشادنِ الربيب وميمٍ كأنها سُرَةُ كاعبٍ، أو مبْسمُ حبيب، وجلَالةٍ أعيذُ طرْسَها، بالبردة، وقلَمَها بالقضيب، وعلم أن بحرها لفضل مولانا مديد، وتيقن أنه أراد الإعجاز فحصل له ما يطلب، وتمّ له ما يريد. على أنه حاول الجواب فقال فكْره العاجزُ: (مكْرهٌ أخُوكَ لاَ بطَلَ)(١٤٨)، ورام النزولَ بين بيوتها، فتذكر (أن بالشعب الذى من دون سلْعٍ لقتيلا دمُه ما يُطلَ)(١٤٩)، فثنى عنانَ رويته الناضبة، وكف فى كفه أقلامَهُ العاملةَ الناصبه، ثم إنه قام بما يجب عليه من الشكر بعد هذه الفتره، وحلا قولُه فى فمه، وكم له قبلها من مرَّة مرَّه، وقابل ذلك البحرَ المديدَ، الذى كله دُرَرٌ، بما لا يساوى دُرُه ذَرّه.

(من الكامل)

ومنَ العَجَائبِ، والعجائبُ جمَّةٌ شُكرٌ بطيٌ عن ندىً متسرِّعِ(١٥٠)

ورجع (إلى)(١٥١) المدح، الذى هو أجدى وأجدر، والثناءِ على محاسن مولانا التى هى من السُحب أعطى، ومن المسك أعطر، (فقال):

لمجيرِ الدين بالفضلِ يدٌ لفظُها (قدْ(١٥٢)) أعجزَ العُربَ الفصاحا
فتراهُ بطلاً قد سلَّ من لفظه بين قوافيه سلاحا
وإذا ما قلمٌ فى كفه هزه فى الطرسِ أنساكَ الرماحا
ومعانيه التى قد لطُفَتْ أذكرتنا الأعينَ المرضى الصحاحا

وَمتى ما فاهَ بالشِّعْرِ تَجِدْ		نَظْمَهُ قد راحَ يَسقِى السَّمعَ راحَا
يا إماماً نَظْمُهُ فى عصرِه		قامَ فيما بيْنَنا يدْعُو الفلاحَا
أدهشَتنى هذه الأبياتُ بلْ		أثْخَنَتْ رقَّتُها قلْبِى جِراحَا
مَنْ تُرى يطْمَعُ فى إلحاقِها		فضْلُها، هيهاتَ، قد فاتَ الرياحَ؟!
لا تَسُمْنى بعدَها، لى، محنةً		قد كفتْنى هذه الأُولى اقتراحَا(١٥٣)
وابقَ ما غنَّى حمامٌ فى الدُّجَى		فوقَ قُضْبِ الأيكِ منْ شَجْوٍ وناحَا.

أحمد(*) **بنُ الحسن بنِ عبد الله أبى عُمَرَ بنِ محمد بن قُدامةَ**، الإمامُ العالم العلامة ذو الفنون، جامعُ الفضائل، الشيخُ شرفُ الدين أبو العباس بن قاضى القضاة شرف الدين الحنبلى(١٥٤).

كتبت (أنا) إليه مُلْغِزا فى شهْرِ رمضانَ المُعظَّمِ.

(من السريع)

يا فاضلاً أخبارُ أشعارِه		مَشْهُورَةٌ فى العُجْمِ والعُرْبِ(١٥٥)
وسَجْعُهُ أخرسَ وُرْقَ الحمى		إذا تغنَّتْ فى ذُرى القُضُبِ
وخطُّهُ أزرى بزهْرِ الربا		إن دبجَتْها راحةُ السُّحْبِ
قل لى(١٥٦) : ما اسمٌ قَدْرُه مُخْتَفٍ		وحُكْمُهُ فى الشرقِ والغربِ
فيه لنا فاكهةٌ قدْ غدت		تَروقُ للنفسِ بلا قَلْبِ
إن عكسَ الخُمْسانِ من لفظِه		أمتَعَنا بالأكلِ والشُّرْبِ
وهْوَ معَ العكسِ بلا آخرٍ		أُضْمِرَ، فافهمْ يا أخا اللُّبِّ
بيِّنْ مُرادى يا إمامَ الورى		فليسَ ما أَلْغَزْتُ بالصعبِ
ودمْ قريرَ العينِ فى نعمةٍ		ما ازدانتِ الآفاقُ بالشُّهُبِ.

فكتب هو الجوابَ عن ذلك:

(من السريع)

يا فاضلاً منطقُهُ باهرٌ		بفيصلٍ مُرْبٍ على العُرْبِ
تفديكَ عينٌ من عيُونِ الورى		بسائلٍ من دَمْعِها الغربى
وناظماً منظومةً فاخرٌ		ونائرٌ كاللؤلؤِ الرَّطْبِ
أوجبتَ فضلاً وسلبتَ النُّهى		حُمِدْتَ فى الإيجابِ والسَّلْبِ

سألتَ عـمـا أمـرهُ ظاهرٌ　　وذكـرُهُ فى أشرفِ الكتبِ(١٥٧)
إمـسـاكنَا أيامه واجبٌ　　بنـيـةٍ عن قدْرِه تُنْبى
فـاكـهـةٌ ضمّتهـا(١٥٨) ذاتهُ　　شـرابهـا من علة الكربِ
مُصنَّفـا فى نفـعـهـا حـصلوا　　مـنـفـةالحذّاقُ بـالـطبِ
معْ أننى ألـغزتُ فى أختـهَا　　قـريـنة من جُملةِ القُضْبِ
تَفْضُلُهَا حَرْفـا ولكنهـا　　تنْقُصُ عـن طعْمٍ وعن لُبِّ
كـلاهـمـا لى من سقـام دوَا　　لـلنفْعِ والأكلِ مع الشُّرب(١٥٩)
إن قُلْتُ: شيْهًا فـلـنـصِّ أتـى　　أو قلتَ: لا، صدَّقتَ فى السلبِ(١٦٠)
ثلاثةَ الأخْماسِ مـعـمـولهـا(١٦١)　　بفـضلـه يصعـدُ للسحب
أربعـة الأخـمـاس مـقلوبة　　من ساكنى البحرِ لدى الكسبِ(١٦٢)
تُفْقَـدُ فى الترك ولكنهـا　　مـوجـودةٌ فى بلدة العـربِ(١٦٣)
تُفْقَـدُ الأعـراضُ إن عُطلت　　فى أضعف القولين فى الخطبِ(١٦٤)
والله يُبْـقـى لـى سنا نوركم　　(حسبى من أفضالكم حسبى)(١٦٥)

فكتبت (أنا الجواب) عن ذلك، وكان قد ألْغَزَ فى زيتون:

(من السريع)

أعليْتَ قـدرى لمناطِ السُهـا　　من بعْدِ مـا قـدْ كـان فى التُّربِ
هذا جـوابٌ لـفظهُ مـذْ بدا　　يُصْبى، ومـعناهُ غـدا يَسْبى
أجبْتَ عـمـا كنتُ ألغزْتُه　　وذاك فى الخيرِ(١٦٦) غدا حسبى
لكنْ تفَضلتَ وأتحـفـتنى　　بمـلغزٍ سُرَّ بـه قـلـبى
مُخمَّسٍ تـدويـرهُ مُحـكَمٌ　　قـدْ أتقنـتـهُ صنعـةُ الربِ
كـأنهُ زيـدونَ فـى لـفظه　　والدلُّ مـثلُ التـاءِ للعُرْبِ
بُورِكَ فى سلْبـيـه فى لاولا　　فليسَ فى شـرقٍ ولا غـربِ
ويُسـتـمـدُّ النورُ من بعـضـه　　لمـا تكُونُ الشـمس فى الحُجْبِ
كـان رسـولُ الله معْ فـضله　　يُحِبـهُ دهنـا من الحَبِّ(١٦٧)
هذا، رعـاك الله، حلّ الذى　　ألغزتـه فـى شِعْرِك العـذبِ
لا تتكلف لى جـوابا فـمـا　　أنـتَ إلـى الـنظم بمُنْصَبِ
إذ أنت فى شُغْلٍ غدًا شـاغـلاً　　بجدِّه عن مـقـتـضى اللّعْبِ

وكتب هو إلى أيضا جوابا ثانيا عن الأول:

(من السريع)

يا بارعاً حلّ ذرى الكوكب ... أعنى كيوانا ولم يغرب
وماجداً بوّأه مجده ... من المعالى غاية المطلب
وباهرا إحسانه سائر ... من مطلع الشمس إلى المغرب
شنّفت سمعى بنظام أتى ... عمّا حوى فضلكم معرب
كتابه درّ ولكنه ... من درّة (درّت) ولم تثلب(١٦٨)
من روضة الفكر التى روضها ... مداده من وابل صيّب
من دوحة الرقش التى نقشها ... أفخر من نقش على زينب
كأنما المعنى بأوراقه ... صبح أتى من جانب الغيهب(١٦٩)
سموت بالفخر فلا لاحق ... لو قطع المضمار بالأشهب
وافترّ منظومك عن لؤلؤ ... ففاق ذا الثغر الشهىّ الأشنب
هنّت على أوراقه أحرف ... كم مهجة ذابت وقلب سبى
أطربه المعنى الذى قلته ... وكان من قبلك لم يطرب
وأوقف القلب لتغريدها ... وقيّد السمع فلم يذهب
وطوّق الذهن لأنفاسها ... بطوق فضل فاخر مذهب
وطرّز الفكر لإبداعها ... معطّرا من نشره الطيّب
يسلب نطقا للنهى عامدا ... من لفظه المستعذب المعجب
وتسحر الألباب أنفاسه ... بسحر لفظ مبدع مغرب
يالله من بحر حجا زاخر ... وحبر علم حوّل قلّب
من كان من غيرك مطلوبه ... فليس يبغى غيركم مطلبى
قدحت زند الفكر كى أبتغى ... مرتعة من روضك المعشب
وشمت برقا ما ونى ومضه ... وليس هذا البرق بالخلّب(١٧٠)
ألغزت معنى بحروف غدت ... ثلاثة فى العدّ إن تحسب
ليست من المعجم منقوطة ... جاءت معرّاة لدى المكتب
ليس بشيء إن غدا واحدا ... وإن يكرّر عكسه قد حبى
نظير لا فى النفى كى يفهموا ... إن كرّرت منتجة المطلب
ليس بذى حجم يرى ظاهرا ... وباطنا منه فلم يصحب
يطلقه الناس على جاهل ... أو همج فى فعله أو صبى
يخاله الناس جميعا، وهم ... من خوف هذا فى عنا متعب
جميع ذا العالم فيه غدا ... وذاك لا شيء له فاعجب.

فكتبت أن الجوابِ إليه عن ذلك وهو فى عدم.

أحمد(*) بنُ عبدِ الله بنِ مالكِ القاضى البليغُ الخطيب شهاب الدين أبو العباس بنْ الخطيبِ الشيخ الصالح الخطيبِ بدرِ الدين أبى محمد بن الشيخِ جمال الدين بنِ أبى أنس الحنبلى، خطيبُ بيتِ لِهْيَا(171) من ضواحى دمشق المحروسة.

كتب هو استدعاءَ إجازة منى(172): أما بعدُ حمدِ الله المدعو بالحسنى من أسمائه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المجلو علينا من محاسنه الأسنى من سيمائه، صلاةً تملأُ ما بين أرضه وسمائه، فالمسئول من إحسان فلان فريد دهره، ووحيد عصره، لسانِ العرب، مُبلّغ الأرب، مالكِ أزمةِ الإنشاءِ، ترجانِ الأمم، المُسلّك على القصد الأَمَم، قُدْوةُ الأوائل والأواخر، مادّةُ بحار العلوم الزواخر ـ الشيخُ فلانُ الدين ـ جمع الله به فى دوحة هذه الدولةِ أشتاتَ الأدب، ولمّ به شعثَ من جعَل الصّلاحَ شعارَه ولا عجب، وأقام به أبياتَ الشعر الذى لولاه ما قام لها عمود ولا مدّ طُنُب ـ إجازةُ كاتب هذه الأحرف ما له من رواية المصنفات فى الأحاديث النبوية، والتأليفاتِ الأدبية، وما له من تصنيفٍ وتأليف، وجمع وانتقاء. وإثباتُ ذلك بخطه إلى هذا التاريخ، وما لعله يقع له (بعد)(173) ذلك بإجازةً تجعل حالَ العبد منصوباً على التمييز، وتردّه بعد الخفض وهو عزيز، وترفعُ قدرَه فى الابتداء، ليصحّ إسنادُ الأخبار عنه فى الانتهاء، وصلةً يعود عائدُها منكم إليه، وتأكيدَ عطف من جنابكم لم يُبْدَل يوماً عليه، ويضافُ ذلك إلى ما أسديْتُمْ إليه من الإحسان، فيصير به ذلك العطفُ عطفَ بيان، فلا ينصرف عن بابكم لما أوليتموه من العدل والمعرفة، كيف وبشعار الصلاح تمّت له تلك الصفة، قد صح حديثه عنكم، ولم يكن موقوفاً(174) ولا مُعلَّلاً، وراق لفظه فيكم فأضحى حسناً مُسلْسَلاً، ليس لِعَروضى فيه تقطيع، ولا لِمعانى البيان إليه ترجيع، ولا لأصولىٌّ إلى وصله وصول، ولا للغوىٌّ على مثل ألفاظه حصول، ولا لمنطقىٌّ لديه منطقٌ ولاجدال، ولا لصاحب التصريف تصريفٌ، ولا مجال، ولا لفقيهِ عليه تنكيتٌ، ولا إشكال، ولا لصاحب علم التفسير عن نقله زوال، ولا لمن أمسى حلَّ المُتَرجَم فنّه، أن يدْرِكَه فهمُه ولا ذهنه؛ فبهذه الإجازةِ

الصلاحية يفوق أقرانَه، ويلتقطُ من بحارها الزاخرِ جمانه، فيصبح والدُّر منها في جيده عِقْداً، وإن سمحتم فالخطيب ما زال لكم عبدا.

(من الوافر)

أيَا منْ (قدْ)(١٧٥) غدَا فى الدهر فرْداً ... وَمَنْ مَلَكَ الفضائل بالحيازه
عُبيْدك يسأل الصَّدقاتِ إذناً ... لِمَا يرويه عنكمْ بالإجازه.

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك(١٧٦).

الحمد لله الذى إذا دعىَ أجاب، وإذا أنعم على الأديب بذوقٍ أتى فى نظمه ونثره بالعجاب، وإذا وهب البليغَ فطرةً سليمةً، لم يكن على حجاه حجاب. نحمده على نعمه التى منها البلاغة، وإتقانُ ما لصناعة الإنشاء من حسن الصِّياغة، وصيدُ أوابدِ المعانى التى من أعمل فكره(١٧٧) فى اقتنتصها أو روّى، (أمِن)(١٧٨) رواغه. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً فُطرِ الضميرُ على إخلاصها، وجبل الفكر على اقتناء أدلتها القاطعة واقتناصها، (وجُعلت) وقايةً لقائلها يوم يضيق على الخلائق من القيامة فسيحُ عراصها، ونشهد(١٧٩) أن محمداً عبده ورسوله، أفصحُ من نطق بهذا اللسان، وجاءَ من هذه اللغةِ العربيةِ بالنُّكَتِ الحسان، وحثَّ على الخير، وحضَّ على الإحسان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين رووا أقواله، وبلَّغوا من(١٨٠) لم يره سنَنَهُ وأفعالَه، وعلِموْا أن هذه الشرعة المطهرةَ، ادخَرها الله له (فلم تك تصلح إلأله)(١٨١) صلاةً هاميةَ الغفران، ناميةَ الرضوان، ما أجاب(١٨٢) مُجيزٌ لمنْ استدعى، وعملت إنَّ فى المبتدأ نصبا، ولم تُغيِّر على الخبرِ رفعاً، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. وبعد.

فإنَّ فنَّ الروايةِ من محاسن الإسلام. (ومزايا العلماءِ الأعلام)، وخصائص(١٨٣) الفضلاء الذين تخفقُ لهم ذوائبُ الطروس، وتنتصب رماح الأقلام، ولم تزل رغبةُ السلف تتوفر عليه، وتشير أناملُ إرشادهم للأنام بالحثِّ عليه. قيل للإمام أحمدَ(١٨٤) - رضي الله عنه - ما تشتهى؟ فقال: سَنَدٌ عالٍ، وبيتٌ خالٍ. وما برح الأئمة الكبارُ يرتحلون إلى أقاصى الأقاليم فى طلَبه، ويتحملون المشاقَّ والمتاعب فيه، ويتجمّلون بسببه. فقد ارتحل الإمام الشافعى(١٨٥) - رضي الله عنه -

وغيره إلى عبد الرزّاق[١٨٦] باليمن، وكان في من أخذ عنه منْ هو بالتّفضيل عليه قَمن، ولكنه فن يحتاجُ إلى ذوقٍ يُعاضد من لا يُعانده، وأمرٌ لا يصبر عنه منْ ألفه، و(ما يعلم الشوقَ إلا مَـنْ يُكـابده)[١٨٧]، فما عند منِ طلبَ الروايةَ أجلُّ من أبناءَ جنسه، ولا عند المفيد (المفيد)[١٨٨] أحلى من قوله حدثنا فلانٌ، وأنشدنا فلانٌ لنفسه. ولكن:

(من الكامل)

(ما كلُّ منْ طلب المعالي نافذًا فيها ولا كلُّ الرجالِ فُحُولا)[١٨٩]

ولما كان الشيخ الإمامُ العالمُ الأوحد الكامل، البليغُ، المفوهُ، الأديب، الخطيبُ، الناظمُ، الناثرُ[١٩٠]؛ شهابُ الدين بنُ بركة الملوك والسلاطين، أبو العباس أحمدُ الحنبلي، خطيبُ بيتِ لهيا ــ أمتع الله بفوائده ــ ممنْ نظم فودت الدّررُ (في أسلاكه لو تنسّقتْ[١٩١])، ونثرَ فتمنت: الدّراريُّ) في أفلاكه لو اتّسقت، وكتب فرقم الطروسَ ووشّاها، وغشّاها من زهرات الرياضِ بما غشاها، وحلّ المترْجمَ فسحر عقلَ كلّ لبيبٍ وخلب لُبّه، ووقع على القصد فيه، فكأنّه شيءٌ من الغيث خصّ الله به قلْبَه، وأتى فيه ببدائع لم يُساوِ ابنُ الصّيرفي ولا ابن دُنينيرٍ عندها حبه[١٩٢]، وخطب فصدع القلب، وأجرى ذَنوبَ المدامع من أهل الذنوب، وحذّر فكانت أسجاعه كألحان إسحقَ[١٩٣] وسامعهُ يبكي بأجْفانِ يعقوب، كأنما هو في حلّة الخطابة بدرٌ في غمامه، أو منبره غصنٌ وهو عليه حمَامه، أو هو بحر[١٩٤] وفضائله مثلُ موجه، ودُرّه يحكي كلامه، لو رآه ابن نُبَاتةَ[١٩٥] ما أورقت بالفصاحةِ أعوادُه، أو ابنُ المنير ما رُقمت[١٩٦] بالبلاغة أبْرَادُه، أو ابنُ تيميةَ[١٩٧] ما حظيت بالجدود أجدادُه، فأراد أن يُشرّف قدري، ويُعرّف نُكري، فطلب مني الإجازةَ، وأنا أحقُّ بالأخذ عنه، واستدعى ذلك مني، و(ربّ حامل فقهٍ إلى منْ هو أفْقهُ منه)[١٩٨]. فنعم أجزت له ــ فسح الله في أجله ــ ما يجوز لي أن أرويه[١٩٩] مما هو لي بإجازة أو وجادة[٢٠٠]، وذكرت في الإجازة المذكورة ما رويْته من كتب الحديث، ومن كُتب الأدب، وذكرتُ له جماعةً من أشياخي الذين أخذتُ عنهم، وذكرتُ له عدةَ تصانيفي إلى تاريخ شهر الله المحرم سنة إحدى وخمسين وسبعمائة.

(من الوافر)

إجازةَ قاصرٍ عن كلِّ شيءٍ ... يسيرٌ من الروايةِ فى مفازه
لمنْ ملكَ الفضائل واقتناها ... وحازَ مدى العُلا سبقًا وجازه!(٢٠١)

وكتبت إليه مُلْغزاً فى دينارٍ:

(من مجزوء الرجز)

يا فاضلاً من بحره ... كلُّ الورى تغترفُ
ويا خطيباً لفظُهُ ... دُرٌّ وسمعى صدَفُ
إذا علا منبرَه ... قلتَ حمامٌ يهتِفُ
ويا شهاباً كمْ به ... عنّا تجلّتْ سُدَفُ
ما مُفردٌ مذكَّرٌ ... مُنكَّرٌ معرَّفُ(٢٠٢)
فى جمْعِه لم ينصرفْ ... والجمعُ منهُ يصرفُ
عروضُهُ واحدةٌ ... وضربُهُ مختلفُ
مُخمَّسٌ مدوَّرٌ ... محرَّفٌ مُشرَّفُ
مُنقَّشٌ ومالُه ... كفٌّ جلاها الترفُ
أعيننا من عينه ... شوقًا له لا تَطْرِفُ(٢٠٣)
أصفرُ لا من علةٍ ... تُوهنُهُ وتُضعِفُ
وليس يدرى ما البلى ... ولا يراهُ(٢٠٤) التلفُ
وناره لم تلتهبْ ... وديْنُه لا يُعرَفُ
بيُمْنِه لا برحتَ فى ... سعْدٍ حياهُ يكِفُ
ودُمْتَ للفضلِ الذى ... ثمارُهُ تُقتطفُ.

فكتب هو الجواب إلىّ عن ذلك:

(من مجزوء الرجز)

يا واحداً فى عصْرِه ... لعبدِه يُشرِّفُ
ويا إماماً علمُهُ ... بينَ الورى لا يُخلَفُ
إن الذى ألغزتَه ... بأرضِ مصرٍ يُعرفُ
تهوى الملوكُ وصلَه ... كيفَ الكئيبُ المدنَفُ
متيَّمٌ فى عشقِه ... كذا الرَّبيبُ الأهيفُ
عيونُنا فى عينِه ... وما أراها تُسعِفُ
وحُسْنُه ولفظُهُ ... لمسمعى يُشنِّفُ
عذْرًا لعبدٍ فهمُهُ ... يقصرُ لا بل يضعُفُ

عنْ نظم دُرّ صفته لأنّ نظمى صدَفُ
مُرصَعٌ فى ذهب موقعٌ مُؤلَّفُ
فى مثله فيدى يلغز أوْ يُصحّفُ
لا زلتَ فى سعادة أذيالُها ترفرفُ.

أحمد(*) بن عبد الله بنِ علىِّ بن أحمدَ بنِ محمدٍ شهابُ الدين البَغدادىُّ، الكاتبُ المعروف بالمُترجم.

كتب تقريظا على كتابى جنانِ الجناس[٢٠٥]

(من الرمل)

زينةُ المرءِ[٢٠٦] بيانُ المنطقِ مُقْرَنًا منه بحسنِ الخُلقِ
وأخصُّ الناس فيه رجلٌ نظمَ الحكمةَ نظمَ النسقِ
فى جنانٍ من جناس زُخرفتْ بحِسانٍ من لسانٍ ذلقِ
أودعتْها كلّه فى دعةٍ وأمانٍ فى بطونِ الورقِ
ناظمًا أحرفَه فى أسطرٍ ذاهبًا فيها لأسنَى الطُرقِ
كنظام الدرِ من أنواعه زينةً فى صفحات العُنُقِ
راكبًا أسوَدُها أبيضَها كركوب الليلِ متنَ الشّفقِ
فبياضٌ فى سوادٍ حالكٍ وسوادٌ فى بياضٍ يَقَقِ
نطقتْ وهْىَ جمادٌ كلُّها وعجيبٌ نُطقُ منْ لم ينطقِ
حمّلتْنا بعدُهُ ألفاظُه فى اصطلاح الشعرِ ما لم نُطقِ
كل معنىً دقَّ فيها فاختفى عن سنا الفكر ونورِ الحدقِ
فى افتراقٍ واتفاقٍ قصده فاغنَ بالمفترق المتّفقِ
كمُنَتْ فطنتُه فيها كما كمنتْ أشخاصُنا فى العلقِ
أيها الطالبُ يبغى شأوَهُ حكمَ العلمُ بأن لم تلحق[٢٠٧]
لستَ تدرى منْ تُجارى فاتئد أنت والبرقُ معًا فى طلقٍ[٢٠٨]
وبنوا الفضل متى جاراهمُ غيرُ ذى الفضلِ يقينًا[٢٠٩] يُسبقِ
هكذا المعنى[٢١٠] فكنْ مُحتفلاً وكذا الألفاظَ فاسمع وذُقِ
أىُّ نارٍ لخليلٍ أُضرمتْ حذرًا منها وإنْ لمْ تَحرقِ
قُلبتْ روضًا أريضًا أُنُفًا أرجَ الأرجاء بالفضل سُقى[٢١١]
فبها أفكارُنا فى سِنةٍ وبها أعينُنا فى أرقِ
سحَرَ الناسَ بها منطقُه فأعاذوه بربِّ الفلَقِ

زدهم سحرًا ولا ترث لهم
فهو ذنب إثمه في عنقي
لو وعى نطقك قس لم يقل:
أيها الناس اسمعوا من منطقي (٢١٢)
دمت للناس صلاحًا ما شدت
فوق غصن صادحات الورق.

فكتبت أنا الجواب إليه مختصرا(٢١٣):

(من الرمل)

أرياحين أتت في طبق
عرفها سار إلى المنتشق؟!
أم غصون من سطور قد شدت
فوقها الأطيار بين الورق؟!
أم ثغور بسمت عن شنب
أم نوم قد بدت في غسق؟!
أم عود ويد الإحسان قد
جبرت عطلى فزانت عنقي
هكذا النظم الذي رونقه
لسوى مولاي لم يتفق
طرسه صفحة خد أبيض
وله النقس سواد الحدق
قلت للخل وقد عاينه:
هكذا السكر يهدي فذق
ثم لما ذاقه اهتز له
كنديم صفقة الراح سقي
قال: هذا سكر أم مسكر؟!
قلت: بلى هذا وذا في نسق
دمت يا فرد الورى في فنه
تبعث البستان لي في الورق.

أحمد(*) بن علي بن محمد القاضي الكاتب المنشئ نجم الدين بن الشيخ علاء الدين بن القاضي شمس الدين بن غانم، كاتب الإنشاء الشريف بالشام المحروس.

كتب هو إلى من دمشق المحروسة، وأنا بالقاهرة المحروسة:

(من الكامل)

بي في الضمير، من الفراق ضرام
وهوى يهيجه جوى وغرام
مذ غاب عني من ألفت دنوهم
ونبابهم بعد المقام مقام
واستوطنوا مصر التي طابت لهم
دارًا، وأين ديارهم والشام؟!
سمحت بهم أيدي النوى واسترجعت
فكأنما سمحت بهم أحلام
أترى يعود بهم زمان قد مضى
أم هل ترى لي معهم إلمام؟!
غابوا فلم تطب الحياة لبينهم
(والنوم بعدهم علي حرام(٢١٤)
والدهر كان بهم كيوم واحد
وأراه عيدًا كله لو داموا
كان الزمان بهم ربيعًا وجهه
متهلل بدنوهم بسام

ونأوا فقطَّب بالفراقِ، فوجهُهُ جهمٌ، وسحبُ المبهجاتِ جهامُ
لا أوحشتْ دارٌ خلتْ من أنسهمْ فضياؤها فى ناظرىَّ ظلامُ
يا غائبينَ نأىَ السرورُ لبينهمْ فعليهمُ وعلى السرورِ سلامُ
لىَ كلَّمَا هجع الخلىُّ من الهوى، دمعٌ يُقرِّحُ مقلتى وهُيامُ
طالتْ لهجركمُ الليالى وحشةً فكأنها ـ وحياتكمْ ـ أعوامُ
وحياتكمْ ما نمتُ مذْ فارقتكمْ من فارقَ الأحبابَ كيفَ ينامُ؟!
ناشدتكمْ عُودوا على متأسِّفٍ (لم يبقَ فيه بشاشةٌ تُستَامُ)(٢١٥)

فكتبت أنا الجواب إليه(٢١٦):

(من الكامل)

وافى كتابُك فاستثار ظلامُ وغدتْ بُدُورُ الأفقِ وهْىَ تمامُ
يا كاتباً كبَت العدا لما كبَتْ من خلْفه فى شوطها، الأقلامُ
صلّى وراءكَ فى القريض جماعةٌ ممن بمعانيه وأنتَ إمامُ(٢١٧)
أهديتَ لى طِرْساً، سطورُ بيانه روضٌ، ومعناها البديعُ حمَامُ
فكأنما تلكَ الحروفُ جواهرٌ فيها تأنقَ جُهدَه النُّظَّامُ
لا بل كُئوسُ مُدامةٍ من فوقِها قد دُرَّ من مسكِ المدادِ ختامُ(٢١٨)
لا بِدْعَ إنْ مالتْ بعطفىَ نشوةٌ فمن الكلامِ إذا اعتُبرت مُدامُ
يا ساكنين دمشقَ لى فيكمْ، وإنْ طالَ البعادُ، صبابةٌ وغرامُ
بينى وبينكمُ إذا حققْتُمُ عهدٌ به شهِدَ الصفا وذِمامُ
بحياتكمْ راعُوا الودادَ فإنكمْ عندى على بُخْلِ الزمانِ كِرامُ
وتذكَّروا تلكَ الليالاتِ التى فى عَوْدها قد خانتِ الأيَّامُ
يا بُعْدَ ما أرجوه من دَهْرى(٢١٩) وإلاَّ أينَ مصرُ من اللِّقا والشَّامُ؟!
أمّا أنا فإن استمرَّ الحالُ فى جَوْرِ النوى فعلى الحياةِ سلامُ.

يُقَبِّلُ الأرضَ، ويُنهى ورودَ المشرَّفِ الكريم، فوقف له قائما، ودخل بحرَ عجائبه عائما، وجعل طائرُ قلبه يرفرف على زلال لفظه حائماً، وسنَّ طرفَه فى رياضِ سطوره سائما، وفى تألق بروقه شائما، وغالط نفسه، وقد رآه يقَظةً، فقال إنها رؤْيا من كان نائما، وأجمع منْ رآه على أنه فردٌ فى المحاسن، فلم يجد على وصفهِ فى المغالاةِ لائما، وأطلق دمعَه، وقيَّد قلبه،

فراح ذلك هامِيا دامياً وهذا هائما دائما. فياله من واردٍ ورّد خدَّ الزمن، وردَّ على الأجفان ما شرد من الوسن، وسرَّ نفس المملوك برؤْيته، ولا سرور من بلغ الوطر في الوطن، وانتهى إلى ما فيه من العتب، فالذى يتسمَّحُ يقول: حديثٌ ضعيفٌ، والذى يتسمَّحُ يقول: حديث[٢٢٠] حسنٌ، ثم إنه رجع إلى ما أَلِفَتَهُ نفسُه الذليله، وقال: (على كلِّ حالٍ أمُّ عمرو جميله)[٢٢١].

(من البسيط)

هذا عتابُك إلا أنه مقةٌ قد ضُمّنَ الدرَّ إلاَّ أنه كَلِمُ[٢٢٢]

وكتبت إليه وأنا بمرج الغسولة[٢٢٣]:

(من الكامل)

مولاىَ نجمَ الدين يا منْ فَضْلُهُ قد عمّنى بخصائص الإحسانِ

أوْحشتنى فى سفْرةٍ قضيتُها بالمرج منْفردًا عن الخُلاّنِ

فبكيتُ لمّا أنْ ذكرْتُك بالدّما حتى ملأتُ المرج بالمرْجانِ.

فكتب هو[٢٢٤] إلى الجوابَ من دمشقَ المحروسة:

(من الكامل)

شوْقى صلاحَ الدينِ نَحْوَك لم يزَلْ معَ فرْط وَجْدى آخذًا بعنانى

أوْحَشْتَ عينى مُنْذُ سرتَ ولم تَزَلْ والله يا مولاى، نُصْبَ عِيانى

راسلْتنى بلطائفٍ يا حُسنَها هىَ فى الضمير رسائلُ الإخوانِ

لا كان هذا المرجُ أجرى عبْرَتى فى الخدِّ كالبحرين يلتقيانِ

لما بكيْت(٢٢٥) لعلَّ صار الدمعُ فى عُنقِ المحبِّ قلائدَ العقيانِ.

فكتبت أنا إليه، وقد انقطع عن الديوان مدة:

(من الطويل)

أمولاىَ نجمَ الدينِ أوْحشْتَ خاطرًا لبُعْدكَ، بعدَ القُرب والأُنس، ذايبُ(٢٢٦)

فنارُ الجوى(٢٢٧) لم يُطْفها، من مدَامعى لفقدك، لمّا غبتَ عنى، السحايبُ

وقد أظلم الدّيوانُ(٢٢٨) بعْدك وحْشةً وما حالُ أُفْقٍ نجمُه عنه غايبُ؟!

فكتب هو الجواب إلى عن ذلك:

(من الطويل)

أيا مـــالكاً لـى من عُلاهُ رغــائبُ	وفى كلّ وقتٍ من نداهُ غرائبُ(٢٢٩)
أتتنى أبيَاتَ حســـــانٌ لطائـفٌ	فـقلبى عليـهـــا دائمُ الوَجْدِ ذائبُ
وأنتَ الذى مازلتَ كالبحر فى الورى(٢٣٠)	لنا منْ أياديك الكرام عـــجــائبُ.

وكتبت أنا، إليه، وقد وعدنى بأن يربط لى بغلة على حشيش عنده فى الربيع(٢٣١):

(من الخفيف)

بـغـلـتـى هـذه تُريـدُ حَشِيـــــشاً	مـا أنا وَزنُه بعقْلى المَعيشى(٢٣٢)
فــــاصطنعنى فــــإنّ كلّ مليكٍ	ووزيرٍ فى حمْلِ همّ الحـــشـــيشِ

فكتب هو الجواب إلى عن ذلك(٢٣٣):

(من الخفيف)

يا إمـــاماً قـد حـازَ كلّ المعـــانى	طَولَ دَهرى إليــه كلُّ هَشيشى(٢٣٤)
إنّ(٢٣٥) ذاكَ الحشيشَ صار يبيساً	فرَعاهُ يـــا مـــــــالكى أكديشْ.

وكتبت أنا إليه ملغزا فى تميم:

(من السريع)

مَولاىَ نــجـمَ الـدّيــن يــا منْ لهُ	خليلُ ودٍّ وهُوَ أزكى حَمـــيـمْ(٢٣٦)
مـــــــــــا اسمٌ رُباعىٌ لـهُ أوّلٌ	إنْ زالَ عنهُ لمْ تـجــــدْ غيْرَ مِيمْ.

فكتب هو الجواب عن ذلك(٢٣٧):

(من السريع)

مَوْلاىَ قـــدْ قلدتَ جــيــدى حُلىً	من جــــوهرِ اللّفظ بعقْدٍ نـظيمْ
أهـديـتــــــــــه من بحْرِ علم لهُ	ذخـــايرُ، والقلْبُ فـــيــهـــا يهـيمْ
موّهتَ معْناه فـــــــــتمّ الـعنَا	والبدْرُ يسبى(٢٣٨) منه تاءً ومـيمْ.

وكتب هو أيضا وقد حصل له ضعف:

(من المجتث)

مــــولايَ عـــــذراً فــــإنى أصــــبـــــحتُ، والله، مُلْقَى
وَكَيـــــفَ لا يلْتَقِى مـــــنْ أضــنــاهُ حبُّكَ عشـــــقا
فــــــإنْ تــكــنْ لــى حيَاةٌ أدَيــــــتُ فَرْضَكَ حقّا
وإنْ تــــكــــنْ ثَمَّ أخرَى (تــعـــيش أنتَ وتبْقَى)(٢٣٩)

يقبل الأرض، وينهى أنه لا يسأل مولانا كيف انقضت ليلته من الألم ـ رفع الله عن مولانا ما يحاذره ـ والمرجوُ حصولُ اللطفِ من الله تعالى. وكان المملوك قد تخيَّل البارحةَ فى الزهر شيئاً، وما يعلم هل هو صحيحُ أو فاسدٌ. وقد نظمه وهو:

(من البسيط)

أنظرْ إلى الزهرِ كــيفَ قــدْ جُلِيَتْ عَرُوسُـــه وكــســاها من بدائعـــه
كــأنهُ حــينَ زفت نحـــوه فرَحاً قد أوقَدَ العَنْبرَ بشرى من أصابعه.

وكتبت أنا إليه ملُغزاً:

(من الطويل)

ألا(٢٤٠) خبِّرونى عن صلاة امرئ غدتْ بحــارٌ بســيطٌ عندها ووَجــيــزُ
تجــوزُ إذا صلى إمــاماً ومــفــرداً وإنْ كــانَ مــأمــوماً فليس تجــوزُ.

فكتب هو الجواب عن ذلك:

(من الطويل)

أيَا سيِّداً قـــد زانَ أهلَ زمـــانه بمـــا يقــتنيـه فى العــلا ويحـوز
لهُ كلُّ علم قـــدْ تدانتْ فـــروعهُ عليـــه من الله العــــزيز حُرُوزُ
به قلمُ الإنشـــاءِ أصـــبحَ كـــاتباً ومنهُ بمـــا تحـــوى يداه يفـــوزُ
لغزْتَ الذى فى الصـــورتين صلاتُه تجـــوز، وفى حـــالٍ فليس تجـــوزُ
فـــأرسلتَ فكرى ليلة فى بلاغــةٍ لهـا فى مــعــالى المشـرقين بُروزُ
فـأصـبـحتُ كـالأعـمى به صَمَمٌ غدا لهُ من دوامِ الفـــهم منكَ كنوزُ.

وكتب(٢٤١) هو إلى وقد انقطعت عن الديوان:

(من الكامل)

أصبحتُ في الديوان وحدى في عنا ... وأذى أراه بخاطرى وبعينى
كنا به متأمنين، ولفظنا ... من لطفه يدعى بذى السجعين
وبه صلاحٌ لم يزل مع علمه ... تَروى عواليه على السُّمعين(٢٤٢)
فنأى فَصرتُ على البلا(٢٤٣) مستوقفًا ... أبكى على ما فات بالدَّمعين
وبلوتُ أقوامًا لبِستُ لأجل ما ... أخشاه من تنكيدهم، درعين.

فكتبت أنا الجوابَ إليه(٢٤٤) :

(من الكامل)

حاشاك تُصبحُ في عنًا أو في ضنًى ... نفسى فداؤك في الورى من ذَيْن
والقصدُ أن تُمسى وتُصبحَ سالمًا ... في (صحةٍ)(٢٤٥) ثَبَتَتْ، قرير العين
وإذا سلمتَ(٢٤٦) ودُمتَ لى ما ضرنى ... منْ رحتُ أفقدُه من الحيَّين
أدرى محبتك التى صحَّتْ وما ... رُميَتْ بشىءٍ في الورَى(٢٤٧) من شين
من صدقِ وُدِّك تشتهى وتودّ لو ... أصلَحْتَ ما بين الزمانِ وبينى
ما هذه الفتنُ التى إن أُخمِدَتْ ... نارٌ(٢٤٨) أجدّتْ بعدها نارين
فكأنَّها(٢٤٩) الفتنُ التى تحكى لنا ... في ما مضى في فتنة الحكَمين
ألقى العدا وحدى وما درْعى سِوى ... صبْرٍ تُناهِبه ظُبَى الجمعين
يا دهرُ كفَّ فقد كُفيتَ فما أنا ... كابن الزُّبيْر(٢٥٠) ولا أبى السِّبْطَيْن
ومنِ الذى لم يهتضمْهُ زمانُه ... أوْ ما رماهُ عدوُّهُ بالمَين؟!
دعْ ذا فبإقْبالى على شانى غدًا ... أولى، لتبرأ ساحتى من دَيْنى
ما بعدَ هذا الشيب والسِّنِ(٢٥١) التى ... أرْبَتْ على الستينَ غيرُ الحين
واللهِ(٢٥٢) أعدلُ حاكمٍ بينَ الورى ... وقضاؤه فَصلٌ على الخصمين.

وكنت قد كتبت إلى القاضى المخدوم ناصرِ الدين كاتبِ السرّ الشريف، وقد تخلف عن التوجه إلى المرج صُحبة الموالى الموقّعين:

(من مجزوءِ الرمل)

إنّ لى في المرجِ سادهْ ... أوْ حشوا دارَ السّعادهْ
يفعلون الخيرَ دأبًا ... رغبةً غيرَ زهادهْ

وإذا جـــادوا بفـــضلٍ قَرَنــوهُ بــالإجـــادهْ
قــد بنَوا للمـــجــد صــرحاً أسّـســوه بـالسّيــادهْ
فــإذا غــابُوا وفــادوا(٢٥٣) مــلأوا الدُّنيــا إفــادهْ
بــحــلــوم لا تُبَارى وعلُوم لا تُبــادهْ(٢٥٤)
لـم يكـنْ قـطُّ بـعــادى أبـداً، عنْهُمْ بـعــادهْ
لـكــن الــدهــرَ إذا حــط (م) عــلــى حظّ أبــادهْ
وإذا كــانـوا بخــيــرٍ فَهْوَ قــصــدى وزيـادهْ.

فكتب المولى نجمُ الدين الجواب فى غير البحر:

(من مجزوءِ الكامل)

يا منْ لهُ الإحــســانُ عادهْ حُزْتَ الرِّئَاسَةَ والسِّيــادهْ
يــا مــنْ زكــتْ أعمَالــه وصــلاتهُ فــيــهــا الزياده
يـا مـنْ دنا من قـــاب قَوْ ســينِ الوفــاء إلى الوفــادهْ
نلتَ الفــضــائلَ، والوســا ئلَ، والعــبــادةَ، والزَّهَادهْ
بـالله أقــســمُ أنّ مــنــ ـلكَ مـا حـوتْ دارُ السعـادهْ(٢٥٥)
أوحــشــتَ مُقْلـةَ مغْرم وأذبــتَ مــن أســفٍ فُؤادهْ
وجرتْ مــحــاجــرهُ دماً أجــرى السُّهــادُ بهــا مدادَهْ
ونــفــى بعَادكَ والــذى تدريه من حــالٍ، رُقــادهْ
مــولاىَ رفــقــا بالّذى حــلفَتْ بالحبِّ اعــتــقــادهْ
والــدهــرَ لا يرْثــى لــهُ أيضــا، ولـم يترِكْ عنادَهْ
فــعليكَ من دونِ العــشــيـرةَ فى الدُّنا ألقى اعــتــمــادهْ
وإليكَ ألقــى، يا مــذيــب الروحِ فى الجسد، انقـيـاده
جــاءتْ قــصــيــدتُك التى يقــضى بهــا دنِفٌ مُرادَهْ
تُجْلى عــروساً قــدْ غدَتْ شمْسُ النهــارِ لهــا قــلاده
وتَضَمَّــنــتْ وَصفَ الــذى قــدْ زانـه ربِّى وزَادَهْ
فنشَقْتُ نشــرَ عــبــيــرها وجــعلتُ مبــسَمَهَا وسادهْ
وودتُ تقــبــيــلَ الحــرو فِ(٢٥٦)، وسيــدى يبْقى ودادهْ.

فكتبت أنا الجوابَ إليه على هذا الوزن:

(من مجزوءِ الكامل)

يــا مــنْ إذا أبْدى جــلاده لــم تــبــقَ فــى قَرْنٍ جِلادهْ

يـا فــــارساً أقــــلامَهُ ... يومَ الطِّعانِ غـــدتْ صِعادَهْ(٢٥٧)
والـــصُّبـــحُ أشبَهَ طِرسَهُ ... والليلُ قـــدْ حـــاكى مِدادَهْ
مــــا خـطَّ سطْرًا قـطُّ إلــ ... لازفَّ لـلأبصـــارِ غـــادَهْ
أخـــذَ الكواكبَ فى الدُّجى ... قَســـرًا، ونـظمَها قِلادَهْ(٢٥٨)

(من الطويل)

مــــولا نجمَ الدين يا ... قـــمرَ الرِّياســةِ والسِّيادَهْ
(جــاءتْ قـصيدتُك التى(٢٥٩) ... أهدتْ إلى طرْفى رُقـــادَهْ
حـــيتْ فـأحـيتْ مُغرماً ... قدْ فـازَ بعدكَ بالشـهادَهْ
(والـدمـعُ عنْ مَطـــرٍ روى ... والجفنُ حدَّثَ عن قتادَهْ)(٢٦٠)
عـن وَاقدىْ ضُلـوعــــه ... عن مسْعرٍ أذكى فـــؤادَهْ(٢٦١)
فـاسـتنـفـذتهُ من الجوى ... ورثتْ إليه بمــا أرادَهْ
غرَّاءُ حــاليـــةُ الطُّلا ... نظرى مــحــاسنَها عِـبادَهْ
نـاجتْ بـلفـظٍ قـــدْ حلاَ ... أدّى لهُ الـــشُّهْدَ الـــشَّهادَهْ
بفــصــاحــةٍ وبَلاغَةٍ ... تَرمى لبيـــدًا بالبَلادَهْ(٢٦٢)
وعَبيـــدُ أصــــبحَ عبْدَها ... والبحــــترىُ أبو عُبادَهْ(٢٦٣)
وبعدُّ مـــن أجــنـــادهــا ... إن كـــان ترضـــاه جُنادَهْ(٢٦٤)
رقتْ حـــواشـــيــهـــا فطا ... رَ لحُسنِها ابنُ أبى جَرادَهْ(٢٦٥)
لــم يَبقَ عـــنـــدى زُبْدَةٌ ... منْ بَعْدِها لِفـــتى(٢٦٦) زِيادَهْ
وابنُ(٢٦٧) الأثيـــر فأوجهُ ... مِن أوجـــهِ سكنتْ وِهادَهْ
والأرّجـــانى(٢٦٨) مـــا جنى ... أرَى القريضِ ولا استفادَهْ
عطلتْ فى الإنشـــاءِ فـــ(م) ... ــنا كـــانَ قـــدْ أعلى عمادَهْ
فـــارفُقْ بعـــبــدٍ نقـصـه ... لكمـــالِ فـضلكَ فى زِيادَهْ
وأجِزْهُ(٢٦٩) وأجْرِ على عـــوا ... ئدِ جَبْـرِه (فــالخيرُ عـــادَهْ).

أحمدُ(*) بنُ عليِّ بنِ عبدِ الكافى بن عليِّ بنِ تمام بن يوسفَ ابنِ موسى بنِ تمامِ بن حامد بنِ يحيى بن عمرَ بنِ عثمانَ بن سوارِ بنِ سوار بن سُلَيمٍ الشيخُ الإمامُ العلامةُ قاضى القضاة بهاءُ الدين أبو حامدِ بنُ العلامة شيخ الإسلام قاضى القضاةِ تقِى الدين أبى الحسنِ الحاكم بالشامِ المحروس الأنصارى الخزرجى السبكى الشافعى.

كتب إلى من الشام المحروس، وقد ورد إلى زيارة والده، وأنا بالقاهرة المحروسة، فاختلفنا فى الطريق، وذلك فى سنة خمسٍ وأربعين وسبعمائة:

(من الطويل)

خليلىَّ هلْ من حيلةٍ أستفيدها وهلْ من سبيلٍ فى الهوى أستزيدها
وليسَ احتيا لى فى الأمور بنافعٍ إذا كانَ منْ أهواهُ ليسَ يريدها
وما قصَّرتْ من بُغيةِ الوصلِ عزمتى ولكنَّ دهرى لا يزال يكيدها
ولما تمادتْ شُقَّةُ البينِ بيننا وشقَّ تماديها وطال وجودُها
ولم أرَ فى مصرٍ خليلاً مؤانساً ولا حاجةٌ إلا تصدى صدودها
وكنتُ إذا ما جئتُ بالشام زائراً (أرى الأرضَ تطوى لى ويَدْنُو بعيدها(٢٧٠))
وتَسهُلُ لى حتى ألمَّ بجلّقٍ ولو حال دونَ السهل منها صعودها
أتيتُ دمشقًا كى أفوزَ بقربكمْ وأُصلحَ أحوالاً أضرَّ شديدها
فلم أرَ فيها من صلاحٍ، ولمْ أجدْ خليلاً ترى نفسى بها ما يُفيدها
وعاينتُ واديها تفيضُ عيونهُ فيسقط من تلك القلوب جليدها
وأوراقُه اصفرّت فما راق حسْنُها وأفنانُهُ تفنى، ويذبلُ عودُها
وقدْ بكتِ السُّحْبُ الربا بمدامعٍ تجيدُ لها السُّقيا إذا ما تجودها
وثار بشورى(٢٧١) ثم فى بردى الرَّدى وما زاد إلا النقصَ منها يزيدها
وقفتُ بها كالمستجيرِ مروَّعاً (مواقفَ(٢٧٢) ثكلى ضاعَ منها وليدها)
أُناشدُ منْ لاقيتُ باللهِ هذه دمشقُ التى قد كنتُ قدْماً أرودها
فما لىَ قد أنكرتُ منها معاهداً وغادرتْها بالغدرِ ضاعتْ عهودُها
أم ارْتَحلَتْ عنها ركائبُ من لهُ مناقبُ مجدٍ لا يُطاقُ جحودُها
أقام بمصرٍ فاستقامتْ طريقُها وعاد إليها بالمسرة عيدُها
وحلَّ بواديها فكم من فضائلٍ يلوحُ بواديها ويَدْنُو شريدها
وأقْدمَ فيها كلَّ سعدٍ قدومُهُ وجدد نعمى ليس يبلى جديدها(٢٧٣)
فتى للمعالى والعدا متيقظٌ فهاتيكَ يُبديها وهذى يُبيدها
بسيطُ الأيادى وافرُ الفضلِ كاملٌ طويلُ المساعى فى العلا ومديدها
وجامعُ أشتاتِ الفضائل والتقى فطارِ فُها يأوى له وتليدها(٢٧٤)
تجاوزَ فى نظمِ القصيدِ لغايةٍ حوى قصباتِ السبق منها قصيدها
يشيبُ لها رأسُ الوليدِ وينثنى لبيدٌ عن الأفكارِ وهوَ بليدها
فما ظافرٌ فى بهجةِ الشعر ظافرٌ بتلك ولا القاضى السعيد سعيدها(٢٧٥)
وإنْ عُدّت الكتّابُ فهوَ عمادهم(٢٧٦) إذا صنعةُ الإنشاءِ مالَ عمودُها
فما الفاضلُ المشهورُ فيها بفاضلٍ لديه، ولا عبدُ الحميد حميدُها(٢٧٧)

وفى كلِّ علم نالَ باعًا مسدَّدًا ... وآراءَ حقٍ ليس ينبو سديدها
له همةٌ فوق السُّهَا حل أُسُّها ... تشدُّ مبانيها العُلا وتَشيدها
وعَزْمةُ حزم ما ونتْ عندما نوتْ ... ولا خابَ مسعاها وخابتْ وعودها
ومكرمةٌ فى طيها كلُّ نعمةٍ ... وقد نُشرت فى الخافقين بنودها
وسحْبُ أيادٍ حيثما وكَفَتْ كفتْ ... وعمَّ نداها فى الوجود وُجودها
مدائحه تكسو القريضَ محاسنًا ... ويحلو بأفواه الرُّواة نشيدها
وأوصافهُ مثلُ الكواكب كثرةً ... وقد نُظمتْ فى حُسنِ سلكٍ عقودها
أقمت صلاح الدين فى مصرَ مُصلحًا ... فطافتْ بها بعد(٢٧٨) النحوس سعودها
وأظلم من أيام جلّقَ بيضها ... وأمستْ ليالى مصر تُشرِقُ سُودُها
(تحاسدت الأمصارُ فيك ونافستْ ... وزادتْ بأرضٍ أنتَ فيها وفودُها)
فأعطيتَ كُلاً من وصالك حظهُ ... فطابتْ مغانيها وزالتْ حقُودُها(٢٧٩)
فمن لى بمصرٍ بعدَ ما كنتُ أبتغى ... نواها وأنْ تنفكَّ عنّى قيودها
وبالرغمِ منى أن أكونَ ببلدةٍ ... تُباعدُ ما بينى وبينكَ بيدُها
إذا الجَهْلُ أمسى للعلوم مُدرِّسًا(٢٨٠) ... فأنت، ولا نَقْصَ عليك، مفيدها
وإن سادَ قومٌ فى الورى بجدودهمْ ... فعندك نفسٌ سودتها جُدودُها(٢٨١)
وكمْ لك من أعلام علم وسُوددٍ ... وأوصافِ مجْدٍ ليس يُحصى عديدُها
فدامت لك النعماءُ بين سيادةٍ ... ونابتْ بسعدٍ لا يزالُ يزيدها.

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك:

(من الطويل)

خليليَّ هلْ منْ زَورةٍ أستعيدُها ... لعلَّ الحشا يُطْفا بذاك وقودُها؟
وهلْ مُقْلتى العبرى يزورُ هجُوعُها ... لعل جُفُونى أن يزولَ هجودها؟!
وهلْ جمعُ شملى ممكنٌ بعدَ فُرقةٍ ... تكدُّ قوى نفسى (ضنًا)(٢٨٢) وتكيدها؟!
ودعْ كلَّ ذاهلٍ فى مدَى العمر فُسْحةً ... فإنَّ الأمانى لا يقلُّ عديدها
فأحبب بأيّامٍ مضتْ لم أردُّها ... وأقبِحْ بأيام أتت لا أُريدُها
يُعاندنى دهرى فيعكس مقصدى(٢٨٣) ... كذا هذه الدنيا يكونُ وجودها
قصدتُ حمى مصرٍ تصاحبنى المُنىَ ... وتحصنُ من (عدْوٍ)(٢٨٤) الظنونِ وعودها
على أنَّ منْ أرجوه فيها ذخيره ... يصدُّ عوادى غُربتى ويصيدها
ويغدو فيُنسينى محاسنَ موطنى ... بحسنِ أيادٍ لا يُطاقُ جحودُها
فما جئتُها إلى وعالى ركابه ... بسيرٍ به فى كلِّ أرضٍ يريدها
فيا خيبةَ الآمالِ فيما أرومهُ ... أما آنَ للأقدارِ تأتى سُعُودُها؟!

أبا حامدٍ قلبى يرفُّ على الولا / (رفيفَ الخُزامى بات طلٌّ يجودها(٢٨٥))
(وفى كبدى للبين لاعجُ لوعةٍ / ونارٍ على قلبى بطئٌ خمودُها(٢٨٦))
إذا كنت فى مصرٍ يطيبُ هواؤها / ويعشَبُ واديها ويخضرُّ عودها
وإن جئت أرضَ الشام روَّضت ربعها / وفاحتْ شذًا أغوارُها ونُجودها
وباتت بروقُ الجو باسمةً كما / يقهقهُ من فرط السرور رعودها
ويندى على الأكباد بردُ نسيمها / وتُضفى على الأزهار منك برودُها
ألا يا بنى قاضى القضاةِ علوتُمُ / على رتبٍ فوقَ السماك مهودُها(٢٨٧)
لكم معْ كمالِ المجد والعلم والتُّقى / عقولٌ على جيد الزمانِ عقودُها
وكمْ لكمْ منْ همةٍ تبلُغُ المدى / وتخفقُ ما بين العوالى بنودها
فأما بهاءُ الدين أحمدَ فهْوَ منْ / يفيتُ الأعادى، والموالى يفيدها(٢٨٨)
غدا بارعًا فى كل علم، أما ترى / قواعده فى البحث كيف يشيدُها؟!
تراهُ إذا أملى فوائدَ درسه / يُجدِّلُ أبطالَ الوغى ويبيدُها
نودّ لما يأتى به منْ فصاحه / (إذا ما انقضت أحدوثةٌ لو يُعيدُها(٢٨٩))
ترى ذهنَه الوقادَ كالسيلِ طافحًا / إذا ما اعترى الأذهانَ يومًا خمودُها
من الخزرجيين الذين علاهُمُ / يطولُ بفرقِ الفرقدين صعودُها
أمولاىَ قد حزتَ المحاسنَ كلَّها / فدعْ لىَ منها فضلةً أستفيدُها
أجارى بها آدابكَ الغرَّ قاصرًا / فإما أُداريها وإما أرودُها
لكَ العطفُ من حورِ المعانى ولينُها / ولى دائمًا إعراضُها وصدودُها
وعندىَ منها ميْتُها وقديمها / وعندك منها حيُّها وجديدُها
بعثتَ على بُعْدٍ من الدار بيننا / مشرَّفةً قدْ زادَ فىَّ حسودها
أجدتَ معانيها، وحرَّرتَ لفظها / فقالتْ قوافيها وراقَ نضيدها
فعينىَ تستجلى حلاها، وكلما / تأملها فكرى غدا يستعيدها(٢٩٠)
إذا حاول الغرُّ الدخولَ لغابها / أساودُها تغتاله وأُسودها
قضى كلُّ ذهنٍ أنها قد تفرّدتْ / بحُسْنِ معانٍ قدْ تزكّت شهودُها
كأنَّ قوافيها حسانٌ تبرّجتْ / وهاءاتُها فى الصدرِ منك نهودُها
فهلْ ألفاتٌ فى السطورِ تعدّلتْ / غصونٌ تبدّتْ للعيونِ قدودها؟!
نعم هذه الأبياتُ أبياتُ علوةٍ / جلتْها لعين العاشقين زرودها(٢٩١)
تراءتْ لهمْ منها منازلُ صبوةٍ / وقدْ خطرتْ بين المضارب غيدها
تسوقُ(٢٩٢) قلوبَ الشائقين إلى الحمى / إذا غازلتها رقةً وتقودها
فلا أعينٌ إلا تفيضُ دموعُها / ولا مهجٌ إلا يذوبُ جليدها
لقدْ شنّفتْ سمعَ الورى بنظامها / ورصّعَ فى تاج الزمانِ فريدها
فما فى كتابِ العقدِ درٌّ كنظمها / ولا بينَ أصواتِ الأغانى نشيدها(٢٩٣)

يقبل الأرض وينهى ورودَ القصيدة الداليّة، والفريدةِ التى ليس للأفكار على الإتيان بمثلها داليّة(٢٩٤)، لقد شرُفتْ حرف الدال، حتى نصبت قامتها من رقدتها، وقومتْ بعد الانحناء ميلَ حَدَبَتها، وأقامت الألفَ فانتصبت لخدمتها، فلهذا، رُزقت الحظَّ والجدَّ، وختمت بها حروفُ أبجدْ. وأما الهاءُ التى جاءت بعدها ردفا، فألف الإطلاق تأودتْ قامةً، واهتزت الهاءُ ردفا، فلا غرو أن وقفَ الحسنُ على ذلك القدِّ المتأود، والرّدفِ المهتزِّ، وأصبح ناظمها المقتدرِ موفقاً لما فاق ابنَ المعتز(٢٩٥)، وشهد الناس لمنْ حاك وشيها أنه رفيع البزِّ، فعينُ الله على هذه الكلم، والمحاسنِ التى منْ عارضها فقد سلّم لها، ومن لم يتعرض فقد سلِم.

وكتبت(٢٩٦) أنا إليه ونحن بدمشقَ سنة أربع وأربعين وسبعمائة:

(من الطويل)

أبا حامدٍ إنى بشكرك مُطربٌ ... كأن ثنائى فى المسامع شيزُ(٢٩٧)

لقد حزتَ فضلَ الفقه والأدب الذى ... يفوت الغنى منْ لا بذاك يفوزُ

وفتَّ المدى مَهْلاً إلى الغايةِ التى ... لها عنْ لحاقِ السابقين بُرُوزُ

فأصبحتَ فى حلِّ الغوامضِ آيةً ... تفيدُ إلى طُرْقِ الهدى وتميزُ

كأنْ حُروفَ المشكلات إذا أتتْ ... لديكَ على حلِّ العويص(٢٩٨) رُمُوزُ

وأثريتَ فاصرفْ للمساكين فضلةً(٢٩٩) ... فعندك من درِّ البيانِ كنوزُ

تُجيدُ القوافي والقُوى فى بنائها(٣٠٠) ... فبيتُكَ للمعنى الشرودِ حريزُ

سألتُ فخبِّر عنْ صلاةِ امرئٍ غدَتْ ... يحارُ بسيطٌ عندها ووَجيزُ

تجوزُ إذا صلّى إماماً ومُفْرَدًا ... وإنْ كانَ مأموماً فليس تجوزُ

فأوفِ لنا كيلَ الهُدى متَصدّقاً ... فأنت بمصرِ والشَّامِ عزيزُ(٣٠١)

فمنْ ذا الذى يُرجَى وأنتَ كما ترى ... مَجيدٌ مُجيبُ السؤالِ مُجيزُ.

فكتب الجوابَ(٣٠٢) إلى سريعاً:

(من الطويل)

أيا منْ لشأوِ العلم باتَ يحُوزُ ... ومنْ لسواه المدحُ ليس يَجُوزُ

ومن حازَ فى الآداب ما اقْتسم الورى ... فليس لشيء منه عنه نُشُوزُ

ومَنْ ضاع عرْفُ الفضل منه ولم يضع ... بجدواه عُرْفُ الجودِ فهْوَ حريزُ

سألتَ وما المسؤولُ أعلمُ بالذى ... أردتَ، ولا منه عليكَ بُرُوزُ

وقلتَ: امرؤٌ لا يقتدى، غيرَ أنه ... إماماً وفرداً، بالجوازِ يفوزُ

وذاك فتى(٣٠٣) أعمَى نأى عنه سمعه ... وليس لأفعالِ الأنامِ يميزُ

فهاكَ جواباً واضحاً قد أبَنْتُهُ		ومثلي على حلِّ الصِّعابِ ضَموزُ(٣٠٤)
فإنْ كانَ هذا ما أردتَ فإنَّما		بفضلك في الدُّنيا تُفكُّ رموزُ
فإن(٣٠٥) لمَ يَكُنْهُ فالذي هو لازمٌ		جوابٌ لمضمونِ السُّؤالِ يحوزُ
فلا زلتَ تُبْدي من فضائلكَ التي		تَزيدُ معَ الإنفاقِ وهْيَ كُنوزُ
فأنت صلاحُ الدينِ والناسِ والدُّنا		وأنت خليلٌ والخليلُ عزيزُ.

وكتب هو إليَّ من القاهرة المحروسة، وأنا بالشام المحروس مُلْغزاً في النيل(٣٠٦):

(من الطويل)

(ألاَ ليتَ شعري هلْ أبيتنَّ ليلةً		بوادٍ، وَحَوْلي صاحبٌ وخليل(٣٠٧))
وهلْ لي بأرضِ الشامِ ماعشتُ عودةٌ		فينْعشني بعدَ البعادِ وصولُ
أرى قدمي لما تجاوزتُ جِلَّقاً		أراقَ دمي، والودُّ ليس يزولُ
فصبري ووجدي(٣٠٨) ذاكَ عني راحلٌ		وهذا لهُ بين الضُّلوعِ مقيلُ
وقلبي وطرفي ذاكَ من لاعجِ الجوى		يجفُّ، وهذا بالدماءِ يسيلُ
وفَوْدي(٣٠٩) وجسمي ذاك أمسى سَوادُه		يَحُولُ، وهذا بالفراقِ نحيلُ
قصارُ الليالي منذُ شطتْ بيَ النوى		(طِوالٌ، وليْلُ العاشقين طويلُ)(٣١٠)
ويخفقُ قلْبي للغرابِ وخفقه		ومالي بردِّ الخافقين سبيلُ
وإني لَقَالٍ للعذولِ ولومه		لمثلي قالٌ لا يُفيدُ وقيلُ
وكمْ متُّ أنْ أمضي إليكمْ معَ الصبا		لتسكن عني لوعةٌ وغليلُ
[فعوّقني دهري وما بيَ علةٌ		وسارتْ إليكمْ والنسيمُ عليلُ(٣١١)
وخلّفتُ عنكمْ لا عدولاً لغيركمْ		وهلْ لكمْ بينَ الأنامِ عديلُ؟!
سوى أنَّ صباً لاحَ منهُ لمقلتي		منَ الراحِ ما في الكأسِ منهُ شمولُ
يطوفُ به الساقي وقدْ رقَّ واغتدى		يروقُ(٣١٢) جميعَ الشربِ حينَ يجولُ
ويلعبُ في هامِ الملوكِ إذا علا		وتذهبُ منْهُ حيثُ بانَ عقولُ
إذا عانقَ المياسُ صرفَ رحيقه		تميدُ به أعطافُهُ وتميلُ
يسيرُ ويسري بين شرقٍ ومغربٍ		لهُ كلَّ يومٍ نُقْلةٌ ورحيلُ
ويقطعه ضربٌ من الكفِّ هينٌ		وإن حديدَ الهندِ عنه كليلُ
علي البحرِ يسمو معْ جهالة أصلِه		على أنه للبحرِ سوفَ يؤولُ
ويبْعدُ أحياناً، ويَقْرُبُ تارةً		لنا، وكلا الفعلينِ منهُ جميلُ
كريمٌ على جيرانه غيرَ أنهُ		عليهمْ، إذا جادَ السحابُ(٣١٣) بخيلُ
وكمْ فيه من قصرٍ رفيعٍ على الورى		وليسَ لميلِ القلبِ(٣١٤) عنه ذُهولُ
يُخافُ ويرجى يومَ جودٍ وسطوةٍ		وليسَ له في الحالتينِ مثيلُ
فمنْ قاسه بالليثِ(٣١٥) فَهوَ مُقصِّرٌ		ومنْ قاسه بالليلِ فَهوَ جهولُ

أخـو بدعٍ لا بالوعود يفى، ولا … لهُ عندَ وفاقَ الكافرين عدولُ
وكم فيه من عابٍ ونقصٍ وعورةٍ … وفيه على كلّ الأنامِ فضولُ
وفى قلبه لينُ القضيب، وإنه … يزيدُ على يبسِ الحصى ويصولُ
وليس بأنثى كى يباحَ نكاحهُ … وفى الأرض أزواجٌ له ويعولُ
له اسمٌ حوى اسماً ثمّ حرفاً مسكناً … (وفعلاً. وهذا فى الأنام قليلُ)(٣١٦)
إذا أنتَ قد صحّفته هابتْ العدى … حماكَ، وقالتْ إنه لنبيلُ
ومن عكسه إن زالَ حرفٌ فلن يرى … لديه عن المستقبلات فضولُ(٣١٧)
فيا منْ زكت منه الفروعُ وأينعتْ … وطابتْ له فى السالفين(٣١٨) أصولُ
ويا منْ له جدٌّ عظيم، ونائلٌ … عميمٌ، ومجدٌ شامخٌ وأثيلُ
أبن لىَ ما(٣١٩) ألغزتُ فيه فإنه … له منك أصلٌ ثابتٌ وأصيلُ
تضمنَ نظمى ذكره غير مرةٍ … صريحاً له بين العيون مثولُ
ومن ذا الذى يدعى سواك لحله … وأنتَ زعيمٌ بالعلوم كفيلُ(٣٢٠)
جمعتَ بحارَ الشعرِ ثمَّ سلكتها … فأنتَ لدينا صاحبٌ وخليلُ(٣٢١)
وألبسك العزُّ الممنَّع حلّة(٣٢٢) … لها انسحبَتْ فوق السحاب ذيولُ
إذا غابَ بدرُ التمِّ لم نبغِ عودهُ … فإنك منه للأنام بديلُ
وإن أخلفَ الغيثُ العهودَ تواترتْ … وفاضتْ لنا من راحتيك سيولُ
وإن فُلّتِ البيضُ الصفا ح حميتنا(٣٢٣) … بأبيضَ رأيٍ ليس فيه فلولُ
وإن عظمَ الخطبُ الجسيمُ على الورى … وملتَ عليه عادَ وهو ضئيلُ
وإن قُلتَ لم تحتجْ إلى حجةٍ، وهل … يقام على ضوءِ النهارِ دليلُ؟!(٣٢٤)
صفاتك تمليني، وذكرك مسعفى … وقلبى رسولٌ، والغرامُ رسولُ(٣٢٥)
وإذْ لم أقُمْ من فرضِ مدحكمْ بما … يوازى سجاياكم ودامَ نكولُ
فعذرًا فإنّى عاجزٌ عن حسابها … إذا هى عدّتْ والفروضُ تعولُ
سأدعو لكم دهرى بإخلاص نيةٍ … يقارنها عند الإله قبولُ
فلا زلتَ مأوى العلم مادرّ(٣٢٦) شارقٌ … وما عادَ للبدرِ المنيرِ أفولُ
مقامك مأهولٌ، وظلّك وارفٌ … وفضلك مأمولٌ، وبابكَ سولُ

يقبلُ الأرضَ العاليةَ معنىً ومغنى، الدانيةَ إحسانا وحسنى، الجامعةَ لشوارد النعم رشاداً ويمنى، المانعةَ لمكايدِ النّقم فرادى ومثنى، التى ضاع فيها نشرُ الفضائل وفاح، وذاع منها بشرُ الفواضل فلاح عليها الفلاح.

(من الكامل)

أرضٌ بها فلَكُ المعالى دائرٌ … والشمسُ تشرقُ والبدورُ تحومُ
وبها(٣٢٧) من الزّهرِ المنضّدِ أنجمٌ … ولها على أفقِ السّماءِ نجومُ

واليدَ التى هى للندى(٣٢٨) ممدودةٌ منثورة، وعين الردى مردودةٌ(٣٢٩) مقصوره، وبأنواءِ الديم واكِفه، وعلى إِسداءِ النعمِ عاكفه(٣٣٠).

(من الوافر)

يدٌ درّتْ وردتْ كــلَّ بــاغ		وخوّلتِ الورى كَــرماً ومَنّا
يُريك(٣٣١) يَســارُها أوْفى يســارٍ		وبــالــيُمْنَى تَنَالُ نــداً ويُمْنــا

والكفُّ التى عمَّ جودُجودها الناسَ كافة، وتم فضلُها فهى بالخيرِ حافةٌ، وللشر كافة.

(من الطويل)

إليها تقاليدُ(٣٣٢) المقاليدِ تنْتَهى		ومنْهـا منَاشيـرُ التّبـاشـيـر تَخْرُجُ
وشــابهتِ البحــرَ الخِضَمَّ ألا ترَى		أصـابعَـهـا فـيـهـا الندى يتمَوّجُ؟!

وينهى دُعاءه الذى تسابِقُه(٣٣٣) الإنابة، ويُساوِقه القبولُ والإجابة.

(من الطويل)

فــإن صحّ ظنى واستُجيبَ فَشَمْلُنا		سيجمعهُ الرحمنُ فى مصْرَ عن قُرْبِ.

وثناءه الذى ينمو على الحدَثان، ويسمو فليس له ثان، ولا عنه ثان، فهو بعُرى محاسنِ وَصفكم متعلّقٌ متمسِّك، وبطيب ريّا ذكركم متعطّرٌ متمسك. وولاءه الذى.

(من الطويل)

تعَوّدَه قلبى اشتيــاقاً، وإنّمــا		(لكلّ امرِيءٍ من دهره ما تعودا(٣٣٤))
ويَحفَظُ للـوصلِ القــديـم أياديا		(ومَنْ لك بالحر الذى يحفظ اليدا(٣٣٥)؟!

وورودَ مشّرفه الذى شرحَ الصدور، ومنح القلبَ الفرحَ، فليس له عنه صُدور، المشتمل على الإحسان، الذى يعجزُ عن شكره لسانُ الإنسان، والمحتوِى من(٣٣٦) الفضل النعيم، على كلِّ حديثٍ وقديم.

(من الطويل)

تُقَصرُ عن مـبـداه غــايةُ غـيـرِه		(وعند التّناهى يقْصُر المتَطاولُ(٣٣٧))
وتَـرجِـعُ أيْدى الـنّاسِ دون منَـالـه		(وأين الثريا من يد تتَناولُ؟!(٣٣٨)

فعاملها المملوك بالإعظام وبجلّها، وقابلها بمايجب من الإكرام وقبّلها،

(من مجزوء الكامل)

تَقْبِيلَ(٣٣٩) مُشْتَاقٍ برا ... هُ من التفرُّقِ ما برَا
عبد يهيم إذا تفكر ... فيكم وتدبَّرا
طابتْ تباريحُ الهوى ... خبرًا لديه ومَخْبرا
ويَشُوقُه من نحوكم ... عرْفُ النسيم إذا سرى
آهِ على عيش تقضى ... (م) في دمشق وأدبرا
وزمانِ أنسٍ كانَ ثو ... بُ اللهو فيه مُحبَّرا
أرتاحُ فيه مسرَّةً ... وأشمُّ منه العنبرا
ولى فكسْرى بَعْدَه ... بسوى اللقا لن يُجْبرا.

وفرح المملوك بصحة مولانا وعافيته، وتشرّف بمراسلة مولانا ومكاتبته، وابتهج بوفودِها عليه، واستعظم وُرُودَها إليه(٣٤٠).

(من الطويل)

أتَتْنِى فآتَتْنِى الذى كُنْتُ طالبًا ... وحيَّتْ فأحْيَتْ لى مُنىً ومآربا(٣٤١)
وقد كنتُ عبدًا للكتابةِ أبتغى ... فرِقَتْ على رِقِّى فصرتُ مُكَاتبًا

وبادر المملوك إلى امتثال الإشارة العالية، ولم يُمْهلْ ممّا رَسَمَ مولانا شيئًا بالجملة الكافية، وقد طالع علومَ الوالد ـ أمتع الله بحياته ـ بما اتفق(٣٤٢). وأعلمه بما سيُعلّم به مولانا، ويزيلُ عنه القلق. والله يحقق(٣٤٣) ما تعلقت به الأطماع، ويقدّر فى الديار المصرية الاجتماع(٣٤٤)، إن شاء الله تعالى.

فكتبت أنا الجواب عن ذلك(٣٤٥):

(من الطويل)

أزَهرَ رياضٍ جادها وابلُ الحيا ... وطافت عليها للشَّمال شَمولُ؟!
فأصبحَ عِطْفُ الغُصن من مرحٍ(٣٤٦) الصبى ... يميد إذا هبَّتْ صبًا ويميلُ
وبات على شاطى الجداولِ دوحةً ... فحاكت عِذارَ الخدِّ وَهْوَ صقيلُ
وإن دُرّ فى أقطارها مِسكةُ الدُّجى ... أسال عليها الزعفرانَ أصيلُ
فأشبهت الأرضُ السماءَ وقاربت ... بأنجمِ زُهْرٍ ما لَهُن أفولُ
أم الطِّرسُ وشَّتْه أناملُ فاضلٍ ... تُقِرُّ له بالعجز عنه فُحُولُ؟!
أبى حامدٍ ربِّ المحامدِ والعُلا ... ومَن لا(٣٤٧) له فيما يَرُومُ عديل

من الخــزرجــيــين الذين عُلاَهم
يشيدون مجداً شأوه غير مدرك
حباني بهاء الدين أزكى تحية
أتت تتهادى في حُلِيّ بلاغة
فأبصرت منها رونق الأدب الذي
وحقق لي علمي بأنك واحدٌ
تفرد فيما حازه من فضائلٍ
مباحثُه(٣٥٠) في كلّ ظُلْمَة مُشْكِلٍ
يردُّ على أهلِ الفضائلِ قولهم
ألا يا بهاءَ الدينِ إنك سيدٌ
أجدت نظاماً حين أغربتَ مقصداً
وألغزتَ في جارٍ كثيرٍ وفاؤه
يسير ويسرى(٣٥٤) مثلما قلتَ دائماً
تجرُّ عليه الريحُ فاضلَ بُردها
إذا أعجبَ الكفارَ(٣٥٥) فيضُ نواله
عَديمُ الوفا عند الصفا فإذا بدا
تراه بلا كفٍّ، وكم أصبع له
وآخره جَمْعٌ، وأوسطُه نداً،
وإن قيلَ: ما هو قلتُ ماهو حقيقةً
أخو السُّترِ كم غطّى من الناسِ عورةً
وحلوٌ خفيفٌ للقلوب محببٌ
وكلُّ عروضيٍّ يرى أنّ بحره
ضعيفُ القوى ما ردّ راحةَ لامسٍ
وأعجبُ ما فيه صحيحٌ لغايةٍ
تَراعُ تراعُ الأرضِ منه إذا طغى
وما يُنصرُ السلطانَ إلا بكسرهِ(٣٥٦)
قطعتُ به ليلَ التمامِ مسهّداً
فأوضحَ معناه وأبدى غموضَه
وليس ببدعٍ أن يرى صنوك الهدى
فلازلتَ مثلَ البحرِ يبدى عجائباً

غدا ظلُّها في الفضلِ وهْوَ ظليلُ
(وطابت فروعٌ منهمُ وأصولُ)
تطيبُ صباً من نشرها وقبولُ
يقومُ الثنا في وصفها ويقولُ
يعزُّ على منْ رامه ويطولُ
(وليسَ سواءً عالمٌ وجهولُ(٣٤٨))
(وكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ(٣٤٩))
(لها غررٌ معلومةٌ وحجولُ)(٣٥١)
(ولا يُنْكِرون القولَ حين يقولُ(٣٥٢)
(قئولٌ لما قال الكرامُ فعولُ)(٣٥٣)
ولطفتَ معنىً، حيثُ أنت جليلُ
وربَّتَما قد راح، وهْوَ قليلُ
وتمّ جناسُ اللفظِ حين يسيلُ
فيصبحُ منه الذيلُ وهوَ بليلُ
فإحسانُه للمؤمنين وصولُ
تغيُّرُه، فالخيرُ منه جزيلُ
تُعدُّ أياديها، وذاكَ يطولُ
وأوّلهُ في البحرِ ليس يزولُ
يصوبُ على وجه الثرى ويصولُ
وجرّتْ عليه للقبيحِ ذُيولُ
وأمّا سواه باردٌ وثقيلُ
بسيطٌ مديدٌ وافرٌ وطويلُ
صبورٌ لأثقالِ الأنامِ حَمُولُ
فيا عجباً والقلبُ منه عليلُ
ويُؤْمَنُ لما أنْ يُخافَ سبيلُ!
وذاك مرادٌ للأنامِ وسولُ
ولم يبْدُ لي منْهُ عليه دليلُ
أخوك جمالُ الدين دامَ يُنيلُ
وفكرُكما في الغامضاتِ يجولُ
ويطلعُ من فيّاضِ فضلك نيلُ.

يقبل الأرضَ حيث سحائبُ الفضائل تجود، وكواكبُ البدائع سُعود، وليالي المُحالف بيضٌ، وأيامُ المخالف سود، ومعاني النظم والنثر للفصول نُصوص، وللعقول عقود، ومجالسُ الجود منها لجباه الراغبين فيها مجالُ سجود.

(من الخفيف)

فهيَ أرضٌ لما وَطِئتَ عليها أكسبَتْ عنبَرَ المفارقِ طيبا

وينهي بعد ولاءٍ لا يزال منه بين خفْق ألويةٍ وبنود، ودعاءٍ لصدق رفعه إذا حضر إجابةَ مشهدٍ، فالملائكةُ شهود، وثناءٍ يتبلج ويتأرج بين نجوم نرجس وشُموسِ ورود.

(من الخفيف)

فتَرَاهُ في صفْحَةِ الدهرِ سطْرًا جعلَتْ نُقْطَةَ العقولِ قلوبا

ورودَ المشرفِ الكريم، فضوأ بنوره الوجود، وأشبه طرسُه أيامَ الوصال، ونقسُه ليالي الصدود، وحكى سطرُه الجدولَ المطرد، ونَقْطُه الحببَ المنتضد[٣٥٧]، وهمزته الطيرَ الغرد، وألفه الغصنَ الأُملود.

(من الخفيف)

فبكتْ مقلتي سحابًا، وغَرَّ دتْ حمَامًا، ثم اهتززتْ قضيبا

ورأيتُ تلك الجنةَ التي أزلفت[٣٥٨]، والرياضَ التي تزينت بالأزهار وتزخرفت، والفضائلَ التي فرقت فضائلها على المحاسن التي تألفت، والفوائدَ التي رسبتْ الجواهرُ ثقلا، وهذه للطفها طفت، فلو رآها الفاضلُ لنقص، أو ابنُ الأثير لاستخفه الطربُ ورقص، أو ابنُ النبيه[٣٥٩] لرقد طرفُه، أو ابنُ أبي الإصبع[٣٦٠] لانقطع عندها كفُه، أو الجزار لعدّ نفسه في الأنعام، أو السّرَاجُ لطفيء نوره، ومشى بغير هدى في الظلام، أو ابنُ النقيب[٣٦١] لشقّ الناسُ عصا الطاعة له في الأدب، أو النصيرُ الحماميُّ لكُسرَ قسطلُ نصره[٣٦٢]، وخمد ما عنده من اللهب. فعينُ الله على هذه الكلم السحّاره، والألفاظ التي أخملتْ ما في الأحداق من نظرات، وما في الحدائق من نضاره، والمعاني التي ما أشبه الدياجي مدادُها، إلا وهيَ مثلُ الكواكبِ السياره[٣٦٣]، لقد نفث سحرُها من الأقلام في العقد، وشدّت كلَّ لسانٍ يُحاول الجوابَ عنها بحبل من مسد[٣٦٤]، وخلّقَتْ في قلوب أهل العصر لها الحسد، وأمسى كل سطر في روضتها

مُشْتَهي، وعليها من سبْق مولانا رَصَدَ(٣٦٥) . فاحبس عنانك، فما ثمَّ منْ يُجاري، واخْبأ بضايعَ إنشائك، فما تصل كف مُتَنَاولٍ(٣٦٦) إلى هذه الدراري، فإنك من أهل بيت(٣٦٧):

(من البسيط)

(من تَلْقَ منهمْ تَقُلْ لاقيتُ سيدَهم مثلُ النجوم التي يسري بها الساري)

فلقد تقسم ذهنُ المملوك في هذا اللغزِ البديع، والنظمِ الذي سلَّمَ فيه خاسرٌ، ومُسلِمٌ منه صريعٌ(٣٦٨)، تلعَّب فيه مولانا بأنواع علُومه، وسيَّر في ليالي سطوره زواهرَ نجومه، فما وسمَ المملوك فيه غُفلا، ولا فتح منه قُفلا، حتى أبرزه المولى ا لقاضي جمالُ الدين، أخو مولانا شمْساً تُسْفِرُ، وجعل أبياتَ مُعمّاه وعويصه خاليةً تَصْفِر. فالشكر له بحقٍ واجب، والثناءُ على إفادته إيانا ضربةُ لازب(٣٦٩)، والمملوك يتخذ هذه الحالَ بين عينيه نَصْباً، ويخرج من هذا الجواب كعيش أبي الطيب لما قطعه وثبا(٣٧٠) . والله يجعل كواكبَ المحامد له، تسير في الآفاق شرقا وغربا.

المملوك يُقَبِّل الأرضَ بين يدى المخدوم المُحبِّي ـ بسط الله ظلاله ـ وقد وقف على الفضل المُخْتَصِّ به في كتاب مولانا قاضي القضاة، أدام الله أيامه، فأنشد:

(من الكامل)

(وَوعدْتَني يا مَالكي بزيارةٍ فبقيتُ طولَ الليل أتلو «هل أتى»(٣٧١))

وكتبت أنا إليه أُهنئه من الشام المحروس، وقد رُسم له أن يكون مُفْتي دار العدل الشريف بالأبواب العالية، في جُمادى الآخرة، سنة تسع وأربعين وسبعمائة:

(من البسيط)

عجبتُ منَ دارِ عدلٍ أنت مفتيها وكَونِها لم تطرْ من عُجْبها تيها
أنّى تطيرُ وفيها منك طودُ حجىً علومُه تملأُ الدنيا وما فيها؟!
فالآن قدْ نظرَ الرأيُ الشريفُ بما فيه السدادُ وأعطى القوسَ باريها(٣٧٢)
وكانَ دسْتاً شريفاً ليس يُعوزه إلا جواهرَ في الإفتاءِ تُهْذيها
تُهنأُ الدولةُ الغراءُ منكَ بكا فٍ في فُنونها أو في فتاويها
فانهضْ بعزْمتكَ العليا إلى رُتَبٍ أوجُ النجوم حضيضٌ في مراقيها
ودع حَسودك في غيظ فربّما كانتْ منايا نفوسٍ في تمنيها(٣٧٣)

لم يُدْنِه الناصرُ السلطانُ منه سُدَى ولم يكن أمرُك الميمونُ تَمويها
لكنَّ منهاجَك الوضاحَ مُشْتهِرٌ فما يُريدُ على عَلْياك تَنْبيها.

يُقبل الأرض، ويهنيءُ نفسه أولا بهذه الوظيفة السنيه، والأنامَ ثانيا، فإن العلماءَ هم أُولوا الأمر المطاع فى البرية، ومولانا بسط الله ظله ثالثا.

(من الكامل)

ومن العجائب أننى هنأتُه وأنا المُهنَّأُ فيه بالنعماء[٣٧٤]

وينهى ما حصل له من السرور الذى نفسَّ عنه كربَ الشوق، والفرحِ الذى أبهجه، وكان البعدُ قد جره إلى الهلاك بالطَّوق. وما يظن المملوك إلاَّ أن هذه مقَدّمةَ تنتج أمانى النفوسِ عاجِلا، وتقرُّ العيونَ برؤْية مولانا كما تحب، فإن ذلك لقذاها جلا، (وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا)[٣٧٥].

(من البسيط)

(ولَمْعَةُ البرقِ يأتى بعدها المطرُ) (والبدرُ أولُ ما يكونُ هلالا([٣٧٦]))
(وأزرقُ الصُبْحِ يبْدو قبلَ أبْيَضِه وأولُ الغيثِ قطر ثمّ ينسكِبُ([٣٧٧]))

فالله يُوزِعُنا معشرَ الأولياءَ شكرَ هذه النعمة، التى لا يقدّرها الجاهلُ حق قدرها، ولا يتمكن الطرفُ الأعلى من التملّى بسنا شمسها، ولا من استجلاءِ وجهِ بدْرِها.

وقد قال المملوك:

(من مجزوءِ الرمل)

حاسدَ المُبْكَى بغْياً بتَّ فى خَطْبٍ وَشيك
أنت لِلموقِةِ تُفتى وهْوَ يُفتى للمليك.

ولكن هذه الوظيفةَ المباركةَ مَنَعَتْنَا التَمَلّى بوجه مولانا ـ [لا][٣٧٨] أخلى الله من إحسانه حيث كان، ـ فإنه كان يزورِ دمشق المحروسة فى كل سنة، فيزيدها محاسِن، ويعلّمها من أخلاقه اللطفَ، فتمسى ونسيمها[٣٧٩] متأرجٌ، وماؤها غير آسن. ولله القائل[٣٨٠]:

(من الطويل)

أبى دهرُنا إسعافَنَا فى نفوسِنَا وأسعفَنَا فيمن نُجِلُّ ونُكْرِمُ
فقلتُ له: نَعْماك فيهمْ أتِمَّها ودع أمرَنا، إن المهمَّ المقدَّمُ).

والله تعالى يُكْمِلُ به المسرَّه، ويُديم له المبرَّه، ويجعل على الكواكب مقرَّه، وإلى سعادة الدارين ممَرَّه بمنه وكرمه (إن شاءَ الله تعالى).

فكتب هو إليَّ الجوابَ عن ذلك:

(من البسيط)

أهلاً بها من عقودٍ ظلَّ مُهديها يَصْبِى العقولَ لما أبدى ويَهديها
ومنْ رياضٍ بكَتْهَا السحبُ فابْتَسَمَتْ منها الأزاهرُ وازدانت مغانيها
(ومن كئوسِ مُدامٍ قد زحفن(٣٨١) على جيشِ الهموم بلطفٍ فى معانيها)
لله أبياتُه الغرُّ الحِسانُ لَكَمْ أبدتْ بديعَ القُوى فيها قوافيها
يكادُ بدرُ الدُّجى لولا تكلُّفُه إذا بدا نورُها الوضَّاحُ يحكيها
جلَت فحلَّت(٣٨٢) عُرى الأحزان عن خَلَدى كأنما السحرُ حَشْوٌ فى حواشيها
لا عيب فيها سوى إتعابها لأخى جهلٍ يَرومُ لها فى الحُسن تشبيها
وإنها أثقلتْ ظَهْرِى بأنْعُمِها وقصَّرَتْ يدُ شُكْرِى عن أياديها.

وينهى ورودَ المشرف الكريم ـ أعلاه الله تعالى، وأدام عليه النعمَ ووالى ـ فقبله المملوك، وقابله من الإجلال بأحسنِ السلوك، واجتلى منه أجملَ عروس، واجتنى ثمرَ الآداب من تلك الغروس، واجتدى من كلمه كلَّ ما تهوى النفوس. غير أنه صادف من المملوك قلبا يتَقَلَّبُ على الجوى، ويتطلَّب سبيلا إلى الفرار من النوى، ويتصلَّبُ على الحب كلما انشوى، ويتغلَّب عليه داعى الهوى. فآنس من جانبه نارَ المؤانسة(٣٨٣)، ولا بس منه ما جانب به وساوسه، وحمد الله تعالى على عافية مولانا، التى هى غرَّةٌ فى جبهة الزمان، وقرةٌ لعيون(٣٨٤) الأعيان. وانتهى إلى ما تفضل به من التهنئة، بما هو معه معدود من إحسانه، فإن الله تعالى قدره على يده ولسانه؛ ودعاءُ المملوك لمولانا لهذا متضاعف، وثناؤه مترادف، وولاؤه على الولاءِ جارٍ، وعلى الباب الكريم واقف. وكان من حقه أن يَعجلَ بالمطالعة، ويقابلَ هذه

الصدقة من الشكر بأشد المسارعة، وإنما[٣٨٥] عاقته العوائق، وشغله ما شغل جميعَ الخلائق، وهو أمر هذا الوبا، وما بلغكم عنه من النبا، فإنه قد عم البلاد والعباد، وغم النفوس وأذاب الأكباد. وفد مصر فى أول هذه السنة، ففقد أهلُها القرارَ والسِّمة، وقدم بعساكر المنايا (ودهم بكبائر[٣٨٦] الرزايا)، وألقى الرعب فى قلوب البرايا، وأبقى فى صدورهم البلايا، وشَهَرَ لكل أحد نصابه، ونزل[٣٨٧] بباب كلِّ بيتٍ منه عصابه، فالناس بين ميِّت ومائت، ومتوقع للفوات وفائت، وأصبح كلُّ جبار وهو[٣٨٨] منه خائف، ويَظنُّ أن الموت على بابه واقف. ومات كل حى بالقوة، وجهز أُهُبَ الموت نحوه. إن دخل بيتاً كان آخرَ أهلهِ خروجا، وإن عدل إلى فناءٍ أجج نار الفناءِ تأجيجا. فقَصُرت عند ذلك الآمال، وكثُرت الأعمال، وعَظُمَ التضرع إلى الله[٣٨٩] والصياح، وعمل الناس بما فى الصحيح: (إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساءِ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح)[٣٩٠]. غير أن له خلائقَ محموده، وغرائبَ ليست فى سواه موجوده، لا يُفَرِّقُ بين الشخص وأقاربه، ولا يؤرِّقُ جفنَ الموجوع على ذاهبه، بل إنْ أخذ واحداً أتبعه بجميعِ أهله، وجمع شملهم فى الفناءِ بإعدام ذلك النسبِ من أصله، لا تطول معه الأمراض، ولا تَكثرُ على الجسد فيه الأعراض. وقد طالت مُدَّته على الأمة، وقويتْ شدَّتهُ عليهم والغمة. واشتركت فى مُصابه الخلائقُ والبُلدان، وعمت الأشجانُ والأحزان. وهذا أمر لم يسمع بمثله فى الوجود، ولم يقع نظيرُه فى أعصار الجُدود. وأىُّ طاعونٍ دخل الأرضَينَ من كل جانب، ووصل إلى المشارقِ والمغارب؟ (وطاعونُ الجارف[٣٩١] بالنسبة إليه كالبرق الخاطف)، وطاعون عمواس كالقطرة منه فى القياس)، وطاعون الأشراف خاصٌّ ببعض الأصناف، وطاعون الفتيات لغير[٣٩٢] الأبكار لم يُوات. فاللهَ اللهَ فى التضرع فى ارتفاع هذه النازلة، وانقطاع هذه النقمة بنعمة عاجلة، (ورحمة متواصلة)[٣٩٣].

وأما عدمُ سفر المملوك إلى دمشق هذه الأيام، فذلك من أعظم الآلام.

(من البسيط)

(ما كلُّ ما يَتَمَنَّى المرءُ يُدْرِكُه تجرى الرياحُ بما لا تَشْتَهِى السُّفنُ[٣٩٤])

ومما سَنَحَ للملوك عند وصوله إلى هَهُنا:

(من الوافر)

أحـــــبُّكَ لا لأمـــــرٍ دُنيَوىٍّ يُساعِدُنى على طرْقِ النجـاح(٣٩٥)
ولــكــنْ كــلُّ ذِى عقْلٍ ودِيــنٍ وَجدناهُ يـمـيلُ إلى الصّلاحِ(٣٩٦)

والمملوك يسأل التشريف بالمراسمِ والخدم. وما تجدَّد من النَّظْمِ فى هذه الأيام، أنشدنى الشيخُ إبراهيمُ المعمارُ(٣٩٧) لنفسه:

(من السريع)

يا منْ تَمَنَّى المـــوتَ قُمْ واغْتَنِمْ هذا أوانُ المـــوتِ مـــا فَاتَا
قَدْ رَخُصَ المــوتُ علـى أهْلِهِ ومـــاتَ من لا عُمْرُه مـــاتَا

والله تعالى يجمع الشملَ بمولانا على أحسن الأحوال، ويُبلِّغُها نهايةَ الآمال. والمملوك يُقبِّل الأرضَ بين يدى (المولى)(٣٩٨) ويجلُهم عن التلَفُّظْ، ويحفظُ لسانه عن ذلك التَحفُّظ، غير أنه يكثِرُ من تلاوة سورةِ النمل، ويكفى ذلك فى العلم بهم، جمع الله بهم الشمل، بمنه وكرمه، إن شاءِ الله تعالى.

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك:

(من الكامل)

وافـي المُشرِّف والمُشنِّفُ مَسْمَعي فــازداد فــيــه تولُّهي وتــولُّعي
فــعــجـبـت من شُغْلي ببــعــدك والنوي تُعمى البـصـائر كيف لي قلْبٌ يَعي
وافي وليلُ الهمِّ قـــد مـــلأ المـــلا فـــجـــلا دُجـــاه بِنُوره المُتَشَعْشِعِ
فنفى القذي عن ناظري، وشفى الأذي من خاطري، ونفى الجوى عن أضلُعي
إيـه بـهـــاءَ الديـن إيـه إنَّ لـي طَرْفـــا مـــتى يطْمَحْ لفـضلك يطمع
وكــذاك لي نفس مــتي ترتع لـخط ـب قـــد ألَمَّ بروض لفظك ترتعي
ألفـــاظُكَ الغـــرُّ التي قـــد زيَّنت آفـــاق كُتْبك بالبُدُور الطُّلَّع
لمـا علوت ذُري البـلاغـة في الوري (هبطت إليك من المحلّ الأرْفَعِ(٣٩٩)

يُقبِّل الأرض، وينهي ورود المشرِّف الكريم، تُشرِّف أقمار معانيه، وتُزهر نجوم لفظه التي طلعت من المداد فى ظُلَم دياجيه، فَبُهِتَ لذلك الحسْن، وعلم كيف تفخر القالةُ اللُّسن. وقال :

(البسيط)

(هذا قريضٌ عن الأملاك مُحتَجبٌ فلا تُذله بإكثار على السُّوقِ(٤٠٠)

فالله يمتع الوجود بكمال مولانا الذي لا تزال تدور عليه البدُور، وتُضمُّ على مايصدر من سطوره الجوانح في الصدور. ولكنه وَرَدَو الناس في ورْدِ المنيه، وكل نفس في شُغلٍ شَاغلٍ(٤٠١) عمّا حلّ بها من شدة هذه البليّه، فـ«إنا لله وإنا إليه راجعون»(٤٠٢)، قول من تحقق الظّعن دون الإقامة، وأناب إلي الله، وتعوذ من شر النفس اللوامه، مانقابل أمر الله إلا بالرضى، ولا نسخط لما حكم به من هذا الفناء وقَضَى.

يامولانا أولُ ما دخل هذا الطاعون إلى الشام من غزة(٤٠٣)، وأدخل أُصبع كل أحد من رزيته تحت رزّه(٤٠٤)، وفَعَلَ فيها، وفي تلك الناحية مافعل، ورمى فلم يُخطئ المقاتلَ، كأنما هو رام من بني ثُعل(٤٠٥)، وما قَطّ عنها، حتى وثب إلى قَطْيا(٤٠٦)، وبات يبرى سهامه في بيروت بريا. فقال المملوك :

(من الكامل)

قد قُلتُ للطاعون وهْو بغزة قد جَالَ من قَطْيَا إلى بيْروتِ(٤٠٧)
أخليْتَ أرضَ الشام من سُكانِهَا وحَكَمْتَ يا طاعونُ بالطاغوت.

وقال المملوك أيضا، وأراد ضبط تاريخه بحروف الجُمّل :

(من البسيط)

يا عام طَاميم ذالِ(٤٠٨) فيك أيُّ عنا قاسى الأنامُ رداهُ من فلسْطينِ
كم قدْ رأينا فِناءً فيه نهرُ فَنا تدورُ منه طواحينُ الطّواحين.

ولما دخل إلي صفد(٤٠٩)، (أخنى عليها الذى أخنى على لُبد)(٤١٠)، فما ترك بها أحداً من الأهل والمعارف حتى اجتحَفَه سيلهُ الجارف، فكم من صاحب جاءَنَا عنه ناعيه، ودعاه إلى البلى داعيه.

وقال المملوك :

(من المجتث)

لمـــا أفْتَرَسْتَ صـــحـــابى … يا عـــام تِمْعِ أربعـــينا(٤١١)
مـــا كنت والله تسْعـــا … بل كنت سبَعـــا يقـــينا.

ثم إنه بعد ذلك حلّق على(٤١٢) جلّقَ وانقضّ، ودخلها فانتثر عقْدُ حياة أهلها وارْفَضّ، وكان يقتل بالرائحة، فما دخل داراً إلا تحقق كل من فيها أن روحه رائحة.

فقال المملوك :

(من السريع)

دارَت من الطاعـــون كـــأسُ الفنا … فـالنفس من سكْرَته طافحـه(٤١٣)
قـــد خَالَفَ الشْرع وأحـكـامَهُ … لأنـه يُثْبِتُ بـالـرائـحـــــــه.

ثم إنه قتل بذلك جمعا، لا يعلم جملة عِدتهم إلا الذى قدْرَ(٤١٤) (به) نهاية مُدتهم. وظهر بنوع آخر من الفناء، مبالغة فى الحرص والاعتناء، فكان يقتل بظهور حبه، يعز نعتها على من وصف وشبّه.

فقال المملوك :

(من الكامل)

أسـفى على أكناف جلّقَ إذ غـــدا … الطاعُونُ فـيـهـا ذا زناد وار(٤١٥).
المـــوت أرخصُ مـــا يكون بحبّةٍ … والظُلمُ زاد فـــصـــار بالقنطار.

وقال المملوك أيضا :

(من الخفيف)

أيْقَظَتْنــــا يـــدُ الـــفلاَءِ مرَاراً … لتَراعِي الـتُّقَي فَلَم نـتـنـبهْ(٤١٦).
وغـــدا الظلم بالقناطيـــر فـــينا … فلهـــذا الطَّاعـــونُ صـــارَ بحـبّه.

وزاد أمْرُه وأغْرَب، فكم من خل كان فقد خلّه «كلمح البصرِ أو هو أقرب(٤١٧)»، وخلّت عدّة مساكن من سكّانها، وأفْرط الأمر حتي كادت دمشق تخلو من أربعة أركانها، وعمت الوحشة، ومحا الأنس من كل دارٍ نقشه.

فقال المملوك :

(من الكامل)

أمّا دمشق فإنها قد أوحشت		من بَعْدَ ما شهدَ البرية أُنسَهَا(٤١٨).
تاهت بعُجبٍ زائدٍ حتّى لقَدْ		ضربت بطاعون عظيم نفسها.

وأقام علي ذلك برهةٍ، يجول يمينا وشمالا، ويجوب الديار بالخراب جنوبا وشمالا، فظهر فتكه ببثرةٍ، تطلع خلف أُذن الإنسان، فتجرّه إلى مصرعه بمقاودٍ وأرسان.

فقال المملوك :

(من الطويل)

تَعَجّبْتُ من طاعون جلّقَ إذ غدا		وما فاتت الآذانَ وقعةُ طعْنه(٤١٩)
فكم مؤمنٍ تلقاه أذ عن طائعاً		علي أنّه قد ماتَ من خلْف أُذْنه.

واستمرّ عليٍ ذلك حينا، لا يُهمِلُ كناساً، ولا ينسى عرينا، حتى جاء بكبْةٍ تَخرُجُ تحت الإبط، كأنها عملة السارق، أو الغريمَ النكد الذى لايفارِق غريمه أو يفارق(٤٢٠).

فقال المملوك.

(من الوافر)

رعى الرحمن دهراً قد تولّى		يُجازى بالسّلامة كُل شرط(٤٢١)
وكان الناسُ فى غَفَلاَت أمْنٍ(٤٤٢)		فَجَاَ طاعونُهُم من تحت إبْط.

وجرى على هذا النمط مدّه، وقاسى الناس منه أهوالا وشِدّهْ، ثم جاء بخيارة تطلعُ فى الأربيه، ما كان للناس معها الخيره، ولا نجاهم التسليم والانقياد، ولا التشاؤم والطّيره،

فقال المملوك :

(من الخفيف)

ثَلّ هذا الطاعونُ عرشَ دمشقٍ		بقضاءٍ من ربّنا سبحانه
فَلَكَمْ مات بالخيارة شخصٌ		كان يبدو كأنّه ريحَانه.

واستصحب الحال فى ذلك زمانا، ولم يجد الأنام منه أمانا، ثم إنه جاء بالطامة الكُبْرَى والمصيبة التى جعلت كل عين منها عبرى، فمن بصق دماً مات، وحلّت به الآفات ومات.

فقال المملوك :

(من الكامل)

يا رحمتا لدمشقَ من طاعونها		فالكلُّ مُختَنِقٌ به أو مُصْطَبِح(٤٢٣)
كم هالكٍ نَفَثَ الدَّمَا من حلقه		أوَ ما تَرَاه بِغَيرِ سكِّينٍ ذُبح.

وقال أيضا :

(من السريع)

مُصيبةُ الطَّاعون قد أصبَحَتْ		لَم تَخْلُ منها فى الورَى بُقْعَه(٤٢٤)
تَدْخُلُ فى المنزِل لَوْ أنَّهُ		مدينةٌ أخلتْهُ فى جُمْعَه.

وقال أيضا :

(من الكامل)

(أمنت)(٤٢٥) بالله العظيم مُقَدِّرُ الطاعون، حتى عَمَّ كلَّ النَّاس.

كم مَعْشَرٍ فُقِدوا به فى جُمْعَةٍ		أتُرَاهُمُ خُلِقُوا من الأشْرَاسِ؟!.

وقال أيضا :

(من الخفيف)

لا تثق بالحياة طَرْفَة عَيْنٍ		فى زمانٍ طاعونُه مُسْتَطِيرُ
فكأن القُبُورَ شُعْلَةُ شَمْعٍ		والبَرَايا لها فَرَاشٌ يَطِيرُ(٤٢٦) .

وقال أيضا :

(من السريع)

قد نغَّص الطاعُونُ عيشَ الورى		وأهْلَكَ الوالدَ والوالده(٤٢٧)
كم منزلٍ كالشَّمع سُكَّانُه		أطفاهمُ فى نفْخَةٍ واحده.

ومن عجائبه التى لا تُحصى، أن الوصى يموت قبل من أوْصَى(٤٢٨)، وليس لأحد فى هذا الأمر حيله، ولا له إلى من قدَّره غير التسليم وسيله. ومن أعجب ما وقف المملوك عليه من

التواريخ الماضية، على البرية الخالية : وهو أنَّ سِبْطَ الجوْزي - رحمه(٤٢٩) الله تعالى - قال في مرآة الزمان، في سنة تسع وأربعين وأربعمائة : وفي جُمادى الآخرة، ورَد كتاب من بخاري، أنه وقع عندهم وباء عظيم(٤٣٠)، حتى خرج من هذا الإقليم في يوم واحد ثماني عشرة ألف جنازة، وحصر من مات فكانوا ألف ألف وستمائة ألف وخمسين ألفا إلى تاريخ الكتاب، وخلت الأسواق، وأُغلقت الأبواب، وتعدِّي الوباء إلى أذْربيجان، ثم إلى الأهواز والبصرة وواسط(٤٣١)، وتلك الأعمال وكانت تحفر زبية(٤٣٢) ويلقى فيها عشرون وثلاثون من الناس، وسببه قلّة القوت والجوع، ومن مات قريبا من دجلة(٤٣٣) سحبوه برجله، وألقوه فيها، وكان الصغار ينبشون الموتى ويشوونهم ويأكلونهم، وكان لإنسان(٤٣٤) أرض يسأل في بيْعها بعشرة دنانير، فلم يفعَلْ فباعها بخمسة أرطال خبز فأكلها، ومات من وقته. ووصل إلى بغداد نسخة كتاب، كتب من سمرقند إلى بلخ(٤٣٥) (مضمونه)(٤٣٦)، أنه يدفن في كل يوم من صالحي المؤمنين خمسة آلاف وستة آلاف وأكثر. (وغلقت الأسواق) واشتغل الناس بدفن موتاهم ليلا ونهارا(٤٣٧)، وكل دار يدخلها الموت يأتي على الجميع، وكان المريض ينشق قلبه عن دم(٤٣٨) المهْجة، فيخرج من فمه قطرة فيموت أو دودة لا يدري ما هي فيموت، وغلق في البلد من دور المقدمين(٤٣٩) وأعيانهم أكثر من ألفي دار، لم(٤٤٠) يبق فيها صغير ولا كبير ولا وارث، وكلُّ دار كان فيها خمر(٤٤١)، يموت أهلها في ليلة واحدة، ومن كانت معه امرأة حرام، ماتا معا. ومات قيم مسجد، وله خمسون ألف درهم، فلم يقبلها أحد، ووضعتْ في المسجد تسعة أيام (بحالها(٤٤٢) فدخل أربعة أنْفُس من الخليج(٤٤٣) ليلا فأخذوها، فماتوا عليها، وكل من أوصى إلى إنسان، مات الوصي قبل الموصي. (وكلُّ مسلمَيْن كان بينهما تهاجر، ولم يصطلحا ماتا(٤٤٤). وكان عند الفقيه عبد الجبار بن أحمد(٤٤٥) سبعمائة فقيه، فمات عبد الجبار والفقهاء بأجمعهم، وكان(٤٤٦) عند رجل من الأغنياء خمسون نفر، فمات الجميع في ثلاثة أيام، وخلفوا أكثر من ألفي ألف دينار، فلم(٤٤٧) يبق منهم أحد إلا طفل صغير ابن خمس سنين، والمال جميعه في الدار، لا يجسر أحد أن يدخلها، ونزل تركي من سطح على مريض(٤٤٨)، وعليه لحاف ديباج، فأخذه التركي، فمات التركي، ويده في طرف اللحاف، وطرفه على المريض(٤٤٩)، ولا يعلم من مات بأرض المشرق، بل قيل إن سمرقند من عشرة في شوال، وإلى سلخ ذي القعدة، أُحصي من خرج من أبوابها من الجنائز. فكانوا مائتي ألف وستة وثلاثين ألفا.

وأصل هذا الوباء، من تركستان(٤٥٠) بلاد الكفار، ثم خرج منها إلي بلاد صُخُون(٤٥١)، وكاشْغر، والشاش، وفرغانه، وتلك النواحي، ووصل إلى سمرقند في سابع عشرين شهر

رمضان من(٤٥٢) هذه السنة ولم يعبر(٤٥٣) النهر حتي أن جماعة من أهل بخارى، عبروا إلى بلخ فنزلوا في رباط منها، فماتوا جميعهم(٤٥٤)دون أهل بلخ، وكان الموت في الشباب والكهول والصبيان والنساء من العوام، فأما الملوك والعساكر والمشايخ والعجائز، فلم يمت منهم إلا القليل.

نقل المملوك هذا الفصل مُخْتَصراً من كلام صاحب المرآة، ولم يَذْكُرْه لمولانا إلا لأَنَّ هذا الطاعون جاءنا في سنة تسع وأربعين، وذاك كان في سنة تسع وأربعين أيضاً. وغالب هذه الأحوال شاهدنا وقوعها. وكان المملوك يظن أن لا نظير لهذا الطاعون، حتى وقف على هذا الخبر، فوجده مطابقا في أكثر أحواله. اللهم إلا أنَّ هذا أكثر عموماً، لأنه قد طبَّق الأرض، وما خلت منه بلدة ولا قرية، إلا أن أصحاب العمود لم يصبهم من هذا الطاعون شيء، كالعرب والتركمان والأكراد، وهم الذين يرحلون من أرض، وينزلون في غيرها، وهذا زاد على ما تقدمه من الطواعين؛ لأنه كان في القطاط وبعض الطيور، وبعض الجمال، وغالب الأوابد من حيوانات البريّة، فإن جماعة أخبروني أنهم رأوا شيئا كثيراً من الأبابل، والحمر الوحشية مطروحة في البرية(٤٥٥) وتحت آباطها خرّاج، ولم يمت حيوان من هذه حتف أنفه كالحية، ولهذا سميت أوابد(٤٥٦).

ولقد طول المملوك في هذه الخدمة، وهو يسأل بَسْطَ العُذر في ذلك.

(من الرمل)

والذى قَدْ راعَنى الأمـــرُ بـه	يقْتَضى أكـثـرَ مـمـا قَدْ جـرى)

يامولانا هذا أمرٌ يُدْهِشُ العقول والسلام، وفرغت مادّة هذا الكلام، والله يقينا في مولانا كلَّ محذور، ويحكّم في عداه كلَّ ماضي الشبا مطرور(٤٥٧)، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى.

وكتبت إليه ملغزاً في البرقيّة(٤٥٨) وهو مكان معروف داخل القاهرة المحروسة.

(من الوافر)

إمـامَ الناس في أدبٍ وفـقْه	ويَشْهـدُ لي بذا الجمُ الغـفـيـر
أجب عـمـا أعـمّيـه، فـإني	سـألتك أيهـا المـولي الخَبيـرُ
بقـاهرة المعُزّ لنا - مكانٌ	حـواه السـورُ مَعْروفٌ شـهـيـر
يـراه أولـوا الـنـهـي بَرِّيّة قَدْ	تنزّل وَسْطَهَا جـبل كـبـيـرُ.

فكتب هو الجواب إلي عن ذلك :

(من الوافر)

أفـــاضلَ عـــصْرنا إني بمـــا قدْ بعَثْتَ من المُعـــمّي لي بَصيـــرُ
لــقـــــدْ أبْداه في جُنْح الدّياجي ومَيضُ البــرق وهْو به شَهيـــرُ
كفَاهُ أنّ أوســــطـــه مُحيـــطٌ بكل الأرْض وهْو بهـــا يَدورُ(٤٥٩)
وكـــان له أبُو حـــيَّان يأوي(٤٦٠) إلـــي أنْ صارَ تـــحوَيـــه الــقُبُورُ
فــــإن لَمْ ألق شانيَ ذاك أو ذا أعــــزُ بقـــيـــةٍ ليْسَتْ تَبُورُ.

وكتبت أنا الجواب إليه :

(من الوافر)

جـــوابٌ مـــثلمـــا سفَرَتْ بُدُورُ أو ٱبتـــســـمت من الغيـــد الثُّغُورُ
كـــأنّ حُرُوفــه أجـــفـــانُ حِبٍّ(٤٦١) بنفث الســـحـــر أغْرَاهَا الـفُتُورُ
فيـــالك من جَوابٍ لاجوَي بي(٤٦٢) وقـــــد وافـي فَتَمّ بـه الـسُرُورُ
ومـــا ألْغَزْتُ في البرْقـــيّةَ اســـمـــا سُدًى، لـكـن لـه مَعْنى خَطيـــرُ
قـــصـــدتُ إليـــه دُون ســـواه علماً بـــأن بُروق ذهْنـك تَسْتَطيـــرُ
كـــذا فليـــمض في حَل المُعـــمّي أخـــو أدَب، وإلا فـــهُوَ زور.

وكتب هو إلي مع سُكّر أهداه إلي بالقاهرة المحروسة :

(من السريع)

قَدمْتَ فـــانْهَلَ الحـــيـــا فـــالوَريَ بـــالـبَحــــــر والصَّيب مَشْمُولَه
مـن بلـدة كـل فـــــتـي أمّهَا يـنـالُ في أكـــثـــرها سُوله.

يقبَل كذا، ويسأل قبول شفاعته جبْرَ الذي.

(من الطويل)

علـي خَجَلٍ وافاك حـــــتّي كأنّهُ إذا أنْتَ عـــايَنْتَ اســـمـــه يتَنَكرُ.

فكتبت أنا الجواب إليه.

(من الخفيف)

جاءني جُودُك الذي جعل الغَيْثَ له حاسِدا وفيه تفكُرُ

فاقتسمنا التصحيف لفظا ،ومعنى، لك منيّ شكر، ولى منك سُكُر.

وكتب هو إلى لما جلست فى توقيع الدَّستِ الشريف بالشام المحروس فى شوال سنة ستٍّ وخمسين وسبعمائة، وأكثر من التورية :

(من السريع)

لمـــا استَوَى دَستُ العــلا بالصَّلاحْ اغتَرَفَت أيدي الأنَامِ السَّمــاحْ(٤٦٣)
وأنطَبَخَتْ فــيـــــه لُحُومُ العــــدا واشتَـــعلَتْ من فَوْرِها باقتِـــداحْ
غــلا وقـــد فـــاض ندَي واعتَلي مـــناصبا تَدْعُو لـطـيـب اصْطِبَاحْ
ثم تهـــدّي فـــاهتـــدي نحـــوه داعٍ ينادي عـــجّلوا للرّداح(٤٦٤)
لا رِيمَ فـــيــــه إن حلَلْتُم بـه إلا النـوالُ الـطـافـحُ المُسْتَبَاحْ
بيَضـــه قُرْبُه فـــاعْجَبْ لـه مُســـــوَدًا تَشْرِق منـه البطَاحْ
وقُعَ بـه ألوانَ مـــــا طابَ مـن تَنْويـع مَنْ وَبَديـعِ أقـــــتَراحْ
أملاهُ حـــــلاً مُحْكَمـــا يقْتَضي تَحْريك عـــين للمـعَاني الصِّحَاحْ
وابـعـث بطـاقَاتِ المـنـي لـلـوَرَي مُرسلةً فــوق جنَاحِ النجـــاحْ
حــتي يطيب النـاسُ عن دهرهم (وتحمدُ القومُ السُّري فى الصَّباحْ(٤٦٥))

يُقَبّلُ الأرضَ، ويُهنّي الزمانِ بأن خفف من ذَنْبه، وصرفَ عنه بعضُ ما تكاثر من عتْبِه، وزال عنه شيء من الشَّين، ووفتْ ذِمتُه بقسط ما كان لكم عليها من الدَّيْن.

فكتبت أنا الجواب عن ذلك :

(من السريع)

دُرُّ حبَابٍ راح مــــــن فوق رَاحْ فزَانَ مــمن قدْ ســقي بطْنَ رَاحْ؟!
أم بـــردُ رصـــع تــــاج الــرُبـــا فَرَاح ثَغرا باسِـــا عن أقَاحْ(٤٦٦) ؟!
أم مُقْلةٌ مـــــذ سَكَنَتْ مُهْجــــتي مـا حفَظَتْ إلا كـتـاب الجراحْ(٤٦٧) ؟!
أم بِكْر فـكـرٍ خِدْنُهـــــــا خِدْرُهـا فـيـه مُعَانٍ للمـعـاني المـلاحْ؟!
قـد خـصني الجـود البـهـائي بهـا فصَاح لي بالكلمـاتِ الفـصـاحْ
فـشـرّفتْ قـدْري، كـمـا شنّفتْ سمْعي، فـمـا لي في المَعَالي اقـتـراحْ
وهْىَ عـلـي رأسـيَ تـاجٌ، وفـي أذنـــــي شنْفٌ، وبخصْري وشاحْ
بتوريـــــاتٍ واريـــــات الــــسنَا وبـاقـــتـــدارٍ زنْدُها في اقــتــداحْ
فـــمن لُغـــاتٍ لو رأى الجوْهرِى ألفـاظَهـا لم تَفْتَخـر بالصحـاحْ(٤٦٨)

ومن معـــــان لو أتي مثلها لأرجائي لم يزل في انشراح
ولم يقل من حزن عنده (صوت حمام الأيك عند الصباح)[٤٦٩]
أو للأبيوردي مـا فــاق في (أمـاط، والليل أثيث الجناح)[٤٧٠]
أو للرضي لم يرض في قولـه (نبهتهم مثل عوالي الرماح)[٤٧١]
أو للتهامي لا تهمناه لما (م) (قــال : لا أعلم كل أقاح)[٤٧٢]
ولا آبـن[٤٧٣] حمد بمن غدا راكبا (نجـالب اللهـو ذوات المراح)
ولا الحريرى إذ غـدا قـائلاً (أعدد لحسادك حد السلاح)[٤٧٤]
والبحتري مـا قـال من فرحة (بات نديما لى حتى الصباح)[٤٧٥]
من لطفها قد أذكرتني صبا كم عن لي فيـه ارتياد ارتياح
سقيا لـه من زمن سـالف (كم فزت فيه بحبيب وراح)[٤٧٦]
مهلا على ضعفي أبا حامد فما أراني من قريش البطاح[٤٧٧]
وقومك الأنصار أهل النهي وبدرهم زان سـمـاء السماح
وأنت بالخزرج[٤٧٨] في ذروة سال بهـا وادي المعـاني وساح
رحت إمـامـا والورى من ورا في كل علم غامض الاصطلاح
ونلت قبل البرق أقصى المدي لو حط مثلي عنه كان استراح
فاعذر أخا التقصير والنقص إن ونى، ولم يلحق بهوج الرياح
وخل لي فضلة شعر بهـا أستعطف الأنفس ذات الجماح
فإنني من صدق ودي لكم قد طار في الأقطار عني وطاح

يقبل الأرض، وينهي ورود المثال الكريم - أعلاه الله تعالى، وزاد به خلال الزمان جلالا، وجعله لكل شيء حسن مثالا[٤٧٩] - فوقف المملوك منه علي خزائن أدب وقلائد ذهب، لو ظفر بها الجاحظ مامضي ذكره ولا ذهب، ومطالب فضل لا يخشي مالكها من الفقر ما وهب. وبسط بالدعاء كفا قبضت على الولاء، ورفع إلي السماء بصراً طالما خفضه الخضوع لمولاه[٤٨٠]، لما أخذ في الرفع والاعتلاء. وانتهي إلي تلك التوريات، التي هي أحب إليه مما تجدد له من هذه الوظيفه، وأوقع فى نفسه من هذه الرتبة التى هى من الفتى نظيفه. وتعجب المملوك من ثمانية أبيات ضمنت من التورية ثمانية وعشرين، ورأى فى ورقها زهر الربيع، وإن كانت قد جاءته فى تشرين[٤٨١]، وجنى من تلك الورقة ضروبا من الثمر، وتحقق أن هذا العدد وفق منازل القمر[٤٨٢]، إلا أن هذه كلها منازل سعود، وبدر معانيها لا يزال فى صعود. ولله الغزي أبو إسحق إبراهيم (إذ[٤٨٣]) يقول :

(من الوافر)

ومـا أنـا فـي الثناء عليك إلا كمن أهدي إلي الصبح[٤٨٤] الشهابا

فــــلا يَشْغَلَكَ طَوْلُكَ عن قُصـــورٍ فمن بلغ المَدي[٤٨٥] نسيَ الهِضَاباَ
وَنِطْ بي حُسْنَ رأيك يعْلُ [٤٨٦] كَعْبِي فــــإن الـلـه نـاط بـهِ الـصَّوابَا.

وقد استطرد المملوك بهذا البيت الثالث، وإن كان أجنبيا من هذا المقام، ودواءٌ إلاّ أن يُعالج به من خفى على الطبيب ما عنده من السِّقامِ، وهذا استطرادِ كالجملة التى تعترض فى بعض مقامات البلاغة، وكالدُّرة التى تزيد التّاج حسنا، وهى شىء آخر من وراء صناعة الصياغة. ويستطرد المملوك أيضا إلى قول آخر.

(من الطويل)

(ومن يكن الفـضل بنُ يحـيى بنِ خـالدٍ شفـيـعـاً لَهُ عند الخَليـفة ينجَحُ)[٤٨٧]

ويأتى فيما بعدِ حلُّ هذا المُترْجَم، وكشفُ هذا السرِّ المُجمْجَم، أو لَعَلّي أشرحه شفَاها، وأفتح به بين يديك شِفَاهاَ، وقد كشفت به لمثلك السِّتر، ورفعتُ لك الجتر[٤٨٨]، وشفعتَ الوترْ.

وقد طوّل المملوكُ بهذا الاعتراض، ومـا بقِي إلا الدُّخول إلي الخروج منه عن تراض. فيعودُ المملوك إلى وصفْ تلك الأبيات، ومـا أودعتها يد القدرة من المحاسن فى التوريات. ويقول : إنّ ناظمها لو كان كشاَجم[٤٨٩] لما زاد، بل ولاَ عدّى بها ثلاثةَ أفراد، فإنهم يزعمون أنه كان طبّاخ سيف الدولة، لا بلَ مشْرِفا لتلك الصَّولة. دعْ ذكر كشاجم، بل لو كانِ الصُّولى وما وضعه من المناصيِب[٤٩٠]، وتَخيله بذهنه لما تحيَّل على تلك الأعاجيب؛ لما اتّفقَ له فى دستِ واحد هذه النكتِ العديده، والفرائد المفيده. وبالله يقسم المملوك أنّ مولانا ماترك وراءه فضله، ولا غادر لمن يجاريه الجواب إلا عضلَه[٤٩١]، والله تعالي يديم حياة مولانا لأهل العلوم عامّه، ولأهلِ الآداب خاصّة تامّه، حتى يكْملوا نقْصهم، ويسبغوا غمّهم، ويستجلوا هذه الأبكار التى لا عهد لهم بنظيرها، ولا قدرة لهم علِي نضيرها، فما كلام مولانا إلا نكت، وما أنفق قلمه من ذخائر الأدبِ إلا ربت وزكتْ، ولو وفِق مجاريه لقّع رأسه برداء حيائه وسكتْ، وأخذ قضيب يراعه فضرب به الأرض خجحلا ونكتْ[٤٩٢]. أنهى ذلك.

وكتبت أنا إليه، وقد ولاه الأمير سيف الدين شيخُون تدريس مدرسته[٤٩٣] بالقاهرة :

(من السريع)

بُشْرَي المـعَالي يا أبَا حـامــد بـدرسك الحَاصِدِ للحـاسـد
جدّدت بـالـدرس بـبلـوغ الـمُنـي لصـادرٍ في الـعلـم أو وارِدِ
مَعْنَاهُ سَاوَي الـلـفـظَ مـن غيْر أن يُعـاب بـالـنـاقِصِ والـزّائِدِ

كم مُنْشِدٍ فيه قريضَ ألهنا ... وطالبٍ بُغْيَتَه ناشد
فابْشِرْ بغبنٍ للعدي شائنٍ ... واهنأ بسعدٍ للعُلا عائد
إنْ أنتَ فَسَّرْتَ به آيةً ... أمسيت فيها ثانيَ الواحدي(٤٩٤)
وكم حَديثٍ في الصحيحين قد ... أسْنَدْتَهُ عن ذهنك الواقدي(٤٩٥)
وفي أصُولِ الدِّين كم غايةً ... قد حُزْتَ فيها أمَدَ الآمدي(٤٩٦)
هذا، وأمّا الفقهُ لو قالَ لي ... كلُّ صحيحِ الذهن أو فاسدِ
مَنْ حُجَّةُ(٤٩٧) الإسلامِ في عصرنا؟ ... قُلْتُ لَهُ : هَذَا أبُو حامدِ.

وأنشدني من لفظه لنفسه بالشام المحروس، في شعبان المكرَّم سنة ثمان وأربعين وسبعمائة قصيدة، مدح بها القاضي علاءَ الدين علي بن فضلِ الله، كاتبَ السِّرِّ الشريف(٤٩٨). وهي:

(من الكامل)

(كن كيف شئت) عن الهوي لا أنتهي ... حتى تَعودَ لي الحياةُ وأنت هي(٤٩٩)
فعقال عقلي أمكنته يدُ النوي ... وعُقُودُ وجدي مستحيلٌ أن تَهي
شكراً لعاذلي الجهولِ فإنه ... ما زادَ غير تولُّعي وتولُّهي
أرتاح حين يفوه باسمك ثم لا ... أصغي لغشٍّ بالرَّشاد مُنَوَّهْ
ماذا يخوِّفني به وأنا الذي ... أستَعْذِبُ التعذيبَ لَمْ أتكرَّه؟!
لا تَجْفُ صبّاً لو نظرت لأمره ... لأصبَتْ ذا جفنٍ قريحٍ أمرُه(٥٠٠)
واعطف عليه برأفةٍ من قبْل أنْ ... يقضي علي أسفٍ وعيشٍ أسفَهَ(٥٠١)
والله لا أخشي الممات فإنهُ ... لألذُّ من عمرِ البعادَ الأتفه
لكن أخاف من العدي أن ينسبوا ... لك قسوةً قَبُحَتْ علي المتألِّه
قَسَماً بوجهك، والملاحةُ قد سَمَتْ ... فيه، ومنه تقسَّمتْ في الأوجهَ
وبغُرّةٍ إن تحْكِها شمسُ الضحي ... فضحَ التَّشَبُّهُ شيمةَ المُتَشَبِّه(٥٠٢)
وبمبسمٍ لك لؤلؤيٌّ أشنبٍ ... عذبٍ نميرٍ عاطرٍ المستَنْكَه
وبماءِ حُسْنٍ جالَ في خدّيك لم ... يُطْفيء لهيبهما ولم يتسنّه(٥٠٣)
وبجمعك الضدّين من شعرٍ دجا ... وجبينِ صبحٍ قد تجلّي أجْلَه
وبأهيف المثلين قدّك مايسا ... وبه حلفتُ وغصنِ بانٍ قد زُهي
لا حلْتُ عن أحلي هواك وإنْ يكن ... سفهت أحلامي وزدت تأوُّهي
ولغير وجهك لم أملْ دُنْيا فذُو الـ ... وجهين عند الله ليس بأوجَه(٥٠٤)
إني أغار عليك من ريح الصبا ... إن عانقتك ومن فمِ المتفوِّه
أمن التناصفِ أن تبيت مُدلّلا ... ومُحِبُّك العاني بقلبٍ مُدلّه(٥٠٥)؟!

أنحلتني أضـــعـــافَ سُقْمِ ذوي الْهوي … ونحلتني إضـــعـــافَ جِسْمٍ قـــد دُهي
وكـــســـوتني دنس الأسي فبمدمعي … لـــم أنقه، ومـــن الـــجوي لـــم أنقه
أو مـــا خشـــيتَ الله فيَّ وإنني … أفديك من تعذيبــــه أن يَبْدَه(٥٠٦)
أم خلت أنَّ الدهرَ خالٍ من فـــتي … يُجدي لـــديـــه توجُّه الـــمتَجوِّه(٥٠٧)
والله لو يدري ابنُ فـــضل الله ما … ألـقـــــاه لا نَدْرأ الذي لا أشتهي
فلكم أزاحَ من الأنام كـــريهـــة … ولكم أراحَ بديـــــــع عيش أكره
مولى إلي الفـــاروق نسـبـةُ مَجْده … أكرم بنسبـــــة ذا النجـــار الأنوه
ســـعدَ الزمـــانُ وتاه منه وازدهي … بـــالّلـــوْ ذعـــيِّ الألمعي الـــمدره
جـــارٍ على طُرُق الهُدَي فعلومهُ … أقـــوالهـــا اتجـــهت بكل الأوجه
فلكل عافٍ منه عـــــيونٌ تفقُّد … ولـــكـــلِّ عـــلـــم مـــنـــه حُسْنُ تفقُّه
فَطِنٌ، فهل من مُشكلٍ لَمْ يُحصِهِ … علما!؟ وهل من مُعْضِل لم يدْره(٥٠٨)؟
يُحْيي المـــمالكَ منه رأيٌ ثاقبٌ … إن يشهد الـخـطـب ارتـقـي لم يُشْدَه
فالبحرُ لـو جاراه قال الـنيـلُ: لا … تطمعْ، وكن مثلي، ولا تتشبـــــه
والبـــدرُ لو ضاهي إضـــاءةَ وجهه … مـــا كـــانَ فـــيـــه تكلفُ المتكره
والنَّسرُ لو عـــالاه قـــال له السُّها : … حـــاولت قبلك ذا، فقيل: مَهِ مَهِ(٥٠٩)
ذو رفـعة حـازت مـدي الجـوزاء في … شـــرف بفوق المشتري والسُّهي
وعلاً تحـــــاولها العداة فتنثني … عنهـــا، ولم تظفـــرْ بفـــوه تنوّه
فيـــهمْ بواطنُ أرعدت بتـــشـــوّش … ولـهـم ظـواهـرُ أرعـــدت لتشوّه
وفـــضـــائلٌ لم تخفَ إلا عن فتيً … أعمي الهدي(في)(٥١٠) الجاهلين العمه
وقريحـــةٌ في العـــالــمين مُريحةٌ … لأخـــي الـــروايـــة إنْ بدا والـــمبْده
وبديعُ نظم لو تقـــدّم عـــصـــرَه … قـــال الوري أفٍّ لشعر الأفوه(٥١١)
صـــاغت قـــلائدَه العـــقـــولُ فحُسنُه … ينسي إصـــابات الأديب الأبله(٥١٢)
قس الفصاحـــة. لو تســـمع لفظه … سحبانُ لاستحي ولم يتفوّه(٥١٣)
(وله من الأدب النضـــيـــر حـــدائقٌ … بنظيرها لم يأت كلُّ مـفـوّه)(٥١٤)
كم أسمَعَتْ صمّاً، وأنطق فضلُهـــا … خرساً، وكم لاحت لعـــيـــون الأكمه
أقـــلامُه نُصبت كـــأعلام علي … إعـــدام باغٍ عن هُداه مُنهنه(٥١٥)
من خطهـــا الخطيُّ يمـــضي هاربا … ويفـــيض شباتُها الرزق الشهي
مـــا روضـــةٌ حـــيَّ الحـــيا أفنانهـــا … فـفـناؤها زاه المعـاطف مزده (٥١٦)
راقت مـــعـــانيـهـــا ورقَّ نسيـمهـــا … وصفت بمـــا وصـــفـــته للمتنزه
فـــالزهرُ بين مفـــضّضٍ ومذهَّب … والنهر(٥١٧) بين مُصفّق ومقهقه
يومـــا بأنضرَ من شُذُور سطوره … كـــالعقد منظومـــا به البدر البهي
إيهِ عـــلاءَ الدين من شـــانيـــه لم … يـــوهب علاً ولضده لم يوبـــه

بالرغم مني أن أفارق موطناً لك طالما فيه حمدت توجهي
ما غبت عن مغناك إلا مكرهاً ولقد محا الرحمن ذنب المكره
فالعز عندك. لا كمن هو منشد (العز في صهوات خيل الأجبه)(٥١٨)
خذها قصيدة قاصر لولاك لم تسمع قريحته ولم يتنبه
أمعنت في إنشائها بتفكري فنعمت من إنشادها بتفكهي
قامت على عمد البيان فأخملت ذات العماد الكاتب المتمده(٥١٩)
أني تساويها وهذي قد حوت بك الافتخار وتلك في فرخشه(٥٢٠)
نزهتها عن أخنع اسم قاله من وصف غير الله والشاهنشه
وفررت مما لم يسغ لغة فلم أتبعه في نعت العتاق الفره(٥٢١)
وقصيدة الكندي تعدي إثرها لم يفتها زيد بزين بل سهي(٥٢٢)
وإذا هما افتخرا على وأنت ذو مدحي شمخت إذن بأنف الأنبه(٥٢٣)
ولئن تداعينا فإنك حاكم بيني وبينهما بخاطرك النهي
هذا على أن القريض فضيلة لهما وعندي فضلة المتنزه(٥٢٤)
هو يرتمي حولي فأقبل عفوه طوراً وأتركه تارة بترفه
لم يمتلي جوفي به خوفاً على ديني، ولم أشرع إليه وأشره
لولا امتداحك لم أعره فكرتي كلا، ولم أنظر إليه وأكده(٥٢٥)
وطرحته حتى يكون كمجة في لجة، أو مهمل في مهمه
لازلت في نعم يدوم سرورها والدهر عن تكدير صافيها لهي
ووقيت صارف فضل مجد أرفع وبقيت وارف ظل سعد أرفه.

فلما سمعت هذه القصيدة، ورأيت ما جمعت من المحاسن درتها الفريده، تقت إلي تقريظها نظما، وأردت أن أطلع قبالة قمرها التمام في مساء البلاغة نجما، وعلمت أن كل نار ليس عندها سلام، وكل صب لا يجد السلامة (عند(٥٢٦)) سلمي. فنظمت هذه القصيدة التي تجر رداء الخجل، وتتقمص أردية الوجل، وأين ذبالة السراج من الكوكب الوهاج، والجدول الناضب من البحر العجاج؟!، وكان عمر إنشائها في بعيض ليلة، لاجرم أن الإتقان ماجر عليها ذيله، ولا أعطاها الإحسان خيله، وهي :

(من الكامل)

مهلاً فإن الشرع أصبح يزدهي بك فرحة، والشرع فينا قد دهي
والفقه لما أن تعاظم شأنه بعلاك لم يحفل بذكر الأشنهي(٥٢٧)
وكذلك المعقول معقود العرى بك لم يعلق بنده بالبند هي(٥٢٨)

أهملت أربابَ القريضِ فأصبحوا ... يُدعونَ بالمجنون أوْ بالأبلَه
أمّا الوليدُ فشاب منك وهكذا ... مُتَنَبّيء الأشعار لم يتنَبّه
وصرعْتَ عنترَةَ الفوارسَ فانثني ... قَلَقاً يُنادي بالصمْت الأفوه[٥٢٩]
لو كنتَ تفخرُ بالقريض توجهت ... منك القوافي نَحْوَ كلّ تَجوّه[٥٣٠]
لكن علِمْتَ فلم تزل مُتَواضعاً ... أيْنَ اللطيفُ من الكثيف العنجهي؟!
وشغلتَ نفسك بالحقائق بُرهةً ... والحقُ يَشْرُفُ لا المقالُ الشُرهي
فلمْ الشّريعة في بَصيرته كمَا ... قلمُ القريضِ غدَاً بطرفٍ أكمَه
هذا يمِيسُ، وذَا يئنُ من الجَوي ... شتّان بين تأوّدٍ وتأوُّه
أضحي الوجُود مُخلّلاً بأصيله ... فَرحاً، وحُقَ له بفضلك يلتهي
والغصنُ فوق النهر مال، فحبّذا ... مُتَكَهْفِرٌ يبدُو على مُتَقَهْقَه
يامن تَرَفّع شعرُه، لما غدَا ... بين الكواكب عن مقال مُزَهْزَه[٥٣١]
فُتّ البوارقَ وهْيَ تَجْهدُ نَفْسَهَا ... سبْقاً، وفكرُك في أناة مُرَفّه
وعلوت عمّن قد غدا مُترويا ... وَسَبَقْتَ بالإحسان للمتَنَزّه
حل القريضَ لنا نُجرّعُ حَلَه ... فالشهدُ ما شاهَدّتَ للمُتَفقّه
واترك لنا هذِي الصناعةَ نَرْتَزقْ ... بصُبَابة من طعمها المتَسنّه
فالنجمُ معقودٌ بذَيْلك طرفُه ... قد راحَ بين تشبّثٍ وتشبُّه
لو شِئتَ أن تضع النجومَ قوافياً ... لتنَزّلَتْ طوعاً ولمْ تتنزه
بقصيدة لو كان أنبَهُ شاعرٍ ... يحكي فصاحتَها لأصبحَ تَهْتَه
لو قيل أيُّ قصيدةَ قد زيّنتْ ... بالنّظم فوقَ الفرقدين لقلت : هِي
حصّلتَها من كنْزِ والدك الذي ... بكماله علمُ الشريعة قد زُهي
وَلِيَ القضاء بسيرةٍ عُمَرِيَّةٍ ... والعدلُ خيرُ منَزّع لمنْوه[٥٣٢]
فردٌ غدا في البحث سبعاً أغلباً ... ما الظّبْيُ في اللقيا له بمُجَهْجِه[٥٣٣]
كم قد أبانَ العَجْزَ يوم جدَاله ... مُستودَعاً في خَصْمه المستَوْدَه[٥٣٤]
ما جاءه واللهُ يعلم قَصْدَهُ ... مَنْ يشتكي إلا رأي ما يشْتَهي
كم سمّ سهماً في قضاء حكومةٍ ... ورَمَى به فأصاب نحرَ السُمّهي[٥٣٥]
فالغيثُ، يَرْوِي عن عطايا كفّه ... والبدرُ يَخْجَل من مُحيّاهُ البهي
أما الحديثُ فإنما هو رُحلَةٌ ... فيه فلا تَطْرَبَ لذكر المنْدَهي[٥٣٦]
والشافعيّ الأشعريُ مُبَرّأً ... عن قول كلّ مُعطّل ومُشَبّه[٥٣٧]
قد زانَ بَسطةَ جسمه وعلومه ... فالعلمُ يُبْهي تحت جِسْمٍ بهبهي[٥٣٨]
خُذْهَا بهاءَ الدّين نفْثَةَ ناظم ... قد زفّها لك في قميصٍ لهْلَه[٥٣٩]
تَتَقَادُ في بُرَدِ الفصاحة رِقّةً ... وتَشِفُّ عن لفظ تَرَاهُ بَرَهْرَهِي[٥٤٠]
خَلَصَتْ قوافيها فهاءُ رويّها ... خالٍ من الإضمارِ ليس ببهْبَه[٥٤١]

اللــه يعلــم أنني لم أنتحل — ودّي، ولا أنا في هواك بمكره
لكن إذا فكرتُ فيما حزته — أمسيتُ بين تفكّر وتفكّه(٥٤٢)
فأنا بك الصبُّ الذي من حبه — أضحى بهيم وجسمه سقما بهي.

ثم إنني بعد ذلك نظمت قصيدةً، مدحت بها القاضي علاء الدين بن فضل الله كاتبَ السرّ الشريف وهي(٥٤٣) :

(من الكامل)

حاشا عهودي في الصبابة أن تهي — أو أن يُحسّنَ لي السلوُّ فأنتهي
ياعزَّ عزّى في هواك مذلّتي — وتولّهي بك قد قضى بتولّهي
أصبحتُ منك توجّعي، ومن الجفاء — توجّسي، وإلى حماك توجّهي
فترفّقي بي في الهوى، وترفّعي — عن قتلتي، وعن الصدود ترفّهي
قد زاد فيك تألّفي بتألّمي — وتفكّري فيك انتهى لتفكّهي
ما تلتقي حملات طرفك مهجتي — فتخلّي الاهك في دمي يا هذه
فالصبر يسأمني إذا ما سمته، — والقلب إن لا ينته لا ينتهي
ماذا يقول الواصفون(٥٤٤) وقد غدت — تثني البدور على محيّاك البهي؟!
أما السها فإلى جمالك قد سها — وكذا المثقّف قدّه بك قد دهي
كحلاء أما أمرها في أدمعي — فجرى على عادات جفني الأمره
قد خصّها الباري بلطف زائد — فشفّ عن جسم براه برهرهي
ولقد أقول وقد سرت أظعانها — ليلاً، وجفن الصبح لم يتنبّه
يامن يريد الشمس قف لا تنخدع — عمن تجلّت في المحامل فهي هي
من أين للشمس المنيرة مبسم — حلو المذاقة طيّب ألمى(٥٤٥) شهي؟!
عطفت على قوامها يا من رأى — متأوّدا يحنو على متأوّه
وتلفّتت نحوى بجيد أتلع(٥٤٦) — بالله قل للظبي : لا تتشبّه
وصفي لها بروية، ومدائحي — لعلا ابن فضل الله ذات تبدّه
ذي(٥٤٧) نسبة قرشيّة عدويّة — عمريّة وإلى علىّ تنتهي
فالعلم معلمه(٥٤٨) به لم يندرس — رعيًا له، والحلم لم يتسفّه
ما دبّر الأملاك مثل يراعه — حفظ النظام به فدام ولم يه
بسيادة مضبوطة، وسياسة — مضبوطة، تعيى على المتفوّه
وبلاغة لسموّها يجنى لها — ثمرات كل عبارة لم تجنه
وفصاحة علويّة علويّة(٥٤٩) — نزل البليغ لها فأصبح تهتهي
وعلى عبارته طلاوة رونق — مترقرق الأمواه لم يتسنّه
ويغوص في طلب المعالي ناقدا — مايختفي بتفقّه المتفقّه

وكتابة مثل الأزاهر نضرة ... أو ما تراها غرة في الأوجه؟!
بل كل حرف كوكب متوقد ... قد صح ذلك بالقياس الأشبه
أقلامه مثل الحباب؛ فلبنه ... حظ المحق، وسمه للسمهى[٥٥٠]
وله معان كم أبان بيانها ... نكتا أقر لها البديع البندهى
وعقود نظم لو تعقل حسنها الـ ... مجنون لم تخطر ببال الأبله
فكثير قد راح فيها ناقصا ... وقضى لها الحكمى بصمت الأفوه[٥٥١]
يامن يحاول وصفه ارجع لا تقع ... فى مهمه لا ينتهى؛ فمه مه
يامن يلوم نواله فى بذله ... اسكت، فما تدرى إذا قلنا: مه[٥٥٢]
أتقول للغيث الملث إذا همى ... مهلا، وقد روى بطاح المهمه؟!
جم العطاء مع التيقظ للعلا ... أسمعت قط بوهب بن منبه[٥٥٣]؟!
يامن أتاح له الزمان خطوبه ... ورأى محاسنه بطرف أكمه
لا تشتكي صرف الردى إلا إلى ... عليائه حتى ترى ما تشتهى
اشرح له جور الزمان وكيده ... واسرح؛ فلم يدرأه غير المدره
فلو ارتحلت وسرت مابين الملا ... حتى يقول الناس هذ المنذهى
لم تلق مثل فخاره ونجاره ... بهما يسامرك النديم فتلتهى
أفنى الليالي شكره وثناؤه ... فالناس بين مبخبخ ومزهزه[٥٥٤]
من سوء حظى البعد عن أبوابه ... من لم ينل حظا به لم يؤبه
أما الدنو فإنه من يشره ... بالروح منه فإنه لم يشره
قد بلغت السعد العنان فتمحى ... عنى قبائح حظى المتشوه
يا سيدا ملأ الزمان مهابة ... لما تعاظم شأنه الشاهنشهى
خذها منقحة القوافى، أصبحت ... أنس النديم وحضرة المتنزه
سلمت فما احتال الضمير لهانه ... فيها، ولم يحتلها بتجوه
فرويها متحرز متجنب ... مكر الضمير، وليس فيه بمكره
إن العماد على وجاهة فضله ... قد قال فى بعض القوافى وجهه[٥٥٥]
وتعمد المملوك فيها غلطة ... لابد من عيب تراه فغطه[٥٥٦]
واسلم ودم مارك شعر مبله ... وأتاك يحمله فقلت له: ههى[٥٥٧]

وكتب[٥٥٨] أنا إليه وقد توجه إلى مكة ـ شرفها الله تعالى وعظمها ـ وجاور بها فى سنة ستين وسبعمائة وعاد منها إلى القاهرة فى سنة إحدى وستين وسبعمائة :

(من السريع)

جئت إلي الدنيا من الآخره ... إذ جئت من مكة للقاهره
فليهنها منك الغنى بعد ما ... قد رميت بالفقر والفاقره

نجت لبياليها فلم تبتلج　　　شوقا إلى أنجمك الزاهره
تقبل الله تعالى الذى　　　قد أحرزت أعمالك الطاهره
ولا تزل برفعك الله فى　　　منازل الدنيا وفى الآخره
كم عمرة فى الصوم مبرورة　　　، فازت بها أوقاتك العامره
وكم طواف قد طوت فى الدجى　　　وفى الضحى أشواطك الماهره
أقررت عينا فيك غادرتها　　　شوقا إلى طول المدى ساهره
أقول فى الصيف إذا ما بكت　　　يا طول هذى الليلة الماطره
لم أر عينا بالبكى غيرها　　　تخجل منها الأبحر الزاخره
فبرد الآن لظى مهجتى　　　من حرق فى باطنى ظاهره
وابعث إلىّ اليوم نفسى التى　　　رددتها بالأمس فى الحافره
إذا أتى منك كتاب إلى　　　عبدك جاءته المنى سافره
كأن قلبى غاب فى جنة　　　عن الردى أو جنة حاضره
أو عينى القرحى رأت فرحة　　　أو ذهنى الفاتر ألفى تره
وكيف لا وهو الذى طرسه　　　ضم فنون الأدب الفاخره
وسلم الأقوام من عجزهم　　　إليه حسن الكلم الساحره؟!
كم نكتة فى الأدب المنتقى　　　جاءت بها ألفاظك القادره
تعلو ذرى النظم وترقى، فمن　　　رتبتها ينحدر الحادره(٥٥٩)
لا بيت إلا والبديع انطوى　　　فيه وإلا النكتة النادره
ترى القوافى وهى فى منعة　　　فإن دعا جاءت له صاغره
قد اطمأنت منه فى بيته　　　ولم تكن من قلق نافره
تجمع شمل الحسن لا كالذى　　　تبصرها فى بيته حائره
فهو قريض شائع فى الورى　　　سارت به أمثاله السائره(٥٦٠)
سبحان من سخر هذا له　　　وردنا بالصفقة الخاسره
والحمد لله على عوده　　　فقد أمنا الزلة العاثره

فكتب هو الجواب إلى أحسن الله إليه :

(من السريع)

أهلا بها من روضة ناضره　　　وأعين باللطف لى ناظره
وأفق علم أشرقت فى الدجى　　　أنواره بالأنجم الزاهره
أو قهوة حلت وحلت عرى　　　فهى لحسن الكلم الساحره
أبيات نظم هدمت للورى　　　قصور فهم، واغتدت عامره

وصيّرت أشعـارهم فضلةً ... فـقـل : دواوينهم صاغره
ولم تقم دورٌ لهـا بعدُ، بل ... دارتْ علـى أبحرها الدائره
وحازَرَ الشمّاخُ(٥٦١) أن يغتلي ... فكيف لا ينعذرُ الحادره
واشتهرت بالحسن مع أنّها ... فريدةٌ في فنّها نادره
أصدَرَها صدرُ الأنام الذي ... علومُه واردةٌ صادره
يقصرُ الأعلامُ عنها ولو ... أسهَرَت الأعينَ الساهره
شيخُ الورى واحدُ عصرِ العلا ... وذو الفنون الجمّةِ الوافره
ومَنْ به الدهرُ ازدهى عطفُه ... واختال في حلّته الفاخره
له أيادٍ وعلاً لم تزلْ ... لها الورى حامدةٌ شاكره
تكاد أولاهنّ من رغبةٍ ... في المجد أن تسبقَها العاشره
وسيرةٌ في الشرق والغرب قدْ ... تواترت أمثالُها السائره
يمشي بها في الأرضِ أهلُ التقى ... وفي السما أجنحةٌ طائره
يأيها الظمآن رِدْ بابه ... يروكَ من أبحُره الزاخره
ويا أخا الشأّال(٥٦٢) بادرْ له ... فعنده أجوبةٌ حاضره
شوقي له، والوجدُ لا ينقضي ... (ما أشبه الليلةَ بالغابره)(٥٦٣)
قد قهرتني الشامُ في بُعده ... فصحّ أن الشامَ هي القاهره
وكمْ له عندى من نعمةٍ ... باطنةِ المنّة أو ظاهره
لا برح الدهرَ صلاحَ الورى ... تُنعشُهم أنفاسُه العاطره
في الحال والعقبى بنيل المنى ... فاليومَ دنيا وغداً آخره

وكتبت أنا إليه، وقد ناب عنه فى تدريس المنصورية(٥٦٤)؛ ولده الشيخ الإمام تقى الدين أبو حاتم فى سنة ثلاث وستين وسبعمائة :

(من السريع)

فوائدُ الشيخ أبي حامد ... جدّدها درسُ أبي حاتم(٥٦٥)
أكرمْ به ابناً لأبٍ ماجدٍ ... كَمْ مِنْ ثناءٍ، باسمه، باسم
المرتضي ابنُ المجتبي المقتفي ... العالمُ ابن الفاضلِ العالمِ
بهاؤكم لو رُمتُ أحصي الثنا ... عليه، أتعبتُ يدَ الراقمِ
يروي من الصادق في وعده ... ويقتدي في الغيظ بالكاظم(٥٦٦)
وذو التصانيف التي شرّقت ... وغرّبت ما بين ذا العالم
ونجمُكم هذا رأينا السها ... سهاله في ليله العاتم
يا أهلَ سبكٍ ونِدايَ لكم ... يُروي الشذا عن عَرفه الناسم

أفتي فما خالفه حاكمٌ ... ولو يكون الحاكمُ(٥٦٧) الفاطمي
عارٍ من العار وكم نشر الثـ (م) ... ـنا عليه حُللَ الناظم
والرافعي(٥٦٨) آنجرَ إلي خلفه ... ولم يكن في النقل بالجازم
فهو ابنُ حبّانَ إمامُ الورَى ... أو السّجستاني أبو حاتمِ(٥٦٩)
بالعلم والحلم وكسبِ الثنا ... نصرتُم دينَ أبي القاسم
قد جمّل الدهر بأفعاله ... تجمُّلَ الخنصر بالخاتم
ويا حكم قاضٍ غدا فضلُه ... يروي لنا مُستدرَكَ الحاكم(٥٧٠)
ورب حيرانَ حماه ظمًا ... فقرٍ، فما صار إلي حازم
قد أتقن الآداب حتى لقدْ ... نجَل(٥٧١) فينا أدبَ الحاتمي
يسرُدُ أسماءَ الرّجال التي ... فرّط في إتقانها الحازمي(٥٧٢)
وساد في عصرِ الصّبي معشرًا ... أكابرُهم في رتبَة الخادم
(فما لام الشافعيَّ، مثلَه ... شيخٌ، ولم يبلُغ مدي الحاكم(٥٧٣)
فيا بني السبكيّ قد سُدتم ... (فمَن تميمٌ وأبو دارِم(٥٧٤) ؟
لو كنتُم من قبل ذا لم يقُلْ : ... (خُزيمةٌ خيرُ بني خازمِ(٥٧٥)
قامت بكم سوقُ العلافي الورَي ... (والنّاسُ ما زالوا معَ القائم(٥٧٦)
تروون فيها الجود عن نافعٍ ... وفي الرّدي تروون عن عاصمِ(٥٧٧)
قصّرتُ في مدح علاكم ولو ... أتيتُ بالصادح والباغم(٥٧٨)

فكتب هو الجواب إلي عن ذلك أحسن الله إليه :

(من السريع)

شكرا من العبد أبي حاتم ... علي جميل للدُّعا حاتم(٥٧٩)
منظومةٌ من دُرّ نثرٍ أتت ... تهزأ بالناثر والناظم
جاءت علي شرط اقتراحي الذي ... كان لفعل الحمد كالحازم
حلّيه مُستغنٍ لمصرَ انتهت ... في قطع من تحف القادم
جاءت من البحر بأصناف ما ... يهدي فقل في قطع الكارم(٥٨٠)
كأنها الرّوض بكاه الندى ... فافترّ ثغرُ الزّهر الباسم
في النظم والجود سمَتْ وازدرت ... بالجود أو بالأدب الحاتمي
روت حديثَ العلم فالقلبُ قد ... حام وأروت غلّةَ الحائم
فقل لمن يطمع في مثلها : ... أنت بوجه الماء كالراقم(٥٨١)
لو رامها عمرو(٥٨٢) دُعي ظالما ... كاسمِ أبيه قبله ظالم
فكم بها بيتُ علا شاده ... خيرُ إمام للرّدي هادمِ

شيخُ عُلومٍ صارَ فى دَهْرِه   من غير خَلْفِ عالِمَ العَالَم
كذا المعرى(٥٨٣) زعيمُ العَلا   لنورِهِ فى النظم كالغَارِم
كُثيِّرٌ عن(٥٨٤) نظمها قُلْ، بل   أكدي فقل : مسكينُ الدارمي
عاد بها(٥٨٥) لي يَوْمَ عيدٍ فَمَنْ   كأس التصابى لست بالصائم
حبْرٍ، كريم، ماجد، أروعٍ   بحرٍ، خضَمٍّ، عامل، عالم
يُقْصرُ الأعلم(٥٨٦) عن نَحْوِه   قُصورَ فهم ليس بالفاهم
حتي أبو الأسود(٥٨٧) عنه وَنَى   فليس يُدْعَى بمسوي ظَالم
بخدمَةِ العلم تَسُودُ الوري   ماسيِّدُ القوم سوي الخَادم(٥٨٨)
ذُو راحةٍ للعُدْم من جُودها النا   سخُ والمنسوخُ(٥٨٩) للحَازمي
ماءُ الندي منها جري ثُم كم   في الوَجه من ماء حياً دائِم
فعْلُ الندي منها تعدَّى إلي   كلٍّ وَمعْ ذا صفةٌ باللازم
ونورُ علم لاحَ ما واجِدٌ   له لشمس الأُفقِ بالعادِمِ
إنْ عمَّ خطبٌ فارو من علْمِه   عن نافعٍ فى الدين أوْ عاصِمِ
قَام بلا دنيا لنفعِ الوَرَى   فكيف والدُّنيا مع القَائم(٥٩٠)
وحبُّه عمَّ جميعَ الورى   كطِيبِ كأسِ الماءِ للطَّاعِمِ
فمن خلا من حبِّه قلبُه   فليس عندى منْ بنى آدم
ياسيدى قُلْ لى : متى أرْتَوى   منك بوجه القَادم الغَانِم
وأجتلى ذاك المحيا الذى   يُحْيى ويُجْلى كَدَرَ السهَايمِ؟!
فى زَوْرَةٍ ميمونةٍ لم يكن   صاحبُها للصَّحْب باللايم
تمنحُ ضَرْعَ الهم فيها لمن   عادى، وقرْعُ السن للنَادم(٥٩١)
أشكو إلى الدهر جفَاكُمْ وما   نَفْعُ التَّشكيِّ لسوى رَاحِمِ
والحزمُ قبل العزمِ فانْهضْ إلى   مصرَ نُهوضَ الحازمِ العازم
وأشرب من الملاّحِ فى النيل ما   يحلو لمن مرَّ وللغانم
والشامُ فاعْدل عن مُلاحيِّه   فيها وخَلّ العنب العاصمى
لا جعل الله انتظارى لكم   مثل انتظار الحاكم الفاطمى(٥٩٢)
فدم برغم القدْم شانيكمْ   عُمْرٌ إذا استيقظ كالنائِم
لايفتحُ الراحة عن طاعةٍ   كأنما يلعب بالخاتم.

أحمد(*) بن محمد بن قُرْصَة شهاب الدين بن شمس الدين الأنصارىّ الصعيدى الأصل، المصرى المولد.

كتب إليَّ عدة قصائد منها قوله :

(من الكامل)

مالى أرى الشعراء تكسب عارا ... بهجائهم وتحملوا أوزارا(٥٩٣)
مدحوا الأخساء اللئام فضيعوا (م) ... الأشعار لما أرخصوا الأسعارا(٥٩٤)
فلذاك طفت بباب كل مهذب ... وجعلت شعرى فى الكرام شعارا
وجعلت فى حلب الشمال إقامتى ... يا حبذا دار الكرام جوارا
ولكم دعا مدحى نوال معظم ... فأبت عتوا عنه واستكبارا(٥٩٥)
حتى وجدت لها إماما عالما ... أوصافه تستغرق الأشعارا
لولا صلاح الدين لم أر جلقا ... ولكنت ممن جانب الأشعارا
أسدى المكارم من أكف لم يزل ... معروفها يستعبد الأحرارا(٥٩٦)
وصنائعا غرا أفدن منائحا ... عونا ولدن منايحا أبكارا
فوجدت فى إجماله وجماله ... ما يملأ الأسماع والأبصارا(٥٩٧)
مولى غدت يمناه يمنا لامرىء ... يبغى(٥٩٨) نوالا واليسار يسارا
حلى الزمان وكان قدما عاطلا ... (وأعاد ليل الآملين نهارا)
وحوى معالى فى دمشق مقيمة ... وحديثها بين الورى قد سارا
بلغت به رتبا قرعن(٥٩٩) محلة ... أمست نجوم سمائها أقمارا
زانت فضائله بدائع نظمها ... (كم معصم أضحى يزين سوارا)
ومظفر الأقلام كم أردى بها ... ملكا، وخوف جحفلا جرارا
عجبا لها تجرى بأسود فاحم ... يكسى(٦٠٠) الطروس ظلامه الأنوارا
تمضى بحيث ترى السيوف كليلة ... وتطول حيث ترى الرماح قصارا
تجرى بواحدها ثلاث سحائب ... تحوى الصواعق والحيا المدرارا
وتمده بالفضل حين تمده ... ببديهة لا تتعب الأفكارا
إن رام نائله العفاة أمده ... كرما وإن رام الخميس مغارا(٦٠١)
ملأ الكتاب تهددا فكأنما ... ملأ الكتاب أسنة وشفارا
تجنى النواظر من محاسن خطه ... روضا، ومن ألفاظه أزهارا
خط رماح الخط من خدامه ... إن رام دمرا أو أعز دمارا
وبلاغة تضحى بأدنى فقرة ... تغنى فقيرا أو تقد فقارا
ويشيم رواد الندى من بشره ... برقا، ومن إحسانه أمطارا
بشر يبشر بالجميل، وعادة الـ ... أزهار أن تتقدم الأثمارا
وندى يعم ولا يخص كأنه ... هامى قطار طبق الأقطارا
يستصغر الأمر العظيم إذا غزا ... بعزيمة تستسهل الأوعارا
ويرد غرب الحادثات مفللا ... بسعادة تستخدم الأقدارا
كم ذللت صعبا، وردت ذاهبا ... وحمت أذل، وذللت جبارا

ولقـد عـرفتُ الناسَ من أوطارهم ... سُبحانَ مـن خلَـق الـورَى أطوارَا
يامن عرَفتُ بجوده وجه(٦٠٢) الغنى ... حـقًا وكنتُ(٦٠٣) جهلْته إنكارَا
أغنيـتنى بمـواهبٍ موصولةٍ ... لم تُبْق لى عند الحـوادث ثارا
لا زلت فى عـزٍّ يدومُ ونعـمـةٍ ... توفِي على شمّ الجـبـال وقـارا.

وكتبت أنا جوابه عن ذلك ارتجالا(٦٠٤) :

(من الكامل)

يا شـاعـراً مـلأ الطُروس نهَارا ... وأسـال فـيـه من الدُجى أنهَارا
لـم تُهْد لى نظْماً بديعاً، إنّمـا ... أهـديْتَه فلَكا أراهُ مُدارا
فى كل سطرٍ برْجُ سَعْدٍ ثابتٍ(٦٠٥) ... تبْدو مـعـانيـه به أقمَارَا
لا أرتضي بالروض تشبيها له(٦٠٦) ... إن الزواهرَ تـفـضُل الأزهارا
قلّدتـنـي مـنـه قـلادة منّة ... تسـتـوقفُ الأسمـاعَ والأبصـارا
يغْني النديمَ به؛ فـإن قـوافـيـا ... فـيـه تُدير لمسـمـعيْه عُقـارا
وترِي اللبـيـبَ إذا تعَاطي فهْمَه ... لـم يذْكُرِ الأوطـانَ والأوطـارا
فكأن ذاك الطِرسَ وجْنةُ أغـيـدٍ ... والسطرُ فـيـهـا قـد أسـال عذارا
فـاعـذر شهـابَ الدين من تقـصيـرهِ ... أضـحـى يُلقِي عندك الأعذَارَا
أنا لا أُطيقُ جـوابَ من أشـعـارهِ ... تَنهَلُ حـيـن يرومُهـا أمطَارا
وإذا جرَي فى حلَبـةٍ قصّرتُ عنْ ... غاياته بل لا أشقُ غُبـارا(٦٠٧)
إن الـغـديـرَ وإن تعَاظم قاصـرٌ ... عن أن يقـاوم بحـرَك الزخّارا
وكذا أخـا(٦٠٨) النظم المُزلزَل رُكنُه ... لا يسـتكن مع الجـبـال قـرارا
فخُذ الـقـلـيـلَ إجابـةً وإجازةً ... واعـذر فـمـثلك من أقـال عـثـارا
واعـتـدَ أنك لـم تزُرْ فى جِلّق ... أحـدا، وإنك جـئـت تقبس نارا
فـلأنتَ تعلمُ أننى لم أرْضهَا ... لو أن درهمهـا غـدا ديـنارا
مـا قدرُها مائة لو انى سُقتُها ... إبلا تكون حـمـولُهن بهـارا.

وكتب هو إلى أيضاً(٦٠٩) :

(من المتدارك)

كـم سـيـفَ النظـم أجرّدهُ ... كـم أشـهـره كم أغمُده
كم أنظمُ عـقـدَ جـواهره ... فى مـدح كـريم أقـصـده
كم أجـمـعُ من مـعنى حسنٍ ... وبيـان الشـرح يشـيـده
وإذا أفسدَتْ قـواعـده ... فـصـلاح الدين يسـدده
حـبرٌ بحـرٌ قـد فـاض ندًا ... إن غـاض البـحـر جرت يدُه

طابت في الذرّ عناصره ... وربا مرباه ومولده
لسميّ خليل الله ندا ... لذوي الحاجات تفقّده
وله قلمٌ رطبٌ وتصا ... نيفٌ في البحث تزيده
فالفاضل دون عبارته ... وكذا سحبانُ ومعبده(٦١٠)
وصيانةُ سرِّ الملك لهُ ... قيّدْ في القلب يخلده
غرسٌ والعنبرُ طينتُه ... فلذلك جل تجسده
فالوردُ على خدّيه ومنْ ... إشراق الشمس توقّده
وصلافةُ نفسٍ قد شرُفت ... ومكارمِ خُلُقٍ يعضدُه
يامن أنشاه الله على الـ ... إنشاء فأعذبَ مورده
بالبرْد تردّد لي كانون ... فشق على تردده
والبردُ يشقُّ على العريان ... وليل الصحوة أبرده
لو كان البردُ حديدًا كنت ... بحد المبرد أبرده
لا تسألْ عن شخصي أحدًا ... شخصي كالميت تلحده
جسمي ورقٌ وأبتلّ عسا ... ك ببعض فراك تجلده
جسد بالنار تحرّقه ... ويدق الفحم ترمده
فنسيمُ الصبحِ يشرّحه ... وجليد الأرض يقدده
ويطول الليل على سهري ... فأقول : متى يأتي غده؟!
وقماشيَ كان له صلف ... ببخور العود أعوده
فأتت في الليل له الأمطا (م) ... ر فأخلق منه تجدده
فنقوط(٦١١) الدّلف بصفره ... وبدخان النار يسوده
فاصلح حالي، وانعم بالي ... فبصاد صلاحك ترشده
فالله يديمُ لك الإفضا ... ل وبالنعماء يزيده

أحمد (*) بن محمد الأمير الأجل شهاب الدين المعروف بالحاجبي.

أنشدني لنفسه بسوق الكتب بالقاهرة المحروسة، سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة (فقال(٦١٢)) :

(من البسيط)

أقول شبّه لنا جيد الرشا ترفًا ... يا مُعْمِلَ الفكر في نظم وإنشاء(٦١٣)
(فظل يجهد أياما قريحته ... (وشبه الماء بعد الجهد بالماء)(٦١٤)

فقلت له : أطلقت(٦١٥) الرشا هنا، ولو قلت الرشا الذي سباني، أو جيد معذبي لكان أقعد في التوطئة.

ثم أنشدته فيما بعد لنفسى :

(من البسيط)

أقول شبه لنا كأسا إذا مزج الساقى طلاها اهتدى فى ليله السارى

(فظل يجهد أياما قريحته) وشبه النار بعد الجهد بالنار(٦١٦)

فقال : إلا أننى أنا أتيت بالمثل السائر.

فأنشدته فيما بعد لنفسى :

(من البسيط)

أتي الحبيبُ بوجهِ جلّ خالقُه لمّا يراه بلطفٍ فتنةُ الرائى
فلاح شخص عدوٍّ لى وسْطَ وجنته فقلت : شبهه لى فى فرط لألاء
(فظل(٦١٧) يجهد أياما قريحته) (وشبه الماء بعد الجهد بالماء)

ولما سمع قولى(٦١٨) :

(من الرجز)

قالت لأيري، وَهْوَ فيها ضائعٌ كالحبل وسط البئر إذ تلقيه:
قد عشت فى كُسٍّ كبيرٍ قلت : ما كذبت، لأن الكاف للتّشبيه.

قال(٦١٩) هو مختصرا وأجاد :

(من السريع)

رب صغيرٍ حين ولّفْتُه أيقنتُ لا يُدْخل إلا اليسير
ألفيته كالبدر فى وُسْعِه حتى عجبنا من صغيرٍ كبير.

وكذا لما سمع قولى :

(من الكامل)

ياطيب نَشْرٍ هبّ لى من أرضكمْ فأثار كامنَ لوعتى بتهتكى
أدّى تحيّتكمْ وأشبه لطفكمْ وروى شذاكمْ، إنّ ذا نشرٌ ذكى(٦٢٠)

نظمه أيضا وقال(٦٢١) :

(من الكامل)

لا تَبْعثُوا غيرَ الصبَا بتحيَّةٍ ما طابَ في سمعي حديثُ سواها
حفَظَتْ أحاديثَ الهوى وتَضوَّعَتْ نشْرًا، فيا لله ما أذْكاهَا

ولما أنشدنيها قلت له : إلا أنك نقصتها صفة عما وصفتها به، فاعترف.

أحمد(*) بن محمد بن أبى بكر بن عماد الدين أبى الحرم مكّىَ بن مسلمٍ بن أبى الخوف، شهابُ الدين.

كتب إلى ونحن بالقاهرة المحروسة فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة: (٦٢٢)

(من الطويل)

أيا سيدًا(٦٢٣) ساد الورى بفضائلٍ تَنَاهتْ فما أضحى لهُن عديلُ
تَقَمَّصْتَ ثوبَ العلم والحِلْمِ والنّدى(٦٢٤) فأنت صلاحٌ للورى وخليل(٦٢٥)
ولست خليلاً بل خليجًا لواردٍ غَلِطْتُ فسامحنى فنيْلُكَ نيل.

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك(٦٢٦) :

(من الطويل)

أيا ابن أبى الخوف الذى أمنَتْ به طرائقُ نَظْمٍ واستبان دليلُ
لقد فُتَّ غاياتِ الأولى سبَقُوا إلى نهاياتِ فَضْلٍ ما لهُنَّ سبيل(٦٢٧)
فأنت على هذا الزَّمان كثيِّرٌ ورأيُك في النَّظم البديع جميل.

*** أحمد بن يحيى بن فضل بن المجلى بن دعجان بن خلف بن أبى الفضل، نصر بن منصور، القاضى شهابُ الدين أبو العباس بن القاضى محيى الدين، صاحبُ ديوان الإنشاءِ الشريف بالشام المحروس.**

كتب هو إلى مُلْغِزا فى زُبَيْدَة(٦٢٨) :

(من الخفيف)

أيها الفاضلُ الذي حاز فضلاً ما عليه من مزيدِ

قد تدانى عبدُ الرحيم إليه ... وثنائى لديه عبد الحميد
أىُّ شيء سُمِّى به ذاتُ خدر ... تائه بالإماء أو بالعبيد
هُوَ وَصْفٌ لذات ستر(٦٢٩) مَصُونٍ ... وهْىَ لم تخف فى جميع الوجود
مذ مضى حينُها بها ليس تأتى ... وهْىَ تأتى مع الربيع الجديد(٦٣٠)
وهْوَ مما يُبَشِّر الناسَ طُرّاً ... منهُ مأتىً وكثرةٌ فى العديد
وحلِيٌّ أرادَه لا لذاتٍ(٦٣١) ... بل لشيءٍ سواهُ فى المقصود
ذاك شيءٌ من ارتجاهُ سفيه ... وهْوَ شيءٌ مخصصٌ بالرشيد(٦٣٢)

فكتبت أنا الجواب(٦٣٣) إليه :

(من الخفيف)

يا فريداً ألفاظه كالفريد ... ومَجيداً قد فاقَ عبدالمجيد(٦٣٤)
وإمامَ الأنام فى كلِّ علم ... وشريكاً فى الفضل للتوحيدى(٦٣٥)
(عرف(٦٣٦) العالمون فضلك ... بالعلم وقال الجهال بالتقليد)
من تمنى بأن يرى لك شِبْهاً ... رامَ نقصاً بالجهل حكمَ الوجود
طال قدرى على السماكين لمّا ... جاءنى منه عقدُ درٍّ نضيد(٦٣٧)
شابَهَ الدرَّ فى النظام ولمّا ... شابَهَ السحرَ شاب رأسُ الوليد(٦٣٨)
هوَ لغزٌ فى ذات خدرٍ منيع ... نزلتْ فى العلا بقصرٍ مشيد
هِىَ أمُّ الأمين(٦٣٩) ذاتُ المعالى ... من بنى هاشمٍ ذوى التأييد
أنت كنت الهادى(٦٤٠) لمعناه حقاً ... حين لوّحتَ لى بذكر الرشيد
دُمتَ تهدى إلى كلِّ عجيب ... ما عليه فى حسنه من مزيد.

وكتبت أنا إليه ملغزا فى نجم(٦٤١) :

(من السريع)

يا سيداً أقلامُهُ لم تزل ... تُهدى لآلى النظم والنثر
قُلْ لى : ما اسمٌ لم يزل قلبُه ... معذَّبا بالبيض والسمر(٦٤٢)
وكلُّه فى الأرض أو فى السَّما ... وثلثُه يسبح فى البحر(٦٤٣)

فكتب هو الجواب إلىّ(٦٤٤)

(من السريع)

دُمتَ خليلى سائرَ الذكر ... مثلَ الذى ألغزتَ فى القدرِ

بعثتها نجمية قد حلت — لكنها من سكر الشكر
تطلع بالنجم فأما الذى — فى مطمح الزهر أو الزهر(٦٤٥)
عجبت منه كيف شق الدجى — وما أتى إلا مع الفجر
من صنعة البر ولكنه — قد جاءنى فى راحة البحر
أقسمت منه قسما بالغنا — بالفجر (والليل إذا يسر)(٦٤٦)
لقد أعزت الغيد إذ لم تجد — شبيهه فى الجيد والثغر
بعقد در ما له قيمة — يا حسنه للكوكب الدرى
مسهد تذكى له مقلة — مقلوبة كالنظر الشزر
وهو إذا حققت تعريفه — عرفت منه منزل البدر
بواحد عدوا له سبعة — تقيس نيل الليل بالشبر(٦٤٧)
فاعذر أخى اليوم إن قصرت — بديهتى، واقبل لها عذرى
فليس بالألغاز لى عادة — ولا غزا فى جيشها فكرى.

وكتب هو إلى، وقد تواترت الأمطار والثلوج والرعود، والبروق (فى سنة أربع وأربعين وسبعمائة)(٦٤٨):

كيف أصبح مولانا فى هذا الشتاء الذى أقبل يرعب بمقدمه، ويرهب تقدمه، ويريب اللبيب من برقه المومض تبسمه؟! وكيف حاله فى رعوده الصارخة، ورياحه النافخه، ووجوه أيامه الكالحه، وشرر لياليه التى لا تبيت منها بليلة صالحه. وسحابه وأمواجه، وجليده والمشى فوق زجاجه. وتراكم مطره الأنيث، وتطاول فرعه الأثيث(٦٤٩)، ومواقده الممقوته، وذائب جمره، وأهون به، ولو أن كل حمراء يافوته(٦٥٠)، وتحدر نوءه المتصبب، وتحير نجمه المتصبب؟! وكيف هو مع جيشه الذى ما أطل حتى مد مضارب غمامه(٦٥١)، وظلل الجو بمثل أجنحة الفواخت(٦٥٢) من أعلامه؟!، هذا على أنه حل عرا الأبنية، وحلل مما تلف فى ذمه سالف الأشتيه. فلقد جاء من البرد بمارض العظام وأنخرها، ودق فخارات الأجسام وفخرها. وجمد فى الفم الريق، وعقد اللسان إلا أنه لسان المنطيق(٦٥٣) وييس الأصابع، حتى كادت أغصانها توقد حطبا، وقيد الأرجل، فلا تمشى إلا تتوقع عطبا، وأتى الزمهرير بجنود ما للقوى بها قبل(٦٥٤)، وحمل الأجسام من ثقل الثياب، مالا يعصم منه، من «قال سآوى إلى جبل»(٦٥٥)، ومد من السيل ما استبكى العيون إذا جرى، واجتحف ما أتى عليه، وأول ما بدا الدمع بالكرى. فكيف أنت ياسيدى فى هذه الأحوال؟ وكيف أنت فى مقاساة هذه الأهوال؟!!

وكيف رأيت منها ما شيَّبَ بثلجه نواصي الجبال، وجاء بالبحر فتَلَقَّفَ ثُعبانهُ ما ألقته هرَاوات البُرودة من عِصِيٍّ، وخيوطُ السحب من حبال(٦٥٦)؟

أما نحن فبين أمواج من السحبِ تَزْدَحِم، وفي رأسْ جبل لا يُعصم فيه من الماء إلاَّ مَن رُحم.

وكيف سيِّدنا مع مجامر كانون(٦٥٧)، وشرار برقها القادح، وهمِّ وَدْقها الفادح، وقوسِ قزحها المتلون(٦٥٨)، رد الله عليه صوائب سهامه، وبدل منه بوشائع حلل الربيع ونضارةِ أيامه، وجعل حظَّ مولانا من لواقحه ما يذكيه ذهنه من ضرامه، ومن سوافحه ما يولِّده فكره من تؤامه وعوضنا وإياه بالصيف، والله يتقبل، وأراحنا من هذا الشتاء، ومَشَّى غمامه المتبختر بِكُمِّه المسبل. بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى؟!!

فكتبت أنا الجواب إليه:

يقبل الأرض، وينهى ورودَ هذه الرقعةِ التي هي طِرازٌ في حلَّة الدهر، وحديقةٌ ذكّرت زمن الربيع وما تهديه أيامه من الزهر. فوقف منها على الروض الذي تهدلت فروع غصونه بالأثمار، ونظر منها إلى الأفق الذي كل كواكبه شموس وأقمار، وأنشأت له أطرابه، وأعلمته أن قلم مولانا يفعل بالألباب، ما لا تفعله نغمة الشبابهْ، وأرشفته سلافا كئوسها الحروف، وكل نقطة حبابه، وشاهد أوصافَ هذه الأيام المباركة القدوم، المتصلة الظلام، فلا أوحش الله من طلعة الشمس، وحاجب الهلال، وعيون النجوم. فما لنا ولهذه السحائب السَّحَّابَة، والغمايم السكَّابه، والرعودِ الصخَّابه والبروق اللَّهَّابه، والثلوج التي أصبحت بحصبائها حصَّابه، والبردِ الذي أمست إبره لغصون الجلود قطابه، والزُّميتا(٦٥٩) التي لا تَروى عنِ أبي ذرّ(٦٦٠)، إلا ويروى الغيثُ عن أبي قُلاَبه، كلما أقبلت فحمةُ ظلام قدحت فيها البوارقُ شرار جمرتها، وكلما جاءت سحابةٌ كحلاء الجفون، رجعت مرْهاءَ لما أسيلته من عبْرتها، فما هذا شهر طوبه، إن هذا إلا جبلُ ثهلان(٦٦١)، وما هذا كانون، إن هذا إلا تنُّور الطوفان. فإلى متى قُطْنُ هذه الثلوجِ يطرح على جبابِ الجبال؟!!

وإلى متى تفاض دلاصُ الأنهار، ويرْشقها قوسُ قُزحَ بالنبال؟!. وإلى متى تُشقَّق السَّحابُ ما لها من الحلل والحبر؟!. وإلى متى تُرْسَلُ خيوط المزن من الجو، وفي أطرافها على الغُدْران إبر؟! وإلى متى تجمد عيون الغمام، وتكْحلها البروق بالنار؟!. وإلى متى نثارُ هذه الفضة وما يرى من النجوم دينار؟!.. وإلى متى نحن نحنو على النار (حنو المرضعات على الفطيم(٦٦٢)؟!) . وإلى متى تبكي الميازِيب:

(من الوافر)

بكاءَ الأولياء بغير حزنٍ إذا استَوْلَوْا على مال اليتيم؟!

.. وإلى متى هذا البرقُ تتلوى بطونُ حيّاتِه، وتتقلّب حماليقُ العيونِ المحمرةُ من أُسود غاباته؟!.. وإلى متى يُزَمْجِرِ عَتَبُ هذه الرياحِ العاصفة؟!.. وإلى متى يُرسِل الزمهريرُ أعوانا تصبح حلاوةُ الوجوه بها تالفة؟!.. أترى هذه الأمطارتَقلّبُ بالأزيار، أم هذه المواليدُ التي تنتهي فيها الأعمار؟!.. كم من جليد يذوب به قلبُ الجليد، ويُرى زجاجه الشفافُ أصلبَ من الحديد.. ووحَلٍ لا تمشي هريرة فيه الوحي[٦٦٣]، وبردٍ لا تنطق فيه نوؤم الضحى[٦٦٤]. (اللهم حوالينا ولا علينا)[٦٦٥].

لقد أضجرنا تراكمُ الثياب، ومقاساةُ ما لهذه الرّحْمَةِ من العذاب، وانجماعُ كلٍّ عن إلفه وإغلاقُ باب القباب، وتخُّللُ الضّباب زوايا البيوت، فالأطفال ضبابُ الضباب، كل ضبٍّ منهم قد ألف باطن نافقائه[٦٦٦]، وقدَم بين يديه الموت بداية بدائه. قد حسد على النار من أمسى مذنبا، وأصبح[٦٦٧] عاصيا، وتمنى أن يرى من فواكه الجنات عنَابا وقراصيا. فإن كانت هذه الأمطارُ تُكاثرُ مُكارمَ مولانا فيا طولَ ما تَصفَحَ، وإن كانت العواصف تَتَشَبّه ببأسه فيا طول ما تلفح، وإن كانت البروقُ تحاكي ذهنَه المُتسرِّع فيا طول ما تتألّقَ، وإن كانت قوسُ قزح تتلون خجلا من طرسه فيا طول ما تتأنق. وإن كانت الرعودُ تُحاكي جوانح أعدائه؛ فيا طول ما تشهق وتَفْهَق. وإن كانت السيولُ تجري وراء جوده، فإنها تجري على طول المدى وما تَلْحَقْ... والأَوْلى بهذا النوءِ الباكي ألا يُحاكي، والأَليَقَ بهذا الفصلِ المُبغّض، ألا يتعرض (فرحم الله مَنْ عَرَفَ قدره)[٦٦٨] وتحقق أنّ مولانا في الوُجودِ ندره. أُنهي ذلك.

فكتب هو الجواب أيضا[٦٦٩] عن جوابي: وينهي وُرُودَ جوابه الكريم. فوقف عليه، وتَيَمَنَ لمجرد إقباله (إليه)[٦٧٠]، وقَبّله لقرب عهده بيديه، وأعدّه لجلاء المره، فأمَرّه على عيْنيه، وشَكَرَه وإن لم تزَل حقائبُ الشكر محطُوطةً لديه. لا برح الشُهْدُ من جنَى ريقه المعَلّلْ، والطربُ بكأسِ رحيقه المحلّل، والتِّيهُ ـ وحاشاه منه ـ في سُلوك طريقه المذلل، والسحابُ لا يطيرُ إلا بجناح نَعمائِهِ المبَلّل، والروضُ لا يبرُز إلا في ثوبِ زُخْرفه المُجلّلْ، والبرقَ لا يهتز

إلا فى مُسبَل ردائه المُثلل، والجهدُ ـ ولو كلف ـ لا يجىءُ بمثل سيْره المُدلل، والنصرُ يُقْضي لمواضيه على حدّ حُسامه المفَلّل، والفجر ـ لولا بيانه الوضّاحُ ـ لَمَا أَرْشَدَ لَيْلَهُ المضلل، والبحر ـ لولا عرَقٌ من حياء كرمه الزاخر ـ لما نمّ على غزر المادّة نواله المقلّل، والفخر ـ وإن شمخ أنفه ـ لا يناقض عقده الموشّح، ولا يتطاول إلى تاجه المكلل. وفهمه فهَام، واقتبسه فجلا الأوهام، ونظر فيه فزاد صِقال الأفهام، وقصّر عن إدراكه فما شك أنّهُ إلهام. وانتهى فيه إلى الجواب فى وصف أنواء تلك الليلة الماطرة، وما موّهتْ (به)(٦٧١) السحبُ من ذهب برقها، وفتلتْهُ الأنواءُ من خيوط ودْقها، ونفخت فيه الرّياحُ من جمْر كانونها وأظهرتْهُ حقيقةُ الرعود من سرّ مكْنونها، وما بثّته عارضةُ ذلك العارضِ المُمْطِر الذى هو أقوى من شآبيبها، وأوفى مما أرقَتْه السماءُ من جلابيبها، وأسرى من برقها المومِض فى غرابيبها، وأسرع من سرى رياحها، وقد جمعتْ أطواقَ السحائب وأخذَتْ بتلابيبها. وسبّح المملوك من عجب لهذه البلاغة التى كملَت الفضائل، وفضلَت عن العلم، وفى الرعيل الأول علمُ الأوائل. وفضلّت مُبْدعَها، وحقّ له التفضيل، وآتته جُملةَ الفضل، وفى ضمنْها التفضيل، وأنطقت لسان بيانه، وأخرست كل لسانَ، وأجرتْ قَلمَ كرمه، وأحرزت كلّ إحْسَان، ونشرتْ علَمَ علْمه، وأدْخلتْه تحْتَه (٦٧٢) كل فاضل، وأرهفت شبا حدّه، وقطعتْ به كلّ مُناظر ومُناضل(٦٧٣). وقالت للسحاب ـ وقد طبّق ـ إليك؛ فإن البحر قد جاءك، وللنوء، وقد أغدق، تنح؛ فإن هذا (٦٧٤) قد حصر أرْجاءك، وللرّعْد، وقد صرَخ، اسكت؛ فقد آن لهذه الشقاشق أن تُسكّتْ، وللبرق، وقد نسخَ آيةَ الليل، استدرك غلطَك لئلا تُبكّتْ؛ أما ترى هذه العلومَ الجمة، وكيف زخر بحرها، وأثّر فى الألباب سحرُها، وهذه الفضائل، وكيف تفنّنتْ فنونها، وفُتنت عيونُها، وتهدلت بالأثمار أفنانُها، وتزخْرفت بالمحاسن جنانها، وهذه الألمعيّةَ، وكيف ذهّبتْ الأصائل، وهذه اللوذعيّةَ، وما أبقت مقالا لقائل(٦٧٥)، وهذه الفواصلَ، وقد توقّد ذُبالها، وتقدّد بها أديمُ الظلام، وتشقق سرْبالُها، وهذه البراعةَ التى فاضت، فكل منها سكرانُ طافح، وهذه الفصَاحةَ، وما غادرت بين الجوانح، وهذه البلاغةَ، وقد سالت بأعناق المطىّ بها الأباطح(٦٧٦)، وهذه الصناعةَ وقد استعين عليها من أهلها بصالح، وهذه الصياغةَ، وما تارك فنّ الجواهرَ لها الأرابح، وهذه الحكمَ البوالغ، وهذه النعمَ السوابغ، وهذه الدِّيمَ التى لا تملأ حوضَها من إناء فارغ، وهذه الشيمَ التى لو تنكّرت ثم مزجتْ بالفرات لما شرب لسابغ، [وهذه الهمم التى

برقت بتوجّهها إلى السماء فكشفت غيابةَ عارضها](٦٧٧)، وكفت غوايةَ البرق وقد ولع وخطّ مشيبه بخط عارضها(٦٨٧)، حتى جلاها وأضحاها، و﴿أغطش ليلها وأخرج ضحاها﴾(٦٧٩)، ونفخ رماد سحابها المنجلى عن اللهب(٦٨٠)، وصفّح جوها الفضىّ باللجين، وشمّرته الشمس بالذهب، وجلا صدأ تلك الليلة عن صفحة ذلك اليوم المشمس، وبدّل بذلك الصحو المطلع من ذلك الغيم المبلس، ونقّى لا زورْدَ السماء من تلك الشوائب، ووقّى عرض ذلك النهار اليقق من المعائب، وأترع غدير ذلك الصباح خالصا، من الرنق، وضوّع عنبر ذلك الثرى خاليا من اللثق(٦٨١)، وأطلع شمس ذلك اليوم توشّع جانب مشرقها، ويوشى بذائب الذهب رداء أفقها، فقلت:

(من السريع)

كأنما اليـــوم وقـــد موّهت	مشرقه(٦٨٢) الشمسُ ولا جاهدُ
ثوبٌ من الشـــرب ولكنّه	طرّزَ منه كمّه الواحـــدُ

أستغفر الله بل بشرُ ذلك البشر، بل ذلك الملكُ الكريم(٦٨٣)، وصفيحةُ وجهه المتهلل الوسيم، لا، بل صحيفةُ عمله، وصبيحةُ أمله، وأنموذجُ إيثاره، وضوء يده البيضاء وآثاره، وشبيه ما يفضه لؤلؤه من نثاره، وغير هذا من أياديه البيض على إقلال العدّ له وإكثاره. فلله تلك اليدُ المقبّله. وتلك اليدُ المؤمّله، ولله تلك المواهبُ المجزلة، ولله تلك الراحةُ التى لا يقاس بها الثريا، ولا تجىء الجوزاءُ (فيها)(٦٨٤) أنملَه. ولله ذلك البيانُ الساحر، وذلك البنان الساخر، وذلك اللسان المذرّب، والبحر الزاخر، وذلك الإنسانُ الذى طال باعُ علمه، وطار فأوقد ضرام اليوم المشمس شعاعُ فهمه، وطاب جنى عزه، وجناب حلمه، وطاف الأرض صيته، ونفق كاسد الفضل باسمه، ولله ولله لسيّدٍ جاء بالفضل كله، ولُبّى بالأمر على حلّه(٦٨٥)، واقتبس من نوره، وآوى إلى ظلّه، لقد ألبس المملوك رداءَ الفخار، وعرّفه العوم، وكان لا يطمع أن يشق بحره الزخّار، ومحا عنه صبغ دُجنّة تلك الليلة، وقصّر عن ذيلها، وقهقر من سيلها، وأخذ بعقيصتها، وأغرق(٦٨٦)، فى تيار النهار سواد ليلها، وأطلق لسانه من الاعتقال، وأنطق بيانه فقال، ووقّفه فى البيان، ولولا توقيفه لما نطق، ووفّقه ولولا إيقافه لغبّر على آثاره فى وجه من سبق، وقام وأقام الحجةَ على البلغاء، حيث لا يجد من يقول إلا صدق. تمت

فلما رأيت ما هالنى، وغل عقلى وغالنى، كتبت الجواب عن ذلك نظما وهو(٦٨٧):

من الكامل

جـاءَ الجـوابُ يزفُّ منك فـواضـلاً ... ويرفُّ في روض البيان(٦٨٨) خمائلاَ
أغـرقت غـرَّ السحبِ حين وصفتها ... يا من غـدا بحـراً يمـوجُ فـضـائلاَ
لو لم تكنْ بمنَاكَ بحـراً زاخراً ... مـا أرسلتْ تلك السطورَ جداولاً
ضَرْبٌ من السحر الحلال(٦٨٩) متى تشا ... أخْرَجْتَهُ فيـعـودُ ضَرباً داخلاً
مـا إن جـلا راويه حُورَ بيـانه ... إلا وزانَ مـشـاهداً ومحـافلاَ
فمتى يرومُ به اللَّحاقَ مقصِّرٌ ... والنجمُ أقربُ من مداهُ تناوُلا؟!
أبرزتَه أفقاً فكلُّ قرينةٍ ... برج حوى معناه بدراً كاملا
فكأنما تلك الحروفُ حدائقٌ ... أمستْ معانيها تصوغُ بلابلاَ
وكـأنّ ذاكَ الطرس خدٌّ رائقٌ ... والسطرُ فيه غدا عذاراً سائلاَ
مَهْلاً أبا العباس قد أفحمْتني ... وتركتني بعدَ التَّعلِّي عاطلاَ
بالله قلْ لي عندما سطَّرتَهُ ... هل كنت تزعمُ أن تجيب الفاضلاَ؟
أقسمتُ لو جاراك في إنشائه ... ما كان ضمَّ على اليراعِ أناملاَ
حركتُ منك حميةً عدويةً ... ملأت فضاء الطرس منه جحافلا
كم فيه من لامِ كلامةِ فارسٍ ... قد هزَّ من ألفاتِ خطك ذابلا
هل شئتَ أن تُنشي الجوابَ سحابةً ... تَنْدَى، فجاءت منك سيلاً سائلاً؟!
يا فارسَ الإنشاء رفقاً بالذي ... نازلتَه يومَ الترسلِ راجلاً
لو رام أن يجري وراءك خُطوةً ... نصبتْ له تلك الحروفُ حبائلاَ
فاحبس عِنانك قد تجاوزتَ المدى ... وتركتَ سحبانَ الفصاحةِ باقلا(٦٩٠)
والفاضلُ المسكينُ أصبح فكُّهُ ... من بَعْدِ ما قد راح فينا خاملا
فاسلم لتبليغ النفوس مرامَها ... فالدهرُ في أبواب فضلكَ ماثلاَ
كم فيك لي أمل يروقُ لأنني ... أدري بأنك لا تُخيِّبُ آملا.

فكتب الجواب عن ذلك أيضاً: (٦٩١)

(من الكامل)

وافى الكمىُّ بها يهزُّ مُناصِلا ... ويرومُ صبغًا للشبيبةِ ناصِلاً
سبق الظلامَ بها بزينة ليله ... ولو انهُ فى الفجر حلى العاطلا
حمْرَاءُ قانيةٌ يذوبُ شَعاعُها ... وترى حصى الياقوتِ منها سائلا
حمراء قانيةٌ يحث كئوسُها ... وقعَ الصوارم والوشيج الذابلا
ذهبيةٌ ما عزّ عانةَ كرْمُها[692] ... لكنه كفُّ الكريم شمائلا
كفٌّ لمنبجس النوالِ كأنما ... دفعُ السيول تمدَّ منه نائلا
كرمٌ خليليٌّ يمدَّ سماطَهُ ... ويشبّ نارًا للقرى وفواضلا
ولهيبُ فكرٍ لو يطير شرارهُ ... منه لما بلَّ السحابُ الوابلا
يُذكى به فى كلّ صبحة قرّة ... فهماً لنيرانِ القرائحِ آكلا
عجبا له من سابق متأخرٍ ... فاقَ الأواخر ثمّ فاتَ أوائلا
دانَوه فى شبَهٍ؛ وما قِيسُوا به ... مَنْ ذا تراهُ للغمامِ مساجلا؟!
ماثلْ به البحرَ الخضمّ فإنهُ ... لا يرتضى خلقًا سواه مماثلا
وافتْ عقيلتُهُ ولو بذل امرؤٌ ... فيها استقل من البروج معاقلا
جاءت شبيهَ الخوْد فى حُلَلٍ لها ... حُمرٍ كنوّارِ الشقيق مواثلا
قد خُضِبت بدم الحسود أمَا ترى ... أثرَ السواد بها عليه دلائلا؟!
حللٌ على سحْبانَ تَسحبُ بُرْدَهَا ... وتَجرُّ من طرفَ الذيول الفاضلا
خلتُ الهلال[693] يلوح طِلْعَ نقابِها ... حتى نضت فرأيت بدرًا كاملاً
بنتُ القريحةِ ما ونت فى خِدْرِها ... حسنُ المليحة أن تواصل عاجلا
جاءت تصوغَ من العناقِ أساورًا ... لا بلْ تخوضُ من السيول خلاخلا
قبّلتُها وأعدت تقبيلى لها ... إنّ المتيم لا يخاف العاذلا
وأتت وجيْش النَّوْءِ مرهوبُ السَّطا ... ملأ الوجود له قنًا وقنابلا
والبرقُ مشبوبُ الضّرام لأنهُ ... صاد الغزالةَ حيث مدّ حبائلا[694]
وافت ورأسُ الطود يشكو ألمهُ[695] ... قد عممتْ بالثلج شيبًا شاملا
(وكأنما نثرت قراضةَ فضّةٍ ... أيدى البروق وقد حرقن أناملا[696]
ملأت به كل الفضاء فلا ترى ... إلا لجينًا جامدًا أو سائلا[697]
والأفقُ كالكاس المفضّضِ ملؤُهُ ... صهباءُ قدْ عقدتْ حبابًا جائلا
أثناء يومٍ قد تقهقر ضوءُهُ ... وبدا ذُبالاً فى الأصائلِ ناصِلا[698]
والجو منخرقُ القميص كأنّهُ ... حنِقٌ يقدُّ من السحابِ غلائلا

والسيلُ منحدرٌ يسلُّ مهنداً إفرندهُ ذهبٌ يمدُّ سلاسلا(٦٩٩)
لله أنت أبا الصفاء فإنني ألقى خليلا منكَ لي ومُخالِلا
أنت الذي حلقتَ صقراً أجدلاً وضممتَ في بُردَيْكَ ليثاً باسلا
يا من يُنَفِّقُ سوقَ كلِّ فضيلةٍ أسْفِرْ، فما أبقيتَ بعدك فاضلاً.

وكتب هو إلى دمشق المحروسة وأنا بالقاهرة المحروسة، يصف الثلج الكائن في شهر الله المحرّم سنة خمس وأربعين وسبعمائة (٧٠٠):

يُقبِّل كذا، لا رأى في هذا الشتاء كيف حالُ أودِّائه؟، وكيف حالُ بلده الذي رقّت عليه حتى القاسية قلوبُ أعدائه؟. وكيف حالُ الناسِ تحت ذيول هذه الأشتية المحروره(٧٠١)، ونوافض هذه الرعود المقروره، وقُرْح شُقر هذه البروق المفْرُورة(٧٠٢)، وغررِ هذه الأيامِ المغْروره، وسوافي هذه الغيوث المذْروره، وضرر هذه الأنواء الرّواء المضْروره، وسيوفِ هذه السيول الحدّةِ المطْروره(٧٠٣)، ونزولِ هذه الثلوج بعُقد البلاءِ المصْروره، ومشي الخلائق في أودية هذه السحب المزروره(٧٠٤)، وعبوس هذه الثنايا الضاحكة، وما هي مسروره، ونوازلِ هذه الأمطارِ التي وُلِدَتْ، بمواقعها، القضبُ مَخْتونَة، ودارات النهر مسرورة، وعواصفِ هذه الأيام التي كأنّ بها جِنّةً أو هي لكثرة المرورِ ممْرُورة(٧٠٥)، وكلَبِ برْدِ هذه الليالي الذي أصبحت تَتَشكّاه الكبودُ المحْرُورة، وبُعْدِ مولانا الذي يعدل عمْرةً كاملة(٧٠٦)، وحجة مبرورة؟!!. فلقد أنسى السنة الماضية ونَشَر ميتَها المدروج، وأعاد ماضيها وليته إذ جمّد النبات لاكرّرَ سكّرَ الثلوج، وساء أحوال(٧٠٧) المدينة، وطاف طوفانه بالجامع(٧٠٨)، وغرّق السفينة، وأشاب رأس النسر، وغطّى الهلالَ، وكسّر الصحن وأكل الحائط الشمالي باليمين والشمال، (وآذى المآذنَ والمؤذنين، وأخْرس(٧٠٩) القُرّاءَ والمؤمنين) واقشعرت لبرد أيامه البرادة، وشهد المشهد بغَمَاء غمامه(٧١٠)، وأقامت سبابات المآذن للشهادة، وبَطَلَت ألوان(٧١١) باب البريد المُعْددة، وجرّتْ أركانُ جيرون وأبوابُه ،في عمَدٍ(٧١٢) مُمَدّده، وجال على الدهماء والخضراء بشهب خيوله، وفتح أفواه أوديته والتقم أرقَمَ كلَّ نهر مُتَلَوٍّ وشربَه بسيوله، وساء بياض يومه سُودَ مراتعها، وخضّرَ مرابعها، وشوّه في هذه الشّتْوَة الألوان(٧١٣)، وبسط ذَيْلَه على الوهاد، وعَقَدَ حباه على الكثبان، وجاء هذا الشتاءُ بالعجبِ، وذكّر دمشقَ في هذه السنة

بما خلا في الخالية من واقعة حلب(٧١٤)، وأسى في كل ليلةٍ من ليالي رمضان لِيلة جمادى ودفن ثلجها سواءات ثلجٍ سنتنا الماضية، وذر عليها رمادا، وطالت أيامه والأعمار الذاهبة به قصار، واستطالت جنوده المهاجرة، وقلّت الأنصار، وجامت أفواجه وكانت في علم الغيب، وقدمت وراء البروق من بلاد الروم، وقادمها صهيب(٧١٥)، وأقبلت السحب بخيوط أنوائها ،وتقطعت الأسباب(٧١٦)، وفُتحتْ خُوَخَ(٧١٧) البروق في السماء المُفتَّحةَ الأبواب، وأصبحت بغارب(٧١٨) النوء كلُّ ذُرْوَةٍ كأنها سنَام، وبمُجتحف السيل كلُّ عينٍ كأنها منام، ووقع كل جبل على جنبه، وقد عَصَبَ رأسه مما تصدع، وفاض كلُّ وادٍ امتلاً بطنه مما شرب وانتفخت روابيه مما تضلّع، وعمت أهْوال، وغمت(٧١٩) أحوال، وكان للمدينة أيُّ يوم، ولليلتها(٧٢٠) في يومه أيُّ نوم، ودَخلّتها بالجواريف البقرُ لجرف الثلج، وما دخلت آلةُ الحرث دار قوم(٧٢١).

هذا، بعد توالى أيامٍ ما نعرفُ ما نقولُ فيها إلا أنها شغلت الشيخ أبا تمام(٧٢٢)، وشيبت الوليد، وحجبت الدار فما نظر إليها من وراء زجاجة من الجليد(٧٢٣)، وعزّ بها حتى على الميت أن يُقْبَر، ولم يرفيها إلا قتيلٌ في بيته، إلا أنه القتيلُ المصبّر، ولم(٧٢٤) يبدُ من شهود الجبال ذوات الذوائب إلا كلُّ مُعَذّب بالرحمة، ولا من عهود الغمام المُمْتدّ السحائب، إلا كلُّ منشور أبيضَ كالفحمة(٧٢٥). فلما راع المملوكَ منظره وساءه، ورأى نهاره الطويل وقد جعل طَرْفَ جناحيه مسَاءه، استصْرَخ على رُعوده الصّارِخَة، واستعان على بُروقه النافخَة، واستنصر عليه بكلّ من يهتف به الدّاعي، وتهفو إليه المساعي، وأرسل رُسله يشكو سعْيَ هذا المطر المُفْسد، فجاءوا يَجْرِي وراءهم السّاعي، ولم يدع منهم من لم يُسْترشّ(٧٢٦) بجناحه، وتفرس عاديَةَ هذا العدو بسلاحه، ويردّ به أشدّ بأسا من هذا الشتاء، فأما هو وكلّب برده، فلا يُسخى بحجرٍ لنُباحه.

وقد جمع المملوك ذلك كله الابتداءات والأجوبة بين دفتيْ دفتر وأضاف إليه مقاما من ذخائر مولانا التى لم يزل بها يتكَثّر(٧٢٧)، وأثبت هذا الكتاب، وأخلى مكان الجواب، فلطه يُنْعِم به لا بَرِحَ مُنْعِماَ، ولازال سالما ما عليه إلا ما يَرِدُ من مطر السَما، ولا فتى يُكمل النقصَ، ولو لم يكن ما لكا لما جُعِل، وحاشاه من الريب متمما. إن شاء الله تعالى.

فكتبت أنا الجواب إليه(٧٢٨):

يُقَبَّل الأرض التى يخجلُ السحابُ من نَدَاها، ويشفى لثم تُرابها القلوب من صداها[٧٢٩]، وتؤمها الأيام بالمن وتعدوها الخطوب إلى عداها، تقبيلا يزداد به شرفا، ويعتاد تكراره، ولا يعتده سرفا، ويجعل مواطئها بمواقع لثمه روضة أُنفا.. وينهى ورود المثال العالى تجلى حبرهُ فى حبَرِه ويفضح زهر الأفق روضه بزَهره، وتتحقق النواظر حسن صنائعه، وما دبجه القلمُ فيه بأثره[٧٣٠]، ويهْدِى إلى الأسماع إنعامه، ويَجلُو على العيون صُورَ سُوَره. فوقف له وانتصب، وافتخر بوروده على بنى الأيام وانتسب، وانتهى إلى الإشارة الكريمة فى أخبار الثلوج التى طمت وعمت، وأوضحت أنباؤها وما غمت، وساقت إلى الشام قطارَ القطارِ وزمت[٧٣١] ونمَت برَكات مواقعها وملَت وتمَت، وهمَت سحائبها بالعذاب وأهمت، فإن لم تبلغ القلوب الحناجر فقد همت، فإن كانت هذه السنة أربت بالثلوج على الأولى[٧٣٢] وزادت عرض الأرض طولا، وجعلت صحيحات النواظر حولا ـ فما يظن المملوك إلا أن الله تعالى نسف جبال[٧٣٣] الشام ثلجا وجبل حواجبها الممتدة على عيون الأرض بلجا. على أن الديار المصرية فى هذاا العام، وصل إليها فضلة ذلك البرد، ورمى أهلها بما عهدوه[٧٣٤] من مزاجها الذى كأنه زمن الورد. فلو ترى أحدَهم وقد أخذه النافض، ونحاه القر بعامله الرافع الخافض، لا يحميه حصن فروة ولا يجنه، ولا يصد عنه نفحة زمهرير ولا يكنه، لتوهمته أخا وجد يهتز طربا، أو غصنا اعتور عليه ريح[٧٣٥] شمالٍ وصبا، قد رُكِّبتْ أعضاؤه من الزئبق فما تستقر، وجفت لهواته يبسا فما تستدر، لا يمد كفّه[٧٣٦] ولو بايعه الناسُ على الخلافة، ولا يُخرج يده، ولو كان فقيراً، إلى كيس ذهبٍ، أو نديماً إلى كاس سُلافه، ولا ينبعثُ لعملٍ، كأنه إنَّ وقد دخلت عليه ما[٧٣٧] الكافة، ولا يُصدِّقُ حديثَ شمسٍ ولو كان بالقطر الجنوبى شتا، ويقولُ: حديثُ خرافة[٧٣٨]:

(من الكامل)

(ويرى عتاقَ الطَّيْرِ فى وُكناتها تختار حرَّ النارِ والسفُّودا
وإذا رمىَ فضلاتِ كأسٍ فى الهوى عادتْ عليه من العقيقِ عقوداً[٧٣٩]

كم بكى أنفهُ ودمعُ[٧٤٠] جفُونِه أحقُّ بتلك العبرات، وكم طافَ بكَعبةِ كانونَ، وما أتى غيرَ الجمَرات، يكاد لذلك البردِ واليُبس يتجسَّدُ حتى الكلام، ويتوسَدَ الإنسانُ طلبَ الدثار تحت الرجام[٧٤١]، تلهجُ الرِّعدَة به لَهَجَ السكون بحرف العلة، أو عيُون العُشاقِ بالدموع المُستهلّة، أو البدائع والبدائه[٧٤٢] بكلمات مولانا المتدفقة، والفَهَاهة والعى بعبارة المملوك وكلماته الملفقة. لقد تحقق أن عنصر النار ذهب فلكه، وأن الأثير تقطعت حبكه، يارحمتا له من عارٍ يحسب، أن الثَّغ، نخاً تحته فنك[٧٤٣]، ويا عجبا له من عاجزٍ عن الكلام وكم دقّ بالحنك[٧٤٤].

هذا، وبين الإقليمين هذا البعدُ الذى ما لِلُجّه[٧٤٥] ساحل، والمسافةُ التى إذا سرى فيها طيفُ شيقٍ أصبح دون الغاية بمراحل، ولم يصل إلينا إلا فُضالاتُ تلك العواصف، ولُفاظات ما ينفثُه فم الجو من الرعود القواصف. فهذه رموزُ ما هناك من التصريح، وبعض شرر ما ينفخه كيرُ الريح. فكيف بمكانٍ كان فيه المصرّع[٧٤٦]. ومظانٌّ ما ينشأ عن الرياح الأربع، ومواطنَ إذا كانت الريحُ رُخاءً مرت به وهى زَعزَع، وبقاعٍ أصبح الغرابُ الأبقع بثلجها قُمْريًا، وبلادٍ تتخذُ الشمس فى المصيف ظِهْرِيا[٧٤٧]، كأنها بلادُ أبى الطيب التى لبست عليه مَسالِكَه، وغدت ببياضها، وهى سوداءُ حالكة[٧٤٨] ؟!، فأقبح بتلك الأرضِ إذا أصبحتْ ثُغورا تضحك، وأبعد بتلك الأنداء[٧٤٩] التى ينحلُّ منها الكافور ويتحكّ، ولقد كابد المملوك ثلوجَهَا ولا إلى هذا الحدّ. وعالج أنواءها، ولكن ذلك[٧٥٠] لعب، وهذا جد.

ولقد أذكرنى ما قلته فيها فى وقت وهو[٧٥١]:

(من السريع)

تباً لهـــا مــن بلـدةٍ لا أرى فـيـهـا مـقـامـى واضح النهج
لأنـهـا فى وجـه سُكّانِهـا وأهلُها تَبْصُقُ بـالـثـلـج

ولله[٧٥٢] الودَاعِيُّ حيث يقول:

(من مجزوء البسيط)

(ألـــولُ والثلجُ قـــدْ نُشِرْنَ له عـلـى وجوه الملا مُلاءَاتْ
لوْ لمْ تكنْ قـامتِ القيـامـةُ مـا بُدّلَتْ الأرضُ والســمَوَاتُ)

والله المسئولُ فى الإعانةَ، والمرجوُّ لحُسن العاقبة، لا إله إلا هُوَ سبحانه. ومولانا فى وقاية من الله تكُفُّ عنه الأسواء، وتردُّ الأدواء، وتصدّ اللأْواء، ونعمةٍ من الله تصاحبُه صباحَ مساء، وتبلّغه المآربَ والمسارب، حيثُ سار، وحيث شاء. بمنه وكرمه إن شاءَ الله تعالى.

وكتب هو إلى وقد تواترت الأمطار فى سباطَ من سنةِ ستٍ[٧٥٣] وأربعين وسبعمائة:

(من البسيط)

هىَ السّحائبُ أمّا وجهُها فندِ — طلْقٌ، وأما نداها فهْوَ ملءُ يدى[٧٥٤]
خُضرٌ تسنُّ سيوفَ البرقِ آونةً — إنَّ السحابَ لجلاءٌ لكلِّ صدِ
ما كان أمْطرَ ممنْ لا يُشيرُ بما — أوصتْ إليه بكفٌ خُضّبتْ ويدِ
جاءتْ بجمْرةِ كانونٍ وقد طفئتْ — نيرانُ كانونَ لا بالماءِ والبرَدِ
عادت علينا وقد ولّى الشتاءُ بما — فيه، وفاءَ علينا الصيفُ بالمدَدِ
وجاءَ شهرُ سُباطٍ فوقَ عاتقِه — بزاخرِ البحْرِ تحت العارضِ البرَدِ
طالتْ علينا[٧٥٥] له أيامُ مدّتِه — كأنّ أيامَه أضحت بلا عدَدِ
لقد جرى وهْوَ ممتدُّ العنانِ بلا — نهايةٍ فى مدى سبْقٍ ولا أمَدِ
ودام تَهْمِى سِجالُ المزنِ ساكبةً — والبرقُ يَخْمدُ منه كلُّ متّقدِ
وقد خفى البرقُ فى أثنائها وجرت — سواكبُ المزنِ مثلَ اللؤلؤ البدَدِ
فأرمدت كلُّ عينٍ مدَّ سايلُها — لكن عيونُ الحيا منه بلا رمدِ
وصيِّبُ الرعْدِ لا ينْفكُّ يزجرُها — أما ترى الرعدَ منها مثلَ مرتعدِ؟!
يرمى رواشقَ نبلٍ صوبُ ساكبِه — فتتّقيه[٧٥٦] دُروعُ الروضِ بالزردِ
وفاختىَ سحابٍ فضْلُ مُطرفِه — يجرُّ فوق الثرى ذيلاً بكلِّ يدِ
وربَّ صهباءَ فوقَ الزهرِ سايرةٌ — حمراءَ تعبقُ بينَ الماءِ والزبَدِ
وربَّ وطفاءَ كحلاءَ[٧٥٧] المدامعِ ما — ذرّ الكرى بين جفنيها من السهُدِ
وربّ ريْقِ مُزْنٍ طعمُ ريقتِه — أشهى من الراحِ[٧٥٨] أو أحلى من الشهْدِ
لكنه ربّما طالَ الثواءُ به — وعافَه الناسُ للتطويلِ فى المدُدِ
فربّما جاوزَ المقدارَ منفعةً — وجاءَ بالغيثِ صوبُ الغيثِ، والنكدِ.
وكم تضرّرَ بادٍ من تثاقُلِه — وكم تضوّر منه ساكنُ البلدِ

يقبل كذا[٧٥٩]، لا زالت سنَة أنوائها ماطره، وسنَةُ الكرى في مُقَل نوَارها خاطره وسُنَّةُ رياضها أن يتبرج[٧٦٠] منها كل عاطره، ولا برحت أَلسنَةُ بُرُوقها[٧٦١] لقلوب السَّحب فاطرَه، وأسنةُ دَوحِها من ذلائل الأنداء قاطرَه، لتحفظَ لمواثيق السحب العُهود، ويُفضَّ من وثيق السُّحْبِ العقود، وتُعلِّمَ يدَ الأنواءِ إذا ضنَّتْ بالجود كيف تجود (وينْهى) من خبر هذه الخدمة وإن تقسَّمتْ[٧٦٢] أقساما، وسرَّتْ أقواما، وساءت أقواما ـ الإعلامَ بأخبار هذا الشتاء، وأحوالِ هذا الحوْل في الهرَم والفنَاء. وأنَّ الصيفَ أقام إلى آخر كانُونَ، وما أُوقدَتْ فيه لغير شمسه جمْره، ولا عُرِف من قوس قُزَحَ في غير جناح شُعاعه خُضرةٌ ولا حُمْره، ولا فُتحتْ فيه للسماءَ أبواب، ولا برَزَتِ الأرضُ من صنْدلِ الطين في إزار ولا أثواب، حتى إذا قيظ الناس، وقُيِّض الياس، وقيل هذا الشتاءُ قد آذن بذهاب، وهذا البرقُ لا تفضيضَ منه لمنثور[٧٦٣] مصاحف السماء ولا إذْهَاب، آبَ منه ما ظُنَّ أنه لا يؤوبُ[٧٦٤] بعد آبَ وأيلول، ولا يُرَى[٧٦٥] إلى السنة الآتيةِ رُدْنُ روض مبْلُول. وأقبلَ وقد تقطَّع خيْطُ مُزنه، وسمحَ منه بالكثير بعد طُول خَزْنه. وجاءَ وعاءُ المطر في آخر[٧٦٦] الشتاءِ محلولَ الرِّباط، وكلَّما كنى عنه كانونُ صرَّح به سُباط. فجاءَ لا تُعْرَفُ أيامُه من لياليه، ولا روائحُه من غواديه. وتَوَاصلَ مدْرارا، وسالَ وسأَلَ استمرارا. واستدرك فائتَ الغمام، وأقبل بالسحب الثِّقال والبحار العظام. ودنا هيْدبُه ومن الأَرض اقْتَرَب[٧٦٧]، وحل صيِّبُهُ وكاءَه وسكب بأفواه القِرَب (وأتى بمثل ثلج السنة الماضية)[٧٦٨] إلا أنه ما جاءَ بدمقس حريره الأبيضِ إلا محلُولا، ولا طار جناحُ غمامه الغربيبِ الأسودِ إلا مبْلُولا. ومثّل فيه السحابُ وتَرْجَمَ عن البحر بفيه، وهبَّتْ فيه عواصفُ الشتاء، وكان يقال إنَّ روائحَ الصيف فيه، إلا أنَّ سيوفَ برقه لم تُسلّ، وأيدي مُزْنه في سلاسله لم تُغلّ. وصواريخَ رعودهِ ما كان منها في هذه السنة فَتاش، وطُرقَ أنوائه لم يكن منها في هذه المدَّة رشاش. وإنَّما جاءت وِفَاقًا، وأتت عمَدًا، وكأنما كانت اتفاقًا. والرَّكبُ قد حَبَسَ وما انطلق، ولجأَ إلى ذرْوةٍ وخاف الغرَق. وأضحت الإبلُ في حُورانَ قَبْل رملَ عالجٍ[٧٦٩] بوَارِك، وشُدَّتْ فلَجأتْ إلى الشَّام بمثل أفواه الهِجَانِ الأوَارِك. وزاد الأمرُ حتى منع طوارقَ أخبارِهم أن يجين، وجعل زادَ الحُجَّاجِ وفائقَ أخبارِهم من عجين.

هذا، وكم من جَمَلٍ (قد[٧٧٠]) كُسِر، ورجلٍ مُطْلَقٍ في سبيله في جبال الشتاء قد أُسِر، وذي همّةٍ كان كأنْ لم يفارق المدينة قد رجع، وآخرَ صمَّمَ بعزِّ العَزْمَةِ إلا أنه لم يحْمَد المُنْتَجَع. وكان الركبُ الحجازيُّ في هذه السنةِ بحراً يعجّ عَجاجه، وبرّاً يضيق بنازليه فِجَاجُه، وأكثرُ القوم غرباءُ فجاءوا من بعيد المَسْرَى، وأَتَوْا من خلف دَار قَيصرَ وكسرَى[٧٧١] وركبوا الأهوالَ، وبذلوا الأموال، وخاضوا الأوْحالَ إلى هذه الأحْوال. وقد حبَّر المملوك بيضَ الصحائف بسوادِ هذا الخبر، وعبَّر عن بعض هذه العِبَر. وإنما الأجرُ على قدر المَشَقَّةْ[٧٧٢] ولولا هذا لما قَاسَ ذراعَ مطيه، وقاس تلك الشُّقة. (ومنْ عرف ما يُطلب هان عليه ما يبذل[٧٧٣])، والصعبُ في لقاء الحبيبِ يسهلُ. وهؤلاء وفدُ الله ورسوله - ﷺ - والله ما يضيعهم ولا يَنْسَى لديه صنيعهم.

(من البسيط)

(وطُوبَى لمن أَمْسى على دارةِ الحِمَى لـه مـنـزلٌ أو دونـه بـقـليـلِ)

لازالت سماؤه مُصْحِيَه، وشموسُ أيامه مُضْحِيَه.

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك[٧٧٤]:

يقبل الأرض معنى، وإلا فأين الأرضُ، ويَتَوَهَّم وجودها ذهناً، وإلا فهي مفقودة ليوم العرض. غطت الأمطارُ ثراها، وشطت منازلها وبعد حماها، وحطت بها ركائبُ السيول فاجتحف تربها، فما نراها. وبلغ السيلُ الربا لا الزبى[٧٧٥]. وزكا الغيث، ونمتْ بركاتهُ ورباً، وأقبل سُبَاط فما آب آبُ، وولى تموز هربا. فأين المفرُّ إلى المقرّ ولا عاصم؟ وأين الخلاصُ ونحن بمدى هذه البروقِ في حزّ الغلاصمِ؟. وكيف وضوحُ الحجة للنجاة، وهذه الرعودُ القاصفةُ تخاصم؟. وكيف، وكيف، وكيف؟. وهذا البردُ قد فعلَ في الأجسام ما لا يفعلهُ ذبابُ الصيَف، هونْ به، بل ولا ذبابُ السيف. وينهي ورودَ الأبيات الدالية تجر رداء حسنها، وتصفُ شدةً حلت بنا، وما نحن وزنَ مزنها، وتسردُ خبرَ النفوسِ التي ارتاعتْ في أجسادها، وما كأنها في كنّها، وتنْصلُ بروضةِ حمائمُها ساجعة، وكواكبُ فضلها للاستقامة راجعة، وعيون محاسنها تسهر لها العيون، وهي ملءُ جفونها هاجعهْ[٧٧٦]. فشغله حلْيها الذي لا يُعارُ لسواها، وبُهتَ لهذه النّيرات التي رفع قلمهُ سَمْكها فسوَّاها، وتنزه في نفسها الذي أغْطَشَ

ليلَها، وطرسها الذى أخرج ضَحاها(٧٧٧)· وقال: (ألا)(٧٧٨) هكذا فَلْيَكن كلامٌ من أَنْشَى، وأبطن المعانى البليغةَ، وغشاها من الألفاظ ما غشى(٧٧٩)، وكتب وهذا مجازٌ، وإلا فالحقيقَةَ أنه طرّز وطرف، ووشع ووشّى. وما يقول المملوك إلا أن مولانا ملكُ هذا الفن، والناسُ عليه عيال، وهو يمشى فى نور أيامٍ، والناس يخبطون فى ظلمات ليال، وهو يقطفُ زهرَ الكلامِ، ويجنى ثماره، وغيره يحتطب شوكَ السياج والسيال؛ فلقد وصفَ هذه الشدائدَ بما وصف، وحكى الحالَ الذى كم بارقٍ فيه لمع، وكم راعدٍ قصف، وأطربَ الألبابَ، فلا خدٌ وردٍ إلا خجل، ولا غُصن بانٍ إلا انقصف. وهو - حرسه الله تعالى - إذا وصفَ عرف ما يقول، وأتى بما تنفصمُ له عقودُ العقول، وحسن ما يهون، وروع ما يهول، وأوضح المعانى، فما تخفى إلا على غبىٍّ أو جهول. فالله يديم لنا هذه الفوائدَ التى هى لذنوب هذه الشدائدَ كفارة، ولهذه السيئاتِ الشّتوية غفّارة. وقد أجاب المملوكُ عن هذه الأبياتِ الطائلة بقُصوره، وأتى بأكواخه الضّيقةِ إلى ملك الإنشاء، وهو فى فسيحات(٧٨٠) قصوره. وما ثمّ إلا سترُ مولانا الذى عوّد إسبَاله(٧٨١)، وحلمُه الذى يسعُ هفوات غيره، ولو أنصف(٧٨٢) نتفَ سباله. (وهى):

(من البسيط)

ما للغمائم قد أرستْ على البلد	ولم تُفارقْ مغانيه مدى الأمد(٧٨٣)
وهون لاحتْ على بعدِ طلائعها	ساقتْ إلينا بريدَ البرْدِ والبرَد
خاطتْ عليها ثياب السحب فالتأمتْ	هذا وخيطُ الحيا خالٍ من العُقد
(ولم تبتْ أعينُ الأنواءِ باكية	إلا وللبَرقِ فيها حُمرَةُ الرمد)(٧٨٤)
كم شقّقَ الرعدُ جيبًا من سَحَائبه	وقَلْبَ البرقُ فيها قَلْبَ مُرْتَعد
باللّعجيب قبابُ السحبِ قد وقفت	هذا الزمانُ، وما قامت على عمد(٧٨٥)
فاسْمَعْ حديثَ عناءٍ قد أحاطَ بنا	من عهد نوحٍ وحتى الآن لم يرد
(أبو قُلابَةَ يروى اليومَ عن مطَرٍ	عن ثابتٍ عن يزيدَ واصل السند(٧٨٦)
لا يوحِشُ الله عن شىءٍ يقالُ له	شمسُ النهار فما تبدو لمرْتَصد
أما النجومُ فشَىءٌ كان فى زمَنٍ	مضَى حَميدًا، فَقَدْ ولىّ، ولم يَعُد
كذا الفراءُ وكانتْ ذاتَ مَنْفَعَةٍ	(أقْوتْ وطالَ عليها سالفُ الأبدِ(٧٨٧))

وهكذا كل لِبْدٍ كنتَ تَعْهَدُه (أخنَى عليه الذى أخنَى على لُبَد)[788]
ومُذْ نَشَدْتُ ثياباً أستَعينُ بها (عيّتْ جواباً وما بالربع من أحد)[789]
قد أقفرت راحتَى من رَاحتى وخلَتْ (ولم أعرّضْ، أبيت اللعْنَ بالصَّفَدِ)[790]
فلا تَقُلْ انّ ذا للزرع.. مَصْلَحَةٌ (يشفى للقمى ويَسْعى سعْىَ مُجْتَهِدِ)[791]
فليتَ هذا الشتاءَ الصَعْبَ مذْ وَقَعَتْ عينى عليه (افترقْنَا فُرْقَةَ الأبدِ)
بردٌ لوَ إنّ الورى جاءتْ تُهاديعلى على الخلافة لمْ أقدرْ أمُدّ يدى
ما نحن من قوم نوحٍ كى يطوف بنا الطـوفانُ، فافهمْ لتَعريضى على بُعُدِ[792]
لقَدْ سَكِرنا من الهمّ المُبْرحِ لا من راح راحةِ ساقٍ فاتنِ الجِيدِ
فالوكفُ راووقُنا، والبيتُ باطيةٌ ونحن مثلُ حبابٍ فيه مُنْتَضَدِ[793]
فالأنفُ باكٍ لأنّ العينَ جامدةٌ والجلدُ مما يلاقى عادمُ الجلدِ
قد مرّ كانونُ خلواً من أذى وقذى وجمرةُ الشمسِ لا تخبو لمتّقدِ
فجاء سُباطُ بسياط السَّحابِ إلى أن جلّلَ[794] الأفقَ ثوباً لم يُخَطْ بيدِ
فكم رمى لبلَ وبلٍ بات يرشُقُنا ولبس تملعةُ موضونةُ الزّرد
ما كان أغنى الورى فى ذا القطوع ونام التعثيرِ عن لقط هذا اللؤلؤ البددِ
فلا تقل: إنّ هذا رحمةٌ نزلتْ فإنّ هذا قياسٌ غيرُ مُطّرِدِ
إن دام، لا دامَ، عمّ الهُلْكُ أجمعنا[795] وما لنا غيرُ رُحمى الواحدِ الصمدَ.

وكتب هو إلىّ عند قدومى من القاهرة، أوائلَ سنةِ ستٍّ وأربعين وسبعمائة، يطلب منى جوابا كتبتهُ عن السلطان الملك الصالح إسماعيل - قدس الله روحه - إلى السلطان أبى الحسن المَرِينىّ صاحبِ مرّاكش[796].

(من الطويل)

رعى الله قلبًا لا يزَالَ يشوقُهُ حبيبٌ على طولِ المدى وخليلُ[797]
ودهرًا أعادَ الله فيه زمانَنا وقصّرَ ذَيْلٌ للفراق طويلُ
فما مثْلُ من كنتُ فارقتُ شخصَه وعادَ وقلبى بالبعاد عليلُ؟!
لقد جلّ يومَ البين قدرُ فراقِه وهلْ كخليلٍ[798] فى الفراقِ خليلُ؟

المملوك يُقبِّل كذا(٧٩٩)، التي جاءت هي وبواكير الربيع على قَدَر، ووردَتْ قبل الورد، والبِدْرةُ لمن بدر(٨٠٠)، وعادت وأبقت النيلَ بحمرةِ خجله، لأن أبا الصفاء لا يماثله أبو الكدر. وينهي تشوقَهُ إلى الرسالة المغربية، وما كُتبَ في جوابها، وما يَشُكُّ أنَّه قد ساق إلى المغرب الشمس، وأنسى بيومه في الديوان كلَّ أمس. وأسمع المرينيَّ، مالم يمرَّ بسمعه من لسان، وأراه من مَقدمه أحسنَ من يوم فتح تلمسان(٨٠١)، هذا إلى متجدداتِ هذه الرحلةِ، مما لا يولِّدُه من الدُّر مطرُ نيسان.

فكتبت أنا الجواب إليه(٨٠٢):

(من الطويل)

خليلك إذْ وافَى حِمَاكَ ترفَّعتْ ... به رُتبٌ أنتَّه فهْوَ جليلُ

وصالَ فهابتْه النوَى وسما به ... إلى الشُّهبِ فرْعٌ لا يُرام طويلُ

وعادَ فعادته المسرةُ بعدَ ما ... مضَتْ مُدَّةٌ بالبُعْدِ وَهْوَ عليلُ

ومنْ جاءَ من مصرَ إلى الشَّامِ قاصدًا ... إليكَ تلقَّاهُ بجُودِكَ نيلُ

يقبِّل الأرضَ، وينهي ورود المثال(٨٠٣) الذي خسف حسنه القَمرَ، وأراه ترفعَ الزُّهرَ، وتفتح الزَّهرَ. وفضح رونقُه الدراريَّ، وإن تنازلَ فقد أخجل الدرر، وتحققَ أنها دوحةٌ أخرجها من ضربت أعراقهُ الطيبةُ إلى عمر. وامتثل ما رسمَ به مولانا وجهزه، علماً بأنه قد أهدى الذبالة إلى النَّيِّرِ الأعظم، وجهزَ النيلَ المحترق إلى البحر المُفْعَم، وعرض على غُوطةِ قاسيُون حاجزَ المُقَطَم(٨٠٤). فأين جوابُ الغرب ممن ملأَ الشرق والغرب ذكره ؟!. وأين هشيمُ المقلِ من مكثر سد الأباطحَ والربا زهرُه ؟! فإن كانَ فيها ما يروقُ فهو من بضائعِ مولانا التي ردها الله عليه(٨٠٥)، وساق هدْيَ هدِيتها إليه. وإلا فكلامُ العاجز عجوز، ومقابلةُ الشُّهب بالحصى لا تجوز، والله يديم فوائد مولانا التي تهدي فواكه أيلول، إلى من في قلبه حرُّ تموز. بمنِّه وكرمه. إن شاء الله تعالى.

وكتب هو إليَّ وأنا بصفدِ المحروسة في سنة تسعَ عشرة وسبعمائة جوابا، لا زالت فطنتُه داعيةَ الإسراع، ومحاسنهُ ملءَ الأبصار والأفواه والأسماع، وينهي وقوفَه على كلِّ من

الجوابين، فوقف النظرُ عليه وحبسه، واستأنس به فآمن سمعُهُ وأنَسه. واجتنى معانيهُ، فتحقَّق أنها من ثمرات ذلكَ الغرس، وتمتعَ من محاسنه بجناتٍ فيها ما تلذُّ الأعينُ وتشتهى النفس، وعلمَ أنهما أمنا أن يُعززا بثالث، وأن يُضاهيهما إلا عابث، وأنهما الشمسُ والقمر، والبحرُ والمطر، واستسرّ بهما وتهنّى، وقال:

(أتاك المجدُ من هنّا وهنّا)[٨٠٦]

(من الطويل)

(سمتْ نحوه الأبصارُ حتّى كأنّها		بناريه من هنّا وثمّ صوالى[٨٠٧])

وقال: هكذا فليْكن من يكاتب، وبمثل هذا فليُجاوبُ مَن يُجاوب، وتساوت قيمتُهُما فلم يدْرِ أيُّهما يُفَضَل، وبهرَت أنوارُهما حتى دُهش أيهما يبدأ به ويتأمل. إلى أن وجدَ أحدهما موشّعا بالخط الكريم البهائى برقوم، مُشْتملاً على رياضٍ صدَرتْ من أنامله الشريفة عن غيوم، وما جعله فى أثناء ذلك الكتاب إلا خشية أن يبده العقول فيَشرهُا بالخبال، وما كان موضعهُ الحواشى إلا ليشهدَ لنفسه بأنه عليه خطُّ الكمال. ولا عدمَ المملوك من عوارفه، فى تالد الفضل وطارفه:

(من الخفيف)

مُحْسنًا لم يدَعْ لنا، بأياديه		على كثْرَة الرجاءِ، رجاءَ
(جادَ قبلَ السؤالِ برًا فلمّا		لم نسلْ من نداه جادَ ابتداءَ[٨٠٨])

ولقد استدرجَ كرمهُ لسانَ المملوك عما كان بصدده من ذكر المشرفِ الوارد، ووَصَفَ مننَه التي تثبتُ فى الأعناق كالقلائد. فإن المملوك كان قد سكرَ بما أداره القلمُ البهائىُ من كئوسٍ تَصْرعُ الألباب، وتَضربُ بين المرْء وعقله بحجاب. وقد آنَ للملوك أن يَصْحُو، وأن يقصدَ طريقَ الأدبِ وينجو. فيقولُ إنّ المشرّفتين الكريمتين، وإن تأتّتا عدَدا، وسلكتا «طرائقَ قدِدا»[٨٠٩]. فدرُّهما مؤتلف، وبرُّهما لا يختلف. ووَصلُ قرينهما ما أنعم بإنقاذه مما كان المملوك التمسه من كرمه، واستهداه من مواهبِ قلمه.

وأما ما كان بلَغَهُ من الأخبار عن الجناب الزيني، فالجواب عنه قولُ مهيار(٨١٠).

وأما المراثى الشهابيةُ فنَظم الجنابان الشريفان(٨١١) ـ العلائيُّ والشّهابى ولدا غانم ـ أبقاهما الله تعالى ـ قصيدتين، بل فريدتين. وكان الجناب العالى الجمالى ابنُ نباتة غائباً عن موته، فلما حضر عملَ قصيدةً هتف بها كلُّ سامع، واستبكى بها حتى أعيُنَ النجوم الطّوالع، وعمل الأديبُ شمسُ الدين محمدُ الخياطُ، مرثيةً لم يُرفَع لها علم، ولا تَلَجْلَجَ بها نَغَم، وتقدم من المملوك نظمُ واحدةٍ، وبلغ المملوكَ أمرٌ اقتضى أنه يخفيها، ويتناسى ما فيها. وعقيبها يجهز بها ورقةً مُحبِسةً لبدائعها وحابسه، ليقف عليها فيدفعَ الأربعة ويكتمَ الخامسة. وأوصل المملوك إلى اليد الكريمة التاجية ابنِ المقرّ(٨١٢) الكريمى كتابَه، وقد وعدَ فيه بالزيارة، فأوقف اللواحظَ، بأدب السّبل، يترقب انتظاره، والمسامعَ ربيئةَ الرُسل لتتسمعَ أخباره. والمُستَمَدُّ من تفضلّه أن يواصلَ بخدَمه، ما دام فى قوس القطيعة منَزّع(٨١٣)، وللرائى تردُّد يُخشى ويتُوقّع، والله تعالى يُقرّبه مقيلا، ولا يُعْدم المملوك من بقائه خليلا على الحقيقة جليلا، بمنه وكرمه.

وكَتب هو إلىّ، وأنا بصفد المحروسة فى سنة عشرين وسبعمائة جوابا، من كتاب عَطفته على مُوَشّحَة نظمتُها، معارِضا بها الموصلىَّ أحمدَ بن حسن(٨١٤). وسوف يأتى ذكرها فى ذكر جمال الدين يوسف الصوفى فى حرف الياء(٨١٥).

لازالت البلاغةُ جنَى غرْسها، والبراعةُ شأن نفسها. وقَبل المملوك تلك العقائلَ الطالعه، واستشفى بتلك المواهب النافعة. وفهم المملوكُ الإشارةَ فى تأخيرِ الجواب البهائى، وقد علم الله أنَّ المُشرّفَ المشارَ إليه، حين ورد استبْق نظرَ المملوك وبنانَهُ إلى تأمُّله والإجابة عنه، وازدحمتْ فى طريق نُطقه ألفاظُها، والألفاظ المنقولةُ منه. وجهّزه مع قاصد لاشك أنّه عرف أنه من هذاء القول، فنبذه ظهريًا وجعله «نسياً منسيًا»(٨١٦)، ولم يتأخّر المملوكُ مُحْجماً مع علمه بأن الإحجام كان بمثله أليق. ليستر تقصيره، ويُخفى عيوب فهاهته، ويحيلَ المحسن على إحسانه، الذى يكفيه مُجازيا، ويماثله مُجاريا.

وقد أعاد المملوك إلى الجناب البهائى خدْمةً ثانية، لعل فصاحةَ المولى فى الإيراد تعتدُ بها، فيلبسَها المحاسن، ويكسيها الميامن. وأما إشارة المولى إلى المُوشّحة التى عارض بها

الموْصلى فى الوزن والروى ملْتزماً ما جاء به المُشارُ إليه فى عفو قريحته من الغصون والأقفال(٨١٧)، ونَسْجه على ذلك المنوال؛ فقد تأملها المملوك واستملاها، واستجلاها واستحلاها، وأحضرها مع موشّحة الموْصلى، فأقسم «بالشمس وضحاها»، وذكر بها فريدة الجمال، فقال: «والنهار إذا جلاها»، «والقمر إذا تلاها»، «والليل» من سواد وجْه معارضها «إذا يغشاها»(٨١٨) وتمثّل القوافي على غصونها حمائم، والحشْو على سجعاتها كمائم، وعذرها فى اتخاذ الأقفال على ما صانَ من درّها، وصاغ من تبْرها. وقابلها بكلّ ما قيل فى هذا النوع فوجدها كاسفة، وماثلها بأمثالها فغدت على حظّها إذا قيست آسفة. ولقد وقعت موقع الاستحسان، وأتت كاملةَ الإحسان(٨١٩). لو اهتدت العُربُ الأولى إلى طريقها لعدَلَتْ إلى الموشحات عن القصائد. ولو ألفاها الفتح بن خاقان لاستفتح بفرائدها ما ألّفَ من القلائد.

وقد عطفها المملوكُ على موشحة المولى جمال الدين مُقتضَبةً مما كُتب عليها من أثنية بلغاء، لم يقدروها حقّ قدرها، ولا نَهضوا بشكرها مع إطالة تُفْضى بمطالعها إلى الملل، وتشرحُ بدائعها على وجه الجمل، عاريةً مما حلّيت به من وصفهم إذا كانت المليحة تُغْنى عن حلّى وعن حُلَلْ. فإنّ المملوكَ آثرَ استنساخها واستكثر نُسّاخها (لكن ضاق فترٌ عن مسير)(٨٢٠) وشهادتُها لنفسها بيّنةٌ لا تُدْفَع، وحسبُ المليحةِ أن تأتِيَ سافرةً ولا تتبرْقَع.

مُحِبُّ المولى الجناب الزينى يُتْحِفُه بسلام أريج النفحة، بهيج اللّمْحه. اعترض به وظائف الأدْعية التى يستغرقُ بها أوقاته، فقيل هذه شَذْرةٌ فى سبْحه. إن شاء الله تعالى.

وكتبت إليه جوابا عن الأمير سيف الدين طُقزتمر(٨٢١) نائب الشام المحروس. وقد طُلِبَ إلى الباب الشريف تحت الاحتراز، فلما وصل إلى بلْبيْس(٨٢٢) جاءَ الإفراج عنه، وأن يعود إلى الشام فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة:

بسط الله ظلّ المقرّ الشريف الشهابى، وخارَ له فى الظّعن والإقامة، وأقْدمه على ما يسرُّ أولياءه من السلامة، وأطْلع وجْهَه على مُحبيه، فإنه يجلو الظّلام والظّلامة(٨٢٣). المملوك يقبل اليدَ الشريفة التى تُخْجلُ الغمامةَ، ويَخدمُ بدعاء بينه وبين أعلام القبول علَامَة، ويصفُ

وُداً ما سامه من الإخلاص سآمه، ويذكرُ محبةً مالها في الغرام غرامَهْ، ويبثُّ ثناءً يفعلُ بالألباب ما لا تفعله المُدامهْ، وينهي إلى العلم الكريم ورُودَ المُشرَّف العالي، فقابل منه مُحياً يتلألأُ نوراً، وحباه حبوراً، وملأَ حَجْرَ سمعه «لؤلؤاً منثوراً»، وأعلمه أن مولانا «ينقلب إلى أهله مسروراً»[٨٢٤]. وانتهى منه إلى الإشارة العالية من مسابقته بالصدقات الشريفة، وتلقيه إلى بُلْبيس بما استقرَّ به خاطره الكريم، ليدخل مصر آمناً، ويستثير له من السَّعد ما هو في ضمير اللطف كامناً، ويجد به مقعد العلا متطامناً. وحصول الرضى الشريف عليه، والإفراج عنه، وعما ينطقُ به. فسر المملوكَ هذا النبأُ الكريم، والخبرُ الذي آثره اللطفُ الإلهيُّ بالتقديم. وعلم أن الله تعالى ما أعاده إلا لأنَّ (العود أحمدُ[٨٢٥]) عن أحمدَ وأحسن، ولا ردَّهُ إلى أمه إلا «كي تقَرَّ عينها ولا تحزن[٨٢٦]».

وأما الإشارةَ إلى ما تَضَمَنَّه كتابُ المقرِّ الشريف العلائيِّ، أخي مولانا من أن ذلك إنما اتَّفق بمطالعة المملوكُ إلى الأبواب الشريفة، وقيام المقرِّ الكريم السيفي الدرَّادار، فقد علمَ المملوك ذلك، وقابله بشكرٍ تلا سورةَ حَمْدِه[٨٢٧]، وسلك فيه طريقاً أتعبَ من جاء من بعده، وما يقول المملوك إلا أنَّ الشُّكر للرِّياح لا للسَّحاب[٨٢٨] ولمن أدَّى الرسالةَ لا لمنْ خطَّ الكتاب، ولمن تلطف للاستعطاف لا لمن أغلظ العتاب. والله يديم أيامَ مولانا السلطان، ويُخلِّد ملكَه، ويجْعلُ المماليكِ دُرّاً لا تُودَع إلا سلكه، ويفيضُ ملابس إحسانه علىَ من أمَّ حرمه، ويجبرُ بعطفهِ من كسره الزمانُ وحزمه.

وإذ قد أخذ مولانا حظه من رؤيةِ أخيه، وثبتتْ برؤيته قواعدُ سعده، وتمكَّنت أواخيه؛ فما بقي إلا أن يعود إلى وطنه لتجدُّدِ الخدمة بعهده، وتهنِّيه شفاها بتمامِ فضل الله عليه وكمال سعده؛ فإن مولانا صاحبٌ قديم، وأخٌ كريم، وكلنا نَشْرُ ذلك الروض الناصري الناضر، وكواكبُ ذلك الأفقِ الذي ما طلع فيه إلا بدرٌ نيِّرٌ أو شهابٌ زاهر. فليعدْ قريباً ليقَرَّ طرفُ وطنه الدَّامع الدأمي، ويقارنَ بدرَه الشاميُّ السامي. فما ضلَّ من سار بين بدْرَين، ولا ظمىء من تردَّد بين بحْرَين، وما أحسنهُ مبتدأ رفعَ الخبَرين. فإنَّ مولانا أينما حلَّ حلَّى، وكلما جلَّ جلَّى، وعواطفُ هذه الأيام تَضْمَنُ له الحُسْنى، وتُضمر له الموردَ الأهنى.

وأما إشارته العالية في الفصل الثاني فى فك الختم عن داره، بحضور من وضع ختمه عليها؛ فقد علم، وذلك أمر مما لا حاجة إليه؛ فإن العواطف الشريفة شملت مولانا، والحاسد حاصد الخسران، والواشي غاشي الحرمان. والمملوك مترقب طلوع شهابه النير فى أفق الشام المحروس قريبا، ومتطلع إلى ألا يرى له فى فلك السعود مغيبا، فيحيط علمه الكريم بذلك، والله يقدر له الخير فيما هنا أو هنالك. بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى.

وكتب هو إلى من بلبيس:

يقبل كذا، لا شان صفوها كدر، ولا شاب ودها تغير الغير، ولاشاد الله معلم مجد إلا ولها على صدره الورود، ولسواها الصدر، ولا شاء بخير إلا ولها منه نصيب معجل ومنتظر، ولا شال بضبع[829] ما جد إلا ليحلها، حيث الشمس والقمر، ولا شاع حديث وفاء إلا بما يحدث منها خليل الصفاء، ويقول كانت فلتة عمر[830].. وينهى أنه كتبها من بلبيس، وقد عاجله بحمد الله الفرج قبل قدومه على قلعة الجبل، ومعاينة أهوالها، وقبل حلوله بمصر وتوقع زلزالها. وقبل مقاربة القاهرة ورؤية أطلالها، وقيل «ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين[831]»، وعودوا إلى دمشق بمشيئة الله سالمين. وكفاه الله خطرات تلك الوساوس وخطرات تلك الهواجس، وخطوات تلك البقعة، ورؤية أولئك الأبالس، والموقف المغشى هو له، والسائل الثقيل قوله:

(والعز فى البدو ليس العز فى الحضر)

وحسب المرء من المساءة النظر[832]. فالحمد لله الذى تدارك بلطفه، وغل يد المبطل، وسيسقط رأسه على كفه، وأنعمت الصدقات الشريفة السلطانية الملكية الصالحية بالإطلاق، وفك الختم، وحل الوثاق، وجاءت مراحمه عقيب ذلك السم أسرع تخليصاً من الدرياق. وجاءت البشرى بما من الله به بصدقات سلطاننا الملك الصالح لا بسبب من الأسباب، ولا بالسعى إلى أحد، ولا بالوقوف لأحد على باب، ولا بإبداء عذر بقول ولا كتاب. بل جاء هذا من عند الله بمنته لا بمنة مخلوق، ولا بسعى سابق ولا مسبوق. حتى أذكره كلمة عائشة - رضى الله عنها - نوبة الإفك[833]، وأذكرته هذه القضية تلك القضية، وتمت الأمور بحمد الله على أكمل الوجوه المرضية. اللهم ما أصبح بى من نعمة، أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، اعتقاداً [أنه[834]] هو الذى لم نزل نرجع إليه، وننجع ولا نعرج إلا عليه، ونهجع ثم نتنبه بتذكيره، ونفجع ثم نسر بمقاديره. ولم يبق بإذن الله إلا أن يصرف إليه وجه السرى،

ونَصْدِفَ في طلب السُّرعةِ للقدوم عليه عائقَ الكرَى. ويُسْعَفَ اللقاءُ به وبالأوطان، ويَنصف الزّمنُ الجائرُ بلطف الله وعدل السلطان، ويُتْحِفَ القدرُ بجمعِ الشّمل، ويُعْلِمَ أنها كانت نزغةً من نزغات الشيطان.. ومولانا يعْذِرُ في التقصير، فما هو وقت الإطالة، وهذا كثيرٌ على الراكب المُجِدّ فيما يُقَدّمُ له من العُجَالَة.

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك:

(من السريع)

ونعمةٍ جاءت كما نَشْتَهي ... من عند ربِّ العرْش مَسْراهَا
أتت وقد جرّتْ ذيولَ الهنا ... بأىِّ شكر نَتَلَقَّاها
روتْ فروّتْ أنفساً تَلْتقِى ... من حذرٍ قد كان عنّاها
فالحمد لله على أننا ... نحمدُ أولاها وأخراها
فاللطفُ فى مبدئها كامنٌ ... والسعدُ فى مضمونِ عُقْباها
فقلْ، لمنْ قد ولِعتْ بالمنى ... مُهجتُهُ: أستغفر الله
إنّه إنْ أبْصرتَها مرّةً ... أكبرتَها أن تتمنّاها

يقبّلُ الأرض أوّلاً على هذه النعمة شُكراً، وثانيا على عادة خِدَمه مُستمراً، وثالثا ورابعا وخامسا (وهلُمّ(٨٣٥) جرّاً)، حتى تَستغْرِقَ الواوُ العطفَ ، وينفد فى السجعِ حرف الرّا. ويُنْهى ورُود المثال الكريمِ الذى كان أماناً من الحذر، ومخلّصاً لقلب المُحبّ الذى افتتَح الحزنَ واختتَمهُ وما شَعر، وبَرَاءةً من الخَطْب الذى لو عالجه الليلُ لا نصدع والصبح لا نفجَر، وفكّاً لأنفسُ الأولياءِ من الجزع الذى لو حلّ بالجبال حَجَرَ فى الصبر على الحجَر، وشَدْواً لأصوات البلاغة التى مَنْ لم يُطرَبَ لها، قلنا له ما قالته النّسوة من قُريشِ: (أنت أغلظُ وأفظُّ يا عُمر)(٨٣٦):

(من السريع)

(أليسَ لأخبارِ الأحبّةِ فرحةٌ ... ولا فرحةُ العطْشانِ فاجاءه القطْرُ(٨٣٧))

فقبّل المملوك شفتي عنوانه، وتخيّل لعس مدادهما إثمداً فكحل به رمد أجفانه، وكرّر السجود حتى قيل هذا هدهد بين يدى سليمان زمانه. وفضّه فلما لمح تاج اسمه، قام له ولبسه لثما، وعلم أن البركات تنزّلت عليه لما سمّى، وأحبّ جمع ما فيه من مال البلاغة حبا جمّا، وأكل تراث أشواقه المخلّفة من حروفه «أكلاً لمّا»(٨٣٨). وذكر من حديقته اليانعة ما أنساه نخلتى حلوان، ومحلّتى سلمى(٨٣٩).

(من البسيط)

(ورحتُ أسقيهِ منْ دمعى وألثمهُ أو كاد يذهبُ بين الدمعْ والقبلِ)

ثم تأمل ما اشتمل عليه من جنّات تزخرفتْ، وبروقِ معانٍ تألّقتْ، وسحائب سطورٍ تألّفتْ، ونزعاتٍ فاضليّةٍ اقتدرت على الكلام فتصرّفتْ، أستغفر الله، بل فى كلامِ الفاضلِ جزئيات تُشْبِه هذه الكليات، ومعابرُ كان يغوص فكره فى لُجّة بيانها على هذه الكلمات اللؤلؤيات. وزهراتٌ كان يقطفها من هذه الرياض، وقطراتٌ كان يرتشفها فمُ قلمه من هذه الحياض، فلقد أتى وادى مولانا فطمّ على قريّه(٨٤٠)، وجاءت جياده، وغبار سبقها ينْفض من هوادى مطيّه.

(من الطويل)

ومازال ينْبى النّاسَ فضلُ كلامهِ بأن كلام العالمين فضُولُ(٨٤١)

فاتخذها مقاماً، وحنّاً على جواهرها لأنها يتامى، وتحقّق بركتها، فإن نار الخليل رجعتْ بها «برداً وسلاماً»(٨٤٢)، ورشف من ألفاظها مُداماً تسميه الناس كلاما، وخلب لبّه سحرها الحلالُ، وكان يظنُّ السحر حراما(٨٤٣). وفهم منها ما وقّر فى قلبه فسبق الناس إلى البشرى، وصحا قلْبُه وصحّ لما تفرق غمام غمّه وتفرّى، وودّ لو شهد بطْن خبْتٍ، وقد لاقى الهزبر أخاه بشرا. وعلم أن الله تعالى أراد لمولانا أن يدْخل مصر عزيزاً، ويجعل طينها الإبليز مثل كلامه إبريزا(٨٤٤)، وألا يرى فيها ما يروع روعه، وألا يرى نجم استقامته يُخالف رجوعه، فحفظه «بمعقّباتٍ من بين يديه ومن خلفه»(٨٤٥) ولم يحْوجه إلى غير ما يعهده من خفىّ لطفه.

(من الخفيف)

(ربّ أمرٍ أتاكَ لم تحْمَدِ الـ ـفعّالَ فيه وتحمدُ الأفعالا)(٨٤٦)

فالله يُوزعنا معاشرَ الأولياء شكرَ هذه النعمِ التى تخيلنا وقوعها، وتخيلنا بصحة اليقين على عودها فنلنا رُجُوعَها. وما لنا إلاّ الدعاءُ إلى الله بأن نرى بدر وجهه، وقد طلع من ثنيّات الوداع(٨٤٧) وقد توجّه يحثُّ سعوده وانقطع الخصمُ وبطل النزاع.

(من البسيط)

(من كـان ذا أمَلٍ فى الدّهرِ يقصِدهُ فـإنّمـا أملى فى أنْ ترَى أملكْ)

وما أمر بلبيس مما يُلتبس، ولا تَجنِيسُ عادة السعادة مما يُحتبس. وما بقى إلا عَوْدُ ركابه إلى وطنه، ورجوعُ دُرِّه إلى لُجّه، وذهبه إلى معدنه، لنأمنَ توثُّبَ الباغى ونزواته، ونغنمَ الصفاء من ودٍّ يحميه الله من الشيطان ونزعاته.

(من الطويل)

وكـم لِظَلاَمِ الـلّيـل عِنْدَكَ مِـن يـدٍ تُخـبِّرُ أنّ المـانويّةَ تكذبُ(٨٤٨)

(وبعد)(٨٤٩) فالمملوك يسألُ بسطَ العُذر عن جرأته فى هذا الجواب، ويستغفر للّيْث الأغلب من وقاحة الذئاب، لا بل لحاجة الذباب. فأين عُجَالَةُ ذلك الراكب من مُهْلَة هذا المطْمئن؟، وأين ذلك الروحُ الطاهرُ من هذا الجسد المُسْتَجِنِّ؟ وأين مَنْ ارتجل ممن تروّى؟. وأين قلبُ الأسد من العوّا؟!

(من الخفيف)

قـد أجِبْنَا قـولَ الشـريف بقـولٍ فـأثبْنَا الحـصىَ عن المرْجـان(٨٥٠))

وكتبت أنا إليه من الدّيار المصرية فى سنة سبعٍ وعشرين وسبعمائة، وهو بالشام المحروس جوابا عن كتاب ورد منه، وأهنئه بولاية والده القاضى محيى الدين كتابة السرّ الشريف:

(من الطويل)

أيا سيّدًا حـازَ العُلا وحـواها وجـازَ نهـاياتِ النهىَ ومدَاها

وغـيّرَ فـى وَجْهِ الأوائلِ سَبْقُهُ فـفـاتَ مدَى غـاياتهـا وشآها

وجـاءتهُ أسْرابُ النُّجـومِ حَواسِرًا بـكـفّ الـثُّريّا تَسْتَعِيـرُ حُلاهـا

فـأبْهَجَهَا حـتى أضـاءتْ بجـوّها وألـحقَها إشرَاقَها وسَنَاهـا

أتاني مـــثـــالٌ منك مثْلُ خَريدةٍ تضـــوّعَ في صبْح الوصالِ شذَاهَا
وألطفَ من نفسٍ براها الهــوى، وقدْ غدَت تتَشكّى(٨٥١) للحبيب عناها
وألعبَ بالألبــاب من بنْتِ كرْمــةٍ يحُثُّكَ محــبـوبٌ لحسو طلاها(٨٥٢)
تُطيلُ إليـــه الزاهراتُ تأمُّلاً وتَعْجَبُ من ألفـــاظه وبناها
فـــوا أســـفَا إذْ لمْ أحلْ بجلّقٍ وافض بقـــايا مدّتـي بحمَاهَا
أشـــاهدُهَا في دولـةٍ مَحْبوبَةٍ سقَاهَا الحيا وسمْيُه(٨٥٣) ورعَاهــا
لئن كـــانتْ الآدابُ أُخْمِلَ قــدرُها فــقــد عـادَ من كـانت به تتَبَاهَا
وإن كـــان قِدْماً قدْ عرَاهَا كَسادُهَا فهَا هي قـــدْ شدّ الزّمـــانُ عُراها
ويَعْمِلُ في داجي المُهـــمّاتِ فكرَهُ فـيُطلعُ فـيـهـا شـمسهَا وضحَاها
أنامَ بهـــا عـــيْنَ الأنامِ فـــردّها مؤنّسَةً مـــن بَعْدِ فَقْدِ كَراهـــا
إذا رأيهُ أغـنـــاكَ عـــن نَشْرِ رايــةٍ لأيّة حـــالٍ تســتَطيلُ قَنَاهَا؟!
فــيـــا فوْزَ عـــصرٍ أنتُمْ ذُخْرُ أهله وبُشْرَى لبـــاليـنا بكُمْ وهَنَاهَا

يقبل الأرضَ، لازالت مركزاً لدائرة التهانى، وقُطباً لفلكٍ تَرِدُ المسرّةُ في مجرّته على الدّقائق والثّوانى، ومعْقلاً يعْتَصِمُ به وسائل الآمال وعقائل الأمانى، وحرماً تحثُّ إليه نجائب البشائر، فلا يكون له عنها توارى، ولا لها عنه توانى.

(من الوافر)

إلى أنْ نجــتنى منهـــا قُطُوفَ الـ مَســرّةِ، وهْيَ طيِّبَةُ المـــجـــانى
ويُبْدعَ فـــى عُلاَهـــا كـــلُّ معْنَى فنَفْخَرَ بالمـــعـــالى والمـــعَانى

تقبيلَ من أُجيبت دعواتُه، وشُغلَت بذلك لهواتُه، ومُلئتْ بما يُمليه منها خلَواتُه، ويستمرُّ على ولائه الذى لم تَحْتَجْ إذ يحتجُّ به إلى دليل، ولم تَجِد إذ تُجِدُّ في سلوكه مشَقّةَ سبيل، ويصفُ ما يجدُه من شوق شُقّت له بالجوى جوانحه، وملأت الفؤادَ فوادحهُ، وأذابَت القوى قَوَادحهُ. وينْهى ما عنده من هذا الهناء الذى عمّتَ الوجود بشائرُه، وحقق الله به ظنّ كلّ مؤمّلٍ فما خانته ضمائرُه، ووَجَدتْ القلوبُ لأخباره ما يَجِدُه المشوقُ إذا ترنّم فوق الأيك طائره. فالآن أعطى الله القوسَ باريها(٨٥٤)، وأنزل الدارَ بالطالع السعيد بانيها، وتقلّدت

الممالكُ عقودَ الجواهر من بحر مُنْشِيها، فياله يوماً حلَّى به الدهرُ جيدَه من عَطَله، وظفر الملكُ بالرأى البرىء من خَطَائه وخطَله، وعلم أن البدرَ فى الوهْن كما هو فى سَحَرِه[٨٥٥]، وأن الشمس فى رأْدِ نهارهاَ، كما هى فى طفله[٨٥٦]. ولا أقول إلا أن السَّيف قد عاد إلى قرابه، والمالَ خرجت منه زكاته، وعاد إلى نصابه، والأسد آبَ بعدما غاب، إلى غابه، والدرُّ ترقى إلى التاج بعد أن تحدر من سحابه، والهلالَ تنقل فى منازل السعود حتى طلع بدْراً فى ارتقابه. فالله يمتع الأيام، والأنام بهذه النعمة الكبرى، والمسرة التى أضحتْ، بعد فترة، ورسلها تترى ويوزعُ الأولياء شكرَ هذه المانّة الجَّمةِ واليدِ الطولى، ويعرفهم قدرَ هذه الكرةِ فإن الأخرى خير لهم من الأُولى[٨٥٧]. بمنه وكرمه.

فكتب هو إلىَّ الجواب:

(من الطويل)

رددتَ على عيْنى لذيذَ كَرَاهـا فعـاودَها طيفٌ أطالَ نوَاهَا
سرَى فى الدجى حتى تجلت نجُومُه فـواقعَ تَطْفُو فوْقَ بحـرِ نُجاها
وهبّتْ لمسْراهُ نوافحُ رَوْضَةٍ تجـرُّ عليها الريحُ ذيلَ صبَاها
أيادىَ لو أخفيْت حُسنَ صنيعِها لنَمَّ عليها ضوءُها وشذَاهَا
فكم مُزنةٍ أخجلْتَ وجهَ سحَابِها بجُودك حتى غاض ماءُ حياها
وفرحتَ بالسَبْق المُبَرزِ قلبهَا فضمّت على نار البروقِ حشَاها.

يُقَبّل كذا، متعُ اللهُ ببيان قلمها الموَازِر، وحكمها التى تَرْمُقُها النجومُ بطرفٍ متخازِر، وكلِمها التى تبيتُ القرائحُ دونَ أبكارِها مشْدُودة المآزِر[٨٥٨]. وينهى ورود مشرفه بل مُشَنّفه فأطنب فى نعِمه، وأطرب بنغمه، وأطرف بما تحلَّى من صياغة قلَمه، فاجتْنَى المعانىَ من ثمرات غرْسِه، واجتلى منه نيلَ مصر فى عرْسه، والتقَح به ذهنُه فأحْسَنَ التوليد، والتمح منه عجائبَ بيانٍ شيبتْ الوليد، وانتهى إلى عهوده التى اهتزّ بها لذكرى إلفه[٨٥٩]، واعتزّ بها ثمَ بزّ بالانعطاف إلى عطفه، وحمد الله على هذه الهبَة من رَقْدتها، وحل هذه الهبَةَ من عقْدَتها، واستثبَتَ أن صحيفته مخمورةٌ بلفظه فوقَاها حداً من القَبَل، مسحورةٌ ببيانه فلَماَّ تمثلَها ذرَّت على أعطافه فتْرةَ الكسل. فقعد لا يُجاريها ولا يباريها، ثم أخذ منها وشكرها بمعانيها.

وكتبتُ إليه قَرينَ أغنامٍ للضحايا:

(من الطويل)

أيــــا سيِّدًا أرْجُو دوَامَ ظـــلالـــــه عليْنا وأن يُمْسى بخــيــرٍ كَمَا يُضْحى[860]
وحـــقِّكَ مـــا هذِى ضَحَايا بَعَثْتُهـــا ولكننى ســقْتُ الأعــادى إلى الذبحِ.

فكتب إلىّ الجواب عن ذلك[861]:

(من الطويل)

أتتنى ضـــحـــايَاك التَّى قـــد بعَثْتَهـــا لتُصــبِحَ كــالأعــداء فى بُكرةِ الأضْحَى
وحــــقِّكَ أعْدانا كــــلابٌ جَمِيــــعُهُمْ وحاشاكَ لا تُجزى الكلابُ لمنْ ضحَّى.

وأنشدنى لنفسه بحماه، ونحنُ بشاطئ العاص[862]:

(من البسيط)

لقـــد نزَلْنَا على العـــاص بمنزلةٍ زانتْ محاسنَ شطِّيه[863] حدائقُها
تبكى نواعــيـــرهُ العَبْرى بأدْمُعِهـــا لكونه بعد لُقـيـاهُ[864] يُفـــارِقُهَا.

فأنشدته أنا أيضاً لنفسى[865]:

وناعـورةٍ فى جـانب النهرْ قد غـدت تُعَبِّرُ عن شـــــوقِ الشَّجىِّ وتُعْرِبُ
تُرَقِّصُ عِطْفَ الغــصنِ تيــهاً لأنهـــا تُغَنِّى له طُولَ الزَّمـــانِ ويشـــربُ.

وأنشدنى هو أيضاً لنفسه[866]:

(من الكامل)

إنَّا نقـــيـمُ على حَمـــاةٍ حُجَّةً فى حُسْنِهـــا ولهـــا جمَالٌ يُبْهتُ
ومن النَّواعـيـر الفـصــاح خـصــومُنا ولـهـــا لـســـانٌ ناطقٌ لا يسكتُ

فأنشدته أنا أيضاً لنفسي(٨٦٧):

(من السريع)

ناعُورةٌ أنتْ وحنّتْ فقدْ شوّقت الدّاني (إلى(٨٦٨)) القاصي
قد نبّهتني للهدى والتُّقى لماً غدت تبكي على العاصي(٨٦٩).

وأنشدته أيضا لنفسي، وقد طال علينا المَركزُ من شمسين(٨٧٠) إلى حمص:

(من السريع)

(مَحْبُوبُ قلبي مثلُ بدرِ السَّما أدنيهِ عُمْرِي وهْوَ لي يُقصي
بيني وبينَ الصبْر في حُبّه ما بين شمسينِ إلى حِمْصِ(٨٧١))

فأنشدني هو أيضاً لنفسه(٨٧٢):

(من الرجز)

لقد تَمَادَيْتَ مدى بارَسْتَنْ(٨٧٣) كأنّما قُرْبُكَ ما لا يمكنُ
لمّا جعَلْنَاكَ ضمير قصدنا غَدَوْتَ ممّا لا تراكَ الأعْيُنُ.

وكتبت أنا إليه أتقاضاه ما وعدني (به(٨٧٤)) من قلع شجرة ليمون مُختمٍ، وتجهيزها إليَّ، والتزمت الياءَ قبل النون:

(مخلع البسيط)

يا سيّداً فيه لي ولاءٌ عند جَميعِ الورَى تبيّنْ
لله لَيْمُونَةٌ أراها لي مُونةً غُصنُها تزيّنْ
كأعين الحاسِدِين بَغْياً لأجل ذا قَلْعُها تعيّنْ.

فكتب هو إليّ الجواب، والتزم نوناً قبل النون:

(مخلع البسيط)

يا فاضلاً ما له عَدِيلٌ لأنه في الورَى تفنّنْ
وكلُّ شيءٍ عناهُ(٨٧٥) فينا على طَرِيقِ الهدى تقنّنْ
أمرُهُ حكمٌ في كُلِّ عقْلٍ ما عاقَ إلا منْ قدْ تجنّنْ.

أحمدُ(*) بنُ يوسفَ بن هلالٍ بن أبى البركات الحكيمُ الفاضلُ شهابُ الدينِ الطبيبُ الصفدىُّ أحدُ أطباء السلطانِ الملكِ الناصرِ محمدِ ابن الملكِ المنصورِ قلاوون بالقاهرة المحروسة. وقف بالقاهرة على شيء كتبته من نظمى باللازوردِ والذهبِ وزمّكته.

فكتب إلىَّ فى سبعٍ وعشرين وسبعمائة(٨٧٦):

(من الكامل)

(فُقْتَ الأنامَ سيادةً وزيادةً ... وعلوت . . . .

أعطى الذى قسم الفضائلَ فى الورَى ... للناس قيراطًا وأنتَ الباقى)

ومزمّكٍ باللازوردِ كتابة ... ذهبًا فقلتُ وقدْ أتتْ بوفاقِ:

أأخذت أجزاءَ السماء حللتَهَا ... أم قدْ أذبْتَ الشمسَ فى الأوْراقِ؟!

أكتَبتَ بالوجنَاتِ حمْرتَها كمَا ... مُخْضرّها بمرائرِ العشّاقِ

(ورقمتَها ببياضها وسوادِها ... أنسىْ أطَاعكَ رونقُ الأحْدَاقِ) ؟!

وكتب هو إلىّ أيضاً(٨٧٧):

(من الطويل)

معانيكَ والألفاظُ قد سحَر الورَى ... لكلٍّ من الألباب(٨٧٨) قدْ أعطيا حظًا

فهبْكَ سبكْتَ التبرَ معنىً وصفْتَه ... فكيف أذبْتَ الدُّرّ صيّرتَهُ لفظا؟!

فكتبت أنا إليه(٨٧٩)

(من الطويل)

وَحقّكَ لم أكتب بتبرٍ كما ترى ... سُطورًا غدا فى وَضْعها مُنْيَةُ النفس

ولكنما هذى(٨٨٠) أشعّةُ وجهك الـ ... ـكريم غدَتْ تُلقى على صفحةِ الطِّرسِ.

إسماعيل(*) بنْ محمدِ بن عبدالله بنِ محمدِ بن أُحمد بن خالد بن نصر القاضى عماد الدين بن القاضى شرف الدين بن الصاحب فتحِ الدين بن القيسرانى المخزومى الخالدى؛ كاتب السرِّ الشريف بحلب المحروسة، وموقع الدست الشريف بالشام المحروس.

كتب هو إلى من دمشق المحروسة وأنا بالقاهرة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة(٨٨١):

(من الطويل)

إليكَ صلاحَ الدين شوقَ امرئٍ غدَا	وقَدْ صحّ، دون الجسم، فيكَ ودادُهُ
تَرحّلْتَ عن مغنىً دمشقَ فشوقُنا	إليكَ طُوالَ الدهر تجرى جيادُه
إذا كنتَ فى أرضٍ يحلُ(٨٨٢) صلاحُها	وإنْ كُنْتَ فى مَغْنًى يزولُ فسادُه

فكتبت أنا الجواب إليه:

(من الطويل)

أتانى مِثالٌ منكَ يُهدى سوادُه	بعينىّ، بل يغلو عليها مدادُه
أمنتُ به دَهْرى، وصُلْتُ بوصْله	على الخَطْبِ حتى خافَ مِنّى عنادُه
وصرّفتُ فى صَرْفِ الزّمانِ أناملى	إلىَ أنْ غدا فى حُكْمِ أمْرى قيادُه
وأطفأ جَمْرًا فى الجَوَانح كُلّما	تذكُّركمْ قلبى يزيدُ اتّقادُه
ولوْ لمْ يرِدْ هذا المثالُ لما بقى	من الخاطر المشتاقِ إلا رَمَادُه
لقد أصبحَ المملوكُ عبدًا مكاتبًا	وتَمّ لَهُ مما يريدُ(٨٨٣) مُرادُه
فلا غرو أن يبنى على الأُفْقِ مجدَهُ	لأنكَ من دون الأنام عمادُه
وإنّ صلاحًا نالَ عطفكَ فى الورى	عليه، بعيدٌ أن يراهُ فسادُه
أيا منْ له سبقُ المعالى إذا جرتْ	لنَيلِ العلاَ يومَ الفَخَارِ جيادُه
ومنْ يتحلّى الدهرُ منه بماجدٍ	تكمّلَ فيه حلمُهُ وَسَدَادُه
ومنْ لاقَ من عينِ الكمالِ انتقاؤه	وصحّ على زيْفِ الأنام انتقادُه
ومنْ فَرْعَهُ دوحةٌ خالديةٌ	فطارفُه مَجْدٌ عَلَا وتِلادُهُ
ليهْنى بنى مَخْزُومٍ فخرٌ غدا إلى	عمادِهمُ دونَ الأنام مَعَادُه
وفاحتْ خُزامى مجدِ مخزومَ فى الورى	فطالَتْ روابيه وطابت وِهادُه
ولِمْ لا وسيفُ الله خالدُ منهمُ	على عاتقِ المُلْكِ الأغرّ نجادُه
فكمْ طالَ منه للعدى صدرُ أبتَرٍ	وما قصرتْ فى الدار(٨٨٤) عينُ صعَادُه
بقيتَ عمادَ الدين ذُخرَ امرئٍ صفت	لبيتكمْ نيّاتُهُ واعتقادُه
وأخلصَ فيكمْ حبّهُ وولاءهُ	وصحّ على طولِ البعادِ ودادُه.

الطُنْبُغَا(*) الأميرُ الأجلُ علاء الدين الجاولي - رحمه الله تعالى - كانت بيني وبينه مجاراة ومباراة يطرب لها الجماد، ويهتزُ لها الفاضلُ والعماد. ولكن لم أجدْ منها شيئاً عند تعليقي هذه الأحرف، ولم أقعْ منها على ما لعلّه يسمحُ أو يطرفُ، غيرَ ما أذكره، وأوردُه ههنا وأسطُره. وهو ما كتبه إليّ وقد وردت القاهرة سنة ستٍ وثلاثين وسبعمائة وهي من مرذول شعره:

(من الطويل)

إليكَ صلاحَ الدين أهدى تحيةً كَنَشر عبيرٍ في الجُيوبِ إذا فُضّا
ومنْ عجبي أنّ الديارَ قريبةٌ وما فزتُ منكمْ بالودادِ الذي أرضَى
فمنْ بُعْدِكُم قلبي تألفَ بالأسى ومنْ بَعْدكمْ لم أدرِ نوماً ولا غُمْضَا
وإني على العهدِ الذي تَعْهَدُونَهُ مُقيماً، أرى حفظَ الودادِ لكُمْ فَرضاَ
وأقسمَ قلبي لا يقرُ قرارهُ ولا يرْعَوَى حتى يرى بعضُنا بَعضاَ.

فكتبت أنا الجواب إليه ارتجالاً:

(من الطويل)

أيا جيرةً قد عوَّدُوا الحلمَ والإغضَا وحبهمُ قدْ مازجَ الروحَ والأعضا
وحقِّكُمْ ما أهملَ العبدُ خدْمَةً لكمْ وجبت، لكنها بعد ذا تقضى
أأنسى جميلاً منكمُ قد ألفتُهُ وحسنَ ودادٍ يشبهُ الزّهَرَ الغضا؟!
ولطفاً يحاكي نسمةَ الروض سحرةً فإنّ لها في العاشقِ البسطَ والقبضا
وأيامَ لهوٍ قدْ تقَضَتْ بقُرْبِكُمْ نداوي بها من دهرنا أنفساً مرضى
ألا خففوا من عتبكمْ عنْ محبكمْ فذاك ضعيفٌ لا يطيقُ به نهضا
فلابُدَّ أنْ يأتي ويُذكرَ عذرَهُ فإنْ تقْبلوه رَحْمَةً قَبْلَ الأرضا.

وأنشدني يوماً لنفسه(٨٨٥):

(من البسيط)

إنهَلّ أدمعُها دُرّاً، وفي فمِها دُرٌ، وبَينَهما فَرْقٌ وتمثالُ
لأنّ ذا جامدٌ في الثغرِ مُنْتظِمٌ وذاك مُنْتَثِرٌ في الخدِّ سيالُ

فأنشدته أنا لنفسى(٨٨٦):

(من السريع)

غَانِيَةٌ فى فَمِهَا جَوْهَرٌ	بمثله تَبْكِى هَوًى هائلا
فراحَ ذا فى نظمه واقِفًا	ولاحَ ذا مع نَثْرِه سائلا

وأنشدنى لنفسه أيضاً(٨٨٧):

(من الوافر)

وسُودٍ صَيَّرتْها السُّودُ بيضاً	فلاَ تَطْلُبْ من الأيَّامِ بيضَاً
فَبَعْدَ السُّودِ تَرْجُو البيضَ ظلماً	وقَدْ سُلَّتْ عليهَا السُّودُ بيضا

فأنشدته أنا لنفسى:

(من الطويل)

عَجِبتُ لدهرٍ سرَّنى زمنَ الصِّبَى	وكدَّرَ عَيْشِى بالمشيبِ انتِفاضُهْ
فَبيَّضَ عُمْرِى منْ شَبَابِى سَوادَهُ	وسَوَّدَ دهْرِى من مشيبى بيَاضُه.

وكتبت أنا إليه من صفد المحروسة، فى سنة ثمانى عشرة وسبعمائة، أتشوق إليه وهو بدمشق(٨٨٨) المحروسة من جملة قصيدة:

باللهِ يا بَارِقًا من قاسِيونَ بَدَتْ	أعلامُهُ خافقاتٍ فى دياجيه
قِفْ لى بتلكَ الرُّبا إنْ شئت تُسعِفُنى	وانشدْ فُؤَادَ شجٍ قدْ عزَّ فاديه
ونَبِّه الوُرقَ، والظلماءُ عاكفةٌ،	ليلاً، لتحكى نُواحى فى نواحيه
وخذْ أحاديثَ ما ترويه من خبرٍ	وحاكِ جسمى ضنًا إن كنتَ تحكيه
وقُلْ .قضى نحبه(٨٨٩). العانى أسىً وجوى	وما قضى ما ترجَّى من أمانيه
كأنما كانَ عيشٌ مرَّ غانيةً	تجلى بكُمْ ولاَ ليها لياليه
أحبابَنا، إن تمادى البعدُ واتصلت	أيامُهُ واستقلَّتْ فى تَرَاخِيه
فلا تضنُّوا على المُضنَى بطيفكمْ	ففيهِ للوالهِ المشتَاقِ ما فيهِ

(من البسيط)

يكفيه إنْ زاره طيفُ الخيال، ولاَ يكفيه مُنكُمْ، بلى والله يكفيه

فالصبُّ إن عاقتِ الأيامُ مطلبَه يرْضَى بدون المُنى أوْ ما يُدانيه.

(فكتب هو إلى الجواب عن ذلك[٨٩٠].

هوامش حرف الهمزة

(ابراهيم بن أحمد بن غانم)

(*) ترجم له الصفدى فى (أعيان العصر ١)، وابن حجر فى (الدرر ١/١٤) وفيه: «ابراهيم بن أحمد بن سليمان بن غانم المقدسى....، وفاته سنة ٧٦١هـ».

(١) ديوان الإنشاء، هو أول ديوان نشأ فى الإسلام، وقد مر بأدوار عديدة، والذى يعنينا، هو أمره فى دولة المماليك ـ ٦٤٧ ـ ٩٢٢هـ..

وقد جاء بحاشية (كتاب الملوك ١/ ٢٣٥) ما موجزه: «وفى أوائل هذا الدور كان صاحب ديوان الإنشاء، يلقب تارة بـ(كاتب الدست الشريف) ـ وربما عبر عنه أحيانا بكاتب الدرج ـ وتارة وليه جماعة يعبر عنهم بكتاب الدست....» إلى آخر ما ذكر هناك.

(٢) الزيادة عن (أ، ز، م)، وبعدها فى (ز) بياض.

(٣) فى الأصل: «كتب» وأثبت ما فى (أ، م) لاتساق الكلام. والرواية فيهما: «وكتبت إليه من رحبة ...».

(٤) رحبة مالك، بينها وبين دمشق ثمانية أيام، ومن حلب خمسة أيام، وهى على شاطئ الفرات. ونسبت المدينة إلى مالك بن طوق، أحد قواد الرشيد وندمائه (البلدان ٤/٢٣٦).

(٥) وردت القصيدة بترجمة ابن غانم فى (أعيان العصر).

(٦) فى قوله: «أمين» تورية.

(٧) كثير من الأعلام لقب بهذا اللقب منهم ناصر بن الشاى. ولكنى أرجح أن المقصود هو ناصر الدين محمد بن يعقوب بن عبدالكريم، كاتب السر الشريف. ترجمته فى (الدرر ٥/٥٩).

(٨) لم أتمكن من تحديد هذا المكان فيما رجعت إليه من مصادر. ولعله قريب من دمشق.

(٩) وردت هذه المقطوعة فى (التذكرة ـ المجلد الأخير ـ الورقة/٢٧).

(١٠) إشارة إلى سفينة نوح ـ عليه السلام ـ زمن الطوفان.

(١١) القصيدة وردت بالتذكرة. وفى هذا البيت إشارة إلى قول الله عز وجل:

«ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته، ولتجرى الفلك بأمره ...» الآية: ٤٦ من سورة الروم.

(١٢) لعله يشير إلى قوله: «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال...» الآيتان: ٦، ٧ من (الحاقة).

(١٣) فى (ب، م): «الغدير المصفق».
(١٤) البيت ساقط من (التذكرة).
(١٥) هذا البيت والأبيات الثلاثة التالية له فى (أعيان العصر ١/٩٨٨).
(١٦) فى (ب): «فذكرك إياه».
(١٧) الأبيات وردت فى (أعيان العصر) (والتذكرة المجلد الأخير: ٢٧، ٢٨).
(١٨) فى (أعيان): «لم تهرب».
(١٩) فى (التذكرة): «فكتب المخدوم الناصرى بسط الله ظله» وأورد المقطوعة الآتية.
(٢٠) ورد هذا البيت والبيت الثانى والخامس والسادس من هذه المقطوعة (بأعيان العصر).
(٢١) ولعل الصواب «فنحن» فى جواب الشرط.
(٢٢) ورد للشطر الثانى فى (أعيان) هكذا: «فى منعه القول فى ذمه».
(٢٣) وردت المقطوعة فى (أعيان العصر ج١، والتذكرة المجلد الأخير ٢٨).
(٢٤) فى «أعيان»: «وكيف أنسى» وفى (التذكرة): «وكيف ننسى. والدولاب، والدولاب: كلاهما واحدة الدواليب، وهو على شكل الناعورة يستقى به الماء. فارسى معرب (لسان/ دلب). وقوله: «بالكعب» أى بالمسرة واللهو واللعب والظفر..
(٢٥) النشاب: السهام. والنشاب متخذه ومستخدمه.
(٢٦) العبارة فى (أعيان) هكذا: «وكتب هو إلى وقد تخلفت عنهم فى بعض السفريات إلى مرج الفسولة». كما أن هذه العبارة والبيتين التاليين لها لم يردا فى (ب).
(٢٧) الزيادة عن (ب، ز م).
(٢٨) يقرنه بابن سيناء وهو: الرئيس أبو على الحسين بن عبدالله بن سينا والبخارى الحكيم المشهور المتوفى سنة ٤٢٨هـ (وفيات الأعيان ١/٤١٩ - ٤٢٤)، وفى البيتين الأولين إشارة إلى أربعة من مصنفاته وهى: الشفاء، والنجاة، والقانون، والإشارات. وكلها مطبوع ومشهور.
(٢٩) فى (أ م): «فاصفرارى» وهذا ما أثبته إذ بغيرهما: «فصفارى».
(٣٠) ما بين الحاصرتين ساقط من (ز). ورواية الأصل: «ثم عندى تشبيه» وفى (م): «شيبى تم» وهو تصحيف. هذا ولعل بداية البيت:
«تم» لتحقيق الجناس.
(٣١) بنو الأصفر هم كما أشار عدى بن زيد العبادى:

وبنو الأصـــفـــر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مـــذكـــور

(٣٢) سقط هذا البيت وما قبله من (ز). هذا. وقد ورد هذا البيت فى (خزانة الحموى/ ٢٦، وكشف اللثام/٦). ورواية الأول «مثل ذى يرقان».
(٣٣) فى (أعيان العصر):

«وكـتـبـت إلـىّ أيـضـًا وقـد حـصـل لى يـرقـان»

(٣٤) جلق: «اسم لكورة الغوطة كلها، وقيل: بل هى دمشق نفسها: وقيل: جلق موضع بقرية من قرى دمشق (معجم البلدان ٦/١٥٤ ط بيروت).
(٣٥) اقتباس من قوله تعالى: «وكواعب أترابا» الآية: ٣٣ من سورة النبأ.

(إبراهيم بن محمود بن سليمان بن فهد)

(*) له ترجمة في: «المنهل الصافي ١/١٥٨ - ١٦١)، و(الوافي ٦/١٤٣ - ١٤٥)، و(الدرر ٢/٧٣، ٧٤)، و(أعلام النبلاء ٥/٢٧)، ووفاته سنة ٧٦٠هـ.

(٣٦) لقب لُقِّب به صاحب ديوان الإنشاء منذ أيام السلطان المنصور قلاوون انظر (صبح الأعشى ١/١٣٧).

(٣٧) غلبك بن عبد الله الجاشنكير، تنقل إلى أن ولي الحجوبية بحلب. وكان صارماً شديداً على المفسدين. مات سنة بضع وستين وسبعمائة (الدرر ٣/٢٩٨).

وثمة آخر وهو: غلبك بن عبدالله أبو سعيد التركي البدري. محدث توفي سنة ٧٤١هـ. ولعل المقصود الأول، لأن اللغز سنة ٧٤٥هـ بعد وفاة الثاني. ولعله غيرهما أيضاً.

(٣٨) ورد هذا البيت والذي يليه (بالدرر ١/٧٤). ووردت أبيات اللغز والإجابة عنه في (الوافي ٦/١٤٣، وأعيان العصر ج١).

(٣٩) المراد بشطره قبل التصحيف: غل. وهو القيد.

(٤٠) العبارة في (أعيان): «.... عن ذلك وهو في غلبك». ثم أورد الأبيات وكذلك وردت في (الوافي).

(٤١) في (أ، م، وأعيان): «هذا ضميري». وفي: (الوافي): «هذا ضميره».

(٤٢) في: (أعيان): «للمدنف».

(٤٣) بالوافي: «عليل». تحريف، لأن كلمة «عليك» هي تصحيف كلمة: «غلبك».

(٤٤) في (أ): «ميقات» وهو تصحيف. واللغز ورد في (الوافي ٦/١٤٤، ٧/٢٥١) بترجمة أحمد بن علي عبدالكافي.

(٤٥) بالوافي: «تضربه سوطاً».

(٤٦) في (ب، م). وقد ورد هذا البيت والذي يليه في (الوافي ٦/١٤٥).

(٤٧) في (جنان الجناس/ ٥٢ جاء قوله: «وقلت أهنئ بالقدوم من الحجاز» وأورد البيت الأول والثاني، والسادس والسابع من هذه المقطوعة.

(٤٨) في (جنان الجناس) ورد البيت هكذا:

فغرس الأماني ظله بك وارف   وعرس التهاني فضله منك وافر

ولعله أصوب. وفي الأصل: «ظله بك وارق» واخترت ما بالنسخ الأخرى.

(٤٩) في (م) روى هذا البيت بعد ما يليه.

(٥٠) في الأصل وجميع النسخ: «عند الإمام» واخترت عبارة (جنان الجناس).

(٥١) في (أ، م): «ووشي» وكلاهما صحيح.

(٥٢) في الأصل: «وحياة» بالياء. واخترت عبارة جميع نسخ المخطوط، لاتفاقها مع ما يلتزم به الصفدي من جناس.

(٥٣) ورد البيت الثالث، والرابع، والخامس من هذه المقطوعة. في (درة الأسلاك ٢/٥٩٩).

(٥٤) قوله: «قد حط عنه» أي تخلص من أوزاره وآلامه.

(٥٥) المتنبي (ديوانه ٤/٢٦٨) من مقطوعة مطلعها:

أحق دار بأن تسمى مباركة   دار مباركة الملك الذي فيها

(٥٦) وردت الأبيات الآتية في (الأسلاك ٢/٦٠٠).

(إبراهيم بن على، ابن غلام النورى)

(*) له ترجمة فى: (أعيان العصر ج١)، و(الوافى ٦/١٧٣ ـ ١٨٧)، و(المنهل ١/١٧٤ ـ ١٧٩)، و(فوات الوفيات ١/٥٥ ـ ٥٧) وفيه: «إبراهيم بن الحائك» و(الدرر ١/٥٠، ٥١)، و(حسن المحاضرة ١/٢٤٥ فى وفيات سنة ٧٤٩هـ) و(فى تاريخ مصر لابن إياس ١/٢٥٤) وفيه: «أنه توفى سنة ٧٨١هـ وقد رثاه الشيخ برهان الدين القيراطى».

(٥٧) ولى السلطان سنة ٧٤٣هـ. وتوفى شاباً فى شهر ربيع الآخر سنة ٧٤٦هـ. (حاشية المنهل ١/١٧٥).

(٥٨) ورد البيتان بديوانه: ٢٦ والرواية فيه: «فيانعم خليلى، و«فليهنها الأقبال لما غدت»، ووردا أيضاً فى (درة الأسلاك ٣/٤٤)، و(المنهل ١/١٧٥) و(أعيان العصر ج١) و(الوافى ٦/١٧٤ ط: دار صادر بيروت). وفى الأصل: «نعم خليلى..» وبالوافى: «خليل» وكذا فى «ب، ز، م». وفى (أ): «خليل» بالكسر منوناً. وكل هذا خطأ تصويبه من (المنهل) وكذلك لمراعاة القواعد النحوية فالنّصب هنا على التمييز. وفى «خليلا» تورية.

(٥٩) فى الأصل: «فكتب» وهو تحريف تصويبه من (جميع النسخ، وكذا أعيان العصر).

(٦٠) البيتان بأعيان العصر.

(إبراهيم بن عبد الله، شرف الدين القيراطى)

(*) له ترجمة فى: (الدرر ١/٣٢. ووفاته فيه سنة ٧٨١هـ)، و(المنهل ١/٧٠ ـ ٧٦ ووفاته سنة ٧٨١).

(٦١) فى (ب، م): «إبراهيم بن محمود بن عسكر بن إسحق».

(٦٢) مطلعها: (طبقات الشافعية الكبرى ١٠/٣٣١).

أمسى ضريحك موطن الغفران ومحل وفد ملائك الرحمن.

(٦٣) ستأتى ترجمته.

(٦٤) لعل مما رثى به بهاء الدين والده، ما ذكره أخوه تاج الدين فى (طبقاته ١٠/٣٣٦) بقوله:

«وقال والده أحمد، فى جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة وهو شهر الوفاة:

أيا طالبا للعلم والدين والفخر رويدك لا ترحل لهن ولا تسر

فإن الذى تبغيه غيب فى الثرى وأودى مع الأحداث فى جانب القبر

(٦٥) ورد فى (التذكرة الصفدية ٣٨/٧١ ـ ٧٩) كل ما ورد هنا بترجمة القيراطى إلى نهايتها. مبتدئاً بقوله: «وأما نونية مولانا الشيخ...».

(٦٦) فى قوله «بقيراط» تورية.

(٦٧) فى (التذكرة): «........ وتحكى» بالتاء.

(٦٨) فى (م): «نبات». وقد سقطت نهائياً من التذكرة.

(٦٩) في: (التذكرة: «الدموع فضة» وبعدها كلام في الورقة/٧٢) يشير إلى القصيدة اللامية.
(٧٠) بالتذكرة: «القيراطي على وزن البيتين الطائيتين وهي هذه». والقصيدة ليست بديوانه (مطلع النيرين).
(٧١) بالتذكرة: «قسطاس» وهو تحريف والإشارة هنا إلى الفساط الذي نصبه عمرو بن العاص عند فتحه لمصر، ثم بنى المدينة - مدينة (الفساط) - في هذا المكان وسماها باسمه. انظر (ياقوت ٦/٣٩٦).
(٧٢) في (التذكرة): «فحنطها... عزمة محتاطي».
(٧٣) في (م): «... أمست مقاطيعه». وفي البيت إشارة إلى الشاعر المصري: جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبدالعظيم، المعروف بالجزار. والمتوفى سنة ٦٧٩هـ انظر: (الغصون اليانعة/٦٦).
(٧٤) التذكرة: «قد جاءها..».
(٧٥) في الأصل: «كأن الربيع» وهو غير مستقيم الوزن. والرواية في (ز): «أو الربيع» ولعل الصواب تسهيل الهمزة من كأن.
(٧٦) يفضله على سراج الدين الوراق. وهو: عمر بن محمد بن حسن. شاعر مصري مكثر، عمل كاتباً للأمير يوسف سيف الدين والي مصر. توفي سنة ٦٩٥هـ، انظر (فوات ٢/٢١٣ - ٢١٩). وأول الشطر الثاني بالتذكرة: «ترى» وهو تحريف.
(٧٧) بالتذكرة «إلى» وهو تحريف.
(٧٨) من قول الحطيئة في المدح:

وقاموا إلى الجرد الجياد فألجموا وشدوا على أوساطهم بالمناطق.

(٧٩) بالتذكرة «طفت» بتشديد الفاء. وأول الشطر الثاني جاء في الأصل هكذا «فقتهم».
(٨٠) في البيت تضمين المثل: «أفرغ من حجام ساباط». وساباط: بالمدائن موضع معروف. وكان فيه حجام يحجم الناس بنسيئة، فإن لم يجد بأحد حجم أمه، حتى قتلها، فضربه العرب مثلاً. قال الشاعر:

مطبخه قفر وطباخه أفرغ من حجام ساباط

وقيل: إنه حجم كسرى أبرويز مرة في سفره، ولم يعد لأنه أغناه عن ذلك انظر (مجمع الأمثال ٢/٣٢، وثمار القلوب/٢٣٥). هذا، ويقول ابن قتيبة - في كتابه: (المعارف/٦١٠)، دار المعارف الطبعة الرابعة - «قال الأصمعي: ساباط «كسرى» بالعجمية: بلاش أباذ، وبلاش: اسم رجل. وإنما ضرب به المثل في الفراغ؛ لأنه كانت تمرّ به الجيوش فيحجمهم من الكساد بنسيئة، حتى يرجعوا».
(٨١) الأنماط ضرب من الثياب المصبغة وقيل: ضرب من البسط.
(٨٢) في (ز): «ذات أنماط». والمعنى: تعلق الحزن به وعكف عليه كما تعلق السلاح بذات أنواط وهي: شجرة كانت تعبد في الجاهلية. وعن ابن الأثير هي اسم سمرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم أي يعلقونه ويعكفون حولها (اللسان مادة ن. و. ط).
(٨٣) دمياط: «مدينة قديمة في مصر. وابن همام: لعله الحارث بن همام الذي اتخذه الحريري رمزاً للنفس الأبية. وهامه بدمياط، يشير إلى ما جاء بالمقامة الدمياطية (المقامات/٣٦) ط مصر (: «أخبرني الحارث بن همام قال: ظعنت إلى دمياط، عام هياط ومياط..» أي عام حزن وصياح وشر وجلبة.
(٨٤) بالتذكرة: «ياسيدي».
(٨٥) زياد بالتذكرة قوله: «وهو».
(٨٦) بالتذكرة: «لماشط».

(٨٧) تنيس: كما جاء في (معجم البلدان ٥/٤٤ دار صادر ببروت) هي «جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط». والرقم كما جاء (بلسان: ر. ق. م): خزْموشّي. مخطط من الوشي». وكانت تنيس تشتهر بهذا النوع من الثياب.

(٨٨) الأسفاط جمع سفط وهو الذي يعبأ فيه الطيب وما أشبهه، وقيل كالجوالق: (لسان/سفط).

(٨٩) التذكرة: «لو سمعت سمع ..». وأبقراط: هو ابن أبراقليس، كان قبل سقراط وأفلاطون، وكان لا يدانيه أحد في زمانه في علم الطب. انظر (سرح العيون: ٢١٦ ـ ٢١٨).

(٩٠) قنباط: لم أهتد إلى تحديد معناها.

(٩١) سكرلاط: ضرب من الثياب الفاخرة..

(٩٢) بالتذكرة: «أتتني فإذا».

(٩٣) وأسماط: جاء في (لسان: س. م. ط.) السمط: قلادة أطول من المخنقة وجمعه سموط. السمط: الثوب الذي ليست له بطانه. وسراويل أسماط: غير محشوة.

(٩٤) بالتذكرة: «أما السراجان، والمشار إليهما هما: سراج الدين الوراق. والسراج الإسكندري.

(٩٥) الحريري صاحب المقامات وهو أبو محمد القاسم بن علي المتوفى سنة ٥١٥هـ وقيل سنة ٥١٦هـ (نزهة الألباء/٣٧٩).

(٩٦) بالتذكرة: «عريك» تحريف.

(٩٧) التذكرة: «وكل شام شام منك الثناء».

(٩٨) جاء بلسان (بطط): «والبطط الأجواع والبطط الكذب والبطط الحمقى.» فلعل المعنى الأخير هو المقصود هنا أي من غفلة الأحمق. وجاء أيضاً بلسان: «بط الجرح وغيره يبطه بطاً وبجه بجاً إذا شقه» فلعل المعنى أيضاً: «من غدر اللص. (الشرطي، بالمعنى الجاري) .. وإن كان المعنى الأول هو الأرجح هنا..

(٩٩) بالتذكرة: «أجازي» بالزاي المعجمة. تصحيف.

(١٠٠) الشطر الثاني، لعله بمعنى: (لكان من عدة تشريفي وإكرامي) «يقال هو سفيط النفس أي سخيها... وسفط فلان حوضه إذا شرفه...» لسان (سفط).

(١٠١) بالتذكرة: «حبر جيد مختاط» وفي (ز): «حبر خير محتاط».

(١٠٢) النبط: جيل معروف كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقيين. وسمّوا نبطاً، لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين. (لسان: مادة: نبط).

(١٠٣) بالتذكرة: «الإمام العلامة بهاء الدين... السبكي»، ثم ذكر ثمة كلاماً محذوفاً من هنا.

(١٠٤) المقصود بالطائيين: أبو تمام والبحتري الشاعران المشهوران. والبلاغة الطائية نسبة إليهما. هذا وفي الأصل: «فلو أن الطائيين حيين» وهو خطأ صوبته (ب، م). وجاء بالتذكرة: «الطائيين حين سلما. ولعل الصفدي يريد: لسلما له بالفضل والسبق عليهما قبل أن يسلما روحيهما إلى بارئهما.

(١٠٥) بالتذكرة: «لشاعرها بالفضل وندماً على كلما كلما».

(١٠٦) يرى النقاد أن الراء من الحروف الذلل التي يتسع معها مجال الكلام.. أما الطاء فهي من الحروف النفر التي يضيق معها القول. وقوله: (حرف الراء... (لعله مأخوذ من رسالة القاضي الفاضل إلى ابن سناء الملك (الغيث ٢/٢٣٥) مطريا قصيدته السينية، ومنها: «وقد ذلت السين فيها وانقادت، فلو أنها الراء لما زادت...» إلخ.

(١٠٧) بالتذكرة: «ولا أذعنت لناظمها وانقادت، وجاءته في جدة هذه الرونق».

(١٠٨) بالتذكرة: «جاء مكبتاً».

(١٠٩) زيادة من التذكرة. وفيها في الجملة التالية: «فما تجد السلوك» بالتاء الفوقية.
(١١٠) بالتذكرة: «سعدنه وعمله منزه».
(١١١) بالتذكرة: «من الحسن محزومه لكن».
(١١٢) بالأصل وفي (ب): «زهزهته» وفي غيرهما، والتذكرة «وإنارة زهرته» بالنسخ الأخرى والتذكرة.

(أحمد بن إسماعيل المعروف بسُميكة)

(*) ترجم له ابن حجر في (الدرر ١/٣٦٦، ٣٦٧) وحدد وفاته سنة ٧٤٩هـ.
وفيه: «أحمد الأدب المصري النادري المعروف بسميكه».
(١١٣) بالأصل: «غيظ».
(١١٤) في (ز): «أجلي». وهي رواية صحيحة.

(أحمد بن بلبان)

(*) له ترجمة في: (الدرر ١/١٢٣، ١٢٤) ووفاته فيه سنة ٧٦٤هـ. و(الدارس ١/٣٢٣، ٣٢٤). وفي حاشيته: «كان اسم أبيه بلبان فغيره عبدالرحمن، وسمى جده عبدالرحيم»، وله ترجمة أيضاً في (غاية النهاية ١/٤١، ٧٣).
(١١٥) دار العدل: - هي التي بناها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس في سنة ٦٦٢هـ (ذكرها المقريزي في الخطط ٢/٢٠٥، ٢٠٦). أما العادلية، فهي من مدارس الشافعية بدمشق، داخل باب الفرج، أنشأتها زهرة خاتون بنت الملك العادل بن أيوب وقيل غير ذلك.. انظر (الدارس ١/٣٦٨)، و(خطط الشام ٦/٨٥، ٨٦).
(١١٦) وردت الأبيات الثلاثة في (فض الختام/٢٤١) وفيه: «يطول غرامي»، و«درة الأسلاك ٣/٣٦)، برواية: «عصى خير ملهم».
(١١٧) الزيادة عن جميع النسخ.
(١١٨) اقتباس قوله تعالى: «لا مقطوعة ولا ممنوعة» الآية: ٣٣ من سورة الواقعة.
(١١٩) والعبارة حلّ قول المتنبي يمدح عضد الدولة، أبا شجاع فنا خسرو (ديوانه ٤/٢٧٥):

أبا شجاع بفارس عضد الدو　　لة فنا خسرو شهنشاها
أساميا لم تزده معرفة　　وإنما لذة ذكرناها

(١٢٠) البيت الثاني نسبه الراغب الأصفهاني إلى المتنبي - وليس بديوانه - في (محاضرات الأدباء ١/٢٩٧)، ونسب في (معاهد التنصيص ٢/٣٢، والعمدة ٢/٤٩. ط بيروت) إلى ابن الرومي برواية «ليس به عيب». وليس بديوان الأخير أيضاً.
(١٢١) مأخوذ من قول ابن الساعاتي (جلوة المذاكرة الورقة/٢٠٠):

لاتعجزنن لأمر سوف تدركه　　فليس في كل حين ينجع الأمل.

(١٢٢) ساقط من (ب، م) والعبارة في الأصل، وامتثل للإشارة» وفي (أ): «وامتثل الإمارة يستغفر». وفي (ز): «وامتثل الإمارة وهو».

(١٢٣) العبارة تشير إلى قول حسان بن ثابت (ديوانه/٧٤) يمدح ملوك غسان ضمن أبيات:

يسقون من ورد البريض عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

(١٢٤) اقتباس قوله تعالى: «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، ثم لم يتوبوا، فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق» الآية: ١٠ من سورة البروج».

(١٢٥) تضمين المثل المشهور (.... سبق) ص: ٣٩.

وقول الأقيشر:

وهذا الحق ليس به خفاء ودعنى من بنيات الطريق

(١٢٦) الأبيات لابن الرومي بديوانه ٣/٤٠٩.

(١٢٧) هذه العبارة مأخوذة من قوله تعالى: «أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وإن كنت لمن الخاسرين» الآية: ٥٦ من سورة الزمر.

(١٢٨) إشارة إلى قوله تعالى: «قد كانت آياتى تتلى عليكم، فكنتم على أعقابكم تنكصون» الآية ٦٦ من سورة (المؤمنون).

(١٢٩) هذا البيت للإمام الشافعي. بديوان ١٣٢ ضمن أبيات برواية: «فإذا سمعت... فغاض فصدق وفي الأصل: (وغاض) والتصويب من الديوان.

(١٣٠) الجملة الأولى تضمين قول: قيس بن الملوح (المجنون): (ديوانه: ٢٩٣).

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

والجملة الثانية تضمين قول البهاء زهير (ديوانه: ١٤٨):

عسى الله يطوى شقة البعد بيننا فتهدأ أحشاء وترقأ أجفان.

(١٣١) الزيادة من (ز) والعبارة فيها بحذف كلمة «به». هذا و(يعتز الأولى بمعنى يحتاج. جاء فى لسان (عوز): «العوز أن يعوزك الشيء وأنت محتاج إليه». و(يعتز به): يحتمى به ويكتسب عزة وقوة تمنعانه من غيره. (لسان: عزز).

(١٣٢) اقتباس قوله تعالى فى شأن أهل الجنة: «متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب» (الآية ٥١ من سورة ص).

(١٣٣) اقتباس قوله تعالى: فى شأن داود عليه السلام: «وشددنا ملكه، وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب» (الآية: ٢٠ من سورة ص).

(١٣٤) ابن زيدون هو: أبو الوليد أحمد بن عبد ربه بن أحمد بن غالب بن زيدون. الشاعر المشهور (المغرب ١/٦٣ - ٦٩).

(١٣٥) ابن أبى الخصال المفضل عليه فى العبارة هو: أبو عبدالله محمد بن أبى الخصال. كان كاتباً لعلى بن يوسف ابن تاشفين، عالماً بالأخبار ومعانى الحديث والآثار من السير والأشعار. استشهد سنة ٥٣٩هـ وقيل سنة ٥٤٠هـ. ترجمته فى (الخريدة قسم شعراء المغرب - ٤٤٩)، و(المغرب ٢/٦٦).

(١٣٦) المشار إليه هو: أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان، صاحب كتاب «قلائد العقيان» توفى مقتولاً سنة ٥٣٥هـ. ترجمته: (الخريدة: شعراء المغرب/٥٣٨).

(١٣٧) ابن الصيرفى هو: عثمان بن سعيد بن عثمان الأموى المقرىء المتوفى سنة ٤٤٤هـ، كان حسن الخط جيد الضبط (أنباه الرواة ٢/٣٤١).

(١٣٨) القاضي الفاضل: مجير الدين عبدالرحيم البيساني. وزير صلاح الدين الأيوبي.. وصاحب مذهب في الترسل مشهور توفي سنة ٥٩٦هـ (وفيات ٢/٣٣٣).

(١٣٩) العماد الكاتب الأصبهاني. أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد بن عبدالله، ترجمته في (معجم الأدباء ١٩/١١ ـ ٢٨).

(١٤٠) ابن شهيد: هو أبو عامر أحمد بن عبدالملك بن شهيد المتوفى ٤٢٦هـ. له رسالة سماها: «التوابع والزوابع» وترجمته (الذخيرة القسم الأول جـ/١٦١ ـ ٢٨٩).

(١٤١) صاحب كتاب «المرقص والمطرب» هو: علي بن موسى بن سعيد المغربي المتوفى سنة ٦٧٣هـ بدمشق (مقدمة المغرب).

(١٤٢) إشارة إلى قوله في شأن الوليد بن المغيرة: «ثم عبس وبسر» (الآية: ٢٢ من سورة المدثر). وابن بسام المذكور لعله يقصد صاحب الذخيرة: «أبو الحسن علي بسام التغلبي المتوفى سنة ٥٤٢هـ (معجم الأدباء ١٢/٢٧٥)، ذلك لأن «ابن بسام المعروف بالنسامي المتوفى سنة ٣٠٢هـ، كان مشهوراً بالشعر لا بالترسل (وفيات ٣/٤٦).

(١٤٣) صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة: أحمد بن الحسين بن يحيى، المعروف ببديع الزمان الهمذاني المتوفى سنة ٣٩٨هـ (أنباه الرواة ١/١٩٣).

(أحمد بن الحسن: مجير الدين الخياط)

(*) في (ز، م): «أحمد بن الحسين». وقد وردت ترجمته في (الوافي ٦/٣٣٢، ٣٣٣)، و(أعيان العصر ج ١)، و(الدرر ١/١٣١) وفيه: «مجد الدين بن الخياط.. توفي بدمشق سنة ٧٣٥هـ.

(١٤٤) بعدها في (ز) كلمة بياض.

(١٤٥) في (أ، م): «والشموس والدارات بالبدور «ولعل التعبير «بالبدور» صحيح أيضا.

(١٤٦) الجملة اقتباس قوله تعالى: «قد نرى تقلب وجهك في السماء، فلنولينك قبلة ترضاها» (من الآية/١٤٤ من سورة البقرة).

(١٤٧) الآية (٨٩ من سورة الصافات).

(١٤٨) «مكره أخوك لا بطل» مثل قاله أبو حنش خال بيهس. وقيل: إن قائله بيهس بن هلال. ويضرب لمن يحمل على ما ليس من شأنه. راجع (أمثال الميداني ٢/٢٧٤)، و(المستقصى ٢/٣٤٧).

(١٤٩) كتب هذا البيت في جميع نسخ المخطوط هكذا على هيئة النثر. وهو لخلف الأحمر، وينسب أيضاً إلى تأبط شرا، انظر (الشعر والشعراء ١/٤٩٦، ٤٩٧) برواية:

وفي (طبقات ابن المعتز /١٤٧) برواية

إن الشعب إلى جنب سلع		لقتيلا دمه ما يطل

(١٥٠) البيت لابن حيوس من قصيدة يمدح الشريف فخر الدولة مطلعها: (بديوانه ١/٣١٢):

هو ذاك ربع المالكية فاربع		واسأل مصيفا عافيا عن مربع

(١٥١) الزيادة عن النسخ الأخرى. وفي (ز): «ويرجع إلى المدح».

(١٥٢) الزيادة عن (أ، م) وهى ضرورية لسلامة وزن الرمل.
(١٥٣) سامه محنة: أى أولاه إياها، وأراده عليها. والاقتراح: ابتداع الشيء.

(أحمد بن الحسن بن قدامة)

(*) فى (أ، وهدية العارفين ١/١١٣): «أحمد بن الحسين بن عبد الله». وفى (أ، ز): «عبد الله بن عمر». وفى (ب): (عبد الله أبى عمرو». هذا وقد نال ابن قدامة عناية كثير من المترجمين من أمثال ابن حجر فى (الدرر ١/١٢٩)، وابن تغرى بردى فى (المنهل ١/٢٦٨) وغيرهما والجميع على أن وفاته كانت فى سنة ٧٧١هـ.
(١٥٤) فى (ب): «الحنفى».
(١٥٥) فى (ز، م): «يا قاضيا». وهذه الأبيات التسع: وردت بالوافى ١٩/١٤٤.
(١٥٦) بالأصل «قلى».
(١٥٧) يريد قوله تعالى فى كتابه العزيز: «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن..» الآية/١٨٥ من سورة البقرة.
(١٥٨) فى (أ): «ضمنتها». وهو ما أثبته، إذ بغيره «ضمنتها» وهو لا يستقيم مع وزن السريع.
(١٥٩) الشطر الثانى فى (ز، م): «للنفع مع الأكل والشرب».
(١٦٠) لعله ينظر إلى قوله تعالى: «الزجاجة كأنه كوكب درى يوقد من شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء، ولو لم تمسسه نار...» الآية /٣٥ من سورة النور.
(١٦١) فى م : «معمورها». ويريد فى البيت: (الزيت).
(١٦٢) لعله يقصد ـ هنا ـ كلمة «نوتى». والنوتى: الملاح الذى يدبر السفينة فى البحر (لسان/نوت).
(١٦٣) لعله يريد ما فسره الصفدى بعد ذلك بقوله:

«كـأنـه زيـدون فـى لـفـظـه والدال مـثـل الـتـاء للـعـرب»

(١٦٤) لم أتمكن من تحديد المقصود. ولعل المراد أن الزيت ـ وهو من حروف الزيتون ـ إذا فقد انتشرت الظلمة، وأدى ذلك إلى الفساد والعبث.
(١٦٥) عجز بيت للبحترى فى الغزل وتمامه مع ما قبله (ديوانه ١/٣١٩):

أمـيـرتى لا تـغـفـرى ذنبى فـإن ذنبى شـدةُ الحبِّ
إن كـان يرضـيـكم عـذابى وأن أمـوت بالـحـسـرة والكرب
فـالـسـمع والطاعـة منى لكم حـسـبى بمـا يرضـيكم وحـسـبى

(١٦٦) فى الأصل «الخبر» بباء موحدة تحتية. وفى (أ، م): «فى الجبر». وفى (ز): «الحير» وهو صحيح.
(١٦٧) لعل الصفدى يقصد إلى الحديث الشريف الذى رواه أبو هريرة مرفوعا «كلوا الزيت، وادهنوا به، فإنه طيب مبارك». وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت، وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة» (الترغيب والترهيب ٣/٢٤٢).
(١٦٨) كلمة «درت» ساقطة من الأصل والزيادة عن (ب، ز). والبيت مأخوذ من قول أبى الحسن التهامى (بديوانه/ ٤٠):

وبلفظ خـتم كـتـابه عن كـتـبـه كـالـدر إلا أنـه لـم يـثـقـب

(١٦٩) الشطر الثانى قريب من قول سهل الوراق فى ذم الشيب (بهجة المجالس ٢/٢٢١):

أرى الشيب مذ جاوزت خمسين حجة يدب دبيب الصبح فى غسق الظلم.

(١٧٠) تضمين المثل العربى «إنما هو كبرق الخلب» (مجمع الأمثال ٣/١) . ويقول أبو الأسود الدؤلى (بديوانه/١٢٣):

لاتنهى بعد إذ أكرمتنى فشديد عادة منتزعة
لا يكن برقك برقا خلبا إن خير البرق ما الغيث معه.

(أحمد بن عبد الله: خطيب بيت لهيا)

(*) له ترجمة فى: (الدرر ١/١٩٦، وحدد تاريخ، وفاته بسنة ٧٨٠هـ)، و(شذرات الذهب ٦/٢٦٥، ٢٦٦. وفيه: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن مكتوم العجلونى).

(١٧١) فى صبح الأعشى ١٤/٣٣٢: «خطيب بيت الآلهة». قال ياقوت (٢/٣٢٤، ٣٢٥ (بيت لهيا ـ بكسر اللام وسكون الهاء ـ كذا يتلفظ به، والصحيح، بيت الآلهة. وهى قرية مشهورة بغوطة دمشق. والنسبة إليها بتلهى» اهـ.

(١٧٢) الإجازة سيأتى الحديث عنها فى ترجمة «شافع بن على».

(١٧٣) مذكورة بجميع نسخ المخطوط المعتمدة، وساقطة من الأصل.

(١٧٤) الحديث الموقوف: وهو ما أضيف إلى الصحابى من قول أو فعل. هذا وقوله «معللا» لعل الحديث «المعضل» وهو ما سقط اثنان أو أكثر من إسناده.. انظر مادة «الحديث» (بدائرة المعارف الإسلامية ١٣/٣٩٤، ٣٩٥ ط. دار الشعب).

(١٧٥) الزيادة من (أ، م) وهى لازمة للوزن. وجاء آخر البيت فى الأصل مصحفا فى قوله: «بالجيازة» بالحاء المعجمة التحتية.

(١٧٦) قد ورد جواب الصفدى فى (صبح الأعشى ١٤/٣٣٢: ٣٣٤).

(١٧٧) بالأصل: «المعانى التى من عمل فكرة» وما أثبتته من النسخ الأخرى.

(١٧٨) الزيادة فى الجملة عن الأعشى.

(١٧٩) العبارة فى (الأعشى): «ونشهد أن سيدنا محمدا...».

(١٨٠) رواية الجملة فى (الأعشى): «ويلغوا لمن لم...».

(١٨١) ما بين القوسين صدر بيت لأبى العتاهية فى مدح الخليفة المهدى (الشعر والشعراء ١/٥٠١) وتمامه مع قبله:

أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

ورواية الجملة فى الأعشى: «أذخرها الله..» بالذال المعجمة.

(١٨٢) رواية الأعشى: (ما أجاب مجيب).

(١٨٣) رواية الأعشى: «فإن علم الرواية من محاسن الإسلام وخصائص» بحذف ما بين الحاصرتين.

(١٨٤) يقصد الإمام أحمد بن حنبل بن هلال، صاحب المسند وأحد أئمة المذاهب الأربعة المشهورين ـ ترجمته (طبقات الحنابلة ١ / ٤ ـ ٢٠). والعبارة فى (معاهد التنصيص ٢ / ١٤) برواية: «قيل للإمام أحمد بن سنبل رحمة الله عليه: ما تتمنى. قال سنداً عاليا وبيتا خاليا .

(١٨٥) محمد بن أدريس أحد أئمة المذاهب الأربعة. توفى سنة ٢٠٤هـ ترجمته (الوفيات ٣/٣٠٥-٣١١).

(١٨٦) عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني. المتوفى سنة ٢١١. قال أبو سعد السمعاني: قيل ما رحل الناس إلى أحد بعد رسول الله ﷺ. مثل ما رحلوا إليه. (انظر الطبقات الكبرى ٥/٥٤٨ ط بيروت) و(طبقات الحنابلة ١/٢٠٩).

(١٨٧) صدر بيت للأبله العراقي (بالوافي ٢/٢٤٤): برواية: «ما يعرف» (وفيات الأعيان ٤/٧٨) برواية: «لا يعرف» وتمام البيت:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

(١٨٨) الزيادة فى الجملة عن الأعشى.

(١٨٩) البيت للمتنبى (بديوانه ٣/٢٤٥). وهو من قصيدة مطلعها:

فى الغدّ إن عزم الخليط رحيلا مطر يزيد به الخدود محولا

(١٩٠) قد تخلص القلقشندى فى روايته من هذه النعوت المتعددة.

(١٩١) الأعشى: «الدرر.. لو اتسعت» وما بين الخاصرتين ساقط منه.

(١٩٢) رواية الأعشى: أتى فيها.. ما تساوى.. عندها بحبة». وابن دينار: هو علي بن محمد بن عبد الرحيم المتوفى سنة ٤٠٩هـ كان كاتبا شاعرا.. وكان حسن الخط على طريقة ابن مقلة. ترجمته (بمعجم الأدباء ١٤/٢٤٥-٢٤٨).

(١٩٣) فى قوله: «إسحاق» توريه. والمقصود به هنا. إسحاق بن إبراهيم الموصلى، أعظمْ موسيقى العصر العباسى الأول (دائرة المعارف الإسلامية مادة: إسحاق).

(١٩٤) فى الأعشى: «فوقه حمامة أو بحر.. أمواجه» وفى (ب): «وأهو» بالتحريف.

(١٩٥) ابن نباته هو: عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل الحذاقى الفارقى، الخطيب المفلق، ذو الخطب المسجوعة، الرشيقة الأسلوب، المتوفى سنة ٣٧٤هـ (دائرة المعارف: ابن نباته).

(١٩٦) ابن المدير هو: محمد بن سليمان بن فرع بن المدير، الفقيه الشاعر، المتوفى سنة ٦٨٩هـ (الوافى ٣/١٣٨، ١٣٩).

(١٩٧) ابن تيمية، هو الإمام العالم المصنف أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. ابن تيمية، الحرانى، ثم الدمشقى، الحنبلى، المتوفى سنة ٧٢٨هـ (الدرر ١/١٥٤).

(١٩٨) حديث مرفوع يضرب فى وضع الشيء فى غير موضعه كما قال ابن عبد ربه فى العقد ٣/١١٧. وقد ورد فى خطبته - ﷺ - بالخيف من منى. انظر (إعجاز القرآن /١٧٩).

(١٩٩) رواية الأعشى: فنعم قد استخرت الله تعالى وأجزت له ما يجوز لى تسميعه». وبعد ذلك اختصار.

(٢٠٠) الوجادة هى - كما يقول الأستاذ/ عبد السلام هارون فى كتابه (تحقيق النصوص ونشرها/١٣) - «أن يجد حديثا أو كتاباً بخط شخص بإسناده، فله أن يرويه على سبيل الحكاية، فيقول: وجدت بخط فلان، ويسنده «... إلخ».

(٢٠١) الرواية فى الأعشى: «وجاز مدى العلا سبقا وحازه!» بالمعجمة فى الأولى والمهملة فى الثانية.

(٢٠٢) هذا البيت ورد فى (م) بعدما يليه.

(٢٠٣) بالأصل: «لم تطرفه» وأثبت ما فى (ب، ز).

(٢٠٤) فى (ب): «ولا براه» بالباء وهو صحيح.

(أحمد بن عبد الله، المعروف بالمترجم)

(*) لم أجد، فيما توصلت إليه من مصادر، أحدا ترجم له غير الصفدى فى (الوافى ٧/ ١٣٠ - ١٤١ط. بيروت (ولم يحدد سنه وفاته، بل أشار إلى أن آخر عهده به هو سنة ٧٤٥هـ.

(٢٠٥) كتاب جنان الجناس فى علم البديع. طبع فى مطبعة الجوائب - الطبعة الأولى سنة ١٢٩٩ . وهو من مصادرى.

(٢٠٦) وردت أبيات هذه القصيدة بالوافى ٧/ ١٤٠، ١٤١.

(٢٠٧) بالوافى: «يلحق» بالياء التحتية.

(٢٠٨) الطلق: الشوط يقال عدا الفرس طلقا، أى شوطا.

(٢٠٩) بالوافى: «يميناء وكلاهما صالح.

(٢١٠) فى (ب): «هكذا الفضل».

(٢١١) الروض الأريض: المعجب للعين، والروض الأنف - بضمتين - أى لم يرعها أحد، كأنه استؤنف رعيها، والأرج: توهج ريح الطيب، وأرج الطيب فاح. (اللسان: أرض - أنف - أرج).

(٢١٢) قس هو: ابن ساعدة بن جذامة بن زفر بن إياد.. الإيادى، أحد حكام العرب وخطبائهم، ويضرب به المثل فى الفصاحة. ترجمته بالإصابة/ ٥: ٢٨٥، ٢٨٦ . والبيت يشير إلى قوله من خطبته بسوق عكاظ: «أيها الناس، اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات..» إلخ. انظر هذه الخطبة (بصبح الأعشى ١/ ٢١٢).

(٢١٣) القصيدة الآتية وردت: (بالوافى ٧/ ١٤١، ١٢).

(أحمد بن على.. بن غانم)

(*) فى (ب): «أحمد بن على بن مجير» بالتحريف. هذا وقد ترجم له: ابن حجر فى (الدرر ١/ ٢٣٩)، وأرخ لوفاته سنة ٧٥٨هـ. وكذا ترجم له الصفدى فى (أعيان العصر ج ١).

(٢١٤) الشطر الثانى مأخوذ من قول شمس الدين الكوفى من قصيدة يذكر خراب بغداد وقتل الخليفة (فوات ١/ ٤٩٨).

وحياتكم إنى على عهد الهوى ... باق، ولم يخفر لدى ذمام.
فدمى حلال إن أردت سواكم ... والعيش بعدكمُ علىَّ حرام.

وقد ذكر من القصيدة فى (درة الأسلاك ٣/ ١٢٨) هذا البيت، وأبيات خمسة أخرى. وهذه الأبيات الخمسة بدايتها: «كان الزمام بهم - لا أوحشت دار - يا غائبين - لى كلما هجع الخلى - وحياتكم ما نمت». ١

(٢١٥) الشطر الثانى من قصيدة لأبى نواس يمدح الخليفة الأمين بن الرشيد برواية:

لم تبق فيك حشاشة تستام

(٢١٦) فى (ب): «أنا إليه وهو بمرج الفسولة».

(٢١٧) فى الأصل: «وأنت أمام» بفتح الهمزة وكلاهما صحيح.

(٢١٨) الشطر الثانى فى (أ): «قد ذر» بالذال المعجمة وهو صحيح من قولهم: ذر الشىء، فرقه. وفى (ب): «قد در من مسك الختام ختام».

(٢١٩) بالأصل: «من درهرى».

(٢٢٠) فى هذه العبارة وما قبلها إشارة إلى بعض أقسام الحديث بالنسبة لتصنيفه. فالحديث الحسن: هو ما لم يكن بريئا من الشوائب براءة تامة، كأن يكون غير متصل السند تمام الاتصال، أو كان لا يقع الإجماع على الثقة

بروانه. أما الحديث الضعيف: فهو ما إذا وقع فيه شك خطير، كأن يكون ذلك فى متنه، أو غير ذلك.. انظر مادة «الحديث» (بدائرة المعارف الإسلامية ١٣/٣٩٤، ٣٩٥ ط. دار الشعب).

(٢٢١) صدر بيت. وتمامه:

على كل حال أم عمرو جميلة   وإن لبست خلقانها وجديدها

وسيأتي الحديث عنه.

(٢٢٢) البيت للمتنبى (بديوانه: ٣/٣٧٤) من قصيدة التى يمدح فيها سيف الدولة ويعاتبه ومطلعها:

واحر قلباه ممن قلبه شبم   ومن بجسمى وحالى عنده سقم

(٢٢٣) وردت الأبيات الثلاثة الآتية فى (أعيان جـ١، والتذكرة المجلد الأخير/٢٥).

(٢٢٤) وردت الأبيات الآتية فى (أعيان، والتذكرة) أيضا.

(٢٢٥) بالأصل، وبأعيان العصر: «بليت» باللام وما أثبته من (ب، ز، م).

(٢٢٦) وردت الأبيات الثلاثة فى (أعيان العصر جـ١) وورد البيت الأول والثالث فى (درة الأسلاك ٣/١٢٨).

(٢٢٧) بأعيان: «الجفاء».

(٢٢٨) فى (ب): «الديون» تحريف، ورواية الشطر الثانى فى (أعيان): «وماحلر» وهى مقبولة على أن (ما) نافية. والمعنى ما أضاء أفق.. و(ما) على قراءة الأصل استفهامية، والسؤال تقريرى عن حال الأفق ولونه فى غياب نجمه. ويصح أن نقول (ما حال أفق) بالنفى.. أى ما تحرك.. من حال يحول، إذا تحرك، أو بمعنى: ما تغير لون سواد أفق..» (لسان: حول).

(٢٢٩) الأبيات الثلاثة وردت بأعيان العصر.

(٢٣٠) فى (ب): «ما زال فى أبحر الندى».

(٢٣١) قد ورد البيتان الآتيان بالتذكرة الأخير/ ٢٤، وبأعيان العصر.

(٢٣٢) بالتذكرة: «هذه بغلتى». وانتهى البيت فى (أعيان): «بعقلى المفيش» تحريف. هذا وقوله: «بعقلى» لعله من عقل البعير، أى قيده. فهو يشكو له ضنك معيشته وفقره.

(٢٣٣) البيتان وردا بالمصدرين السابقين أيضا.

(٢٣٤) صدر البيت فى (ز): «يا مليكا» وهو صحيح غير مرفوض. وفى (م): «يا مالكا». والوزن يدفعه. هذا، والهشيش، لعله من هش يهش ـ بكسر الهاء وفتحها ـ ارتاح ـ وتبسم، ونشط. والهشيش أيضا: من يفزع إذا سئل.

(٢٣٥) (بالأصل، ب، ز): «فإن ذاك» والتصويب من (أ، م)، وأعيان العصر» وهو ضرورى لصحة الوزن. وختم البيت فى (أعيان) بقوله: «أكديش» بالتصحيف. هذا، ولعل معنى الشطر الثانى. رعته خيولى. أو رعاه فرسى الهزيل. فالكديش من الخيل، خلاف الجواد، يمتهن بالركوب والحمل، جمعه كدش، وأكاديش (محيط المحيط كدش).

(٢٣٦) ورد البيتان فى (أعيان العصر، والدرر ١/٢٣٢).

(٢٣٧) الجواب قد ورد فى (أعيان العصر) وورد الأول والثالث فى (الدرر) برواية:

مولاى قد قلدتنى حلية   من جوهر اللفظ بعقد نظيم

مذهب معناه فتم العنا   والبدر تسبى منه تاء وميم.

(٢٣٨) بأعيان العصر: «يسبى» بالباء الموحدة التحتية فى أوله.

(٢٣٩) صدر بيت للبهاء زهير (بديوانه / ١٠٠ ط الموسوعات) وتمامه:

تعيش أنت وتبقى   أنا الذى مت حقا

(٢٤٠) بالأصل «أولا خبرونى» والتصويب من النسخ الأخرى.

(٢٤١) بأعيان: «وكتب وهو ضعيف إلى...» ثم أورد هناك الأبيات الخمسة الآتية.

(٢٤٢) الشطر الثاني بالأصل «يروى» واخترت ما فى النسخ الأخرى. والرواية بأعيان: «تزرى معاليه».

(٢٤٣) «على البكا» بأعيان العصر. وفى البيت إشارة إلى قول امرئ القيس: (قفانبك...).

(٢٤٤) ورد الجواب: بأعيان العصر.

(٢٤٥) الزيادة عن: أعيان العصر، وجميع النسخ المعتمدة من المخطوط.

(٢٤٦) فى (ز، وأعيان): «فإذا».

(٢٤٧) بأعيان: «فى الوفا».

(٢٤٨) بأعيان العصر: «التى ما أخمدت».

(٢٤٩) بأعيان: «فكأنما» والإشارة فى البيت وما بعده إلى الفتنة التى قامت بين على ـ كرم الله وجهه ـ ومعاوية. واشتعلت فى صفين. والحكمان: هما، أبو موسى الأشعرى ـ ويضرب به المثل فى سلامة الباطن ـ انظر (صبح الأعشى ٤٥٣/١). والثانى: عمرو بن العاص بن وائل المتوفى سنة ٤٣هـ. ويضرب به المثل فى الدهاء، وأمره فى الاحتيال لتقديم أبى موسى الأشعرى لخلع صاحبه ـ على بن أبى طالب ـ مشهور فى التاريخ. انظر: (صبح الأعشى ٤٥٣/١، والإصابة ٣٠٢/٥).

(٢٥٠) الإشارة هنا إلى ما تحمله عبد الله بن الزبير بن العوام ـ أمه أسماء بنت أبى بكر، وهو أحد الصحابة الشجعان، وأحد من ولى الخلافة منهم ـ ما تحمله من اضطهاد وحروب بعد امتناعه عن مبايعة يزيد، إلى أن قتله الحجاج بن يوسف الثقفى سنة ٧٣هـ فى أيام عبد الملك بن مروان. (الإصابة: ٦٩/٤ ـ ٧١). هذا، وأبو السبطين: هو الإمام على بن أبى طالب وأمره فى التاريخ غرة. والسبطان هما: الحسن، والحسين، سيدا شباب أهل الجنة (الإصابة: ١١/٢، ١٢). والسبط واحد الأسباط وهو ولد الولد).

(٢٥١) بأعيان: «فى السن».

(٢٥٢) بأعيان: «فالله».

(٢٥٣) بالأصل «وفاموا» واخترت عبارة (أ) لتحقيق الجناس الذى يعد غاية عند الصفدى.

(٢٥٤) أى لا تجارى. قال الجوهرى. هما يتبادهان بالشعر أى يتجاريان. والبداهة والبديهة: أول جرى الفرس. واللسان (بده).

(٢٥٥) هذا البيت استدرك على هامش الأصل ولم تظهر به الكلمة الأخيرة.

(٢٥٦) مأخوذ من قول عنترة مخاطباً عبلة:

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المبتسم

(٢٥٧) الصعدة: القناة المستوية، لا تحتاج إلى تثقيف (لسان: صعد).

(٢٥٨) لعله نظر إلى قول عمارة اليمنى فى مدح الخليفة العاضد، ووزيره طلائع بن رزيك: (النكت العصرية/٣٣):

ليت الكواكب تدنو لى فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمى

(٢٥٩) هذا الشطر لمراسله نجم الدين فى القصيدة السابقة: وعجزه: «يقضى بها... دنف مراده».

(٢٦٠) «لعل الإشارة الأولى يريد بها: مطرا أخا عقبة بن جرول (من بنى صباح ابن لكيز بن أقصى بن عبد القيس) من أمه. ترجمته (بالطبقات الكبرى ٥٦٦/٥) وقتادة فى الشطر الثانى. لعله: قتادة بن ثمامة بن قتادة السدوسى المتوفى سنة ١١٧هـ. جعله السيوطى ضمن الطبقة الرابعة (صغار التابعين) فى (طبقات الحفاظ). ولعل المعنى دمعه يسيل كالمطر. وجفنه به وخز كو خز الشوك. فالقتاد: شجر له شوك.

(٢٦١) الإشارة فيه إلى الواقدى الإمام العالم صاحب التصانيف فى المغازى. أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، الواقدى المدنى المتوفى سنة ٢٠٧هـ (وفيات ٤٧٠/٣) وقوله «مسعر»، قال ابن الأثير: المسعر والمسعار: ما تحرك

به النار من آلة الحديد. (النهاية فى غريب الحديث (س ع ر). هذا وقد ورى الشاعر عن هذا المعنى بأبى ماجة: مسعر بن كدام الهلالى الكوفى أحد رواة الحديث المتوفى سنة ١٥٢هـ ترجمته (تذكرة الحفاظ ١/١٨٨).

(٢٦٢) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر. أبو عقيل الشاعر الفارس المشهور. ترجمته (الإصابة ٦/٤، ٥). ولعل الصفدى نظر فى هذا البيت وفى الشطر الأول من البيت التالى إلى قول أبى سعيد محمد بن محمد الرستمى فى وصف شعره (خاص الخواص ١٧٤):

قـــواف إذا ما رواها المشو ق هزت لها الغانيات القدودا
كسون عبيداً ثياب العبيد وأضحـــى لبيد لديهـــا بليدا

(٢٦٣) هذا البيت ورد فى (أ)، بعد ما يليه. ولعله فى الشطر الأول يريد عبيد بن الأبرص الأسدى الذى نادم ملوك الحيرة مع النابغة الذبيانى. وشعره من أصدق الشعر الجاهلى الحافل بصورة الفخر الجرئ كما يقول (بروكلمان ١/١١٠). أو يريد: عبيد الراعى النميرى الشاعر المشهور. وفى الشطر الثانى: البحترى: هو أبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى الشاعر العباسى المشهور المتوفى سنة ٢٨٤هـ وقيل سنة ٢٨٥هـ، وقيل سنة ٢٨٣هـ (ترجمته: وفيات ٥/٧٤ ـ ٨٤).

(٢٦٤) الإشارة إلى جنادة ،ولعله يريد به: جنادة بن محمد الهروى النحوى.. المتهم بأنه سحر النيل فقتله الخليفة الحاكم سنة ٣٩٩هـ. (بروكلمان ٢/٢٧٥).

(٢٦٥) هذا البيت والبيتان التاليان له غير واضحة بالأصل. فاستوضحتها من النسخ الأخرى. والرواية فى أول البيت فى (م): «زفت» بالتصحيف، وابن أبى جراده: لعله يريد به: القاضى ثقة الملك أبا على الحسن بن على بن عبد الله ابن أبى جراده المتوفى سنة ٥٥١هـ ـ كان كاتبا فاضلا شاعرا أديبا يكتب النسخ على طريقة ابن مقلة، والرقاع على طريقة ابن البواب. ترجمته (بالخريدة قسم شعراء الشام ٢/١٩٧ ـ ٢٢٣). وثمة آخر، مذكور بترجمة الشيخ عبد الوهاب السبكى.

(٢٦٦) فتى زيادة: لعله أبو عبد الله بن محمد بن منصور بن زياد الغسانى الكاتب كان يلى ديوان الجند أيام الرشيد، ولقبه بفتى العسكر (معجم ابن الفوطى /٤٨، ٤٩).

(٢٦٧) ابن الأثير: ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد.. الجزرى بن الأثير. كان وزيرا للملك الأفضل بن صلاح الدين توفى سنة ٦٣٧هـ وهو صاحب «المثل السائر» وأخرج ديوانا من الرسائل النموذجية. انظر (مقدمة الجامع الكبير).

(٢٦٨) الأرجانى: هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجانى المتوفى سنة ٥٤٤هـ. يقول الصفدى: «كان أحد أفاضل الزمان لطيف العبارة، غواصا على المعانى، إذا ظفر على المعنى لا يدع فيه لمن بعده فضلا» (الوافى ٧/٣٧٣ ـ ٣٧٨).

(٢٦٩) (ب): «... وأجر على قواعد خيره»، ونهاية البيت تضمين المثل العربى: «الخير عادة والشر لجاجة». وهو مأخوذ من قول أبى نواس ـ وهو فى حبسه ـ مخاطبا الفضل بن الربيع: (بالشعر والشعراء ١/٧، ٥):

أنت يا ابن الربيع علمتنى الخير وعـــودتنيه والخـــير عادة

(أحمد بن على بن عبد الكافى)

(*) من الذين نالوا عناية الجم من المترجمين من أمثال الصفدى فى (الوافى ٧/٢٤٦): وابن تغرى بردى فى (المنهل ١/٣٨٥ ـ ٣٩٢)، وابن حجر فى (الدرر ١/٢٢٤ ـ ٢٢٩) وغيرهما. والكثير على أن وفاته كانت فى

سنة ٧٧٣هـ. أما صاحب (الدارس ١/٣٦٦) فقد جعل وفاته سنة ٧٥٣هـ. وصاحب (البدر الطالع ١/٨١) جعلها سنة ٧٦٣هـ.

(٢٧٠) هذا الشطر عجز بيت منسوب لكثير عزة (بالأغاني ٧/٨٧ ـ ٩/٢٦) ومنسوب لكثير، أو لذى الرمة فى (تزيين الأسواق/٤٣، وحاشية ديوان المجنون /١٠٦) وتمام البيت:

وكنت إذا مــا جــئت ســيا أزورها   أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعــيــدها

(٢٧١) ثورى، وبردى: نهران بدمشق.

(٢٧٢) هذا الشطر مأخوذ من بيت نسب للمجنون (بديوانه /١٠٧)، ونسب لكثير عزة، أو لذى الرمة فى (تزيين الأسواق/٤٣) و(حاشية ديوان المجنون/١٠٦) ورواية البيت كما فى الديوان:

ولى نظرة بعــد الصــدود من الهــوى   كنظرة ثكلى قــد أصــيب وحــيــدها.

والشطر الأول تضمين المثل العربى «كالمستجير من الرمضاء بالنار» (مجمع الأمثال ٢/٣٨٨).

(٢٧٣) يذكرنى الشطر الثانى بقول يعقوب بن الربيع فى رثاء جاريته «ملك» (بمعجم الشعراء ٤٩٧) ـ ولعله منه:

وإنى على ملك لبــســت مــلاءة   من الحــزن مــايبلى الزمــان جــديدها

(٢٧٤) لعله مأخوذ من تميم بن المعز يمدح الإمام العزيز بالله:

نمــــا بين المكارم والمــعـــالى   فطارفــهـــا له، وله التليــــد

(٢٧٥) ظافر: هو ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله. المعروف بالحداد، شاعر أديب توفى سنة ٥٢٩هـ ترجمته (بخريدة القصر قسم شعراء مصر ٢/١: ١٧). والقاضى السعيد بن سناء الملك الشاعر المصرى المشهور، هو هبة الله، بن القاضى الرشيد أبى الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك. توفى سنة ٦٠٨هـ ترجمته (وفيات ٥/١١٢ ـ ١١٦). هذا، والشطر الأخير جاء بالأصل هكذا: «بتلك الأقاصى والسعيد سعدها» والتصويب من النسخ الأخرى.

(٢٧٦) يشير إلى العماد الكاتب الأصبهانى.

(٢٧٧) يقصد بالفاضل: القاضى الفاضل وقد تكرر من قبل وفى الشطر الثانى يشير إلى: عبد الحميد بن يحيى بن سعد الكاتب، أبو غالب. يضرب به المثل فى البلاغة، وكان إماما فى الكتابة وفى كل فن من العلم والأدب قتل سنة ١٣٢هـ ترجمته (وفيات ٢/٣٩٤ـ ٣٩٧). ولعل أحمد بن عبد الكافى نظر فى الشطر الثانى من هذا البيت إلى قول أبى إسحق الصابى، فى اعتقاله (يتيمة: ٢/٢٤٣).

أنســيـتم كـتـبـا شـحنت فـصولهـا   بفــصـــول در عندكم منضـــود
ورســـائلا نـفـــذت إلى أطرافكم   عـبـد الحـمـيـد بهن غـيـر حـمـيـد

(٢٧٨) فى (أ، م): «بعد النحوس». وهو ما أثبته، إذ بالأصل «نحو».

(٢٧٩) الشطر الثانى جاء فى الأصل «وطابت معانيها» واخترت عبارة النسخ الأخرى.

(٢٨٠) فى (م): «مدارسا».

(٢٨١) تضمين قول النابغة الذبيانى (بديوانه /١١٨):

نفس عـصـام سـودت عـصـامـا وعلمـتـه الكر والإقـدامـا

(٢٨٢) ساقطة من الأصل والزيادة من النسخ ا لأخرى.
(٢٨٣) لعله نظر هنا إلى قول الطغرائى (بالغيث ١/١٤٠):

والدهر يعكس أمـالى ويقنعنى من الغنيمـة بعـد الكد بالقـفل

(٢٨٤) (بالأصل، ب): «غد» بالعين المعجمة والدال المهملة المشددة ـ وفى (ز): «عدوا الظنون قيودها» ـ بالمهملتين آخرها ألف مد ـ وفى (م): «غدا.. فهودها» بالمعجمة فالمهملة الممدودة. ورواية البيت فى (أ): «قصدت حمى مصر يكون مصاحبى المنى ويحسن من عدا الطيور رعودها». والتحريف فيه ظاهر. على أن فى (م) ورد قوله: «بصاحبى» ـ فى الشطر الأول ـ بياء ـ وفى الكلام تقديم وتأخير. ولعل الكلمة «عدو الظنون» كما أثبتها، مستعينا بالجناس بين «عدو» و«عودها».
(٢٨٥) الشطر الأخير عجز بيت للحسين بن مطير الأسدى (بشرح ديوان الحماسة ٣/١٢٣٠، والأمالى ١/١٦٧)، وتمامه:

يمنيننا حـتى ترف قلوبنا رفـيف الخـزامى بات طل يجـودها

والخزامى: نبت زهره أطيب الأزهار نفحة.
(٢٨٦) هذا البيت تضمين قول الحسين بن مطير (شرح ديوان الحماسة ٣/١٢٢٨):

لقـد كنت جلدا قـبل أنتـوقـد النوى على كـبـدى نارا بطيـئـا خـمـودها

(٢٨٧) فى (ز، م): «خلودها» وهو صحيح.
(٢٨٨) يغيث الأعادى: أى يقضى عليهم فجأة. وموت الفوات، موت الفجأة.
(٢٨٩) بالأصل: «لا يعيدها» تحريف. وهذا الشطر عجز بيت نسب إلى مجنون ليلى (بديوانه /١٠٨)، ونسبه الأصفهانى لكثيرعزة (بالأغانى ٧/٨٧، ٩/٢٦، ٣٩)، وهو غير منسوب فى (الأمالى ١/٨٤) وتمام البيت:

من الفـقـرات البـيض وجليـسـهـا إذا مـا انقـضت أحـدوثة لو تعـيـدها

(٢٩٠) «يستفيدها» بالفاملى (م).
(٢٩١) وزرود: موضع. وقيل: اسم رمل مؤنث ـ ولعله المراد هنا ـ (لسان: زرد).
(٢٩٢) فى (ب) «تشوق» وكلاهما صحيح.
(٢٩٣) الإشارة هنا إلى كتاب العقد الفريد/ لابن عبد ربه الأندلسى، وكتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى. وهما من مصادرى.
(٢٩٤) دالية: أى وسيلة، أو قدرة وجرأة. فالدال، والدالة: الجرأة.
(٢٩٥) ابن المعتز: هو الشاعر المبدع عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم. المتوفى سنة ٢٩٦هـ ترجمته (وفيات ٢/٢٦٣ ـ ٢٦٨). وفى قوله «المقتدر» موفقا، تورية.
(٢٩٦) وردت هذه الرسالة، والإجابة عنها فى (نكت الهميان/ ٤٩، ٥٠) و(الوافى ٧/٢٥٠، ٢٥١).

(٢٩٧) بنكت الهميان: «سيز» بالسين المهملة. وجاء بهامشها: «وهى فارسية بمعنى الصوت المرخم».

(٢٩٨) فى الأصل، أ، ب: «الفويض». وفى (نكت): «العويص» بالعين المهملة. وهو ما أثبته.

(٢٩٩) فى نكت: «فأخرج». وفى (ب، ز، م، نكت): «فضلة» وهذا ما أخذت به مع صحة ما جاء بالأصل، وهو «فصلة» بالصاد المهملة. هذا وفى (الوافى): «فضلة».

(٣٠٠) بنكت الهميان ورد نهاية هذا الشطر: «فى بيانها».

(٣٠١) «عزيز» تورية. إذ فى البيت إشارة إلى قصة سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ وإخوته.

(٣٠٢) بالوافى (٧/٢٥١): «فكتب الجواب عن ذلك سريعا». وأورد القصيدة.

(٣٠٣) بنكت: «امرؤ». وآخر البيت فيه: «لأفعال الإمام يميز».

(٣٠٤) ضموز: من قولهم ضمز إذا سكت ولم يتكلم. (حاشية النكت/ ٥٠).

(٣٠٥) فى (أ، ونكت الهميان، والوافى): «وإن لم يكنه».

(٣٠٦) وردت هذه الرسالة وإجابة الصفدى عنها بالتذكرة المجلد الأخير (الورقة (٥٢ ـ ٥٥)، (وضمن مجموعة رسائل مخطوطة بدار الكتب برقم ٢٦٦ مجاميع تيمور. والرسالتان فى هذا المجموع فى الورقة ٣٥ ـ ٣٨، وقد ذكر صاحب (درةالأسلاك ٣/١٦٩) أحد عشر بيتا من قصيدة السبكى وهذه الأبيات هى من ١: ٥، ٧، ١٠، ١٢، ٤٥، ٤٧، وذكر السيوطى فى (كوكب الروضة) ص ١٤٢ ستة وثلاثين بيتا من هذه القصيدة.

(٣٠٧) هذا البيت لبلال بن رباح الحبشى مؤذن الرسول ﷺ (الشعر والشعراء ١/٤٨٥) برواية: «وحولى أذخر وجليل»، و(لسان العرب مادة: ج ل ل) برواية: بفج وحولى اذخر وجليلى، و(جمع المنثور/١٨)، و(بهجة المجالس ١/٨٠٢) وفيه: «كان بلال لما قدم المدينة ينشد تشوقا إلى مكة ويرفع عقيرته» وأورد البيت برواية: «بواد وحولى اذخر وجليل» وهى نفس الرواية التى جاءت بها النسخة (ب).

(٣٠٨) فى (ز): «ومدى».

(٣٠٩) بالتذكرة: «وفؤادى». وفى المجموعة وخودى.

(٣١٠) الشطر الثانى عجز بيت للمتنبى (بديوانه ٣/٩٥) وتمامه:

ليالى بعد الظاعنين شكول ... طوال، وليل العاشقين طويل.

(٣١١) ساقط من الأصل، و(ز): والزيادة من (أ، ب، م، والتذكرة، والمجموعة، وكوكب الروضة). والرواية فى (ب): «وما بى غلة» بالعين المعجمة.

(٣١٢) بالتذكرة: «بروق» تصحيف.

(٣١٣) فى (أ): «جاد الزمان».

(٣١٤) فى المجموعة «عن الورى.. لمثل القلب».

(٣١٥) فى (كوكب الروضة): «بالسيل فهو».

(٣١٦) لعله يريد بذلك الاسم الذى حواه اسم نيل: «الحوت» كما يفهم من الحرف الأول. والحرف المسكن هو: «الياء» فى وسط الكلمة. والمراد بالفعل: الكرم والعطاء. وهما نادران على حد تعبير الشاعر: «والكرام قليل». هذا، ولعل بهاء الدين نظر هنا إلى قول الصاحب بن عباد فى رثاء كثير بن أحمد الوزير (تأهيل الغريب ١٠٣):

فقلت دعونى والعلا نبكه معاً ... فمثل كثير فى الأنام قليل

(٣١٧) فى (ب): «إن زال حرف فلو ترى». وبالأصل جاء الثانى: «لديه عن المستقبلات». وعكسه على النحو الذى وصفه هو: (لن) وهو حرف نفى للزمان المستقبل.

(٣١٨) (ب): ««السابقين». وكلاهما صحيح. وفى المجموعة «الفروع فأينعت».

(٣١٩) فى المجموعة «ابن كل ما ألغزت».

(٣٢٠) هذا آخر بيت ذكره السيوطى.

(٣٢١) تورية. هذا، والرواية فى المجموعة: «جمعت بحار العلم..».

(٣٢٢) فى (ب): «جلة» بالجيم المعجمة، تصحيف، وقد ورد الثانى فى (ز) هكذا: «لها نسجت». وفى المجموعة: «لها سحبت».

(٣٢٣) فى المجموعة: «جمعتنا».

(٣٢٤) لعل الشاعر نظر فى ا لمعنى إلى قول بديع الزمان مخاطباًأحد شعراء العجم بمحضر الصاحب بن عباد:

تريد على مكارمنا دليـــلا   متى احتــاج النهــار إلى دليل؟!

(٣٢٥) الرسيل: من معانيه: الرسول، والمراسل. والموافق. هذا، والرسول: المرسل، والرسالة (لسان، والمعجم الوسيط: رسل).

(٣٢٦) لعله نظر إلى قول إبراهيم الغزى (بمعاهد التنصيص ٢/٢٢٣):

بقيت بقاء الدهر ماذر شارق   وغار جديد المكرمات وأنجدا

(٣٢٧) فى (ب): والمجموعة «فيها» صحيح.

(٣٢٨) بالتذكرة: «للنداء» تحريف.

(٣٢٩) بالأصل «مردوة» سهو. وفى (ب): «ممدودة مقصوره «تحريف واخترت عبارة (ز).

(٣٣٠) بالأصل: «والكفة» والتصويب من التذكرة والنسخ الأخرى.

(٣٣١) هذا البيت يذكرنى بقول ابن النبيه يمدح أسعد بن مماتى (بديوانه/٦٥):

ماجد صور المهيمن يمناً   من اليمين واليسار اليسارا.

(٣٣٢) فى (ب، ز، م): «مقاليد المقاليد». هذا، والرواية، فى المجموعة: «تقاليد المقاليد ينتهى» بالمثناة التحتية فى أوله.

(٣٣٣) التذكرة «يسابقه الإنابه، ويساوقه».. وفى (ز): «ونساوقه» وقد اخترت عبارة «التذكرة» عن ما ورد بالأصل وغيره من النسخ وهو: «يسابقه القبول».

(٣٣٤) صدر البيت للمتنبى، وهو مطلع قصيدته التى يمدح بها سيف الدولة ويهنئه بالعيد (بديوانه ١/٢٨١) وتمام البيت:

لكل امرئ من دهره ماتعودا   وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا

(٣٣٥) عجز بيت للمتنبى (بديوانه ١/٢٨٨) وتمامه:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم   ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

(٣٣٦) بالتذكرة: «على الفضل» والجملة قبلها فى المجموعة برواية: «لسان اللسان» بالتحريف.

(٣٣٧) عجز بيت لأبى العلاء المعرى (بسقط الزند /١٩٦ ط بيروت): وتمامه:

فإن كنت تبغى العز فابغ توسطا فعند التناهى يقصر المتطاول

(٣٣٨) فى ثمار القلوب /٦٥٣، يقول الشاعر:

وأبعد من هذا الذى قد أردته مناط الثريا من يد المتناول

(٣٣٩) بالأصل «تفريق» بالتحريف. والتصويب من باقى النسخ.

(٣٤٠) العبارة فى المجموعة: «بوفودها إليه.. ورودها عليه».

(٣٤١) بالأصل «ومأربا». وهذان البيتان وردا فى: (إنباء الغمر ١/٢٣، ودرة الأسلاك ٣/١٦٨، وشذرات ٦/٢٢٦، ٢٢٧، وحاشية المنهل ١/٣٨٦) والرواية فيه: «أتتنى فأولتنى...».

(٣٤٢) بالتذكرة: «بما أنفق».

(٣٤٣) بالتذكرة: «والله تعالى يحقق».

(٣٤٤) بالتذكرة: «الاجتماع بمنه وكرمه».

(٣٤٥) بالتذكرة: «عن ذلك فى وزنه ورويه. وفى المجموعة: «فكتب صلاح الدين المذكور الجواب إليه من الوزن والروى». هذا، وقد ذكر السيوطى القصيدة فى «كوكب الروضة (وجامغى) درة الأسلاك: ٣: ١٦٩، ١٧٠ (منها اثنا عشر بيتا، وهى الأبيات من ١: ٣، ٦: ٨، ١٠: ١٢، ١٤، ١٧، ٣٨، والرواية فى السابع عشر: «ألا يافتى الأنصار إنك سيد».

(٣٤٦) فى (ب، ز): «مرح» بالحاء المهملة. وهو ما أثبته إذ بغيرهما مرج.

(٣٤٧) فى (ب): «ومن ماله» ولعلها أخف.

(٣٤٨) عجز بيت للسموءل بن عاد ياء، وتمامه برواية ديوانه/٩٠.

سلى إن جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول

وهذه القصيدة التى منها هذا البيت اختلف فى نسبها. فهى للسموءل (بديوانه/٩٠ ـ ٩٢، وبالمثل السائر/٦٦،٦٧، (المطبعة البهية) وبمعاهد التنصيص ١/١٢٩، ١٣٠، وبالمستطرف ١/١٥٩، ١٦٠، وبحاشية الخضرى ١/١١٢، وبالعقد ١/١٩٠، والبيان والتبين ٣/١٢١. وبثمار القلوب / ١٣٢ (وتحرير التحبير/٣٧٩). وهى منسوبة إلى دكين الراجز فى (الأغانى ٩/٢٦٢، والشعر والشعراء ١/٦١٢، وعيون الأخبار ٣/١٧٢). ومنسوبة لعمرو بن شأس فى (الأمالى ١/٢٧٣). ومنسوبة إلى عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى ـ ويقال: إنها للسموءل ـ فى (شرح ديوان الحماسة ١/١١٠) و(تأهيل الغريب/ ٤٣).

(٣٤٩) عجز بيت للسموءل من القصيدة السابقة المختلفة فى نسبها ـ والبيت مطلع القصيدة. وتمامه:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

(٣٥٠) فى (ز): «مناقبه» وكلاهما صحيح.

(٣٥١) عجز بيت من القصيدة السابقة للسموءل، وتمامه:

وأيامنا مشهورة فى عدونا لها غرر معلومة وحجول

(٣٥٢) عجز بيت من القصيدة السابقة للسموْءل، وتمامه:

ونذكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولايذكرون القول حين نقول

(٣٥٣) عجز بيت من القصيدة السابقة أيضاً، وتمامه:

أذا سيد منا خلا قام سيد ... قئول لما قال الكرام فعول

(٣٥٤) يشير إلى قول السبكى:

يسير ويسرى بين شرق ومغرب ... له كل يوم نقلة ورحيل

(٣٥٥) مقتبس من قوله تعالى واصفاً الحياة الدنيا: «كمثل غيث أعجب الكفار نباته...» من الآية/ ٢٠ من سورة الحديد.

(٣٥٦) وكسره: زيادته. فقد جاء فى (لسان العرب: كسر): «واد مكسر سالت كسوره.. وقال ثعلب: واد مكسر ـ بالفتح ـ كأن الماء كسره أى أسال معاطفه..» ١ ـ هـ.

(٣٥٧) بالتذكرة: «الحبب المنضد».

(٣٥٨) اقتباس قوله تعالى: «وإذا الجنة أزلفت» الآية ١٣ من سورة التكوير.

(٣٥٩) ابن النبيه هو الشاعر الأديب على بن محمد بن الحسن. كمال الدين بن النبيه المصرى المتوفى سنة ٦١٩هـ ترجمته (بروكلمان ٥/٦٥، ٦٦).

(٣٦٠) ابن أبى الأصبع وهو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبى الأصبع العدوانى المصرى من علماء اللغة فى مصر. توفى سنة ٦٥٤هـ (بروكلمان ٥/٣٤٢).

(٣٦١) هو: الحسن بن شاور بن طرخان، شاعر من أفاضل مصر، وصاحب كتاب: «منازل الأحباب» توفى سنة ٦٧٨هـ (فوات ١/١١٨).

(٣٦٢) النصير الحمامى: كان يتحرف باكتراء الحمامات، وينظم الشعر ويستجدى به، عاش بمصر، وتوفى بها سنة ٧١٢هـ (فوات ٢/٤٠٤ ـ ٦٠٦). والقسطل: الغبار الساطع والقسطلانى: قوس قزح. (لسان: قسطل).

(٣٦٣) فى المجموعة: «إلا وهى كالكواكب». والكواكب السيارة هى سبع: زحل، والمشترى، المريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر. (انظر: صبح الأعشى: ٢/١٥٩).

(٣٦٤) اقتباس قوله تعالى فى شأن أبى لهب وزوجه «وامرأته حمالة الحطب، فى جيدها حبل من مسد». الآية: ٥ من سورة (المسد).

(٣٦٥) اقتباس قوله تعالى: «وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً» الآية: ٩ من سورة الجن.

(٣٦٦) فى (ب، م): «كف مذاوى». وفى (ز): وبالتذكرة، والمجموعة: «كف متناول». وهذا ما أثبته لأن المعنى مأخوذ تقريباً من قول الشاعرة:
(وأين الثريا من يد المتناول). والأصل: «كف مناو والى».

(٣٦٧) البيت التالى، للعرندس يمدح بنى عمرو (أو بدر) الغنويين (الأمالى ١/٢٤٤)، و(محاضرات الأدباء ١/ ١٦٠، ومعجم الشعراء/٣٠٦، وتأهيل الغريب/١٣)، وهو غير معزو فى (عيون الأخبار ١/٢٢٦) و(مفرج الكروب ٣/٢٧٢)، و(الروضتين ١/١٨٧)، و(المنتخب للجرجانى /٩٩)، و(المخلاة/٤٨٤). ومنسوب فى (بهجة المجالس ١/٥٠٣)، إلى بعض بنى عمرو، وقيل لبعض بنى كلاب، برواية: «مثل النجوم التى يهدى». هذا، وفى (الكامل للمبرد ١/٧٨) منسوب إلى عبيد بن العرندس. وقيل: لعقيل بن العرندس.

(٣٦٨) سلم الخاسر ـ المشار إليه ـ هو سالم ـ وقيل سلم ـ بن عمرو بن حماد.. المعروف بالخاسر، لكونه باع مصحفاً واشترى به طنبوراً. وهو شاعر عباسي مطبوع (ترجمته: وفيات ٢/٩٥ ـ ٩٧). أما صريع الغواني فهو مسلم بن الوليد الشاعر العباسي المشهور المتوفى سنة ٢٠٨هـ (معجم الأدباء ١١/٢٢٥).

(٣٦٩) يقول النابغة الذبياني:

«ولايحسبون الخير لاشر بعده		ولا يحسبون الشر ضربة لازب»

ويقول البحتري (بديوانه ١/١٥٩):

وإذا رأيت الهجر ضربة لازب		أبداً، رأيت الصبر ضربة لازب

(٣٧٠) يشير إلى قول المتنبي (بديوانه ١/٥٨):

ذكرت بها وصلا كأن لم أفز به		وعيشاً كأني كنت أقطعه وثبا

(٣٧١) ورد البيت في (جواهر العقد/ ٩٥ التذكرة المجلد الأخير: ٤٩ غير معزو.

(٣٧٢) في (ز): «نظر ا لرأي السديد». صحيح. ونهاية البيت مأخوذ من قول الشاعر (معجم الأدباء ٨/١٨٤):

يابارى القوس بريا ليس يصلحه		لاتظلم القوس، أعط القوس باريها

هذا وفي رسالة بديع الزمان إلى الشيخ الإمام أبي الطيب جاء قوله:

«فالآن ردت الدولة إلى نصابها.. وأعطى القوس باريها» (انظر: رسائل بديع الزمان: بهامش الخزانة للحموي/ ١٢٤).

(٣٧٣) تضمين المثل: «رب أمنية جلبت منية» (مجمع الأمثال ١/٣١٤). وهذا الشطر الثاني يذكر أيضا بقول ابن زيدون في ولادة (الذخيرة ق ١. ج١ /٣٧٥).

وأغرس في محبتك الأماني		فأجني الموت من ثمرات غرسي

(٣٧٤) البيت لأبي إسحاق الصابي برواية: «وأنا المهني» وهو ضمن أبيات في (يتيمة الدهر ٢/٢٥٩ ط الصاوي) يهنيء بعض الرؤساء بخلعة سلطانية مطلعها:

قرم علته ملابس العلياء		فعلا على النظراء والأكفاء.

(٣٧٥) عجز بيت للنابغة الجعدي، صدره كما جاء بديوانه /٥١): (بلغنا السماء مجدنا وجدودنا).

(٣٧٦) يذكرني بقول المعري (سقط الزند/ ١٨٧:

وأول مايكون الليث شبل		ومبدأ طلعة البدر الهلال

(٣٧٧) البيت للبحتري (بديوانه ١/١٧١) برواية: «وأزرق الفجر». من قصيدته التي يمدح بها أبا أيوب (سليمان بن وهب) ومطلعها:

نحن الفداء، فمأخوذ ومرتقب		ينوب عنك إذا همت بك النوب

(٣٧٨) الزيادة عن جميع النسخ. وهي ساقطة من الأصل.

(٣٧٩) في (ب): «وشمها متأرج». والجملة بعدها اقتباس من قوله تعالى «فيها أنهار من ماء غير آسن..» الآية: ١٥ من سورة محمد.

(٣٨٠) هو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، مخاطباً ـ بعد أن اختلت حاله ـ عبيد الله بن سليمان. (وفيات الأعيان ٣٠٤/٢، وتحرير التحبير/ ٤٤٩، ومعاهد التنصيص ٤١/٢)، برواية: «وأسعفنا فيمن نحب» وهذه هي رواية (حسن التوسل /١١٧) للبيتين أيضاً مع قوله «أن المحب المقدم». وانظر (نهاية الأرب ١٦٤/٧) .. هذا، وقد نسب البيتان (بالوافى /١٢ الورقة ٥٩) للحسن بن على بن الحسن بن مقلة، برواية:

«شكرنا لدهر عـقنا فى نفـوسنا   وأسـعـفـنا..........
فـقلت له: نعـمـاك فـيـه أتمـهـا   ....

(٣٨١) فى (أ، م، ب) «قد زحفن» وهو ما أثبته. هذا والبيت بأكمله ساقط من (ز). ورواية الأصل: ومن كؤوس مدام قد رحزفت على».
(٣٨٢) فى (ز): «جلت فحلت» صحيح. وفى (م): «حلت مخلدة حزن الأحزان».
(٣٨٣) اقتباس قوله تعالى: «فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً». ٢٩ سورة القصص.
(٣٨٤) بالأصل: «ليعون». وفى (م): «وقرة العيون والأعيان وأنهى» والتصويب من غيرها.
(٣٨٥) ورد هذا الجزء من الرسالة إلى قوله: «وانقطاع هذه النقمة بنعمة عاجلة». فى (بذل الماعون/ ص ١٩٣، ١٩٤).
(٣٨٦) ما بين الحاصرتين زيادة من (الماعون).
(٣٨٧) فى (الماعون) «أحد نصابه وترف».
(٣٨٨) فى (ز): و(بذل الماعون): «وهو منه» وهذا ما أثبته، إذ بالأصل (منه وهو).
(٣٨٩) «إلى الله تعالى». فى (أ): هذا، والجملة التى بعدها وردت فى الأصل وفى الكثير من النسخ: «وعمل الناس بقوله ﷺ» واخترت عبارة: نسخة الأسكوريال. اعتماداً على ما سيأتى فى الحاشية القادمة.
(٣٩٠) جاء (بسبل السلام ١٧٤/٤) أن هذا من كلام عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما. برواية: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لسقمك، ومن حياتك لموتك».
(٣٩١) ما بين الحاصرتين ساقط من (بذل الماعون). هذا وقد وقع طاعون الجارف بالبصرة سنة ٦٩هـ وقيل سنة ٧٠هـ، وغير ذلك. وسمى بذلك لأنه جرف الناس كما يجرف السيل الأرض، فيأخذ معظمها. وطاعون عمواس ـ وقيل: عواس ـ وقع فى زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بالشام سنة ١٧هـ وقيل سنة ١٨هـ. وسمى بذلك لأنه عم الناس، وتواسوا فيه. وقيل: عمواس اسم للعلم قرية فى الشام. وطاعون الأشراف: كان فى زمن الحجاج بواسطة. سمى بذلك لكثرة من مات فيه من أشراف الناس. وطاعون الفتيات والعذارى وقع بمصر سنة وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ٨٥هـ، وقيل سنة ٨٢هـ وقيل غير ذلك ـ ثم بالبصرة سنة ٨٧. سمى بذلك لكثرة من مات فيه من النساء والشواب والعذارى. «والطاعون العام سنة ٧٤٩هـ ـ لم يعهد نظيره حتى وقع فى الحيوانات..» انظر ماجاء (بتحفة الراغبين فى بيان أمر الطواعين) وانظر أيضاً: (تاريخ مصر لابن إياس ١٩١/١، ١٩٢) ط. بولاق، و(السلوك القسم الثالث من ج ٧٧٢/٢ : ٧٩١).
(٣٩٢) فى (بذل الماعون): «الفتيات بغير».
(٢٩٣) زيارة من (بذل الماعون).
(٢٩٤) البيت للمتنبى (بديوانه ٢٣٦/٤) من قصيدة مطلعها:

بم التـعـلل لا أهل، ولا وطن   ولا نديم، ولاكـأس، ولاسكن

(٣٩٥) ورد البيتان فى (الأسلاك ٤٣/٣).

(٣٩٦) تورية.

(٣٩٧) هذا هو المعروف بابن غلام النوري. وقد ترجم له الصفدي في هذا الكتاب وهي الترجمة الثالثة.

هذا الشعر ورد (بديوانه /١٨، وتاريخ مصر لابن إياس ١/ ١٣٤، ١٩٢) وفي (جمع المنثور/ ٨٤) برواية «يا طالبا للموت» وفي (الدرر الكامنة ١/ ٥٠) برواية: قد رض الموت لطلابه». وفي (السلوك القسم الثالث من ج ٢/ ٧٩١) وروايته في البيت الأول: «ياطالبا الموت أفق وانتبه».

(٣٩٨) ساقطة من الأصل. وجاء في (أ): «يدي إخواننا» والتصويب من غيرها.

(٣٩٩) صدر بيت لابن سيناء يصف النفس (وفيات ١/ ٤٢٢)، والوافي ٣/ ٢٥٦، ١٢/ ١٧٤، والكشكول للعاملي ٣/ ٢٤٥، والطبقات السنية ٢/ ٨٤٩) وتمام البيت:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

(٤٠٠) البيت لأبي العلاء المعري (سقط الزند / ١١٨) من قصيدة مطلعها:

يا للمفضل تكسوني مدائحه وقد خلعت لباس المنظر الأنق

(٤٠١) لعله نظر إلى الشطر الثاني من قول أبي العتاهية «العمدة ١/ ١٠٥، وفيات ٦/ ٢٠١:

ولا تلوموا في اتباع الهوى فإنني في شغل شاغل

أو إلى قول امرىء القيس (ديوانه / ١٢٢):

حلت لي الخمر وكنت أمرأ عن شربها في شغل شاغل

(٤٠٢) يقتبس قوله تعالى: ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ الآية: ١٥٦ من سورة البقرة.

(٤٠٣) غزة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر (ياقوت ٦/ ٢٨٩). هذا وقد أشار ابن حجر في (الماعون) إلى ما قاله الصفدي هنا باختصار شديد.

(٤٠٤) أي أحكم قبضته على فريسته. يقال: رز الشيء في الأرض وفي الحائط يرزه.. أي أثبته. والرزة الحديدة التي يدخل فيها القفل. (لسان: رزز).

(٤٠٥) يشير إلى قول امريء القيس بديوانه (١٢٣):

رب رام من بني ثعل متلع كفيه في قتره

والرامي المشار إليه: هو، عمرو بن المسبح بن كعب... الطائي الفارس المشهور المعمر. كان من أرمى العرب ترجمته والبيت المشار به إليه في (الإصابة ٥ / ١٦).

(٤٠٦) قطيا: قال ياقوت: قطية قرية في طريق مصر وسط الرمل قرب الفرماء.

(٧ / ١٣١). وقال (٧ / ١٢٥): «وقطنا» من قري دمشق.

(٤٠٧) ورد البيتان في (السلوك القسم الثالث من ج ٢ / ٧٨٨).

(٤٠٨) يريد أن يؤرخ عام ٧٤٩ بالحروف لأن الطاء = ٩، وحرف الميم = ٤٠ وحرف الذال المعجمة = ٧٠٠ فيكون مجموعها التاريخ المشار إليه أنظر كتاب: (مطالعات في الشعر المملوكي ص/ ١٧١).

(٤٠٩) صفد : مدينة في جبال عاملة، وهى من جبال لبنان (ياقوت ٥/ ٣٦٧).

(٤١٠) عجز بيت للنابغة الذبيانى (بديوانه / ٣١) يصف دارمية فيقول :

أمست خلاء، وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد

وليد : قيل : إنه نسر كان للقمان بن عاد عمر طويلا.

(٤١١) البيتان وردا فى (بدائع الزهور ١/ ١٩١)، والسلوك ٢/ ٣: ٧٨٨، ٧٨٩، وأعيان ٧/ ٢٤ بترجمة على بن محمد المعروف بابن الرسام. برواية : «افترست. تسع وأربعيناً».

(٤١٢) جلّق : موضع بقرية من قرى دمشق. وقيل : بل هى دمشق نفسها. وقيل : اسم لكورة الغوطة كلها (ياقوت ٦ / ١٥٤ ط بيروت). هذا، ومن هنا وردت قطعة كبيرة من الرسالة فى (درة الأسلاك ٢ / ٤٦٦ : ٤٦٨) والرواية فى البداية ثمة «ثم إنه حلق على جلق» بالحذف.

(٤١٣) البيتان وردا فى (السلوك ٢ القسم الثالث / ٧٨٩)، و(الأسلاك) ٢ : ٤٦٧، و(بدائع الزهور ١/ ١٩١).

(٤١٤) فى (أ) : «قدر بها نهاية». وفى (ب)، ز، م («قدر به نهاية» وهو ما أخذت به وبالأصل : «قدر نهاية».

(٤١٥) ورد البيتان فى (السلوك ج ٢ القسم ٣ / ٧٨٩).

(٤١٦) ورد البيتان فى (الأسلاك).

(٤١٧)اقتباس قوله تعالى : «ولله غيب السموات والأرض، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب..» (الآية / ٧٧ من سورة النحل.

(٤١٨) البيتان وردا فى (الأسلاك والسلوك / ٢ : ٧٨٩)، و(رحلة الشتاء / ١٢٥).

(٤١٩) البيتان وردا فى : (السلوك ٢ / ٧٨٩).

(٤٢٠)«لا يفارق غريمه أو يفارق». لعله من قولك «فارقت فلاناً من حسابى على كذا وكذا، إذا قطعت الأمر بينك وبينه على أمر وقع عليه اتفاقكما» لسان : فرق).

ولعل المعنى : أنه لا يخفف على الغريم بتقسيط ما عليه من دين.

(٤٢١) ورد البيتان فى (السلوك ٢ / ٧٨٩).

(٤٢٢) فى السلوك : «فى غفلات أمر».

(٤٢٣) البيتان ورداً فى السلوك ٢ / ٧٨٩ و(الأسلاك) والرواية فى الأخيرة «وارحمنا لدمشق».

(٤٢٤) البيتان فى السلوك ٢ / ٢٩٠.

(٤٢٥) ساقطة من الأصل. والزيادة من (أ، ب، م).

(٤٢٦) هذا البيت يذكرنى بقول ابن حمد يس (ديوانه / ٨٦) متغزلاً :

لاتقتبس من نور وجنتها سناً إن الفراشة حتفها المصباح

والبيتان وردا فى (بدائع الزهور ١ / ١٩٢، والسلوك ٢ / ٧٩١).

(٤٢٧) البيتان وردا فى (السلوك أيضاً ٢٠ / ٧٩٠).

(٤٢٨) بالأصل : قبل أن أوصي». وفى (ب) هكذا : «قبل أن الموصي». وفى (ز) قبل أن موصي». واخترت عبارة (أ، م).

(٤٢٩) من (ز) : التصويب. إذ إن بالأصل : رحمهما» وسبط هو : شمس الدن أبو المظفر يوسف بن قيز أو غلى المتوفى سنة ٦٥٤هـ. وكتابه فى التاريخ العام وعنوانه : «مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان» راجع (دائرة المعارف

ج ١ / ٢٤٥) : سنة ٤٥٩) الورقة / ٢٥، ٢٦. هذا وقد نقل الحافظ بن حجر باختصار فى (الماعون / ١٨٥، ١٨٦) ما ذكره الجوزى فى مرآته عن سنة ٤٤٩، وهو أكثر ما أشار إليه الصفدى هنا.

(٤٣٠) بالمرآة : «وباء لم يعهد مثله ولا سمع به» هذا وبخارى من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها.. وكانت قاعدة ملك السامانية (ياقوت ٢ / ٨١ / ٨٦).

(٤٣١) أذربيجان : يتصل - كما يقول ياقوت ١ / ١٥٩ - ١٦١ - حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والطرم، وهو إقليم واسع، وأشهر مدنها تبريز ١هـ . هذا - والأهواز : فارسى معرب. وقد كان اسمها فى أيام الفرس خوزستان. وفيها مواضع فالأهواز اسم للكورة بأسرها. وأما البلد الذى يغلب عليه هذا الاسم عند العامة فإنما هو سوق الأهواز، وكور الأهواز عديدة. راجع (ياقوت ١ / ٣٨٠ - ٣٨٣). أما واسط : فهى عدة مواضع منها التى بنجد والجزيرة. ومنها واسط الحجاز، وواسط الجزيرة، وواسط العراق، ولعله المقصود، وواسط اليمامة. وقيل : قرية مشهورة ببلخ. (ياقوت ٨ / ٣٧٨ - ٣٨٧. والبصرة : العظمى بالعراق. والبصرة بلد فى المغرب (ياقوت ٢ / ١٩٢). ولعل الأولى هى المقصودة هنا.

(٤٣٢)بالمرآة : «حتي كانت... فيلقى فيها». والزبية حفرة تحفر للأسد، سميت بذلك لأنهم كانوا يحفرونها فى موضع عال. والزبية الرابية لا يعلوها الماء وفى المثل : قد بلغ السيل الزبى.

(٤٣٣) فى (م) : «الدجلة» ودجلة نهر : بغداد، لا تدخله الألف واللام. ولعله المقصود هنا، هذا ودجلة العوراء : علم لدجلة البصرة. وقيل : دجلة : موضع فى ديار العرب - أيضاً - بالبادية (ياقوت ٤ / ٣٨ - ٤٠).

(٤٣٤) فى المرآة : «وكان لرجل».

(٤٣٥) بلخ : إقليم على الشاطىء الجنوبى لنهر جيحون. وقد كانت القصبة السياسية لولاية خراسان القديمة، ثم أصبحت المركز الثقافى الدينى لمملكة طخارستان. وبلخ الآن : قرية فيما يعرف الآن بشمال أفغانستان (دائرة المعارف ج ٧ / ٥٥٠ - ٥٥٣) وسمرقند : بلد معروف كما يقول ياقوت ٥ / ١٢١ - قيل إنه من أبنية ذى القرنين بما وراء النهر وقيل غير ذلك.

(٤٣٦) الزيادة من المرآة. وفيها «يدفن.. من صالحى المسلمين».

(٤٣٧) الزيادة من المرآة. هذا وبالأصل : واشتغل الناس بدفن يدفن ليلا ونهاراً، والتصويب من النسخ الأخري، والمرآة.

(٤٣٨) بالمرآة : «على دم».

(٤٣٩) فى المرآة جاء : «وغلق من البلدة من دور المتقدمين» وهو صحيح أيضاً.

(٤٤٠) المرآة : ولم.

(٤٤١) هكذا فى الأصل، وفى (ب)، والمرآة. أما فى (أ، م) : «فيها خمسة».

(٤٤٢) الزيادة من المرآة.

(٤٤٣) الخليج : بحر دون قسطنطينية. وجبل خليج : أحد جبال مكة، وقيل غير ذلك انظر (ياقوت ٣ / ٤٦٠).

(٤٤٤) فى المرآة : «بينهما هجران فلم يصطلحا فماتا».

(٤٤٥) فى (ز، م) : «أحمد بن عبد الجبار بن أحمد».

(٤٤٦) بالأصل، وفى (أ، ب، م) : «ومات عند رجل... فمات الجميع». والتصويب من (ز، والمرآة).

(٤٤٧) «مرآة الزمان» : «ولم يبق.....».

(٤٤٨) فى (المرآة) : «على مريض من السطح».

(٤٤٩) رواية (المرآة) : «وباقيه على صاحبه». هذا، وفى الكامل لابن الأثير ٨ / ٨١) قوله : ووجد ميت، وقد دخل تركى يأخذ لحافاً عليه، فمات التركى، وطرف اللحاف بيده».

(٤٥٠) تركستان : اسم جامع لجميع بلاد الترك، كما يقول ياقوت (البلدان (٢/ ٣٧٨).

(٤٥١) فى (أ، ب) : «بلاد صفون». وفى (ز، م) : «بلاد عصورة». وفى (المرآة) «بلاد ضعون». ولم أستطع تحديد هذا المكان. أما كاشغر فهى مدينة وقرى ورساتيق.. وهى فى وسط بلاد الترك، وأهلها مسلمون كما يقول ياقوت (البلدان ٧/ ٢٠٧). والشاش متاخمة لبلاد الترك، وهى بما وراء النهر، ثم ما وراء نهر سيحون (البلدان ٥ / ٢١٢). أما فرغانة فهى مدينة، وكورة واسعة بما وراء النهر، متاخمة لبلاد تركستان (ياقوت ٦/ ٣٦٤).

(٤٥٢) رواية (المرآة) : «شهر رمضان هذه السنة».

(٤٥٣) بالأصل، وبالنسخ الأخري : «ولم يعد» وأخترت عبارة «مرآة الزمان».

(٤٥٤) فى : (ب، والمرآة) : «فماتوا جميعاً».

(٤٥٥) فى البرية أى الفلاة. والبرى : التراب.

(٤٥٦) جاء بلسان (أبد) : «والأوابد والأبد الوحش الذكر... قال الأصمعى: «لم يمت وحشى حتف آنفه قط إنما موته عن آفة، وكذلك الحية».

(٤٥٧) الشبا : جمع. وشباة كل شيء حد طرفه وسنان طرير ومطرور أى محدد (اللسان : شبا، وطرر).

(٤٥٨) البرقية : مكان بالقاهرة بجوار مشهد الإمام الحسين - رضى الله عنه - ذكره المقريزى فى (الخطط ٢/ ٧٨، ٣٢٦).

(٤٥٩) يقصد جبل (ق) وهو، كما يقول ابن زيد وعكرمة والضحاك فى تفسير القرطبى ٦٨/ ٦١٧٢ ط دار الشعب : «جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء...» (تفسير سورة ق).

(٤٦٠) لعله هنا يشير إلى أبى حيان، أثير الدين محمد بن يوسف بن على بن حيان الأندلسى، صاحب (التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط) المتوفى بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ ترجمته (بالدرر ٥/ ٧٦).

(٤٦١) الحب - بكسر الحاء المهملة - المحبوب.

(٤٦٢) لعله يقصد بالجوى : الحرقة. أى أن جواب صديقه أثلج صدره.

(٤٦٣) بالأصل : «بالسماح» والتصويب من النسخ الأخرى. هذا، وبالأصل قد أشار الناسخ إلى التوريات بأرقام.

(٤٦٤) اللسان (ردح) مائدة رادحة أى عظيمة كثيرة الخير.

(٤٦٥) يضمن المثل العربى : «عند الصباح يحمد القوم السرى» راجع (نهاية الأرب ٣/ ٣٩، وصبح الأعشى ١ / ٢٩٧، والمستطرف ١ / ٣٥).

وأول من قال هذا المثل هو : «خالد بن الوليد» بعد أن شق طريقاً وعراً من اليمامة إلى العراق فى حروب الردة. يقول ضمن أبيات :

«عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلى عنهم غيابات الكرى»

(مجمع الأمثال ١/ ٤٦٤).

(٤٦٦) أذكر بثغور الأقاح «قول ابن حمد يس يدعو إلى التبكير إلى اللذات (بديوانه / ٧٥) :

«من قبل أن ترشف شمس الضحى ريق الغوادى من ثغور الأقاح»

(٤٦٧) كتاب الجراح : لعله باب فى كتب الفقه يبحث عن أحكام الجنايات، وهذا التعبير مشهور فى كتب الشافعية، وبعض الكتب تعبر عنه باسم : كتاب الديات، أو، كتاب الجنايات.

(٤٦٨) الإشارة فى البيت إلى أبى النصر إسماعيل بن نصر بن حماد الجوهرى العالم اللغوى الأديب صنف كتاب «تاج اللغة وصحاح العربية» توفى سنة ٣٩٣ وقيل غير ذلك (نزهة الألباء ٣٤٤).

(٤٦٩) الشطر الثاني صدر بيت، مطلع قصيدة الأرجاني التي يمدح بها الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك حسن ابن علي (بديوانه / ٨٠) وتمام البيت :

صوت حمام الأيك عند الصباح   جدد تذكاري عند الصباح

(٤٧٠) البيت ساقط من الأصل والزيادة عن النسخ الأخرى. الأبيوردي هو الشاعر الظريف والأديب المشهور أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد... الأموي المتوفى سنة ٥٥٧هـ ترجمته (وفيات ٤/٧١، ومقدمة ديوانه / ٣٠٢)، والشطر الثاني صدر بيت له (بديوانه / ٨١) وتمامه :

أماط والليل أثيث الجناح   عن مبسم الشمس لثام الصباح

وأماط : تنحى وبعد وذهب (لسان : ميط) وقوله : «والليل أثيث...» أي طويل حالك. يقال أث النبات، أي كثر (لسان : أثث).

(٤٧١) الشريف الرضي ستأتي ترجمته، والشطر الثاني - هنا - صدر بيت له (بديوانه / ١٩٧) وتمامه :

نبهتهم مثل عوالي الرماح   إلى الوغى قبل نموم الصباح

(٤٧٢) التهامي : هو، أبو الحسن علي بن محمد التهامي، الشاعر المشهور. المقتول سنة ٤١٦هـ (ترجمته : وفيات ٣/ ٦٠-٩٦٢ . هذا والشطر الثاني عجز بيت (بديوانه / ١٣) وتمام البيت مع ما قبله :

قلت لخلي وثغور الربا   مبتسمات وثغور الملاح
أيهما أعلى ترى، منكرا   فقال: لاأعلم كل أقاح

وأقاح : جمع أقحوان، وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض وسطه أصفر.

(٤٧٣) ابن حمد يس، هو : أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمد يس الأزدي الصقلي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥٢٧هـ ترجمته (وفيات ٢/ ٣٨١-٣٨٣) . والصفدي يضمن قوله (بديوانه / ٧٥) :

باكر إلى اللذات واركب لها   سوابق اللهو ذوات المراح

(٤٧٤) صدر بيت للحريري بالمقامة السادسة والأربعين الحلبية (مقاماته / ٥٢٤، ونصرة الثائر / ٣٧١) وتمامه :

أعدد لحسادك حد السلاح   وأورد الآمل ورد السماح

(٤٧٥) صدر بيت للبحتري - وهو مطلع قصيدته التي يمدح بها أبا نوح عيسى بن إبراهيم - (بديوانه ١ / ٤٣٥) وتمامه :

بات نديما لي حتى الصباح   أغيد مجدول مكان الوشاح

(٤٧٦) بحاشية (ب) قوله : «وهو مأخوذ من قول الحاجبى :

لم أنس أيام اللقـــا والهـــوى ... لله أيام النَّجــــا والنجـــــاح
ذاك زمـــــان مـــــر حلو الجنى ... ظفــرت فـيـــه بحـبـيب وراح

(٤٧٧)يذكرنى بقول أبى الحسن التهامى مادحا (ديوانه / ١٦) :

حكمـــــــة آبانك من فـــــارس ... كـســـوتهـــا لفظ قـــريش البطاح

والبطاح، والأبطح المكان السهل الفسيح الذى ينبطح فيه الماء أى يذهب يمينا وشمالا. وقريش البطاح، الذين ينزلون أباطح مكة وبطحاءها. وثمة قريش الظواهر الذين ينزلون ما حول مكة. وأكرمهما قريش البطاح. اللسان (ب ط ح).

(٤٧٨) الخزرج قبيلة الأنصار. وقيل: «قبيلة الأنصار هى الأوس والخزرج ابنا قبيلة أمهما نسبا إليها.. وهما ابنا حارثة بن ثعلبة من اليمن» وقيل غير ذلك. اللسان (خ - ز ر - ج).

(٤٧٩) الصفدى هنا يقتبس قول المتنبى (بديوانه / ٣ ٢٢٦).

بلا مـــثل وإن أبصـــرت فـيـــه ... لكل مـــغـــيب حـــسن مـــثـــالا

(٤٨٠) بالأصل : «لملاه». واخترت عبارة النسخ الأخرى.

(٤٨١) تشرين الأول، وتشرين الثانى : من شهور السريان، ويقابلان - على الترتيب - شهرى : أكتوبر، ونوفمبر.

(٤٨٢) نجوم منازل القمر التى يتنقل فيها القمر من أول الشهر إلى الثامن والعشرين منه. هى ثمان وعشرون منزلة : السرطان - البطين - الثريا - الدبران - الهقعة - الهنعة - الذراع - النثرة - الطرف - الجبهة - الخراتان، أو الزبرة - الصرفة - العواء - السماك - الغفر - الزبانان - الإكليل - القلب - الشولة - النعائم - البلدة - سعد الذابح - سعد بلع - سعد السعود - سعد الأخبية - الفرغ المقدم - الفرغ المؤخر - الحوت، وهو آخر المنازل. انظر الكواكب الثابتة فى (صبح الأعشى ٢/ ١٥٩ - ١٧٤، ٣٥١، ٣٧٢).

(٤٨٣) الزيادة من (أ، ب). وفى (ز، م): «حيث يقول». والغزى هو : أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن محمد الكلبى ثم الأشهبى، الشاعر المجيد، المتوفى سنة ٥٢٤هـ. والأبيات (بديوانه / ٤٩) من قصيدته التى يمدح بها مؤيد الدين بن الخشاب التى مطلعها :

رباب الـمـــزن أذكـــرك الربابا ... ووعـــد الســـرب أوردك الســـرابا
فـبت تشـيم برقًا مســتطيـرا ... إذا احـتـجب الحـيـا رفع الحـجـابا

(٤٨٤) «إلى صبح شهابا» بالديوان.

(٤٨٥) بالديوان «عن قصورى.... «بلغ الذرى».

(٤٨٦) بالديوان : «يعلو» بالرفع. وهو صحيح نحويا.

(٤٨٧) الإشارة إلى أبى العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكى، الذى يضرب به المثل فى الجود، وزر لهارون الرشيد، وكان كثير البر بالشعراء، توفى بالسجن سنة ١٩٣هـ. ترجمته (وفيات ٣/ ١٩٧ - ٢٠٥).

(٤٨٨) الجتر : الخيمة والشمسية معرب جتر بالفارسية (محيط المحيط : الجتر).

(٤٨٩) كشاجم هو أبو الفتح محمود بن الحسين بن شهاب السندى الشاعر الكاتب المعروف بكشاجم. كان يعمل فى خدمة سيف الدولة منجما، ورئيساً للطباخين. توفى سنة ٣٥٠هـ. وقيل سنة ٣٦٠ ترجمته (برو كلمان ٢/٧٧).

(٤٩٠) الصولى هو : أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس بن محمد بن صول تكين، الكاتب المعروف بالشطرنجى. كان أحد الفضلاء المشاهير وتوفى سنة ٣٣٦ هـ. ترجمته (وفيات ٣ / ٤٧٧ - ٤٨١) ويضرب بالصولى المثل فى الشطرنج لأنه أجاد اللعب به وبلغ الغاية (الغيث المسجم ٢ / ٥٢ - ٥٤). و(وفيات ٤ / ٣٥٦ - ٣٦١ (ط. بيروت). ولعل المقصود من قوله : «وما وضعه من المناصيب» ما وضعه من خطط، وحيل فى لعب الشطرنج، أصبحت مشهورة عنه يقاس عليها، ويستدل بها. وقد أثنى عليه الإمام الراضى، وقصته مع الإمام المكتفى والماوردى معروفة. ولعل صحة العبارة «وما وضعه من التناصيب أو «الأناصيب»؛ فالنُّصْب، والنصب: العلم المنصوب، والتّناصيب والأناصيب: الأعلام، وهى حجارة تنصب على رءوس القبور يستدل بها - واستعارها الصفدى لخطط الصولى - (لسان : نصب) أو «الأناصيب» فالنصب، والنُّصب: العلم المنصوب، والتناصيب، والأناصيب هنا، وقد جاء فى شفاء الغليل : «منصب : فى كلام المولدين، ما يتولاه الرجل من العمل كأنه محل لنصبه».

(٤٩١) العضلة : من عضل عليه فى أمره : ضيق من ذلك. والعضلة : الداهية وأعضله الأمر : غلبه. لسان (عضل).

(٤٩٢) يذكرنى بقول الجاحظ (معجم الأدباء ١٦ / ٨٢) ولعله منه :

ولابنكت الأرض عند السؤال لـيـقـطـع زواره عن نعم

(٤٩٣) ابتنى - الأمير سيف الدين شيخون المتوفى سنة ٧٥٨هـ - مدرسة هائلة، وجعل فيها المذاهب الأربعة، ودارا للحديث، وخانقاه الصوفية، ووقف عليها شيئاً كثيرا، كما جاء فى (البداية والنهاية ١٤ / ٣٥٨).

(٤٩٤) الواحدى : هو، أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على بن متويه الواحدى.. صاحب التفاسير المشهورة. كان أستاذ عصره فى علم النحو والتفسير، توفى سنة ٤٨٦هـ ترجمته (وفيات ٢/ ٤٦٤، أنباه الرواه ٢/ ٢٢٣).

(٤٩٥) الإشارة هنا إلى : صحيح البخارى المتوفى سنة ٢٥٦هـ، وصحيح مسلم المتوفى سنة ٢٦١هـ. وهذان الكتابان من الكتب الستة، أو الستة الصحاح، التى صنفت الأحاديث وفقا لمضمونها، وقد ألفت كلها فى القرن الثالث الهجرى.

(٤٩٦) الآمدى : هو، أبو الحسن على بن أبى على محمد بن سالم الثعلبى الفقيه الأصولى. الملقب سيف الدين الآمدى، المتوفى سنة ٦٣١ هـ ترجمته (وفيات ٢ / ٤٥٥).

(٤٩٧) الإشارة هنا إلى الإمام الغزالى، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٥٠٥هـ.. تكاثر الفلاسفة فى عصره وناهضوا رجال الدين فتصدى لهم، وكان أحد المجتهدين، فسمى حجة الإسلام، وخلف مايزيد على سبعين مؤلفا. ترجمته : (وفيات ١/ ٨٠ - ٨٢).

(٤٩٨) على بن يحيى بن فضل الله بن مجلى العدوى، علاء الدين كاتب السر بحلب توفى سنة ٧٦٩هـ. ترجمته (الدرر ٣ / ٢١٢، ٢١٣).

(٤٩٩) هذا البيت ذكره صاحب (معاهد التنصيص ٢ / ٧٦) فى باب الجناس المفروق. وذكره الحموى فى (خزانته / ٢٩) فى باب الجناس المركب والمطلق)، وذكره العاملى فى (المخلاه ٢٤٠). هذا، والشطر الأول من هذا البيت مأخوذ من قول الأرجانى بديوانه / ١٢٩ :

كن كيف شئت فبي وإن لم تُدْنني ما عشت حبٌ لايزال يزيد

ولبديع الزمان قوله (الكنايات للثعالبي / ٢٨) :

كن كيف شئت فإنني قد صنعت قلبها من حديد

والشطر الثاني مأخوذ من قول تاج الدين أبي اليمن من أدباء القرن السادس (الروضتين ٢/ ٣٥) :

قد لام فيك معاشر أفأنتهي باللوم عن حب الحياة وأنت هي

(٥٠٠) المره : ضد الكحل. والمره : مرض في العين لترك الكحل. وقيل : هو بياض تكرهه عين الناظر. اللسان (م - ر - هـ).

(٥٠١)وعيش أسفه : أي حياة لاقيمة لها لا تسمن ولا تغني من جوع. من قولهم : سفه الماء، يسفهه سفها : أكثر شربه فلم يرو. اللسان (س. ف - هـ).

(٥٠٢) لعله يشير في الشطر الأخير إلى مذهب التشبيه والتمثيل أي إثبات الصفات لله - عز وجل - وهذا المذهب من الزندقة والكبائر، (راجع مادة التشبيه : بدائرة المعارف الإسلامية ٩ / ٣١٦).

(٥٠٣) التسنه : التغير. ولعله نظر إلى قوله تعالي : ﴿فانظر إلي طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ من الآية : ٢٥٩ من سورة البقرة.

(٥٠٤) لعله في هذا البيت يقتبس معنى قول الرسول - ص - فيما رواه أبو هريرة : «تجدون الناس معادن.... وتجدون شر الناس ذا الوجهين....» أو قوله - ص - فيما رواه عمار بن ياسر : «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار».

(٥٠٥) الدله - بفتح فسكون - والدله - بفتح المضعفة واللام - ذهاب الفؤاد من هم أو نحوه. اللسان (د - ل - هـ). والدل، من معانيه الهدوء والسكينة والوقار في الهيئة والمنظر. اللسان (دلل).

(٥٠٦) البده : أول كل شيء. من بده، يبده. وقيل : أن تستقبل الإنسان بأمر مفاجأة. وربما كان الفعل في البيت : «أبدى - يبدي». أي يظهره لك.

(٥٠٧) في (ب) : «توجه المتوجه» وهذه الرواية عندي مقبولة على أنها من قولهم : قد أوجهته أنا ووجهته أنا : أي جعلته وجيها. والمعنى : يثمر لديه اتجاه ذوات الحسن والجمال نحوه. (اللسان : ج - و - هـ) مع أن بالأصل : «توجه المتوجه». وبهامشه : «المتجوه» صوابه.

(٥٠٨) هذا البيت والأبيات الخمسة التالية ساقطة من الأصل ومن (أ، ب)، والزيادة عن (ز، م).

(٥٠٩) السها : كوكب خفي في بنات نعش، والناس يمتحنون به أبصارهم لخفائه. ومه : زجر ونهي، وهو اسم سمي به الفعل، معناه اكفف - مبني على السكون. فإن وصلت نونت. قلت : مه مه. اللسان (م - هـ - هـ).

(٥١٠) الكلمة ساقطة من الأصل. والزيادة عن (ب). والرواية في (أ، ز، م) : «بالجاهلين» وهو صحيح أيضا.

(٥١١) الأفوه : صلاءه بن عمرو الأودي، كان أمير قبيلة في غاراتها علي بني عامر، وهو يعد من حكماء العرب بما اشتمل عليه شعره من الحكمة. ترجمته (بروكلمان ١ / ١١٧).

(٥١٢) الأبله : أبو عبدالله محمد بن بختيار بن عبد الله المولد، المعروف بالأبله «الشاعر البغدادي المشهور. توفي سنة ٥٧٩ هـ وقيل سنة ٥٨٠هـ. ترجمته (وفيات ٤ / ٨٧ - ٨٩).

(٥١٣) سحبان، هو ابن زفر بن إياس الوائلي – يضرب به المثل في البلاغة والبيان، أدرك الجاهلية والإسلام. وأسلم ومات سنة ٥٤ هـ. ترجمته (الإصابة ٣ / ١٦٣، وسرح العيون / ٢٧٨).
(٥١٤) البيت ساقط من الأصل، و(ب) والزيادة من (أ، ز، م).
(٥١٥) منهنه : أي منصرف.
(٥١٦) هذا البيت والأبيات بعده تذكرنا بقول الأعشى في الرياض (العقد ٥ / ٤١٨)، و(ديوانه / ١٤٥) :

ما روضة من رياض الحزن معشبة   خضراء جاد عليها مسبب هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق   مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها نشر رائحة   ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل.

(٥١٧) «ونالهر» تحريف في (ب).
(٥١٨)من أمثلة المولدين قولهم : العز في نواصي الخيل، (مجمع الأمثال ٢ / ٥٥). وفرس أجبه : شاخص الجبهة مرتفعها عن قصبة الأنف (لسان / جبه).
(٥١٩)التمده : التمدح. والإشارة هنا إلي العماد الكاتب الأصبهاني. وهذا البيت والأبيات الأربعة التي تليه غير واضحة بالأصل، فاستوضحتها من النسخ الأخرى. وهو في هذا البيت يشير إلى أن قصيدته جاءت على نهج قصيدة العماد الهائية في مدح فرخشاه ومطلعها (الروضتين ٢ / ٣٤) : وحل الإبريز / ١٤) :

(بين أسر حلاوة العيش الشهي   وهوى أحال غضارة الزمن البهي)

(٥٢٠) المقصود هو الملك المنصور عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب.
(٥٢١) في (ب) : «العتاق الفوه» أي السمينة : جاء باللسان (فوه) : (ويقال ما أشد فوهة بعيرك في هذا الكلأ، يريدون أكله... ومن هذا قولهم أفواهها مجاسها .والمعنى أن جودة أكلها تدلك على سمنها فتغنيك عن جسها» أ. هـ وما أثبته عن (أ، ز، م) والمعنى عليه : العتاق النادرة.
(٥٢٢) الكندي في الشطر الأول : هو : زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي تاج الدين أبو اليمن، المقرىء، النحوي، الأديب المتوفى سنة ٥٩٧هـ وقيل سنة ٦١٣هـ ترجمته (معجم الأدباء ١١ / ١٧١ – ١٧٥) وقصيدته المشار إليها هي تلك التي عارض بها قصيدة معاصره عماد الكاتب السابقة. ومطلع قصيدة الكندي: (الروضتين ٢ / ٣٤، ٣٥ وحل الإبريز / ١٤) :
يقول أبو شامة إن قصيدة العماد ثلاثة وثمانون بيتا، والقصيدة التاجية (أي قصيدة الكندي) تسعة وأربعون بيتا.

هل أنت راحم عبرة وتوله   ومجير صب عند مأمنه دهي؟

(٥٢٣) لعلها «بأنف الأنبه» بالموحدة التحتية – أي المشهور الشريف. هذا، و(في اللسان : أنى) قوله : أنا أنبه : أي أنا معروف بهذا الفعل. ولعله من الأني، وهو بلوغ الشيء منتهاه. فكل هذا صالح للمعنى.
(٥٢٤) في (أ) : «المتنزه» وهو ما أثبته، والكلمة غير واضحة بالأصل. وهي في غيرهما : «المستنزه» أي طالب التنزه. من قول العامة : «خرجنا نتنزه إذا خرجوا إلى البساتين» (اللسان : نزه).
(٥٢٥) بالأصل : «وأكره» واخترت ما في جميع النسخ، والمعنى عليه: لم ألتفت إليه وأجهد فكري. جاء باللسان (كده) : «فالكده : الغلبة ورجل مكدوه، أي مغلوب. وقد كهد، وأكهد، وكده، وأكده، كل ذلك إذا أجهده الدءوب».
(٥٢٦)كلمة «عند» ساقطة من الأصل، والزيادة من النسخ الأخرى. وفي (أ) «عند سلام». ولعله يشير إلى قول جعفر الموصلي (معجم الأدباء ٧/ ٢٠٣) يقصد فؤاده :

وقد طلب السلامة في سليمى زمانا والسعادة في سعاد
فلا هاتيك أحمدها وصالا ولا هدى ارتضاها في الوداد

(٥٢٧) الأشنهي. لقب اثنين من الفقهاء، أولهما: عون الدين أبو على محمد بن عيسى ابن عبد الجبار الأشهي. الفقيه. كان من الفقهاء الأخيار، والمشايخ الكبار. (تلخيص معجم الآداب القسم الثاني من ج ٤/ ٩٨٤، ٩٨٥). وثانيهما: هو، علاء الدين أبو الفضل عبدالله بن كثير بن محمد شاه الأشنهي الفقيه (المصدر السابق / ١٠٢٤، ١٠٢٥).

(٥٢٨) البندهي، هو: أبو سعيد – وقيل: أبو عبدالله – محمد بن أبي السعادات عبدالرحمن بن محمد بن مسعود... البندهي الفقيه الشافعي الصوفي، المتوفى سنة ٥٨٤ هـ ترجمته (وفيات ٤/ ٢٣).

(٥٢٩) الأفوه، لعله الشاعر الحكيم الذي سبق التعريف به في الحاشية (٢٤٢). أو لعله يقصد به الفصيح المنطيق. وعنترة بن شداد العبسي، فارس وشاعر جاهلي مشهور.

(٥٣٠) كل تجوه: أي كل اتجاه وناحية.

(٥٣١) المزهزة. من الزهو وهو الكبر والتيه والفخر والعظمة.

(٥٣٢) منوه: من قولهم نوهت بفلان، ونوهته تنويها رفعته، ونوهت باسمه، رفعت ذكره. اللسان (نوه). وهذا البيت يشير إلى قول البحتري (العمدة ١ / ٢١١):

إن الرعية لم تزل في سيرة عُمرية مذ ساسها المتوكل

(٥٣٣) المجهجه: الجهجهة من صياح الأبطال في الحرب وغيرهم. وجهجهة الرجل: رده عن كل شيء. وقيل: جهجهه: أي زبره. اللسان (ج – هـ – ج – هـ).

(٥٣٤) المستوده: المغلوب. من قولهم: استوده الخصم: غلب وانقاد وملك عليه أمره – اللسان (وده).

(٥٣٥) في الأصل «نحر السهمي» تحريف. ورواية البيت في (أ): «كم سهم أوفى... فأصاب نهر السهمي». تحريف. وفي (م): «نحو السمهي» تحريف أيضا. وفي (ز): «نحر السنهي» بالنون. هذا وباللسان: (سمه): «والسمه، والسمهي، والسميهى كله الباطل والكذب».

(٥٣٦) المندهي: لعله ابن منده وهو لقب لثلاثة من الفقهاء، أولهما: أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده المحدث، كان من الحفاظ المشهورين، وأحد أصحاب الحديث المبرزين. توفي سنة ٥١٢هـ، وقيل سنة ٥١١ هـ (وفيات ٥/٢١٧ – ٢١٩). وثانيهما: الحافظ الرحال، أبو عبد الله محمد بن يحيى بن منده، واسمه إبراهيم بن الوليد بن منده بن بطه. جعله السيوطي في تذكرة الحفاظ ضمن الطبقة العاشرة. وثالثهما: أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى. المعروف بابن منده العبرى، كان حافظا من أولاد المحدثين. توفي سنة ٣٩٥ هـ. (برو كلمان / ٢٢٨، ٢٢٩). وقوله: «فإنما هو رحلة فيه» بفتح الراء هكذا في الأصل. لعله يقصد أنه محط الرحال فيه للتزود منه. أو أنه كثير الترحال في سبيله. ولعل التعبير: «فإنما هو رحلة فيه «بضم الراء» أي ذو قوة وجودة فيه. «يقال بعير ذو رحلة، أي قوة على السير. والرحلة – بالضم – القوة والجودة.. والرحلة – بالضم – الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول أنتم رحلتي أي الذين أرتحل إليهم» لسان (رحل).

(٥٣٧) الأشعري المتكلم، صاحب الأصول، والقائم بنصرة مذهب السنة: وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، هو: أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم، المتوفى سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وقيل غير ذلك. انظر (الوفيات ٢/ ٤٤٦، ٤٤٧) ودائرة المعارف ٣/٤٣). وقوله: «كل معطل ومشبه» يشير إلي التشبيه – ومنه التمثيل – ومايقابله من التعطيل، أي إثبات الصفات لذات الله في الأول، ونفي جميع الصفات عنه تعالى عند

المعطلة. فالتمثيل والتعطيل، اصطلاحان على مذهبين متقابلين في عقيدة المسلمين في ذات الله. وللتفصيل والتحليل، انظر (دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ٣١٦ - ٣٢٢ ط : دار الشعب).

(٥٣٨) الجسم البهبهي : أي الجسيم الجريء. اللسان (بهه). وفي البيت اقتباس قوله تعالى : ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم، والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾ من الآية / ٢٤٧ من سورة البقرة.

(٥٣٩) اللهله : الثوب الرديء النسج، وكذلك الكلام والشعر. (اللسان) لهله).

(٥٤٠) بالأصل : تنقاة، تحريف. تصويبه من النسخ الأخرى. وفي (م) : «تنقاد في بره الفصاحة، تحريف أيضا. وتراه برهرهي: أي له بريق من صفائه ونقائه. اللسان (بره).

(٥٤١) في (ز): «فهاك رويها، وهو صحيح أيضا. وفي الأصل : «ليس به». واخترت ما في (أ). وفي (م): «لكيس به» تحريف. هذا، ولعل البهبهة : : عيب في النطق، كالتأتأة، والثأثأة، والتهتهه. الخ.

(٥٤٢) هذا البيت مأخوذ من قول تاج الدين أبو اليمن : (الروضتين ٢/٣٥) :

أنا من محاسنه وحالي عنده ... حيران بين تفكر وتفكه

(٥٤٣) ذكر ابن حبيب في (درة الأسلاك / ٣/١٢٢) عشرة أبيات من هذه القصيدة بتقديم وتأخير. وهذه الأبيات بدايتها : «عطفت على قوامها يامن رأى»... «والأبيات الستة بعده»، ثم قوله : «وكتابة مثل الأزاهر نضرة، وقوله : «يامن أتاح له الزمان خطوبه»، والبيت الذي بعده.

(٥٤٤) من قول ابن الزملكاني في مدح ابن تيمية (المنهل ١/ ٣٣٩) :

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلت عن الحصر

(٥٤٥) «طيب الألمى» في (ز). وهو صحيح أيضا. واللمى : سمرة الشفتين.

(٥٤٦) الجيد الأتلع. العنق الطويل.

(٥٤٧) في (الأسلاك) : «ذو نسبة».

(٥٤٨) في (الأسلاك) «العلم مطمه...».

(٥٤٩) أي منسوبة إلى علي كرم الله وجهه هذا، والتهته : من عيوب النطق.

(٥٥٠) مثل الحباب : مثل الحبة. «وسمه للسمهي» : أي لدرء الباطل.

(٥٥١) كثير عزة سنأتي ترجمته. والحكمي : لعله أبو نواس.

(٥٥٢) (مه) هنا بمعنى : ماهي؟

(٥٥٣) وهب بن منبه : أبو عبدالله وهب بن منبه اليماني، صاحب الأخبار والقصص. اختلف في سنة وفاته فقيل سنة ١١٤هـ وقيل سنة ١١٦هـ وقيل غير ذلك. ترجمته (وفيات ٥/ ٨٨، ٨٩).

(٥٥٤) باللسان (بخبخ) : «وبخبخ الرجل، قال : بخ بخ... ... وبخ كلمة فخر.... تقال عند تعظيم الإنسان، وعند التعجب من الشيء، وعند المدح والرضا بالشيء، وتكرر للمبالغة.. قال العجاج: «إذا الأعادي حسبونا بخبخوا»... أي قالوا بخ بخ» ا-هـ. وفي (شفاء العليل زهزهه) بمعنى تحسين (مولدة).

(٥٥٥) لم أقف فيما تيسر لي من مصادر على باقي قصيدة العماد التي أشار إلى عددها أبو شامة من قبل، حتى أصل إلى القافية التي أشار إليها الصفدي في هذا البيت.

(٥٥٦) لعل العيب المشار إليه هو في قوله : فخفي إلا هك في دمي يا هذه»، وقوله: «اسكت فما تدري إذا قلنا مه»، ويسميه العروضيون سناد الردف. فالقافية في القصيدة مجردة من الردف والتأسيس، وجاءت في الموضعين

السابقين مردفة. هذا، وثمة عيب آخر، ذاك الذى يسميه العروضيون سناد الحذو، وهو اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المطلق مثل (سند، وكد) وقد أجازوا الجمع بين الكسرة والضمة، أما الفتح مع الكسر، أو مع الضم فغير مقبول. وهذا العيب فى القصيدة ظاهر. فلعله المقصود والله أعلم.

(٥٥٧) «هِهى» كلمة سخرية. أو المراد بها قلت له : هاهى إى التى تجبُ ما بعدها..

(٥٥٨) من هنا إلى نهاية ترجمة أحمد بن على بن عبد الكافى ساقط من (أ، ز، م) ونسخة باريس.

(٥٥٩) لعله يشير إلى الشاعر الجاهلى الملقب بالحادرة، واسمه : قطبه بن أوس. وقيل : قيس بن محصن العطفانى، ترجمته (معجم ألقاب الشعراء/ ٦١).

(٥٦٠) لعل الشطر الثانى مأخوذ من قول ابن مطروح (السلوك القسم الثانى جـ١ / ٢٩٢).

المسجد الأقصى له عادة سارت فصارت مثلا سائرًا

(٥٦١) يشير هذا البيت إلى الشماخ بن ضرار بن حرملة الذبيانى. الشاعر العربى المشهور.

(٥٦٢) بالأصل : «النساك» واخترت ما فى (ب) لانسجامها مع الشطر الثانى.

(٥٦٣) تضمين المثل العربى : «ما أشبه الليلة بالبارحة» (المستقصي ٢ / ٣١٢). وهو عجز بيت لطرفة بن العبد (بديوانه / ١٥) وتمام البيت : (ويقصد الأخلاء) :

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة

هذا البيت – مع آخر – بديوان الإمام على / ٤٢ برواية «فكلهم أروغ».

(٥٦٤) المدرسة المنصورية : بدىء فى عمارتها فى صفر سنة ٦٨٤هـ، وانتهت فى جمادى الأولى سنة ٦٨٤هـ. وهى المعروفة اليوم بجامع قلاوون بشارع المعز لدين الله بالقاهرة. راجع (الخطط ٢ / ٣٧٩/ ٣٨٠). وقد أنشأها الملك المنصور قلاوون الألفى.

(٥٦٥) حدث اضطراب فى ترتيب أبيات القصيدة بين الأصل و(ب). وما أثبته من الأصل.

(٥٦٦) فى البيت إشارة إلى الإمام ابن عبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر. وكان من رواة الحديث. وهو آخر إمام اعترف به الإثنا عشرية والإسماعيلية توفى سنة ١٤٨هـ (بروكلمان ١/ ٢٥٩). وفيه إشارة إلى ابنه موسى الكاظم بن الحسن أحد الأئمة الاثنى عشر توفى سنة ١٨٢ وقيل سنة ١٨٦ هـ (وفيات ٥ ٣٠٨–٣١٠) ط بيروت.

(٥٦٧) يشير إلى الحاكم بأمر الله، سادس الخلفاء الفاطميين، وأشهرهم لسرفه وشططه وقسوته، وما أنزله بالناس من اضطهاد وخاصة المسيحيين. وكان يلقب (بأبى على المنصور) قبل توليه الخلافة. ترجمته (وفيات الأعيان ٥ / ٢٩٢.. ط بيروت).

(٥٦٨) الرافعى سنأتى ترجمته.

(٥٦٩) يشير فى هذا البيت إلى العالم المتقن أبى حيان التوحيدى وستأتى ترجمته كما يشير إلى أبى حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستانى، من أشهر علماء العربية. كان تلميذا للأصمعى، وفيا لمدرسة البصرة توفى سنة ٢٥٠ هـ وقيل سنة ٢٥٥ هـ ترجمته (بروكلمان ٢/ ١٥٩ – ١٦١).

(٥٧٠) صدر البيت «وتاجكم» فى (ب). والشطر غير مستو عروضيا اللهم إلا إذا اعتمدنا رواية (ب)، ويكون المعنى : «وتاجكم تاج قاض غدا...»، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، لضرورة الوزن. هذا، وفى البيت يشير إلى كتاب : (المستدرك على الصحيحين فى الحديث) أربعة أجزاء، الطبعة الأولى بالهند سنة ١٣٤٢هـ للحافظ أبى عبد الله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥هـ.

(٥٧١) «نحل» فى (ب) ولعل المعنى على هذه الرواية أن أدب الحاتمى بينهم قد ضعف - (نحل، من النحول وهو الهزال) . وعلى رواية الأصل : أن إتقان السبكي للآداب اجتث كل أثر للحاتمى بالمنجل. أو لعل الرواية بها تصحيف. ومراده «بخل» من البخل. والحاتمى المشار إليه فى البيت. هو اللغوى الشاعر الكاتب : أبو على محمد ابن الحسن بن المظفر المتوفى سنة ٣٨٨هـ ترجمته (وفيات ٣/ ٤٨٢ - ٤٨٦) .

(٥٧٢) الحازمى النسابة هو أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمذانى المتوفى سنة ٥٨٤ هـ. ترجمته (تذكرة الحفاظ ٤/ ١٥١ - ١٥٣)، (وفهرس الخزانة التيمورية / ٣) .

(٥٧٣) البيت ساقط من الأصل والزيادة عن (ب) . والشطر الأول غير مستو عروضيا. والثانى مضطرب المعنى. ساللهم إلا إذا كان المراد : «ولم يبلغ مداه - أى مدى الممدوح - الحاكم النيسابورى.

(٥٧٤) يشير إلى قول أبى نواس الموضح فى الحاشية التالية.

(٥٧٥) صدر بيت لأبى نواس، من قصيدة يمدح فيها بنى تميم. وتمام البيت مع ما بعده : (صبح الأعشى ١ / ٣٧٦) .

خـــذيمـــة خـــيـــر بنى خـــازم وخـــــازم خـــيــــر بنى دارم
ودارم خـــيـــر تمـــيم ومـــا مـــــثـل تمـــــيم فى بنى آدم

وانظر ديوانه / ١٠٤ برواية : «خير بنى حازم، وحازم» بالحاء المهملة فى الموضوعين.

(٥٧٦) لعله مأخوذ من قول ابن حجاج فى المجون (الغيث المسجم ٢ / ١٤٣) :

لمـــا رأته قـــائماً صـــفـــقت كـــذلك الناس مع القـــائم

(٥٧٧) أما عن نافع : فهو علم لكثير من الرواة (راجع : الإصـابة ٦/ ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٧٠) ومنهم : نافع بن الأسود بن قطبة بن مالك التميمى، الذى يقول مفتخرا بقومه (ص ٢٦٢) :

وهم يضمنون المال للجار ماثوى وهم يطعمـــون الدهر ضـربة لازم

هذا. وأما قوله : «عاصم» فهو علم لكثير من الرواة أيضا. راجع : (الإصابة ٥/ ٥٦، ٥٧، ٨٥، ٨٦، ١٢٧) .

(٥٧٨) الصادح : هو الرافع صوته بغناء. والباغم : هو المتحدث بصوت رخيم. هذا، والصادح والباغم - ولعل هذا هو المراد هنا - منظومة على أسلوب كليلة ودمنة فى ألفى بيت، لابن الهبارية الهاشمى البغدادى المتوفى سنة ٥٠٤. والكتاب مخطوط / ١٨٧ أدب بدار الكتب.

(٥٧٩) فى ب : «للدعا خاتم» بالمعجمة الفوقية. وكلاهما صحيح. هذا، وقد حدث الاضطراب المشار إليه، فى ترتيب أبيات القصيدة السابقة هنا أيضا.

(٥٨٠) قطع الكارم. الكرم : للقلادة من الذهب والفضة. وقيل : نوع من الصياغة التى تصاغ فى المخانق. (لسان : كرم) .

(٥٨١) فى المثل : «هو يرقم فى الماء» يضرب للحاذق فى صنعته، قال الشاعر : (مجمع الأمثال ٢ / ٣٩٨ ط السنة المحمدية) .

ســأرقم فى المـــاء القـــراح إليكم على نأيكم إن كـــان فى المـــاء راقم

ولعله يقصد معنى المثل الآخر : «أخيب من القابض على الماء» (مجمع الأمثال ١/ ٢٦٦) .

(٥٨٢) لم أستطع تحديده.

(٥٨٣) أبو العلاء المعرى، هو : أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان.. التنوخى، المعرى الشاعر المتضلع في فنون الأدب ترجمته (نزهة الألباء / ٣٥٣، ٣٥٤).

(٥٨٤) «في نظمها» في (ب) تحريف. وكثير عزة مشهور. ومسكين الدارمي: ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح... ابن عدس بن دارم، شاعر إسلامي شريف، ظهر في عهد بنى أمية، وساد قومه توفى سنة ٨٩ هـ ترجمته (معجم الأدباء ١١ / ١٢٦ - ١٣٢).

(٥٨٥) في الأصل : «عادها» وأثبت مافي (ب) للوزن.

(٥٨٦) الأعلم : هو أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوى. المعروف بالأعلم الشنتمرى. أحد علماء اللغة العربية بالأندلس. اشتهر بحفظ الشعر وإتقانه توفى سنة ٤٧٦هـ (وفيات / ٣٥٣).

(٥٨٧) أبو الأسود الدؤلي : ظالم بن عمر بن سفيان بن جندل. أحد سادات التابعين والمحدثين والفقهاء مات بالجارف سنة ٦٧هـ على الأصح. ترجمته (إنباه الرواء ١ / ١٣ -٢٣).

(٥٨٨) تضمين قول عمر بن الخطاب لبنى العجلان بعدما هجاهم النجاشي : «كلنا عبد، وخير القوم خادمهم» (العمدة ١ / ٣٧، ٣٨). وفي المثل : «سيد القوم أشقاهم» (مجمع الأمثال ١ / ٣٧٠) هذا، ولعله مأخوذ من قول المعرى (لزوم مالا يلزم / ٢٠٣ ط. بيروت) :

إذا ما تبينا الأمور تكشفت لنا، وأمير القوم للقوم خادم

(٥٨٩) يشير إلى كتاب : (الناسخ والمنسوخ) في الحديث. للحازمى. وهذا الكتاب مطبوع كما جاء في حاشية تذكرة الحفاظ ٤ / ١٥٢ قوله : (قد طبع هذا الكتاب في مطبعتنا هذه. مطبعة دائرة المعارف النظامية وتداولته العلماء) اهـ.

(٥٩٠) يشير إلى قول الشاعر (المستطرف ٢ /٥٤) :

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها فكلما انقلبت يوما به انقلبوا

(٥٩١) تضمين المثل العربى : «هو يقرع سن نادم» (مجمع الأمثال ٢ / ٣٤٨). ويروى سن الندم. قال جرير :

إذا ركبت قيس بخيل مغيرة على العين يقرع سن خزيان نادم

وبالتمثيل والمحاضرة / ٣١٣ : «قرع سن النادم».

(٥٩٢) إشارة إلى ما هو مشهور بين الشيعة من انتظار بعض طوائفهم للإمام المنتظر، الذى يخرج فيملأ الأرض عدلا، بعد أن ملئت جورا حسب اعتقادهم.

(أحمد بن محمد بن قرصة)

* في (ب) : «أحمد بن يحيي بن قرصة». هذا وقد ترجم لابن قرصة، الصفدى في (الوافى ٨ / ٨٣ : ٨٥ وأعيان العصر ج ١). وكذا ابن حجر في (الدرر ١ / ٣١٣) وقال : إنه مات مذبوحا سنة ٧٥٢هـ.

(٥٩٣) هذه القصيدة قد وردت في : (الوافى ٨ / ٨٤، ٨٥، وأعيان العصر : ١).

(٥٩٤) هذا البيت ورد في (أعيان) بعد الذى يليه.

(٥٩٥) فى البيت اقتباس قوله تعالى : «لقد استكبروا فى أنفسهم، وعتوا عتوا كبيرا» من الآية / ٢٠ من سورة الفرقان.
(٥٩٦) ورد الشطر الأول فى (الوافى) هكذا : «أسد المكارم من أياد لم تزل». والمعنى مأخوذ عن قول ابن الخياط (ديوانه / ١٨٤) :

ندى يعتق العبد من رقه ولكنه يترك الحر عبدا

(٥٩٧) الشطر الثانى يذكرنى بقول ابن رشيق فى الرثاء (ديوانه ١٠٦) ولعل ابن قرصه نظر إليه:

فقد نعى ملء أفواه وأفئدة وقد نعى ملء أبصار وأسماع

(٥٩٨) «تبقى» فى : (أعيان) بالتحريف : ولعل ابن قرصة نظر هنا إلى ابن النبيه فى مدح ابن مماتى بن الخطير (بديوانه / ٦٥) :

ماجد صور المهيمن يمنا ه من اليمن، واليسار يسارا

(٥٩٩) فى (أ، م، وأعان) : «فرعن» بالفاء الموحدة الفوقية.
(٦٠٠) «يكسو» فى (أعيان). وبالوافى قوله : «يكس... ظلامه أنوارا».
(٦٠١) (أعيان) : «يغارا» بالتحريف. والمغار : لعله من قولهم : أغار الجيش على العدو، شد العدو وأسرع. لسان (غور). ولعله يقصد أن الممدوح إذا رام ظفر الجيش ونصره، ملأ الكتاب.. الخ فيكون من (غير)، لا من (غور) من قولهم غار الغيث الأرض إذا سقاها..
(٦٠٢، ٦٠٣) بأعيان: «طرق الغنى... وكتب» تجريف.
(٦٠٤) القصيدة وردت فى (أعيان العصر).
(٦٠٥) برج سعد : من الكواكب الثابتة. جملة السعود عشرة، وهى : سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، وسعد الملك، وسعد البهام، وسعد الهمام، وسعد البارع، وسعد مطر، وسعد ناشرة، (صبح الأعشى ٢/ ١٥٩ - ١٧٤).
(٦٠٦) (أعيان) : «تشبيها لها».
(٦٠٧) الشطر تضمين المثل العربى «مايشق غباره» يضرب لمن لا يجارى. وهو من كلام قصير لجذيمة الأبرش. (مجمع الأمثال ٢ / ٢٥٠). وتضمين لقول سالم بن دارة يمدح عدى بن حاتم :

أبوك جواد لايشق غباره وأنت جواد لست تعذر بالعلل

(٦٠٨) فى (ب، وأعيان) : «وكذا أخو».
(٦٠٩) بأعيان العصر : «وكتب إلى قصيدة قطر الميزاب» وأورد الأبيات الثلاثة الأولى من القصيدة فقط. وقال : «وقد سقتها بمجموعها فى كتابى ألحان السواجع» هذا، وقد وردت الأبيات الثلاثة الأولى أيضا فى (الدرر ١/ ٣١٣) وأشار إلى أن «هذه القصيدة سماها قطر الشراب».
(٦١٠) لعله يشير إلى لقيط بن معبد الإيادى الذى جاء فى قول الأشل الأزرقى (البيان والتبيين ١/ ٥٠) :

كقسّ إياد أو لقيط بن معبد وعذرة والمنطيق زيد بن جندب

(٦١١) نقوط الدلف : الدلف، والدلف: مصدر، وعند المولدين الوكف من سقف البيت ونحوه. يقولون : دلف السقف وأدلف، بمعنى وكف.. (محيط المحيط : دلف).

(أحمد بن محمد، المعروف بالحاجبي)

* له ترجمة في (أعيان العصر ح ١) (والوافي ٨ / ١٦١، ١٦٤)، و(الدرر ١/ ٣٣٣، ٣٣٤) وفيه : أحمد بن محمد الحاجبي شهاب الدين الجندي المتوفى سنة ٧٤٩. ويقول عنه الحموي في خزانته / ٤٠١ في باب التورية : «فإنه مايجاري في انسجامه وسهولته ورقته ولطيف عبارته».

(٦١٢) الكلمة : زيادة من (أ، م).

(٦١٣) في الغيث المنسجم ١ / ٩٥ :

أقول شبهه لنا جسم الرشا ترفافراح ... يامدعي الفضل في وصف وإنشاءوشبه
بفكر فـيـمـا قلتــه زمنا ... المـاء بعـد الجـهـد بالمـاء

(٦١٤) ورد البيتان في (أعيان، الوافي ٨ / ١٦١، والغيث ١/ ٩٥)، ويقول الصفدي في الغيث : «والبيت الثاني مأخوذ من ابن الرومي في قوله: (وليس بديوانه) :

وشاعر أو قد الطبع الذكاء لهأقام يجهد ... فكاد يحرقه من فرط إذكاءوفسر الماء
أيامـا قـريحـتـه ... بعـد الجـهـد بالمـاء

وساق أيضا في (أعيان العصر) البيتين برواية : «أقام يعمل أياما...» منسوبين إلى الوجيه بن الذروي. وكذلك الحموي في خزانته / ٢٢٦ وابن شاكر في (فوت ٢ / ١٨٨).

ونسبهما العاملي في (الكشكول ٢ / ١٦٩) والغزولي في (مطالع ٢ / ١٣) لابن الوردي (وليسا بديوانه) ولعله تحريف عن ابن الذروي المذكور. وفي المثل : «أشبه من الماء بالماء» انظر (مجمع الأمثال ١ / ٤٠٢).

(٦١٥) بأعيان العصر : «أطلت الرشا».

(٦١٦) البيتان بأعيان العصر.

(٦١٧) «فراح يجهد» في أعيان العصر.

(٦١٨) البيتان وردا في : (أعيان / ١، والغيث ٢ / ١٣٩، والهول / ٥٢، والوافي ٨/ ١٦٢).

(٦١٩) البيتان وردا في : (أعيان، والدرر الكامنة ١ / ٣٣٣، ومجموعة الدر / ٥٨٦، والوافي ٨ / ١٦٢).

(٦٢٠) البيتان وردا في : (أعيان) وروايته للبيت الثاني : «أدى محبتكم»، و(الوافي) وروايته فيه : «..... وحكى شذاكم». وفي : (تأهيل الغريب / ١٥٩، وجمع المنشور / ٨٤، ورحلة الشتاء / ٢٣، وروض الآداب / ١٨٠، ١٨١، وفض الختام / ١٤٠، والكشف والتنبيه / ٩٥، وكشف اللثام ٣٠، والمحجة / ٣٩، ومطالع البدور ١/ ٥٥) : والرواية فيها جميعا : «أهدى تحيتكم». وفي : (تزيين الأسواق / ١٩٦، ومجموعة الدر / ٩٩٩) والرواية فيهما : «... إن ناريح ذكي». وفي : (ديوان الصبابة/ ٩٥، ٩٦). و (خزانة الحموي / ٣١١) برواية : «هب لي من نحوكم»، وأهدى تحيتكم، وأشار الحموي، والنواجي، وابن أبي حجلة، إلى قصة سرقة هذين البيتين. يقول الحموي : «إن صلاح الدين الصفدي أخذ هذه النكتة من القاضي محيي الدين بن عبدالظاهر في قوله :

شكر النسـمـة أرضكم ... كم بلغت على تحيـة
لا غـرو إن حفظت أحا ... ديث الهوى فهي الذكيـة

ويضيف الحموي قائلا : «وأشار إلى هذه السرقة شهاب الدين بن أبي حجلة بقوله، ولم يخرج عما نحن فيه من التورية :

إن ابن أيبك لم تزل سرقاته تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه جهلا فراح كلامه في الريح.

(٦٢١) بالوافي : «قال هو مختصرا». والبيتان وردا في : (أعيان، وتأهيل الغريب / ٢٨٢، وخزانة الحموي / ٤٠٢، ورحلة الشتاء / ٢٢، والدرر ١/ ٣٣٣، وكشف اللثام / في باب التورية، والمحجة / ٣٩، والوافي ٨ / ١٦٣) منسوبين إلى الحاجبي. أما في : (روض الآداب / ١٨١) فقد وردا بدون عزو، وبرواية: «ما لذ في أذني حديث سواها».

(أحمد بن محمد بن أبي الخوف)

* له ترجمة في الوافي ٨ / ١٦٠، ١٦١)، (أعيان العصر ج ١، والدرر ١/ ٢٧٢، ٢٧٣) وجعل وفاته سنة ٧٤٩هـ وقيل سنة ٧٩٩هـ.

(٦٢٢) الأبيات الآتية وردت في (أعيان، والوافي).

(٦٢٣) بأعيان، والوافي : «أبا فاضلا».

(٦٢٤) في (أعيان) : «والحلم والدهي».

(٦٢٥) تورية في قوله : «صلاح... وخليل».

(٦٢٦) ورد الجواب في (أعيان العصر، والوافي).

(٦٢٧) في (أعيان) : «ما إليه سبيل».

(أحمد بن يحيى بن فضل الله)

* له ترجمة في (الوافي ٨ / ٢٥٢ : ٢٧٠)، (وأعيان العصر ١) و(الدرر ١/ ٣٥٢ - ٣٥٤) وحدد وفاته بسنة ٧٤٩ هـ.

(٦٢٨) أبيات اللغز وردت في : (التذكرة - المجلد الأخير - /٣٢ / ٣٢، والوافي ٨ / ٢٥٦) وزبيدة هي : زوج هارون الرشيد، وأم الخليفة محمد الأمين. واسمها :أمة العزيز ابنة جعفر بن المنصور، وتكنى أم الواحد، وزبيدة لقب لها (العقد ٥ / ١١٧).

(٦٢٩) في (أ، وأعيان العصر) : «لذات سر».

(٦٣٠) في (أعيان) : «بها ليس يأتي» في الشطر الأول. ولعله في الشطر الأخير من هذا البيت نظر إلى البحتري في قوله (ديوانه ١ / ٦٣٦) :

ويديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد

(٦٣١) ورد هذا الشطر في (ب) هكذا : «وحليم آراؤه لا لدان».

(٦٣٢) الرشيد : هو أبو محمد هارون الرشيد الخليفة العباسي الشهير، بويع بالخلافة سنة ١٧٠ هـ وتوفي سنة ١٩٣ هـ. ترجمته (بالعقد : ٥ / ١١٧، ١١٨).

(٦٣٣) ورد الجواب (بالتذكرة المجلد الأخير / ٣٢، والوافي ٨ / ٢٥٧).

(٦٣٤) عبد المجيد بن عبدون أبو محمد الفهري الأديب الشاعر الكاتب المتوفي سنة ٥٢٠ هـ. ترجمته في (فوات الوفيات ٢ / ١٩ - ٢٣).

(٦٣٥) التوحيدى المقترن به فى الشطر الثانى هو «على بن محمد بن العباس» التوحيدى الصوفى المتوفى سنة ٤٠٠ هـ وقيل سنة ٣٨٠ صاحب الإمتاع والمؤانسة، وكتاب البصائر والبشائر. (معجم الأدباء ١٥ / ٥ – ٥٢).

(٦٣٦) «علم العالمون» بأعيان، والوافى. والبيت للبحترى (بديوانه ١/ ٦٣٨) وهو من قصيدته التى يمدح فيها محمد بن عبدالملك الزيات ومطلعها :

بعض هذا العتاب والتفنيد ليس ذم الوفاء بالمحمود!

(٦٣٧) فى (م، والوافى) : «..... منك عقد در». وفى (التذكرة) : «منك نظم در».

(٦٣٨) فى (ب) : «شابه الحسن» ولعل قوله «شاب رأس الوليد» تضمين قول أبى تمام (طيف الخيال / ٢١١)، مع اختلاف المعنى :

حمتنا الطيف من أم الوليد خطوب شيبت رأس الوليد

(٦٣٩) الأمين : أبو عبد الله محمد الأمين بن هارون الرشيد أحد الخلفاء العباسيين. والفتنة بينه وبين أخيه مشهورة فى التاريخ، قتل سنة ١٩٨هـ (العقد ٥ / ١١٨، ١١٩).

(٦٤٠) فى «الهادى» تورية. فاللفظ مشترك بين : المرشد، والخليفة العباسى أبى محمد يوسف الهادى المتوفى سنة ١٧٠هـ.

(٦٤١) أبيات اللغز وردت فى (أعيان ح ١) و(الوافى ٨ / ٢٥٥).

(٦٤٢) المقصود من قوله «قلبه» هو (مجن)، وهو (البيض والسمر) من أدوات القتال وعلى هذا ففى كلمتا : (البيض والسمر) تورية.

(٦٤٣) يشير فى الشطر الأول إلى الذبات والنجم فى السماء. وفى الشطر الثانى إلى «الحوت».

(٦٤٤) وردت القصيدة الآتية بأعيان العصر، والوافى.

(٦٤٥) فى (م)، وأعيان : «الزهراء والزهر».

(٦٤٦) اقتباس الآية / ٤ من سورة الفجر. والإشارة إلى الآية / ١ من هذه السورة أيضاً «والفجر».

(٦٤٧) لعله يشير هنا إلى النجم القطبى وهو سبعة نجوم.

(٦٤٨) الكلام ساقط من (الوافى). وبه زيادة : «والبروق ودام ذلك أياماً ما عهد الناس مثلها». وهذه الرسالة والإجابة عنها مذكورتان (بالوافى، وأعيان العصر).

(٦٤٩) بهامش الأعيان قوله : (لعل الصواب : مطره الحثيث، وفرعه الأنيث).

والمطر الأنيث : أى الكثير. والفرع الأثيث : أى الشعر الكثير الغزير الطويل، (والمعنى – على المجاز – ليل طويل حالك الظلمة) (لسان : أثث).

(٦٥٠) يضمن المثل : «ما كل حمراء جمرة» وهو يذكرنى بقول ابن رشيق (ديوانه / ١٩٤).

أذا برد تحدر من غمام علينا أم تناثرت النجوم؟!

(٦٥١) «مضارب خيامه» فى (م) وهو صحيح أيضاً.

(٦٥٢) لعله يشير فى هذه العبارة إلى قول ابن خيرة (المغرب ١ / ٢٦٠) :

يوم كـأن سـحـابه لبست غمامى المصامت
حجبت به شمس الضحى بمثال أجنحة الفواخت

والفواخت : جمع فاختة، طائر من أو فى الطيور. وهى من ذوات الأطواق. حسنه الصوت. (صبح الأعشى ٢ / ٧٦٦).

(٦٥٣) لعله يقصد بالمنطيق : البليغ المفوه. أو يريد به المنطيق : زيد بن جندب الأيادى خطيب الأزارقة، الذى يقول فيه الأشل الأزرقى :

كـقس إياد، أو لقيط بن معبد وعـذرة والمنطيق زيد بن جندب

(٦٥٤) اقتباس قوله تعالى علي لسان سليمان - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - : «ارجع إليهم فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم بها» من الآية / ٣٧ من سورة النمل.

(٦٥٥) العبارة وما بعدها إشارة إلى الطوفان زمن نوح واقتباس قوله تعالى على لسان ابن نوح قال : «سآوى إلى جبل يعصمني من الماء، قال : لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم...» من الآية / ٤٣ من سورة هود. وقال الفرزدق معرضاً بالحجاج بن يوسف الثقفى :

فلما طغى الحجاج حين طغى به غنى قال: إنى مرتق فى السلالم
وقال كما قال ابن نوح سأرتقى إلى جبل من خشية الماء عاصم.

(٦٥٦) هذه العبارة إشارة إلى قصة موسى - عليه السلام - مع فرعون وسحرته، ويقتبس الكاتب قوله تعالى : «قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى... وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا...» / ٦٦ - ٦٩ من سورة طه).

(٦٥٧) تورية.

(٦٥٨) قزح قزح: قوس يظهر فى الجو من حمرة وخضرة. وقد ورد النهى عن تسميته قوس قزح، وتسميته قوس الله، لأن قزح اسم للشيطان. هذا ولمعرفة سبب ظهوره راجع (صبح الأعشى ٢/ ١٨٤).

(٦٥٩) المقصود السحاب المتكاثف الثقيل الأسود يشبه الزمت. والزمت: الغراب الأعصم، وهو طائر مضغوط الجسم من الجانبين ومغطى بريش أسود.

(٦٦٠) فى قوله: «عن أبى ذر.. أبى قلابة» تورية. وأبو ذر الغفارى هو الزاهد المشهور الصادق اللهجة توفى سنة ٣١ هـ وقيل سنة ٣٢ هـ ترجمته (الإصابة ٧/ ٦٠). أما أبو قلابة. فكنية، (حبيش بن عبدالرحمن) وقيل (ابن منقذ) كان أحد الرواة الفهمة، وكان شيعياً رافضياً. ترجمته (معجم الأدباء ٧/ ٢١٦) وكذلك. كنية، (عبد الله زيد بن عمرو الجرمى، أحد الأئمة الأعلام، محدث كثير الحديث، توفى سنة ١٠٤هـ جعله السيوطى فى (طبقات الحفاظ) من الطبقة الثالثة الوسطى من التابعين. والعبارة تذكر بقول الشاعر:

أبو قلابة يروى الهموم عن مطر عن ثابت عن يزيد واصل السند.

(٦٦١) جبل ثهلان: جبل ضخم بالعالية (ياقوت ٥/ ٨٨) المجلد الثانى بيروت).

(٦٦٢) عجز بيت للمنازى أبى نصر أحمد بن يوسف (وفيات ١/ ١٢٦ ومعاهد التنصيص ١/ ٨٥، وكنز الدرر ٦/ ٦٠٣، برواية «حلو الوالدات»، وخزانة الحموى/ ٢٦٣، وعده من الانسجام المرقص ضمن أبيات من القصيدة، وخريدة القصر - شعراء الشام ٢/ ٣٤٨) وتماما البيت مع ما قبله (فى وصف واد):

وفــانا لفــحــة الرمــضــاء واد سـقــاه مـضـاعف الغـيث العـمـيم
نزلنـا دوحــــه فــحـنا علينا حنو المـرضـعـات على الفطيم

هذا وفى (معجم الأدباء ١٠/ ٧٦) نسب هذا البيت برواية (حللنا دوحه) إلى المنازى، وقيل: لحمدة بنت زياد بن تقى.

ودع هريرة إن الركب مــرتحل وهل تـطيق وداعاً أيهـا الرجل
غرّاء فرعـاء مـصقـول عـوارضـهـا تمشى الهوينى كما يمشى الوجى الوحل

(٦٦٣) لعله يشير إلى قول الأعشى (ديوانه/ ١٤٤، ونهاية الأرب ٢/ ١٠٦):
(٦٦٤) من قول امرئ القيس (ديوانه/ ٣٥):

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها نـؤوم الضـحى لم تنتطق عن تفـضل

(٦٦٥) من دعاء الرسول (ﷺ) حين أخذت قريشاً «سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام فجاءه أبو سفيان، فقال: يا محمد، جئت تأمر بصلة الرحم، وإن قومك هلكوا، فادع الله أن يسقيهم، فدعا رسول الله، فسقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعاً، وشكا الناس كثرة المطر، وخافوا الغرق، فقال (ﷺ): «اللهم حوالينا ولا علينا» راجع (صحيح البخارى ٢/٣٧، ٣٨ ط دار الشعب، وخزانة البغدادى ١/ ٢٥٢)، و(سيرة ابن هشام/ ١/ ٢٨١).
(٦٦٦) النافقاء: أحد حجرة اليربوع، إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه.
(٦٦٧) لعل الصفدى فى هذه العبارة نظر إلى قول الباخرزى فى شدة البرد (وفيات ٣/ ٣٨٨ بيروت):

كم مـؤمن قـرصـتـه أظفـار الشـتـا فـغـدا لسكان الجـحـيم حـسـودا

وفى هذا المعنى أيضاً جاء قول الشاعر (صبح الأعشى ٢/ ٤١٣):

أيارب إن البـرد أصـبـح كـالحـا وأنت بحـالى عـالم، لاتعلم
فـإن كنت يوماً مـدخلى فى جـهنم فـفى مـثل هذا اليـوم طابت جـهنم.

(٦٦٨) لعله يقتبس القول المأثور: (رحم الله امرأ عرف قدر نفسه).
(٦٦٩) أحالنا الصفدى فى (أعيان) إلى هذا الجواب فى (ألحان السواجع). هذا، وبالوافى ٨/ ٢٦٠ قوله: فأجابنى عن هذه الرسالة برسالة أخرى وهى: وقف عليه، وتيمن لمجرد إقباله عليه».
(٦٧٠) الزيادة عن باقى النسخ.
(٦٧١) الزيادة عن (الوافى).
(٦٧٢) فى (الأصل، م): «وأدخلته تحته» تحريف وفى غيرهما: «وأدخلته تحت كل فاضل». ولعل الصواب: «وأدخلت تحته كل...».
(٦٧٣) بالوافى: «كل مناظر وكل مناضل».
(٦٧٤)بالوافى: «فإن الطوفان قد حصر».
(٦٧٥) تضمين من قول حسان بن ثابت (ديوانه ٢٤٦) يمدح عبد الله بن عباس:

إذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فصلا

(٦٧٦)الجملة تضمين عجز بيت لكثير عزة وقيل: ليزيد بن الطثرية، وقيل: لعقبة بن كعب بن زهير. انظر: (البيان والتبيين ١/ ٨، والشعر والشعراء ١/ ٨، وحاشية: المثل السائر ٢/ ٦٦، ودلائل الإعجاز/ ١١٢) وتمام البيت مع ما قبله:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

(٦٧٧) الكلام ساقط من الأصل ومن (ب)، والزيادة من (أ، م، والوافى) مع بعض الاختلاف وقد أثبت ما بالأخير منها.
(٦٧٨) لعل الجملة تضمن قول أبى الفرج أحمد بن خلف (المنتخب من كتابات الأدباء / ١٠٧):

تعيرنى وخط المشيب بعارضى ولولا الحجول البلق لم تعرف الدهم.

(٦٧٩) الآية/ ٢٩ من سورة النازعات.
(٦٨٠) فى (أ، م): «رماد سحابها المتجلى» تصحيف. ولعله يشير إلى قول عمرو بن معد يكرب (سرح العيون/ ٣٣٤):

ولو نار نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ فى رماد

(٦٨١) اللثق: الندى مع سكون الريح. وقيل: البلل. (لسان: لثق).
(٦٨٢) «شرقها» بالوافى.
(٦٨٣) فى العبارة يقتبس الكاتب قوله تعالى: ﴿ما هذا بشراً، إن هذا إلا ملك كريم﴾ من الآية/ ٣١ من سورة يوسف.
(٦٨٤) الزيادة من (أ).
(٦٨٥) أى بلغ الموضع الذى يحل فيه نحر الهدى. والحل: الحلال.
(٦٨٦) بالوافى: «وغرق».
(٦٨٧) وردت القصيدة الآتية برمتها فى (الوافى ٨/ ٢٦٣، ٢٦٤).
(٦٨٨) بالوافى: «روض النبات» وقوله: يزف: من زف العروس إلى زوجها. ويمكن أن تكون من زف القوم فى مشيهم يزفون - بكسر الزاى - أى أسرعوا. قال تعالى: ﴿وأقبلوا إليه يزفون﴾.
(٦٨٩) مأخوذ من قول أبى تمام يعاتب أبا سعيد محمد بن يوسف الطائى، ويذكر قصائده (زهر الآداب ١/ ٨).

هى السحر الحلال لمجتليه ولم أر قبلها سحراً حلالا

(٦٩٠) سحبان وائل سبق ذكره . أما باقل، فهو ابن عمرو بن ثعلبة الإيادى، الذى يضرب به المثل فى العى، فيقال: أعيى من باقل» (سرح العيون/ ٣٧٧) وقد اتخذهما حميد الأرقط رمزاً لضيف يهجوه (ثمار القلوب/ ١٠٢، ١٠٣) فقال:

أتانا وما داناه سحبان وائل بياناً وعلماً بالذى هو قائل
فما زال اللقم حتى كأنه من العى لما أن تكلم باقل

(٦٩١) القصيدة برمتها وردت في (الوافي ٨/ ٢٦٤، ٢٦٥).

(٦٩٢) العرق: نبات أصفر. وقيل: عروق الأرطى - شجر معروف - طوال.. تراها إذا استخرجت من الثرى حمراً ريانة مكتنزة ترف يقطر منها الماء. لسان (عرق) فلعل الشاعر يفضل كف صاحبه عليه. أما قوله (عرق عانه) فلعل «عانه» اسم مكان، أو غير ذلك.

(٦٩٣) بالوافي: «حكت الهلال يلوح».

(٦٩٤) وردت ستة أبيات من هذه القصيدة على غير هذا الترتيب في (درة الأسلاك ٢/ ٢١٧)، أولها هذا البيت:

(٦٩٥) البيت في (الأسلاك): «هذا ورأس الطود يشكو لمة».

(٦٩٦) ورد هذا البيت بعد الذي يليه في (الوافي). ولم يرد في (الأسلاك).

(٦٩٧) لعل هذا البيت، والذي قبله، مأخوذان من قول الصاحب بن عباد. (ديوانه/ ٢٤٠).

أو ما ترى كانون ينثر ورده وكأنما الدنيا سبيكة فضة

(٦٩٨) «ناحلا» في (الوافي). هذا، ولم يرد البيت في (الأسلاك).

(٦٩٩) هذا البيت هو نهاية الأبيات الست الواردة في (الأسلاك).

(٧٠٠) هذه الرسالة وردت في (التذكرة - المجلد الأخير - ورقة / ٧، ٨).

(٧٠١) «المجرورة» بالجاء المعجمة في (أ، م، والتذكرة). وفي غيرها: «المحرورة». بالمهملة. والأشئية المحرورة: أي التي تحس بحرارة في صدرها. على المجاز. وهذا المعنى منسجم مع قوله فيما بعد: «ونوافض» فالنافض من الحمى ذات الرعدة.

(٧٠٢) في التذكرة: «المغزوره» والتقريح: التشويك. والقرح: ألم الجراح. والمغرورة: المتلألئة السريعة.

(٧٠٣) المطرورة: من قولهم سنان طرير ومطرور محدد (لسان/ طرر).

(٧٠٤) السحب المزرورة «تقول زررت القميص إذا شددت أزراره عليه» «لسان/ زرر» فكأن السحب حبكت على الأجساء.

(٧٠٥) لعله نظر إلى قوله تعالى: «أم يقولون به جنة، بل جاءهم بالحق» من الآية/ ٧٠ (سورة المؤمنون). والممرور: الذي غلبت عليه المرة، وهي القوة وشدة العقل. (لسان/ مرر).

(٧٠٦) بالتذكر: «عمرة تامة».

(٧٠٧) من هنا وردت عدة سطور من الرسالة في (الأسلاك ٢/ ٢١٦). والرواية في هذه العبارة: «غير وقع الثلج أحوال المدينة».

(٧٠٨) (في الجامع) تورية. فهي من قرى الغوطة. أو المقصود الجامع الأموي المشهور بدمشق والقرائن بعده ترجحه.

(٧٠٩) بين الحاصرتين ساقط من (الأسلاك) ولعل الجملة مأخوذة من قول التنوخي في البرد (صبح الأعشى ٢/ ٤١٣).

فنحن منه ولم نخرس ذوو خرس ونحن فيه ولم نفلج مفاليج

(٧١٠) (الأسلاك): «بغمام غمامه» ولعلها أصوب. للجناس.

(٧١١) «أبواب باب» في (ب).

(٧١٢) الآية/ ٩ من سورة الهمزة. وجيرون: حصن معروف بدمشق. وقيل اسم قرية الجبابرة فى أرض كنعان، وقيل: اسم باب من أبواب الجامع بدمشق (معجم البلدان).

(٧١٣) هكذا فى الأصل، أما فى (م): فهى: «ألا أوان» تحريف. وفى (ز) «الأجساد» ولعله أقرب لطبيعة الكاتب وولعه بالسجع.

(٧١٤) يشير إلى هذه الواقعة المقريزى فى السلوك ٢/ ٦٥٢) ومما قاله: «لما كان يوم السبت سادس شعبان، إذا برعد وبرق أعقبته زلزلة عظيمة.. فهدم من القلعة اثنا وثلاثون برجا... فخرج أهل حلب إلى ظاهرها وضربوا الخيم... إلخ».

(٧١٥) فى العبارة إشارة إلى قصة الهجرة من مكة إلى المدينة. وصهيب المشار إليه فيها، هو: صهيب بن سنان بن مالك أبو يحيى - ويقال: أبو عيال - النمرى الرومى. كان من أصحاب الرسول (ﷺ) وقصته فى الهجرة مشرفة، وهو الذى قال الرسول -ﷺ- فى حقه: «أنا سابق العرب إلى الجنة، وصهيب سابق الروم إلى الجنة» - وهذا الحديث هو ما تشير إليه العبارة - توفى سنة ٣٨ هـ وقيل سنة ٣٩ هـ. ترجمته (الإصابة ٣/ ٢٥٤، ٢٥٥).

(٧١٦) اقتباس قوله تعالى: «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب، وتقطعت بهم الأسباب»/ ١٦٦ من البقرة.

(٧١٧) الخوخ: جمع خوخة وهى كوة فى البيت تؤدى إليه الضوء. وقيل: مخترق ما بين كل شيئين. لسان (خوخ).

(٧١٨) «بغاربه» فى (أ، م، والتذكرة). وهو ما أثبته؛ إذ الكلمة مطموسة فى الأصل ولعلها «مغاربه» فى النسخ الأخرى.

(٧١٩) (الأسلاك): «ونمته» بالتحريف.

(٧٢٠) فى (ب، أ، والتذكرة) «ولليلتها» وهو ما أثبته، إذ بالأصل، أ، ز: «وليلتها».

(٧٢١) يشير إلى ما ورد فى (صحيح البخارى المجلد الأول ج ٣/ ١٣٥/ ط دار الشعب) فى (ما جاء فى الحرث والمزارعة): حدثنا عبد الله بن يوسف عن أبى أمامة الباهلى، قال: ورأى سكة وشيئاً من آل الحرث فقال: سمعت النبى (ﷺ) يقول: لا يدخل هذا بيتاً إلا أدخله الذل. وانظر (نصرة الثائر/ ٢٣٢).

(٧٢٢) لعله يشير إلى قول أبى تمام (ديوانه ٢/ ٣٣):

همتنا الطيف من أم الوليد ... خطوب شيبت رأس الوليد
رآنا مشعرى أرق وحزن ... وبغيته لدى الركب الهجود

(٧٢٣) يشير إلى قول المجنون - وقيل لابن حيه - (: ديوان المجنون/ ١٣٥):

نظرت كأنى من وراء زجاجة ... إلى الدار من ماء الصبابة أنظر

(٧٢٤) بالأصل: «كم يبد» مجزم الفعل يرجح ما أثبته. وهو ما جاء فى «النسخ الأخرى».

(٧٢٥) فى (ز): «كالفحمة شحمه» بالزيادة وهو ينظر إلى المثل «ما كل بيضاء شحمه»

(٧٢٦) لعل معنى قوله: «يسترق..» أى لم يدع منهم كبيراً ولا صغيراً.

(٧٢٧) بالتذكرة «لم يزل بها يلكبر» بالتصحيف.

(٧٢٨) ورد جواب الصفدى (بالتذكرة المجلد الأخير، الورقة/ ٩ - ١١).

(٧٢٩) فى الجملة إشارة إلى قول المتنبى (الإبانة/ ١٥٢):

ودسنا بأخفاف المطي ترابها		فلا زلت استشفى بلثم المناسم.

(٧٣٠) في (ب، م، والتذكرة): «بابره» - بالباء الموحدة التحتية بعدها راء - تصحيف.

(٧٣١) في الأصل وجميع النسخ «القطار ونمت» بالدال المعجمة. وقد اخترت ما في (التذكرة). هذا، و(قطار) - الأولى - من قطر الإبل يقطر قطرا وقطرها، قرب بعضها إلى بعض على نسق. و (القطار) - الثانية - جمع قطر، وهو المطر. وزمت: من زم، يزم، إذا تقدم وقيل إذا تقدّم في السير. (لسان: قطر، وزمم). والمعنى: وساقت إلى الشام سريعاً أخبار الأمطار الدائمة المتوالية.

(٧٣٢) بالأصل «الألي» والتصويب من باقي النسخ، والتذكرة؛ لتحقيق الجناس في (الأولى - طولا - حولا) إلخ.

(٧٣٣) المعنى أن الله غطى هذه الجبال، وملأها ثلجاً. ففي (اللسان/ نسف): «ونسف الإناء ينسف فاض».

(٧٣٤) «بما لا عهدوه» في (ز) وهذا التعبير أصوب عندي ولعله يشير هنا إلى قول أبي تمام (ديوانه ٢/ ١١٥، وأخبار أبي تمام/ ٢٠٤):

ومن زمن ألبستنيه كأنه		إذا ذكرت أيامه، زمن الورد

(٧٣٥) (الأصل، م، والتذكرة): «ريحا» بالنصب والتصويب من باقي النسخ.

(٧٣٦) يذكر بقول القاضي التنوخي في وصف ليلة برد - ولعله مأخوذ منه - (صبح الأعشى ٢/ ٤١٣):

وليلة ترك البرد البلاد بها		كالقلب أسعرنا فهو مثلوج
فإن بسطت يدا، لم تنبسط خصرا		وإن تقل، فيقول فيه تشبيج

(٧٣٧) ساقطة من الأصل، والزيادة عن التذكرة، وباقي النسخ.

(٧٣٨) في العبارة تضمين المثل العربي: «أمحل من حديث خرافة». وخرافة: رجل من العرب، زعم أنه كان من عذرة، فاستهوته الجن، فلبث فيهم زماناً. ثم رجع إلى قومه، وأخذ يحدثهم بالأعاجيب. فضرب به المثل. انظر (الميداني ٢/ ٢٨٣، وثمار القلوب/ ١٣٠) هذا، وقد ضربه ابن الزبعري مثلا بالكفر بالبيت فقال:

حياة ثم موت، ثم نشر		حديث خرافة، يا أم عمرو.

هذا، ويقول ابن قتيبة في كتابه: (المعارف/ ٦١٠، ٦١١) ط دار المعارف الرابعة : حدثني أبو سفيان الغنوي، قال: حدثنا سعيد بن عبدالله السلمي، قال: حدثنا علي بن أبي سارة، عن ثابت، عن أنس بن مالك: أن النبي - ﷺ -قال لعائشة: «إن أصدق الأحاديث حديث خرافة وكان رجلا من بني عذرة سبته الجنّ فكان يكون معهم، فإذا استرقوا السمع أخبروه، فيخبر به أهل الأرض، فيجدونه كما قال».

(٧٣٩) البيتان بدون نسبة في (الكشف والتنبيه/ ٩٠) وبتقديم الثاني على الأول. وبرواية: «وإذا رميت بفضل كأسك... عادت عليك...» «وترى عتاف...». وقد ورد البيت الثاني مع غيره، بدون عزو في (نسيم الصبا/ ١١) برواية (الكشف والتنبيه). وهما للباخرزي المقتول سنة ٤٦٧هـ. انظر (الملتقط من ديوانه/ ٥١)، ووفيات ٣/ ٦٧ ط مصر) ضمن أبيات برواية «وترى طيور الماء في وكناتها...»، وإذا رميت بفضل كأسك... عادت...» والبيتان معزوان أيضا للباخرزي في (معجم الأدباء ١٣/ ٣٧) برواية: «وترى طيور الماء في أرجائها. «فإذا رميت بسؤر كاسك... عادت عليك».

(٧٤٠) بالأصل، (أ، ز، م): «بدمع جفونه» والجملة فى (ز) برواية: «بدمع جفونه أحقار بتلك..». هذه الرواية فى (ب): «ودمع جفنه أحق».

(٧٤١) الرجام: حجارة ضخام.

(٧٤٢) كتاب «بدائع البدائه» لأبى الحسن على بن ظافر الأزدى المتوفى سنة ٦١٣. وهو: «أقوال أدبية فى أسلوب مصنع، تتخللها كثيرا نكريات من حياته» وقد طبع فى بولاق سنة ١٢٧٨. وفى القاهرة سنة ١٣١٦ على هامش «معاهد التنصيص» كما نشره الأستاذ (محمد أبو الفضل إبراهيم) بالقاهرة سنة ١٩٧٠ (بروكلمان ٦/٢٦/٢٧) وحاشيته.

(٧٤٣) فى (أ): «أن النغ نختا فيه فنك». وفى (ب):... نحنه فنكه بالتاء المثناة الفوقية بعدها، كاف. بالتصحيف. فالفنك – بالفاء والنون –: دويبة لطيفة لها وبر حسن أبيض يخالطه بعض حمرة (الأعشى ٢/ ٤٩). والمقصود هنا فروتها.. أى وبرها. وقيل الفنك: فراء الثعالب. هذا، والنغ – (بضم) النون – من معانيه المطر الخفيف. والنغ – بفتح النون – من معانيه ما لم يعلم حقه من باطله من الأخبار. فلعل المعنى على ضوء هذا، إن هذا الرجل – على المجاز – لغفلته وسوء تقديره حسب وهما أن المطر سيكون خفيفا، وعليه من الفراء ما يحميه ويدفئه.

(٧٤٤) قوله: «دق» لعله من الدقيق أى الأمر الغامض. أو كناية عن تكلفه الكلام وعجزه فى هذه المحاولة التى تحدث فى الحنك ما يشبه دق شيء بشيء لجفافه من شدة البرد. وقد قرأنا من قبل قول التنوخى: «وإن تقل، فيقول فيه تثبيج» فالمراد إذن اللجاجة.

(٧٤٥) يشير إلى قول المتنبى (ديوانه ٣/ ٢٥٧):

علامة العلماء واللج الذى ... لاينتهى، ولكل لج ساحل

(٧٤٦) بالتذكرة الجملة هكذا: «فكيف كان فيه المصرع» ومظان ما تنشأ عن السمس بالمهملتين فى الكلمة الأخيرة.

(٧٤٧) بالتذكرة: «تتخذ الصيفه بالحذف والتحريف».

(٧٤٨) يشير إلى قول المتنبى (نصرة الثائر/ ١١٨):

لبس الثلوج بها على مسالكى ... فكأنها ببياضها سوداء

(٧٤٩) فى (ب): «الأنواء».

(٧٥٠) بالتذكرة: وعالجته «وعالجت أنواءها ولكن ذلك».

(٧٥١) البيتان التاليان وردا فى (نصرة الثائر/ ٢١٨، والغيث ١/ ٧٠، والكشف: ورقة/ ٦١) والرواية فى الأخير:

«كأنها فى وجه سكانها ... من بغضهم تبصق بالثلج»

(٧٥٢) الوداعى هو: على بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد الوداعى الكندى، الإسكندرى، ثم الدمشقى، الشاعر الأديب المتوفى سنة ٧١٦ هـ وقيل سنة ٧٤٧ هـ. ترجمته (الدرر ٣/ ٢٠٤).

(٧٥٣) بالتذكرة: «سنة سبْع».

(٧٥٤) هذه الرسالة برمتها وردت فى (التذكرة المجلد الأخير/ الورقة/ ٨٠: ٨٢).

(٧٥٥) «علينا مدى» فى (ز) ولعلها أصوب.

(٧٥٦) بالتذكرة «صوب وابله فيتقيه».

(٧٥٧) بالتذكرة: «ورب قطفاء» تحريف. والوطفاء: كثيرة شعر أهداب العين.

(٧٥٨) الحرف ساقط من الأصل، والزيادة التى يقتضيها الوزن من (جميع النسخ، والتذكرة) والشطر الأخير يشير إلى قول إسحق بن إبراهيم الموصلى (الأغانى ٥/ ٣٣٠):

لا أشـــرب الراح إلا من يدى رشـــأ تـقـبـيـل راحـتـه أشـهـى من الراح

وقوله: «ريق مزن» الريق: الرضاب، وجمعه أرياق.

(٧٥٩) بالتذكرة: «يقبل اليد».

(٧٦٠) «يتبرج» فى (التذكرة). وهو ما أثبته إذ بالنسخ «أن تتبرح» بالحاء المهملة.

(٧٦١) فى (أ): «بروقها اللامعة لقلوب» بالزيادة.

(٧٦٢) بالتذكرة: «.... وإن انقسمت أقساماً» هذا، وزيادة كلمة «ويدهى» لعلها ضرورة لانسجام الكلام.

(٧٦٣) فى (أ): «لا يفضض منه لمنشور». وفى (ب): «لمنشور» أيضاً. وفى (التذكرة): «لعشور» بالتحريف فيها.

(٧٦٤) الجملة فى الأصل برواية: «أنت ما منه» والتصويب من النسخ والتذكرة، وآثرته لتحقيق الجناس بين (آب - بمعنى رجع - وآب - الشهر الحادى عشر من شهور السريان).

(٧٦٥) بالأصل: «وأبلوى لا يرى» بدون حرف العطف. والتصويب من النسخ والتذكرة.

(٧٦٦) بالتذكرة: ز «آخر هذا الشتاء».

(٧٦٧) الجملة تشير إلى قول ابن عوف الكاتب فى إطباق الغمام (نهاية الأرب ١/ ٨١):

فـى مـــــزنـة أطـبـــــقـت فـكـادت تـصـــافـح الـتـــرب بـالـغـــمـــام

ولعل العمدة فى ذلك قول امرئ القيس: (ديوانه/ ١٤٤).

ديـمـــة هطلاء فـــيـهـــا وطف طـبـق الأرض تـحـــــــرّى وتـدرّ

(٧٦٨) بالأصل وبالنسخ المساعدة: «وحل صيبه إلا أنه ما جاد» واخترت العبارة التى بين الحاصرتين، من (التذكرة).

(٧٦٩) حوران: موضع بالشام. وعالج: موضع بالبادية بها رمل. وفى حديث الدعاء: وما تحويه عوالج الرمال. هى جمع عالج وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه فى بعض. هكذا فى اللسان (علج).

(٧٧٠) الزيادة عن (أ، م) وأثبتناها لأن العبارة تسير مع تأكيد الفعل «بقد» فى نهاية الجملتين الآتيتين.

(٧٧١) أى أنهم أتوا من أماكن نائية ومن كل جهة. وقيصر: لقب ملوك الروم. وكسرى لقب ملوك الفرس.

(٧٧٢) اقتباس قول الرسول - ﷺ -: «... وعظم الأجر على قدر المصيبة». وفى حديث آخر: «إنما عظم الجزاء مع عظم البلاء» انظرهما فى (المستطرف ٢/ ٧٧).

(٧٧٣) العبارة غير منسوبة فى (الغيث ٢/ ٩) وهى من الأمثال التى تذكر بقول الشاعر:

تـهـون علينا فى الـمـعـالى نـفـوسنا ومن يـخـطـب الـحـسـنـاء لم يغلها المهر

(٧٧٤) العبارة بالتذكرة: «فكتب الجواب إليه عن ذلك، وقابلت درره ودراريه، بدون هذه الدارنك، يقبل الأرض معنى....».

(٧٧٥)تضمين المثل العربي المشهور: «بلغ السيل الزبى» ويضرب لمن جاوز الحد: والزبى: جمع زبية وهى حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده، لا يعلوها الماء، فإذا بلغها السيل كان مجحفاً. (مجمع الأمثال ١/ ٩٦، ونهاية الأرب ٣/ ١٩، والمستطرف ١/ ٣٤).

(٧٧٦) الزيادة، من التذكرة، وباقى النسخ مع بعض الاختلاف. هذا والعبارة مأخوذة من قول المتنبى:

أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

(٧٧٧) اقتباس قوله تعالى: «أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها» الآيات/ ٢٧: ٢٩ من سورة النازعات.

(٧٧٨) الزيادة عن (جميع النسخ والتذكرة) والرواية بالأخيرة: «... ألا هكذا فليكن من أنشى» بالحذف.

(٧٧٩) اقتباس قوله تعالى «فغشاها ما غشى»/ ٥٤ من سورة النجم.

(٧٨٠) بالأصل «فسحاته» والتصويب من النسخ والتذكرة.

(٧٨١) إسباله. من أسبل الرجل إزاره، أرخاه (لسان/ سبل).

(٧٨٢) بالتذكرة: «ولو أنصفه».

(٧٨٣) ورد هذا البيت والبيتان بعده فى (الكشف والتنبيه/ ٨٤) برواية: «مدى الأبد» فى البيت الأول. وهو تحريف - مع صحته - لأن الجناس منظور إليه بين (مدى - الأمد). والقصيدة برمتها وردت (بالتذكرة).

(٧٨٤) البيت ساقط من الأصل، (ب). والزيادة من التذكرة وباقى النسخ.

(٧٨٥) ورد هذا البيت والبيتان بعده فى (الكشف والتنبيه/ ٨٤) برواية: «وقفت مدى الزمان».

(٧٨٦) البيت تضمين. وفيه إشارة إلى أربعة من الصحابة رواة الحديث. منهم يزيد، وهو اسم لعدد كثير من الرواة منهم: يزيد بن ثابت الأنصارى، ومنهم يزيد بن ثابت بن الضحاك. راجع: (الإصابة ١/ ٣٣٧: ٤٣٩، ٣٥٧، ٣٥٨ - ٣٦٣...).

(٧٨٧) عجز بيت النابغة (ديوانه/ ٣٠) وتمامه:

يادار مية بالعلياء فالسند أقوت، وطال عليها سالف الأبد

(٧٨٨) عجز بيت للنابغة من القصيدة السابقة، وتمامه:

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليه الذى أخنى على لبد

ولبد: قيل إنه نسر كان للنعمان بن عماد عمر طويلا.

(٧٨٩) عجز بيت للنابغة من القصيدة السابقة. وتمامه:

وقفت فيها أصيلا لا أسائلها عيت جوابا، وما بالربع من أحد

(٧٩٠) الشطر الثانى عجز بيت للنابغة مخاطبا النعمان، برواية «فلم أعرض»، وصدره: «هذا الثناء فإن تسمع به حسنا».

(٧٩١) فى هذا البيت والذى بعده تضمين من بيتين لأسامة بن منقذ فى قلع ضرسه، (ديوانه/ ١٥٣). وهما:

وصاحب لا تمل الدهر صحبته … يشقى لنفعى، ويسعى سعد مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدا … لناظرى افترقنا فرقة الأبد.

هذا ورواية الأصل والتذكرة: «تسعى لنفعى». وفى (أ): فلا تقل إن هذا رحمة نزلت، يسعى».

(٧٩٢) أى لم نكن عصاة، ولم نستكبر على الخضوع للأمر مثلما فعل قوم نوح معه. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى على لسان نوح - عليه السلام - «قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا، فلم يزدهم دعائى إلا فرارا/ ٥، ٦ (نوح). هذا ولعله يشير فى الشطر الأول إلى قول ابن لؤلؤ الذهبى، لما توالت الأمطار (ريحانة الألباب ٢/ ٩٠):

إن ألسام الغيث شهرا هكذا … جاء بالطوفان والبحر المحيط
ماهم من قوم نوح باسما … أقلعى عنهم فهم من قوم لوط.

(٧٩٣) الوكف: لعله من قولهم: وكف البيت بالمطر إذا تقاطر - والوكف: الميل والجور - وهو المناسب هنا. والراووق: المصفاة. والباطية: إناء عظيمة من الزجاج.

(٧٩٤) بالأصل: «أن جلد الأفق» تحريف. تصويبه من (أ، ب، م، والتذكرة).

(٧٩٥) بالتذكرة: «عم الهلك ساحتنا».

(٧٩٦) مراكش: أعظم مدينة بالمغرب (ياقوت ٨/ ٧ ط / السعادة بمصر - الأولى). وأبو الحسن المرينى: هو على المنصور بن عثمان بن يعقوب ولى السلطة ٧٣١ هـ وتوفى سنة ٧٥٢. وكان عالى الهمة قوى الشكيمة قضى معظم مدته فى حروب ومعارك. وقد أخذ تلمسان سنة ٧٣٧ هـ وقتل صاحبها عبد الرحمن بن موسى العبد الوادى. ترجمته بـ (مقدمة نثر الجمان/ ٣٠، ٣١). هذا، ومرين: عرب من ظواهر فاس فرسان شجعان يقاتلون بغير جنة (الدرة ٥/ ٢٥٦).

(٧٩٧) وردت الرسالة فى (التذكرة المجلد الأخير/ ٥٩).

(٧٩٨) وبالتذكرة: (لقد جل... وهل لخايل».

(٧٩٩) بالتذكرة: يقبل الباسطة الشريفة».

(٨٠٠) تضمين حكم فقهى يشير إليه قول القاضى عبد الوهاب المغربى (كنز الدرر ٦/ ٦٠١) والمراد البيت الثانى:

زرع ورداً ناظرا ناظرى … فى وجنة كالقمر الطالع
فكم منعتم شفتى قطعه … (والحكم أن الزرع للزارع)

والجملة بعدها فى (التذكرة): «وعادت وقد أبقت» هذا، والبدرة بكسر الباء. ولعلها «البدرة» بالفتح أى أن الثراء والخير لمن بكر.

(٨٠١) تلمسان: بالمغرب، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر (ياقوت/ المجلد الثانى ج ٥/ ٤٤ ط - بيروت ٢/ ٤٠٨، ٤٠٩ من الطبعة المصرية (وقد فتحها أبو الحسن سنة ٧٣٧ هـ وقتل صاحبها، كما سبق.

(٨٠٢) ورد الجواب (بالتذكرة).

(٨٠٣) بالتذكرة: «ورود المرسوم الذى».

(٨٠٤) قاسيون: الجبل المشرف على مدينة دمشق. والمقطم: الجبل المشرف على القرافة مقبرة فسطاط مصر والقاهرة، وهو جبل يمتد من أسوان وبلاد الحبشة على شاطئ النيل الشرقي حتى يكون منقطع طرف القاهرة. كما يقول (ياقوت ٨/ ١٢٦).

(٨٠٥) يشير إلى قوله تعالى على لسان أبناء يعقوب: «قالوا: يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلها ونحفظ أخانا» من الآية/ ٦٥ من سورة يوسف.

(٨٠٦) صدر بيت لأبي وجزة السعدي (دلائل الإعجاز/ ٤٤٢ من الطبعة الأولى، وتاريخ بغداد: ٥/ ٣٨٧ ط بيروت) وتمامه:

أتاك المجد من هنا وهنا وكنت له كمجتمع السيول.

(٨٠٧) البيت لأبي العلاء المعري (سقط الزند/ ٢٤٤): من قصيدته التي مطلعها:

طربن لضوء البارق المتعالي ببغداد وهنا، ما لهن ومالي

هنا: ههنا. وثم: وهنالك. صوالي: من صلى النار: تحمل حرها.

(٨٠٨) تضمين قول البحتري (ديوانه/ ١٥):

جاد حتى أفنى السؤال، فلما باد منا السؤال جاد ابتداء

(٨٠٩) يقتبس قوله تعالى على لسان الجن «وأنا منا الصالحون، ومنا دون ذلك، كنا طرائق قددا» الآية/ ١١ من سورة الجن. و«طرائق قددا»: أي سلكنا طرقا مختلفة.

(٨١٠) مهيار الديلمي: هو، أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي، الديلمي، الشاعر المشهور، المتوفى سنة ٤٢٨ هـ ترجمته (وفيات ٤/ ٤٤١ - ٤٤٤).

(٨١١) الجناب: من ألقاب أرباب السيوف والأقلام. «وهو أعلى ما يكتب للقضاة والعلماء من الألقاب...» انظر (صبح الأعشى ٥/ ٤٩٥).

(٨١٢) المقر - بفتح الميم والقاف - من الألقاب الخاصة بكبار الأمراء، وأعيان الوزراء، وكتاب السر ومن يجرى مجراهم. «قال في (عرف التعريف): (يقال فيه: المقر الشريف، والمقر الشريف العالي، والمقر الكريم العالي، والمقر العالي مجردا». انظر (صبح الأعشى ٥/ ٥٩٤، ٥٩٥).

(٨١٣) «في قوس... منزع» يشير إلى قول أبي تمام.. ولعله مأخوذ منه - (ديوانه ٢/ ٣٣٢):

أظلتك آمالي وفي البطش قوة وفي السهم تسديد، وفي القوس منزع

(٨١٤) الموصلي: أحمد بن حسن: شاعر ووشاح، انظر (توشيع التوشيح ١٩٢)، و(المنهل ١/ ٢٥٢ : ٢٦٣).

(٨١٥) جمال الدين: هو: يوسف ابن سليمان بن أبي الحسن بن إبراهيم النابلسي الخطيب الشاعر المتوفى سنة ٧٧٥ هـ ترجمته (الدرر ٥/ ٢٢٩ - ٢٣١).

(٨١٦) اقتباس قوله تعالى على لسان مريم حين جاءها المخاض: «قالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا» من الآية/ ٢٣ من سورة مريم.

(٨١٧) الأقفال – على حد تعبير ابن سناء الملك فى (دار الطراز ٢٥، ٢٦) – «هى أجزاء مؤلفة يلزم أن يكون كل قفل منها متفقا مع بقيتها فى وزنها وقوافيها وعدد أجزائها». أما الغصون، أو الأبيات فهى: «أجزاء مؤلفة مفردة أو مركبة يلزم فى كل بيت منها أن يكون متفقا مع بقية أبيات الموشح، فى وزنها وعدد أجزائها، لا فى قوافيها...».

(٨١٨) الجمل السابقة يقتبس الكاتب الآيات من ١ – ٤ من سورة الشمس، وهى «والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها».

(٨١٩) الكلام المحصور بين القوسين (   ) من قوله: «ليستر تقصيره» إلى هنا، مطموس فى الأصل، فاعتمدت على النسخة (ب) فى نسخه وترضيحه. ثم قوبلت بالنسخ الباقية.

(٨٢٠) عجز بيت للمتنبى (ديوانه ٢/ ١٤٤) وتمامه:

فلو كنت امـــرأ تهـــجى هجـــونا   ولكن ضـــاق فـــتـــر عن مـــســـيـــر

(٨٢١) الأمير سيف الدين طقز تمر الناصرى كان من مماليك المؤيد صاحب حماه، ثم قدمه الناصر وأمّره، تنقل فى نيابة السلطة من مصر، إلى حماه، وحلب ثم إلى دمشق. مات بمصر سنة ٧٤٦ هـ ترجمته (الدرر ٢/ ٣٢٦).

(٨٢٢) «تنيس» فى (ز) تحريفا. وبلبيس. وتقول العامة: «بلبيس» كما يقول نصر الاسكندرى – مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. فتحت فى سنة ١٨ هـ أو سنة ١٩ هـ على يد عمرو بن العاص (ياقوت ٢/ ٢٦٢).

(٨٢٣) لعله مأخوذ من قول ابن الخياط (بديوانه / ١٧٩).

إذا مـــا افـــتـــر برقك فى ســـمـــانى   تـجـلـى الـظـلـم عـنـى والـظـلام

(٨٢٤) يقتبس – أولا – قوله تعالى: «ويطوف عليهم ولدان مخلدون، إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا» الآية / ١٩ من سورة الدهر. – ويقتبس – ثانيا – قوله – عز وجل – فى شأن من أوتى كتابه بيمينه: «... وينقلب إلى أهله مسرورا» الآية / ٩ من سورة الانشقاق.

(٨٢٥) يقتبس المثل العربى (العود أحمد) يقال أول من قاله: خداش بن حابس التميمى حينما عاد لخطبة رباب – فتاة من بنى ذهل – وقال: (العود أحمد والمرء يرشد، والورد يحمد). ويقال أول من قاله مالك بن نويره، وأخذه الناس منه كما يقول ابن قتيبه: (الشعر والشعراء ١/ ١٩٤):

جـزينا بنى شـيـبـان أمس بقـرضـهم   وعـدنا بمـثـل البـدء، والعـود أحـمـد

وراجع (مجمع الأمثال ١/ ٤٩٥، ٤٩٦) أيضا.

(٨٢٦) يقتبس قوله تعالى مخاطبا، موسى – عليه السلام –: «إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله، فرجعناك إلى أمك كى تقر عينها ولا تحزن». من الآية ـ٤٠ من سورة طه). أو يقتبس قوله عز وجل: «فرددناه إلى أمه كى تقر عينها ولا تحزن، ولتعلم أن وعد الله حق...» الآية / ١٣ من (القصص).

(٨٢٧) تضمين قول ابن رشيق متغزلا (ديوانه / ٦١):

قل للذى يعـــجب من حـــسنه   اقـــرأ عليـــه ســـورة مـــحـــمـــد

(٨٢٨) إشارة إلى قول ابن زيدون (نهاية الأرب ٧/ ٣٠٢):–

للشفيع الثناء، والحمد في صو ب الحيا للرياح لا للغيوم

(٨٢٩) الضبع: العضد، والجمع أضباع.
(٨٣٠) العبارة إشارة إلى ما ورد في كلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من قوله: «وقد بلغني أن قائلا يقول: «لو مات عمر بايعت فلانا، فلا يغترن امرؤ منكم أن يقول: كانت بيعة أبي بكر فلتة، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر». وفي رواية يونس بن يزيد الزهري «قال عمر: فلا يغترن امرؤ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت، فإنها مذ كانت كذلك، إلا أن الله وقى شرها» انظر (تمام المتون / ١٧٨ - ١٨١).
(٨٣١) من الآية / ٩٩ من سورة يوسف.
(٨٣٢) لعله نظر إلى قول سعيد بن حميد:

نظرت فقادتني إلى الحتف نظرة إليك بمكنون الضمير تشير

(٨٣٣) قصة الإفك مشهورة. والقول في تفصيلها في (نهاية الأرب ١٦ / ٤٠٥ وما بعدها). وفي (تمام المتون / ١٦٥ - ١٧٤) والكلمة التي ذكر بها نوبة الإفك هي قوله: «من عند الله... لا بمنة مخلوق» وهي اقتباس قول عائشة بعد أن نزل الوحي. قال الرسول - ﷺ - وهو يضحك: يا عائشة احمدي الله تعالى فإنه قد برأك، تقول عائشة: «فقالت أمي تومي إلى رسول الله: قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل». راجع (صحيح البخاري المجلد الثاني ٦/ ١٣١ ط دار الشعب) هذا وفي المثل وهو من كلام عائشة في هذه المناسبة: «بحمد الله لا بحمدك» يضرب لمن يمن بما لا أثر له فيه (الميداني ١/ ١٠١).
(٨٣٤) زيادة من عندي.
(٨٣٥) انظر الحاشية/ ٢ من ص/ ٢٦٧ من هذا الكتاب جـ١.
(٨٣٦) إشارة إلى ما جاء في باب مناقب عمر في (صحيح البخاري ٢/ ١٩٥) من أمر النسوة اللائي كن عند رسول الله - ﷺ - فلما استأذن عمر على رسول الله - ﷺ - قمن فبادرن الحجاب...» فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله... ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني، ولا تهبن رسول الله - ﷺ - فقلن: أنت أفظ وأغلظ...» إلخ.
(٨٣٧) البيت غير معزو في: (تأهيل الغريب / ٤١٠).
(٨٣٨) في الجملتين اقتباس قوله تعالى: «وتأكلون التراث أكلا لما، وتحبون المال حبا جما» الآيتان / ١٩، ٢٠ من سورة الفجر.
(٨٣٩) حلوان: عدة مواضع، منها حلوان: قرية من أعمال مصر... ومنها حلوان العراق: وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. وأما نخلتا حلوان: فأول من ذكرهما في شعره مطيع بن إياس الليثي. قال متشوقا إلى جاريته:

أسعداني يا نخلتي حلوان وابكيا لي من ريب هذا الزمان

عن (ياقوت ٣/ ٣٢٢ - ٣٢٧). أما سلمى: فهي عدة مواضع أيضا. منها سلمى: موضع بنجد. وسلمى: أطم بالطائف. وسلمى: أحد جبلي طيىء، وهما أجأ وسلمى.. إلخ. (ياقوت ٥/ ١٠٩، ١١٠). وقد أشار البحتري (ديوانه ٣/ ١٩٥٨). إلى المكان بقوله:

أمحلتيْ سلمى بكاظمة اسلما وتعلما أن الجوى ماهجتما

(٨٤٠) القرى: مجرى الماء في الروض. وقيل: مجرى الماء في الحوض (لسان: قرأ) هذا، وقوله بعد ذلك: «وجاءت جياده، وغبار...» يشير إلى قول الوزير الكاتب ابن محمد بن القاسم (قلائد العقيان/ ١٣٢):

أنى تضاهيه فرسان الكلام ومن غباره في هواديهن ما نفضوا

(٨٤١) لعل قائله أخذه من قول المتنبي (ديوانه ٣/ ١٠٤):

فلما رأوه وحده قبل جيشه دروْا أن كل العالمين فضول

(٨٤٢) يشير إلى قصة إبراهيم الخليل - عليه السلام - ويقتبس قوله تعالى: «قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم» ٦٩ (الأنبياء).

(٨٤٣) في العبارة إشارة إلى قول أبي تمام:

هي السحر الحلال لمجتنيه ولم أر قبلها سحرا حلالا

(٨٤٤) الإبريز: الحلي الصافي من الذهب، وذهب إبريز خالص. هذا، والإبليز: «الطين الذي يخلفه نهر النيل على وجه الأرض بعد ذهابه» (الوسيط: بلز).

(٨٤٥) اقتباس من الآية/ ١١ من سورة الرعد.

(٨٤٦) البيت للمتنبي (بديوانه ٣/ ١٣٨) من قصيدته التي مطلعها:

ذي المعالي فليعلُوَنْ من تعالى هكذا هكذا وإلا فلالا

(٨٤٧) ثنيات الوداع: مكان قرب المدينة. وفي هذه العبارة تضمين ما استقبل به الرسول (ﷺ) عندما قدم إلى المدينة مهاجراً. ومنه: (المستطرف ٢/ ١٧٨):

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

(٨٤٨) البيت للمتنبي (بديوانه ١/١٧٨) من قصيدته التي مطلعها:

أغالب فيك الشوق، والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر، والوصل أعجب

هذا، والمانوية نسبة إلى ماني بن فاتك الثنوي. كان راهبا بنجران، قالا بنبوة المسيح، وزعم ماني وأصحابه أن صانع العالم اثنان: فاعل الخير، وهو النور. وفاعل الشر، وهو الظلمة، وهما قديمان. والنور مرتفع في ناحية الشمال، والظلمة منحطة في ناحية الجنوب. وردّ عليهم في قولهم: إن النور يفعل الخير، والظلمة تفعل الشّر بأنه لوهرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير وقع من شر. وما ها هنا أخذه المتنبي فقال: «وكم لظلام الليل... إلخ». عن (سرح العيون/ ٢٨٦ - ٢٨٨).

(٨٤٩) بالأصل: «والسلوك» وفي (أ): «وبعد المملوك» وقد اقتضى اختياري لهذه الزيادة، زيادة الفاء في الكلمة بعدها.

(٨٥٠) البيت للمعري (سقط الزند/ ٩٨) برواية: «وأثبناه من قصيدته التي مطلعها:

عللاني فإن بيض الأماني فنيت، والظلام ليس بفان

هذا، والشريف المشار إليه، هو: أبو إبراهيم موسى بن إسحق، وقد أجابه المعرى عن قصيدته التى مطلعها:

غير مستحسن وصال الغوانى بعد ستين حجة وثمان

(٨٥١) بالأصل: «نشتكى» واخترت ما فى جميع النسخ الباقية لصحة الوزن.

(٨٥٢) بالشطر الأول فى (ب) قوله: «وألعب للألباب». ونهاية البيت فى (أ، م): «لحسو طلاها» وهو ما أثبته، إذ ما بالأصل، (ب) وهو: «لطلاها» خارج عن موسيقى البيت. هذا والبيت برمته ساقط من (ز).

(٨٥٣) الوسمى: مطر الربيع الأول، وهو بعد الخريف، لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثرا فى أول السنة. (لسان: وسم). هذا، وقوله: «دوله محيوية» أى منسوبة إلى والده القاضى محيى الدين كاتب السر الشريف.

(٨٥٤) تضمين المثل العربى: «اعط القوس باريها» أى استعن على عملك بأهل المعرفة والحذق فيه.

(٨٥٥) مأخوذ من قول أبى العلاء المعرى مخاطباً ممدوحه (سقط الزند/ ٦٩).

والفتهم فى اختلاف من زمانكم والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر

والوهن: قريب من منتصف الليل.

(٨٥٦) العبارة مأخوذة من قول الطغرائى فى لامية العجم (الغيث ١/ ٥١، الكشكول للعاملى ٢/ ١٩٦) وهو:

مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل

ورأد الضحى. أى وقته. الطفل: وقت بزوغ الشمس إلى المغيب.

(٨٥٧) يقتبس قوله تعالى: «وللآخرة خير لك من الأولى» الآية / ٤ من سورة الضحى.

(٨٥٨) الجملة مأخوذة من قول الشاعر:

أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

(٨٥٩) لعل هذه الجملة مأخوذة من قول الشاعر أبى صخر الهذلى (نهاية الأرب / ٤: ٣٣٥):

وإنى لتعرونى لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

(٨٦٠) ورد البيتان فى (أعيان جـ١).

(٨٦١) فى (أعيان): «فكتب هو إلى...» ثم ذكر البيتين.

(٨٦٢) وردت البيتان فى (أعيان، والنجوم ١٠/ ٢٣٥) ورواية العبارة فى الأول: «وأنشدنى... ونحن على العاصى بحماه» والعاصى: اسم نهر حماه وحمص. مخرجه من بحيرة قدس، ومصبه فى البحر قرب أنطاكية. (ياقوت ٦/ ٩٦).

(٨٦٣) (أعيان): «زانت محاسن شطيه» هكذا.

(٨٦٤) فى (أعيان والنجوم): «تبكى نواعيرها.. بعد لقياها».

(٨٦٥) ورد البيتان فى: أ(عيان، والنجوم) ورواية البيت الثانى فى الأخير: «فيرقص». وفى (مجموعة الدر/ ١٠٤) والرواية فى الأول: «وناعورة فى جانب البحر...» والبيت الثانى برواية: «... نغنى له طول النهار...». وفى (بهجة الناظر / ٢٦٦) والرواية فى الأول:

«وناعورة حنت، وأنت، وقد بدت تعبر عن حال المشوق وتعرب».

(٨٦٦) ورد البيتان فى (أعيان)، والرواية فى الأول: «إنى نقيم...».

(٨٦٧) فى (أعيان): «فأنشدته أنا لنفسى أيضا» ثم ذكر البيتين. هذا، وقد ورد البيتان أيضا، بدون عزو فى (مجموعة الدر/ ٧٣٩) ورواية الأول: ناعورة حنت وأنت... الدانى مع القاصى». والثانى: «قد نبهت للهدى... لا أنها تبكى...». ووردا فى (رحلة الشتاء / ١١٦) بدون عزو أيضا برواية:

«ناعورة فى النهر أبصرتها تشوق الدانى والقاصى
قد نبهتنى للتقى والهدى لأنها تبكى على العاصى»

(٨٦٨) الزيادة عن (أعيان) لسلامة الوزن. هذا، ورواية الأصل والنسخ معا: «الدانى والقاصى».

(٨٦٩) العاصى: تورية.

(٨٧٠) بالأصل: «من شمشين». بالتصحيف. وشمسان - كما جاء فى (ياقوت ٥/ ١١٣): «مويتهان فى جوف عريض... وقيل: شمسان: من حصون صداء من أعمال صنعاء باليمن». هذا، وحمص: مدينة عظيمة بالشام.

(٨٧١) سقط البيتان من الأصل. والزيادة عن النسخ الأخرى، و(أعيان).

(٨٧٢) ورد البيتان فى (أعيان).

(٨٧٣) الرستن: يبدو أنه مكان قريب من حمص.

(٨٧٤) الزيادة من (أ، م، وأعيان العصر) والرواية فى الأخيرة: «أتقاضاه إنجاز ما وعد به». هذا وقد وردت الأبيات الثلاثة هذه، والأبيات الثلاثة التى تجيب عنها فى (التذكرة - المجلد الأخير - الورقة/ ٢٤، وأعيان العصر).

(٨٧٥) بالأصل، و(م) وأعيان، والتذكرة: «عاناه» واخترت رواية (ب) لسلامة الوزن. هذا ورواية أول البيت بالتذكرة: «وكلما».

(أحمد بن يوسف بن هلال)

(*) نال عناية كثير من المترجمين. واختلفت فى تحديد سنة وفاته، فبينما أجدها عند الصفدى فى (أعيان العصر جـ١، والوافى ٨/ ٢٩٥) سنة ٧١٧ هـ إذ بى أجدها عند صاحب (الدرر ١/ ٣٦٢) وصاحب (النجوم الزاهرة ٩/ ٣١٧) سنة ٧٣٨ هـ. على حين أن صاحب معجم المؤلفين يقول: «كان حيا سنة ٧٤٢ هـ. له الوجيز المنتقى، والعزيز الملتقى».

(٨٧٦) الزمك: إدخال الشىء بعضه فى بعض (لسان: رمك) هذا. وقد ورد فى (أ) ستة أبيات بزيادة (الأول، والثانى، والسادس) وفيها بياض فى الشطر الثانى من البيت الأول، والشطر الثانى من البيت السادس. وورد فى (أعيان ما ورد فى الأصل، وباقى النسخ وهو ثلاثة أبيات (٣: ٥). وورد فى (الوافى ٨/ ٢٩٦) ومعجم الأطباء (أربعة أبيات (٣: ٦).

(٨٧٧) ورد البيتان فى: (الوافى، وأعيان العصر، ومعجم الأطباء).

(٨٧٨) فى (ب): «من الآداب».

(٨٧٩) البيتان فى (أعيان) أيضا.

(٨٨٠) فى (أ): و(نسخة باريس): «ولكنها هذى».

(إسماعيل بن محمد)

(*) نال عناية كثير من المترجمين كالصفدى فى الوافى ٩/ ٢١٧، ٢١٨) وابن حجر فى (الدرر ١/ ٤٠٤) وحددا وفاته سنة ٧٣٦ هـ، وكابن العماد الحنبلى فى (شذرات ٦/ ١١٣) وصاحب (البداية والنهاية ١٤/ ١٧٦) وغيرهم.

(٨٨١) هذه الأبيات الثلاثة، والقصيدة التى تجيب عليها وردت فى (أعيان جـ١) مع ترجمة عماد الدين بن القيسرانى.

(٨٨٢) فى الأصل: «يجل» بالجيم المفتوحة بعد ياء مضمومة. وكذا فى (أ، ب، وأعيان). واخترت عبارة (ز، م) على أن الرواية فى (ز): «تحل» بالمثناة الفوقية.

(٨٨٣) «يروم» فى أعيان) . والشطر الأول مأخوذ من قول الشاعر (شذرات ٦/ ٢٧):

وقد كنت عبدا للكتابة أبتغي فرقت على رقى فصرت مكاتبا

(٨٨٤) الصعدة: القناة المستوية، نبتت كذلك، لا تحتاج إلى تثقيف.

(الطنبغا)

(*) فى الوافى (٩/ ٣٦٦ - ٣٦٩)، و(أعيان ٢/ ٢٥٥) - وقد ورد فيهما كل ما جاء هنا تحت هذه الترجمة - قوله: «الطنبغا الأمير علاء الدين» بحذف كلمة «الأجل». هذا والطنبغا قد ترجم له فى (الدرر ١/ ٤٣٥)، وفى: (فوات الوفيات ١/ ١٣٧)، و(تتمة المختصر)- (تاريخ ابن الوردى - ٢/ ٤٧٧)، و(النجوم ١٠/ ١٠٥) وفيها أنه توفى سنة ٧٤٤ هـ. وفيه يقول ابن تغرى بردى: «وهو أحد فحول الشعراء من الأتراك، لا أعلم أحدا من أبناء جنسه فى رتبته فى نظم القريض، اللهم إلا إن كان أيدمر....».

(٨٨٥) البيتان وردا فى (الوافى، وأعيان العصر، والدرر ١/ ٤٣٦، وفوات الوفيات ١/ ١٣٩) ورواية البيت الأول فيها: «انهمل مدامعها.... وعدهما قرب» ووردا أيضا فى (درة الأسلاك ٢/ ٤١١) برواية: أجرت مدامعها درا وفى فمها» . هذا، ورواية البيت الأول فى (ب): «انهمل دمعها» والوزن يرفضه.

(٨٨٦) ورد البيتان فى (أعيان العصر).

(٨٨٧) البيتان فى (الوافى ٩/ ٣٦٨).

(٨٨٨) العبارة فى (أعيان): «وكتبت أنا إليه من صفد وهو بدمشق أتشوق إليه فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة».

(٨٨٩)اقتباس من قوله تعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر..» الآية / ٢٣ من سورة الأحزاب.

(٨٩٠) الزيادة من (أ، م) وبعدها بياض.

(حرف الباء)

أبو بكر(*) بنُ محمدِ بنِ محمودِ بنِ سلمانَ بنِ فهدٍ، القاضى البليغُ الرئيس شرفُ الدين؛ كاتبُ السرِّ الشريف بالقاهرة وبالشام، ابنُ القاضى شمس الدين كاتبِ السر الشريف بالشام المحروس، ابن العلامةِ الشيخ شهاب الدين كاتب السر الشريف بالشام المحروس.

كتب هو إلىَّ من الشام المحروس، وأنا بالديار المصرية المحروسة، يطلب منى الحضور إلى الشام ليجهزنى إلى الرَّحْبَة مُوقِّعاً(١):

(من الكامل)

يا فاضلاً فَخَرَ الورى بخلالَه ... وعَلاَ على أُفُقِ العُلا بجَلاَلِهِ
شَرِّفْ دمشقَ إن ارتَضَيتَ بزَوْرَةٍ ... واشفِ الجوى من كُلِّ قلبٍ والِهِ
فقُلوبنا من شَوْقِها جَمَراتُها ... لم يُطْفِهاَ بالدمعِ فَيْضُ سِجالِهِ
فلَقَدْ مَلأْتَ ديار مصرَ فَضائلا ... كم فاضَ منْهاَ النَّيلُ عند نوالِهِ
فاجعلْ لَنَا من تبرِ فضْلكَ فَضْلَةً ... يَغْنى بهاَ المضرورُ عند سُؤالِهِ
(إن الكريمَ هوَ الجوادُ على الذى ... قد راحَ يَسألُ مالهُ فى مالِهِ).

فكتبت أنا الجواب إليه:

(من الكامل)

قُم فى الدُّجى حتى الصَّباحِ وَوَالِهِ ... بدُعاً بقَومُ ببعضِ حقِّ نَوالِهِ
وأمِلْ بما تُمليه أعطافَ الوَرَى ... واحمَدْ أبا بكرٍ على إفضَالِهِ

واسجعْ فإنكَ ما برحتَ مُطوقًا ... إمّا بِضافى جاهه أوْ ماله
مولىً غفلتَ، ونمتَ عن نيلِ المنى ... فأبى قَصيّرها شواغلَ باله
واستاقها غرًا إليكَ، وأنتَ لمْ ... تحتجْ إلى تحريكه بسؤاله(٢)
والبرُّ أفضلُ ما أتى عفوًا ولمْ ... تقبض يدُ الراجى حبالَ مناله
هذا هو الفضلُ الذى فضحَ الحيا ... وسمَا بجداوه على هُطّاله
تلهُو بنوا الآمال عن مطلوبها ... علمًا بأنَّ لهمْ كريمَ خِلاله
كرمٌ يفيضُ على العفاة سحابُهُ ... ويَسُحُّ وابلُهُ على استرساله
لله سعيُك فى المعالى إنّهُ ... (جعلَ الثُريا فى عِدادِ نِعاله)(٣)
وغدا يجُرُّ على المجرّة ساحبًا ... يومَ الفخار، الفضلَ من أذياله
وسعى فأدركَ غايةً منْ أمِّها ... فسامتْ دراريها مقامَ ذباله
ما عاق نائلَه عن العافى مدى ... وعْد، ولا شان العطا بمطاله
يا آل محمودٍ ليهْنِئَ مجدَكمْ ... شرفٌ أنافَ على الورَى بجلاله
أقسمتُ ما لِشَبَا السيوفِ إذا مضتْ ... فى يوم معركة جِلادُ جداله
كلا، ولم نر(٤) قطُّ بحرًا مدَّ منْ ... أمواهه ما بثّ من أمواله
خطٌّ أظنُّ الروضَ خوّدَ عندَما ... شُقّتْ كمامُ الزّهر تحت مثاله
وتلفظٌ إنْ قلتُ: سحرٌ، لمْ يسغْ ... ـنى أنْ يكون حرامُ ذا كحلاله
وخلائقٌ كالرّوضِ أهدى نشْره ... مرَّ النسيم على ذوائبِ ضاله
وسيامةٌ طاش العدوُّ لها، وقدْ ... سكنَ الولىُّ، وقرَّ من زلْزاله
فالله يحرُسُ للزمان بقاءهُ ... ويمتّعُ الدنيا بفضل كماله.

وكتب هو إلى ونحن على الأهرام، صحبة الركاب الشريف، ملغزًا فى القرط(٥):

(من مجزوء الرجز)

ما اسمٌ ثلاثىٌ تُرَى ... حلتُهُ مفوّفهْ(٦)
اعمدْ إلى تركيبه ... فيه، وصحِّفْ أحرفَهْ
تجدْ جنًى يَبطىءُ فى الـ ... عود به منْ قطفَهْ
واعكسهُ إنْ تركتَهُ ... من بعد أنْ تحرِّفَهْ
ترى به ذا طرَفٍ(٧) ... بين الورى مختلفهْ
أبِنْهُ يا منْ فضلُهُ ... يعجزُ منْ قدْ وصفَهْ.

فكتبت أنا الجواب(٨) إليه عن ذلك

(مجزوء الرجز)

يا سيّدًا قد زانَه … ربُّ العُلا وشرّفَهْ
وقدّرَ الصوابَ في … أقلامِه المحرّفَه
وأوضحَ الفضلَ لمنْ … يطلبُهُ وعرّفَهْ
أبدعتَ لُغْزًا حسنًا … صفاتُهُ مُستَطْرَفَهْ(٩)
مُثلَّثُ الحروف، كمْ … رَبْعٍ ربٍّ مَعْرَفَه
خُضْرَتُهُ يانعةٌ … بهيّةٌ(١٠) مُشرّفَهْ
كم زان أرضًا أقفرتْ … ووَجْنَةً مُزخرَفَهْ
فالثلثُ منهُ سورةٌ … آياتُها مُشرّفَهْ(١١)
بلْ جبلٌ(١٢) أحاطَ بالـ … أرض وذاك مَعْرِفَه
وانظر لثلثيْه تجدْ … كلاهما في طرفِه(١٣)
بقيتَ ما جرَّ النسـ … ـيمُ في الرياض مُطْرَفَه
في ظلِّ سعْدٍ ترتقي … من النعيم غُرَفَه.

وكتب هو إليّ أيضًا مُلْغِزًا في حلفا (١٤)

(من السريع)

يا ماجدًا نجْهَدُ في وَصْفِه … وفضلُهُ من بعد ذا أوفى
ما اسمٌ إذا ما رمتَ إيضاحَهُ … عزّ، وعنْ فكرك لا يخفى
وهوَ رباعيٌّ وفي لفظِه … تَراهُ حقًا ناقصًا حرفَا
صحّفْهُ واحذفْ ربعه تُلْفِه … مدينةً كم قد حوتْ لُطفَا(١٥)
وهذه البلدةُ تَصْحيفُهَا … خلقٌ يفوتُ الحدَّ والوصفا
وإنْ تُصحِّفْ بعضَها فهْيَ ما … زالتْ تُرى في أُذْنٍ شنفا(١٦)
وذلكَ الاسمُ على حالِه … حرفُهُ يرجع للصبي حلفا(١٧)
لم يُرذا حرْبٍ، وكم شبَّ من … نارٍ لغير الروعِ ما تطفا(١٨)
وإنْ تشا صحّفْهُ وانظرْ تجدْ … خلقًا سويًا قطُّ ما أغفى
إبنْهُ يا منْ لم يزلْ فكرُهُ … يرفعُ عن بكر النهى سجْفا(١٩)
لا زلتَ تُبْدي للورى كِلَمًا … يستوقفُ الأسماعَ والطرْفا.

فكتبت أنا (٢٠) الجواب عن ذلك:

(من السريع)

يا سـيـداً ألسُنُ أقـلامـه كم صرفتْ عند عـبـده صرّفا
ومُحسنًا مـازال طيبُ الثنا عليـه حـتي زيّنَ الصّحْفـا
ألغـزت شـيـئا لم يلنْ مَسُّهُ فـراحَ إن صحّفتَهُ جلفـا
ومفـردٌ، إن ألفٌ عـوّضتْ أولاهُ يرجعْ بعـد ذا ألفـا
ونصـفـه حلّ وإنْ تحذف الـ أوّل مـن أحـرفه لفا
وليس بالبـدرِ علىَ أنـه بالليل كم قـد نَزَل الطرفَـا
أمـامنا فى برّ مـصـرٍ وإنْ مـصحّفتْ يُصبح بعـد ذا خَلَفَا
إن زاحم الشـاعـر يُذْكرْ به كُنّا جـمًا فِي الحـال والرفّا(٢١)
لازلتَ ترقَى فى العُلا صـاعـداً مـا نظمَ الشـاعرُ أو قفّا
فى ظل عـيشٍ قـد صفَا وِرْدُه وراح بالإقـبـال قـد حفّا.

وكتب هو إلى مُلْغِزاً (٢٢) فى الهواء

(من المتقارب)

أيا مَاجـداً مـا وهَى فَضْلُه ونجمُ مكارمـه مـا هَوى
أبِنْ أيمـا اسم خـفى مَنْظراً وخفّ ويُلْفَى «شديد(٢٣) القـوى»
ولا وَزْنَ فـيـه، وفى وزْنه إذا أنتَ حققْتَ عمْداً سـوى.

فكتبت أنا الجواب عن ذلك:ـ

(من المتقارب)

أيـا مـنْ تُقَصّرُ أمـداحُنـا وأوصـافنا فـيـه عمّا حوَى
كـأنّك الغزْتَ لـى فـى الذى غـدا وله النَّشْرُ فـيـما انطوَى
إذا مـرّ فى الروض خـرّتْ له غـصـونُ الأراكِ، وبانَ اللوَى
يمدُّ ويـقـصرُ فـى لَفْظِه فللجـوّ هذا وذا للجـوَى.

وكتبت أنا إليه من (٢٤) صفد المحروسة فى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائه، وقد بعث(٢٥) إلى نقدة ذهب:ـ

(من البسيط)

يا نسـمـة لأحـاديث الحـمى نقلتْ أملتْ قُضْبَ اللوى من بعدما اعتدلتْ(٢٦)
خطرتْ مـا بينهـا فـاعـتادها طربٌ فـرنّحتْ عطفـهـا بالسكرِ وانفتَلتْ
فـإن تكنْ فـهمتْ مـعنىً ظفـرتُ به فعذرُها واضحٌ فى كل مـا فعلتْ

قد كان للمسكِ أنفاسٌ تضوعُ شذًا ... فمذْ أتيت بأخبار الحمى خملتْ
بالله كيف أحباىَ الذين نأت ... بىَ المنازلُ عن أقمارِهمْ وخلتْ؟!
قد كنت أبديتُ أعذارًا لقلبىَ فى الـ ... بقاء من بعدهمْ، بالله هل قُبلتْ؟!
وهل عفا الله عنهم حال عهدهمُ ... فمهجتى ما انثنت عنهم ولا انتقلتْ؟!
آها من البعد آها إن لِى كبدًا ... تضرّمت بلظى الأشواقِ واشتعلت
وأدمعًا إن جرى ذكرُ الوصال جرتْ ... شئونها، فتختالُ السحب قد هطلتْ
ومهجة سُلبت(٢٧) لو كان ينفعها ... بأىِّ ذنبٍ على التحقيق قد قُتلتْ
وعزمة عاقها حظٌّ به ابتليتُ ... لولاهُ كانتْ على المطلوب قد حصلتْ
أشكو الليالى ومالى فى الورى حكمٌ ... يكفُّ عنّى عواديها التى اتّصلتْ
يا دهرُ هل نهضتْ منك الجبالُ بما ... نهضْتُ فيكَ من البلوى، أو احتملتْ؟!
يا دهرُ إن عادت الأيامُ تجمعُنا ... عرفت ما عرفت منّى وما جهلتْ
وإن ظفرتُ بلثم التُّرْب بين يدىْ ... من أرتجى زالتِ البأساءُ وارتحلتْ
ذاك الذى إن علت زهرُ الكواكب فى ... محلّها تلقها عن تُربه نزلتْ
ذاك الذى لا أرى إلا سجيّته ... على الهُدى والتُّقى والبرِّ قد جُبلتْ
ذاك الذى خُلقتْ للجود راحتُه ... فغالت الغيث إذ تهمى وما احتفلتْ(٢٨)
أقولُ إذْ عمّنى بالتبر نائلُه ... هذا إلى السحب إن جادتْ وإن بخلتْ
مكارمٌ فهمتْ ما أشتكى، فهمتْ ... وهمّةٌ فعلتْ ما لم يُطقْ، فعلتْ
كم نلت خمسَ مئينٍ بعد خمس مئٍ ... كذا أُعدّدُها يومًا وما انفصلت(٢٩)
ماذا ترى فى أيادٍ ما أقابلها ... بالشكر إلا أراها، وهْىَ قد فضلت؟!
لولا علا شرفِ الدين الذى بهرتْ ... كانت شموس الندى والفضل قد أفلت(٣٠)
أقلامُه الحمرُ فى صونِ الممالك لوْ ... تكون سطوتُها للبيض ما نكلتْ
تهتزّ فى كفّه من فوق مهرقة(٣١) ... لأنها من معانى لفظه ثملتْ
وكان فيما مضى للسحر ترجمة ... حتى تكلم أضحت وهْىَ قد بطلت
عبارةٌ هى أندى من نسيم صبًا ... مرّت على زهرات الروض وانطلقتْ
وأسطرٌ إن أقُلْ مثل العقود فما ... أرى العقودَ إلى تلك العُلا وصلتْ(٣٢)
واوحشتا لمحيّاهُ الذى نقصتْ ... لحسنه طلعةُ الأقمار إذْ كملتْ
فلستُ أحسد إلا من يكونُ له ... عينٌ بمرآه، دونى فى الورى، كحلتْ
هل لليالى تُرينى نورَ طلعته ... فربما غلطت، أو ربّما عدلتْ؟!
يا آل محمود لا ثُلّتْ عروشُكمُ ... ولا ذوتْ زهرةٌ منكم ولا خملت(٣٣)
ولم(٣٤) تزل منكمُ الأعناقُ حالية ... فإنها إن خلتْ من فضلكم عطلتْ.

فكتب هو إلى الجوابَ (٣٥) عن ذلك:

(من البسيط)

يا فاضلاً منه أقمارُ العلا كملَتْ   وعنه آثارُ أربابِ النُّهى اتصلَتْ
ومن محاسنهُ للناس قد بهرت   ومن مكارمهُ كلَّ الورى شملَتْ
لله ذُ قوافٍ قد بعثْتَ بها   طالت، وعنها نجومُ الأفقِ قدْ نزلَتْ
لقد أطاعتك أنواعُ البلاغة فيما   قد أشرْت من التَّرتيب وامتثلَتْ
وما أظنك إلا قد بعثْتَ لنا   خميلةً، عندها زُهْرُ الدُّجى خملتْ
فالله يشكر إحساناً حبوتَ به   فمن أياديك أنواءُ الحيا خجلَتْ
ما إن وعت أذُنٌ معنى بلاغتها   إلا وأمسَت بها الأعطافُ قد ثملَتْ
فالزَّهرُ قد أُطلعت، والدُّر قد نُظمتْ   والزَّهر قد فُتِّحت، والسِّحر عنك تملَتْ
شوقى إليك صلاح الدين ما علمَتْ   بشرحه ألسن الأقلام بل جهلتْ
وهل يحسُّ جمادٌ بالذى فعلَتْ   بىَ النوى، وعليه أضلُعى اشتَلَتْ؟!
وما أظنُّ النوى أمسَتْ تزيدُ على   هذا، وقد فعلَت فينا الذى فعلَت؟!
كأنَّنى بك قد أقبلْتَ منتصرا   يوما على فئةٍ بالحق قد خذلتْ
وقد تراجع فيك الدَّهرُ وانقطعتْ   عصابةُ الجور عمّا فيك، وانخزلت(٣٦)
فاصبر فما الصبرُ إلا شيمةٌ كرمتْ   وما التجلدُ إلاّ رُتبَةٌ نبلتْ
والله يبقيك فى خيرٍ وفى دعةٍ   ما حرّك الغصنُ أعطافًا قد انفتلَتْ.

وكتبت إليه(٣٧):

(من البسيط)

وفَى لها الحسنُ طوعًا بالذى اقترحتْ   فلو رأتها بدورُ التَّمِّ لافتضحتْ
كأنها البدرُ فى ليل الذوائب قد   تقلدت بالنجوم الزُّهر واتشحتْ
مسحت على سقم أجفانها، وكذا   أعطافُها، وهىَ سكرى بالشباب صحتْ
تفرى حشاىَ وتفنيها لواحظُها   ما ضرَّ تلك الصِّفاح البيض لوْ صفحتْ
مهاةُ حُسنٍ أداريها إذا نفرتْ   عنّى، وأعطفُها بالعتب إن جمحت(٣٨)
قد حارَ فى وصفِ أغزالى العذولُ بها   وقال: كيف حلت فى عادةٍ ملحتْ؟!
بذلتُ فى وصلها روحى فقدْ خسرتْ   تجارة الحب فى روحى وما ربحتْ
زارتْ لتمنحنى من وصلها مننًا   أهلاً بها، وبما منَّتْ، وما منحت
أقسمتُ ما سجعتْ وُرْقُ الحمائم فى   روضٍ على مثل عطفيها، ولا صدحتْ
أوْ كلّما اعتدلت بالميل قامتُها   رأيتَها فوق حسنِ الغصنِ قد رجحتْ
وما اكتسى خدُّها من لؤلؤٍ عرقا   لكنها وردةٌ بالطلِّ قد رشحتْ

ولى أمانىُّ نفسٍ طالما كَذَبَتْ … فيها، ولو جنحت نحو الوفا نَجَحَتْ

وربَّ ليلٍ خفيفِ الغيْمِ أنجُمُه … أزاهر قد طفَتْ فى لُجَّةٍ طفحتْ

يتلو الهلالُ الثريا فى مطالعها … كأنّه شفةٌ للكأس قد فُتِحَتْ

وللنسيم رسالاتٌ مردّدةٌ … وجمرة(٣٩) البرق فى فَمِ الدّجى قدحتْ

والزّهرُ قد أُوقِدَت منه مجامرُه … فكلما لَفَحَتْ ريحُ الصَّبا نفحت

يحكى بذاك الشذَا الفيّاح طيبَ ثنا … على علا شرف الدين التى مُدحت(٤٠)

سهل الخلائق، لا والله ما اغتبقتْ … بمثلها عُصبةٌ سَكْرَى، ولا اصطبحتْ

مُسَدَّدَ الرأى لم تَقْصُرْ إصابتُه … عن الهدى إن دَنَت قُصْواه أو نزحتْ

رقَى إلى غايةٍ ما نالها أحدٌ … ولا سَمَت نحوها عينٌ ولا طَمَحَتْ

بهمّةٍ لجميع الناسِ عاليةٍ … ونيّة لمليك العصر قد نَصَحَتْ

يُدبِّرُ الملكَ من مصر إلى حلبٍ … بعزم كافٍ به الأيامُ قد فرحتْ

يستعملُ الحزمَ فى كل الأمور فكم … قد جَدّ لما رأى بيضَ الظُّبى مزحتْ

خصّتْهُ عاطفةُ السلطان، فهْوَ بها … يأسُو جوانحَ دهرٍ طالما جُرِحتْ

حتى لقد نَسَخَتْ آياتُ سؤدده … آيات من قد مضى من قبله، ومحت

يَهْدِى عِداه، وليس البدرُ يُفكر مع … مَطْله فى كلاب الأرض إن نَبَحَتْ(٤١)

أضحت على الجود تُبْنى؛ راحتاه وما … زالت كذاك، وما انفكت، وما برحتْ

كانت معانى الهدى والجود قد خفيتْ … عنّا، ومن مجده الوضّاح قد شُرِحتْ

وكان للجود أخبارٌ فمُذْ رُوِيتْ … أنباؤه، نُسيتْ هاتيك واطرحتْ

لولا الولوعُ بأن نلقى له شبهاً … لما رنَتْ مُقْلةٌ للشمس إذ وَضَحَتْ

دعْنى من الوزراء الذاهبين فما … رأت لواحظُهُمْ هذا ولا لمحتْ

هذا الذى إن تكن آراؤهم فسدتْ … فإنها منْهُ بالتأييد قد صلَحَتْ

لازال يرقَى ويلقى السعدَ مقتبلاً … ما انهلت السحبُ بالأنواء وانسفحتْ

وما تألق برقٌ ليس يشبهه … إلا دماءُ أعاديه التى ذُبحتْ

فكتب هو الجواب إلىّ عن ذلك(٤٢):

(من البسيط)

حمائمُ الأيكِ فى الأفنان قد صدَحَتْ … أم نسمةُ الزهرِ فى الإصباح قد نَفَحَتْ؟

أم روضةٌ دبجتْها كفُّ ذى أدب … غضٌّ لغيرِ صلاحِ الدين ما صلَحَتْ؟!

يا فاضلاً فاق فى الآفاق كلَّ سنى … بنور طلعته الغرّاء مُذْ لُمِحتْ

أوحشْتنا، شهد الله العظيمُ، فكم … جوارحٍ بسيوف السقم قد جُرِحتْ

فلا رعى اللهُ أياماً، حوادثُها … على تفرّقنا قهراً، قد اصطلحَتْ

أهلا بغادتك(٤٣) الحسناء إنّ لها … محاسناً فى بدور التم قد قدحتْ

أقسمتُ ما ظفرت يوما بمثبهها فريحةً من أخى نظم ولا فرحتْ
خريدةً ولدتها فكرةٌ قذفتْ بالدُر من لُجّةٍ بالفضل قد طفحتْ
فلا برحت تُرينا كلّ آونةٍ قصيدةً، لو رأتها الشمسُ لا فتضحتْ(٤٤)

وكتبت إليه - من الديار المصرية المحروسة، وقد توجه منها إلى الشام، المحروس، فى شعبان سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبعمائة:

(من مجزوء الكامل)

الصبرُ بعدك ما وفى والنومُ أسرف فى الجفا
والجسم ذاب فلو أرا د عن المنيّة لاختفى
والدمع سل خدّى عنه فلقد جرى ما قد كفى
والعيش، لا وصفاء ودْ دى، بعد بعدك ما صفا
أفما اشتفى منّى الحسو دُ؟ بلى أقولُ: قد اشتفى
يا نازحا خان الزما نُ مناى فيه، وما وفى
ومودّعا أصبحتُ إذ فارقته متخلّفا
أنا لا أقول: فقدته بل نورُ عينىَ انطفا
إن كان(٤٥) عبدُك لمْ يمُتْ فعلى المنيّة أشرفا
لم ينس ذكرك ساعةً لا، والنبىّ المصطفى
كم حسرةٍ قد أغمدتْ لك فى حشاه مرهفا
ومذلّة أخنى الزما نُ بها علىّ وأسرفا
تُقضى جفونى إن وجد ت كرًى، على وخز السَّفا
وأروح ما بين الأسا ود والأسود مصرّفا
والله ما أفنى الدجى إلا أسى وتأسُّفا
وتندُّما، وتألمُّا، وتضرُّما، وتلهُّفا
يا سيّدًا قد جرّ من فوق المجرّة مُطرفا
وغدا يراع يمينه يوم المهم مثقّفا
وطُروسه مما ترتضى بالروض فيها أحرفا
ونثاره ونظامه حلى البيان وشنّفا
لو شاء صكّ قفا امرئ الـ قيس الذى نادى قفا(٤٦)
ونواله من قاسه بحيا الحيا ما أنصفا
كن حيث كنت؛ فلا أرى لى عن جنابك مصرفا
من أين ألقى مثل جبرك(٤٧) كيف شئت مصحّفا
أو مثل جودك لم يزل لى مُسعدًا أو مُسعفا

فـإذا قـسـا (٤٨) زمـنـى عـلـى / جلدى الضّعـيـف تـعـطفا
وأعـاد لى زمن الصـبى / بعـد المـشـيب وأخلفا
هيـهـات لم يصلح سـوا / ك بـمـثل ذا أن يوصفا
فـمـتى يرى يعـقـوب حز / نى من جـمـالك يوسفا.

يُقبّل الأرض، لا قطع الله لها عن الأولياء برًا، ولا أمطر الإعدام سوى سُحب جودِها، فكم در غيثُها دراً وتبرا، ولا رفع فى السماء بارقةً غير نارِ قراها، فكم رفعت ذوائبها فى ألويةَ أوليةً حمرا، ولا نظم فى سك طريقها غيرَ جواهر التّقبيل، فكم أدار اللثم عليها دُرا، ولا نفض من العيون الرّمد إلا ترابهاَ، فإنها تبرُ بذلك وتبرا ولا برّد الأحشاءَ الظاميّة إلا بلثم أعتابها، فقد أضحى ثناؤها مُستَقرى، على المعالى، مُستَقلاً مُستَقرا، ولا أخلى حماها من العُفاة، فإن النجاح غدا بها مُستَملاً مُستمرًا (٤٩) ولا أنزل بجناب جنابها غيرَ الشرف، فإنها ما فارقته مذ عرفته. (وهلم(٥٠) جرا)

(من البسيط)

هِىَ الشّفـاءُ لدائى لو ظفِرْتُ بهـا / ولَيْسَ مِنْهَا شـفـاءُ الداءِ مبْذولُ(٥١)

لأنها أحقُ فى الوصف بقول الأَول:

(من الطويل)

وَربْعُ الـذى أهْوَاهُ يرْوِى تُرابُهُ الـ / عطاشَ، ويشْفى تربُهُ الأعينَ الرُمدا (٥٢)

وما أظن القائل على غيرها فى قوله:

(من الوافر)

تُرابـهـمْ وحـقّ أبـى تُرابِ(٥٣) / أعـزُ علىّ مِن عينى اليمـونِ)

ولا أعتقد أن الآخر أراد سواها فى قوله:

(من الكامل)

(وحـمى يُداسُ ترابُهُ بنعـالهمْ / مِنّى بـأحـداقِ الـجفُونِ يُبَاسُ

ويُنْهى ما يجده المملوكُ من الأشواق التى يَستَعرُ بها القلبُ جمْرًا، ولم يَستَعْر لها على ذاكَ صبْرًا، فهو يتأسّى ويتأسّف، ويتلهّبُ ويتلهف، ويتحرّى فيتحرّق، ويتسلّى بالأمانى،

وعليها يتسلّق، ويتملّى بها، ولها يتملق، فآها على تلك الليالى الماضية، والمدةَ التى كنتُ بقرب مولانا «فى عيشة راضية» (٥٤).

(من الطويل)

ذكرتُ بهــا وَصْلاً كــأنْ لم أفُزْ به ... وعيشًا كأنّى كُنْتُ أقطعُهُ وثبَا(٥٥)

فكتب هو الجواب إلى عن ذلك:

(من مجزوءِ الكامل)

أنت الخليلُ أبو الصّفا ... والحفظ شأنُكَ والوفا
والفضل كان مُنكَرا ... وبما صنعتَ تعرّفا
وأثرتَ هذا الفن فينا ... بعدما كان انطفا
فالطرسُ فى يُمناك كمْ ... حبّرتَهُ فتزخرفا
واللفظُ منك إذا وعا ... ه السمعُ عادَ مُشنّفا
أفأنت تَنْظِم أم تديرُ ... على المسامع قرْقفَا(٥٦) ؟!
دُمْ يا صلاحَ الدين فى ... نعم الإله مشرّفا
وأدِم هداياك التى ... تُهدى إلى المُضنَى الشفا
فمشرفاتُك قد حكَت ... وُرْقَ الحمام الهتّفا
من قال: إنك كاتبٌ ... أو شاعرٌ ما أنصفا
ما أنتَ إلا واحدٌ ... فى فنّه لنْ يُخلَفَا
حق البدور إذا بدَتْ ... لك فى السَّما أن تُكْسفا
والبرقُ إنْ جاراك أو ... باراكَ أنْ يتوقّفا
فالله يجمعُ شمْلَنا ... بك فى سرُورٍ قد صفَا
قد آنَ للدهرِ الذى ... قد خان أن يتعطفا

يقَبّلُ كذا لأزالت تَدبّج المَهارِق، وتَهدى فى طِرسها ونَفَسها ما يُذَرُّ كافورُه وعنبرُه فى المفارق، وتبعث من المعانى النيِّرة ما يُخْجل بدورَ المغارب وشموسَ المشارق. وينهى، بعد دعاء أخلص فى رفعه سراً وجهراً، وثناء يستعير الروضُ منه زَهْرًا، و والأفقُ زُهْرًا - ورودَ المشرّفِ الكريم، بل العقد النظيم، بل الأُفقِ الذى كلُّ حرف منه بدرٌ يجلو الليل البهيم؛ فوقف له وعليه، وقبل سطوره (التى(٥٧) وصلت إليه) وهو يخالها أناملَ مولانا التى فى يديه.. وانْتَهَى إلى ما ذَكَرَه من الشّوق الذى أملاه عن خاطر المملوك وقلبه، ووصفه فتعجّب كيف

اطلَعَ مولانا على ضمير المملوك الذى فى جنبه. فزاد نارَ المملوك لهباً، وجدّد حزناً وحَرَباً. وبالله الاستعانة على هذا النوى، والحادثة التى هدّت القوى.

(من الكامل)

فلَرُبَّمَا نُثِـرَ الـجُمَانُ تَعَمُّدًا ... لِيكون أحْسنَ فى النِّظَامِ وأجْمَلا[٥٨]

والله يرينا ذلك الوجه الذى يعلو نورُه فَرقَ الفرقد، ويُقرِّب مزارَ مولانا بلطفه الخفى (وكأن[٥٩] قد)

وكتبت أنا إليه أيضا:-

(من المتقارب)

ألا هل أتى طيفكم أو سَرَى ... فمن بعدكمْ ما عرفت الكَرَى[٦٠]؟

وأىُّ منام لمن دَمْعُه ... بنوءِ الثُّريّا يبلُّ الثَّرى؟!

وأىُّ قرارٍ لعين غدتْ ... ومَحْجَرُها بالبُكى استبحرى؟!

أحبّتنا هل بعثْتُمْ لنا ... سلاماً فإنَّ الدُّجى أقمرا؟!

وما تَبَعُد الآن أنّ الأصيلَ ... يضُوعُ النَّسيمُ به عنبرَا

لأن تحيَّاتكمْ تحتوى ... على مثل ذا اللُّطف، أو أكثرا

بعدتمُ عن العين فاستوحشتْ ... وقد حكم اللهُ أنْ تسهرا

وأقسم ما القلبُ فى يقظةٍ ... ولو كان يقظانَ لاستَشْعرا

وفارقنى راغما واغتدى ... على بابكمْ يستبيحُ القِرَى

ولكن إلى الآن فى لذّة الـز(م) ... ـان الذى قد مضى مُفْكرا

ولو كان يدرى قضى نحبه ... عليكم، ولكنه ما درى

حُرمتُ الرضى منكمُ إن رأتْ ... لكمْ مقلتى مُشْبهاً، أو ترَى

ولا سُرَّ قلبى إن حالَ عنْ ... ودادكمُ قطّ أو غيّرَا

ولا فرّج الله بلواىَ أنْ ... رضيتُ لقلبىَ أنْ يصْبرا

وإن قلتُ: لا ذنب لى فى النوى ... كذبتُ، وقد جئتُ مُسْتَغْفرَا

ولكن أتانى الرّدى بغتةً ... فداويتُ من مرضى الأخطرا

لأنى بإحسانكمْ واثقٌ ... وقلتُ: المُهمُّ الذى قد طرا[٦١]

وخلتُ السلامةَ فى هذه ... فقد جاءنى عطبى منْ ورَا

وإن تطلبوا الحقَّ فى قصّتى ... فهذا الذى كان قد قدّرا

وما لامرىءٍ فى القضا حيلةٌ ... إذا كان فى فعْله مُجْبرًا

فياما جرى مدمعى بعدكمْ ... فقولوا: «عفا الله عما[٦٢]» جرى

فكتب هو الجواب عن ذلك:

(من المتقارب)

أرضٌ من الحزنِ قد أزهرا | وإلا فَأُفقُ وقد أقمرا؟!
أم الفاضلُ البارعُ الأوحد الذى | فاق منْ خط أوْ من قَرا؟!
أراد الغنى بعد فقرى له | فأهدى إلى فاقتى جوهرا
وشرفنى بالقريض الذى | به نفح الجوُ لى عنبرا
أمولاىَ بُعدُك هدّ القوى | وأثّر فى القلب ما أثّرا!
وغادر قلبىَ من صبره الـ | غنىّ به مفلسا مقترا
فوالله لم أنس عيشاً مضى | نضيراً بأنسكمُ أخضرا
وإنى لأذكرُ إحسانكمْ | وحقٌ لمثلىَ أنْ يذْكُرا
فلا تحسبوا أنّ قلبى سلا | فمن أين للصّبّ أن يصبرا؟!
ولابُدّ للدّهرِ أن يرعوى | ويفتُرُ من بعد ما افترى.

وأنشدنى يوما لنفسه ملغزاً فى ليل[٦٣]:ـ

(من الخفيف)

أيمّا اسمِ يَغْشَى الأنامَ جميعاً | وإذا (ما) [٦٤] فكّرتُ لى ثلثاه
إن تُزِلْ فى هجائه منه حرفاً | لك منه مُصَحّفا طرفاه.

فأنشدته[٦٥] لنفسى مُلْغِزاً فى فيل:ـ

(من الخفيف)

أيُما اسمِ تركيبُه منْ ثلاثٍ | وهوَ ذو أربعٍ تعالى الآلهُ
حيوانٍ والقلبُ منه نباتٌ | لم يكن عند جوعه يرْعاهُ[٦٦]
فيك تصحيفُه[٦٧] ولكن إذا ما | رمتَ عكساً يكونُ لى ثُلثاهُ[٦٨]

وأنشدنى يوما لنفسه[٦٩]:

(من الطويل)

بعثتُ رسولاً للحبيب لعلهُ | يُبرهنُ عن وَجْدى له ويُترجمُ
فلما رآه حار من فرط حُسْنِه | وما عادَ إلا وهْوَ فيه متيّمُ.

فأنشدته لنفسى[٧٠]:

(من الخفيف)

بــى غزالٌ لــمّا أطــعــتُ هواهُ		أخذَ القلبَ والتّصــبُّرَ غــصْبــا
مــا أفــاق العــذولُ من سكرةِ العــذْ		لِ عليــه حــتّى غــدا فــيــه صــبّا.

وكتبت إليه أهنئه بالقدوم من الحجاز الشريف(٧١) إلى القاهرة فى المحرّم ثلاثٍ وثلاثين وسبعمائة:

(من الوافر)

قــدمتَ من الحــجــاز معَ السّلامــة		بعــزم تعــرف العُليــا اهتــمــامــه
ووجــه تشــتــهى الأقــمــارُ لمّا		بدتْ فى الأفْق لو نالت تمــامــه
مُحــيّا إن يضلّ الركبُ ليــلا		كــفــاهمْ منك أن تُرخى لثــامــه
وأُقــسمُ لو تحــيّر فــيــه عــافٍ		تعرّف للمــؤمّل بالوســامــه
فــيــالك طائفًا بالبــيت يســعى		وقــد شكر الإلهُ لــه مــقَامَه
ويالك مُحْرِمًا عــرفــتــه تلكَ الــ		مشــاعــرُ قبل أن يضعَ العــمــامــه
وطــاف ولــم يــمسّ الــطّيــبَ لــكــن		ثناهُ يفضُّ عن مــسكٍ ختــامــه
ولمــا أن رأى الحجــرَ الّذى قــدْ		غــدا فى صــحن خدِّ البيت شامــه
تــلــقّاه بــوضّاح الــثّــنــايــا		يقــبّلهُ، ومــا أحلى التــثــامــه
ولمّا لامس الرُّكنَ اليــمــانــى		تمنّى أن يُديم له التــزامــه
وفى عــرفات(٧٢) كمْ قد فاحَ عَرْفٌ		لــه مــن عَرْفِ يُمــنــاه علاَمَه
ولمّا أن أفــاض النّاسُ فــاضت		يداه بمــا حكى الغيث انسْجَامــه(٧٣)
وكمْ أولى المنى بمنىً فــقــيــرًا		رأى بَرْقَ الــنّدى منْهُ وشَامَه
وجــاء يزور خــيــرَ الناس طُرًّا		ومن شــرُفتْ بمــبــعــثــه تهامــه
وملّى طرفــه لمّا مــلاهُ		بأنوار المُظّل بالغــمــامــة
وفــاز بقــرب من يُعــتــدُّ ذُخْرًا		ليــوم الروع فى هولِ القــيــامــه
وصلّى والمــعــالى من وراه		يسلم والرّسول غــدًا أمــامــه
فأثرى من بيــثــربَ من نداه		وشــرّع بالنّدى فــيــهــا خيــامــه
فكم من مــعــســرٍ أولاهُ يسرًا		ونوّلهُ من الجــدوى مــرامــه
مكارمُ من له فى الجــود عشْقٌ		فــلا سُعــدى هُنَاك ولا أمَامه(٧٤)
فــذا رأسُ المكارم والعطايا		فدعنى بعدُ من كعب بن مامه(٧٥)
فــمــا يدرى الندامــةَ حــين يسْخُو		يقــولُ لمن لحــاهُ على الندى: مَه
ولمّا أن قــضــى وطرًا وولّى		إلــينــا وجْهُهُ رُزقَ الــسّلامــه
أتى والدّهرُ يخــدُمُهُ بســعــدٍ		تبــرأ فــيــه من كــذبِ النّجــامــه

وملَكَةُ سيادةَ كلّ قومٍ … وقد ألقى الزمانُ له زمامه
أبا مَوْلى إذا ما خطَّ سطرًا … فما ابنُ هلالٍ إلاّ كالقلامه(٧٦)
وأنْ نظرَ العواقب في خُطوبٍ … قد اسودتْ فزرقاءُ اليمامه(٧٧)
وإن أملَى علينا الكُتْبَ نثرًا … فما سَجْعُ المُطوقِ والحَمامة(٧٨)
وإنْ ينظمْ فمَنْ أعطَى اللآلى … بجيد الغيد أن تَحْكى نظامَه
بألفاظ تلذّ لكل سمع … فما سامتْ عبارتَه سآمه
تخيّرك المليكُ لسرّ مصر … لأنك كُنتَ قد حليتَ شامَه
وزادك منه قُرْبًا واعتناءً … فأنت وليُّه ولك الكرامه
يُجرّدُ (٧٩) منك للأعداء رأيا … فلم تُحوجْهُ أن يبْرى سهامه
وقد أغنيتَه إن جاءَ خَطبٌ … برأيك أن يَسُلّ له حُسامه
متى أعملْتَ رأيك في مهمٍّ … فقد أخمدْتَ في عجلٍ ضرامَه
فأضحتْ مصرُ تُجلَى في ثياب الـ … ـجمال لأنها بك مُستهامه
متى سمع النّدامى عنك ذكرًا … فما يتلفتون إلى المدامه
ولا يتغزّلون بذكر سلْمى … ولا ظلّ الأراكة والبشامه(٨٠)
ومن أصغى لمدحٍ فيك يُتْلَى … فليس تشوقُه غزلانُ رامه(٨١)
وقد عطفَ الزمانُ على بنيه … فما أبقَى لذى فضل ظُلامه
وقد نفقتْ بضائعُ كلّ علم … ولذلها بمغناك الإقامه
فجُزْ مصرًا، وقل حمدًا لربٍّ … هدى ،وأحلنا دار المقامه(٨٢)،
وحقّ مكارمٍ أوليتنيها … ولا نُجّيتُ من درك القَسامه(٨٣)
لقد طابتْ بظلّك لى حياتى … وقبلك كنتُ أنفقُها غرامه
فلا زالتْ سعودك في صعودٍ … يصاحبُها علوٌّ واستقامة
ونلتَ مُناك ما زهرتْ نُجومٌ … وما انشقتْ عن الزهرِ الكمامه.

أبو بكر(*) بن محمد بن غانم، القاضى البليغ بهاء الدين بن القاضى شمس الدين بن غانم؛ كاتب السر الشريف بصفد وطرابلس المحروستين.

كتبتُ إليه وأنا ضعيف بصفد المحروسة سنة أربع وعشرين وسبعمائه:

(من البسيط)

يا سيّدا بأسه فينا ونائله … قد أصبحا غير مأمونٍ وممنون
هذا السّقامُ الذى ما كنتُ أوثره … إلاّ إذا ما غزا فى أعين العين(٨٤)
أو خصرِ هيفاءَ يبرينى تلفّتُها … أو نسمة خطرتْ من رمل يبرين(٨٥)
أمَا وقد عاث فى جسمى السّقامُ فلا … إذ كلّما قلتُ عافانى يعطينى.

يُقَبِّلُ الأرض، صرف الله الصُرُوفَ عن حماهاَ، وحفظ ساحتها من الغير وَحَمَاَهاَ، وجعل حرمها لأوليائها عوذةً من الأسواءِ، فإذا قَبَّلَتْهُ شفاه مرضاها شفاهاً شَفَاها.. وينهى، لا بل[٨٦] يشكو، حاله التى ليس له منها بدل، وآلامه[٨٧] التي كلّمتْ أعضاءه، ولم يطق جلّده قطع ذلك الجدل، وحمّاه التى يلدغه منه عقرب، وترميه قوس، فليت جسْمَه مع ذاك حما، واتصال رشح[٨٨] عرقها، الذى لا يُقَال معه سآوى من جميل الصبر إلى جبل. (فأين قولهم لقيتْ منها عرق القرية، ممن لقى منها غرق الكُربة) [٨٩] ؟!!

(من الوافر)

إذا مـــــــا فَارقَتْنى غَسّلَتْنى	كـأنا عـاكـفـان على حرَامِ
بذلتُ لهـا المطارفَ والحـشايا	فـعـافتْهَا وباتَتْ فى عظامى[٩٠]

ويَعْجَزُ المملوكُ عن وصف ما حصل لرأسه من الصُداع، ولجسمه من الصُدُوع، ولآماله المعلّقة من القطع، ولحظه من القطوع[٩١]. وما أظن مولانا ترك الزيارة إلا لعلمه أن المملوكَ بسط جسمه لنعله، وهو لا يَمْشِى على غير الصحيح، ولم يسمع نقلَ الرياح الهابة ما يُضمّنها من الثناء، لأنه لا يقنعُ من المودّة بالريح[٩٢]. والله المسئول، ببركةِ سلفه، ورُقى قلمه فى عاقبة العافية، وعودِ الصّحة التى عوّد لبْسَ بُرُودها لضافيهْ، وورود مناهلها الصافية.

فكتب هو إلى الجواب عن ذلك:

(من المتقارب)

وقـفتُ عـلـى دَوْحَةٍ أينـعتْ	رياضُ عُلاها بعـرْش[٩٣] العُلومِ
سـمـا لفظُهـا عن نسيم الصَبـا	وزَهـرِ الرياض وزَهرِ النجـومِ
وقـد بَشّرَتْنى بأنّ الشـفـا	بلطفِ الرَحـيم سـريعُ القـدومِ

يُقَبِّل كذا، متّع الله بفضائلها التى رقّتْ، وراقت لفظا ومعنًى، وببدائعها التى سرّت الأبصارَ والمسامع رَوْنَقا وحُسْنًا، حلَتْ حين تحلّتْ بدورِ الدرارى، وجلَتْ حين تجلّتْ فى حُلل فضلها السهلِ المُمْتَنعِ على السّامع والقارِى.فتتمتع بمحاسنها وتَمَلّى عند مُعاينَةَ خطها وخطابها: «والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى[٩٤]». وبشره بشرها بقدوم العافية، وسرّه حالُ فكرها الذى لا بدل لقديم خبرها المرفوعِ عن حافظ تلك المُقدّمة الكافية، فلو تتوجت الثُّريا

بأكاليل البَها، ورقّت على فَرَق الفرقد لكانت عند نظام دُرّها كالسهى، ولو حمل ميزانَ البراعة أسدُ(٩٥) البراعة لدُهِشَ من حسن صناعة صياغتها وسها. فيالَها من روضةٍ عذبة المجاني، ودوحةٍ جَنِي من غرسها ثمرُ الأماني، وحديقة سَرَحت العيونُ في لطف رونقها حين شَرَحت الصدر بحسن منطقها، وكان نتيجة هذه المقدمة تحصيلَ السرور والتهاني، ونُزهةً أبدتْ من شعرها حكمةً ومن بيانها سحراً قد اشتملا على أحسنِ الألفاظ والمعاني، والله يُوضّحُ بفضائله إلى المعالي سبيلا، ويجعل له حرزَ السلامة والعافية على الدوام خليلا.

وكتب هو إلى من طرابلس المحروسة، وأنا بدمشق المحروسة، وقد انقطعت عنه مكاتباتي:

(من السريع)

سبحانَ من غيّرَ أخلاقَ منْ		أحْسَنَ في حُسْنِ الوفا مذْهبَا(٩٦)

كان خليلاً فغدا بَعْدَذا		لما انقضى ما بيننا طُقُصُبا.

وكتب(٩٧) هذين البيتين في ذيل ثلاثة أوصال (٩٨) بيضٍ وختمها وجهزها إلى، ولم يكتب غيرها. وهذا طقصبا كان شاباً حسنا يجتمعُ به، وله عم أسودُ يدعى خليلا، وكنا نكرهُه، فعرض بذلك.

فكتبت أنا الجواب (٩٩)اليه عن ذلك

(من السريع)

يا باعثَ العتب إلى عبْده		ومـا كفاهُ العتْبُ أو نـدّبا

ومذكري عهداً لبسنا به(١٠٠)		ثوبَ سُرورٍ بالبها مُذْهبَا

مرّ فلَمْ يَحْلُ لنا بعده		عيشٌ ولم نلْقَ الهوَى طيّبا

مل كلُّ ذي وُدّ خليلٌ ولا		كلُّ مليحٍ في الورَى طُقُصُبَا

فحبّذا تلك الليالي التي		كم يسر اللهُ بها مطلبا(١٠١)

ما أحدٌ في مثلها طامعٌ		هيهات فاتتْ في المُنَى أشْعَبا(١٠٢).

(يُقبّلُ الأرض(١٠٣)، وينهى بعد دعاءٍ يرفعهُ في كلّ بكرةٍ وأصيل، وولاءٍ حصل منه على النعيم المقيم، ولا يقول وقع في العَريض الطويل(١٠٤)، وثناء إذا مرّ في الرياض النافحة صحَّ به أن نسيمَ السَحر عليل، وحفاظُ ودٍّ يتمنى كلُّ مَن جالسه لو كان(١٠٥) له مثل المملوك خليل.. ورُودُ(١٠٦) المثال الكريم، فقابل منه اليدَ البيضاءَ، بل الديمةَ الوطفاءَ (بل الكاعب

الحسناء(١٠٧) وتلقّى منه طُرّةَ صبح ليس للدجى عليها أذيال، وغُرّةَ نجمٍ ما كدّر صفاءها خيبة الآمال، فلو كان كلُّ واردٍ مثله لفضّل المشيبُ على الشباب، ونزَع المتصابى عن التّستُّر بالخضاب، ورُفض السوادُ ولو كان خالاً على الوَجْنه، وعدُّ المسك إذا ذُرّ على الكافور هُجْنَة، وأين سوادُ الدُجى «إذا سجى(١٠٨)» من بياض النهار إذا انهار؟!.. وأين وجَناتُ الكواعب النقيّة من الأصداغ المُسوَّدةِ بُدخان العذار؟!.. وأين نورُ الحقّ من ظلمة الباطل؟!.. وأين العقدُ الذى كلهُ دُررٌ من العقد الذى فيه السبجُ فواصل(١٠٩)؟؟! ياله من وارد تَنَزّه عن وطء الأقلام المُسْوّدة،وعلا (قدره) (١١٠) عن السطور التى لاتزالُ وجوهُها بالمداد مُرَبّدة. حتى جاء يتَلألأُ بياضاً(١١١) ويتّقد، وأتى يتهادى فى النور الذى تعتقدُ فيه المجوسيةُ ما تعتقد(١١٢) ولكن توهم المملوكُ أن تكون صحفُ الود أمست مثله عفَاء، وظن بأبيات العهود السالفة أن تكون مثل المراسلة(١١٣) من الرُقُوم خلاء.

(من الكامل)

(لو أنهـا يوم المعـاد صحَيـفتى ... مـا سَرّ قلبى كونُهـا بيضاءَ)(١١٤)

فلقد سوّدت حالَ المملوك ببياضها، وعدم من عدَم الفوائد البهانية ما كان يُغازله من صحيحات الجفون ومراضها(١١٥) (يا عجباً (١١٦) من مولانا كيف اتخذ هذا الصامتَ رسولاً بعد هذه الفترة؟! وكيف ركن إليه فى إبلاغ ما فى ضميره، ولم يُحمّله من دُرَر الكلام ذَرّه؟!.. وكيف أهدى عروس تحيّته ولم يُقلّدها من كلامه بشَذَرَة؟؟!)... وما أحقَّ تلك الأوصال الوافدة(١١٧) بلا إفاده، الجائدة بزيارتها التى خلَت من الجود بالسّلام، وإن لم تخل زَروتُها من الإجادة، (أن(١١٨) يُنْشدَها المملوك قول البحتريّ أبى عُبَاده(١١٩)

(من الكامل)

أخجلتـنى بـندى يـديكَ فسَوّدتْ ... مـا بيننا تلك اليـدُ البيـضاءُ

وقطعْتنى بالوَصْلِ حـتّى إنّنى ... مُتَخَوف ألا يـكونَ لقـاءُ)

وما نطق هذا الواردُ إلا بالعتاب مع ما ندر وندّب، و(لا (١٢٠) أبدى غير ما قرّره من الإهمال وقرّب.

(من الطويل)

(على كُلِّ حــــالٍ أمُّ عـــمــــرو جميلةٌ	وإن لبِستْ خِلقانهــــا(١٢١) أو جديـــدهـــا)

وبالجملة فقد مر ذكرُ المملوك في خاطر مولانا(١٢٢) الكريم، وطاف من حنُوِّه طائفٌ على المودة التي «أصبحت كالصريم» وإذا كان الشاعر قد قال:

(من مجزوء الكامل)

ويدُلُّ هـجـــــــــركمُ علـى	أنـيْ خطرتُ بـبـــــــالكمْ (١٢٣)

فكيف بمن دخل ذكره الضمير وخرج، وذُكر ثمَّ(١٢٤) على ما فيه من عوج. وما استخف بي من أمرني، ومن ذَكَرَني فما حقرني(١٢٥). والله تعالى يديمُ حياته التي (هي (١٢٦) الأمانُ والأماني، ويمتعُ بألفاظه الفريدة التي) هي أطربُ من المثالث والمثاني (بمنِّه(١٢٧) وكرمه إن شاء الله تعالى).

فكتب هو إلى الجواب عن ذلك(١٢٨):

(من السريع)

يا هـاجـــــــراً مـن لـم يزَلْ قـلـبُهْ	إلـيـــــه من دُون الـورى قـــد صبَا
أرسَلْتَ من بـعـــد الجـــفــا أسطُراً	أرقص منـهــــا الـســـمْعُ مــا أطربا
شـــفـتْ فُؤاداً شـــفَّـهُ وَجْدُهُ	من بـعـــد مـــا قَدْ كـــاد أن يذهـبــا
قــال لهـــا العـــبـدُ وقــد أقـبـلتْ:	(أهلا وســـهــلاً بك يا مَرْحبَا)(١٢٩)
أحلَّها قـلـبـاً صــــحــيـحَ الولاَ	مــا كـــان في صـحـبـتـهـا قلـبـا
ولا نـــســي عَهْدَ خـلـيـلٍ، لَهُ	قـــديمُ عـــهـــدٍ كــــان مَعْ طُفْصُبَا

قـبِّل مـواقعَ تلك الأنامل التي يحنُّ(١٣٠) إليها التقبيل، وقابل بالإقبال تلك الفضائلَ المخصوصة بالتفضيل، وقابلها بالثناء الذي إذا مرَّ بالمَندل الرَّطب، جرَّ عليه من كمائم كُمِّه(١٣١) فضل المنديل، وتأمَّلها بطرْفٍ ما خلا من تصوُّر محاسن صديقٍ، ولا أخلَّ بما يجبُ عليه من التلفّت إلى مودّة خليل. وشاهد منها(١٣٢) الرّوضةَ الغناء، بل الدّوحةَ الفيحاء، بل الطلعةَ الغراء؛ فوجدها قد تسربلت من المعاني البديهية(١٣٣) بأحسن سربال، وتحلّت من المعاني البديعة(١٣٤) بما هُوَ أحلى في عين المُحبِّ المهجور وقلْبه من طَيف الخيال. لكن

مولانا غاب عن مُحبِّه غيبة(١٣٥) ما كانت في الحساب، وهجره وهو من خاطره بالمَحَلّ الذى كان يظنُّ أنَّهُ إذا (١٣٦) ناداه بالأشواق أجاب. واتخذ بِدعةَ الإعراض عن القائم بفرض الولاء سُنَّه، واشتغل عمَّن له عينُ رضى عن نسيان ما مضى كليلة بدمنه(١٣٧) فخشى المملوكُ من تطاول المدَّه، وخامر قلبَه تقلباتُ الأيام، فخاف أن تبقى أسبابُ المقاطعة ووَثِقَ بما يَتَيَقَّنُ(١٣٨) من حسن الوفاء ويَعْتَقِد، فاقتضى حكمُ التّذكار لطفَ الاختصار تَوَصُّلا إلى تَفَقُّد التَّودُّد، ومن عادات السادات أن تتفقد(١٣٩)، بذكر أيامٍ خلت مسرة وهناء، وليال أحلى من سواد الشباب أولت(١٤٠) بوصال الأحباب اليدَ البيضاء.

(من الكامل)

لو أنّ ليْلاتِ الوصـال تعُدْنَ لى كـانتْ لهـا رُوحُ المُحبِّ فـداءَ

فيالها من مليحة أَقبلت بعد إعراضها، ولطيفةٍ رمقتْ بإيماءِ جفْنِ مُواصلَتِها وإيماضها، وبديعةٍ أستخرجَ غوّاصُ معانيها من بحارمعاليها(١٤١) كلُّ دُرَّه، وصنيعةٍ أبدى نظّامُ لآليها من غرر أياديها أجملَ غُرَّه، ورفيعة جدّدت السرورَ، وشرَحت الصدور، وفَعَلتْ بما فَعَلت إكليلَ المجره، ومتطولةٍ رغِبَتْ المُقصِّرَ فيما يَخْتَصِرُ وحببتْ، ومُتَفَضِّلَةٍ قضت بحق تفضيلها على ما سبق، وإن كانت أوجبتْ.

(من الطويل)

مـوَدَّتُهـا فى مُهْجـتى لا يُزِيلُهـا بعـادٌ ولا يُبْلى الزَّمـانُ جـديدَها(١٤٢)

والله تعالى يَشْكُرُ ما حواه من فضل هذه المعالى(١٤٣)، ويمتّع بفضائه التى تُغْنى أغانيها فى معانيها(١٤٤) عن المثالث والمثانى، بمنه وكرمه. إن شاء الله تعالى.

وأخبرنى يوما أنه زا قبر طُقُصبا المذكور، فوجد قبره قد نبت به أنواعٌ من الزهر، وطلب منى نظم شىءٍ فى ذلك فأنشدته(١٤٥).

(من الطويل)

بنفسى حبيبا قَبْرُه راحَ روضـة خمائلُها مسروقةٌ من مخائله(١٤٦)
درى أنـه لا صبْرَ للنـاسِ بَعْدَه فـأهْدَى لهم أنفـاسَه فى شمـائلِهِ

وأنشدته أيضاً(١٤٧):

(من البسيط)

لا تنكروا زهرًا من حول تربته ... أضحى نسيمُ الصبّا من نشره عطِرا
هذى محاسنُ ذاك غيّرها ... بطنُ الثرى فاستحالت فوقه زهرا

وأنشدنه أيضاً (١٤٨)

(من البسيط)

أفدى حبيباً غدا فى لترب مضجعُه ... وفيه لذّ لجفنى الدمعُ والسّهرُ
تحكى نجومَ السما أزهارُ تربته ... لأن طلعته تحت الثرى قمر

(فأنشدنى هو لنفسه فى ذلك)(١٤٩)

أبو بكر(*) بن عثمان؛ الشيخُ زين الدين الصوفي عرف بابن العجمي. كتب إلي:

(من الكامل)

مالى على جورِ الهُموم نصيرُ ... إلا طلاً يَنفَى (١٥٠) بها يغفُورْ
مُشمُولةٌ فى كل يوم ينقضى ... لأخى الهوى موتٌ بها ونشورْ
طابتْ شذاً قَبِرُها، بالسُكر فى ... رأس الفتى قبل المذاقِ، يسيرُ
أذكى المزاجَ لهيبُها فعجبتُ من ... ماءٍ به فى الكأس شبٌ سعيرُ(١٥١)
لو لم يُجد نسجُ الحبابِ شباكَها ... كانتْ لفرطِ اللُطفِ ثمّ تطيرُ
قد لقبوها بالعجوز ذوو الحجا(١٥٢) ... لما علاها بالمزاجِ قتيرُ
مُذهبتْ عن وجدى وتُهت بسَكرَتى ... أضحى بها الساقى علىّ يدُورْ
وافى بها فرأيتُ شمسًا فى يدَىْ ... قمرٍ، يقلُ جمالهُ خيزورُ(١٥٣)
يختالُ كالغُصنِ النّضيرِ، وماله ... فى حُسْنِه فى العالمين، نظيرُ
إن فلّ منه الخدُّ سهلا فالجنى ... منه، على مر الزّمان، عسيرُ
ألفَ النفارَ فلامَ فيه عاذلى ... فأجبتُه إنّ الغزالَ نفورْ
عجبًا لغصن قوامه، كلُّ الورى ... بالعدل قدْ وصَفوه، وهْوَ يجُورْ
وكذاكَ نصرةِ طرْفِه ونشاطه ... واليه تُعزى كسرةٌ وفتورْ
حُصرتْ معانى الحُسْنِ فيه كماغدت ... ذاتُ الصلاحِ بها السنا محصُورْ
العالمُ الحبرُ الكريم الأريَحىُ ... الألمعىُ البارعُ النّحريرُ(١٥٤) - م -
مَولى يرى ما قدْ حواه جميعه ... للسائلين بأنه محقُورْ
وكذاكَ خطْبُ الدّهرِ يصغُر عندهُ ... ويراهُ سهْلَ الدّفع وهْوَ خطيرُ
ما إن يرىَ فى دَهْره مُتظلّمٌ ... أبداً، ولا بين الأنامِ فقيرُ
عدلا وجوداً باعُ كسرى عنهما ... قدْما، وقيصر، عاجزٌ وقصيرُ
حاز المزايا(١٥٥) والمنايا والكريـ ... ـمُ على الإرادةِ والرّدى مفطُورْ

لطفًا يذوبُ الصخرُ منه، وعَزْمَةً
خجلتْ لديه السُّحبُ لمّا أقْلَعَتْ
فكأنّ بارقَها لهيبٌ فى الحشا
فيساره بمنى الغمام لمُجْدبِ
لا العذرَ يُبديه(١٥٧) سوى بعد العطَا
وافى السَّماح مُشيحه فأعاده
ولقد أتى حينٌ ولَمْ يكنْ
أفنى وأغنى مُوقعًا ومُوقِّعًا
بأنامل فى الطرس شاهدنا الندى
إن سطرتْ بل طرّستْ بل طرّزتْ
حرُّ المقال، عَبيدُ بعضُ عبيده
لسجيّةٍ يهديه واضحُ نورِها
ومَهَابةٍ لولا طلاقةُ بشره
يُرجى ويُخشى وَعْدُهُ ووعيده
ساس الممالكَ فانثنتْ مخفورةً
فكأنّه، والدهرُ من خُدّامه
من معشر إن سُوجِلُوا أو جُولسوا
للمُجتَرى، والمجتدى، والمُجتلى
كم قدْ تراجعَ فى سماءِ سُمُوِّهم
فارتدَّ منقلبًا كليلاً خاسئًا
عاينتْ فى طرقِ العلا، مُذْ جازها
وجليت حين وردتُ بحر نواله
سبتَ الصَّبا لطفًا وصحتْ، فالصَّبا
أجْريتها(١٦١) عربيّةً لجواده
قد زانها طولٌ، وفى أبياتنها
من ليس يُحصرُ وصفُهُ إن قصَّرتْ
ولئن قصّرْتُ أو اقتصرتُ فإنّنى
ويعذرهم لم يَظْفَرُوا بمثاله
فيه سمَا شعرى سموًا ليس للشّـ
ونشرتُ حمدًا فيه يَحْمَدُ نشْرهُ
يُصْبى الصَّبا ويرى القبولَ قَبولَها
يامن به دستُ الرّياسة، قد زها
جمدَ الزلالُ لها، وكادَ يفورُ
ونَداهُ فى طُول الزمانِ غزيرُ
منها وصوتُ(١٥٦) الرّعدِ منه زفيرُ
ويمينُه فيها اليسارُ يَسيرُ
والعفو إلاّ وهْوَ ثَمّ قَديرُ
خلقًا جديدًا ربْعُهُ مخفورُ
شينًا يظُنُّ بأنّه مذكورُ(١٥٨)
فالعزمُ نارٌ، والنوالُ بحورُ
منها على الأوْرَاقِ كيف يسيرُ
طِرْسًا براعتُهُ، علاه النُّورُ
ولشاوه لم يَجْرِ قطُّ جريرُ(١٥٩)
أنىَ دَجَت يومَ الهياجِ أمورُ
فى الدَّستِ طاش إذا رآه وقُوره
كالسُّحب فيها رحمةٌ وثُبورُ
إذ زانها من رأيْهِ التدبيرُ
يجرى بما يختارهُ المقْدورُ
ذلّ النُّضارُ، وعزّ ثَمّ نظيرُ
حربٌ، ويحصرُ عندهم، ويدورُ
بصرٌ، وما فيها لديه فطورُ
كمدًا إلى أهليه، وهْوَ حسيرُ(١٦٠)
دُرّ الدّرارى، عنده منثورُ
أبيَاتِ درٍّ ضدُّها المشهورُ
مُقْلةٌ، ولها الغَدَاةَ هريرُ
علمًا بأنّ نتاجَهُ التّيسيرُ
، عن حصر أوصافِ الصّلاحِ، قُصُورُ
عنه قصيدى، إنّنى معذورُ
بمديحه للسالفين أخيرُ
بحرٌ لنا من دره التحبيرُ(١٦٢)
ـعرى العبورِ على عُلاهُ عبورُ(١٦٣)
فى طيّهِ طيبُ الشَّذا منشورُ
لطفًا، فيُنْثَرُ عن ذكاهُ نُبورُ(١٦٤)
وعلى ذُراهُ من السّعادةِ نورُ

إن شرفتْ يمناك فازَ بلثمها … فليَلْثَمَن يمينىَ الجمهورُ
دُمْ بالمعالى ساعياً أو بالمسا … عى عالياً فبذاك أنتَ جديرُ
لازلت بالجدِّ السعيد تفوز بالسـ(م) … ـعدِ الجديدِ، وسعيُكَ المشكورُ
وليهْنِ دهرا أنت من حسناته … يابن الكرامِ فذنبُه مغفورُ(١٦٥)

فكتبت أنا الجوابَ إليه عن ذلك ارتجالا من رأس القلم

(من الكامل)

أرياضُ حزنٍ نبتُها ممطورُ … ونجومُ أفْقٍ ضمَّها الدَّيجورُ؟!
أم هذه نفثاتُ سحرٍ قاتلٍ … للصبِّ حين رنتْ إليه الحورُ؟!
أم هذه أبياتُ شعرٍ نظمُها … يزهى فيَخْجَلُ عندها المنثورُ؟!
ونَعَم فهذَا نظمُ من ملأ الملا … فضلا، وفاضت من لَهاهُ بُحُورُ
مَعْنى يشفُّ طلاوةً، وعبارةٌ … منها تضوّعُ فى الزمان عبيرُ
فكأنما تلك القوافى أكْؤسٌ … بالرَّاحِ قد راحت علىَّ تدورُ
وكأنما الألفاتُ أغصانُ النقا … وكأنما همزاتُهُنَّ طيورُ
وكأنما تلك السطورُ جداولٌ … فيها البديعُ يفوحُ ثم يفورُ
أكرم بها من دَوْحَةٍ أغصانُها … مرفوعةٌ، وغديرُها مجرورُ
ونسيمُها فى يقظةٍ، ورقيبُها … فى غفلةٍ، ونديمُها مسرورُ
والظلُّ ممدودُ الرّواقِ بربعها … والحسنُ فى ساحاتها مقصورُ
لو هبَّ أيسرُ نفحةٍ من تُربها … لأفاق من ذاك الشّذا المخمورُ
لاعيبَ فيها غيرُ مدحٍ مقْصرٍ … هو معْ مساوى ذاته مشْكورُ
حسبى بها فى خلوةٍ لىَ جلوةٌ … إنْ ضمَّنى ثوبُ الدُّجى المزرورُ
لو من معانيها نديمٌ مؤنسٌ … بجميع لذّاتِ الأنامِ بصيرُ
أنا لا أقومُ بشكرِ مُهْديها ولوْ … قصرْتُ عنه فإنّنى معذورُ
هيهات ذاكَ أميرُ نظمٍ فائقٍ … ولواؤهُ من فوقنا مَنْشُورُ
فإذا اجتهدتُ يكونُ غايةَ قدرتى … إنىَّ على حُسْنِ الثناء قديرُ
فإليك زينَ الدّين معْذرةَ امرئٍ … فى باعهِ عند الجوابِ قُصُورُ
فالناسُ ما فيهم بفضْلىَ عالمٌ … ويفضل نظمكَ يشهدُ الجُمْهُورُ
فالله يجْعلنى كما قد قلْتَه(١٦٦) … وتروحُ أنتَ وذنبُكَ المغْفُورُ.

هوامش حرف الباء

(أبو بكر بن محمد بن فهد)

(*) فى (ب): «أبو بكر... بن سليمان». هذا، وقد ترجم له فى (الدرر ١/ ٤٩٦) ووفاته فيها سنة ٧٤٤ هـ. وكذا فى (من ذيول العبر ٢/ ٢٣٨)، والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٦، وتاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٣٧)، كما ترجم له الصفدى فى (أعيان ٢/ ٣١٦، والوافى ١٠/ ٢٥٩ - ٢٦٤).

(١) العبارة مع تقديم وتأخير فى (أعيان). وقد وردت فيه هذه الأبيات الست، وكذا قصيدة الصفدى التى تجيب عليها.

(٢) هذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر:

جـــاد قـــبل الســـؤال برا فلمـــا ... لم نسل من نداه جـــاد ابتـــداء

(٣) يشير إلى قول القاضى الفاضل (بديوانه ١/ ٢٤٨، وخزانة الحموى/ ٢٢٩):

أمـــا الثـــريا فنعل تحت أخمصـــه ... وكل قـــافـــيـــة قـــالت لذلك: طا

وقد كرر الصفدى هذا المعنى فى (الوافى ٨/ الورقة ٦٧) فقال:

كـــيف لا يظلم الوجـــود لمن ... كـــان الثـــريا معـــدودة فى نعـــاله.

(٤) بالأصل: «ولم تر» واخترت التعبير باللون من (أعيان وجميع النسخ الأخرى).

(٥) الأبيات فى (الوافى ١٠/ ٢٦١).

(٦) الكلام من هنا - ويستمر إلى عدة صفحات سنشير إلى آخرها - مطموس بالأصل، وقليل منه يقرأ. فاعتمدت على توضيحه بباقى النسخ وأعيان العصر.

(٧) فى (أ): «نجد به». وبالأصل ما أثبته «نا طرف». وكذا فى أعيان. أما باقى النسخ: «طرق» وهو تحريف لأن المطلوب عكس كلمة (قرط) بعد تحريفها.

(٨) ورد الجواب كله فى (أعيان) و(الوافى ١٠/ ٢٦١، ٢٦٢).

(٩) فى (ب، وأعيان): «وصفاته مستظرفه» صحيح أيضا.

(١٠) بهيلة» فى (أعيان) صحيح أيضا.

(١١) يشير إلى سورة (ق) وهى السورة رقم / ٥٠ من القرآن الكريم.
(١٢) الإشارة إلى جبل (ق) وقد سبق.
(١٣) أى أن الحرفين الباقيين من الكلمة - وهما: الراء والطاء - موجودان فى كلمة «طرفه».
(١٤) اللغز والإجابة عنه واردان فى (أعيان). «(الوافى ١٠/ ٢٦٢، ٢٦٣).
(١٥) لعله يقصد مدينة «جلق».
(١٦) قصد فى البيت (حلق).
(١٧) الشطر الأخير فى (ب): «حرف لرجع الصبا حلفا». وفى (ز): «.... للصبا حرفا» ولعل الكلمة الأخيرة فى الأصل «للصبا خلفا» واخترت «حلفا» بالحاء المهملة فى أوله من (أ، ب، م، وأعيان). ولعل المعنى: إن كلمة (حلق) إذا حرفت القاف فيها إلى الفاء تصبح «حلفا».
(١٨) لعل المعنى: أنه ليس من زى الحروب، أو أن لابسه ليس من المحاربين. وإن كان - أى لابسه - يشعل فى القلب نار الفتنة والغرام.
(١٩) فى أعيان: «أينه يامن فكره لم يزل».
(٢٠) فى أعيان: «.. أنا إليه الجواب...»
(٢١) الإشارة فى البيت إلى كشاجم السندى. أما «الرفا» فنذكر به السرى الرفاء، وهو أبو الحسن السرى بن أحمد السرى الكندى الرفاء الموصلى الشاعر المشهور المتوفى فى سنة نيف وستين وثلاثمائة، ترجمته (وفيات ٢/ ١٠٤).
(٢٢) اللغز والإجابة عليه وردا في (أعيان العصر، والوافى ١٠/ ٢٦٣، ٢٦٤).
(٢٣) اقتباس من قوله تعالى: «علمه شديد القوى» الآية/ ٥من سورة النجم.
(٢٤) فى (أعيان): «... إليه وهو بدمشق وكنت يومئذ بصفد».
(٢٥) فى أعيان: «وقد جهز. وفى (أ): «وقد بعث إلى نقده «تصحيف هنا. ومن هنا بدأ يظهر الكلام جليا بالأصل.
(٢٦) القصيدة وردت برمتها فى (أعيان).
(٢٧) بالأصل وفى غيره من النسخ: «ومهجة سالت» والتصويب من أعيان، وهو ضرورى لسلامة الوزن، هنا وفى البيت يقتبس الصفدى قوله تعالى: «وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت» الآيتان/ ٨، ٩ من سورة التكوير.
(٢٨) ورد هذا البيت والذى قبله فى (درة الأسلاك ٢/ ٤٠٠) بعد قوله: «وأسطر إن أقل» والرواية فيه:
«فقامت الغيث فى السقيا وما احتفلت»
(٢٩) ورد بعد هذا البيت فى أعيان قوله:

وأسطر إن أقل مثل العقود فما أرى العقود إلى تلك العلا وصلت

وهذا البيت سيرد فى القصيدة بعد قليل.
(٣٠) وورد هذا البيت والأبيات الأربعة بعده فى (درة الأسلاك)
(٣١) «فوق مهرقها» فى (أعيان). والمهرق: - بفتح الراء - الصحيفة، فارسى معرّب. وجمعه مهارق
(٣٢) هذا البيت قد تكرر فى (أعيان) فى هذا الموضع بالهامش
(٣٣) ورد هذا البيت فى (الأسلاك).
(٣٤) «لم تزل» فى (ب). وهذا ما أثبته، إذ بغيرها «ولا تزل...».
(٣٥) الجواب ورد فى (أعيان).
(٣٦) «وانخذلت» فى (أ): تحريف. «فالتخزل والانخزال مشية فيها تثاقل وتراجع «كما جاء فى اللسان: خزل).
(٣٧) هذه الرسالة وردت فى اعيان).

(٣٨) (في الأصل، ز، م): «إذ جمحت» واخترت عبارة (أ، ب).

(٣٩) في أعيان: «وحمرة البرق».

(٤٠) بداية البيت في الأصل: «تحكي» واخترت عبارة جميع النسخ. هذا وفي أعيان «تحكي نداك» بالتصحيف.
ورواية الشطر الثاني في (ز، م): «على علا... الذي مدحت».

(٤١) لعل الصفدي ينظر في البيت إلى قول الشريف الرضي:

وإن مـقـام مـثلي في الأعـادي مـقـام البـدر تنبحـه الكلاب

(٤٢) ورد هذا الجواب في (أعيان العصر) بترجمة شرف الدين بن فهد.

(٤٣) «أهلا بعادتك» تصحيف في أعيان.

(٤٤) بعد هذا أحالنا الصفدي في (أعيان) إلى كتابه (ألحان السواجع).

(٤٥) في الأصل: «أنا كان» تحريف تصويبه من النسخ الأخرى.

(٤٦) هذا البيت والذي يليه ساقطان من (ز). وفيه إشارة إلى قول امرئ القيس في مطلع معلقته:

قـفـا نبك من ذكـرى حـبـيب ومنزل بسـقط اللوى بين الدَخـول وحـومل

هذا. وامرؤ القيس: هو حندج (وقيل: عدي، وقيل: مليكه) بن حجر بن الحارث الكندي، الملك الضليل، قضى حياته في محاولات متكررة، باءت كلها بالفشل، لإعادة ملك أبيه. ترجمته (بروكلمان ١/ ٩٧ - ١٠١).

(٤٧) «خبرك» في (ب).

(٤٨) في الأصل: «زمن». واخترت عبارة(أ).

(٤٩) في(أ): «فإن اللجاج خلا بها مشتملا مستمرا» بالتصحيف والتحريف والحذف. وفي (ب) «وحماها عن العفاة... مشتملا مستمدا مستمرا». وفي (ز، م): «من العافا.. مستملا مستمدا مستمرا» هذا وبالأصل: «مستملا مستمرا مستمرا» وما أثبته مما عرضت قبله، ولعل المعنى على رواية الأصل «... مستمراً دائماً».

(٥٠) من الأمثال «هلم جرا» قال المفضل: أي تعالوا على هينتكم كما يسهل عليكم. وهو من قول عائذ بن يزيد اليشكري مخاطبا أخاه، ضمن أبيات (بأمثال الميداني ٢/ ٣٦٦، ٣٦٧):

وإن جـاوزت مـقـفـرة رمت بي إلى أخـرى كـتلك هلم جـرا.

(٥١) البيت على هيئة النثر في (م). وهو لهشام بن عقبة أخي ذي الرمة، راجع (طبقات الشافيعة الكبرى ٩/ ٢٨٢)
برواية «وليس منها شفاء النفس مبذول» وحاشية هذا المكان.
والبيت أيضاً في (المقتضب ٤/ ١٠١، وكتاب شرح أبيات سيبويه/ ٤٤، ٨٦).

(٥٢) لم أعرف قائله. وإنما أذكر بالبيت قول أبي العتاهية (الإبانة/ ١٥٢):

داويت عـيـني بمـا داست مطيـتـهـا من التـراب فـأبراها من الرمـد

(٥٣) أبو تراب: كنية الخليفة علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - يقال: إن النبي - ص - هو الذي كناه بها. ومع أن الشيعة يعدونها لقبا من ألقاب التشريف، فإن «نولد كه» يذهب إلى أن أعداءه أطلقوها عليه للتحقير. راجع (أبو تراب) في (دائرة المعارف المجلد الأول - / ٤٣٨ ط - دار الشعب). هذا. وقد لقب بهذا أيضا: أبو تراب حيدرة بن المستنصر بالله أحد الخلفاء الفاطميين (الخطط ٢/ ٤٩)، وغيرهما.

(٥٤) العبارة في (ز): «والمدة التي بها عند مولانا». وفي الجملة اقتباس قوله تعالى:
«فهو في عيشة راضية» / ٢١ من سورة الحاقة.

(٥٥) البيت للمتنبي (بديوانه ١/ ٥٨) من قصيدة مطلعها:

فديناك من ربع وإن زدتنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

(٥٦) قرقف: القرف من معانيه، الماء البارد المرعد ومن معانيه: الخمر وهو اسم لها - وهو المقصود هنا. أي أن شعره له في السمع نشوة الخمر في النفس.

(٥٧) الزيادة من (أ). والرواية في (ب): «وأقبل سطوره» بالتحريف. هذا وبالأصل: «سطوره وهو يخالفها» بالتحريف. والتصويب من النسخ الأخرى.

(٥٨) البيت للمعتمد بن عباد من شعره وهو في سجن إغمات (الوافي ٣/ ١٨٦) وراويته مع ما قبله فيه:

وعسى الليالي أن تمن بنظمنا عقداً كما كنا عليه وأجملا
ولربما نثر الجمان تعمدا ليكون أحسن في النظام وأكملا

(٥٩) مأخوذ من قول النابغة (بديوانه/ ٣٨):

أفد الترحل، غير أن ركابنا لما تزل برحالنا، وكأن قد

(٦٠) لعل البيت مأخوذ من قول أبي علي برحالنا (معجم الأدباء ١٥ . ٢١٣):

على عجل ألم به الخيال فإن كراه بعدكم محال

(٦١) تضمن قول عبيد الله بن عبدالله بن طاهر

فقلت له: نعماك فيهم اتمها ودع أمرنا، إن المهم المقدم

(٦٢) اقتباس قوله تعالى: «عفا الله عما سلف...» من الآية/ ٩٥ من سورة المائدة. وتضمين قول الشاعر (الأمالي/ ٢٥٦):

فإن ساء يوماً فعاتبته قال: عفا ربك عما مضى

(٦٣) اللغز في (أعيان العصر ٢/ ٣١٨).

(٦٤) الزيادة من (م) وهي ضرورية لسلامة الوزن. وقوله: «لي ثلثاه» أي أن كلمة «لي ثلثا كلمة «ليل».

(٦٥) اللغز مذكور في (الأعيان، ومطالع البدور ٢/ ٢٥٨)

(٦٦) يقصد: الليف.

(٦٧) لعل الصواب: فيك تحريفه. لأن تغيير الحرف تحريفٌ و(فيل) ف - ي - ل - و - (فيك) . ف - ي - ك).

(٦٨) عكس (فيل) هو: «ليف» وثلثا العكس هو (لي) المشار إليها.

(٦٩) البيتان مذكوران في (أعيان، والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٧).

(٧٠) البيتان مذكوران في (أعيان).

(٧١) ورد في (الأسلاك ٢/ ٤٠٠) من القصيدة الآتية ثلاثة عشر بيتا فحسب على غير ترتيب (ألحان السواجع)

(٧٢) يقال: عرفه وعرفات واحد. وعرفه حدها من الجبل المشرف على بطن عرفة إلى جبال عرفه... راجع (ياقوت ٦/ ١٤٩، (١٥٠). وفي الحديث: «الحج عرفة». «وعرفة كلها موقف».

(٧٣) هذا البيت، والأبيات الخمسة التى تليه ساقطة من الأصل، ومن (ب). وأثبتها عن (أ، ز، م). والبيت الثانى والخامس منها وردا فى (الأسلاك).

قالت أمامه ما لجسمك شاحبا مثلى ابتذلت، ومثل مالك ينفع

(٧٤) سعدى اسم امرأة، وكذلك أمامه، وهما من الأسماء التى عشقها الشعراء أو اتخذوها رمزاً للعشيقات. قال أبو ذؤيب:

(لسان : أمم) ويروى: (أميمة)(ويذكر سعدى يذكر قول جميل (ديوانه/ ٣٩):

وهل ألقين سعدى من الدهر مرة وما رث من حبل الصفاء جديد

(٧٥) كعب بن أمامه الإيادى يضرب مثلا فى الجود.

(٧٦) ابن هلال ـ المشار إليه هنا ـ هو أبو الحسن على بن هلال، والمعروف بابن البواب، الكاتب المشهور، توفى سنة ٤٢٣هـ. وقيل سنة ٤١٣هـ انظر (وفيات ٣/ ٣٨، ومعجم الأدباء ١٥/ ١٢٠). وهذا الشطر مأخوذ من قول القاضى الفاضل يصف قلمه: «.. وأنمله إذا خضبها الأصيل، كأن الهلال له قلامه» (ونصرة الثائر/ ٢٦٦، ونهاية الأرب ١/ ٤٠٢، خزانة الحموى/ ٢١٨). بل الأصل فى ذلك قول ابن المعتز (غرائب التشبيهات/ ١٦):

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة، قد قدت من الظفر

(٧٧) زرقاء اليمامة، هى امرأة من جديس يقال: إن اسمها، عنز، كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام، ويضرب بها المثل، فيقال: (أبصر من زرقاء اليمامة) وخبرها مذكور فى (فصل المقال/ ١٠٤ ـ ١٠٦، مجمع الأمثال ١/ ١٢٠. ١٢١، وصبح الأعشى ١/ ٤٣٤).

(٧٨) لعله يشير إلى كتابى: (طوق الحمامة ـ لابن حزم)، (سجع المطوق ـ لابن نباته المصرى) والأخير مخطوط مصور فى مجلد واحد ـ بدار الكتب المصرية تحت رقم/ ٩٧٦٦ أدب. ولا أعرف أطبع أم لا؟. أو لعل المعنى مأخوذ من قول البهاء زهير (بديوانه/ ١٣٥):

وأعيد حديثك إنه لألذ من سجع الحمامة

(٧٩) «يجرد» فى (أ) وهو ما أثبته.. وبالأصل: «تجرد» وكذا فى (الأسلاك).

(٨٠) البشام: شجر طيب الريح والطعم يستاك به. واحدته: بشامة. ولعل أقدم شعر ذكرت فيه «سلمى» شعر امرئ القيس. ومثال ذلك قوله: (بديوانه/ ٢٧، ٢٨):

ديار لسلمى عافيات بذى خال ألح عليها كل أسحم هطال

(٨١) رامه: اسم موضع بالبادية، يكثر فيه الغزلان. وفيه جاء المثل: (تسألنى برامتين؟ سلجما). وقال زهير:

لمن طلل برامة لا يريم عفا وخلاله حقب قديم

(٨٢) اقتباس قوله تعالى: «الذى أحلنا دار المقامة من فضله، لا يمسنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لُغُوبٌ»/ ٣٥ من (سورة فاطر).

(٨٣) القسامة: هى الأيمان تقسم على الأولياء فى الدم.

(أبو بكر محمد بن غانم)

(*) ترجم له الصفدى أيضاً فى (أعيان ٢/ ٣١٢/ وفيه : أبو بكر بن محمد بن سليمان) وفى (الوافى: ١٠/ ٢٥٣: ٢٥٨) وله ترجمة أيضاً فى «الدرر ١/ ٤٩٠ . وفيه: أنه توفى بطرابلس سنة٧٣٥ هـ) ، و(السلوك: القسم الثانى من ج ٢/ ٣٧٨) ، و(تاريخ ابن الوردى ٢/ ٣٠٨) .

(٨٤) «ما غدا» فى (أ، ب، ز) وكلاهما صحيح، ولعل الكلمة «غدا» بالذال لا بالزاى ـ من غذوت الصبى باللبن أى ربيته . والمعنى لا يفصل السقام إلا فيما ذكره فى هذا البيت والذى يليه .

(٨٥) يبرين: رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة . وقيل: من أصقاع البحرين، به منبران، وهناك الرمل الموصوف بالكثرة . ويبرين، أيضاً قرية من قرى حلب نقلا عن (ياقوت ٨/ ٤٩٤) .

(٨٦) فى (ز): «وينهى شكوى حاله .. له منها من بدل» هذا، ومن هنا، ورد الكلام فى (نصرة الثائر/ ٣٣٤) .

(٨٧) بالأصل: «وآلامه» وكذا بقية النسخ والتصويب من (نصرة الثائر) هذا وفى الأصل . و(أ) : «والآمة التى كملت بالتحريف . وفى (ز) : «والأمة ... ولم يطق جلده قطع الله ذلك الجدل» . وبنصرة الثائر: «فلا يطيق» .

(٨٨) بألحان السواجع: «عرق عرقها» وما أثبته من (نصرة الثائر) والعبارة فى الأخير: «رشح عرقها الذى لا يقال مع بحره سآوى من الصبر الجميل الى جبل» .

(٨٩) الزيادة عن(نصرة الثائر (هذا» وفى العبارة تضمين ما قاله عمر ـ رضى الله عنه ـ: «ألا تغالوا صدق النساء» فإن الرجال تغالى بصداقها، حتى تقول: جشمت اليك عرق القربة» . قال الكسائى: عرق القربة أن يقول: نصبت لك، وتكلفت، وتعبت حتى عرقت عرق القربة وقيل: لقيت منه عرق القربة، أى شدة ومشقة . وقيل: غير ذلك (لسان: عرق) .

(٩٠) لم يرد البيت الثانى فى (نصرة الثائر) والبيتان للمتنبى (بديوانه ٤/ ١٤٦) من قصيدته إلى مطلعها:

ملومكما يجل عن الملام   ووقع فعاله فوق الكلام

(٩١) إلى «ولحظة من القطوع» انقطع الكلام فى (نصرة الثائر) .

(٩٢) لعله يشير إلى ما جاء فى (لوعة الشاكى/ ٤٧) :ـ

أستودع الله أحبابى الذين نأوا   وخلفونى نيران التباريح
استنشق الريح من تلقاء كاظمة   لقد قنعت من الأحباب بالريح

(٩٣) «يغرس العلوم» فى: (أ، ز، م) .

(٩٤) الآيتان/ ١، ٢ من سورة الليل .

(٩٥) الميزان، والأسد: من نجوم البروج التى تنتقل فيها الشمس فى فصول السنة

(٩٦) ورد البيتان فى: (أعيان العصر، والوافى ١٠/ ٢٥٤، والغيث المنسجم ٢/ ١٠٤) .

(٩٧) وردت العبارة فى (الغيث) مع تقديم وتأخير وتغيير .

(٩٨) فى (أعيان) : «ثلاثة أوصال ورق بيض» .

(٩٩) ورد الجواب فى (أعيان، والغيث ٢/ ١٠٤، والوافى ١٠/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧)

(١٠٠) (الغيث) : «ومذكرى عيشا السنا به» .

(١٠١) هذا البيت والذى يليه لم يردا فى (الغيث)

(١٠٢)فى البيت إشارة إلى المثل العربى: «أطمع من أشعب» . وأشعب: «رجل من أهل المدينة يقال له: «أشعب الطماع» وهو» ابن جبير مولى عبدالله بن الزبير، وكنيته أبو العلاء» . وله نوادر مبسوطة فى (مجمع الأمثال)١/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠) .

(١٠٣) الجملة ساقطة من (أعيان، والوافي، والغيث).
(١٠٤) مأخوذ من قول القاضي الفاضل في المشيب، (نصرة الثائر/ ٢٣٧): «..... ومن يعمر العمر الطويل، يقع في الطويل العريض، وأيام المشيب كلها بيض». أو من قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني: (الغيث ١/ ١٧٥):

تلاعب الشعر على ردفه أوقع قلبي في العريض الطويل

هذا، وقد جاء بالأغاني ٣/ ١٦٧: «قال هلال الرأى.. وهو هلال بن عطية لبشار، وكان له صديقاً يمازحه: إن الله لم يذهب بصر أحد إلا عوضه بشيء، فما عوضك؟ قال: الطويل العريض: وما هذا؟ قال: «ألا أراك ولا أمثالك من الثقلاء».
(١٠٥) في (أعيا، والوافي): «لو أن له.. خليل». وفي قوله: «خليل» تورية
(١٠٦) في (الغيث) - بعد الشعر - قوله: «وينهى ورود المثال الكريم، فقبل منه» وما بين الفعل: «ينهى» ومفعوله: «ورود» ساقط منها.
(١٠٧) ساقط من الغيث.
(١٠٨) من قوله تعالى: «والضحى والليل إذا سجى». وسجى: أي دام وسكن.
(١٠٩) السبج، الخرز الأسود. هذا والجملة بعدها في (الغيث): «فياله من وارد».
(١١٠) في (م): «وعلا من السطور» تحريف. والزيادة من الغيث).
(١١١) «لا يتلألأ ضياء» في (أعيان العصر).
(١١٢) نهاية الجملة في (الغيث): «نعتقد فيه المجوس». هذا، والمجوسية يقال لها - كما جاء في كتاب الملل والنحل/ ٥٥٩/ - الدين الأكبر والملة العظمى». ثم إن التثنية اختصت بالمجوس، حتى أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، يسمون أحدهما النور وهو إله الخير. والآخر: وهو إله الشر - الظلمة: ومن أجل هذا الرمز لإله الخير، استداموا وقود النار - مشاكلة للنور - وعبدوها. يقول الشاعر في وصف الخمرة:

وبت منها أرى النار التي سجدت لها المجوس من الإبريق تسجد لي

وهم يعتقدون أن تعظيمهم للنار ينجيهم في المعاد من عذابها، كما أنها لم تحرق الخليل إبراهيم - عليه السلام - فبهذه - وغيره - تستحق النار التعظيم عندهم. راجع (الملل/ ٥٥٩ - ٥٦٧، ٦٥٤، ٦٥٥ -) و(حاشية العالم النحرير/٧٣).
(١١٣) (أعيان): «أن تكون كهذه المراسلة». وفي (الغيث): أن تكون لهذه المراسلة أمست من الرقوم خلاء».
(١١٤) البيت لابن التلعفري، ضمن ابيات في (الكشكول ٢/ ٢١٦. والغيث ٢/ ١٠٤) وقلبه فيهما:

(ياشيب كيف وما انقضى زمن الصبا عالجت مني اللمة السوداء
لاتعجلن فو الذى جعل الدجى من ليل طرفي البهيم ضياء
لو أنها يوم المعاد صحيفتي ماسر قلبي كونها بيضاء

(١١٥) في الأصل: «ومرضها» تحريف تصويبه من النسخ والمصادر الثلاثة الأخرى التي معنا، والرواية في (الغيث): «ما كان يغازله من صحات الجفون مراضها» هذا، ورواية العبارة في(م): من عدم الفوائد الهابية... ومراضها». بالتحريف.
(١١٦) ما بين ساقط من (أعيان، والغيث، والوافي) في هذا المكان، سيرد فيها بعد بيتي البحتري القادمين.
(١١٧) في (ألحان): «والأوصال الواردة» واخترت عبارة (أعيان، والغيث، والوافي)
(١١٨) زيادة (أن) من جميع النسخ والمصادر الثلاثة المشار إليها سابقاً.

(١١٩) البيتان (بديوانه ١/ ٢١، ٢٢) برواية «أحشمتني....» و«وقطعتني بالجود». وهما من قصيدته التي مطلعها:

أمـــــواهب هـاتـيك أم أنـواء   هطل؟ وأخـــــذ ذاك أم إعـطـاء؟

وإلى نهاية البيت الثاني للبحتري انقطع الكلام في (الغيث).

(١٢٠) الزيادة عن (أعيان، والوافي) والرواية فيهما «ما نطق... ولا أبدى غير ما قرر من». ولعل قوله: «مع ما ندر» من قولك: ندر الشيء، أي شذ.

(١٢١) عبارة الأصل: خلقانها وجديدها، وقد أثبت ما ورد في (الوافي والمخلاة) وهذا البيت ورد مع بيت آخر في (المخلاة/ ٢٢٣) دون عزو. والبيتان هما:

على كل حـال أم عـمـرو جـمـيلة   إذا لبـست خلقـانهـا أو جـديدها
ونـحن المـوالي في القـبـائل كلهـا   وفي حي ليلى نحن بعض عـبـيـدها

(١٢٢) بالوافي: «ذكر المملوك بالخاطر الكريم». والجملة بعد ذلك في (م): «وطاف من جلوده «تحريف. وبالجملة اقتباس قوله تعالى: «فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم» الآيتان/ ١٩، ٢٠ من سورة) القلم. كالصريم: أي كالبستان الذي صرمت ثماره. أي قطعت.

(١٢٣) هذا البيت غير معزو في (تزيين الأسواق/ ٢١٠. ونصرة الثائر/ ٢٤٩).

(١٢٤) «ثم» ساقطة من (أعيان).

(١٢٥) «ما حقرني» في (ز، م، وأعيان).

(١٢٦) الكلام ساقط من (ب).

(١٢٧) الكلام ساقط من (أ، ب، والوافي).

(١٢٨) الرسالة وردت في أعيان ٢/ ٣١٤، ٣١٥، والوافي ١٠/ ٢٥٧، ٢٥٨) والأبيات الأربعة الأولى وردت في (درّة الأسلاك ٢/ ٢٦٣) ورواية الرابع: «فقال لها البدر».

(١٢٩) لعله مأخوذ من قول الأعشى (بديوانه/ ٣٢):

فـقـال له: أهلا وسـهـلا ومـرحـبـا   أرى رحـمـا قـد وافـقـتـهـا صـلاتها

(١٣٠) في (أعيان والوافي): «وقبل مواقع». وفيهما وفي (أ، م): و«الأنامل التي يحق لها التقبيل». وفي (ز): «تحق لها».

(١٣١) «من كمائم وكمه» في (أعيان).

(١٣٢) (أعيان): «إلى الخليل... وشاهد منه الروضة».

(١٣٣) (الوافي): «البديعة».

(١٣٤) (ب): «المعاني البديعية». وفي (أعيان، والوافي): «وتحلت... المعاني البديهة»

(١٣٥) في (أعيان): عن مملوكه غيبة»

(١٣٦) في (أعيان، والوافي): «كان يظنه إناء»

(١٣٧) في (أعيان): «ما مضى من كليلة ودمنة». وفي (الوافي): «ما مضى كليلة ودمنه» أما كليلة ودمنة المشار إليهما هنا - فقد جاء في باب الأسد والثور/ ٤٣ - ٩٧ من كتاب: كليلة ودمنة - ما يكشف عنهما. يقول: «وكان فيما معه ابنا آوى، يقال لأحدهما كليلة، وللآخر دمنه، وكانا ذوي دهاء وأدب، وكان دمنه أشهرها نفساً، وأبعدهما همة، وأقلهما رضاً لحاله، ولم يكن الأسد عرفهما..» إلخ. ويبدو أن العبارة تشير إلى تأثير موت كليلة على دمنه

من حزنه عليه وبكائه له. وهذا ما يفيض به (باب الفحص عن أمر دمنه ص/ ٩٩)، وباب الإخبار بموت كليلة.. وبكاء زمنة وحزنه عليه ص/ ١١٨، من الكتاب نفسه.

هذا ولعل الكاتب ينظر هنا أيضاً إلى قول الشافعي (بديوانه./ ١٨٦). و،(وقيل: إن هذا البيت لعبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر: عيون الأخبار ١١٣)

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدى المساويا

(١٣٨) فى (أعيان): «ووثق لما يتيقن». وفى (ب): «بما تيقن».

(١٣٩) الكلمة على هامش الأصل «تفقد» وقد أثبت ما فى (ب) والوافى. وأعيان العصر) والعبارة مأخوذة من قول الشاعر:

ومن عادة السادات أن يتفقدوا ... أصاغرهم، والمكرمات عوائد

(١٤٠) فى أعيان: «أدلت». بالتحريف.

(١٤١) معانيها: فى (أعيان) بالتحريف.

(١٤٢) أذكر بشطره الأخير قول يعقوب بن الربيع فى رثاء جاريته ملك (معجم الشعراء/ ٤٩٧):

وإنى على ملك لبست ملاءه ... من الحزن ما يبلى الزمان جديدها

(١٤٣) فى (أعيان): «والله يشكر ما خوله».

(١٤٤) فى (ب، ز): «فى مغانيها». تصحيف.

(١٤٥) (أعيان): «فأنشدته أنا لنفسى». وأورد البيتين.

(١٤٦) أعيان «بنفسى حبيب».

(١٤٧) البيتان وردا فى (أعيان).

(١٤٨) فى أعيان:... أيضاً لنفسى»، وقد ورد البيتان فيه.

(١٤٩) هذه الزيارة فى (أ، م) وبعدها فى (أ) جملة وهى: «ولم ينشده ما أنشده» ولم أثبتها لتضاربها. هذا وفى (ز): «وأنشدنى هو لنفسه أيضاً». ثم بعد ذلك بياض».

(أبو بكر عثمان المعروف بابن العجمى)

(•) له ترجمة فى (الدرر ١/ ٤٧٩) وقد حدد ابن حجر تاريخ وفاته بسنة ٧٩٥هـ. وفيه يقول: «مولع بالأدب، وطارح الصفدى فذكره فى ألحان السواجع»، وله ترجمة أيضاً فى (النجوم الزاهرة ١٢/ ١٣٥، وتاريخ ابن الفرات: المجلد التاسع ج ٢/ ٣٥٣).

(١٥٠) فى (أ): «مالى على جور الزمان» ويقصد للطلاء: وهو ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه. واليعفور لظبى وقيل: ولد البقرة الوحشية. وهو الخشف، شبه به الساقى.

(١٥١) لعل هذا المعنى من قول ابن الرومى، لما دب فيه السم، واشتد شربه للماء (الكشكول/ ٧٧):

أشرب الماء إذا ما التهبت ... نار أحشائى كأحشاء اللهب
فأراه زائداً فى حرقتى ... فكأن الماء للنار حطب

(١٥٢) هكذا فى الأصل. ولعلها على لغة «أكلونى البراغيث»، والأفصح نحويا: «قد لقبها ذوو الحجا». والقتير: الشيب. والكلام على المجاز.

(١٥٣) وخيزور: يقصد الخيزران. وكل عود لدن متثنٍ خيزران.
(١٥٤) النحرير: العالم المتقن.
(١٥٥) فى الأصل: «حاز الابال والمنايا». وفى (ب): «حاز الأمانى». وفى (ز): «كان المزايا والمنايا» بالتحريف فى أوله. واخترت «المزايا» من (ز). وفى (م): حذفت كلمة «المزايا». فى (أ): «جار الإبان المنايا» تحريف
(١٥٦) فى الأصل: «صوب» تصحيف. تصويبه من باقى النسخ. والرواية فى (أ) «وصوت الرعد فيه». بالتحريف.
(١٥٧) «لا العذر بيديه» فى (ز). وهذا ما اخترته. وفى الأصل. أ، ب: «يدريه». وفى (م): «يذريه» بالتصحيف. وهذا الشطر الثانى مأخوذ من قول ابن صمادح فيمن لم يسمح بالزيارة (الزخيرة القسم الأول/ ٢: ٢٤٣):

«إن كان ذاك ما شعرت به» فأكرم الناس من يعفو إذا قدرا

وفى، بهجة المجالس ٢/ ١٣٥) «العفو عند المقدرة»
(١٥٨) يقتبس قوله تعالى: «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا» الآية/ ١ من سورة الإنسان.
(١٥٩) لعله يقصد فى الشطر الأول: عبيد بن الأسدى بن جشم لاالأسدى - أو عبيد الراعى النميرى الشاعر أو غيرهما. انظر (المؤتلف/ ١٥٣) فيمن يقال له (عبيد). أما عن «جرير»، فقد ذكر الآمدى فى المؤتلف والمختلف ص ٧١ سبعة شعراء كلهم يسمى جريراً، منهم جرير بن عبدالمسيح الضبعى (وهو المتلمس) وأشهرهم جرير بن عطيه بن الخطفى صاحب النقائض.
(١٦٠) يقتبس - فى البيتين قولا - قوله تعالى: «الذى خلق سبع سموات طباقاً، ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير» الآتيان/ ٣، ٤ من سورة (الملك).
(١٦١) فى الأصل: «واجريتها» وما أثبته ضرورى لسلامة الوزن.
(١٦٢) من هنا إلى آخر هذه الترجمة غير واضح فى الاصل فاعتمدت على (ب) وباقى النسخ
(١٦٣) الشعرى كوكب نير - يقال له المرزم - يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه فى شدة الحر، تقول العرب إذا طلعت الشعرى جعل صاحب النحل يرى. وهما الشعريان: العبور التى فى الجوزاء، والغميصاء التى فى الذراع، وسميت العبور؛ لأنها عبرت السماء عرضاً ولم يعبرها عرضاً غيرها. وقد عبد الشعرى العبور طائفة من العرب فى الجاهلية، فأنزل الله تعالى «وإنه هو رب الشعرى». (لسان: شعر).
(١٦٤) الصبا، والقبول، والدبور من أنواع الرياح. فالصبا: تأتى فى مطلع الشمس - وهى القبول. أما الدبور فهى التى تقابلها وتسمى الرياح الغربية (أدب الكاتب/ ٤٦، ٤٧).
(١٦٥) لعل الشاعر قد نظر فى هذا البيت وما قبله إلى قول أبى تمام - يهنئ ويعاتب - (بديوانه/ ٤/٤٦٢):

إما حججت فمقبولٌ ومبرور موفر الحظ منك الذنب مغفور
قضيت من حجت الإسلام واجبها ثم انصرفت، ومنك السعى مشكور.

(١٦٦) يقصد قوله فى القصيدة السابقة:

لازلت بالجد السعيد تفوز بالسـ ـعد الجديد، وسعيك المشكور.

حرف الجيم

جوادُ(*) بنُ سليمانَ بن غالبٍ (بن معن بن مغيثٍ بن أبي المكارم)(١) التنوخي الأميرُ الأجل عز الدين بن أمير العرب، أهدى إلى شيئاً من طرائف الجبل(٢)، وهدايا بيروت، فكتبت أنا إليه:

(من السريع)

يا سيداً جـــاءتْ هدايـاهُ لى ... على المُنَى منّى منى ووَفْقَ(٣) المرادْ
أنتَ جـــوادٌ ســـابقٌ بالندى ... مـــن ذا الذى يُنْكِرُ سَبْقَ الجوَادْ؟!

وكتب هو إلى جواباً عن ذلك:

(من البسيط)

وافى مـــثـــالُكَ مَطوياً على نُزَهٍ ... يحارُ مَسْمَعُهُ فيها وناظرهُ(٤)
فالعين تَرْتَعُ(٥) فيما خطّ كاتبُهُ ... والسَّمْعُ ينعمُ فيما قال شاعرُهُ
وإنْ وقفتَ أمام الحى أنْشُدُهُ ... ودَّ الخرائدُ لو تُفْنَى(٦) جواهرُهُ

هوامش حرف الجيم

جواد بن سليمان بن غالب

(*) ترجم له الصفدي في (الوافي ١١/ ٩٨، ٩٩) ،(ابن حجر في الدرر ٢/ ٧٧، ٧٨)، وذكر أنه توفي سنة ٧٥٦هـ. كما ترجم له ابن تغرى بردى في (المنهل) ٢/ ٩، ١٠).

(١) الزيادة من (الدرر. والمنهل، والوافي).

(٢) الجبل) - اسم أطلقه كتاب العرب - من قبل - على ذلك الجزء من جزيرة العرب الوسطى (أصفهان) الذي يقع جنوبي وادى الحسا مباشرة، وهو فرع من الطرف الجنوبي الأقصى للبحر الميت الذي يسيطر من قنه السابقة على غور وادى العربة، وهو الامتداد الجنوبي لشق الأردن. (دائرة المعارف: ١١/ ٤١ - ٤٣).
هذا، وقد ورد بيتا الصفدي، والجواب عنهما، في (المنهل، والوافي)

(٣) «وفرق» في (المنهل)

(٤) المنهل: «وافي كتابك مطويا». وفي (ب): «وفي مثالك» بالتحريف. هذا، وقد ورد هذا البيت والذي بعده في: (الدرر: ٢/ ٧٨).

(٥) في (الدرر): «والعين فيما». وفي (المنهل): «فالعين نرمق فيها ....»

(٦) بالأصل: «لو تقلى» بالمثناة، تصحيف، وتصويبه من(أ، ب، ز، م، والمنهل) والرواية في الأخير بالتصحيف هكذا: «وذا الجراند لو تغلى...».

حرف الحاء

حسن (*) بن علي، الشيخُ بدرُ الدين العباسي المعروف بابن البنا. كتب إليّ، وأنا بِحلبَ المحروسةِ في سنةَ تسعٍ وخمسين وسبعمائة:

(من الكامل)

هيَ مُقْلةٌ إن لم تُعنكَ فَلاَحُهَا ... فسمَاحُهَا بالدّمع عينُ فَلاَحِهَا
للظّاعنين عليكَ حقٌّ فاقْضِه ... من عَبْرةٍ وَقَفتْ على سفّاحِهَا
ليتَ الوداعَ أنابَ عينيَ منهمُ ... نظرًا يَسُرُّ النفسَ قبل سرَاحِهَا
وقفتْ صباحَ أمامَ صُبْحِ رَحيلِهمْ ... فغنيتُ عن مصْبَاحِهمْ بصباحِهَا
وكأنَّ طلاًّ ساقطًا من دمعِهَا ... تحكي فرائدهُ عقودَ وشاحِهَا
وكأن راحًا من لماها خامرتْ ... عقلي تَلاَها راحُهَا من رَاحِهَا
وإذا الرّياضُ زهتْ بفاخرِ زهرِها ... فالزّهر مثلُ الزُّهْرِ من وضاحِهَا
زُهيتْ بوجنتِهَا وورد شقيقِهَا ... وسنا ثناياها ونورِ أقاحِهَا
وكأنَّ غُرّتَهَا الغزالةُ نبّهتْ ... في الحي حُورَ العينِ من فضّاحِهَا
يا حُسْنَ فاتنةِ العقولِ أهكذا ... تستجلب الأرواحَ من أشباحِهَا؟!
حلّلْتَ حظر دمي كذا فعلُ الذي ... يقضي على الأقيال عند طماحِهَا
سمُّ اللّحاةِ تجنّبي لملامسهم ... وقد اطمأن القلبُ من إلحاحِهَا
لم أثْنِ عن حلبٍ عنانَ إقامةٍ ... جلّت(١) عليّ وقد أقمتُ بساحِهَا
كلُّ الذي أسدتْ إليَّ مَعارفي ... سلبتْهُ من عقلي عيونُ ملاحِهَا
والدّهر يقرعُ بالنوائب عاديًا ... من لا يُفيقُ الدّهرَ من أتراحِهَا
هي مواطنُ النائي المقلّ كأنما ... وقفتْ مقامته على أفراحِهَا
تَسْري بها الأرواحُ بين مُروّضٍ ... عن مُزنه مَثْنَ على سجَاحِهَا(٢)
لم تبرح الشهباءُ من شهبِ السّما ... بمنائحٍ كالشهبِ من مرتاحِهَا(٣)

لمّا أراد الله جلّ ثناؤه   إصلاحها شأناً، وبسطَ جناحها

وافى صلاحُ الدين كاتبُ سرّها   قسماً تعيّنَ، وهو عيّنَ صلاحها

رُفعتْ تواقيعُ البلاد بفاضلٍ   أفكارُه وقفتْ على استفتاحها

فكأنها ترمي بسهم إصابةٍ   من رأيه ما طاش عند كفاحها

إذ(٤) نُشّرت منها المناشيرُ التي   ماتتْ، وصحّ البعثُ من أرواحها

بحرُ الفضائل فيه يوجد درُّها   فصحاحُه توهي عقودَ صحاحها

في كلّ يوم منه موردُ رهطها   كالشّمس عند غدوّها ورواحها

سلك السّبيلَ إلى مشارقِ حلّةٍ   عرفَ الصوابَ الحقَّ من إصباحها

كشفتْ معارفُها الغوامضَ لم تزل   مصروفةً منها عى إيضاحها

متقلّدٌ فيها بعزمٍ مرهفٍ   نفسته فيها خطّها(٥) وصفاحها

وإذا الصحائفُ سحّ ودْقُ سحابها   فيراعةُ السامي مهبُّ رياحها

وكأنما أقلامُه عند العدى   شُهُبُ النجوم تخطّ سمْرَ رماحها

أحيى صلاحُ الدين كلَّ فضيلةٍ   فكأنه قد جاء لاستفتاحها

وإذا الفضائلُ رجحتْ أربابَها   رجحتْ فضائلُه على رُجّاحها

يستصبحُ الساري به في نظمه   فقرَ البلاغة يقتدي بسماحها

تمّت(٦) به رتبُ المعالي حيثما   كانتْ تكون به مدارُ نجاحها

في حلم نفسٍ لا يطيش وقارُها   فالحلمُ منسوبٌ إلى إسجاحها

وكتابةُ السرّ التي صلحتْ به   أحوالُها، والرأيُ في إصلاحها

وافتْ إليه فسدّ خَلّةَ أمرها   سدّاً تميّزه على نُصّاحها

تسري صحائفُه كأنّ بريدَها   من سابحات السُّحْب في مسّاحها(٧)

اليمنُ منشورٌ بها في طيّها   والنصرُ مقرونٌ إلى ألواحها

وبدائعُ الصحف النفيسة أوجهٌ   تتطلّبُ الحاجات عند صباحها

يا من فروضُ المجد دلّتْ أنه   مغرى بها وبندْبها ومباحها

ومذلّلُ المستصعبات كأنها   وقفاً، جيادُ الخيل عند جماحها

أهدى إلى هجرٍ بضاعةَ بائسٍ   تمراً تمرُّ به صعيدَ نطاحها(٨)

حاز المعلّى من علاك بمدحها   وهو المصيبُ(٩) لنا بضربِ قداحها

وهو الذي ختم القريضَ بشعره   إذ كان، دامَ علاكَ، من مدّاحها

حملتْ معارفَنا الليالي سابقاً   فزكى النّتاجُ وطابَ عقدُ لقاحها

إن المعارفَ كالرّكايا(١٠) بعضُها   (م) العذبُ الزلالُ صفا على مُمتاحها

ولقد أتيتُ بما يجرُّ من الحيا   ذيلاً ترومُ الصفحَ من لمّاحها

لازالت الأقلامُ عندك تقتفي   سبلَ المعالي فهي ضربُ سلاحها(١١)

ما فضّ ختمَ الزّهرِ أنفاسُ الصَّبا   ليلاً وفاح شذاه من فوّاحها.

وكتبت أنا أشكره على ذلك(١٢).

حسنُ(*) بنُ جعفر الفاضل بدرُ الدين بن شمس الدين البُلْبَيْسِيُّ الطبيبُ بالقاهرة المحروسة.

كتب إلى في سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وأنا بالقاهرة على وزن قصيدة نظمتها أنا، ووقف هو عليها فقال:

(من البسيط)

قامتْ مقَامَ الحُميّا رِيقُهُ الخَصِرَه ... فظلّها بعضُ أهلِ العصرِ مُعْتَصِرَه
قامتْ مقَامَ الحُميّا رِيقُهُ الخَصِرَه ... فظلّها بعضُ أهلِ العصرِ مُعْتَصِرَه
وخالَ في معْطفيْه البانَ مُنْهصِرًا ... فقَالَ في معْطفَيه البانُ: منْ هَصَرَه؟!
ولم يكن للحُميّا طيبُ ريقَتِه ... ولا نَضَارتُهُ للبَانة النَّضِرَه
منَ الأناسيِّ في أحداقه حَوَرٌ ... تمنَّت الحُورُ في أحداقِها حَوَرَه
وسحْرُ أجفانه لو كانَ عاصرَهُ ... فرعونُ موسى لأغناه عن السحره
في نفسه صلَفٌ، في قدّه هيَفٌ ... صبٌّ به كلَفٌ، أمراضُهُ خَطِرَه
تَنَالُ من خَصْرِه وصلاً مناطقُهُ ... وذاكَ معنى دقيق، وهْيَ مختصِرَه
كمثل لفظ صلاح الدين مُحْتَوِيًا ... على معانٍ من الإيجازُ مُبتكِرَه
فنظمُه اللؤلؤَ المنظومَ تَحسَبُهُ ... وتحسبُ اللؤلؤَ المنثور ما نثره
يا شاعرًا شنّف الأسماعَ ما شعره ... وعطّرَ الكونَ من أنفاسه العطره
عادَ السرورُ لمصرٍ حين عُدْتَ لها ... كهاجرٍ وصلَ الصَّبَّ الذى هجره
كانت، وقدْ غبتَ عنها، مالها قمرٌ ... كالليل. والليل يرجو أن يرى قمره
حللْتَها فلها بالفخر ألويةٌ ... (معقود(١٣))، وبك الأمصار مُفْتَخِرَه
قالتْ دمشقُ وقد جانبْتَ جانبها ... من غاب عن وجود كفّيه كمَنْ حضره
يا منْ إذا عبَرَتْ أرضًا ركائبُه ... تبقَى به وبما يمليه مُعْتَبِرَه.

فكتبت أنا الجواب إليه ارتجالا:

(من البسيط)

أهذه رَوْضَةٌ أنفاسُها عطرةٌ ... أم أفقُ ليْلٍ جلاَ لمّا انجلى قمَرَه؟!
أمْ قطعةٌ من قريض راقَ قافيةً ... ورقَّ لفظًا كدوحٍ تجتلى زهره؟!
فما يمرُّ على سمع امرئٍ ولَهُ ... ذوقٌ فيبلغ من تكراره وطره
بالغتَ مولايَ بدر الدين في مدحى ... والدرُّ كيف نَراه يمدح الشَّذْرَه
غريبُ مصرك لما حلّ رَبْعَكَ قد ... أضحى يُنْفِق فيما بينكم عُجَرَه

أنتم أناسٌ مطابيعٌ بمصركمْ أهدى الشآمُ لكم من أرضه بقره
ونظمكمْ يخلبُ الألبابَ رونقُهُ ومصرٌ معروفةٌ في الناس بالسَّحَرة
وفي عباراتكم لطفٌ يزيدُ على ريح الصَّباحين شَقَّتْ روضةَ نضره
ولفظكمْ قد حلاَ في ذوقٍ سامعه ولبس نظمى فيكم بانعَ الثَّمرَه.

حسن(*) بنُ حبيب القاضي الفاضلُ بدر الدين الحلَبي.

كتبت إليه، وقد وقفت له على قصيدة(١٤) امتدح بها القاضى شرف الدين بن المرحوم شمس الدين، بن العلامة المرحوم شهاب الدين أبى الثناء محمود. على هذا الوزن.

وقف المملوك على القصيدة التى سلبت لبه، وكشفت له عن البيان حجبه، ووصفت مناقب ممدوحها الذى أشار إليه ناظمها ونبه، وسردت مآثره التى كفرتْ خطيئة الزمن بوجودها، ومحت ذنبه، ودلت العفاة على نسمات جوده، التى كم لها من هبة فى كل هبة، واختارت لها منه كفئا أضحت المجرة طريقه، والثريا نعله، والهلال(١٥) قلامته وأزيده شرفا(١٦) إذا قلت: قُلْبه. فوقف المملوك على كل بيتٍ منها مع حسده، وقال (قد يناك من ربع وإن زدتنا كربه(١٧) وطاف به على عينه ورأسه لما كان فى الأدب كعبه، فلو تعاطاها العرب الفصاح لكانت لقلوبهم طابخة، وعلى أذهانهم ضبّه(١٨)، ولو رآها ابن نباته لوجد فى كل خطبة خطبه(١٩)، ولو استعملها الفاضل فى ترسلاته ما عمل الله له كما قيل حدبه(٢٠)، ولو نظر فضلها الكسائىُ لتحقق تجرده فى العلم وسلبه، ولو عاصرها ابن يعيش لقضى فى الوقت نحبه،(٢١) ولو أنشدتْ لحماد الراوية لقى منها غرق القربه(٢٢)، ولو شاهد ابن البواب سطورها لتأخر عما يستحقه من الرتبة، ولو نظرها ابن مقله لتمنى أن تكون ألفاتها هدبه(٢٣)، ولو سمعها ابن الرومى لقطع الرعب منه ومن أصله صلبه، ولو سعى خلفها ابن سهل لعلم أن طريقها من النظم صعبة(٢٤)، ولو حاول ابن الخياط(٢٥) معانيها لكان العجز وقع فى قبه، وضرب عليه قبه، ولو تعوّذ(٢٦) بكلماته عمارة اليمنىُ لأمن خراب عمره وصلبه، ولو، ولو. ولو(٢٧):

بيْنَ قطرِ الندى وشعركَ نسبه فلهذا ألفاظه الغرُّ عذْبَه
ما حبيب الطائىُ يا بن حبيبٍ حامداً فى القريض بَعْدَكَ كَسبه
وأرى ما نظمتَ زَهْراً، ولكن هو عندى بالأنْجُم الزُّهر أشبه
وعجيبٌ من عقد دُرٌ نفيس كلُّ قلبٍ شراهُ منك بحبّه
لو هدا لفظُهَ هُدبَةَ صبٌ لحبيبٍ لكانَ فى البُعْدِ قُرْبَه
هو حالٍ فى كل حالٍ أراه نصب عينى، والحال يطلب نصبه
ليس عندى فى الأفق، والقول حقٌ شُبْهَةٌ أن تبيت تنظم شُهْبَه

فرحت جلقَ بقربكَ حتى (كان)(٢٨) حنًا الأصيل فى الأفق خضبه
وحمامُ الغصون بالسجع أضحى يتغنّى ورقص الرّوض قُضْبه
يا أديباً أتى بشعر براه كلُّ صبٍّ بِشوقٍ وصل الأحبّه
وجوادًا جرى فجلّى فكانت حلبةٌ فى القريض للنّاس حلبه
وكميًا ما مدّ فى النّظم باعاً فاقتضى باعه إذا مدَّ قلْبه
خاض بحرَ القريض غيرُك لكنْ لم يذقْ من زُلالك العذبِ نُغبه
أىُّ شىءٍ ألهاكمُ يا بنى العصـ ـر فلمْ تلحقُوا له قطُّ رُتْبه؟!
هو عندى بالنّصر فازَ، وتبتْ يدُ من قد غدا به يتشبّه.

فكتب هو الجواب إلى عن ذلك:

يُقَبِّل كذا، وينهى بعد ولاءٍ اتخذه إلفاً وقريناً، ودعاءٍ استفتح به باب القبول، فقيل له: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً»(٢٩). وثناء به يعرف عرْف الرياض، وانتماء ليس له انتهاء ولا انقراض، وشوق إلى قرب أيامه المُسْتنيره، التى يطولُ الشرح فى وصف محاسنها، وإن كانت قصيره.

(من الطويل)

تَفَضّلت الأيامُ بالجمع(٣٠) بيننا فلما حَمِدنا لم نُدمنْا على الحمْد
جعلْنَ وداعى واحداً لثلاثةٍ جمالك والعلمِ المبرّح والمجدِ)

وصُولُ الإنعامِ الشّريف الذى أعذبَ شِرْبه، وأمطر سُحْبَه (وسهّل صعبه) (٣١)، وأذهب غيظه على الدهر وعتْبه، ورفع له بين الملا رُتبةَ وأىُّ رُتَبَه، وأعلى قدره إلى أن زاحم فى أفق التوفيق شُهْبه، ونبه منه حظا نام هراً، وصار له به فى الناس نسبه، فيا لله ذلك البر الشامل ومهديه، والفضلُ الكاملُ ومبديه، وأحسن بطرسٍ يُصبى أهل العلم بأعلامه وأفْوافه وألفاظ أخجلت الدرّ فراح مُسْتَخْفياً فى أصدافه، وفصاحةٍ تعقلُ عقول ذوى الفطر السّليمةَ، وفقرٍ يفتقر أجيادُ الحسان إلى جواهر عقُودها النّظيمة، وترسُّل يُظهر نقص الفاضل، وخمول ابنِ النبيه، وخطٍّ لو شاهده ابن البوب عاد قلمه كعصا أبيه.

(من الطويل)

(فإذا كانَ زهراً فهْوَ صُنْعُ سحابةٍ وإن كان دراً فهْو من لُجّة البحر(٣٢)

لقد تنزه المملوك فى رقم أنامله الشّريفة، واجتنى واجتلى أزهار ألفاظه العذبة، وأبكار معانيه اللطيفة، يالها معانى ظهرت من البلاغة فى أحسن الأنواع، وشرّفت الأبصارَ، وشنّفت

الأسماع، وسبت الألباب، وسلبت النفوس، وأغنت عن ترنم ألسن العيدان وارتشاف (شفاه[٣٣] الكئوس - ما أحسن ما جاءت ترفل فى ثوب طرسٍ راقمه على أهل العصر مبرز، وما أحقها - بقول ابن الرومى[٣٤]:

(من الكامل)

وحديثها السحر الحلال لو انه لم يجن قتل المسلم المتحرز

شكر الله تعالى فضله الذى طوّق الأجياد، ونفع بفضائله الوارية الزناد وأدام سح سحابه الذى جاد وأجاد، وجعل أنوار سمائه، ونار شمسه، هذه تهدي قلوب الأولياء، وهذه تتأجج فى أكباد الحساد، وقد خدم الملوك بهذه الأبيات المعترفة بالقصور، المتسترة من الحياء فى طيّ رقها المنشور، الطامحة إلى سدّ خللها لدى السبر، الطامعة فى أن تلمح عند المقابلة بالجبر وهى[٣٥]:

(من السريع)

سفكُ دما عشاقه قد أباحْ لمّا انتضى من مقلتيه الصفاح[٣٦]
أهيف ما هزّ[٣٧] قناقده إلا وغارت منه سمر الرماحْ
ولا تبدّى وجهه سافراً[٣٨] إلا وخلتُ الصبح فى الشرق لاحْ
ذو مقلة كحلاء سحّارة[٣٩] لا تحوجُ الصبَّ إلى شرب راحْ
كم أطلقت سهاماً، وكم قيّدت قلبَ محبٍّ بجراح اجتراحْ
لا تسألوها أبداً عن دمى فما على المرضى السكارى جُناحْ
يا غصن بان قصٍّ، لما نأى من طائر القلب جناح النجاح[٤٠]
ارفع قتالى فى حروب الهوى فإننى عجزاً وضعتُ السلاحْ
أنظر إلى الأجفان واعجب لها مكسورةً تسبى العقولَ الصحاحْ
إنْ زهدتْ أسيافها مهجتى ظلماً، تعلّقتُ بعدل الصلاحْ
مولى له أعلامُ علمٍ إذا ما ظهرتْ تهدى لطرق الفلاحْ
ربُّ معانٍ عذبةٍ أخرست ألفاظها العُرب النُّراة الفصاحْ
حبرُ الهدى، بحر الندى، ماجد يرتاحُ للإحسان أىَ ارتياحْ
يثنى على معروفه من غدا إلى حِمى نادى نداه وراحْ
ذو قلم قد جلّ عن قادح ينفذ فى الأمر نفوذ القداحْ
إن جاد، قلنا يا حياء الحيا أو جال، غارتْ منه بيض الصفاحْ
يا حبّذا طرس أتى منعما من ريحه الحاوى سماء السماحْ
مستملحُ الوصف، بروضاته زهر يفتر الزهر عند الصباحْ
محقق المنسوب[٤١] من خطه يخجل ريحان خدود الملاحْ

لم أنس إذ وافى (وفى)(٤٢) طيّه		نَشْرٌ نفى عنّا العنا حين فاحْ
لما دنا، أكرم به زائرًا،		حل الهنا والبشر والانشراحْ
لازال يُهْدَى دُرّه كعبة		للقصد ما هبّتْ نسيمُ الرياحْ

حسن (*) **بن علي، الشيخُ بدرُ الدين المحدث الكاتبُ**، كتب إلى أبياتا لاميّة التزم فيها الجيم(٤٣).

فكتبت أنا الجواب إليه والتزمت الميم (مع اللام) (٤٤):

(من مجزوء الرجز)

يأيها المولى الذى		فى العلم فاقَ والعَمَلْ
ومنْ حَوى فضائلا		كالقطر لما أنْ هَمَلْ
ومن لهُ تجمّلٌ		أربى به على الجُملْ(٤٥)
والبدر لا يدع إذا		تمْ علاهُ واكتملْ
أبياتك الغرُّ أتتْ		والروضُ منها قد خَمَلْ
جلت(٤٦) معانيها التى		كالشمسِ حلتْ فى الحَمَلْ
رقّص أعطافى بها		لحْنُ الخفيف والرملْ
وأبرأت جُرْحِي الذى		لو لم تجدنى ما اندملْ
مولاى أنتَ صادقٌ		وذاك بالعار اشْتَمَلْ
ولو بدا عن موجِب		منّى لكان يُحْتَمَلْ
فاخْلَعْ ودادًا قدْ غدَا،		من قدم العهْد، سَمَلْ
فقالبُ الناس إذا		صَحبْته جسما ومَلّ
فاتركْ من استنكرتَهُ		فى الودِّ يرْعَى فى الهَمَلْ
وأسلمْ ودُمْ فى نِعمةٍ(٤٧)		ما لذّ للمرءِ أمل.

حسن (*) **بن علي، بن حمد بن حميد بن إبراهيم بن شنار؛ القاضي البليغ بدر الدين الغزي**، كاتب الإنشاء الشريف بالشام المحروس.

كتب إلى وأنا بصفد المحروسة فى سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبعمائة:

(من الطويل)

تَقَلَّبْ فليس النارُ عارًا على التِبرِ		وليس ثَقَافُ السَمْهريِّ به يُزرى
وما السيف مسلولاً بشيء، وإنه		لفى الغمد أحرى أن يُضمَّ إلى الصدرِ
وما زال ليثُ الغاب يألفُ غليةً		ويأنف تَرْدادَ السفاهة من كِبْرِ(٤٨)
وفى الحجر الصلْدِ الشرّارُ، فإن جرى		على صفحه زَنْدٌ، أثار لظى الجمرِ

لقد صانت الأيامُ حدك أن يُرى   حمائله تزهى على عاتق الدهرِ
وإن جعلتك الحادثاتُ رهينة الـ   إقامة فى بيت مُنيف ذُرا الجدْر
فليس بمخفىّ سنا الشمس إن بدتْ   ولا القمر المَرْنىّ فى غُرّة الشهر
بمينا، لقد ساءت معاملةُ العلا   لديك، وقد سارتْ على منهج الغَدْر
أيُمنعُ ما أبرزته من بلاغة   تضىء بها أُفْق الدفاتر والشعر
وقد سار من ذكراك فى كلّ وجهة   نجوم، وهل يخفى سنا الأنجم الزُّهر؟!
تبسّمْ تزدْ حُسّاد فضلك غمّة   تبيت لهم فى كل(٤٩) جانحة تسرى
وقل: أنت يا ربّاه مفزعُ لاجئ   رمته بناتُ الدهر من حيثُ لا يدرى
فإن احتمال المرء ما يعجزُ القوى   أدلُّ على الأصل الكريم من الفخر
وكلُّ احتياج ليس يعقبُ ذلة   تقوم مقامَ الوفر والنائل الدَّثر
شوًى(٥٠) ما أصاب الدهرُ منك فلا تخفْ   (فما الليلُ مخشيًا على طلعة البدر)
إذا ذهبتْ دنياك فالدّين مكسبٌ   وما زهرة الدنيا بأنفس ما نشرى
ولابدّ بعد اليأس أن يثمر الرّجا   وطول احتباس الغيث أوفرُ للقطر
عليك سلامٌ من خليلٍ وفاؤه   وفاءُ أقاحى الروض للوابل الغمْر.

فكتبت أنا الجواب إليه:

(من الطويل)

أشعرك أم روضٌ تبسّمَ عن زَهْر؟   ولفظك أم عقدٌ تنضد(٥١) من دُرّ؟!
بعثت بأبياتٍ بها شغفُ النُّهى   من المثل السّارى إلى الحكمة البكر
وأودعتها من لفظك العذب قهوةً   إذا ارتشفتْ لا إثم فيها مع السكر
وأطلعت هاتيك المعانى كواكبًا   تضىء لأهل الفهم فى حندس الحبر
فهوّنتَ ما ألقاهُ من حادث الرّدى   وعرفتنى قدر المثوبة والأجر
ولذّ لدىّ الصبرُ إذا مُرّتْ به   فيا من رأى غيرى تلذّذ بالصبر
وقاسمتنى فيها هُمومًا حملتها   وهذا دليلُ الفضل فى خلق الحرّ
وبالرغم أن ألقى مُحيّاك سافرًا   ولم تلق منّى ما عهدتَ من البشر
وهل لاقٍ بالظمآن مثلى إذا التظتْ   حشاه وذابتْ، أن يصدّ عن البحر؟!
ولكن عذرى واضحٌ فى تخلّفى   وما كلُّ خلّ صدّ متّضحُ العذر
وحسبى بأنى أقطع الليل ساهرًا   ويحرم حتى ناظرى رؤية البدر
وهب أننى صبّرت قلبى على الأذى   وقابلتُ هذا الأمر بالحمد والشكر
أليس من الخسران أن لياليًا   تمرُّ بلا نفع، وتُحسب من عمرى؟!

وكتب هو إلىّ، وأنا بالقاهرة المحروسة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة:

(من البسيط)

ليلُ التَّجنُّب من أجفاننا شُهُبُه   ومجدبُ الربع ما كانت دماً سُحُبُه(٥٢)
ما للنوى أطلعتْ فى غاربٍ قمراً   يقلّه(٥٣) البانُ يومَ البيْن لا غربُه
تنظّمتْ عبراتى فى ترائبه   عقداً، كما انتثرت فى وجنتى سُخُبُه
يامَن وفى الدّمعُ، إذ خان الودادُ، له   غدرُ الحبيب وفاءُ الدمعِ أوْ سببُه
قد كنتُ أحسبُ صبرى لا يدومُ(٥٤)، وقد   مضى، وفى ذمّة الأشواق أحتسبُه
يا نازحاً سكّن القلبَ الخفوقَ ومنْ   إحدى العجائب نائى الوصلِ مقتربُه
ما لاحَ برقٌ، ولا ناحتْ مطوّقةٌ،   ولا تناوحَ من بان الحمى عذَبُه
إلا تساعد قلبى، والدموعُ، وإحـ   ـناءُ الضلوع على شوقٍ علا لهبُه
حكيْت يا برقُ قلبى فى الخفوق، ولمْ   يفُتْك إلا لهيبُ الوجْد لا شنَبُه
من لى بأغيدَ، بدرُ التمِّ حين بدا   قد ساء، إذ رام تشبيهاً به، أدبُه
ممنّعٌ بالذى ضمّتْ غلائلُه   من القنا، وبما أصمتْ به هدبُه
بين الأسنة محجوبٌ ولو قدروا   ما قوسُ حاجبه أغنتهمُ حجبُه
سلبننى بالضنى لحمى لواحظُهُ   (وهمْ أسْدُ الشّرى المسلوب لا سلبُه)(٥٥)
لو لم يكن(٥٦) ريقه خمراً ومرشفُه   كأساً، لما كان يحكى ثغره حببُه
كذا ابن أيبك لولا ما حواه لما   عن الكتائب أغنتْ فى الوغى كتبُه
ذادَ(٥٧) الأولى عن طريق المجد ثمّ نحا   آثارهُ، فعلتْ أجبالَهم هضبُه
وآب يقطفُ من أغصانه ثمراً   إذا أتى غيره بالشّوك يحتطبُه
أقلامُه فرحاً بالفضل أنملُها   كلٌّ مخلَّقُ ثوبِ الجد مختضبُه
تكادُ السُّها تمتدُّ من شغفٍ   إلى أجلِّ معانى القول تقتضبُه
يراعةٌ روعتْ لا ماتَ أحرفُها   أحشاءَ منحرفٍ لا ماتَه يلبُه(٥٨)
أضحتْ مسبِّبةَ الأرزاق حين حكتْ   سبّابةً لعدوٍّ قدْ وهى سببُه
يا من يُجيلُ قداحَ الميسرِ ارمِ بها   وارمِ الفجاجَ ليُسرٍ نجحُه طلبُه
واقصد جناب(٥٩) صلاح الدين تلقَ فتى   يهزّه، حين يُتلى مدحُه، طربُه
بنَتْ على عُنُقِ العيُّوقِ همّتُه   بيتاً، يمدُّ(٦٠) على هام السُّها، طنُبُه
قدْ أتعبتْ راحتاهُ الكاتبينَ ولمْ   يُدرِكْه، حين جرى نحو العلا، تعبُه
فاعجبْ لها راحةً تسقى اليراعَ ندى   إذْ لم تكنْ أورقتْ فى ظلّها قضبُه
تناسبَ الدرُّ من ألفاظها، وإلى(٦١)   بحْر الندى، لا إلى بحر الدُّنا، نسبُه
يرضى ويغضبُ فى حالىْ ندًى وردًى   وبينَ هذين منهوكُ الحمى نشبُه
رضاهُ للطالبى جدواه، ثمّ على   ما تحتوى يدُه من ماله غضبُه.

فكتبت أنا إليه أشكره:

(من البسيط)

أغصنُ قدُّ أقلتْ بانهُ كثُبُه ... أم درُّ ثغرِ حبيبٍ زانه شنَبُه؟!
أم روض حزنٍ جديد النبت قد بسمتْ ... فيه أقاحيه لما أنْ بكت سحُبُه؟!
أم جانبُ الأفقِ قدْ دجَتْ حنادسُه ... للعين لما ازدهَتْ، فى لمعها شهُبُه؟!
أم بنتُ فكرِ جلاها لى أخُو أدبٍ ... خطابهُ زان جيدَ الدهرِ أو خُطبُه؟!
قريضهُ تعرفُ الأسماعُ جوهرَه ... فتنتقى حليَها منه وتنتخبُه
فلو همَى الشعرُ قطرًا قبله لغدَا ... يروى الرُّبامنه هامى الغيث منْسكبُهُ
ونثرُه لم يُداخِلْ مسمعىْ أحد ... إلا ورنّح منه عطفَه طربُه
وخطهُ مثلُ صدغِ زرْفنَتهُ يدُ الـ ... حسنِ البديع وقانى الخد ملتهبُه
لوضْعه شهدةٌ بالحسن قد شهدَتْ ... وقد تبرأ من ياقوته نسَبُه(٦٢)
ولابنِ مُقْلةَ عينٌ ما رأت حسَنًا ... هذا، ولو عاينَتْهُ ما انقضَى عجبُه
هذا هو البدر لا النجم البُصيصُ فقدْ ... مدّتْ على ابن هلالٍ فى العُلا طُنُبُه
جزاكَ رُبك بدرَ الدين خيرَ جزًا ... عن امرئٍ لم يطُلْ نحو العُلاسببُه
بالغت فى مدْحه فالله يجعلُهُ ... كما تقول لتعْلُو فى الورى رُتَبُه.

وكتبت أنا إليه مُلْغزًا فى ضبُع:

(من الخفيف)

أيُها الفاضلُ الذى من يُجاريـ ... ـه تقوّى فيما ادعى وتقوّلْ(٦٣)
والذى منْ أرادَ يُبْصرُ قسًّا ... فعليه دُونَ البريّة عوّلْ
هاتِ قلْ لى: باللهِ ما حيوانٌ ... ثابتُ الخلقِ قطُّ لا يتحوّلْ
عينُه إنْ قلَعْتَهَا يتبدَّى ... حيوانًا غيرَ الذى كان أوّلْ(٦٤).

فكتب هو إلى الجواب عن ذلك(٦٥)

(من الخفيف)

يا إمامًا طالَ الورى بمعَانٍ ... فى المعَالى يفوتُ منْ قدْ تطوّلْ
وإذا أعضلَ السؤالُ فما زا ... لَ عليه فى المعضلاتِ المعوّلْ
أىُّ زهرٍ أهديتَهُ غضٌ، عنه ... طرْفَهُ واستحالَ، زهرُ(٦٦) المحوّل؟!
حسِنَ ألغزتَ فى معمّى هدانى ... نحوهُ الفكرُ حين سوَى وسولْ
حيوانٌ إن صيروا رأسه العيـ ... ـنَ رأوْهُ إلى الجمَاد محوّل(٦٧)
فابقَ واسلم تُفيدُ علمًا وجودًا ... (فهمًا) ليس لامرئ متأوّل.

وكتبت إليه وقد شرب دواء:

(من الطويل)

شَرِبْتَ الدّوا فى طالع السّعد والمُنَى — وطرْفُ الأعَادى عنْ مَحلِّكَ مطْرُوفُ
فَكَرِّرْ على بيت الخَلا غيرَ قاصرٍ — على رغم أنفِ الصّلّ، والقصدُ معْرُوفُ

قولى رغم أنف الصل، أردت به قوله من أبيات نَظَمَهَا فى شخص هجاه، وشبَّهَه بالصّلّ.

فكتب هو الجواب إلى:

(من الوافر)

أبا شيْخى الرّئيس لقد أتانى — شفاءٌ منك ريشَ به جَنَاحى
كلامٌ رقّ حتى كادَ لُطفًا — يسيلُ، وسلْ عن الماءِ القَرَاحِ
شدَدْتَ به قُواىَ فَصحَّ عندى — وحقِّكَ، أنه بُشْرَى الصّلاحِ.

وكتبت أنا إليه، وقد جاءته بنت:

(من الوافر)

تَهَنَّ بها وإن جاءتْكَ أنثَى — لأن الشّمس بارعةُ الجمال(٦٨)
(وما التأنيثُ لاسم الشمس عيْبٌ — ولا التذكيرُ فخْرٌ للهلالِ(٦٩)
ولو كان النساءُ كمَنْ أتانا — لفُضِّلَتْ النساءُ على الرّجالِ) .

وكتب هو إلىّ الجواب عن ذلك:

(من الوافر)

أتانى من هَنَائكَ يا رئيسًا — تَتِيه به المعَانى والمعَالى
ومن آثارِ جودِك ما أرانى — حَيًا، أهدتْهُ لى ريحُ الشّمَالِ
وكم أقْرَأتَنى وقرأتُ فضلاً — يفوتُ الحصْرَ من أدبٍ ومالِ.

وكتبت إليه مع أُبْلوجةِ سُكَر، وكنت قبلها قد أهديتُ إليه قليل قَطْر(٧٠)

(من المجتث)

أُبلُوجةٌ بعثْتُها — محبّةً لك عندى
فى اللّون والكون أضحتْ — تخالُها نهدَ هندى.

فكتب هو الجواب إلى:

يُقبّلُ كذا، وينْهى وصولَ صدقته الجارية، وهديته التي جاءت بين الحسن والإحسان مُتَهادية، وهندِيّته التى قام نهدها مقام ثغر الغانية، «وأشرقت الأرضُ بنور[٧١]، وجهها، وكأن القمر فيه من كل ناحية، نهدٌ أبرزه الصدْر، وشهدٌ ما تجرّعتُ دون اجتناء حلاوته من إبر النحل[٧٢] مرارة الصبْر، وهرمٌ أكسب رونق الشباب وجهَ الدّهر، ووجهٌ طُبع على دائرته ليلةَ تمامه البدر.

فقابل المملوك تلك المنحةَ بدعائه، وشُكره المُفرط وثنائه، ومدْحه الذى يندرج شواهدُ وُدّه الصادقِ فى أثنائه.. وتذكّر بها ما مضى، وشكرَ يدَ الكريم الذى استأنف إحسانه السابقَ وما انقضى، فذكر بنضار القَطْر السائل، ولُجين هذا الماء القائم قول القائل:[٧٣]

(من الكامل)

(وكـــذا الكريمُ إذا أقـــامَ ببلدةٍ سـالَ النُّضـارُ بهـا وقـام المـاءُ).

وكتب هو إلى فى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، ونحن بدمشق المحروسة فى يوم وقع فيه ثلج كثير إلى الغاية:

يُقبّلُ (الأرْضَ[٧٤]) المشْرفَة بتُربتها، المُشرفةَ على كيوان الأشرف بعيون شُهبها، المُسْرَفَةَ بما تبسطه من أرزاق الآملين أيادى سُحُبها، المُشْرِقَةَ فى الدهر المُدْلَهِمّ: بنور ربها. وينهى أنه سطرها والثلج قد نَفش صوفَه، ونشرت شُفوفه، ودلّيت على ترائب الجدران ذوائبه الشّائبةَ، ودُليّت قطوفه، ولبس، على رسم المتعمّمين لنظر هذا المقبل؛ تشْرِيفه، وبَسط على بطائن الطرق قطنه الطائر بقوس الغمام نديفه، ولبَثَ على وجه الثرى خمارُه، وعلى أرداف الزُّبا[٧٥] نصيفه.. وأُرخيت على أعطاف الأغصان عذَبَه[٧٦]، وبَرقَتْ فى جباه الأنهار أساريرُه، وبدا فى ثغور الجداول شنبه، وأُرسلتْ بلزوم المحجّة البيضاء إلى أهل الأرض نُجبُه، وأُسدلت على وجوه المسالك ستورُه المانعة وحجبُه، وحُملت على رءوس الأغصان، وعيونِ الزّهر، أمواجُه الزاخرةَ وكُتبُه. وأخذ الأبصارَ الرامقةَ بريقه، وردّها بصيصه، ورصّعت فى بدنات الأبنية فُصوصه، وسدّ به خصاص كل بيت لولاه ما ثُلّت عروشُه، ولا هُدّمت خُصوصه، وضعفت قوائمُ الجدران منه عن حمل ما ثقّلَ على البنيان المرصوص مرْصُوصه.

وتطايرت صُحُفُه البيض، ونُشر ثوبه الطويل العَريض ، وسقَط طائره ومـا كَلَّ جناحه ولا هيض، ودنا فَراشُه من سرُج العيون الرامقة إلى وَميض، وانكدرت نجومه المُنحدرةُ، فلزمت الحضيض. فكم من ثُريا علقَتْ بأمراس كتَّانه إلى صمِّ جندل(٧٧)، وكم عـاودَتْ يدُ الريح به من فُتَات العِهْن فى كل منزل(٧٨) . وقد سلَس قياد اللّذَّه، وأصبحت جوامحُ خيول اللهو، التى هى إلى غـايات الأفراح مُغذَّه. ولان جـانب السرور، وفُكَّ جيبُ اللهو المزرور، وأُديل من الظلمة النور، وأتى أمر البرد بلزوم المنزل فقُبل، وقد فار التنور(٧٩) . والحُرْمةُ تقتضى إكرامَ هذا الضيف، وتُلزم قبولَه فإنه نازلٌ رحلته للشتاء لا للصيف. وإكرامُ نُزُلِه من شواهد الكرم، والاعتدادُ لمثله أولى ما شُدَّتْ به أواصرُ الحرَم، وهو فما خرج عن العادة ولا خَرَم، وقد أتى والزمانُ فى شبيبته فسرّ، ومثله لا يأتى على الهرَم(٨٠) . والخـادم يتوسَّلُ إلى أخلاق مولانا السَّريّةِ، وطباعهِ التى خالفت من السوء ما فى الطِّباع البشرية، وشمائله التى:

(من الكامل)

(هىَ المـاءُ أو أندَى من المـاء رِقَّةً ولطفًا إذا شيـبتْ بـه الرّاح واللمى
تُجـيبُ إذا هُزّت بعــزم كـأنَّهُ صـفـيحـةُ هندىٍّ إذا هُزَّ صـمَّمـا)

بأيام الصبر التى خلت عهودُها المواضى، وليالى الوصل التى حُلت عقودُها من خلف القاضى، والنفس المطمئنة بالتزام المعشوق إذا حصل التّراضى، فى الاستعساف بنظره، وقضاءِ وطرِ العبد الأصغر ووَطَرِه، فإن النار قد التهب جمرُها، واشتبهت سودُها وحمرُها ولبست المسالكَ الثلوج(٨١) وحبست عن الدخول إلا فى لذّة لا يحسُنُ معها الخروج. والعبد عاكفٌ فى البيت لا يريم، ومولانا البادئ، وله الفضل، وكذا الكريم(٨٢) . والرأى أعلـى ، وأحق بأن يُمْتَثَل ما يقْتضيه وأولى. إن شاء الله تعالى.

فكتبت أنا الجواب (إليه)(٨٣) عن ذلك:

يقبل الأرض، وينهى ورود المشرف الكريم فى هذا اليوم الذى ابيضت رايته، وعُظّمت فى الآيات آيتُه، وجُعلت إلى القيامة غايتُه، وتطايرت صحفُه، ونُشّرت مُلاءته، وغطّت

الأرض لحفه. وانتشر في الجو جراده، وملأ الفضاء انعكاسه واطراده، وذر على الوجوه من الكآبة رماده، ومنع كل جفن كراه، فما يرجع برقاه رقاده، وبهر كل طرف بياضه حتى اتهمه سواده، وأذهل كل صب عن إلفه، فما تلهيه ربابه ولا سعاده. فأقبح به وإن كانت ثغوره ضحاكة، ويده لحصا الكافور فراكه، وأبعد به وإن ملأ الفضاء فضه، وجعل الوهاد والربا بعد قشفها وكلفها غضة بضة. فوقف المملوك منه على «حدائق ذات بهجة»[٨٤]. (ورأى بـه طريق البيان ونهجه)[٨٥]، وفداه بماله من عين وما يملكه من مهجة، وغرق من عجائبه في لجة بعد لجة، وتحقق أن قلم مولانا مج فيه درة يتيمة في كل مجة. فهاله ما وقف عليه من هذه الأوصاف، وعلم أن الاعتراف له بالعجز من جملة الإنصاف. فما يصلح هذا البز لابن المعتز، ولا هو مما يومى إلى ابن الرومى، ولا هذا التمام من ريحان أبى تمام، ولا هذا المعجز الذى يشيب، مما افتخر به أبو الطيب. بلاغة المعانى قرنها مولانا بفصاحة العبارة، وإتقان التشبيه ضمه إلى حسن الاستعارة. فلله هذه الكلم التى صاغها لسانه، وأتى بها حسانه، وأهداها إحسانه.

وقد قابل المملوك أمر مولانا بامتثاله، وهو فى عزم الحضور إلى بابه العالى، لا زال أولياؤه فى ظلاله. هذا إن تقشع هذا السحاب، وشمر ذيله السحاب. وأقلع هذا النوء الذى زاد ندف قطانه، وضيق فسيح المنزل على قطانه. وإلا فالطرق قد طمت خنادقها، وجالت فى رقعتها أولاد الزنا، وتفرزنت بيادقها[٨٦]. وكل خمسة أو ستة قد وقوا عند سبع صنعوه، وإذا مر بهم أحد تناولوه بكرات الثلج وشقعوه أو سقعوه. وما يسمع له كلام، والله المسلم منهم والسلام. وإن أمكنت الفرصة حضر المملوك إلى مولانا ونال معروفه، وإلا فناذره خبر طرى مع الأشرف فى مثل هذا اليوم معروفه. انتهى ذلك.

وكتب هو إلىّ أيضاً:

(من مخلع البسيط)

يـا مـاجـــــــدًا لـم يـزل نـداهُ   أولـــــى بـــــتقريـــــظ كُلّ مثنِ

ومن غـــدا بالصـــفـــاء يُكنى ووُدُنـا عـنـه لـبـس تُكـنـى
نحن افــتــراقًا بنات نَعْش[٨٧] فــي ظُلْمَةَ الـهـمّ والـتَّمنّى
فـــســر إلينا تكن ثُرَيَّا وادخُلْ علينا بغـــيـــر إذْن
ولا تَـــدَعْنَا نئِنُّ شَـــوْقًا ولا تَقُلْ لـلـرســـول: إنّى.

فكتبت أنا الجواب عن ذلك:

(من مخلع البسيط)

أبيَاتـكَ الـغُرُّ قـــد أتـتـنـى فـــشـــرفـــتنى وشنّفـــتنى
شِعرُك فـــيـــهـــا ظريفُ لفظ (لطيف)[٨٨] معنىً، خفيفُ وزنِ
قـــد أثْقَلَتْ كـــاهلى بشُكرٍ فكلّ مَنّى إذ كلّمـــتنى
فـــإن أفُز بالمـــثُولِ فـــيكمْ فـــإنّه غـــايةُ التّمنّى
وإن تخلّفتُ عن حِمَـــاكُمْ يا طُول دقّ فى الجُرْنِ حُزْنى[٨٩]

وكتب إلى وقد توالت الأمطار والثلوجُ فى العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، (وذلك) فى تشرين الثانى[٩٠]:

كيف مولانا، ألحف الله ظله، وأرشف طلّه[٩١]، ووبلَه، وحمَل على أعناقِ الأيام كلّه، وجعل مثله السّحاب الجودَ، ولا أعرف مثْلَهُ[٩٢]، وضاهى برزقه هذا الغيث الواقعَ على خلاف القياسِ كلّه، فإن هذا اليوم قد عزّز الصّنّ والصنّبرْ[٩٣]، وعجز الصبر، وعزّى سُكّان الأجداثَ (بالأحياء، فكل بيتٍ قَبْر[٩٤]).

(من مجزوء الكامل)

(يومٌ كـــأنّ ســـمـاءَهُ حُجِبَتْ بأجنحـــة الفـــواختْ[٩٥]))

(جاء بالطوفان والبحر المحيط)[٩٦]، وجــاب الصّخْرَ[٩٧] بوادى الرُّبوة دمُ سيله العبيط[٩٨]، وجال فى وجه البسيطة حياؤه، فما انبسطت الخواطر لجوهره البسيط. أُخْفت النُّجوم فى ليله. واطّلع «الحىُّ القيومُ» على رنّته[٩٩] (الراجحة) وكيْله. وتراكمت سحبُه الساترةُ فضاءَ الأفق بفضل ذَيْلِه، وأجْلَبَ على الوهاد والرُّبا برَجْله الطامة[١٠٠] وخيله. فكأنما وَهَتْ عُرى ذلك الزمهرير فهبط، أو هيض جناحُ السحاب الجَون فسقَط، أو حُلّ سلكُ النجوم الزاهرة فَفَرطَ جوهرُ ذلك القطر لما انفرط. فالجُدرانُ لهيبته مُطْرِقَه، والعُمرانُ قد تَدَاعت فلا

تقبل البناءَ جموعُها المفرَّقة، والطرق قد شرقت بالسيول، فلا تنطق آثارُها المغربية ولا المُشرِّقة. وقد قُصَّ جناحُ الارتكاض، وحُصَّت قوادمُه فما تنهض، وعَظْمُه مُنهاض. والسيل قد بلغ الزُّبا(١٠١)، وسوّى بين الوهاد المُتطامنة والربا. وبكت السُّقوفُ بعيون الدلّف(١٠٢)، وحملها المطرُ بيده العادية على خُطة خَسف، واستدل لها بمنطق الرعد على أن قُدّامها الخير، فقالت: هذا خَلَف(١٠٣). وشهرُ الصوم قد بلغ غايته، وعيد الفطر قد نصب رايته، وتلا آيته، وطلب من الموسر والمعسر كفايته. فأعاذ الله مولانا من الطلب فيه، ولا ألجأه إلى السَّعي لابتغاءِ فضل الله إلا بفيه بمنه وكرمه:

فكتبت أنا الجواب إليه:

العَجبُ من سؤال مولانا عن المملوك بكيف حالهُ، وعنده علمُ هذا العناء الذى نُصيبَ على الأينِ والنَّصَب تمييزهُ وحالُه، وهي حال أبى الطيب، وما علم ابن منصور بها، ولو علم استعمل التَّباله(١٠٤). أما ترى هذا النوءَ الذى ذُم نوالُه وحمد نَوَاه، وأذْهَلَ الصائمَ عن صومه فما بيَّت أمرَه ولا نواه، وشغله عن حسّه فما يَدرِى أفَطَر على تمرةَ أم على نَوَاه(١٠٥). قد هال الجبالَ أمرُه فشابت من الفرْق إلى القدم، وغَمَرت سيولُه الأباطحَ والرُّبا ولكن من الزيادةَ ندم. كيف يهنأ العيشُ، وبروقُ الجو سيوفٌ تخترط(١٠٦). ونفس هذه الرعود يخرج بعد ما حُبس فى حشا السَّحاب وانضغط، وإلحاحُ سائلُ هذا المطرِ فلو كان قطرُه دُرًّا، لما مدَّ الفقيرُ إليه كفًّا ولا التقط، وتوالى هذه الغيوثِ التى لو عاينَها ابن هانئ، لما قال: (ألؤلؤ دمعُ هذا الغيثُ أم نقط؟)(١٠٧). كأن الأيام قوافى اندمجت في الليل، أو النجومَ أقاحى ولكن غطَّاها تراكم السَّحاب السَّحَّاب للذيل. أو كأن الله جعل الزمانَ سرمداً فلا يتعاقبُ فيه شمس ولا قمر(١٠٨)، ولا تصفو لُجةُ الأفق بضوءٍ، ولا ترميها الدَّياجي بكَدر. قد تزاحمَت الغياهبُ على المواقيت بالمناكب، وجهلت المُدَدُ، فيا وحشتنا لحاجب الشمس ومُحيًّا القمر، وعيون الكواكب. أكلُّ هذا تشريعُ تشرين، وشرِّه شرُّه حتى نتجرع من أمره الأمرَّين، وشُهرةُ شهره، فيا أيامَ كانونَ إذا جئت ماذا تَبعينَ وتَشْرين؟ أما المساكنُ فأهلُها مساكين، وأفواهُهُمْ من الحزن مُطبقةٌ فما نفتحها السكاكين. قد انتبذ كلُّ منهم زاوية من داره، وتداخل بعضُه فى بعض لتضمَّه بُقعةٌ على مقداره، هرباً من توقيع أكفُّ الوكْف، وخوفاً من رُكوع الجدار أو سجود السقف. وما

يعتقد المملوك أن فى كانون مثل هذه الجمرات، ولا أن ساباطَ سُباطُ، وأذى آذار يرمى القلوب بمثل هذه الحسرات. وتمام التعثير فى الركوب إلى دار السعادة، والكتابة التى صارت فى هذا الزمان زيادةً فى نقص السيادة، واتّساعِ هذه الأهوال، وضيق ذات اليد مضافُ إلى ضيق النفوس، وبصاقِ هذا الثلج فى وجه الضاحك منّا والعبوس، وسكرِ هذه الميازيب التى لا تبول إلا على الرءوس. وأشغالِ الديوان التى تُكاثِرُ المطَر، ولا تبلُغ الغاية من الوطَر. فنحن من الديوان فى جامعة لا جامع[109]، وباب البريد على عدد الساعات ودقُّه هامع وبرقُه لامع، لا يفتر ورودُه ولا يزال يَصِلُ حديده، وتصل وفوده. وكل كتاب يصل معه تتفرّع منه أشغالٌ عددَ حُروفه، وتُطلب فى الوقت الحاضر فلو كانت بالطابع لانهارت جوانبُ جُروفه. وصاحبُ الديوان، أسبغ الله ظلاله، فى تنفيذ المهمات أسرعُ من هذه البروق، وأنفذ من السهم فى الفضاء الذى ليس فيه ما يَصُدُّ ولا ما يعوق، فهو إذا دبَّرَ المهمّات نجَز، ودمّر العداةَ وخنَز[110]. وهذا العيد قد أقبل، وما لنا بتكاليفه قِبَل، وكل مَنْ يختصُ بشىء منها يلحظُكَ بطرفِ مُتحازرٍ كأنما به من قَبَل. والاستعانة بالله على هذه الشرور التى اتصلت نُقَطُ خطها، والفرارُ إليه من هذه الخُطوبِ التى تَعْجِزُ عن شَيْل سيلها وحدِّ حطّها. والله يرزق مولانا وإيانا حلاوة الصبر، ويجعل العدوّ بين جانحتى قبر، بمنه وكرمه. إن شاء الله تعالى.

حسنُ(*) بن محمد الشيخ الإمام البارع البليغ الخطيب نجم الدين أبو محمد بن الشيخ كمال الدين القرطبى، خطيب الجامع الظاهرى[111] وكاتب السر الشريف.

كتب هو إلى يوماً، وقد فارقته متأذياً[112] :

(من السريع)

بالله لا تغضبْ لما قدْ بدا	فأنت عندى مثْلُ عينى اليمينْ
ما أتعبَ النفسَ سوى مَن غدَا	يجْحَدُ ما أوليتَه أو يمينْ
وأنت عندى جوهرٌ قد صفا	من دَنَس الذمّ نفيسٌ ثمينْ
ووالذى يعلمُ ما قلتُه	أخبارُ مَنْ أخلصَ فى ذى اليمينْ
ما حلْتُ عن حُسْنِ الوفا فى الهوَى	وأنتَ فى هذا المكينُ[113] الأمينْ

(المملوك حسنُ بن محمد يسأل الله تعالى أن يَحرُسُ تلك الرّوحانيةَ الطاهرةَ من الكدر إن شاء الله تعالى[114]).

فكتبت أنا الجواب(١١٥) إليه:

(من السريع)

بررتَ فيما قلتَ يا سيدى ... ولستَ تحتاجُ إلى ذى اليَمينْ
والله لم أغضبْ، وحاشا لمنْ ... أراهُ عندى مثلَ عيْنى اليَمينْ
ولم يكن غيظى إلا لمن ... يميلُ عن طُرْقِ الوفا أو يَمينْ
ويَفْترى الباطلَ فى قوله ... عنى وليس الناسُ عنه عَمينْ
ويظهرُ الودَّ الذى إن بدا ... ظاهرهُ، والغشُّ(١١٦) فيه كمينْ
فغشُّه غشّى نفوسَ الورى ... ممنْ ترى، والسَّمُّ منه سمينْ.

ونظم يوماً هذه الأبيات فى سنة تسع عَشْرَة وسبعمائة بصفد المحروسة:

(من السريع)

قمْ ننتهزْ فُرصةَ أوقاتنا ... فالوقتُ قد راق، وغنّى الحَمَامْ
والزهرُ قد أبدى لنا ثغرهُ ... طولَ ابتسامٍ من بكاءِ الغمامْ
فمنهُ ما أطلعَ شمسَ الضحى ... ومنه ما أبدعَ بدرَ التمامْ
ومنه ما لاحتْ يواقيتُهُ ... مثلَ كئوسٍ مُلئتْ من مُدامْ
إذا أُديرتْ فوق أغصانها ... خلتَ(١١٧) بروقاً فى بقايا غَمَامْ
تُذكّرُ العُشّاقَ محبوبَهمْ ... إذا تبدّى مُسفراً عن لثامْ
يضرمُ فى الأحشاء نار الأسى ... ووجهُهُ يدخلُ دارَ السلامْ
فكم لهمْ من نشْوَةٍ فى الهوى ... وكمْ لهمْ من سُكرةٍ بالغرامْ
ولا تُسوّفْ فسيوفُ الردى ... ليس لها دأبٌ سوى الانتقامْ
أين ملوكُ الأرضِ ممنْ مضَى؟! ... وأين من قد سادَ من عهد حام؟!
ولا تقل قدرى هذا سامياً ... فكمْ سما مثلُك من قبلِ، سامْ.

واقترح علىّ أن أنظمَ فى معناها ووزنها ورويها فنظمت حسبما اقترحه

(من السريع)

بادرْ صفا العيش وصفْوَ المدامْ ... واغتنم اللّذاتِ قبل الحِمَامْ(١١٨)
وانفِ جيوشَ الهمِّ إنْ حاورَتْ ... ببنتِ كرْمٍ أو ببنتِ الكِرامْ
فالزهر فى الدوحِ كزُهرِ السَّما ... إذا تبدّتْ فى أديمِ الظلامْ
كم سحبَتْ ريحُ الصَّبا ذيلَها ... عليه، حتى انشق منه الكمامْ
فى روضةٍ حاكتْ أكفُّ الحَيا ... لها برُوداً(١١٩) ما حكاها الأنامْ
واستَخرجتْ مكنون أزهارها ... مؤتلفَ الحُسنِ بديعَ النظامْ

وجرّد النهرُ بها صارمًا ... لما أراه القطرُ وقعَ السهام
فدعْ زمانًا مرَّ بالمنحنى ... وعدّ عن ذكر اللّوى والخيام(١٢٠)
وبادرِ الفرصةَ ما أمكنَتْ ... وأسعفِ الدهرَ بنيْل المرامْ
فليست الدُّنيا وإن أقبلَتْ ... عليه أو ولّتْ بدار المقامْ(١٢١)
فحامَ لما سامَ فيها البقا(١٢٢) ... دارَ به صرْفُ المنايا وحامْ
وكم أباد الدهرُ من معشرٍ ... من بعد أن قصّرَ عنهمْ ونامْ
وأودع الأملاكَ بطنَ الثرى ... قسرًا، ولم يرعَ لديهمْ ذمامْ.

وجاءنى منه كتابٌ من صفد المحروسة، وأنا بدمشق المحروسة فى سنة ثمانى عشْرَةَ وسبعمائة فيه نظمٌ ونثرٌ عدِمتُه. فكتبت أنا إليه (الجواب)(١٢٣):

(من الطويل)

تذكرتُ عيشًا مرَّ قدمًا وقدْ حلا ... وربعًا عمرْناه بلهوٍ وقدْ خلا
فهاجت لىَ الذكرى غرامًا ألفتُه ... وشنتْ على الأحشاء حربًا مُقَسْطَلا
وأذكت دموعُ العينِ نارَ صبابتى ... وجدّدَ لى وجْدى أخيرًا وأوّلا
ولله صبرى فى الرّزايا فإنّهُ ... جميلٌ، ولكن خانَ فيكمْ وبدّلا
وقيلَ ابتكى فى دمشقَ من الأسَى ... وإن حلّ جيشُ الهمّ فيها ترحّلا
زمانًا تقضّى أو ربوعًا تطاولتْ ... عهودُكَ منها وانمحت منها بيد البلى
ففاضتْ جفونى بالدموعِ لقولهمْ ... وقلتُ لهمْ: أبكى حبيبًا ومنزلا(١٢٤)
وهل نافسى أنّ الرّياضَ تدبّجت ... بساحاتها أو صوتَ قُمْريّها علا؟
وللورقِ من زهرِ الرّياضِ مجامرٌ ... إذا حرّكتْ عودًا تحرّقَ مندَلا
وقد راحَ فيها الدوحُ لابسَ حلةٍ ... وصاغ من الأزهار تاجًا مكللا
وغنى حمامُ الأيكِ ثمّ تراقصتْ ... غصونٌ سقتْها الريحُ كاساتها ملا
فمالتْ سكارى ثم صفّقَ جدولٌ ... فألقتْ عليه من معاطفها الحلا
فمن جدولٍ أضحى حسامًا مجرّدًا ... ومن هيف أغصانٍ تحرّكُ ذبلا
وللبيْنِ فى الأحشاء ما لو أقلّهُ ... ثبيرٌ(١٢٥) قليلًا، ملّ ثمّ تململا
كأنّ اجتماعَ الشملِ عقدٌ تعلقتْ ... بأسلاكه كفُّ النوى فتفضّلا
ففارقتُ مخدومًا حمى الله ربعَهُ ... من الدهر يومًا ما أبرّ وأجملا
سقانى طفيلًا(١٢٦) قهوةَ العلمِ والنهى ... وزاد إلى أن طال قدْرى واعتلا
وأكسبنى لما اتصلتُ برقّه ... من الفخر والعلياء مجدًا مؤثّلا
وكم نعم لو رُمتُ تعدادَها أبتْ ... وكانت من الإحصاء للذرّ أسهلا
إذا غبتُ عن أبوابه فهباتُهُ ... إلىّ كأنفاس النسيمِ توصّلا
وإن قذفتنى غربةٌ كان جودُهُ(١٢٧) ... سحابًا يوافينى فأعطى ونوّلا

ووافى كـتـابٌ منه من بَعْد فـتـرةٍ ... فـأضحى به دَمْعى على الخدِّ مرْسلا
لقـد أنشـأتْهُ راحـةُ كفِّ كفُّهـا ... من الخطب مـا أغْنَى الأنامَ فـأعضلا
تَمَنَّى مُلثٌ(١٢٨) الغيْثِ لو كان بطنَها ... ووَدَّتْ بهـا الأنهارُ لو كُنّ أنملا
على أنَّ كُتْبى لا تزالُ كتـائبًا ... ألاقى بهـا في سـاحةِ الوجـد جحْفلا
أقبِّلُ فـيـهـا الأرض أعني مؤدِّيًا ... بذلك فـرْضًا مـا أراه تنفُّلا
وإن كان فى الأحشاءِ مـا يمنعُ الفتى ... من الوَجْد والتَّبريح أنْ يترسَّلا
فـلا زالَ مـحـروس الجناب مظفَّرًا ... بأعدائه مـا هيَّج الشوقُ مُبْتلى(١٢٩)

فكتب هو (إلى(١٣٠)) الجواب عن ذلك:

يقبِّل الباسطة ألهمها الله الوفاء لمن وَفَى بعهوده، وأطلع نَجْمَها المتقد فى مطالع سعوده، وأعاد غُصنَها إلى مَنبتٍ سمَا منه رافلاً فى خلع بروده، مثمراً بدوحة منْشائه الذى ما تَفتّح ورده إلا لمـا سقَى مـاء ورده عدد وروده.. وينهى بعـد وصـف شـوقـه الذى تطاول عليـه ليلُـه(١٣١) فالهمَّا، ولمع فى دُجُنّته بارقُ اللواعج فأضرم بين الجوانح نيران الخليل لمَّا، وأجرى من جفنه القريح طوفان نوح، فلأجل ذلك هجره الوسن، ومن بعْد الهجران به ما ألمّا، وكابد فؤاده همًّا، ووالذى «يعلم خائنة الأعين(١٣٢)» بالسُّلوِّ ما همًّا، وعاهده على الأخذ بسُنّة الصَّبر الجميل، فلم يفِ بعهده، ولم يَجِدْ له عزْمًا(١٣٣)، وأراد القلمُ أن يصف ما وجده بعد البُعْد من الأسف نثرًا، فأبت البلاغة إلا أن يكون نَظْمًا.. وهو:

(من الطويل)

نأيتم فـأمسى الدَّمعُ منِّى مُوَرَّدًا ... على صحن خدٍّ صار بالسُّقم عَسْجدا
إذا مـا بدا فى وَجْنتى منهُ صيِّبٌ ... رأيتَ من اليـاقـوت نثْرًا مُبدَّدا
وإنْ نظّمته فـوق نحـرى صبَابةٌ ... تبـيّنت عقـدًا بالشُّذور مُنَضّدا
ومـا حلَّه إلا ببـرقٍ(١٣٤) تتابعتْ ... لـوامعهُ يُبْديـن نصْلاً مُجرَّدا
وكم أذهب التـذهيبُ منه حُشاشةً ... وأودعَ حزْنًا فى الفـؤاد مُجـدّدا
بدا من (سنَيْر) مُسْتطيـرًا ضياؤه ... فـآنستُ نارًا فى الدُّجُنّة مُذْ بَدَا(١٣٥)
وأمسى فؤادى كـالكليم ولمْ يجـدْ ... على النَّار لمـا أن تحـلَّلهـا هُدَى
وكـيف اهتـداءُ الصبِّ والقلبُ والهٌ ... وإدراكُهُ مُذْ غـابتَ عنـه مُشرَّدا
يهـيمُ إذا هبّتْ نسـيـمـةُ جِلَّقٍ ... ويصْبُو إذا ناح الحمـامُ وغـرَّدا
ويذكـرُ أيّامًا تقـضتْ بسـفحهـا ... فيُبْدئ نَوْحًا فـى الظّلام مُرَدَّدا
ليالى يُجلى الروضُ فى حُلَلِ الحيـا ... وغصْنُ النقـا يُبـدى عليـه تأوُّدا
تبـسّمَ ثغـرُ الزَّهرِ لمـا بكى أسًى ... ولاح كـصُبْحٍ بالظلامِ قـد ارتدَى

أأحبابنا غبتم فكم لى وَقْفَةٍ على صَفَدٍ والقَلْبُ منى تَصَفَّدا
وكم لى بهاتيك الطلول مواقف وقفتُ عليها الدَّمعَ إذ رُحْتُ مُنْشِدا
تناءى خليلٌ، يا خليلى، فاسْعِدا بدمعٍ يُضاهى المُزْنَ إن كنتَ مُسْعِدا
وأبدى صُدُودًا، والصُّدُودُ ملامةٌ وأنجز هِجْرَانًا، وأخلفَ مَوْعِدا
كذا شيمةُ الدَّهرِ الخَئونِ وَدَأْبُهُ يخون وفيًا أو يُكدِّرُ موردًا.

وأنشدنى لنفسه على طريق ابن رشيق فى الأبيات المشهورة(١٣٦):

(من الكامل)

وَلَقَدْ ذَكَرتُك بين مُشْتَجِرِ القَنَا والموتُ يَخْتَطِفُ النفوسَ بمخْلَبِ(١٣٧)
وأسنةُ المُرّان مثلُ كواكبٍ تبدُو أشعَّتُها بظُلْمَةِ غَيْهَبِ
ولوامعُ البيضِ الرِّقاقِ كأنها برقٌ تألَّقَ مُذْهبًا فى مَذْهَبِ
والحتفُ قَدْ لعبتْ كئوسُ مُدامِهِ بعقُولِنا والذِّكْرُ غايةُ مطلبى.

وأمرنى أن أنظم على هذا الأسلوب، فقلت(١٣٨):

(من الكامل)

ولَقَدْ ذَكَرْتُكُمْ بحربٍ يَنْثَنى عن بأسِها الليثُ الهِزَبْرُ الأغلبُ
والصَّافناتُ بِرَكْضِها قد أنشأتْ ليلاً، وكلُ سنا سنانٍ كوكبُ(١٣٩)
والبيضُ تَنْثُرُ كُلَّمَا نظمَ القنَا والنَّبْلُ يُشكلُ والعجاجُ يُتَرِّبُ
وحُشَاشَةُ الأبطالِ قد تلفتْ ظمًا ودمُ الفوارسِ مُسْتَهَلٌ صَيِّبُ
والنفسُ تُنْهَبُ بالصوارمِ والقَنَا(١٤٠) وأنا بذكركمُ أميلُ وأطربُ

وكتب يوماً إلى فى الاعتذار من وداع الحبيب:

(من الكامل)

يوم الوداعِ بَدَتْ شواهدُ لوعتى نارُ الخليل تَشُبُّ فى الطُّوفَانِ(١٤١).
وأردت أعتنقُ الحبيبَ فخِفْتُ أن يَغْشَاهُ سِمٌّ أو لَظَى نيرانِ.

وطلب منى أن أنظم شيئاً فى هذه المادة فقلت:

(من الكامل)

لم أطَّرحْ يومَ الوداعِ عناقَهُ مَلَلاً ودمعُ مُقْلَتَىَّ(١٤٢) سَكُوبُ
إلا مخافةَ أن يَفْتَرَّ عَنْ بَرَدٍ، وتبدو حُرْقَتى فيذُوبُ.

الحسينُ(*) بنُ سليمانَ بنِ أبى الحسنِ بنِ سليمانَ بن ريانَ؛ القاضى الفاضلُ البليغُ شرفُ الدين بنُ الصاحب جمالِ الدين الطائىِّ، مُوَقِّعُ الدَّست الشريف بحلبَ المحروسة، وناظر الدواوين(١٤٣) المعمورة بحماة المحروسة.

كتبت أنا من رحبة مالك بن طوق إلى أخيه القاضى بهاء الدين الحسن كتاباً. وفيه عتبٌ عليه بسبب انقطاع مُشَرِّفاته عنِّى.

فكتب هو إلىَّ فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة

(من الكامل)

قَرتْ بمنَصبكَ الجليلِ عيونُ ... ورنتْ إليك من السعود جُفُونُ
وأتتكَ من رُتبِ السَّعادةِ غادةٌ ... بَسَبِيكَ منها الحاجبُ المقرونُ
ودعتكَ للرُّتبِ العليَّةِ فارْقَهَا ... فى نعمةٍ وقرينُكَ التَّمْكينُ
واصعد إلى درجِ المعالى راقياً ... أعلى العُلا فلأنتَ، ثم أمينُ،(١٤٤)
والبس بهاَ الخِلَعَ النفيسةَ دائماً ... ولكَ السعادةُ فى الأمورِ تعينُ
فلسوفَ تعلو بعدها، ويطيرُ من ... أرجائها لكَ طائرٌ ميمونُ
ولقد أتى منكَ المثالُ إلى أخى ... وعلىَّ فيه من العتابِ فنونُ
وزَعَمْتَ أنى حُلْتُ عن ذاكَ الوفَا ... لا كانَ ذاكَ، ولا أراهُ يكونُ
أنا لا أحولُ، ولا أميلُ عن الوفا ... أبدًا، وفى ذا القولِ لستُ أمينُ(١٤٥)
سلْ من ضميركَ عنْ ودادىَ إنَّهُ ... عندى الأمينُ، وقولُه المأمونُ
لا تَنْسُبَنِّى للمَلالِ فإننى ... أدْرَى بما عِندى وسوفَ يبينُ.

وفى أثناء الكتاب بيتان وهما:

(من الكامل)

أبْشِرْ بها من رَحْبةٍ قد أصبَحَتْ ... كَهْفَ الغريبِ ومأمناً للسَّالكْ
وحللتَها يا مالكى فلأجلِ ذا ... قد أصبَحَت تُدعى برَحْبَةِ مالكْ.

فكتبت أنا الجواب إليه:

(من الكامل)

جاءت سطورُكَ، والسُّرورُ قرينُ، ... ولها من الحُسْنِ البديعِ فُنُونُ
الله أكبرُ كم تَلَظتْ قَبْلَهَا ... كبدى عليكَ، وكم بكَتكَ عُيُونُ
ولكم سُرورٍ غابَ عن سرِّى، وكمْ ... وَرَدَتْ علىَّ لأجلِ ذاكَ مَنُونُ

حـتى أتتْ غـرَّاءَ، بفضلُ حُسنُها ... ليلى، ولكنَّى بهـا المجْنونُ
يا حُسْنَهـا من روضـةٍ همـزاتُها ... فـوق السّطورِ حمـائمٌ وغصُونُ
أستـغـفـرُ الله العظيمَ، غلطتُ فى ... تَشْبيـهـهـا بالرّوضِ، وهْوَ الدونْ
أعـذرْ فـإنى من بقـايا دَهْشَتى ... لمـا أتتنـى بَغْتَةً مفـتُونُ
بل ديمـةُ الفضلِ التى كم قـد سقَتْ ... زَهْرًا، وكم منْهـا اسـتـهلّ هتُونُ
وغَلِطْتُ أيضاً، بل هى البـحرُ الذى ... ألـفـاظُها دررُ النُّهى المكْنُونُ
وأنا أُقيـمُ أدلةً ترضى بهـا ... والصّدقُ، فـيـما أدّعى، مضْمُونُ
من وزنهـا بحـرٌ، ومن ألفـاظهـا ... دررٌ، وقـافـيـةُ القصـيدة نونُ(١٤٦)
مـا هذه عنـدى بأولِ منّةٍ ... ما أجْرُها لـتَمَامِها ممنُونُ
عندى لفـضلكَ كلُّ طولٍ سـابغٍ ... وعـلـى مديـحـىَ فـى عُلاكَ دُيُونُ.

وكتبت(١٤٧) فى أثناء الكتابِ أيضاً:

(من الكامل)

ولقـد حلّتْ ببلدةٍ حـاشـا لظىً ... وقـبـيحِ منْظرها الشّنيع الحـالكِ
وسـمت لأنواع العذابِ على الفتَى ... فلذاكَ سمَّوها برحْبـةِ مـالكِ

وكتبت أنا إليه من صفد المحروسة، أتشوق إليه فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة:

(من البسيط)

هبّت نسيمُ الصّبا لى من رُبَا حلبِ ... فـأسكَرَتنى إلى أن ملْتُ من طربى
فـيـالهـا نسـمـةٌ أحيتْ فؤادىَ إذْ ... تنفّستْ نفّستْ عن مُهْجـتى كربى
أدت رسـائلَ، وَرْقُ الدوحِ ترْجِمُهَا ... وسطرِ البـرقُ مـا أملتْهُ بالذّهبِ
فهمتُ لما فهمتُ(١٤٨) السر حينئذٍ ... ورحتُ من راحها والشوقُ يلْعبُ بى
سحّ السحابُ على الساحاتِ من حلبٍ ... وجـادَ أكنافَهـا بالواكفِ السّربِ
وإنْ ونى، حـثّهُ حـادى الرُّعُودِ، وإن ... ضلّ الطريقَ، اهتدى بالبرقِ من كثبِ
إنْ شحّ بُخْلاً على تلك الديارِ ولَمْ ... يسُحُّ وبلاً عـلـى الأجراعِ والـكُثُبِ
فـإنّ لى مَدْمعاً يُغْنى معالمهـا ... إذا تـذكرتُهَا عـن منّة السُّحُـبِ
أوطانُهـا لىَ أوْ طارَ بهـا، ومـغـا ... نيـهـا غنَاىَ، وفى تلك الرّبا أربى
لا تسْكُنُ النفسُ إلا فى مسـاكنهـا ... والقلبُ عن ساكنيـهـا غيـرُ منْقلبِ
فـيا نسيمَ الصّبا لا زلتَ تخطرُ فى ... روض الخزّامى بذيلٍ منك منْسحبِ
إيهِ أعـدْ لى حـديثاً، لذَّ مـوقـعُهُ ... فى مسمعى، وشفَى قلبى من الوصبِ
وخـذْ بنا فيه أيضاً، فـهْوَ أعـذبُ لى ... على عـذابى به من ثغرِ ذى شنَبِ
وكرّرِ القـول لا تسأمْ، فـإنّك إن ... كـرّرتَهُ لى حـلا، أو زدْتَهُ يطِبِ

ولا تقلْ لم (١٤٩) أقُمْ بالواجبات علي … مثلي، لمثلك، فالمعروفُ لم يخبِ
فــإن شكرى عن سكرى له شُغُلٌ … حتى أُفيق من الوجدِ المُبَرِّحِ بى
لا تحسبنْ «جنةَ المأوى»(١٥٠)، سوى حلبٍ … فكم رأيتُ بها من منظرٍ عجبِ
وكم تمتعتُ فى باب الجنان بها … من حسن ولدانها، والخُرَّدِ العُرُبِ
مولاى يا شرف الدين الذى اتَّضحتْ … به المعالى، وكانت قبلُ فى حُجُبِ
وفاق بالفضل فى الآفاق كلَّ فتًى … وحلَّ من مجده فى معقِلٍ أشِبِ(١٥١)
وأحدقتْ بعلاه كلُّ مكرُمةٍ … فراح وسْطَ العلا والفضل كالقطبِ
أعيذُ فضلك يا شمسَ العلوم، ويا … بدر المحافل بالسيَّارة الشُّهُبِ(١٥٢)
أوليْتنى نعماً لو رُمتُ أنكرها … لما اختفى ذاك منّى عند كلِّ غبى
وكيف أنسى الذى أوليتَ من كرمٍ … وقد تعاطيتُ منه أرفعَ الرُّتَبِ
فيا رعى الله أياماً نعمتُ بها … من قُربكمْ، ونصيبى بعدها نصبى
مالى سوى محضِ وُدٍّ، إن رضيت به … فإنَّ ذلك لى من أنفعِ القُرَبِ
بلى وطيبُ ثناءٍ، عنك أنشُرُهُ … فيعبَقُ المسكُ فى الأرجاءِ والرُّحُبِ
وخدمةً، أنتَ تدرى حقَّ قُربتها … نعمْ وما بيننا من نسبة الأدبِ
فقدْ علىَّ بكتْبٍ منك تُنجدُنى(١٥٣) … بها، وتُنقذُنى من قبضةِ الحَرَبِ
لا تنسَ حاشاكَ عهداً بيننا أبداً … ودُمْ على وُدِّك الصافى من الرِّيَبِ.

وكتب هو إلىَّ، وأنا بحلب المحروسة فى شهر رمضان سنة تسع وخمسين وسبعمائة:

(من المتقارب)

كلامُ العواذلِ ما يُسْمَعُ … ودَعْوَى المحبةِ ما تُدْفَعُ
شواهدُها لهبٌ فى الضُّلوعِ … وفيضُ الدموعِ التى تَهْمَعُ
مساكينُ أهلِ الهوى ما لهم … معينٌ ولا شافعٌ يشفعُ
غرامٌ يغيبُ به وعْيُهم … فما يعرفُ الصبُّ ما يصنعُ
يرجُون عودةَ أفهامِهِمْ … إليهم. وما فاتَ لا يرجعُ(١٥٤)
وكيف يعودُ لأهلِ الصبابةِ … وعىٌ، ومستبعدٌ أن يعوا؟!
ولى صاحبٌ وُدُّهُ فى الحشا … لهُ مُستقَرٌّ ومُستودَعُ(١٥٥)
ألفتُ به فى زمانِ الصِّبى … فما لى عن حبِّه مرجِعُ
تمكَّنَ من مُهجتى حُسْنُهُ … فما لسواهُ بها(١٥٦) موضعُ
صلاحى،(١٥٧) خليلى، أميرى، أخى … صديقى، ذخيرى الذى ينفعُ
لقد فاق فى الفضلِ أهلَ الزمانِ … وبالَتْ محاسنُه أجمعُ
وكم قد صحبتُ من العالمين … أناساً، وهم قلَّ أن ينفعوا
ولم أرَ فيهم مُقيماً على الـ … ـوداد سواه إذا ضيَّعوا

وقد كنتُ فى حلبٍ شيِّقًا ... إليه، وقلبى بها موجعُ
أُرَجِّى اجتماعى به، والنوى ... تحولُ، وتنأى بى الأربعُ(١٥٨)
وكنتُ كرهتُ مقامى بها ... وضاقَ علىَّ الفضا الأوسعُ
وضاعَ بها العمرُ، لا فاضلَ ... إذا قلتُ، يفهمُ أو يسمعُ
وما زالَ فى أملى أننا ... تنالُ اللقاءَ ونستجمعُ
إلى أن قضى الله أن البعادَ ... يزولُ وشملى به يجمعُ(١٥٩)
فجاءَ من الشامِ فى رتبةٍ ... علتْ، وهو من قدرها أرفعُ
فلذَّ مقامى بها وانجلتْ ... همومى، وطاب لى المربعُ
ويهنيك شهرُ الصيام الذى ... هلالُ السعود به يطلعُ
ولا زلتَ فى نعمةٍ ما شدتْ ... على الأيك قمريةٌ تسجعُ.

فكتبت أنا الجواب:

(من المتقارب)

أروضٌ غدتْ ورقُه تسجعُ ... أم الأفقُ أقمارُهُ تطلعُ؟!
وهيهاتَ بل هذه رقعةٌ ... جنابُ الذى خطَّها أرفعُ
بليغٌ إذا فاهَ فى محفلٍ ... تحطُّ الأفاضلُ أن يسمعوا
وأقلامُنا فى الطروسِ، اغتدتْ ... لتعظيم إنشائه تركعُ
فضائلُه قد سرى ذكرُها ... فلم يخلُ من حسنها موضعُ
يوشّى الطروسَ، ولكنّه ... يوشّعها بالضنى يوشعُ(١٦٠)
إمامُ القريضِ، إمامُ النحاة ... إمامُ المعالى التى تُبدعُ
إذا قصةٌ خطَّ فيها فما ... يقعُ، بل بالعدا يوقعُ(١٦١)
أخى، صاحبى، شرفى، سيدى، ... رفيقى، إمامى الذى أتبعُ
صفًا إذ تكدَّر وِردُ العدا ... ومن لا صفا كيف لا يصفعُ
تغرَّبْتُ عن جلّقٍ واثقًا ... به أنْ خطبَ النوى يدفعُ
فألفيتُ أنسى به حاضرًا ... وما أرتجى عنده أجمعُ
وذكرنى طيبَ عيشٍ مضى ... سقتْهُ دموعى التى تهمعُ
فما كانَ أهنى زمانَ الصبى ... وأوقاتُه بالمنى تقطعُ
يجيءُ السرورُ كما نشتهى ... ويكملُ من قبلِ ما نشرعُ
وكم قد أعدنا سرورًا مضى ... بعزٍّ، وأنفُ العدا نجدعُ
وأحكامُنا فى الورى قد مضتْ ... فلا نتخشّى ولا نخضعُ
وكلُّ فريقٍ ما اشتكى ... إلينا، ظلاماتُه ترفعُ
فآهًا على عودِ دهرٍ مضى ... وإن كان ما فاتَ لا يرجعُ

ومالي وذكرُ صبًا فائتٍ ... وما فيَّ لو عادَ مُستمتَعْ
ولكن عُلالةُ ذي ألفةٍ ... بتذكاره للصِّبى ينْزِعْ
أيا شرفَ الدين أنتَ الذي ... به رُحْتُ للخطْب لا أضرعْ
لأنك لي شرَفٌ، رُكْنُهُ ... بفرقِ السِّماكِ غدَا يوضَعْ
وأنتَ معاذي الذي أرتجي ... إذا عصفت للردى زعزعْ
فهُنِّئتَ شهرَ الصيامِ الذي ... غدا نورُه في الدُّجى يسطَعْ
تصومُ وتُفطِرُ في صحةٍ ... صفَا لكَ من وردِها المشْرَعْ
ويؤمِنُكَ اللهُ ما تختشي ... وما تتَّقيهِ وما تجزَعْ.

وكتب إلى أيضاً وأنا بحلب المحروسة:

(من الطويل)

أيا فاضلاً في العلم ما زال بارعاً ... إمامًا لديه مُشْكِلُ النَّحْوِ واضحُ(١٦٢)
لقد سمعَ المملوكُ بيتين فيهما ... سؤالٌ لأرباب الجهالَة فاضِحُ(١٦٣)
(لنا إبلٌ ما روَّعتْها الصَّفائحُ ... ولا نقَّرتْها بالصِّياحِ الصَّوائحُ
إذا سَمِعتْ، أضيافنا من رُعاتها ... أتينَ سِراعًا، يبتدرن الذبائحُ
فما مقتضى رفعُ الذبائحِ فيهما ... ووجهِ وجوبِ النصبِ في الحاءِ(١٦٤) لائحُ
أجبْ عن سؤالي، واغتنم أجرَ سائلٍ ... له في صفاتِ الفاضلين مدائحُ.

فكتبت أنا الجواب إليه ارتجالاً

(من الطويل)

أيا فاضلاً أضحتْ رياضُ علومه(١٦٥) ... لهَا نَسَمَاتٌ بالذَّكاءِ نوافِحُ
ومن حازَ ذهنًا نارُه قد توقَّدتْ ... وفكرًا به ماءُ البدائعِ طافِحُ
سؤالك في رفعِ الذبائحِ ظاهرٌ ... وما النَّصبُ فيه إن تحقَّق لائحُ
إذا سَمَعَتْ، يحتاجُ ذا الفعلُ فاعلاً، ... وذلك في رفْعِ الذبائحِ بائحُ(١٦٦)
وأضيافنا(١٦٧) المفعولُ، فاسمَعْ مقالَ مَنْ ... يُسامي عن نقْصِ العُلا من يُسامِحُ
وخذْ قولَ شيخٍ قد تدانى من البِلى ... له شَبَحٌ نحو الضَّرائحِ رائحُ.

وكتب إلى أيضاً وأنا بحلب المحروسة:

(من الرجز)

يا فاضلاً في النحو والقرآن يا ... من فاقَ في عِلْمِهِما وحرَّرَهْ
ما اسمٌ أتى في الذِّكر، وهْوَ مفردٌ ... مُعرَّفٌ، وصفًا لجمعٍ نكرهْ؟
أجبْ سؤالي واغتنم شُكْرِي فما ... أبذلُه إلا لذهنٍ أظهرَهْ.

فكتبت أنا الجواب (إليه)(١٦٨) عن ذلك:

(من الرجز)

يـــا مـــن إذا راحتُهُ تَنــــاولَـــتْ		طِرْساً فـــقــــد روْضـــهُ وزهْرَه
أرى الــذى أردتــه «آلــهــــــة»		وبعْدَ «دون الله» فـــاعـــرفْ خـــبرَه
فــــإنْ «دونَ» مُفــــردٌ مُعـــرَّفٌ		وقـــد أتـى وَصْفًا لجــــمع نكره
وإنْ تشا فـــمثلُهُ آلـهـــــــةٌ		إلا الإلــهُ، فـــــاتخذْها تذْكِره.

أردت بذلك قوله تعالى: «أئفكا آلهةً دونَ الله تريدون(١٦٩)، أو قولَه تعالى: «لو أن فيهما آلهةٌ إلا الله (لفسدتا)(١٧٠)». والمعنى غير الله

وكتبت إليه أُعزيه في والده القاضي جمالِ الدين بنِ سُليمانَ، وقد تُوفيَ - رحمه الله - في جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبعمائة:

(من البسيط)

أظمــأت نفسَ المـعـالى يا ابن ريّانا		حـــتى توقَّدت الأحـــشـــاءُ نيـــرانا
وانهلَّ دمعُ الفؤادى فـــيكَ من حزَنٍ		وشـــقَّ البـــرقُ فى الآفـــاقِ أردانا
ومـــزَّقَ الصـــبحُ أثوابَ الدجى ورمى		حلَى النجـــوم وأضـــحى فـــيك عريانا
وكلُّ ســـاجـــعـــةٍ فى الأيك نائحـــةٌ		تُمْلى من الوجْد فى الأشــجــار أشجَانا
أتت دمـــشقَ بك الأخـــبـــارُ من حلبٍ		يا بئسَ مـــا خـــبّر الناعى وناجـــانا
وددتُ من حُرْقـــتى لو كنتُ ذا صممٍ		وما سـمـعتُ الذى أنكى(١٧١) وأبكـانَا
تكادُ صمُّ الصَّفـــا تنشقُّ من حزَنٍ		لو أنّ للصـــخـــرِ قـــبلَ اليـــوم آذانا
تكادُ تبكى المـــعـــالى فـــيك من جزَعٍ		بـالـدَّمـع، لـو وَجَدتْ لـلـدمـع أجفَانا
مـــن لـــلـــظـــلامِ إذا نـــام الأنـــامُ غدا		(يُقطِّع الليلَ تسبيحًا وقرآنا(١٧٢)؟!)
ومن لمـــحـــرابك الزاكى فليس يرى		من بعـد فَقْدكَ فـيـه قطُّ إنسـانا؟!!
كم قـد خـتـمتَ كـتـابَ الله مـتـعـظًا		وفـــى تـــدبُّره كـــمْ رُحتَ ولْهانا
وكم حـــثثتَ الخُطا نحو الصـــلاة لأجْـ		ـلِ الصفِّ الأولِ فى الأسحـار عجـلانا
تُواظبُ الصـــومَ فى يوم الخـــمـــيس (م)		وفى الاثنين حتى لقد أمسيتَ خمْصانا
وكمْ مـــمـــالكَ قـــدْ دبرتَ حوْزَتهـــا		فكنتَ خـيـرَ وزيرٍ قطُّ مـا خـانَا(١٧٣)
وتســـتــقـــيمُ بك الأحـــوالُ مـــاشيـــةً		حـــتى تـفـــيضَ بكَ الأمـــوالُ طوفـــانا
لله درُّكَ كـم جمّلتَ مـــدرســـةً		وبالكـتـــابـة كمْ شرَّفْتَ ديوانا(١٧٤)
فكنتَ فى الجُود غيثًا، والهُدى علَمًا،		وفى الحـجى حـجـةً، والعلمِ ثهـلانا
ثم اعتزَلْتَ الورى من غـيـر مـا سببٍ		(إلا لتطْلُبَ من ذى العرش رضْوانًا)(١٧٥)
ومـن أرادَ مـن الأُخرى جـــــواهرَها		أبـاعَ أعـــــراضَ هذى الدارِ مَجانا

وكان أربع مالاً عند خالقه ... وراح أرجح يوم الحشر ميزانا
فاذهب فأي ضريح بتّ ساكنه ... ترى التراب به روحاً وريحانا(١٧٦)
ولم يمت من بنوه سادة نُجُبٌ ... لمّا بنى مجدهم شادوه إتقانا
وجمّلوا الملك إذ زانوا مناصبه ... وألبسوها من العلياء تيجانا
(إن كوتبوا أولقوا أو خوطبوا وجدوا ... في الخطّ واللفظ والهيجاء فرسانا(١٧٧))
بهاؤهم ما يُباهي عزمه أحد ... وفيهم شرف باقٍ لهم زانا
وما شهابهم خاف بمطلعه ... كما كما لهم قد حاز إحسانا
تعزّيا شرف الدين الذي قبضت ... يُمنى علاه من العيوق أرسانا
بيانه ظاهر، لو أن رونقه ... للبدر، لم يخش عند السير(١٧٨) نقصانا
تالله ما دار كأس من بلاغته ... على إلا أهزّ العطف نشوانا
له عبارات نظم كلّما سحبت ... ذيولها أعثرت في الحال سحبانا
(مثل العيون التي في طرفها حور ... قتلنا ثم لم يحيين قتلانا(١٧٩))
فالناس في حلب حلت بهم تهم ... وأصبح القوم خرساً في خراسانا(١٨٠)
فلا يرع لكم سربٌ (بحادثة) ... ولا رمى شأنكم خطب ولا شانا
ولا يكدّر لكم شرب(١٨١) بنازلة ... ولا حدت لكم الأحداث أظعانا
تعلّكم بركات من تلقاه فلقد ... أخذتم منه حرزاً من سليمانا.

يُقبّل الأرض، وينهي ما عنده من الألم لهذه النازلة، والقلق لهذه الرزية، التي جعلت الدموع هامية هامله، والجزع لهذه الحادثة التي تركت الجوانح حامية، فليت القوى لو كانت حامله، فـ «إنا لله وإنا إليه راجعون(١٨٢)»، قول من فقد جماله، وعدم صبره واحتماله، وفجعه الدهر بواحده الذي ما رأت عينه مثاله، رحم الله ذلك الوجه الجميل، وقدّس تلك السريرة، التي كان الصفاء لها ألزم زميل. وما بقي غير الأخذ فيما وقع بالسنّة، والصبر على فقد من أثار النار في الفؤاد وسكن الجنّة. وقد جهز المملوك هذه القصيدة التي يسبح نونها من الهم في يمّ، ويشرح في هذا المأتم ما تمّ. إن شاء الله تعالى.

فكتب هو الجواب إليّ:

يُقبل كذا(١٨٣)، وينهي ورود المثال الشريف، يتضمن تعزية حسُن لفظها، وأثّر في القلوب وعظها، وتعيّن تسطيرها في صحائف الأفكار وحفظها، فوقف المملوك على محاسنها وأحاسنها، (وشملته من مكامنها بميامنها(١٨٤))، وتسلى بما حوته من مفصّل الرثاء ومجموعه، وأسال من أجفانه دماً بدل دموعه، فيالها من رزيّة عظمت فيها المآتم، ومصاب

كشفت حُجبُه السليمانيةُ عن حزنٍ له خاتم[١٨٥]، وتحقق المملوك من أثناء أبيات القصيدة النونية بركات ذى النّون[١٨٦]. ونظر إلى نونه[١٨٧] وقد غاص فى بحر الفضائل فاستخرج دُرّه المكنون. وقد كتب المملوك جوابَ مولانا مُعْتَرِفاً فيه بالتقصير، مُغْتَرِفاً من مَنْهَل فضله الغزير.. وهو[١٨٨]:

(من البسيط)

جددتَ فى القلبِ آلاماً وأحزانا ... أسالتِ الدمعَ من جفنىَّ طوفانا
فاعجبْ لجفنٍ يفيضُ الماءَ مدمعُهُ ... ومهجةٍ تلتظى بالحزن نيرانا
عزّيتنا فى أبينا فاكتسبتَ به ... أجراً، وأوليتنا فضلاً وإحسانا
أكرمْ به من أبٍ شاعت مناقبُه ... فى الناس، واشتهرت بالجود إعلانا
كم باتَ فى ظلماتِ الليلِ منتصباً ... فى خدمة الله، يقضى الليلَ يقظانا
كم ختمةٍ قد تلاها فى النهار، وكمْ ... (أفنى الحنادسَ تسبيحاً وقرآنا[١٨٩])
ولازم الصومَ أوقاتَ الهواجر لا ... يرتدُّ عن صومه ديناً وإيمانا
وكان يخشى فى دين الإله تُقًى ... (عند الحفيظة إن ذو لوثةٍ لانا[١٩٠])
وكان يُخشى ويُرجى فى ندىً وردىً ... والصعبُ من رأيه تلقاه قد هانا
شبْنا وأذهلنا عظمُ المصاب به ... فكلُّ صبٍّ به ذُهلُ بن شيبانا[١٩١]
سارتْ جنازتُه، والخلقُ تتبعُها ... والحزنُ قد عمَّهم فيها وغشانا
حتى ملائكةُ الرضوان مذْ علموا ... (طاروا إليه زرافاً ووحدانا[١٩٢])
نعى النعاةُ وضجوا بالنَّعىِّ له ... فأورثوا القلبَ أحزاناً وأشجانا
جارَ الزمانُ ولم يقصدْ بمصرعه ... إلا ليهدمَ للمعروف أركانا
إن الخطوب التى ساقتْ منيتَهُ ... (قتلننا ثم لم يحيين قتلانا)
من ذا يوفّى علاهُ بالرثاء ولوْ ... كان المرثّى له قُسّاً وسحبانا
لم أقضِ بالشعر حقاً من علاه ولو ... نظمتُ فى كلِّ يوم فيه ديوانا
لو قيل مَن فاق أربابَ الصلاح تُقًى ... كان الجوابُ سليمانَ بن ريّانا
إنى لأعلمُ أنّ الله يجعلُه ... (أو فى البريّة عند الله ميزانا)[١٩٣]
جبرتنا[١٩٤] بمثالٍ فيه تعزيةٌ ... به اتعظنا وعزّانا وسلانا
فيه قريضٌ بديعُ النظم مشتملٌ ... على معانٍ حسانٍ فُقْنَ حسّانا
إن رمتُ تشبيهه بالروض كان له ... فضلٌ على الروض لا يحتاجُ برهانا
الروضُ يذبلُ فى وقتٍ، ونظمك قد ... وقاهُ فكرُك طولَ الدهر ما شانا
أو قلتُ: ألفاظه مثلُ الكواكب لمْ ... أكنْ موفّيه بالوصف تبيانا
إذ الكواكبُ فى ضوء النهار أرى ... أنوارَها تختفى فى الجوّ أحيانا
لكن أقولُ: هو العقدُ الثمين، وقدْ ... نظمتَ ألفاظه درّاً وعقيانا

في أحمرِ الطِّرسِ قد سطَّرتَ أحرفَهُ كالدرِّ خالطَ ياقوتاً ومرّجانا
حفظتَ عهدَك في حالِ الحياةِ ومنْ بعدِ المماتِ، فحيِّي الله مولانا
كذا تكونُ صفاتُ الحُرِّ يحفظُ منْ يحبُّهُ، ويُوافي كيفَ ما كانَا
بذا جرَتْ عادةُ الأصحابِ تحفظُ في عهدِ المودةِ أصحَابًا وإخوانَا
لاذُقْتَ فقْدَ حبيبٍ بعدها وحمتْ وقايةُ الله مولانا وإيَّانَا.

وكتب (إلي)[١٩٥] وهو بطرابلس لغزاً في المأذنة[١٩٦]، وهو:

ما اسم (شيء)[١٩٧] إن قُصد تعريفُه فهو معروف، وإن طُلب وُجد في جُملة الظُّروف، خماسيٌ، وليس فيه إلا أربعةُ حروف، حار النحويُّ في تصريفه، وعجز عن تأليفه، مفعولٌ وهو مرفوع، محمولٌ وهو موضوع، مبنيٌّ، يدْخلُه[١٩٨] الإعراب، مرفوعٌ وهو باقٍ على الانتصاب، يقبلُ التصغيرَ والتكبير، وفيه التأنيثُ والتذكير، لا يصح فيه معنى العطف، ولا يدخلُه من الحركات إلا الوقْف. لا يُسْتَعْمَلُ إلا في النداء، ولا يُعزبُ إلا وَهْوَ باق على البناء، وفيه نوعان من أدوات الشرط والجزاء. له هيئةٌ إلى التَّبْصرةِ مُفْتَقَره، وشكلٌ خطوطُه في الهندسيات مُعتَبَره، وأضلاعٌ قَامت في[١٩٩] البسيط على كُرَه. وزوايا قائمةٌ حدَثَتْ على مُنفرجه، ومعان دقيقةٌ زادت على دَرَجه. والفقيه يرى أنه محرّمُ الابتياع، ويُنْدَبُ إلى المناداة عليه بشرط الاتّباع، مع أنه عينٌ ظاهرةٍ يصح بها الانتفاع. كم صلّى خلف إمام، واقْتَدى به، وهو أمام، حيناً يُوجد في الشام، وحيناً في بيت الله الحرام،، وحيناً تراه قائماً في ظلام اللّيل، والناس نيام. والعرُوضيُّ يعلمُ أنه بيتٌ برع حُسنا، واستقام وَزْنا. نُظم على البسيط وهو طويل، ورُكّب من سببين[٢٠٠] خفيف وثقيل. ينزَحِفُ بحذف فاصلةٍ كبرى، ويتَغيّر وزنه فترى[٢٠١] فيه كسرى. خُمْسَاه حرفٌ من الحروف، وبعضُه في بعضه يطُوف، وإن حُذف أولُه فباقيه بلدٌ معروف[٢٠٢] ومع ذلك فكل حرف منه ساكن يصح عليه الوقوف. وفيه أعمالٌ أقْصرتُ عنها، وإخْتَصرتُ منها خِيفة الملل، وتخفيفاً في العمل. وقد قَصَدْتُ بيانَ الجوَاب، ورَصَدْتُ إحسانَ الجنَاب[٢٠٣]، (والله الموفق. إن شاء الله تعالى) .؟!.

فكتبت أنا إليه الجواب[٢٠٤]:

(من البسيط)

(وإنْ صَخْرًا لتَأتمُّ الهُداةُ به   كأنَّهُ عَلَمٌ في رأسه نارُ[٢٠٥])

لحقيقٌ بأن يَصِفَه مولانا وصفَ الخنْساء[٢٠٦]، ويُعددَ محاسنَه التى أربت كثرتُها على رملة الوعساء[٢٠٧]. ويستغرق أوصافَه التى استوعب[٢٠٨] فى سَرْدِها، ويركض فى ميادين البلاغة على مُطهَّمات نُعوته وجُرْدها، حتى أبدَع فى مقاصده التى وقَف لها كلُّ سائلٍ، (وقال. فلم يترك مقَالاً لقائلٍ)[٢٠٩]. وفتح باباً ليس للنّاس عليه طاَقَه، وأصبح فى التقدم لعصابة الأدب رَأساً، والنّاسُ ساقه[٢١٠]. لا جرم أن هذا المُلغزَ فيه، قال بعضُ واصفيه[٢١١]:

(من الخفيف)

(علَمٌ مُفْرَدٌ فإن رَفَعُوهُ   رفَعُوهُ قَصْدًا لأجل النّداءِ
أنثوهُ ومنه قد عُرِفَ التذ   كيرُ، فانظرْ تناقض الأشياءِ)

وأما[٢١٢] المملوك فإنّه يقول فيه، إنه صاحب الرباط والزاوية، والمقام الذى يقال لقاعدته: الجبلُ يا سارِيه[٢١٣]، والقسمةَ التى هى على صحّة الاختلاف مُتَساويةَ. كم فى الزوايا منه من خَبيَّةٍ حنِيه[٢١٤]، وكم علَّق عليه دُرِّيةٌ من الكواكب الدُرِّيَّة. كم رأى الناسُ فى قيامه من قَاعِده، وكم لشهادته (فى الأرض)[٢١٥] من كلمةٍ إلى العرش صاَعده، وكم تُليت على الصحن منه آيةٌ من[٢١٦] المائدة. يكاد من علاه يُسامر النجومَ فى الدُّجنَّه، ويُرْقَى[٢١٧] كلَّ حين، وليس به فى الناس جنّه. هلالُه لا يزيدُ ولا ينقصُ فى الطَّرْف، وراقيه يعبدُالله فيه على حــرف[٢١٨]. قد حَسُنَ منه عكسُه المصحف، وعظُمَ قَدرُه فى البناء، فلا بدع إذا تَشَرّف. عجبَ العروضىُّ من بسيطه الطويل الوافر، ووقف على ساقٍ واحدةٍ، وكم كان له من حافرٍ[٢١٩] واستقام خطُه وفيه الدائر، وشاهدنا الفريضةَ[٢٢٠] فيه وهو غير طائر، وأقام مكانه، ونداؤه لسائر المسلمين سائر. يُجيب نداءَه الملوكُ والملائك، ويُرَى منْ يعلوهُ، وهو متكئٌ[٢٢١] على الأرائك.

(من البسيط)

إذا مـــا اطمأنت دونه السُّحْبُ إنهُ (له همةٌ لم ترضَ إلا الثّاهيا)[٢٢٢]
وحسبُكَ أنَّ القــائمــون بحـقه يحــوزون في الدّارينَ منه المـعاليا
شهـادتُه مـا ردَّها غـيـرُ كـافـرٍ ويقبلُها منْ كان بالحقِّ قاضيا[٢٢٣]
يقـولُ مُعانى الطبّ يا عـجـباً له يصحُّ وقـد ضـمـتْ حـشـاه المَراقيا.

التقط المملوك هذه الأوصاف، مما غادره سيلُ مولانا المُجْتَحف، وتذكّرها من فوائده التي ما يزالُ يحفلُ بها إذ يلْتَحِ. فإن صادفتْ محلاً من خاطره فقد تَرَقَّى إلى ما ترقّب، وإن لم يكن لها موقع فأين كلامُ مولانا وهو الدُّر الذى تنظّم من كلام المملوك وهو (الجزْعَ الذى لم يثقّب)[٢٢٤] ؟!.

ولمــا وصل فـلان الدين أوقف[٢٢٥] الملوك على هذا اللغز الذى أنشأه مولانا فأنشأ لهَ الطّرب. وأحـدث له العـجب، وتأمّل تلك المـقـاصـد التى قَصدَها وورّاها، وأخـفـى مـأخَذَها وعمّاها، فوجدها مسالكَ لا يهتدى فيها اليَرْبوعُ لنافقائه، وقال: هكذا[٢٢٦] يكونُ سلوكُ الأدب الذى طال عهدُ الزمان به وبأبنائه. وألزم المملوكَ المولى فلانُ الدين بالجواب فاستعفى من هذا المقام الذى تزلُّ فيه أقدامُ التّخيُّل، ويَعْمَى الصوابُ[٢٢٧] عن طريق التّحيُّل، فما أقالَه من هذه الورْطه، وقال أريدُ الجوابَ وشرْطَه. فأخذ المملوك على ما هو فيه من الهموم التى تَعْتَلِجُ فى صدره، وتداولَ القلمَ والقلبُ فى ضيق أنبوبة، والورق والحالُ أرَقُّ من طرسه، والمدادَ والوجودُ فى عينه أشدُّ سواداً من حبْره. وكتب وقد أعجبه طدينُ رأسه، وسوَّدَ وجهَ حظّه بخطّه لا صفحةَ قِرْطاسه، وقد عطفها عليه، وآراؤه العاليةُ فى كتمان (سرّه منْ)[٢٢٨] مساويه، والوقوفُ عليه إن كان هذا القدرُ يساويه.

وكتبت أنا إليه من طبرية[٢٢٩] ونحن بصفد المحروسة فى سنة عشرين وسبعمائة:

(من الكامل)

ولقــدْ نزلنا البــحــرَ من طَبَريّةٍ وقلوبُنا من شوقهــا تتضــرَّمُ
وكمـا علمتَ لكلِّ بحرٍ ساحلٌ[٢٣٠] والمــوجُ ينزلُ فى قــفــاه ويَلْطمُ
واللجُّ عــبَسَ وَجْهُهُ من مــوجِــه غــيظًا، وفى حــافــاته يتــبسمُ

وحبابُ ذاك الموجِ تحسبُ أنه ... دُرَرٌ تَبِثُّ على المياه وتَنْظمُ
والبدرُ قد كتبتْ أشعةُ نوره ... سطرًا على وجه المياه يُرجمُ
فكأنما هو روضةٌ من سوسنٍ ... يجرى بها للتِّبْرِ نهرٌ مفعمُ
وكأنما شررٌ حواه دُخانُه ... لمَّا تراءتْ فى حشاه الأنْجمُ
ما شاقنا إلا محيّاك الذى ... أبدًا به ظُلَمُ الدُّجى تتصرَّمُ
فنفوسُنا تشقى لبُعْدك وحشةً ... وجوًى، ولكنَّ العيونَ تَنَعَّمُ
والأُنسُ بعدك وحشةٌ، فقد اغتدى ... وجهُ المسرَّةِ كالحًا يتجهَّمُ
ما كنتُ أدرى أنَّ قُربك جنةُ الـ ... ـمأوى(٢٣١)، وأنَّ البُعْدَ عنك جهنَّمُ
حتى ارتحلتَ وفى الحشا ما فى الحشا ... والوجدُ أقتلُ، والتَّصبُّرُ أرحمُ
لا تسألنْ عن حالتى وصبابتى ... الله والشوقُ المبرِّحُ أعلمُ.

وكتب هو إلى من حلب المحروسة فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة:

(من الطويل)

يُرَقَّى(٢٣٢) إلى العلياء من ليس أهلها ... ولو حَصَلَ الإنصافُ نلتُ أجلَّها
ترقَّوا بفرط الجهل والمال فى العلا ... إلى رُتبٍ كانتْ مُناهمْ أقلَّها
بليتُ من الأيام فيما أرومه ... بطائفةٍ قد ركَّبَ المالُ جهلَها
وقد أصبحوا بين البرايا أعزَّها ... وكانوا قديمًا قبلَ ذاك أذلَّها
صروفُ الليالى قد تضاعف جورُها ... أما حلَّها أن يبسطَ الدهرُ عدلَها؟
أُرجِّى بلوغ القصدِ من رُتَبِ العلا ... إذا لم ينَلْ مثلى المعالى فمَنْ لها؟!
لعلَّ لها عُذرًا عنَ القدرِ بى، ولى ... من الله ألطافٌ تُهوِّنُ فعلَها
ولى عُقْدةٌ فى الرزق أُحْكِم عقدُها ... بغير الرضى والصبر لم أرحلها
أعالجُ فيها كلَّ وقتٍ فتلتوى ... علىَّ، وآمالى تقولُ: لعلها(٢٣٣)
وما جادَ شعرُ ابن الحسين لأنَّه ... فصيحٌ، ولكنَّ اللُّهى تفتحُ اللها(٢٣٤)
هىَ النفسُ لا ترضى بعيشٍ منغَّصٍ ... وتأنفُ من أن تقتضى المالَ ذُلَّها
فأصدرتُها عن موردِ الحرصِ والعنا ... وأوردتُها حَزْنَ الأمورِ وسهلَها
أصوغُ من الدر النفيس قصائدًا ... وأين الذى فى الناس يعرفُ فضلَها؟
إذا أنشدتْ فى محفلٍ قال أهلُهُ: ... جواهرُها فى الحسنِ لم نَرَ مثلَها
ولو فهموا حسنَ البديع الذى بها ... أقرُّوا وقالوا: ما سمعناه قبلها
تُعابُ بقُرب العهد، لو أنَّ عهدَها ... قديمٌ لكانت تُفحِمُ العُرْبَ كلَّها
وبى غادةٌ كالغصنِ، أوراقُ شعرِها ... على عطفِها، قد أسبغَ الله ظلَّها
ترامى على أقدامِها متشفِّعًا ... إليها بها فى مُغرمٍ رامَ وصلَها

حواجبها مثل القسيّ، إذا رنتْ لواحظُها ترمي إلى القلب نبلَها
وخصرٌ دقيقٌ أثقلتْهُ روادفٌ إذا ما مشتْ يستعظمُ الخصرُ حملَها
(فقلتُ لغصنِ البان: ما أنتَ قدُّها وأردافُها: يا حقفُ ما أنتَ حملَها)(٢٣٥)
من التُّرك ضاقتْ عينُها بوصالها تضايقُها بالوصل أوجب بُخلَها
إذا ما أحسَّ القلبُ منها بسلوةٍ تشفعَ بالودِّ الصحيح فسلَّها
تجنَّتْ على ضعفي، وأبدتْ ملالةً، فقلتُ وقد قبَّلتُ إذ ذاك رجلَها:
أترضينَ أنْ أقضي؟! وكان جوابُها: (إلى حيثُ ألقتْ أمُّ قشعمَ رَحلها)(٢٣٦)
إذا اجتهدَ اللوامُ فيَّ بعذلهم تصاممتُ حتى لستُ أسمعُ عذلَها
وإن أظلمتْ سُبلُ المكارم والعُلا وجدتُ صلاحَ الدين يُوضحُ سُبْلَها
خليلي خليلٌ لستُ أنسى ودادَهُ ولي نفسُ حُرٍّ قطُّ لم تنس خلَّها
تغافلَ عن وُدّي، وأهملَ جانبي بتأخير كُتْب لي(و)(٢٣٧) أعشقُ وصلَها
لقد أوحشتْ داري لبُعْدِ مزارِه وآنسَ دارًا بعدَ ذلك حلَّها
فهل يُمكنُ الدهرُ الخئونُ اجتماعَنا بجلّقَ، أو أنّى أحُلُّ محلَّها؟
أليس لهذا البُعدِ منك نهايةٌ فأرصدَ بالصبرِ الجميلِ محَلَّها؟!
مُحبٌّ على صدْقِ الوداد مُحافظٌ وصُحبتُه قد أبرمَ الدهرُ حبلَها
عليكَ سلامي مثلما هبَّتِ الصَّبا على الروضةِ الغنّاء تنفضُ طلَّها.

يقبل الأرضَ التي ما برح يشتاقُها، واليدَ الشريفةَ التي مننُها في الأعناق أطواقُها، ويتشوّف إلى مشاهدة طلعته الكريمة، فقد آلمه فُراقُها. وينهي - بعد أدعيةٍ يتّسعُ في أفلاك القبول نطاقُها - أنّ أمثلة مولانا العالية قد تأخرت عن المملوك أوراقُها، ومنع عنه إطلاقُها، وكان يجد بها مسرّةً يمتدُّ رواقُها، ونشوةً تُشرقُ بها مشارقُ القلوب وآفاقُها، ولذةً لو احمرّت طروسُها حصل لها (فعْلُ المُدام ولونُها ومذاقُها)(٢٣٨). فأرسل هذه الأبيات مدعاةً لمودّته، وتذكاراً بما سبق من صحبتِه. وهو يسألُ دوام الإحسان في الإتحاف بأمثلته. والله يزيد في علو مرتبته. بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى.

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك:

(من الطويل)

مُشرِّفةٌ، أتحفْتني، منكَ، ظلَّها وبرَّدْتَ قلبي حين أهديتَ طلَّها
وأعليتَ قدْري حين أغليْتَ قيمتي بلاميَّةٍ، قال الجمالُ: تملَّها(٢٣٩)
فلم ألقَ ما بين الحدائق شِبْهَها ولم أرَ بين الكواكبِ مثْلَها

مُخدَّرةٌ وافت على الفطرة التى ... بإدراكها تَسمو الخلائقَ كلُّها
مُهذَّبةٌ جاءت فجادت تكرُّماً ... على مُغرمٍ مازال يَعهدُ فضلَها
كأنّى قيسٌ وهى ليلى ملاحةً ... رأى دلَّها يوماً فراح مُدلَّها
فأكرِمْ بها (من)(٢٤٠) بنت فكرٍ تبرّجتْ ... وزُفّتْ إلى منْ ليس يرضاهُ بعلها
وزارتْ بإحسانٍ، وقد زأرتْ بها ... أسودُك، فاستَجْلى الضيا واستَجْلَها
ولما أتتْ نحوى سجدتُ، ولم أطُلْ ... إلى تاجها، ذُلّاً، فقبّلتُ نعلَها
فيا حسنَها من غادةٍ قد تنازلتْ ... إلىّ، وإن كان السِّماكُ محلَّها
وما كنتُ، لولا جودُ مُرْسلها، أرى ... عيونى أهلاً أن تُقاربَ وصلَها
أتتنى وما أبقى لىَ الشوقُ مُهجةً ... أعلِّلها بالقُرب حتى أبلَّها
فقد غسلتْ بالدمع أدرانَ وجنتى ... وقد نفضتْ عينى من الدمع كُحْلَها
وكانتْ بأحشائى بقايا تصبُّرٍ ... فمدَّ إليها الدهرُ كفّاً وسلَّها
فألزمتُ نفسى بالجواب فلم يُجزْ ... لها أن تُعانى أو تُعارضَ جزْلَها
وأين مدى قدرى؟ فإن شئتَ قلْ لها ... فكثْرى عندى ما يُقاوم قلَّها
وخيلى ما تجرى بميدان ركضها ... كذا ياسمينى ما يُوازِنُ رطلَها
وجزْعُ قريضى ما يُقاس بدرِّها ... كذلك خلىَّ ما يُشابه بقلَها
لئن علّقتْ للجاهلىِّ قصيدةً ... فقد علّقت هذى على الناس قُفلَها
وقد يصبرُ الحرُّ الكريمُ على الأذى ... إذا شدّةٌ حلّت وبالصبر حلَّها
ولكنها رضّتْ فؤادى إذ شكتْ ... صروفَ زمانٍ ما يرى الحرُّ حملَها
فإن تتمهّلْ إنْ أصابتك محنةً ... فإنك جرّعتَ الأعادى مُهْلَها
على هذه الدنيا الدنيّة غضبةً ... فكمْ قدْ علا فيها امرؤٌ كان سُفْلَها
ولى فيك آمالٌ قضى لى تفرُّسى ... بصدقِ ظنونٍ فيك، ألا أملَّها
وإلاّ فهوِّنْ ما تراه من الأذى ... فما زالت الأيامُ تصحبُ شكْلَها(٢٤١)
فهل ناصرٌ تلقاه، أو هلْ مُساعدٌ ... على عُصبةٍ لا يَغلبُ الحلمُ جهلَها؟!
قد استحوذ الشيطانُ منها على الهدى ... فأبعدها عن حقّه(٢٤٢) وأضلَّها
وكيف(٢٤٣) يجودُ النظمُ والبخلُ قد فشا ... لقد صدقوا إنّ (اللُّهى تفتحُ اللَّها)؟!
أمولاىَ لا تجزعْ فإنك فارسُ الـ ... كتابة إن جرّدتَ للحرب نصلَها
ستبلغُ ما أمّلتَ يا منْ صفاتُهُ ... تَسامتْ، ويا أجلى الورى وأجلَّها
ويا منْ غدتْ أقلامُهُ سمهريّةً ... تَنقَّشُ منها الطرسَ لما استظلَّها
نشرتَ لطىِّ بالمحامد بُردةً ... فوشّتها مجداً، ووسّعتَ أزلَها
وزدتَ بسنّى ريّانَ ريّاً تضوّعتْ ... ثناءً، وعن كلٍّ تحكّمتَ كلَّها
وفقْتَ بما قد نلته من فصاحةٍ ... على العُرب العرْبا(٢٤٤)، ومزّقتَ شملها
لقد دُسْتَ دوساً، حين غالبْتَ تغلباً، ... وشيّبتَ شيبانا، وأذهلتَ ذُهْلَها(٢٤٥)

فـــــــلابدّ أن تَغْفلى بـقُربـك جلَقَ فقد يجمعُ الرحمنُ لى بكَ شمْلَهَا[٢٤٦]
فـأنت فـريدٌ فى الليـالى، تهنْهـا وأنت وحيدٌ فى المعالى، فـدمْ لهـا.

يُقبِّلَ الأرضَ وينهى ورودَ المثال العالى، أعلاه الله، وأجلّه، ووضعه تاجاً على فَق الفرقد وأحلّه، فوقف لوُروده، وحلّى أُذْنَهُ وجيده بشنفه وعقوده، وانتشق من آثار أناملِ مولانا أرجَ بان الحمى وزُروده[٢٤٧] وقبّل شفاهَ سطوره التى لعَسُها مدَاد، وغازَل عيونَ معانيه التى لما تملأ بها ملأت محاجرَه بالسُّهاد، وقابل منها مُحياً من أين للبدور تَمامُه؟! وبياضَ طِرسٍ من أين للصبح ضِياؤه؟! وسوادَ نقسٍ من أين لليل ظلامُه؟.. وسحرَ ألفاظٍ من أين للدُّرِّ قيمتُه أو للعقد انتظامُه؟!

(من الخفيف)

قـــلْ فكَمْ مــنْ جَواهــرٍ فــى نِظَامِ وَدُّهَا أنهـــــا بِفيـــــكَ كَلامُ[٢٤٨])

وحاول المملوك الجواب، فجاءت هذه العوائقُ التى ما احتُسبتْ، والحوادثُ التى لم تكن كيوم القيامة، فإن لكل نفس فيه «ما كسبت، وعليها ما اكتسبت[٢٤٩]».

يا مولانا هذه مصائب طمّت وعمّت، وصرّحت بالشر وما غمّت[٢٥٠] وقيّدت إليها الأهوال وزمّت، ودَعَتْ الجفلى إلى مأدُبِها[٢٥١]، وأصمَّ المسامعَ نَعيٌ نواد بها[٢٥٢]، (فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم[٢٥٣])، قولُ من ضاقت به حيلته، واتّسَت عليه بالهموم لبلته.

(من البسيط)

(فكان مـا كـانَ مـمـا لَسْتُ أذكُره فظُنّ شراً، ولا تسألْ عن الخبرِ)[٢٥٤]

ونسأل[٢٥٥] الله تعالى فى حُسْن الخاتمة، وفجرِ هذه الليلة العاتمة، فقد «بلغتِ القلوبُ الحناجر»[٢٥٦]، وحُزّت الغَلاصِمُ بالخناجر.. وكُسرتْ برانىُّ الصبر، وحُسد من امتطى ظهرَ الأرض لمن استكَنّ فى جوانح القبر، وهذه رزايا شُموس التّثبّت بها كاسِفَةٌ، و «ليس لها من دون الله كاشفة»[٢٥٧].

اللهم اكشف هذه البليّةَ عن البريّة، ولقّ النفوسَ الظالمة، ووق البريّة، وأجرنا على عادة أجْرِنا، وعجّل فك أَسرنَا بأسرنا، إنك بالإجابة جَدير، وعلى كشف هذه اللأواءِ قدير:

ويعودُ المملوك إلى ذكر الجواب، فقد أثاب الحصى عن المرْجَان(٢٥٨) وجارى مع ضيق دائرته من له البلاغةُ والفصاحةُ مرْجَان(٢٥٩) ـ لكنه (لما)(٣٦٠) وثق بحلم مولانا وعفْوِه، وبما حازه من صفاتِهِ الرَّائقة اللائقة وصفْوِه

(من مجزوء البسيط)

(أرسلتُ نفسى على سَجِيّتها		وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتَشِمِ)(٢٦١)

والله يديم فوائد مولانا لأهل الأدب، ويجعل بابه كعبةً ينسلون إليها من كل حدب، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى.

الحسينُ(*) بنُ عليٍّ بن عبد الكافى الإمام الفاضل، أقضى القضاة جمال(٢٦٢) الدين ابن مولانا قاضى القضاة تقى الدين السبكى الشافعى نائبُ الحكم العزيز (بالشام)(٢٦٣) المحروس.

كتبت أنا إليه:

(من الكامل)

عندى جمالَ الدين، مسألةٌ غدا		تبيانُها فيما لديكَ مُحرَّرا
إذ أنتَ من بيتٍ(٢٦٤) جميعُ بنيه قد		فازُوا بما حازُوا، وقد سادُوا الورى
إن جاوَدُوا ألفيْتَهم صوْبَ الحيا		أو جادلوا أبصرتهم أسدَ الشرى
فاطلَعْ بأفْقِ الفضلِ شمساً أشرقتْ		لا ترضَ أنكَ فيه بدرٌ أسفرَا
وأعِدْ جوَابى عن سؤالىَ إنَّهُ		لك واضحٌ، إن رُحتَ فيه مُفكِّرَا
فَكرتُ والقرآنُ فيه عجائبٌ		بَهَرَتْ لمن أمسى له مُتَدَبِّرَا(٢٦٥)
فى (هل أتى)، لمَ أتانا شاكرًا(٢٦٦)		حتى إذا قال الكفور تغيّرا؟
فالشكرُ فاعلهُ أتى فى قِلَّةٍ		والكفرُ فاعلهُ أتى مُتَكثِّرا
فَعلامَ ما جاءَا بلفظٍ واحدٍ		إن التوازُنَ فى البديع تقرّرا؟!
لكنَّها حكمٌ يراها كلّ ذى		لُبٍّ، وما كانت حديثًا مفترى(٢٦٧)
فأبِنْهُ لا زِلْتَ الجوادَ بفضْلِهِ		لِمَنْ استعَانَ به لإشكالٍ طرَا.

فكتب الجواب إلى عن ذلك سريعاً:

(من الكامل)

قبلت أسطر فاضلٍ بهر الورى ... مما لديه عجائبٌ لن تُحصرا
قد نال فى علم البلاغة رتبةً ... عنها غدا عبدالرحيم[268] مُقصرا
وأراد مِنّى حلّ مشكلةٍ غدا ... تبيانُها عندى كصبحٍ أسفرا
وجوابُهُ: إن الكفورَ ولو أتى ... بقليل كفرٍ كان ذاك تكثُرا[269]
بخلاف من شكرَ الإلهَ فإنَّهُ ... بكثيرِ شكرٍ لا يُعدّ مُكثرا
فإذا مراعاةُ التوازن ههُنا[270] ... محظورةٌ لمن اهتدى وتفكرا
فاصفحْ فعجزىَ عن جوابك ظاهرٌ ... كظهورِ ما بين الثُريّا والثرى[271]

وكتب هو إلىّ أيضاً ملغزاً:

(من البسيط)

يأيُّها البحرُ علماً والغمامُ ندًى ... ومَنْ به أضحت الأيامُ مفتخره[272]
أشكو إليك حبيباً قد كلفتُ به ... مُورّدَ الخدّ سبحانَ الذى فطره
خُمْسَاه قد أصبحَا فى زىّ عارضه ... وفيه[273] بأسٌ شديدٌ، قلّ مَن قهرَه
لا ريبَ فيه، وفيه الريبُ أجمعُهُ، ... وفيه يُمنٌ ولينُ البانَة النَّضرَة[274]
وفيه كلُّ الورَى لمّا تُصفّحُهُ ... وضيعةٌ ببلاد الشام مشتهره[275]
وفيه سرٌّ[276] لطيفٌ لا أبوحُ به ... فافهمْهُ يامنْ زكتْ أنفاسُهُ العطره
وقد ذكرتُ اسمه فى غير توريةٍ ... تَبِينُ كالبدر، والظلماءُ معتكره
دامتْ معاليكَ يا أزكى الورى نسباً ... ومن له طُرُقٌ للمجد مُختصره.

فكتبت أنا الجواب وهو فى ريباس[277].

الحسينُ(*) بن على بن أبى بكر بن محمدِ العدل الفاضلُ الشيخ بهاءُ الدين بنُ تاجِ الدين الموْصِلى (الحنبلى)[278]. شيخ الحديث بالعساكرية[279] بالشام المحروس.

كتب إلى هو ملغزاً:

(من الطويل)

مــا اسمٌ إذا فكّرتَ فــيــه وجدْتَهُ يحُلُّ بتــصــحــيفٍ محلاً مُستّرا؟
بديعُ فَعَالٍ ليس يُدْرَكُ صنْعــهــا إذا فكرَ الإنســانُ فــيــهــا تحــيّرا
ويُزرى به معكوسه مُطلقًا(٢٨٠) فــإن أتى فيه تصحيفٌ فلا تَسأل القرا(٢٨١)
فتصحيــفُهُ منه دقيقٌ، وبعضُهُ قصــيــرٌ، وبعضٌ قــد عــلا وتَجَبّرا
وإن ضُعّفَ التصّحيفُ، من عين فعله فذلكَ محبُوبٌ إلى سائر الورى(٢٨٢)
وقــد جــمعَ الضّدّين نفــعًا وضــدّهُ وجــمــعًا وتفــريقًا وحلوًا مــمــرّرا
وقــد جــاءَ فى التنزيل آيٌ، بذكره وذلك أمــرٌ ظاهرٌ للذى قــرا(٢٨٣)
وجــملتــه فى الليل يُمكنُ حصرُها وإن سيمَ عــدا فى النهــارِ تَعذّرا.

فكتبت أنا الجوابَ (إليه)(٢٨٤) وهو فى نحل:

(من الطويل)

قريضك (فينا(٢٨٥)) قد غدَا شامخَ الذُرا نرى طِرْسَهُ عند البــيــان مزهّرا
يغوص(٢٨٦) عى المعنى الخفىّ بفكرةٍ تُريك دجى الإشكال فى الحــال نيّرا
أُحاشيك من عكسِ الذى قد أردْتَه وألغــزتَه يا فــاضلاً بهَرَ الورَى
وحاشاكَ من تصحيفه فهوَ خَلّةٌ غــدا بَعْضُهــا فى الناس شيئًا تقــرّرا
فــلا زِلتَ تُهــدى للأنام بدائعًا من النّظمِ مــا انهلّ الغمَامُ على الثّرى:

وكتب هو إلى أيضاً ملغزاً(٢٨٧):

(من السريع)

وصــاحــبٍ مُسْتَحْسنٍ فعلُهُ لــيْسَ لــه ثقــلٌ عــلــى صاحب
فــتــىً ولكنْ سنُّه رُبّمــا زادتْ على السّبــعــين فى الغالبِ
قلتُ: وقــد قــالوا: ابن مــا اسمُهُ ليُعْلَمَ الشــاهدُ للغــائبِ(٢٨٨)
فلْنَنْتَم(٢٨٩)، تصــحيفُ معْكوسه يَخْفَى، ولــيس الظّنُّ بالكــاذبِ.

فكتبت أنا الجوابَ وهو فى مُشْط:

(من السريع)

أهْدِى بهــاءَ الدين من فــاضلٍ فى النّظمِ لم يَخْرُجْ عن الواجب
ألغَزَ فى شىءٍ غدا حــمــلُه على رءوس الناس فى الغــالبِ
تراه لا تضــحــك(٢٩٠) أسنــانُهُ يا حسنَه من أصــفــرٍ شــاحبٍ.
كم غــاصَ فى ليلِ شــبــابٍ وكم قــد لاحَ فى صبحٍ من الشــائبِ.

وكتب هو إلى أيضاً(٢٩١) مُلْغزاً:

(من مجزوء الرجز)

وصاحبٍ مُكرمٍ ... يَنْعتُهُ مَن وَصفَه
يجودُ بالنفع على ... مَن دهرهُ ما عرفَه
وليس يُعطى حُلةً ... إلا بها قد أتحفَه
ولا يزالُ عارياً ... ويَردُهُ قد أتحفَهْ
وعكسُه مُصحفاً ... تقبيلُ ثغرٍ بشفَه(٢٩٢).

فكتبت أنا الجواب، وهو فى ميلٍ:

(من مجزوء الرجز)

هذا بهاءُ الدين لا ... يزالُ يُبْدِى طرَفَه
ألغزَ فى شيءٍ حكى ... من كلِّ قدٍّ هيفَه
وفيه من ذاكَ الذى ... حَوْشيتَه بعضُ الصفَه
بطول شبرٍ رأسُهُ ... أملسُ رابى الهدَفه(٢٩٣)
إن غاصَ فى شقٍّ فما ... يبلُ إلا طرَفَه.

وكتبت أنا إليه ملغزاً فى درهم:

(من مجزوء الرجز)

يا فاضلاً لا يَفْتُرُ ... عنه الثنا المُعَطِّرُ
وطِرسُهُ منوِّرٌ ... على رياضٍ تَزْهرِ
ولفظه المجوهر ... به الزمان يفخرِ
ما مُفردٌ مُذكَّرٌ ... وصرفُهُ لا يُنْكَرِ
مُربعٌ مدوَّرٌ ... كالبدرِ لما يبدرِ
من حازه مستبشرٌ ... وفيه هَمٌّ يُبصرِ
وَدُرُّهُ لا يُنْثَرُ ... كلامُهُ مُفسَّرٌ
مُزرعٌ مُسطَّرٌ ... بينهُ، فَهْوَ يُسْفِرُ
والوجهُ منه نيِّرٌ ... لا زلتَ غيثاً يُمطرُ
صوابُه فيُشكرُ ... ما دام وَرَقٌ تَهْدِرُ:

وصوتها يكرر.

فكتب الجواب إلىَّ عن ذلك:

(من مجزوء الرجز)

يا منْ به أفتخرُ — معْ أننى أعتذرُ
لأننى مُقصرٌ — ولستُ معْ ذا أقدرُ
عن فضله أعبِّرُ — له الثناءُ العطرُ
فيه البيانُ يُحصرُ — واللفظُ منه جوهرُ
كخطِّه إذ يَسطُرُ — ماذا يقولُ المكثرُ؟!
سؤاله المُحبِّرُ — ما مفردٌ مذكرُ
وصرفُه لا يُنكرُ — جوابُه محرّرُ
فجمعُهُ مكسرٌ — لكنهُ قد يَحصُرُ
منْ حازه بستكبرُ — وفيه همْ يُبصرُ
لا بهجاءٍ يُذكرُ — وذُرهُ لا يُنثرُ
خفيفُ وزنٍ يَكسرُ — ووجهُهُ مدوّرُ
أبيضُ حين يُسفرُ — نعمْ وفيه أسطرُ
كلامُهُ مُفسّرُ — لمنْ قراهُ يَظهرُ
وعكسُه المُعتبرُ — به أمورٌ تبدرُ
ضاربُه والمُظهرُ — عبدُ المليكِ الأبخرُ(٢٩٤)
وافتكَ منه بدرُ — وتابعتْها بدرُ
ولازمَتْكَ البِشرُ — وزال عنكَ الحذرُ

ولا برحتَ تُنصرُ.

الحسين(*) بنُ على بن مُصدّق؛ الشيخُ الإمامُ شرفُ الدين أبو عبدالله؛ الشَّيْبانىُّ الواسطِىُّ الصُّوفىّ.

أنشدنى لنفسه بالقاهرة المحروسة سنةَ ثمانٍ وعشرين وسبعمائة:

(من الطويل)

وأحورَ أحْوَى فاتنِ الطَّرْفِ فاترٍ — مسيرُ بدُورِ التَّمّ من دُونِ سَيْرِه(٢٩٥)
إذا(٢٩٦) جئتُ أشكو طرفه قال قدُّه: — (ومن لم يمُتْ بالسيف مات بِغيره).

فأنشدته أنا لنفسى فى مليح نائم:

(من الطويل)

سبانى هذا من فتًى كان نائماً — فقال عذولٌ شرُّه دون خيْرِه
أتهوى ولَمْ تدرِ العيونَ؟! فقلتُ: دَعْ — (ومن لم يمُتْ بالسَّيف ماتَ بِغيْرِه)

وأنشدته أنا لنفسي في مليحٍ يُقابلُ(٢٩٧) كتاباً:

(من الرجز)

قَـابلتُ كـتبًا معْ حبـيبٍ هاجـرٍ فسرَّ قلبًا كاد أن يفنى (و(٢٩٨)) لهْ

فقُلْتُ يا وارثُ(٢٩٩) قلبي في الهوى جـمـعْتَ بينَ الجبْرِ والمقَابلَهْ.

فأنشدني هو لنفسه(٣٠٠):

(من الرجز)

قَابلَنـي المحْبوبُ يـوماً، وغَدا يمْنحُنـي جمَالَهُ ونَائلَهْ

قلتُ لهُ: يا سـيّدي(٣٠١) جبرْتـني فهَل أرىَ من بعْـدها مُواصلَهْ؟

فقَالَ لـي: هذَا الـذي فَعلْتُه علـى سَبيل الجبْـرْ والمقَابلَهْ.

الحسين(*) بن محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن زيد بن الحُسين بن مظفر بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالله العُوكلاني بن موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زيْن العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنهم؛ السّيدُ الإمامُ البليغ المُنشِئ الشريف شهابُ الدين، مُوقّعُ الدّست الشريف بالقاهرة المحروسة، وكاتبُ السر الشريف بحلب المحروسة.

كتبت أنا إليه من الرحبة (المحروسة(٣٠٢)) سنة تسعٍ وعشرين وسبعمائة:

(من الخفيف)

مـا لقلبي عن حبّكُم قطُّ سلْوَهْ كلُّ حـالٍ منكم لدَى الصبِّ حلْوَهْ

إن بخلتمْ، حـاشـاكُمْ، بوفـاءٍ أو تَنكّبْتُمْ بعـد التّعطّف قسْوَهْ(٣٠٣)

فلكمْ (قد(٣٠٤)) قَضَى، وما نقَض العَهْد مُحـبٌ، ولي بـذلـك أسْوَهْ (م)

يا بن بنت النبيّ قلْ لي، وقـولي يا بْنَ بنتِ النّبي أفـضلُ دعـوه

هلْ بدا في الوفـاءِ منيَ نَقْصٌ أوْ جرَى فـي الحفاظِ منـيَ هفْوَه؟!

فعلامَ الإعـرَاضُ والصّدُّ عـمّنْ لم يجـدْ في سوى معاليك صبْوَه؟!

كـيف أنسى سـاعـاتِ وصلٍ تقَضّتْ ويعطفي منهـا بقـيـةُ نشـوه؟!

مـا خلتْ خلوةٌ ولم ألقَ فـيـهـا من عذارَى حـديثك العـذْب جلْوَه

حـيثُ لي من فنون نظمكَ والنثـرِ متى مـا أردتُ كـاسـاتِ قَهـوه (م)

ومـعـانٍ كـالحـورِ زفّ حُلاها منطقٌ تشْخصُ الأفـاضلُ نحْوه

كـان في مـصـرَ بقُربك أُنسٌ عن أُناسٍ لهمْ عن الخيـرِ نبْوه

وأرى رقَّة الحـــــواشي التي عنـ ... ـدك تُغني عمَّنْ غدا فــيــه جفْوه
وإذا مـــا أتيتُ ألفيتُ صـــدرًا ... منك، لي في حـمــاه حظٌ وحُظوه
واقــتــعدتُ الفـخــار بين البـرايا ... وتسنَّمتُ في الســيــادة ذُروه
وأرى أنْ لــــي ـ إذا زُرْتُ أرضًا ... أنت فـيـهـا ـ التَّشريفُ في كل خطوه
كــيـف لا، والولاءُ في قــومك الغـ ... ـرُّ أراه فــي الدِّيـن أوثـق عُرْوه؟!
مُنْيــتي أنْ أرى حمــاك بعــيني ... لا أراك الـحـمــى ولا دارَ علْوه(٣٠٥)
آه لو تُنصفُ الليــالي إذا مـــا ... حكَمتْ بالبـعــاد من غــيــر عنْوه
أوْ لـو انَّ الـقــــرار يُقْبَلُ منِّي ... ـ في اقتراب الدِّيار من مصرَ ـ رُشْوه
يا زمـانًا بمـصــر وليَّ حـمـيـدًا ... هل يجيبُ الإلهُ لي فـيك دعـوه؟!،

يقبِّل الأرض، وينهي ـ بعد ولائه الذي تَنطقُ به مخـائلُه، وتشهـدُ له دلائلُه، ويحـملُ لـواءه(٣٠٦) الذي هو في الحقيقة حاملُه؛ ووفائه الذي يصحبُه إلى وفاته، ويرفُ على رُفَاته، ويشفُّ عن صفاته سماءَ سماته؛ وثنائه الذي تنسَّمت الرياضُ به في أسحارها، وتبسَّمت من حديثه ثُغورُ أزهارها، وتنظَّمت أسجاعُ ذكره في تغريد أطيارها ـ أنه قد شغَله ألمُ الإعراض عن ألم الشَّوق، وضاقَت الرُّحْبةُ بفضائها، على أنه لا رحبةَ لابن طَوْق، وتحرَّز بالمكاتبة إلى مولانا فجاء بطوفان هجْره من فَوْق، وتطلَّب الإعذارَ في ترك الجواب، فلم يكن لها في النفس ذوبُ قَبولٍ ولا ذَوْق. على أن المملوك فارق مولانا، وما صفَّ له جفاء، ولا جفَّ له صفاء، ولا توسم من عواطفه رَدَى رَدّ، ولا سَمِعَ من عوارِفه صدَى صدّ.

(من الطويل)

(وإن يكنِ الفـعلُ الذي ساءَ واحـدًا ... فـأفعـالُه اللاتي سررن ألوفُ(٣٠٧))

وقد جهَّزَ المملوكُ هذه العبوديةَ، وهي لعواطفه مُتطلِّبةٌ مُتطلعه، مُتضرمةُ الأحشاء مُتضرِّعه، متجردةٌ من الذنوب، وإن كانت لغُصصها مُتجرِّعه، وما أجدر مكارمَ مولانا أن يُجيبَ سؤالها ويجيد، ويُعين نوالها ويعيد، ويُفيت وبالها ويفيد.

(من الطويل)

وإنْ كانَ ذنــبٌ عنْ أوتـــك هفْوةً ... على خطأ منِّي فعُذري على عمد(٣٠٨)
والله لا يعطف عن وليّه(٣٠٩) عطْفه ... ولا يصـرفُ عن صـفـيِّه لطفـه..

بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى.

فكتب هو الجواب(٣١٠) إليَّ عن ذلك:

(من الخفيف)

أنســـيمُ الصَّبَا عل الروض غُدْوه ... سَحبتْ ذيلَهـا على كلّ رِبْوه(٣١١) ؟

وســرى لُطفُهــا إلى الدَّوحِ فــارتا ... حَ فكمْ رنَّحتْ معــاطفَ سَرْوه(٣١٢) ؟!

أم سـقـوطُ الندى عى الورد كـاليـا ... قــوت إذ يجـــعلُ اللآلىء حشْوه؟!

أم تثنّى الغصـــونِ فى حُللِ الزهـ ... ـر، سقَاها السَّحابُ كاسات قهوه؟!

أم مَسيلُ المـيــاه بين رياضٍ ... بنُضـــارِ الأصـــيلِ أمستْ تُموَّه؟!

أم غناءُ الحمَامِ غــرَّدَ فى البــا ... نِ، وأضـــحى به يُرجِّعُ شدْوه؟!

أم نجـومُ السـمــاءِ زهرٌ، أم البـدْ ... رُ منيرٌ، أم مشرقُ الشمس ضحوه؟

أم وصـــالُ الحـبـيب بعْد صـدودٍ ... فـــأتى ذا لذا فـــأسْرعَ نحْوه؟!

أم بشـيـرُ الأمـانِ من بعـد خوفٍ ... لـخـلـيـعٍ رأى الـرَّبيـعَ وزهـوه؟!

أم حـــديثُ العُذَيبِ يعْذبُ فى كـ ... ـــل لَهَاة(٣١٣) لمَنْ تذكـرَ لهـوه؟! (م)

أم كـتـابٌ قـد جـاءنى من خليلٍ ... بارعٍ، فالخليلُ(٣١٤) لم ينحُ نحوه؟!

رحبُ باعٍ لرحْبـــة الشَّامِ وافى ... ذا وفـــاءٍ وعــــفةٍ وفتُوه

سامقٌ فوق هضبـة المجـد والعـ ... ـز، سبُوقٌ لـم يُدركِ الـناسُ شأوه (م)

نـاظـمٌ، نـاثـرٌ، بـلـيـغٌ، بـديـعٌ، ... مــاهرٌ، باهرُ المـقـالة أفـوه

حـيـثـمـا حلَّ فى المـمـالك حلى ... وغدا وارداً من الحـمـد صفْوه

بعــد حوْلَين قــد أتانى فــأهْلاً ... وحـبــانى عـذبَ الكلَامِ وحلْوه

وعنــانى مــن بُعْد دارٍ ولـكــن ... غَصبَتْه أيدى الحــواسد عنْوه

وأرادوا خمـولَ ذكرى فغاروا ... منه لمـا أعلى بذكـرى ونوَّه

حجـبوه عنى فـأظهـره اللـ ... ـهُ لعينى، أتحجبُ الشمسَ هبْوه؟!

قـمتُ لله شـاكـراً، ثم حلَّيـ ... ـتُ وقـد حلَّ ساحـتى كلُّ حبْوه

غيرَ أنىَ رأيتُ فيه عتاباً ... مضرِماً ما بين الجوانح جذْوه

قال: إنى بخلتُ بالودِّ كـلا ... مـا تعـمَّدتُ إنمـا هى سهْوه

ورمى أسـهمًا تمـزِّق ثوبَ الصـ ... ـبـرِ منهـا، ومنه أملتُ رفْوه (م)

ألزم الذَّنبَ قبل ذنْب فأنصفْ ... وسلِ القلْبَ: هل نوى عنك سلْوه؟!

لم يكنْ شأنىَ الصُّدودُ بلا جُرْ ... مٍ، وحـاشـا لوجْهِ وذى بشْوه

ليس مـثلي ممّنْ يحُولُ عن الودّ ... ، ولا يبْذلُ المحـبّةَ جفْوه(٣١٥) (م)

كيف يهفو ثبيرُ حلمك يا ذا الثْـ ... ـبْت لمّا ظننتُ(٣١٦) منى هفْوه (م)

أذكـرتنى أبياتُك الغُرُّ أبيـا ... ت الإمـام المحمـود أنفعَ قدْوه

سـابقٌ قـد هدى إلى النُّجح قصْدى ... لم يطقْ من سـعى هنالك خطْوه

ومعَ البُعْد كـان يدنى لىَ اللُّطـ ... ـفَ، ويشكـو له فؤادىَ شجْوه

كـان لي والداً وبراً شـفـوقاً ... فـذووه لى فى المحبـة أخْوه.

(ومنها) (٣١٧):

يا صلاحَ الدين البليغ نظاماً ... والذى من إنشائه لىَ نَشْوَه
لا تَلُمْنى على تأخُّرِ كُتْبى ... إذ ألمَّتْ بحدِّ ذهنى نبوه
كنتُ فى شدةٍ وقد فرج اللّـ ... ـهُ ونجّى فصرتُ منها بنجْوه
ونسيتُ الصّناعتين لأنّى ... حِجَجٌ قد مضَتْ ولم ألقَ حُظْوه(٣١٨)
يرجعُ الحظُّ القهْقَرَى فإذا ما ... رُمْتُ أنْ يَمْشى عاجلَتْنى(٣١٩) كبْوه
كلّما قلتُ قد مضى الهمُّ إذ مرّ ... (م) ... مساءٌ أرى المَساءةَ غُدوه
(وأعادى ظُلْماً، وأُقْهرُ ممّنْ ... مهَلِى للفخارِ يسبِقُ عَدْوه(٣٢٠)
أنا سِبطُ النبىّ وابنُ علىّ ... شرفٌ شامخٌ لأرفعَ ذُرْوه
وإذا ما اعترانىَ الدّهرُ بالعُدْ ... وانِ أمسكتُ منهما أىَّ عُروه(٣٢١)

وكانت تسعةً(٣٢٢) وستين بيتاً، وهذا القدرُ (الذى(٣٢٣) أثبته) منها كافٍ.

وكتبت إليه من دمشق المحروسة أُهنئه بالدخول إلى الدَّسْت الشريف، وقد رُسم له بالتوقيع بين يدى مولانا السلطان الملك(٣٢٤) الكامل شعبان - خلَّد الله مُلْكَه - فى سنة ستٍّ وأربعين وسبعمائة:

(من الطويل)

أيا فخرَ ملكٍ أنتَ فيه تَوَقُّعُ ... ويا عزَّ دَسْتٍ فيه لفظُكَ يُسمعُ
ويا بهجةَ الدنيا بمجدٍ تشيده ... وتنصبُ رايات الطُّروسِ وتَرْفعُ
فأقسمُ ما الأقلامُ غيرُ أسنّةٍ ... بكفِّك فى نَحْرِ المحَاربِ تُشْرعُ
غدَا الملكُ منها فى غنىً عن قواضبٍ ... تُجرِّدُ سُمّاً للأعادى تُجرِّعُ
وتولى النَّدى من أخلصَ الودَّ قلبُه ... وتُوقِعُ بالأعداءِ لما توقَّعُ
وكم أطربتْ أسماعَنا ببيانها ... فهل هى فى الأوراقِ ورقاءُ تسجعُ؟!
وليستْ سطوراً فى طروسٍ تخطُّها ... ولكن كؤوسٌ للسُّلافِ تُشَعْشِعُ
فما أنتَ إلا للعدوِّ مُشرِّدٌ ... وما أنت إلا فى البيان مُشرِّعُ
ولفظُك بالسّحرِ الحلالِ مُقَيَّدٌ(٣٢٥) ... وطرسُك فى بُردِ البيانِ مُقنَّعُ
وإن قلتَ بيتاً فى القريض مصرّعاً ... فما هو إلا باللآلى مُرصَّعُ
وإن كنتَ فى حفلٍ فما يسعُ الورى ... سوى أن توالى القولَ، والناسُ تسمعُ
فيا سعْدَ من يَلْقى لديك رداءه ... ويلقطُ درَّ القولِ منك ويجمعُ
ويا فوزَ عينٍ لاحظتكَ فأصبحَتْ ... بمرآك من دون الأنام تُمتَّعُ
وإن وطئت رجلاك صهوةَ منبرٍ ... ورُحتَ بزجرِ الوعظِ للسمعِ تَقْرعُ

فــلا قلبَ إلا وهْوَ بالنار يلتَظى ... ولا طـرفَ إلا وهْو بـالـدَّمـع يهْمَعُ
وإن كـانَ فى الأقـوام ربُّ فـضـيلةٍ ... تُعَدُّ، فكلُّ الفـضـل عندكَ أجْمَعُ
فـمـا لعـيـون الزُّهرِ عندكَ مَطمحٌ ... ولا لبـروقٍ فى لحـاقكَ مَطْمَعُ
مُحـيَّاكَ بَدْرٌ بالجـمـال مُنَوَّرٌ ... ويمناكَ بحـرٌ بالجـميل منوَّعُ
وعَافيكَ بالإحـسـانِ فـيكَ مُرَوَّحٌ ... وشـانيكَ بالأحْزَانِ منكَ مُرَوَّعُ
كـأنَّ نجـومَ الزُّهرَ فى الأُفْقِ أعيُنٌ ... تبـيـتُ إلى عليـاكَ وهىَ تَطَلَّعُ
كـذا يا ابنَ بنتِ المـصطفى فَلْتَكُ الُّلا ... فما فى قسىِّ الفضلِ بَعْدَكَ مَنْزَع(٣٢٦)
فقل للمُجارى قفْ مكانكَ تسترحْ(٣٢٧) ... أمـا لامـعـاتُ البـرقِ خلفى طُلَّعُ؟!
وخُذْهَا رياضاً جـادَها فكرُ مُخْلِصٍ ... له بالولاءِ المـحض فـيكَ تَطَوُّعُ
يُسرُّ إذا مـا جـددَ اللهُ رفـعـةً ... لقَدْرِكَ عـلـماً أنَّه بـكَ يُرفَـعُ
ويُخلِصُ فـيكَ السِّرَّ إنْ باتَ داعياً ... وثوبُ الدَّيَاجِى بالبـروقِ مُلَمَّعُ
ويسأَلُ جـمعَ الشَّمْلِ من بَعْد فُرقةٍ ... تكادُ حَصَاةُ القلبِ منهـا تَصَدَّعُ
أُعـيـذُكَ من عـينِ الحسـودِ وبغـيـهِ ... (لذو(٣٢٨) النَّقْص فى الدنيا بذى الفضل مُولَعُ).

يُقَبِّل الأرضَ. وينْهى أنَّ محبتَه القديمة، وودّه الذي هو والوفاءُ كندْمانى(٣٢٩) جـذيمةَ، وولاءه الذى يعَد الإخلاص فى دهره غنيمة... يوجبُ له السُّرور بكل ما يتجدَّدُ لمولانا من غلوٍّ علوٍّ، ويتأكد له من إشادة مجدٍ، سمكه بنى على السُّموّ، ويتردَّدُ له من إقبالٍ، نمَّام عرْفه فى نموٍّ، ويتأبَّدُ له من دوامِ سعْد، يكمدُ مساءَ المسىء، وينكِّد غدوُّ العدو؛ لأنه بحمد الله تعالى كمالُ المراتب، وجمالُ المناصب، وثمالُ المناسب(٣٣٠).

أما النَّسبُ فإنهُ متَّصلٌ بالبتول وحيْدره(٣٣١)، ومَنْ كانَ فرْعَهُمَا، فأكرم بغُصْنٍ تهدَّلَ من هذه الشَّجَرَه. وأمَّا الفقهُ فإمامُ الحرمَيْن(٣٣٢) صلَّى خلفه وسلَّم، وصاحبُ التَّنبيه(٣٣٣) أغمض طرفَه وهوَّم. وأمَّا الأُصـولُ فالسَّيْفُ الآمدىُّ فُلَّ حدُّهُ وتثلَّم، وابنُ الحاجب(٣٣٤) تأخَّر بعدما تقدَّم. وأمَّا الخطابةُ فابنُ نُباتةَ بقى معهُ شمَاته، وابنُ المنيِّر ذُهِلَ معهُ وتحيَّر. وأمَّا الأَدبُ فالجاحظُ جحدَ بيانه، وابنُ بسامٍ بكى لزمَانته زَمانه. وأمَّا الخطُّ فهو بعد ابن مُقْلَة إنسانُه، وابنُ هلالٍ ظَهرَ بعد كماله نُقْصانُه. وأَمَّا الترسُّلُ فالعمادُ مال رُكنُه وتهدَّم بُنْيانُه، والجزرىُّ صوّح(٣٣٥) روضُه وامْحلَ بُستَانُه. وأمَّا النظْمُ فابنُ المُعتز أحاط به ذُلُّه وهوَانُه، والشَّريفُ(٣٣٦) الرَّضىُّ غضب لمَّا أُهمِلَ ديوانُه.. هذا إلى غير ذلك من محاسنَ تعدَّدت، وفوائدَ كلَّما تقادمَ

الدهرُ عليها تجدَّدت، وفواضلَ جمعَها التدْوينُ، وخلَّدت فى الدفاتر، وجلَّدَتْ. ومرُوءَةٍ تحمَّلت كلَّ مَشقَّة، (ولولا المشقَّةُ ساد النَّاس)(٣٣٧)، ورئاسةٍ تنوَّعَتْ من عوارِفها الأجْنَاس.

وقد أنْهَى المملوكُ إلى العلمِ الكريم ما تَجدَّدَ له من البهجةِ والسرور، وشارَك فيها مُحبِّى مولانا، وهم غالبُ الناس وخلاصةُ الجمهور. فالحمد لله على هذه النعمةِ التى انتبه لها الدَّهرَ بعد إغفائه، ولَحَظَ حَظُّ الفضلِ، وخصّ أبناءَ إنشائه. والله (تعالى)(٣٣٨) يديمُ لنا معاشَرَ الأرِقَّاءِ المحبين هذه النِّعمَه، ويمتِّعُ الأبصارَ والبصائرَ بطلوعِ هذا الشهابِ الذى أخجلَ البدرَ وتِمَّه. بمنِّه وكرمه. إن شاء الله تعالى.

فكتب هو الجواب إلى عن ذلك:

(من الطويل)

خليلٌ سَرَى عنِّى وقَلْبِىَ مُودَعٌ　　　لديه، فليتَ الجسْمَ لو كان يتْبَعُ
خليلُ صفاءٍ ذو وفاءٍ بعهْدِه　　　إلى مَكْرُماتٍ سابِقٌ مُتَسرِّعُ
بديعُ الحلَى، وافى العلا، واجبُ الولا،　　　له جمُّ برٍّ واصلٍ يتبرَّعُ
وغيثٌ لأقْصى الأرضِ يُهْدِى سحائبًا(٣٣٩)　　　تمرُّ بأقطارِ البلادِ فتُمرِعُ
تنوّه قَدْرِى حين وافى كتابُه　　　بفضلٍ له، مصرًا وشامًا، تنوَّعُ
كتابٌ حكَى فى لُطْفِه نَسْمَةَ الصَّبا　　　وأسْيَرُ منها فى البلادِ وأشْيَعُ
أتانِىَ فى مُخْمَرِّ طِرْسٍ كأنَّهُ　　　سَنَا الشَّمسِ فى إشراقِها حين تَطْلُعُ
تضوَّأتِ الآفاقُ نورًا به كما　　　تأرَّجتِ الأرجاءُ إذْ يتضوَّعُ
فقلتُ لأرْبابِ البراعةِ كلِّهمْ　　　كذا فاسلكُوا نهجَ البلاغةِ أوْدعُوا
وهَنَّا مَنْ بُغْياهُ أقصى مُرادِه　　　ولُقْياه أسْمَى مالَه يتطلَّعُ
بتوقيعِ دستِ الملْك والمجْلسِ الذى　　　تُزَالُ به شكوى الضِّعافِ وتُسْمَعُ
وسرَّك ما قد سرَّنى من وظيفةٍ　　　تسامتْ، فكمْ منها عدوٌّ مروَّعُ
وشبَّهتَ بالرَّاياتِ نَشْرَ رِقَاعِها　　　فحاكتْ أكفًّا بالدُّعا لك تضرعُ
وصلْتَ على بُعْدِ المسافةِ مُخْلصًا　　　وغيرُك بى، معْ قُرْبِ دارِى، يقْطعُ
وما رُمتُها للمعْلُوات تدرُّجًا　　　ولا رغْبةً فى رُتْبَةٍ هِى أرفعُ
ولكنْ إمامُ الفضلِ ابنُ إمامِه　　　علىُّ بنُ يحيى الحاكمُ المتشرِّعُ
ومَنْ قَدْرُه العلياءُ قد شرُفَتْ به　　　ومَنْ صدرُه الدَّهناءُ(٣٤٠) بل هو أوسعُ
تصدَّقَ فى أمرِى مرارًا وجادَ لى　　　بخيرٍ وطَوْلٍ، فضلُهُ المتطوِّعُ
به انصرفَتْ عنِّى مكائدُ حُسَّدٍ　　　على ضرَرِى بالظُّلمِ والبغْىِ أجمعُوا
وكمْ منهُمْ من كادحٍ بلغَ المُنَى　　　ومعْ جمعِه الدُّنْيَا له ليس يشبعُ

إذا نُزِعَتْ عـن منكبِ الـحرِّ حُلَّةٌ … فـعنهُ لبـاسُ الفضلِ ليس يُنزَعُ
وإنْ دفـعوه عن ولايةِ منصبٍ … فـعَنْ منصبِ استحقاقِه ليس يُدفعُ
ومـا بيدِ المخلوقِ منعٌ ولا عطا … ولكنّه الخـلاقُ يُعطى ويمنعُ
(وما هذه الدُّنيا بدارِ إقامةٍ)[٣٤١] … وبعضُ الورى في السّيرِ للبعضِ يتبعُ
(وما القومُ إلاّ هالكٌ وابنُ هالكٍ)[٣٤٣] … ومـا النّاسُ إلاّ راحلٌ ومودِّعُ[٣٤٢]
إليكَ صـلاحَ الدِّين زادَ تشـوُّقى … (كما صدَّ ظمآنٌ وفى الماءِ يكرعُ)[٣٤٤]
بعـادُكَ عنّى لم يكنْ بإرادتى … ولم أدرِ فى قُربِ اللّقا كـيفَ أصنعُ
لكَ الأدبُ الغضُّ الّذى قـد حلا له … جنى، وعلا مـقـدارُه المترفّعُ
وأقـلامُكَ الحُسنى بهِنّ محـاسنًا … تُوشّى بهـا الأطراسُ ثم تُوشّعُ
هى الأغصنُ الخضرُ التى تثمرُ الغنى … بهـا الخِلُّ يُرعى، والمعاندُ يردعُ
لقـد ألبستْ عطفىَّ للفخرِ حُلّةً … شأتْ وعلتْ عمّا بصنعاءَ يُصنعُ[٣٤٥]
قريضًا يُنسِّينا القريضَ ومعبدًا[٣٤٦] … عـلى محلٍ عنّه يجبنُ أشجعُ[٣٤٧]
ويتْبَعُهُ نثـرٌ حلَّتْهُ كتابـةٌ … (تُحيِّرنى أىُّ الـثّلاثةِ أبدعُ) ؟!
وحُسْنُ مـقاطيعٍ تَقطَّعُ دونها … قلوبُ العدا، فى قالبِ الحُسنِ تُطبعُ
وكمْ كلماتٍ كـاملاتٍ مـحاسنًا … طوالٍ، بهـا شملُ البدائعِ يجمعُ
وعـالى تعاليقٍ أبَنَّ غـرائبًا … بهـا مُلَحٌ مـمّا يُقالُ ويسمعُ
وجمّ مـجـامـيعٍ أقمْنَ لطائفًا … تعدّدنَ فـيهـا، والميامنُ تودعُ
(إذا قُلتَ لم تتركْ مقالاً لقائلٍ)[٣٤٨] … وترقى إلى حـيثُ الكواكبُ تخضعُ
فـمـا رقّةُ الورّاقِ كم من محاسنٍ … حويتَ على الجـزّارِ بالفضلِ يقطعُ
يعوذُ التّعاويذىُّ عـجزًا، كـما غدا … من البارعِ المشهورِ شعرُكَ أبرعُ[٣٤٩]
(وذكرُكَ بعـد الخالديّينِ خـالدٌ … وقولُكَ من قولِ البديعينِ أبدعُ)[٣٥٠]
فـأنتَ ختامٌ للأفاضلِ آخرٌ … إمـامٌ إليـه فى الفضائلِ يُرجعُ
يفوقُ على العِبْدينِ[٣٥١] حُرُّ كلامه … وفى حكمةِ الإنشاءِ كالعبدِ طيّعُ
فـيا سابقًا فى حوزِ كلِّ بديعةٍ … ترفّقْ بنا مـا فى لحاقِكَ مطمعُ
تجمّلَ كُتّابُ الرّسـائلِ إذْ غدا … صـلاحًا لهمْ يبدى المقالَ فـيُبدعُ
وأضحى لعقدِ الـفضلِ واسطةً بها … يكونُ جمالُ القـومِ إنْ هُمْ تجمّعوا
رعيتُ لـكَ الحقَّ الّذى أنتَ أهلُهُ … وعهدُ خليـلـى لـيسَ عندى يُضيّعُ
فإنّى مـن آلِ الـنّبىِّ ذوى الصّفا … لهمْ فـى الـوفا نهجٌ قويـمٌ ومهيعُ
فللتّرحـة الغبراءِ عنّا تفرّجٌ … وللدّوحـةِ الزّهراءِ منّا تفرّعُ
عـلى ربِّنا مـنّا صحيحُ توكّلٍ … فـلا مـفزعٌ إلاّ لهُ فيـه نفزعُ
ودونكَ منّى فى الـبعادِ تحيّةٌ … تخُبُّ إلى نادى[٣٥٢] دمشقَ وتوضعُ
يفـوقُ رضيًا مرتضى قولُها الّذى … جرى خلفَهُ مهيـارُ كالعبدِ يتبعُ

تَحِيَّةَ ذِى وُدٍّ يَوَدُّ تَقَرُّبًا　　إليك، ويرجو(٣٥٣) شمله بك يجمع
ولو لم تُطارِحْنى طَرَحْتُ مقالتى　　لنظم ونثر منهما اليد أنزع
ولكنْ مكافاةُ الجميلِ تعيَّنَتْ　　علىّ لمن لى منه يعذب مشرع
ووازَنْتُ دُرَّ الشعر منك بِبَرْمَعى　　وما يستوى فى الشعر دُرٌّ وبرمع(٣٥٤)
وما صنعة الآداب إلا شقاوة　　فمنها الذى يهوى السعادة يقلع
كفاك الغنى عن أن تكون مُوقَّعًا　　فما ذو الغنا والفقر إلا الموقَّع.

يُقَبِّلُ الأرضَ المتواليةَ الدِّيمه، الغاليةَ القيمه، الزاكيةَ الشيمه، الكافيةَ وليَّها، بما تسمحُ به من المنح أن يلمحَ البرقَ أو يشيمه، لازالت نعمُها لها المواهبُ العميمه، وهممُها لها الكواكبُ ضميمه.. وينهى بعد موالاةِ صحيحة صميمه، ومتالاة مديحه الذى يحسُدُ المسكُ شميمه، ومغالاةٍ فى ذكر محاسنه، التى يوالى إلى كلِّ سامعٍ إذا ذُكِر الخليلُ تحيتَه وتسليمه - ورود المشرَّف العالى، المشرِّفُ لقدره، المسْعِفُ ببِرِّه، المسلِّفُ لجبره، الموجِفُ بميمون نصره، المُنْصِفُ دون أهلِ عصرِه، المُتْحِفُ بالإنعام والجُودِ من شام الوجود لمصره، فلثم آثارَ أناملِه، وغنِمَ إيثارَ فواضله، وتقلَّدَ عقودَ جراهره، ووجد سعودَ زواهره، وجنى يانعَ ثمره، واجتلى طالعَ قمره. فوفَّر له حين عاد بجميله أُنسًا، وذكَّرَ مَن كاد لخموله أن يُنْسى، وأثلجَ بصدوره صدرًا، وأبهجَ نفسًا، وعرَّجَ على طللٍ بالٍ أثَّر فيه امتهانُ الزمان درسًا، فسقى هتانه غرْسا، ووقى إحسانُه بأسا، وانتقى من نطقه طُرُزًا بديعا فأودعه لرقِّه طِرْسًا، ورفعَ المملوكُ له بالابتهال خَمْسًا، وغنم منه الإفضالَ، الذى أَلِفَ غمْرًا وغرَفَ فيه غمسا، وحكم له الاتصالُ بالصلاح أن يفضلَ شهابه فى غزارة الإنارة شَمْسًا. ورأى المملوكُ ما اشتملَ عليه من بُداءةِ إفضالٍ، وإفاءةِ ظلالٍ، وافتتاحٍ بإجمالٍ، وإنجاحِ آمالٍ، وشمولٍ بإحسانٍ، ولا يُحسِنُ شكرَ لَسنِه اللسانُ، ومقولٍ من بديع بيانٍ، تعجزُ العقولُ بمثله عن الإتيان، وإن تعددت الأحياءُ، وتجددت الأحيانُ، فإذا هو قد كساه من حلَله، وواساه بتفضُّله، وما تناساه من تطوُّله، وبجلّه أوصافا، جمَّلت له أعطافا، وخوّله إسعافا، يديم به اعتدادًا، وله اعترافا، فجلَّ إنعامُه أن يُكافا، واستهلَّ (غمامُه) بسقْيَا الرحمة ووافى، ودلَّ نظامُه على أن بحرَه لا يُهْدى الدُّرَّ إلا كبارا، ولا يُبْدى الجوهرَ إلا شفافا. فتقلَّد المملوكُ صنائعَه، وخلَّد بدائعَه، وحمد الله

تعالى على أن حفظ به صناعةَ الأدب الضائعَه، وعَضَّدَ المُلْكَ بسهامه النابلَةِ الراشقَةِ الصائلَة الرائعه، ونَضَّدَ السِلْكَ بفرائد فوائده الشائعه، التى تأتيها المعانى الطائلَةُ وهى طائعه.

فأما الشعرُ فما أبو الطيّب غيرُ عرْفِه، وما حبيبٌ غيرُ لطفه، وما البحترىُّ إلا قصيرٌ عن وَصْفِه، وما بشارٌ إلاّ أعمى عن إدراك طَرَفِه بطرْفِه، وما أبناءُ الهانئين(٣٥٥) إلا كالوانين من خلْفِه، وما جرير غيرُ أسيرٍ في قبضة كفِّه، وما الفرزدق(٣٥٦)، وإن طبّقَ شعرُه الأرض، إلا عاجزٌ عن إدراك شأوه ولم يوفِه.

وأمّا النثر فما ابن عبّاد(٣٥٧) إلاّ كعبْدِه، وما الخَوارَزْمِىُّ(٣٥٨) إلاّ من بعض جُنْدِه، وما ابنُ خاقانَ إلاّ ملتقطٌ دُرَّ قلائده من عقْدِه(٣٥٩)، وما ابنُ عبد ربِّه إلاّ مغْتَبِطٌ بجواهره ليجعلَها زينةَ عقْدِه، وما عبدُ الحميد إلاّ مُستَفيدٌ في رسالته من رُشْدِه، وما عبدُ الرّحيم الفاضلُ إلاّ مُتَزَيِّدٌ من رِفْدِه، ناقصٌ عن مجْدِه.

وأمّا اللغةُ فما ابنُ فارسٍ(٣٦٠) من فُرسانه، وما الجوهرىُّ(٣٦١) غيرُ بيانه، وما صاحبُ الحكم(٣٦٢) غير إتقانه، وما النهايةُ(٣٦٣) إلاّ لإحسانه، وما الأصمعىُّ إلاّ دعىٌّ عند إيقانه(٣٦٤)، وما الصاغانىُّ(٣٦٥) إلاّ ما صاغه إبريزُ لسانه.

وأما الحفظُ فما حمادٌ(٣٦٦) عند روايته، وما ابنُ(٣٦٧) دُرَيدٍ عند درايته، وما الخليلُ سَمِيُّه إلاّ مُتَخَلِّفٌ عَن السمو(٣٦٨) لغايته، وما السّيرافىُّ إلاّ سائرٌ فى نور(٣٦٩) هدايته، وما خَلَفُ الأحمر(٣٧٠) إلاّ تحت البيضاء رايته.

وأمّا التأليفُ فما لابن رَشيقٍ عمْدَةٌ على غيرِ مقَالِه، ولا الميدانىُّ(٣٧١) ذو الأمثال من أمثاله، ولا ابنُ القطّاع(٣٧٢) إلاّ قاصرٌ عن أفعاله، ولا (ابنُ)(٣٧٣) حَمدُون إلاّ مُقْتَدٍ فى تذكرته بأقواله، ولا العسكرىُّ إلاّ منهزمٌ من(٣٧٤) نزاله، ولا النّحاسُ إلاّ مُحتَذٍ(٣٧٥) فى صناعته بتمثاله، ولا ابنُ(٣٧٦) مضاءٍ إلاّ واقفٌ عند حدَّةِ ذهنه مقِرٌّ بكلاله.

وأما الكتابةُ فما ابنُ هلالٍ إلاّ مُستَتِرٌ عند تَمامه، وما ابنُ مُقلةَ إلاّ غاضٌّ بصرَه عن رِفْعةِ مقَامه، وما الولىُّ(٣٧٧) عند استرسال خطِّه وانسجامه، وما ابنُ العديم عند وُجْدِه إلاّ تابعٌ لأبيه فى إعدامه، وما ابنُ(٣٧٨) الشيرازى أهلاً أن يوازى قُلامةً من أقلامه. فأحيا الله تعالى مولانا للأدب يجدّدُ دائره، ويوجدُ مآثره، ويُنجِدُ عاثره، ويرْشِدُ ناظمه وناثره، ويبرُّ أهله،

ويقرُ سهلَه، ويُعذبُ نهلَه، ويُذهبُ جهله، ويؤلفُ جمعه، ويُسلفُ صُنْعَه، ويُهيِّيء نفعَه، ويُبَوِّىء منه الرفعه. ولا أعدمَ أصحابَه سحابَه، ولا أفقد إخوانَه امتنانَه، ورأى له سبقَه، ورعى له حقَّه. فقد وصلَ في الفُرقَةِ دونَ الرُّفقَه، وأوْصل رِفقَه، إذ قَطع الرُّفقَه، وقرَّبَ جبره على بعد الشُّقَّه، فأذهَبَ المشقَّه، وأبقى برَّه الذى ما ضرَّه معه مَنْ عقَّه، بل أسعده بما استَعْبَدَه واسترقَّه. وما يترك المملوكُ المواصلةَ بخدمه مع كلِّ بريدٍ يسير والمراسلةَ بكلمةٍ ليلتمس من نحوه الإفادةَ ويستمير..

إلاَّ تخفيفاً عن خاطره الشريف من التَّثقِيل، وتسويفاً بأيام البعْد لعلَّ القُرْبَ يكونُ عن قليل، فيُشاهدَ ذاك المحيَّا الجميل، ويُساعدَ على سُبوغ التأمين وبلوغِ التَّأميل، ويُعاضدَ من كرم مولانا الجليل بنعم الخليل، فيُمْسى وقد أقامَ بين أهل الشَّام فى أعزِّ قَبيل، ويُصبح وما لاهتضام الأيام عليه سبيل.

وفهم المملوكُ الإشارة الكريمةَ إلى إحسان الموالي السادة كُتَّابَ الإنشاء الشريف بدمشقَ المحروسة ـ حمدَ الله صنيعَهم، وأيَّد جمعهم، وجمعَ في ربوع الطيباء شملَهم، وسمعَ مرفوع الدعاءِ لهم ـ فالمملوك يسأل إبلاغهم سلامَه، والنيابةَ عنه في شكر عوارفِهم العامَه. والله تعالى يحفظُ بطول بقائه للأدب نظامَه، ويلحظُ بجميل انتقائه رُتَبَ الزعامةِ فيه والإمامَه، فما عند نقْده نقدُ أسامه، أم من قُدَّامه قُدَامَه(٣٧٩). بمنه وكرمه، إن شاءَ الله تعالى.

وكتبت إليه وقد سيَّر إليَّ يطلب عَباءَةً سوداءَ ليلبسَها تواضعاً منه، فجهَّزتُها ومعها هذه الأبيات:

(من الكامل)

يا سيِّدًا مــــازالَ يُدْعى سيِّدَا ... حــازَ المكارمَ والعُلا والسُّؤددَا
شرَّفْتنى بأوامــرٍ دأبى لهـا ... مهْمــا أتى مـرسومُهــا أن أسجُدَا
وطلبْتَ بُشتًا(٣٨٠) أسودًا من جِلّقٍ ... ولَوْ اقْتصرْتَ لبِــستَ حلَّى الأسْودَا
لُبسُ العبــاءَة، والعيُونُ قريرةٌ، ... خيرٌ من الحُلَل الحرير مَعَ الرَّدَى(٣٨١)
فالْبَسْهُ فضْفَاضَ الذُّيولِ حكى الدُّجَى ... لوْنًا، فــوجْهُكَ فــوقَه بدْرًا بدَا.

فكتب هو الجواب إليَّ عن ذلك:ـ

(من الكامل)

حــيِّى دمــشقَ وأهلَهــا غيثُ النّدَى ... وسقَى مـــعــاهدَها الحيا متَعهِّدَا
دارٌ خليلُ الصِّدْقِ ســاكنُ ربْعِهــا ... مـــا عنْه مِثْىَ بالرِّضَى أنْ أبعدَا

الفاضلُ المتَفَضّلُ الحبْرُ الذى جمعَ المحاسنَ كلَّها فتفرّدَا
الناظمُ العقدَ الفريدَ قريضُهُ والناثرُ الدرَّ النفيسَ منضَّدَا
والكاتبُ الحسناتِ فى صُحُفٍ له بيض، لها أسودّتْ وجوهٌ للعدَا
الصاحبُ المولى الجميلَ صحابَهُ متَفَضِّلاً متطوّلاً متودّدَا
وصلَتْ، وُصِلتَ، إلىّ منك عوارفٌ قُرْبًا وبُعْدًا بِرُّها لن يُفْقَدَا(٣٨٢)
وأتى إلىّ البُشْتُ مقترنًا بما لك من يدٍ بيضاءَ كمْ وهبَتْ يدَا
صوفٌ به لذوى الصفاءِ تَلفُّعُ شَعَرَ شعارٌ من اغتدى متعبِّدَا
قد جاءَ من جهةِ الصلاح فحبّذا هُوَ من لباسٍ تُقىً به قدْ أسعدَا
هُوَ حالكٌ لونًا كلحظٍ أغيدٍ أو مثلِ حظّى حين أمسى أسودَا
قد قُمتُ فى ليلِ الشتاءِ به إلى ربِّ السَّمَا أ (د)(٣٨٣) عولُهُ متجهِّدَا
طلَبى له تركًا لدُنْيَاهُمْ لها وخرجتُ عنها زاهدًا متجرِّدَا
فلمَ التعلّقُ بالحطام وأهلِه وعفافُ نفسِى مانعٌ أن أُجْهَدَا؟!
والأمسُ فاتَ وليس يومِى خالدًا لكنْ بوعدِ الله لى ثقةٌ غدَا
فاللهُ يُنهِضُنَا لنعملَ صالحًا واللهُ يوقظُنَا لذا قبلَ الرَّدَى
واللهُ يجمعُ بالمتراسلين شملَ مَنْ يَغْدُو(٣٨٤) لمدحِك مُصْدِرًا أو مُورِدَا.

يقبل كذا التى مازال يأوى ظلّها، ويحوى فضلَها، ويَرْوى عنها المحاسنَ جميعَها، والميامنَ كلَّها، لابرحتْ تهمعُ وبلَها، وتتبرّعُ بالجود لمنَ قصدها وأمّلَها، كمَنْ وردَها وحلّها ـ وينْهى بعد أُدعيةٍ تصلُ من أبواب الإجابة سبلُها، وأُثْنيةٍ ما اللذُّ نِدُّها، ولا المسْكُ مثلُها ـ ورود المشرّف العالى على يدِ مولانا الشيخِ بهاءِ الدين أبى حامدٍ، ولدِ سيدنا ومولانا قاضى القضاة تقىِّ الدين السُّبكى ـ أعزّ الله أحكامَه، ووَقَى الأسواءَ الأصلَ والفرع، وألقى فى يدى عدلهما زمامَ الشّرع ـ فأفضى المملوكُ إليه بالقُبَل قبل أن يفُضَّه، وأدّى من تكريرِ التكْريم فرضَه، وتسلّم المملوكُ ما اقترن به من إحسانه، وعمّتْ جوارحَه نعمُ مولانا، فقام عنها لابساً السوادَ بالحمد، خطيبُ لسانِه، وما أَخّرَ الجوابَ عن وقته إلا لشواغلِ أفكاره، بتَواصُلِ أكداره، وإقبالِ أيامه بإفحامه وإدبارِه، وقلّةِ أنصاره، وذلّةِ إقتاره؛ مُستَنِدَةً إلى الله تعالى فى إقلاله وإكثاره، مُعْتَمِدَةً على الله تعالى فى أهْوالهِ وأخطاره.

وكتبَ هو إلى لما طُلِبتُ إلى القاهرة فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة:

(من المتقارب)

خليلَ الصَّفَا مرحبًا مرحبًا ... طلعْتَ بأُفْقِ العُلا كوكبَا
وجئتَ إلى ملجأ القاصدين ... عليِّ بن يحيى الجزيلِ الحِبا(٣٨٥)
ومُنْجِد هذا الورى بالسَّماحِ ... ومَنْ لم يزَلْ غرسُه مُنْجبا
ومَنْ أسلفَ الخيرَ والمكرُمات ... ومَنْ شرُفَ الدَّهر والمنْصبا
وحافظِ أسرارِ مولى الملوكِ ... يُودِعُها صدْرَه الأرحبا
ومُجْرِى الأمور بأقلامه ... فكمْ للكِرام قد أستَكتَبا
وتهزاءِ إن جرَيْتَ للكفاحِ ... بسُمْرِ الرِّماحِ وبيضِ الظُّبى
ومَنْ فاقَ مَنْ قبلَه في الفَخارِ ... وصار لمَنْ بعده مُتْعِبا
له الرتبُ الباهراتُ العلا ... له الكُتُبُ العاطراتُ الثَّنا
وإنْ جهَّزَ البُرْدَ السائرات ... أبادَ العدا مقْنبًا مقْنبَا(٣٨٦)
وسطَّر من خطِّه فى الطُّرو ... س ما عنده آبنُ هلالٍ هبا
وقد ملأ الصُّحُفَ إملاؤه ... لطائفَ كم أنجحتْ مطلبا
وأعجزَ إبداعُه القائلين ... إنْ هو أوجزَ أو أسهبا
وبحرِ العلوم المفيد الصواب ... وطَوْدِ الحلوم إذا ما احتبى
فعلياؤه بزغتْ مشرقًا ... ونعماؤه بلغتْ مغربا
وللنُّجْعِ أبوابُه جُرِّبتْ ... وإنى لمَن بعض مَنْ جرَّبا
وصيَّرنى جودُه خادمًا ... وأمطرنى جودُه صيِّبا
وخيَّمتُ فى ربْعِ مولى الكِرا ... مِ ومَن للوسائل ما خيَّبا
جعلتُ حوالتَه فى غدٍ ... على جدِّى المصطفى المجتبى
وأدعو له إن دعوتُ البتو ... لَ أمًّا، وحيدرةً لى أبا
فدام غياثًا لأهل الزما ... نِ يرتعهم روضه المخصبا
أأعطى(٣٨٧) الورى رتبة فى البيا ... نِ، ومَنْ للبدائع قد رتَّبا
علا بمقامك شأنُ الشآ ... مِ، وراعَ براعك ماضى الشَّبا
لك الأدبُ الحلو غضُّ الجنى ... فكم مرَّ بالسمع مستعذبا
وأبدعتَ نظم عقود القريض ... وأبدَيْتَ مذهبَه المذهبا
رقيق الحواشى أنيق الحلى ... يقارن مرقصُه المطرِبا(٣٨٨)
فمنه مطالعُ تحوى النجوم ... ومنه المراتعُ تأوى الظِّبا
ونضَّدْتَ نثرًا كزهْر الربا ... ض حاز حلى الحسن مستوعبا
بديعَ الفصولِ صنيعَ المقو ... (م) لِ يستعمل الأليقَ الأنسبا
ودونك فى العلم من ألَّفَ التـ ... (م) ـصانيفَ من قبلُ أو هذَّبا
فإنَّ الخليلَ إمامُ الكلا ... مِ، كم للأنام به دربا

وأنتَ الجوادُ الذى ما كبَا   وأنت الحُسَامُ الذى ما نبَا
وقد خطبَتكَ لها المعلُوَاتُ   وحَقٌ لمثلك أن يُخطبَا
وعُدتَ إلى مصرَ عودَ الربَا   ب، حلّ، فأنعشَ نبتَ الربَا
وآنستَ لمَا رجعتَ الديارَ   وجمّلتَ ذا البلدَ الطيّبَا
فألبسْ براعكَ ثوبَ السوَاد   ومُرْهُ بسجعِكَ أن يخطُبَا
وقلّدْ تقاليدكَ الفاخرا   ت منْ شهِدَ الدّستَ والموكبَا
وأبدِ الغرائبَ ممّا ابتكرْت   وليسَ بديعُكَ مُستغربَا
بدائعُ منْ حازهَا لم يزَلْ   بإبريزهَا تائهاً مُعجبَا
روائعُ كم أبهجَتْ واعياً   وكم نهجتْ مَهيَعاً أصوبَا
كطيبِ الزمانِ، وظلّ الأمانِ،   وعصرِ الشبابِ، وعيشِ الصبَا
قدمتَ جليلاً بكلّ البلاد   خليلاً إلى الخَلقِ قد حبّبَا
يُصاحبهُمُ منكَ خُلقٌ جميلٌ   ويغدُو، أحترامُكَ مُستصحبَا
تعلّمَ من لُطفِ أوصافكَ الـ   ـحسانَ فرقَّ نسيمُ الصبَا
فمُنيَةُ نفسِىَ هذا الدنُوُّ   وقُرّةُ عينِى أن تقرُبَ(٣٨٩)
وسامحْ مُقلاً مُخلاً بمَا   عليهِ لكَ الفضلُ قد أوجبَا.

فكتبت أنا إليه الجواب عن ذلك:

(من المتقارب)

أسيّدَنا الفاضلَ المُجتبَى   وربَّ العُلا والحجاَ والحبَا
ومَنْ سارَ بينَ الورَى ذكرُهُ   فطابَ برَيّاهُ نشْرُ الصبَا
ومَنْ خطّهُ مثلُ زهرِ الدُّجَى   وإنْ نتنازلْ(٣٩٠) فزهرُ الربَا
ومَنْ زفّ لى فضلُهُ غادةً   أتتْنى من طرسِهِ فى خبَا
فشرّفَ قدرِى، وأعلاهُ لى   إلى أنْ تخيّلتُهُ كوكبَا
فأهدى(٣٩١) السرورَ إلى خاطرِى   وجدّدَ عندِى عهدَ الصبَى
وأعربَ عن سُؤددٍ ظاهرٍ   ولكنّهُ فى العُلا أغربَا
ونزّهَ طرْفِى فى روضةٍ   سقاهَا الحيَا غيثُهُ صيّبَا
وكمْ كفّ عنّى منْ مهلكٍ   بسوءٍ، ونوّلنِى مطلبَا
فلو صاغَ قُسٌ حُلَى مدحِه   لقصّرَ فيهِ ولو أطنبَا
ولو سابقَ البرقُ فى حلبَةٍ   تخلّفَ من خلفِهِ أو كبَا
ترفّقْ بيُمْنِ ذهنِهِ مُظلِمٌ   ونورُ بديهتِهِ قد خبَا
فإنّكَ أصبحتَ فى غايةٍ   شموسُ المعالى لديهَا هبَا

وعبده أفكاره أجبلت ... وقد راب من همه ما ربا
وعالج خمسين عاماً مضت ... وما ذاق شرباً لها طيبا
يساقيك فيها كئوس الوفا ... وشرق في الأرض أو غربا
ويحمل فيك لواء غدا ... يراه الورى بالولا مذهبا
له الحسب الطاهر المنتقى ... أطل على المدح واستوعبا
له صلة بنبي الهدى ... فياحبذا منك هذا النبا
لقد ساد من أصله قد علا ... وبين السماكين قد طنبا
وأما حضوري إلى باب من ... سما وعلا في الورى منصبا
فإن السعادة قد لاحظت(٣٩٢) ... وحظي أتى بعد ما قد أبى
أما تنظر البشر في وجهه ... وإحسانه الجم لن يحجبا
وأكرم نزلي بإفضاله ... وقد قال لي جوده: مرحبا
أمين على الملك في سره ... ترد القنا كتبه والظبى
ويخجل صوب الحيا كفه ... إذا جاد روض الحمى أعشبا
لقد جمل الملك تدبيره ... وسهل بالرأي ما استصعبا
تحوط الأقاليم أقلامه ... وتملي أباطحها والربا
فعذراً إذا فكرتي قصرت ... وكان جوابي جوى متعبا
فإني بنظمي ألوك الحصى ... ونظمك عندك كالشوربا
بقيت ملاذاً لأهل النهى ... تفل لخطب الردى مضربا.

وكتب هو إليّ وإلى القاضي بدر الدين حسن الغزّي(٣٩٣)، وقد توجهنا لتلقيّ الأمير ـ سيف الدين أرغون(٣٩٤) الكاملي، لما رسم له بنيابة الشام المحروس. وكان السيد المشار إليه قد حضر معه فكان الملتقى في حمص المحروسة، وكنا قد نزلنا في الميدان، والتزام حرف الميم.

(من البسيط)

كتّاب جلق قد جملتم حمصا ... وقد تسربلتم حسن الثنا قمصا
من ثمر روضكم طير النهى التقطت ... عادت بطاناً، وراحت نحوكم خمصا(٣٩٥)
نعم الخليل، تلاه رفعة حسن ... فلم تطق فرقدا أفق السما غمصا(٣٩٦)
هما رضيعا لبان الفضل لا فطما ... فكم لذي العلا والعلم قد مصا
ونيرا مطلع الإبداع كم بهرت ... أشعة لهما من مقلة رمصا.

يقبل ويلثم الأرض أمامهم، ويقدم الفرض أمامهم، ويحجم عن لقائهم، حيث لا يبلغ مقامه مقامهم. وينهي أنه سر بسماع أنبائهم، ورجا أن يقر عيناً بلألائهم، لأنه الصادق في

اعتقاد ولائهم الناطقُ بإيراد حمْدِهِمْ وثنائِهِم... فتَوجَّه المملوكُ إلى سَعيد مَحلِّهم، وأَوْجَهَ إلى مديد ظلِّهم، فاعتراه سوءُ الحظِّ بالحرمان، وأراه العجزُ عن لحاقهم أنه لا يُدْرَكُ لهم غبار، ولا يُلْحَقُ(٣٩٧) السَّوابقُ في الميدان؛ فاستناب المملوك هذه الأَحْرُفَ، لتسعدَ بلقائهم وتَشْرُفَ. والله تعالى يَجمعُ شمْلَهم، ويمتّعُ الأدبَ بمِثْلِهم، ولا أعرفُ مِثْلَهمْ. بمنه وكرمه.

فكتب الجوابَ إليه المولى بدرُ الدين الغَزِّي أيده الله تعالى:

(من البسيط)

يامَنْ بأجْمَلِ أوصافِ العُلاَ خُصَّا ... وعنْه جُلْ أحاديث النَّدى قَصَّا
ومَنْ به حِمصُ والدُّنيا وساكنُها ... علَتْ محَلاً، فمن قد جمَّلوا حِمْصَا(٣٩٨)؟!
أثْلَتَ طارِفَ مجدٍ، للتَّليدِ به ... زيادَةً، ليْسَ يَخْشَى بعدَها نَقَصَا
وطُلْتَ كلَّ علاً بالحُسْنَيَيْنِ فَطِرْ ... فَرْداً، فكلُّ جنَاحٍ عنكَ قَدْ قُصَّا
وافْخَرْ بجدِّكَ والجدِّ الشَّريفِ، فما ... تَقْصَى إذَا قُلْتَ في القُرْبَى ولا تُقْصَى
فإنَّ فضْلَ رسولِ الله ليس له ... حدٌّ، فَيُحْصَرَ في نظْمٍ، ولا يُحْصَى
وقد جرَيْتَ علَى أسلوبه فأقِمْ ... إليه وجْهَكَ. واقْصُصْ إثْرَهُ قَصَّا(٣٩٩)

وكتبت أنا إليه

(من الخفيف)

أيُّها السيِّدُ الذي سوْدَتُهُ ... في البرَايَا مكارِمُ الأخْلاَقِ
والعديمُ النظيرِ في كلِّ فَنٍّ ... فغدا سيِّداً بالاستحْقَاقِ
لم تَزِفَّ الدُّنيا إليكَ عرُوساً ... قطُّ إلا قابلْتَهَا بالطَّلاَقِ(٤٠٠)
سُنَّةٌ سنَّهَا أبوكُمْ عليٌّ ... فيكُمْ عدَّةً ليوم التَّلاَقِ(٤٠١)
فتَعطَّفْ على تَطلُّعِ مِصْرٍ ... فهْيَ في غايةٍ من الأشْواقِ
تتجلَّى لناظرَيْهَ عروساً ... فارْتشِفْ ريقَ نيلِها الرَّقراقِ
وامْلَ ساحَاتِهَا نظاماً ونثراً ... في رِقَابِ الأيامِ كالأطْوَاقِ
أنتَ صبٌّ في دهْرِنَا بالمعالي ... (والمعَالي قليلةُ العشَّاقِ)(٤٠٢)
والذي قد تَرَكْتَه عنكَ فانٍ ... والذي رُمْتَهُ من الله باقٍ(٤٠٣).

فكتب هو الجوابَ إليَّ:

(من الخفيف)

يا خليلَ الوفا ويا ذا الوفَاقِ ... لكَ حُسْنُ الخلالِ والأخْلاَقِ
والذي لفْظُهُ فرائدُ عقْيا ... نٍ، فمِنْهُ قلائدُ الأعْنَاقِ

وإمـــامُ الشّآمِ نَظْماً ونثـــراً ... فـــاقَ مَنْ قـــد مَضَى على الإطْلاقِ
كـــاتبٌ، خَاطِبٌ، مُفـــيدٌ، مُجِيـــدٌ ... وبديعُ النُّطْقِ، الوَســيعُ النِّطاقِ
لـــكَ فـــي مصرَ والـــشّآمِ أيَادٍ ... مُرْسلاتُ الـسَّحـــابِ بـالإغْدَاقِ
أسْعَدَتْني بـالـرِّفْقِ مـنهَا، ولَمْ تَبرحْ ... (م) لهـا الرِّفقُ واصـلاً بالرِّفَاقِ
لم تزَلْ جـابِرًا بِفـضلكَ قلبًا ... حـــاملاً عِبْئى الأذَى والفراقِ
لا تلُمْنِي علـى نُزُولِي عن الشّهْـ ... ـبَا، وتَرْكِي السِّبـاقَ للسُّبّاقِ
كـنـتُ مَعْ شَرِّ مَعْشَرٍ كـم رَمَوْنِي ... شُلّتِ الأيْدِي مِنْهُمُ بـاخْتلاقِ
لم أزلْ، مُذْ جـاورتُهُمْ، فِي شَقَـاءٍ ... وعـنـاءٍ مُلازِمٍ وشِقَاقِ
لو أقـامُوا بِمَغْرِبِ الشمسِ كـانَ الشّـ ... (م) ـرُّ مِنْهُمْ يَعُمُّ أهـلَ العِرَاقِ

منها:

فَخَروا بالخـيلِ العِتَاقِ على مَن ... جَـدُّهُ كـانَ راكِـبًا للبُراقِ
نحنُ أبناءُ الطُّهْرِ فـاطمةَ الزَّهْـ ... ـرا[404]، الكِرَامُ الأصُولِ والأعْرَاقِ
وعلـى جَدِّنا تُسلِّمُ شـمسُ الـ ... أُفْقِ عـنـد الـغُرُوبِ والإشْرَاقِ
وأبُونَا عـلـيُّ بـنُ أبِي طَا ... لبٍ مُرْدِي العِدَا ببِيضٍ رِقَاقِ.

منها:

أنـا مِـن سَادَةٍ كرامِ الـسَّجَايَا ... في العُلاَ مـا لِسَبْقِهِمْ منْ لِحَاقِ
جَدُّنَا اخْتَارَ دَارَ أُخْرَى عـلـى دُنْـ ... ـيـا غُرُورًا، وراغَهـا بالطَّلاقِ
وَهُمَا ضَرَّتَـان مـا اجْتَمَعَا عنْـ ... ـدَ امرِىءٍ، والـخِيَارُ لِلحُذَّاقِ
فَعَلَيْنَا ألدُّنيـا لهـا الغَيْظُ والحِقْـ ... ـدُ، وأجْرُ الأُخْرَى لنـا الـغَدَ بَاقِ.

وكتب هو عن الأمير سيفِ الدين أرغُون الكاملي، نائبِ السلطنة الشريفة بحلب المحروسة كتاباً قرين خمسين غزالاً جهزها من صيد، إلى الأمير سيفِ الدين أيْتَمَشْ[405] نائبِ السَّلطنة الشريفة بالشّام المحروس.

يُقَبِّلُ الأرضَ ويُنهي ـ بعد ابتهاله بالأدْعية الصالحة إلى الله تعالى، أن يجعلَ أعداءَه كطرائد الصَّيْد، ويلقى حُسَّادَه في حبائلِ الكَيْد، ويرمي شانيه بمرامي المنايا، ويحمي حِماه بالقُوّة والأيْد ـ أن المملوكَ من جملة أوليائه المنتمين، وأصفيائه الذين مازالوا باعتنائه

مُكرَّمين؛ فيتعيَّنُ عليه سلوكُ سبيل الخَدَم، والتقرُّبُ إلى الخاطر الكريم بعادات الوسائل والخِدَم.

وكان المملوك قد توجه فى هذه الأيام إلى منزلةَ الهاب، للإشراف على ما هنالك مما أنعمَتْ به عليه الصَّدقاتُ الشريفةُ والكريمةُ من الخَيل العِراب، وضرب المملوك حلَقَتَىْ صيدٍ على الآرام، وظَفِرَ منها بسعادةِ مولانا بما رَام. وجهَّز المملوك من بعضها على سبيل الأرمغان(٤٠٦) إلى المطابخ السَّعيدة خمسين غزالاً على يد الولَد سيفِ الدين بهَادر(٤٠٧) الزردكاش. والمملوك يسأل إحسانَ مولانا العميم فى قبولها، وبسطَ العُذر فى قليلها، جبراً لخاطر المملوك، وبرّاً لا يزال يسلكُ بوليّه من مُوالاة الإحسان أحْسَنَ سلوك، والله يمتع ببقائه عصائب الإسلام، ويوقعُ بأعدائه نوائب الانتقام، ويمتعُ بكفالته العليَّةِ الشان حمَى الشام، بمنه وكرمه.

فكتبت أنا الجواب عن ذلك:

يُقبِّلُ الأرْضَ بالمقَرّ الشريف السيفى، لازالت أعاديه كأشلاء ما يَصيد، وأياديه تَعْجزُ عن مكافأتها أو مكافحتها الملوك الصِّيد، ومواضيه المُرْهَفَةُ، لا المُرفَهة، تَبيدُ بها وحوشَ البيد.. تقبيلاً يُنَظِّمُ دُرُّه شِفَاها، ويُعَظِّمُ به ثغراً وشفَاهَا، وينهى، بعد أدعيةٍ يرفعُها إلى من يعرِفُها، وأثنيةٍ، يصرفُها إلى من يُنَضِّدُ جواهرها ويَرْصُفُهَا؛ أنَّ المثالَ العالى ـ أعلاه الله تعالى ـ وَرَدَ على يد المَجلسِ السّامى الأمير سيف الدين بَهَادُر الزرد كاش مملوكِ مولانا ـ أعز الله أنصارَه ـ فبادر إلى تقبيل تاجه، وهو اسم مولانا الكريم فإنه أَحسَنُ ما يُواجِهُ المواجه.. ونزّه ناظره فى تلك السُّطورِ التى ترقرقَتْ مياهُ بلاغتها، وتأنَّقَتْ المحاسنُ فى صياغتها، وشرَّفَ بذلك قدْرَه، وشنَّفَ سمعَه لما أُودعَ صدَفَهُ دُرَّه. ووَصل ما أَنعمَ به مولانا من الهديَّة وهى خمسون غزالا، فرأى منها ما هالَه، وشاهدَ كُلاً منها وكأنهُ من حُسْنه قَمرُ هالَه.. وتعجَّبَ منه كونَه أُصيبَ بسهام مولانا وكم أفلتَ مَن حبَالَه، وتحقَّقَ أن كلاً منها غزالٌ ما طلَعَتْ على مثله الغَزَالَه. فياحُسنَها من أشلاءٍ على وجه الثَّرى طريحَه، ويا صحَّةَ ما وجدَتْه النفسُ من اللذَّة لما أَصبحَتْ جَرِيحَه. كمْ عزَّ على غيره مرَامُها، وكم اطَّردتْ فى الفلا آرامُها، وكمْ فَاخرَتْ

سوادَ الدياجى بأحداقهاَ، وكم طاولَتْ النُّجوم بأرواقها، وكم نَشَرتْ مُلاءةَ غُبارٍ فتسترتْ برواقِها، وكم مَضغَتْ شيحاً، وكم تنسّمَتْ من أرض نَجدٍ ريحاً.. وكم أغارت الغيدَ بحسن المُلْتَفتِ والجيد، وكمْ مليحٍ يفوقُ البدورَ ويسُود، تمنّى ما حازته دونه من العيون السود.. حتى بدَت لها جيادُ مولانا المسوّمه، وطلائع جرْده المُطهّمه، وسبقتْ إليها سهامُه المقوّمه، وحنَتْ إليها حنَاياه المُعَظّمه، فلم يُنْجها من ذلك فرار، ولا قرّ لها معه قَرار، ولا خبأها فى حشاه نَقْعٌ مثار، ولا ردّها عثيرُها غيرَ ردىً وعثار، فأصبحتْ كأعدائه الذين ترقّى إليهم حينَهم وترقّب، وأشبهَتْ عيونُها الشاخصةُ حولَ خبائه وأرْحُله الجزْعَ الذى لم يُثقّب(٤٠٨)، ولقد جاء بها دراً بهادر المذكور، ورصَّفَ حبّاتها على الثرى، ونَظْمُ حياتهاَ منثور.. فياحُسْنَها لما تكرّعتْ وتجوّفتْ، وانتصبتْ على عيونها ألفاتُ قرونها التى تكوّفتْ، ورقّتْ لمصرعهاَ فى أدبارها قلوبُ الطائفة التى تصوّفتْ. فلقد فتحَ مولانا عليها من البابْ، ما يشهد له ذوو الألباب، إنّه بابٌ باطنُه فيه الرحمةُ من مولانا، وظاهرُه من قِبَلِه بسهامه العذاب(٤٠٩). وقد قابل المملوكُ هذه الأيادى المُغْدقَه، والغوادىَ المُغْرِقَه، بشكرٍ يتّصلُ سنده، ويصحُ متْنُه ويقوم أوَدُه. والله يوزعُ المملوكَ شكرَ هذه العوارف التى شَغَلت الجوارح، بوصف هذه الظّباء السّوانح. وأكّدت المودّةَ القديمه، والمحبّةَ المقيمه، فملأَت بالإخلاص مضمارَ الضمائرِ وجوَ الجوانح. وقد أعاد المملوكُ سيفَ الدين بهادر بهذه العبودية، بعدما حمّلَه من السلام ما يقصُّ على السمع الكريم سطورَه، ومن الثناء ما تتضوأ بدورَه ويتضوّعُ منثورَه.. ومن الدعاءما يرفعُه فى الليل العاتم، ومن تقْبيل الأَرض ما يتشرفُ به اللاثم، فيتصدّقُ مولانا بالإصغاء إلى ما ينهيه إلى مسامعه الكريمَه، والله تعالى يجعل السعود له أينما توجه خَديمَه، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى.

هوامش حرف الحاء

(حسن بن علي المعروف بابن البنا)

(*) هذه الترجمة بأكملها ساقطة من الأصل ومن (ب)، وقد أثبتها عن (أ، ز، م). هذا، وقد ترجم لابن البنا، ابن تغرى بردى فى (النجوم الزاهرة ١١/ ٨٤، والمنهل الصافى ٢/ ٢٨) وفى الأخير يقول: «الحسن بن على الحسن بن على الأديب عز الدين، أبو محمد الشهير بابن البنا المتوفى سنة ٧٦٥هـ كما ترجم له ابن حجر فى (الدرر ٢/ ١٠٥). وفيه يقول: «الحسن.. كان فاضلاً بارعاً جميل المحاضرة حسن النظم والانشاد... توفى سنة ٧٦٥هـ.

(١) فى (أ) «إقامة جنفت علىّ».

(٢) فى الشطر الأول: «بين مروض» فى النسخ الثلاثة، ورواية الثانى فى (ز): «عن غزنه هتن علىّ سجاحها» واخترت «من» بدلا «عن» وذلك من (أ). واخترت «مثن» من (أ، م). هذا وفى (أ): «مثن على مساحها». وفى (م): «مثن على سحاحها». والمثن: نوع من المرض.

(٣) «من مرتاحها» أى من فروعها. جاء بلسان العرب (روح): «إذا طال النبت، قيل قد تروحت البقول» فهى متروحة».

(٤) «إذا نشرت» بجميع النسخ، وهو غير مستقيم وزنا. ولعل ما أثبته قريب من الصواب.

(٥) فى (م) جاء الشطر الأول: «مستلذ فيها» تحريف. وفى (أ): «متقلد فيه» تحريف أيضا، أما الشطر الثانى فى (أ): «يغنيه عن خطيبها» وفى (م): «يغنيه عن خطها» وفى (ز): «نفسته عنها حظها» بالحاء المهملة، والظاء المعجمة، والبيت على ما أثبته به عيب الإقواء.

(٦) «نمت» فى (م) وما أثبته أكمل للوزن.

(٧) (م): «السحب به سباحها». واخترت ما فى (أ). لوضوحه وانسجامه.

(٨) تضمين المثل العربى: «كمستبضع التمر إلى هجر». (مجمع الأمثال ٢/ ١٥٤ط السنة المحمدية)، و(المستقصى ٢/ ٢٣٣). وهجر: مدينة وهى قاعدة البحرين.. وقيل: ناحية البحرين كلها بهجر. وقيل غير ذلك نقلا عن (ياقوت ٨/ ٤٤٥ ـ ٤٤٧).

(٩) البيت فى (أ) برواية: (حاز المعالى.... وهو المصيب ثناء. وفى (ز): «وهو المصيب بناء».

(١٠) فى (ز): «أين المعارف كالرحا با بعضها» تحريف، فالركوة إناء صغير من جلد يشرب فيه الما، والجمع ركوات بالتحريك وركاء. (لسان: ركا).

(١١) ورد هذا البيت فى (ز) آخر القصيدة.

(١٢) هكذا فى النسخ.

(حسن بن جعفر)

(*) لم أحصل له على ترجمة فيما توصلت إليه من مصادر.

(١٣) الزيادة من باقي النسخ، والرواية في (ز) «معقودة ولك» باللام. تحريف.

(حسن بن حبيب)

(*) نال ابن حبيب عناية كثير من المترجمين كابن حجر في (الدرر ٢/ ١١٣ - ١١٥)، وفيه: «الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب بن عمر من سونج.... المتوفى سنة ٧٧٩هـ. وابن العماد في (شذرات ٦/ ٢٦٢٦). وفيه: «بدر الدين أبو محمد الحسن بن عمر بن حسن بن عمر بن حبيب...» وغيرهما.

(١٤) لعل القصيدة المشار إليها هي البائية المذكورة في (درة الأسلاك ٣/ ٤٥)، ومطلعها:

بين جسمي وبين خصرك نسبة   كيف حتى منعت يا غصن قربه

(١٥) في قوله: «الثريا نعله» إشارة إلى قول القاضي الفاضل:

أما الثريا فنعل تحت أخمصه   وكل قافية قالت لذلك: طا

وفي قوله: «والهلال قلامته» الأصل فيه قول ابن المعتز:

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا   مثل القلامة، قد قدت من الظفر

(١٦) في (الأصل، ز): «وأزيده سرفا» بالسين المهملة، واخترت عبارة باقي النسخ.

(١٧) صدر بيت للمتنبي (ديوانه ١/ ٥٦، والمختار من شعر بشار / ٣٢٩)، وتمامه:

فديناك من ربع، وإن زدتنا كربا   فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

هذا، ولعله في قوله - قبل - «على كل بيت منها مع حسده» نظر إلى قول أبي تمام (بديوانه ٤/ ٤٩٠):

من كل بيت يكاد الميت يفهمه   حسنا، ويحسده القرطاس والقلم

(١٨) في (ز): «صبه» بالصاد المهملة تصحيفا. هذا، وضبه من قولهم: ضب على الشيء، وأضب، احتواه ولزمه. فلم يفارقه (لسان/ ضبب). وقوله: «لقلوبهم طابخة» لعله من الطبخ، وهو إنضاج اللحم وغيره. والمعنى: لو تعاطاها العرب الأولون لأنضجت قلوبهم، ولم تفارق أذهانهم.

(١٩) لعله ابن نباته السعدي الفارقي. وقد سبق

(٢٠) الإشارة هنا إلى الفاضل وزير صلاح الدين، وهذا العيب الخلقي فيه قرأته لابن عنين هاجيا يقول:

سلطاننا أعرج، وكاتبه   أعمش، والوزير منحدب

(٢١) الكسائي سنأتي ترجمته. أما ابن يعيش، فهو سابق الدين محمد بن علي بن أحمد بن يعيش الصنعاني النحوي المتوفى سنة ٧٠٩. وثمة من لقب بهذا. وهو: موفق الدين أبو البقاء بن علي بن يعيش الحلبي، ويعرف أيضا بابن الصائغ، كان حجة في الأدب، عالما في النحو، توفي سنة ٦٤٣هـ (دائرة المعارف ١/ ٤١٦).

(٢٢) المراد رشح القِربة، وهو كناية عن الشدة، كما جاء في (المنتخب/ ١٣٠).

(٢٣) ابن البواب علي بن هلال - سبق تعريفه - أما ابن مقلة، فهو لقب لاثنين من الأدباء، أولهما: أبو علي محمد بن علي الحسين بن مقلة الكاتب المشهور المتوفى سنة ٣٢٨هـ (وفيات ٤/ ١٩٨ - ٢٠٢). وثانيهما: الحسن بن علي

بن الحسن بن عبدالله بن مقلة المتوفى سنة ٣٤٦هـ، وهو المعروف بجودة الخط، وبه يضرب المثل فى الحسن، يقول الصاحب بن عباد:

خط الوزير ابن مقلة   بستان قلب ومقلة

انظر (معجم الأدباء ٩/ ٢٨ - ٣٤، وثمار القلوب/ ٢١٠ هذا، والهدبة - بسكون الدال وضمها - الشعرة النابتة على شفر العين. والجمع هدب، وهدب (لسان/ هدب).

(٢٤) ابن سهل - المقصود به - هنا - إبراهيم بن سهل الإشبيلى الإسرائيلى، من كان الأدباء الأذكياء الشعراء، وكان يهوديا فأسلم، وتوفى غريقا سنة ٦٤٦هـ وقبل: سنة ٦٤٩. وقيل: بعد الخمسين (المنهل الصافى ١/ ٥١ - ٥٦). وهذا غير ابن سهل النحوى - إبراهيم بن سرى، أبو إسحق الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ.

(٢٥) ابن الخياط: لقب اثنين من الشعراء. أحدهما يحيى بن أحمد، أبو بكر المعروف بابن الخياط الأندلسى. كان شاعرا متفننا للحساب والهندسة بارعا فى علم النحو توفى سنة ٤٤٧هـ. (معجم الأدباء ١٩/ ٣١٣، ٣١٤). وثانيهما: أبو عبدالله أحمد بن محمد بن على بن يحيى ابن صدقه التغلبى المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقى، الكاتب. المتوفى سنة ٥١٧هـ. ترجمته (وفيات ١/ ١٢٧ - ١٣٠، بروكلمان ٥/ ٣٢).

(٢٦) فى العبارة إشارة إلى مصير عمارة بن على بن زيدان نجم الدين اليمنى الشاعر المشهور.. وقد صلبه بعد قتله شنقا الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٦٩هـ بتهمة التشيع لكثرة رثائه لدولة الفاطميين فى مصر (معاهد التنصيص ١/ ١٥٠، وقيل: بتهمة مكاتبة الفرنج كما جاء فى (الروضتين ١/ ٢٢٣).

(٢٧) ورد من هذه القصيدة التالية فى (درة الأسلاك ٣/ ٤٦) تسعة أبيات هى : الأبيات من ١ : ٤، والبيت: ٧، ١٠، ١١، ١٤، ١٥.

(٢٨) الكلمة ساقطة من الأصل، والزيادة عن باقى نسخ الألحان.

(٢٩) الآية/ ١ من سورة الفتح

(٣٠) فى الأصل «فى جمع شملنا» وفى باقى نسخ (ألحان): «فى الجمع بيننا» والتصويب من ديوان المتنبى ٢/ ٦٩. والبيتان له من قصيدة مطلعها:

نسيت وما أنس عتابا على الصد   ولا خفرا زادت به حمرة الخد

(٣١) الزيادة عن (ز، م).

(٣٢) هذا البيت نسبه الحموى فى خزانته/ ٢٦٥ إلى ابن الحلاوى الموصلى مع بيتين، والأبيات الثلاثة هى:

كتبت فلولا أن هذا محلل   وذاك حرام قست لفظك بالسحر
فوالله ما أدرى أزهر خميلة   بطرسك أم در يلوح على نحر
فإن كان زهرا فهو صنع سحابة   وإن كان درا فهو من لجة البحر

ونسبه الغزولى إلى ابن الحلاوى كذلك فى (مطالع ٢/١٤٣). هذا، والأبيات الثلاثة فى (نهاية الأرب ١٦٧) من غير عزو. والرواية فى البيت الأول: «قست خطك بالسحر» والبيت الأول والثالث بدون عزو فى (نسيم الصبا/٤٢).

(٣٣) ساقطة من الأصل والزيادة عن باقى نسخ (ألحان..).

(٣٤) البيت سبق.

(٣٥) فى (ز، م): «وهى هذه». وفى قوله: «المقابلة بالجبر تورية وإشارة إلى: (علم الجبر والمقابلة) وهو من علم العدد، المعروف (بالارتماطيقى) انظر للكتب المؤلفة فى هذا الميدان (صبح الأعشى ١/٤٧٧).

(٣٦) ورد فى كتاب (روض الآداب الورقة/ ١٦ ب) من قصيدة ابن حبيب مقطوعة وهى الأبيات: من ١/٩. وقد ورد بعد البيت التاسع بيتان زائدان، وهما مع التاسع:

أنظر إلى جفنيه واعجب لها ... مكسورة تسبى العقول الصحاح
يا سائلي عن حال قلبى الذي ... قد ضل فى العشق طريق النجاح
ما حال عانٍ وجده حاضر ... مريض شوق غاب عنه الصلاح.

(٣٧) (الروض): «أسمر ماهز».

(٣٨) (الروض): «وجهه فى الدجى».

(٣٩) (الروض):

ذو مقلة كم أطلقت أسهما ... وأوثقت من مهجة بالجراح

وعلى هذا فالبيت الرابع والخامس قد أدمجا معا.

(٤٠) (الروض: «... القلب المعنى جناح».

(٤١) الخط المنسوب، أى الجيد المتقن، المبنى على قاعدة.

(٤٢) الزيادة لكمال الوزن من (أ، ب م). والعبارة فى: (ز): هكذا: «لم أنس إذ وافاه فى طيه».

(حسن بن على، بدر الدين بن المحدث)

(*) له ترجمة فى (فوات ١/٢٥٢، ٢٥٣) وقال ابن شاكر: «توفى سنة ٧٣٢هـ، أو سنة ٧٣٣هـ، وقد ناهز السبعين». وترجمته أيضا فى (تتمة المختصر ٢/٤٣٦): وفيه: «ومات المجود الأديب بدر الدين حسن بن على بن عدنان الهمدانى بن المحدث سنة ٧٣٤هـ» وفى (الدرر ٢/١٠٩، ١١٠) يقول ابن حجر: «الحسن بن على بن محمد.. توفى سنة ٧٣٤هـ. كما ترجم له الصفدى فى (الوافى ١٢/٧٣ - ٧٦).

(٤٣) فى (ز): بعد قوله: «التزم فيها الجيم» كلمة: «بياض» وبعدها مساحة بيضاء. وفى (م): (فيها الجيم، وهى). وبعدها مساحة بيضاء أيضا. هذا، والعبارة فى (الوافى): «كتب.. لامية ملزومة.. ولم أجد أبياته لعدمها عند تعليقى هذه الترجمة».

(٤٤) الزيادة من (ز)، وفيها: «فكتبت أنا إليه الجواب...».

(٤٥) «الجمل» جمع جملة. والجملة: جماعة الشىء، وأجمل الشىء جمعه عن تفرقة، وأجمل له الحساب كذلك. والجملة جماعة كل شىء بكماله من الحساب وغيره (لسان: جمل). والمعنى: إن له من الصفات الحميدة ما لا يحصيها الحصر.

(٤٦) فى الأصل، وفى (أ، ب، م): «حلت» بالحاء المهملة. واخترت ما فى (ز) لكمال الوزن مع صحة المعنى.

(٤٧) تضمين ما جاء بالمقامة البكرية (الحريرى / ٤٨٢):
(فاسلم ودم دوم النعام والنعم)

(حسن بن على، بدر الدين الغزى)

(*) ترجم له الصفدى فى (الوافى ١٢/٧٦)، وابن تغرى بردى فى (النجوم ١٠/٢٨٨، ٢٨٩ - والمنهل ٢/٣٠، ٣١) وقال: «.. مولده سنة ٧٠٧هـ، ووفاته سنة ٧٥٣هـ» وغيرها.

(٤٨) البيت مأخوذ من قول على بن الجهم لما حبسه المتوكل (التذكرة الصفدية ١/٦٢):
قالت:

حبست. فقلت: ليس بضائرى حبسى، وأى مهند لا يغمد؟!
أو ما رأيت الليث يألف غيله كبرا، وأوباش السباع تردد؟!

(٤٩) الزيادة عن (أ، ب، م) والرواية فى (أ، ب): «فى كل جارحة» هذا وبداية الشطر الثانى فى الأصل: (تبت..) بالتحريف، والتصويب من باقى النسخ لسلامة الوزن.
(٥٠) يقال كل شىء شوى أى هين ما سلم لك دينك، وما كان غير مقتل - كاليدين والرجلين وأطراف الأصابع - فهو شوى (لسان: شوا).
(٥١) «تلزه عن در» فى (ز).
(٥٢) وردت هذه القصيدة فى (الوافى ١٢/٧٨، ٧٩).

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

(٥٣) فى (ز): «نقله» بالتصحيف.
(٥٤) فى الأصل، (م): «لا ينم». وفى (أ، ب، ز) ما أثبته ولعل الكلمة «لا يذوب».
(٥٥) الشطر الثانى مأخوذ من قول أبى تمام (بديوانه ١/٦٦)، و(الإبانة/٢٢٨).
(٥٦) بالأصل: «لو لم تكن» واخترت عبارة (أ، ز، م، والوافى)
(٥٧) «زاده فى (ز، م). بالتحريف. والمعنى: أنه جعل المجد غايته، فبز العظماء، بل أقصاهم حتى أصبحت صغار أمجاده تناهز شوامخ فخارهم.
(٥٨) فى (ب): «لامانة ثلبه» وبهامشها: الثلب ككتف: نوع من الرماح. أ. هـ. واليلب: الدروع اليمانية: وقيل الفولاذ من الحديد. وقيل: هى البيض تصنع من جلود الإبل (لسان: لب).
(٥٩) «واقصد رحابه» فى (ز). وكلاهما صحيح.
(٦٠) بالوافى: «تمد على هام».
(٦١) (الوافى): «فالى»..
(٦٢) فى البيت تورية، حيث يقصد بياقوت، «جمال الدين أبو الدر ياقوت المستعصى البغدادى الخطاط المشهور، الذى يجعل ابن الفوطى (الحوادث الجامعة/٥٠٠) وفاته سنة ٦٩٨هـ.. لابد أنه توفى بعد سنة ٧٠٤هـ. لأن مصحفا خطه بقلمه فى هذه السنة..» نقلا عن (بروكلمان: ٦/١٦٧، ١٦٨).
(٦٣) الأبيات الأربعة التالية وردت فى (صرف العين/٢٩).
(٦٤) يريد بالعين هنا - لام الكلمة من (ضبع). فإذا حذفت اللام صارت الكلمة (ضبا).
(٦٥) وردت الأبيات الخمسة الأولى من المقطوعة فى (صرف العين ٢٩).
(٦٦) لم أعرف له معنى. ولعله يقصد بالزهر المحول - أى المحول إليه، وهو المشبه به - الزهر الحقيقى الذى يغض طرفه ويطلب تحويله - على المجاز - إلى روضة شعر صاحبه وما فيها من أزهار تهدى..
(٦٧) لعله يريد برأسه فاء الكلمة من (ضبع) وهى: الضاد. و(العين) المراد - هنا - اللام من الكلمة، وبوضع العين رأساً تصير الكلمة «عضبا» وهو السيف القاطع.
(٦٨)بالأصل، (أ،م): «الشمس بازغة» واخترت ما فى (ز).
(٦٩) البيتان للمتنبى (بديوانه ٣/١٨) مع اختلاف فى ترتيب الأبيات. وبرواية: «ولو كان النساء كمن فقدنا». وهما من قصيدته التى يرثى بها والدة سيف الدولة. ومطلعها:

نعد المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتال.

(٧٠) جاء في (محيط المحيط: بلج): «وأبلوج السكر نباته، فارسي معرب: ومعناه السكر المطبوخ ثلاث مرات...» هذا وفي مادة (قطر) قوله: «والقطر عند المولدين سكر يذاب بالماء ثم يغلي على النار حتى يأخذ قوامه، ويستعمل في بعض الحلويات مكان العسل».
(٧١) يقتبس قوله تعالى: «وأشرقت الأرض بنور ربها...» من الآية/ ٦٩ من الزمر.
(٧٢) يشير إلى قول المتنبي (بديوانه ٣/ ٢٩٠):

تريدين لقيان المعالي رخيصة ولابد دون الشهد من إبر النحل

(٧٣) هو المتنبي، والبيت بديوانه ١/ ١٩ من قصيدته التي مطلعها:

أم ازديارك في الدجى الرقباء إذ حيث كنت من الظلام ضياء

(٧٤) الكلمة ساقطة من الأصل، (م) والزيادة عن (أ، ب، ز).
(٧٥) في (ز): «على أكتاف».
(٧٦) «عذبه» قيل: عذبة كل شيء طرفه.. وعذبة الشجر غصنه (لسان: عذب).
(٧٧) (يشير إلى قول امرئ القيس (بديوانه/ ١٩):

كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل.

(٧٨) الجملة تشير إلى قول أبي هلال العسكري (الصناعتين/٢٦٢):

والغيم يأخذه ريح فتنفشه كالقطن يندف في رزق اليابيع

(٧٩) من قوله - عز وجل -: «حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور» الآية/ ٤٠ من سورة هود.
(٨٠) (يشير إل قول المتنبي (بديوانه ٤/ ١٦٣) والتمثيل والمحاضرة/ ٢٤٨):

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم، وأتيناه على الهرم

(٨١) يشير إلى قول المتنبي: (ديوانه/١/١٨):

لبس الثلوج بها على مسالكي فكأنها ببياضها سوداء.

(٨٢) يشير إلى قول المتنبي:

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة سال النضار بها وقام الماء.

(٨٣) الزيادة وردت في جميع النسخ ما عدا الأصل
(٨٤) يقتبس قوله تعالى: «.....وأنزل لكم من السماء ماء، فأنبتنا به حدائق ذات بهجة» من الآية/ ٦٠ من سورالنمل.
(٨٥) هذه الجملة المحصورة وردت في الأصل بعد الجملة، التي بعدها واخترت ترتيب (ب، ز، م). لانسجامه. والجملة ساقطة من (أ).
(٨٦) بالأصل وجميع النسخ: (أولاد الزناء) بالألف الممدودة ولعل ما أثبته أخف. اللهم إلا إذا كان المراد «أولاد الزناء» - بتضعيف الزاي - والزناء أي الحاقن الذي به بول. فالعبارة عي هذا كناية عن الخسة وانحطاط المنزلة. «بيادقها» بالدال المعجمة في (ب) والبيذق - بالمعجمة - من الشطرنج (بذق: لسان العرب). وجاء في (أقرب

الموارد/ ٢مادة: فرز) قوله: «تفرزن البيدق ـ بالدال المهملة ـ صار فرزانا، وهى الملكة فى لعب الشطرنج معرب فرزين بالفارسية». هذا، ويقول الثعالبى فى كتابه (الكنايات/٢٤): «ومن عادة الشطرنجيين إذا تفرزن بيدق لهم فى الرقعة أن يعلموا عليه...». ومعنى العبارة وارتفع وضيعهم.

(٨٧) بنات نعش: سبعة كواكب، أربعة منها نعش (شبه السرير) لأنها مربعة، وثلاثة بنات نعش.. لسان (نعش).

(٨٨) الزيادة عن باقى النسخ. وهى ضرورة لسلامة المعنى والوزن.

(٨٩) الشطر الثانى غير مستقيم الوزن.

(٩٠) فى الأصل، و(أ): «سنة اثنين وخمسين، وأثبت ما فى النسخ الباقية.
هذا والكلمة المحصورة ساقطة من (أ).

(٩١) «ظله» بالطاء فى الأصل وفى (م).

(٩٢) لعل العبارة مأخوذة من قول أبى تمام ـ مع الاختلاف فى صفة المدح ـ (ديوانه ٤/١٩٥):

لم يعرفوا مثله جمالاً جل عن المثل والنظير..

(٩٣) فى الأصل: «والصنبر» بياء قبلها نون. تصحيف. تصويبه من النسخ الباقية. والصن: اليوم الأول من أيام العجوز. والصنبر اليوم الثانى وفيهما يقول الشاعر:

فإذا انقضت أيام شهلتنا صن وصنبر مع الوبر

(٩٤) ساقط من الأصل، والزيادة عن النسخ الأربعة الأخرى.

(٩٥) البيت نسبه الصفدى فى (الكشف والتنبيه الورقة/٨٣) إلى ابن المعتز (وليس بديوانه ط. بيروت) وأورد بعده ثمة؛:

وكأن قطن سمائه در على الأغصان نابت

وفى المغرب ١/٣٦٠) ورد لأبى إسحاق إبراهيم بن خيرة فى حديقة الارتياح، هذين البيتين:

يوم كأن سحابه لبست غمامى المصامت
حجبت به شمس الضحى بمثال أجنحة الفواخت

(٩٦) إشارة إلى طوفان نوح ـ عليه السلام ـ وما بين القوسين لابن لؤلؤ الذهبى، ضمن أبيات، لما توالت الأمطار (ريحانة الألباب ٢/٩٠) وتمامه:

إن أقام الغيث شهراً هكذا جاء بالطوفان والبحر المحيط

(٩٧) يقتبس قوله تعالى: «وثمود الذين جابوا الصخر بالواد» الآية/ ٩ من سورة الفجر»

(٩٨) «الغبيط» فى (ب،ز). تصحيف. والدم العبيط: أى السائل من ذبيحة سمينة فتية لا كسر فيها ولا داء. وفى هذه الحالة يكون التدفق شديداً.

(٩٩) فى (أ): «زنته الراجحة» بالتصحيف، والكلمة المحصورة ساقطة من (ب).

(١٠٠) فى (ز): «برجله الطامى». وهو يقتبس هنا قوله تعالى: «واجلب عليهم بخيلك ورجلك» من الآية / ٦٤ من سورة الإسراء.

(١٠١) يشير إلى المثل العربى: «بلغ السيل الزبى» ـ ويضرب لمن جاوز الحد. وهو من كلام عثمان بن عفان فى رسالته التى كتب بها إلى على ـ كرم الله وجهه ـ وهو محاصر. (مجمع الأمثال ١/٩٦، والتمثيل والمحاضرة/٢٥٥) ومنه قول تميم مشيراً إلى أفتكين (بديوانه/١١):

ورام الخــلاص، وكــيف الخــلاص وقـــد بلغ المـــاء أعلى الزبى؟!

(١٠٢) أى بعيون أثقلتها الدموع. من قولهم: دلف الحامل بحمله... أثقله لسان (دلف)
(١٠٣) الخلف: الردىء. والخلف. ولدى السوء. والخلف، القرن بعد القرن. يقال: هؤلاء خلف سوء للناس لاحقين بناس أكثر منهم
(١٠٤) النبالة: الترة والذحل، أى ثأر لى. هذا وابن منصور، هو، على بن منصور الحاجب. والصفدى يشير إلى قول المتنبى من قصيدة يمدح ابن منصور. (بديوانه ١/١٢٥):

هــالا مــتى علم ابن منصــور بهــا جــاء الزمـــان إلى منهـــا تائباً

(١٠٥) يشيرإلى ما جاء فى الحديث برواية أنس - رضى الله عنه - قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلى، فإ لم تكن ثمرات حسا حسوات من ماء». وبرواية أخرى: «كان رسول الله ﷺ يحب أن يفطر على ثلاث ثمرات، أو شىء لم تصبه النار» (نيل الأوطار ٤/ ٣٠٠، ٣٠١).
(١٠٦) تخترط. من خرط الحديد خرطاً طوله كالعمود.
(١٠٧) صدر بيت لابن هانىء الأندلسى، وهو مطلع قصيدته التى يمدح بها الخليفة المعز لدين الله، ويذكر خيبة بنى أمية (بديوانه/ ١٨٤) وتمامه:

ألؤلؤ دمع هذا الغــيث أم نقط؟! مــا كــان أحـسنه لو كــان يلتـقط!

هذا، وابن هانىء: هو أبو القاسم محمد بن هانىء الأزدى الأندلسى، أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة، توفى سنة ٣٦٢هـ، وقيل سنة ٣٦٥هـ. ترجمته (وفيات ٤/ ٤٩ - ٥٢، ومعجم الأدباء ١٩/ ٩٢ - ١٠٥).
(١٠٨) فى العبارة إشارة إلى قوله تعالى: «قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة....» من الآية/ ٧١ من سورة القصص.
(١٠٩) «جامعه»، أى قيد وضيق. يقول ابن نباته مخاطباً صلاح الدين الصفدى (الغيث ٢/٢٦٨):

أمـــولاى غـــبت وخلفـــتنى من الهم ذا فكرة خــاضـــعــه
فـــهـــا أنا بعـــده فى جـــامع ولـكن قلـبى فـى جــامـعـــه.

(١١٠) خنز اللحم: فسد وأنتن.

(حسن بن محمد خطيب الجامع الظاهرى)

(*) له ترجمة فى (الوافى ١٢/ ١٠٦ - ١١٠) وفيه توفى سنة ٧٢٣ هـ «وكذا فى (من ذيول العبر ١/١٣١) أما ابن حجر فى (الدرر ٢، ١٣٠/ ١٣١) فقال: «وفاته سنة ٧٢٣ هـ.... وقيل - سنة ٧٣٦هـ» والأول هو الصحيح. وهو فى (عقد الجمان القسم ٣ من ج ٢٣/ ٤١٨ - ٤١٩): «نجم الدين الحسن بن محمد بن الحسن القرشى القرطبى.. وهو شيخ الشيخ صلاح الدين الصفدى. وكان شعره غاية».
(١١١) لعل الجامع الظاهرى هو ما أشار إليه المقريزى فى (الخطط ٢/ ٣٧٨) مبيناً أنه بنى سنة ٦٦٢ هـ فى عهد الظاهر بيبرس.
(١١٢) وردت هذه المقطوعة، وجواب الصفدى عنها فى (الوافى).
(١١٣) بالوافى (فأنت فى هذا المكين..)
(١١٤) الزيادة عن (الوافى).
(١١٥) بالوافى: «فكتبت أنا جوابه رحمه الله تعالى».

(١١٦) بالوافي: «فالغش»

(١١٧) (في الأصل، و(أ) «جلت بروقًا» وأثبت ما في (ب).

(١١٨) في هذا المعنى قول عمر الخيام (رباعيات الخيام/٣٥):

هبوا املئوا كأس الطلى قبل أن تفعم كأس العمر كف القدر.

(١١٩) في الأصل: «بردا» تحريف تصويبه من باقي النسخ.

(١٢٠) يشير إلى قول امرئ القيس في مطلع معلقته (بديوانه/٨):

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى عند الدخول فحومل

هذا، و«السقط.... منقطع الرمل. واللوى حيث يلتوي ويرق، وإنما خص منقطع الرمل وملتواه، لأنهم كانوا لا ينزلون إلا في صلابة من الأرض ليكون ذلك أثبت لأوتاد الأبنية... وإنما تكون الصلابة حيث ينقطع الرمل ويلتوي» أ. هـ. هذا، وفي ذكر اللوى والخيام يقول جميل/٧٦ من ديوانه):

وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى لقمريها بالمشرقين سجيع

(١٢١) ورد هذا البيت والذي بعده في (الكشكول للعاملي/٣٢٣) والرواية في الأول: «ما هذه الدنيا». ويشير إلى قول ابن الرومي (زهر الآداب ١/١٠٣):

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة إذا زال عن نفس البصير غطاؤها
وكيف بقاء الناس فيها وإنما ينال بأسباب الفناء بقاؤها

(١٢٢) الشطر الأول من البيت في (الكشكول)، «فسام لما سام فيها البقا».

(١٢٣) الزيادة عن (ب).

(١٢٤) يشير إلى قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى عند الدخول فحومل

(١٢٥) ثبير: من أعظم جبال مكة بينها وبين عرفه.

(١٢٦) في نسخ (ألحان السواجع): «سقاني طفلاً» ولا يستقيم مع هذا الوزن، ولعل ما أثبته قريب من المراد. أو: «سقاني طويلاً» ليتحقق الانسجام اللفظي مع قوله: «إلى أن طال» في الشطر الثاني أو «سقاني صغيراً.....» وهو الأجمل. لأ الصفدي الآن يخاطب أستاذه أو يتحدث عنه.

(١٢٧) «جوره» في (ز) تحريفاً. وهو يشير إلي قول المتنبي (بديوانه١/ ١٣٠):

كالبحر يقذف للقريب جواهرا جوداً، ويبعث للبعيد سحائباً

(١٢٨) الملث: اختلاط الظلمة، وقيل هو بعد السدف. والملث: أول سواد المغرب.

تذكرت والذكرى تهيج على الفتى ومن عادة المحزون أن يتذكرا

(١٢٩) يقول النابغة الجعدي (العمدة ١/ ١٠٦):

(١٣٠) الذيادة عن (أ،ز).

(١٣١) لعله مأخوذ من قول امرئ القيس (ديوانه/ ١٨٥):

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد

(١٣٢) اقتباس من الآية/ ١٩ من سورة غافر.
(١٣٣) يقتبس قوله تعالى: «ولقد عهدنا إلى آدم من قبل، فنسي، ولم نجد له عزماً» الآية/ ١٥٥ من سورة طه.
(١٣٤) في الأصل: «الابريق» والتصويب من هامش (ب). وفيه يقول: (صوابه. وما حله إلا ببرق).
(١٣٥) كلمة «سدير» ساقطة من (ز). والرواية في (ب): «مستطيراً فؤاده» والسدر: ضيق الخلق. لسان (سدر). هذا، وفي هذا البيت وما بعده يقتبس قوله تعالى في شأن موسى عليه السلام - : «إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا، إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى». الآية/ ١٠ من سورة طه.
(١٣٦) يقصد قوله (بديوانه/ ٤٨، ٤٩):

ولقد ذكرتك في السفينة والردى متوقع بتلاطم الأمواج
والجو يهطل والرياح عواصف والليل مسود الذوائب داجي
وعلى السواحل للأعادي غارة يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لأصحاب السفينة ضجة وأنا وذكرك في ألذ تناجي.

(١٣٧) الأصل في ذلك المعنى عنترة في قوله لعشيقته عبلة:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

(١٣٨) (بالغيث ٢/ ٢٤، ٢٥) قوله: «وكلفت أنا في سنة سبعمائة وعشرين، نظم شيء من هذه المادة فقلت» ثم أورد شعره المذكور هنا.
(١٣٩) مأخوذ من قول بشار (الصناعتين/ ٢٥٦):

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

(١٤٠) (الغيث): «والنفس قد سالت على حد الظبا».
(١٤١) ورد البيتان (الدرر ٢/١٣١) ورواية الشطر الثاني من البيت الثاني فيه هكذا: «يغشاه ثم أذى لظى نيرانه».. تحريف، لأن المراد هو خوفه من غرقه في دموعه الغزيرة - التي تشبه البحر - أو احتراقه بما في قلبه من نيران الألم لفراقه.
(١٤٢) بالأصل والنسخ أيضاً: «ودمع المقلتين». وعلى هامش (ب) قوله: «صوابه. مقلتي» وهذا ما أخذت به.

(الحسين بن سليمان... بن ريان)

(*) ترجم له الصفدي في (الوافي ١٢، ١٤) وابن حجر في (الدرر ٢/ ١٤٢) وفيه: «ابن زيان... توفي سنة ٨٨٠ هـ، و قيل: سنة ٧٦٩هـ، وقيل سنة ٧٧٧هـ» كما ترجم له ابن تغري بردي في (المنهل ٢/ ٤٣، ٤٤) وفيه: «الحسين.... بن أبي الحسين...».
(١٤٣) (بالوافي: «ناظر الجيش».
(١٤٤) اقتباس قوله تعالى: «مطاع ثم أمين» الآية/ ٢١ من سورة التكوير.
(١٤٥) أمين - من المين: وهو الكذب.

(١٤٦) فى قوله: «نون» تورية.

(١٤٧) فى (ب): «فكتب». وبالأصل: «وكتب» وأثبت ما فى (م) اعتماداً على أن الصفدى قد نص سابقاً على أن: «فى أثناء الكتاب (كتاب ابن ريان) بيتان وهما» (انظر آخر رسالة ابن ريان). هذا ثم إنه قد جرت المادة على أن «المراجع» يقتدى «بالبادى» فكما جاء برسالة ابن ريان بيتان على قافية الكاف من نفس وزن قصيدته، أورد الصفدى ذلك أيضاً.

(١٤٨) مأخوذ من قول أبى الفتح البُستى (نهاية الأرب ٩٣/٧):

فهمت كتابك يا سيدى فهمت ولا عجب أن أهيما

(١٤٩) فى (أ): «ولا تقل لُقم» بالحذف. وفى (ز): «ولم أقل لم أقم». وفى (م): «ولا تقل لم أقم». وبالأصل، (ب) «ولا تقل لى أقم»، وقد أثبت ما فى (زم).

(١٥٠) يقتبس قوله تعالى: «عندها جنة المأوى» الآية/١٥ من سورة النجم.

(١٥١) الأشب: شدة التفاف الشجر وكثرته.

(١٥٢) السيارة الشهب: المراد بها الكواكب السبعة السيارة وهى: زحل، والمشترى، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر. (صبح الأعشى ٢/ ١٥٦).

(١٥٣) فى الأصل: «ملك تجدنى» تحريف تصويبه من النسخ الأخرى.

(١٥٤) ماخوذ من قول البحترى

ما أحسن الأيام إلا أنها يا صاحبى إذا مضت لم ترجع

ولعل ما قاله قس بن ساعدة فى خطبته بسوق عكاظ هو الأصل فى هذا المعنى، (إعجاز القرآن/ ٢٠١) ضمن أبيات:

لا يرجع الماضى إلى ولا من الباقين غابر

(١٥٥) مأخوذ من قوله تعالى: «وهو الذى أنشأ كم من نفس واحدة فمستقر ومستودع..» من الآية/ ٩٨ من سورة الأنعام.

(١٥٦) «فما بسواها له» فى (أ). وفى (ب، ز): لسواها به». وبالأصل: «لسواها بها» ولعل ما أثبته قريب من الصواب.

(١٥٧) «صلاح» فى (ب)

(١٥٨) بالأصل: «الأربع» بفتح الباء. ولعلها: الأربع ـ بضم الباء ـ جمع ربع، والربع: الدار بعينها حيث كانت.

(١٥٩) مأخوذ من قول المجنون:

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا.

(١٦٠) لعلة هنا يشير إلى «يوشع» النبى ـ عليه السلام ـ واستيقافه الشمس. على ما روى «من أنه عليه السلام، قاتل الجبارين يوم الجمعة. فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم، ويدخل السبت، فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله تعالى، فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم «انظر (مختصر المعانى ص ٣٨٥).

(١٦١) لعله مأخوذ من قول أبى بكر محمد بن يحيى الصولى فى قلم ممدوحه (نهاية الأرب ٢٦/٧):

تجرى دماء الأعادى بين أسطره ولا يحس له صوت إذا ضربا

(١٦٢) وردت هذه الرسالة وجواب الصفدى عليها فى (الطبقات السنية ٢/ الورقة/ ٨٥٥)

(١٦٣) الشطر الأول فى (الطبقات السنية): لقد سمع السلوك....» بالتحريف.

(١٦٤) حرف (ه) ساقط من (الأصل، ز، م) والزيادة عن (الطبقات السنية) والرواية فى (أ، ب): «فى الحال لائح» وهذا جائز على تأويل قوله «فى الحال» أى فى هذا الوقت.

(١٦٥) (الطبقات): «أصبحت رياض»، ولا يستقيم الوزن معها.

(١٦٦) المراد أن فاعل الفعل «سمعت» هو «الذبائح». وترتيب الجملة على هذا. «إذا سمعت الذبائح أصنافنا من رعاتها، أتين....»

(١٦٧) فى الطبقات: «وأضافنا» بالتحريف.

(١٦٨) الزيادة من النسخ الأخرى.

(١٦٩) عبارة (ألحان السواجع): «آأفكا». وهذه هى الآية/ ٨٦ من سورة الصافات.

(١٧٠) الزيادة من (أ). وهذه من الآية/ ٢٢ من سورة الأنبياء.

(١٧١) الذى أبكى «فى (أ، ب، ز) وهو صحيح أيضاً. هذا، وبلاغة المعنى تقضى أن تكون العبارة هكذا: «الذى أبكى وأنكانا».

(١٧٢) عجز بيت لحسان بن ثابت ـ ضمن قصيدة يذكر فيها قتله عثمان بن عفان ـ (ديوان/٢١٦، والعمدة ١/٢٤٦، والعقد ٣/٣٨٥، ج ٤/ ٢٨٤ ـ ٢٨٩) وتمام البيت:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

هذا. وذكر العينى فى (شرح الشواهد الكبرى ـ هامش خزانة البغدادى ٤/ ١٧) أن هذا منسوب لكثير بن عبدالله المعروف بابن الغزيرة (شاعر إسلامى) وقيل: لأوس بن معزاء. وذكر ابن عبد البر فى (الاستيعاب ٣/ ١٠٤٩) أن هذا البيت ينسب لغير حسان، ويقال: إنه لعمران بن حطان.

(١٧٣) هذا البيت ورد فى (أ) بعد قوله: «وكم حللت الخطا».

(١٧٤) ورد هذا البيت فى (أ) بعد قوله: «تواظب الصوم فى يوم الخميس...»

(١٧٥) عجز بيت لعمران بن حطان (بمعجم الأدباء ١٦/ ٢١١، بترجمة: الفضل بن الحباب الجمحى (والاستيعاب ٣/ ١١٢٨) (والكامل للمبرد/ ٣: ١٦٩) وتمام البيت:

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

(١٧٦) يقتبس الصفدى قوله تعالى: «فروح وريحان وجنة نعيم» الآية/ ٨٩ من سورة الواقعة. هذا ولأسامة بن منقذ ـ على سبيل المجون ـ فى هذا المعنى (بديوانه/ ١٩٠):

يا ساكنى جنة رضوانُ وخازنها هنيتم العيش فى روح وريحان

(١٧٧) ورد هذا البيت مع آخر بدون عز وفى (المخلاة/ ٢٢٧) برواية: «.... أو لقوا أو حوربوا....» والبيت الذى معه هو:

«كأن ألسنهم فى النطق قد جعلت على رماحهم فى الطعن خرصانا»

(١٧٨) «عند الثم» فى (أ)

(١٧٩) هذا البيت لجرير (بديوانه/ ٥٩٥ ـ ط بيروت ـ، والشعر والشعراء ١/ ٩) برواية: «إن العيون... مرض» وفى جمهرة أشعار العرب/ ٣٧ برواية «إن العيون... حور» وهذا البيت من قصيدته التى مطلعها:

بان الخليط ولو طوعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

(١٨٠) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلى العراق، وآخرها مما يلى الهند. كما فى (البلدان ٣/ ٤٠٧).
(١٨١) ما بين الحاصرتين، ساقط من الأصل، والزيادة عن جميع النسخ الأخرى.
(١٨٢) يقتبس الصفدى من الآية/ ١٥٦ من سورة البقرة.
(١٨٣) يقبل الأرض» فى (أ).
(١٨٤) لعل التعبير: «وما شملته....».
(١٨٥) لعله يشير إلى الأسطورة الشهيرة (بخاتم سليمان) الذى يضرب به المثل فى الشرف والعلو ونفاذ الأمر. ولعل المعنى: عن حزن بلغ أقصى غايته.
(١٨٦) إشارة إلى يونس عليه السلام وقصته مع الحوت.
(١٨٧) تورية.
(١٨٨) ورد من هذه القصيدة فى (درة الأسلاك ٢/ ٣٨٠ ـ ٤٥١) تسعة أبيات وهى البيت رقم: ٤، ٨، ١٠، ١٥، ١٧، ١٨.
(١٨٩) تضمين قول حسان بن ثابت:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

(١٩٠) الشطر الثانى عجز بيت منسوب لقريط بن أنيف شاعر إسلامى فى حاشية (شرح ديوان الحماسة ١/ ٢٢)، (والمختار من شعر بشار/ ١٤٦) وينسب لأبى الغول الطهوى، فى: (التنبيه لابن جنى) نقلاً عن حاشية شرح ديوان الحماسة ١/ ٢٢). وهو غير منسوب فى العقد ٢/ ٣٢٤، وعيون الأخبار١/ ١٨٨، والغيث المسجم ١/ ٢٠٠، والفلك الدائر وتمام البيت مع ما قبله برواية (الحماسة):

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصرى معشر خشن عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا

(١٩١) «ذهل: حىّ من بكر، وهما ذهلان كلاهما من ربيعة؛ أحدهما ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة، والآخر (ذهل) بن ثعلبة» اللسان (ذهل)
(١٩٢) الشطر الثانى عجز بيت من قصيدة قريط بن أنيف ـ المشار إليها سابقاً ـ وتمامه:

قوم إذا الشرّ أبدى ناجزيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا.

(١٩٣) عجز بيت لعمران بن حطان من قصيدته التى يرثى بها عبدالرحمن بن ملجم، قاتل على كرم الله وجهه (معجم الأدباء ١٦/ ٢١٢، والإصابة ٥/ ١٨٢) وتمامه:

إنى لأذكره يوماً فأحسبه أو فى البرية عند الله ميزانا

وفى الاستيعاب ٣/ ١١٢٨ برواية «إنى لأذكره حيناً»
(١٩٤) فى الأصل «خبرتنا» وهو مع قبوله وسلامة وزنه فضلت عليه ما أثبته من (م) مع ما فيه من خبن).
(١٩٥) الزيادة من (ب).

(١٩٦) (فى المأذنة) هكذا بألحان السواجع (وبالتذكرة ١٤/ ١٧). العبارة هكذا: «وقفت بدمشق المحروسة فى شهر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة على لغز أنشأه المولى شرف الدين حسين بن المقر الجمال بن ريان حرسه الله تعالى فى المأذنة، وألزمت الجواب عنه». وقد ورد اللغز كاملاً فى هذا المصدر الورقة/ ١٧، ١٨ وفى (الغيث ٢/ ١٢٨) قوله: «وكنت قد وقفت على لغز أنشأه المولى الفاضل شرف الدين حسين بن ريان فى المأذنة، وهو نثر أتى فيه بأشياء مليحة وكلفت الجواب عنه، فأجبت عن ذلك، ومن جملة الجواب:

شهادته ما ردها غير كافر ويقضى بها من كان بالحق قاضياً
يقول معانى الطب يا عجبا له يصح وقد ضمت حشاه المراقيا

وهذا اللغز والجواب أثبتهما فى الجزء الرابع عشر من التذكرة التى جمعتها». ١ هـ. هذا، وقد جاء فى (شفاء الغليل) مادة (آذان) قوله: «مخلة مئذنة، والعامة تقول مأذنة، والقياس لا يأباه» ١ - هـ. وقد ذكر ابن حبيب هذا اللغز مختصراً فى (درة الأسلاك ٣/ ١٢٤٣) والرواية فى أوله: «ما تقول فى اسم إن قصد......».

(١٩٧) الزيادة عن التذكرة.

(١٩٨) «مبنى دخله» بالتذكرة».

(١٩٩) فى (ز، والتذكرة): «من البسيط».

(٢٠٠) فى (أ، ب، م، والتذكرة): «ركب من شيئين» تصحيف، لأن التضمين فى هذه العبارة من علم العروض.. والسبب عبارة عن حرفين، فإن كانا متحركين فهو السبب الثقيل، كقولك: لم. بك. وإن كان الأول متحركاً والثانى ساكناً فهو السبب الخفيف مثل: (هب).
والفاصلة الكبرى: أربعة متحركات يليها ساكن. كقولهم: (قتلهم).
انظر: (ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب/ ٥/٦).

(٢٠١) بالتذكرة «فترى».

(٢٠٢) يقصد مدينة (أذنة) وهى «قصبة إقليم بهذا الاسم فى آسيا الصغرى.. وتقع مدينة (أذنة) وسط سهل فسيح بالقرب من نهر سيحان» نقلاً عن مادة (أطنة) فى دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثالث/ ٥٣٠ دار الشعب).
هذا وعبارة (درة الأسلاك) هنا «خفيف وثقيل، خمساه اسم يليق بمسماه الأقراط والشغوف، وكل حرف منها ساكن، فلهذا يحسن عليه الوقوف» ١ هـ.

(٢٠٣) فى (التذكرة): «وقد قصدت بيان الجناب، ورصدت إتيان الجواب». وما بين الحاصرتين بعدها، ساقط منها.

(٢٠٤) الزيادة عن (ب). والجواب عن اللغز مذكور (بالتذكرة ١٤/ ١٩، ٢٠).

(٢٠٥) البيت للخنساء تبكى أخاها صخراً بن عمرو بن الحرث بن الشريد (بديوانها/ ٤٩) من القصيدة التى مطلعها:

قذى بعينك أم بالعين عوار أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

(٢٠٦) «فحقيق» فى (أ). والخنساء، هى «تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد، والخنساء لقب غلب عليها - تشبيهاً لها بالبقرة الوحشية فى جمال عينها - هى من شواعر العرب المعترف لهنّ بالتقدم، توفيت سنة ٢٤ هـ. ترجمتها (وفيات ٥/٨٧، ومقدمة ديوانها)

(٢٠٧) الوعساء: «السهل اللين من الرمل، وقيل: هى الأرض اللينة ذات الرمل، وقيل: هى الرمل تغيب فيه الأرجل.... ووعساء الرمل: ما اندك منه وسهل..» .. لسان (وعس)

(٢٠٨) (التذكرة): «استوعب سردها» بحذف «فى»

(٢٠٩) صدر بيت لحسان بن ثابت - من قصيدة يمدح عبدالله بن عباس - (بديوانه/ ٢٤٦). وتمام البيت:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتقطات لا ترى بينها فصلاً

(٢١٠) مأخوذ من قول البحترى فى مدح بن خاقان: (بديوانه ١/١٥٦):

وكـيـف لا يأمل راجـيـك الغنى ... وأنت رأس المـجـد، والناس ذنب

(٢١١) يقصد ببعض واصفيه: القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان: والبيتان مذكوران ضمن خمسة أبيات فى (الغيث ٢/ ١٢٨) وهى:

يا إماماً لـه ضـيـاء ذكـاء ... (يتـلاشى له ضـيـاء ذكـاء)
ما مسمى بالرفع يعرب والنصـ ... ـب، وإن كـان مـسـتـقـر البناء
علم مـفـرد فـإن رفـعـوه ... رفـعـوه قـصـداً لأجـل النـداء
أنـثـوه ومـنـه عـرف الـتـذ ... كـيـر، فـانظر تناقض الأشـيـاء
وهو ظرف فـأين من فـيـه ظرف ... ليـجلـى عـن هـذه العـمـيـاء

(٢١٢) بالأصل «فأما» وأثبت ما فى جميع نسخ (ألحان)، والتذكرة (. ورواية الأخيرة وأما المملوك فيقول فيه».
(٢١٣) سارية بن زنيم بن عبدالله بن جابر.. الدؤلى. أمرّه عمر بن الخطاب - رضى - على جيش وسيره إلى فارس سنة ٢٣ هـ فوقع فى خاطر عمر، وهو يخطب يوم الجمعة أن الجيش المذكور لاقى العدو، وهم فى بطن واد. وقد هموا بالهزيمة، وبالقرب منهم جبل، فقال فى أثناء خطبته: (يا سارية الجبل الجبل) ورفع صوته فألقاه الله فى سمع سارية فانحاز بالناس إلى الجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد عليهم (الإصابة ٣/ ٥٢، ٥٣، ومعيد النعم/ ١٢٢، والشعر والشعراء ٢/ ٤٦٢).
(٢١٤) مأخوذ من قول الأرجانى (وفيات الأعيان ١/ ١٣٦).

تأمل تحت ذاك الصـدغ خـالا ... لتـعلم كم خـبـايا فى الزوايا.

(٢١٥) الزيادة عن التذكرة.
(٢١٦) (م، والتذكرة): «آية فى المائدة» بالتحريف.
(٢١٧) «ويرقى فى كل حين» فى (التذكرة).
(٢١٨) يقتبس قوله تعالى: «ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه».... من الآية/ ١١ من سورة الحج. هذا وللحسين الضحاك فى هذا المعنى (الأغانى ٧/١٧٥):

فـجـحـدت ربى فـضل نعـمـتـه ... وعـبـدته أبداً على حـرف

(٢١٩) تورية. حافر: اسم فاعل من حفر.
(٢٢٠) «القريضة فيه» فى (التذكرة).
(٢٢١) «متكاء» فى (التذكرة) بالتحريف. وهو يقتبس قوله تعالى: «متكئين فيها على الأرائك...» من الآية/ ١٣ من سورة الدهر.
(٢٢٢) الشطر الثانى مأخوذ من قول للمتنبى (بديوانه ٤/ ٢٩٣):

مـدى بلغ الأسـتـاذ أقـصـاه ربه ... ونفس له لم ترض إلا التناهـيـا

(٢٢٣) ورد هذا البيت والذى بعده فى(الغيث ٢/ ١٢٨). برواية: «ويقضى بها من كان بالحق قاضياً».

(٢٢٤) يشير إلى قول امرئ القيس (بديوانه/ ٥٣، وذيل الأمالي/ ٣١):

(٢٢٥) فى (أ): «أوقفه المملوك» ولعلها أصوب. وقال بالتذكرة: «وبعث هذا الجواب على كتاب إلى المولى شرف الدين. جاء فيه من ذكر اللغز، ووصل فلان الدين وأوقف المملوك على اللغز الذى.».
(٢٢٦) بالتذكرة: «اليربوع إلى نافقائه» وقال: كذا.
(٢٢٧) فى (ب، م، والتذكرة): «الصواب فيه».
(٢٢٨) الكلمتان ساقطتان من التذكرة.
(٢٢٩) طبرية: «هى بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهى فى طرف جبل... وجبل الطور مطل عليها، وهى من أعمال الأردن» (ياقوت ٦/ ٢٣؟).
(٢٣٠) يشير إلى المتنبى فى قوله (بديوانه ٣/ ٥٢٧):

عـــلامـــة العلمـــاء واللج الذى لا ينتـــــهى، ولكل لج ســـــاحل

هذا وفى (طبقات السبكى ١٠/ ١٦١) برواية

«والبـــــحـــــر الذى........ ولكـل بحـــــــر.........»

(٢٣١) يقتبس من قوله تعالى: عندها جنة المأوى/ ١٥ من سورة النجم.
(٢٣٢) «يرقى إلى» فى (أ). وهو ما أثبته، إذ بالأصل «ترقى».
(٢٣٣) يذكر بقول جميل بن معمر (بديوانه/ ١٣٧):

وقـــالوا نراها، يا جـــميل، تبـدلت وغـــيـرها الواشى، فــقلت: لعلهـــا.

(٢٣٤) مأخوذ من قول أبى محمد عبدالجليل بن وهبون الأندلسى (وفيات الأعيان ١/ ١٠٦ ـ ط ـ مصر ـ فى ترجمة المتنبى ـ، وديوان المتنبى ٤/ ٦، والوافى ١٨/ ١٧، ومعاهد التنصيص ١/ ١٢، وحاشية طبقات السبكى ٩/ ٣٦١) وهو:

لئن جـاد شـعـر ابن الحسين فـإنمـا تجـيـد العطايا، واللهى تفـتح اللهـا

وقال صاحب معاهد التنصيص فى قوله: «واللهى تفتح اللها: هذا مثل قديم قاله أبو سعيد فى جعفر بن يحيى:

لابـن يـحـــيـــى مـــآثـــر بـلـغـت بـى إلـى الـســهـــــا
جـــاد شـــعـــرى بجـــوده والـلـهـى تـفــتـح الـلـهـــا

وانظر (الصناعتين/٣٣٣). واللهى: العطية، وقيل أفضل العطايا وأجزلها. واللها: اللحمة المشرفة على الحلق. ويكنى بها عن الثناء. وابن الحسين المراد به «المتنبى»
(٢٣٥) الزيادة عن جميع النسخ المساعدة. والحقف: المعوج من الرمل. والجمع حقاف وأحقاف.
(٢٣٦) الشطر الثانى، عجز بيت لزهير بن أبى سلمى (شرح المعلقات للزوزنى/ ١١٤، وجمهرة أشعار العرب/ ٥٠، ولسان: قشعم) وتمامه:

فشد فلم يلزع بيوتاً كثيرة لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم.

وأم قشعم: كنية المنية.

(٢٣٧) زيادة (و) عن (أ، ب، م) لسلامة الوزن وكمال المعنى. هذا وعبارة (ز) «كتب كنت أعشق وصلها، وهى صحيحة ملائمة أيضاً.

(٢٣٨) قوله «فعل المدام....» صدر بيت لابن حيوس (خزنة الحموى/ ٨٢) وتمامه مع قبله:

ومقر طق يغنى النديم بوجهه عن كاسه الملأى وعن إبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها من مقلتيه ووجنتيه وريقه

(٢٣٩) ورد هذا البيت فى (أ، ز، م) بعد الذى يليه.

(٢٤٠) الزيادة من النسخ الأربع الأخرى، وهى ضرورية لسلامة الوزن.

(٢٤١) يشير إلى المثل العربى: «إنما الشيء كشكله» ـ وهو من قول أكثم بن صيفى ـ (مجمع الأمثال للميدانى ١/ ٨١).

(٢٤٢) الشطر الثانى فى (ب): فأبعدها من، وفى (ز، م): «فأبعدها عن، وهو ما أثبته، لأن بالأصل: «فأبعدها فى».

(٢٤٣) «وكيف» فى (أ، ز، م). وهو ما أثبته. وبالأصل، ب: «فكيف».

(٢٤٤) العرب العرباء، «هم بنو قحطان بن عامر بن شالخ،بن أرفخشذ، بن سام بن نوح عليه السلام، وهم عرب اليمن، والمشهور منهم شعبان: الشعب الأول جرهم... والشعب الثانى يعرب الذى يقال إن العرب: إما سميت عربابه (صبح الأعشى: ١/ ٣١٥).

(٢٤٥) دوس، وتغلب، وشيبان، وذهل: قبائل عربية. الأولى منسوبة إلى دوس بن عدنان الأسدى جد جذيمة الأبرشى. والثانية، منسوبة إلى تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب. والثالثة لشيبان بن ثعلبة بن عكابة، أو شيبان بن ذهل بن ثعلبة. والرابعة لذهل بن شيبان....إلخ.

(٢٤٦) لعله مأخوذ من قول البعيث (النوادر/ ٢٩):

قد ينعش الله الفتى بعد عثرة وقد يجمع الله الشتيت من الشمل

(٢٤٧) زرود: موضع، وقيل: اسم رمل مؤنث.. (لسان: زرد).

(٢٤٨) البيت للمتنبى (بديوانه ٤/ ١٠٠) من قصيدته التى يمدح فيها على بن أحمد المرى الخرلسانى، ومطلعها:

لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام

(٢٤٩) من الآية / ٢٨٦ من البقرة.

(٢٥٠) فى (ب): «......وما غمت». وهذه الرواية أصح فأثبتها. وفى غير (ب): «وما عمت» بالعين المهملة. وعمت هنا لعلها من التعمية والخفاء إذا أريد الجناس التام.

(٢٥١) يشير إلى قول طرفة بن العبد (النوادر فى اللغة/ ٨٤).

نحن فى المشتاة ندعوا الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقر

الدعوة الجفلى، والدعوة الحفلى: الدعوة العامة.

(٢٥٢) فى العبارة إشارة تاريخية إلى الأحداث التى وقعت سنة ٧٥٣هـ. وأهمها الفتن الداخلية حيث خرج نائب حلب، ونائب طرابلس، ونائب حماه، ونائب صفد، وغيرهم ـ عن طاعة السلطان، حتى يمسك شيخون... وفى هذه الأزمة «ساد النهب للقرايا والحواضر، وشاع الفجور بالنساء، وعم الفساد.

هذا إلى جانب ما حدث فى ٢٠ من شهر رجب فى هذه السنة، حيث ركب نائب السلطنة سيف الدين أرغون، ومعه الجيوش الدمشقية، قاصدين ناحية الكسوة ليلاً لقتال المسلمين، وما صحب ذلك من انزعاج الناس وتشريدهم... إلخ. راجع: هذه الأحداث بالتفصيل فى (البداية والنهاية ١/ ٢٤١ ـ ٢٤٦).

(٢٥٣) اقتباس من الحديث الشريف فيما يرويه أبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال: كنا مع النبى [فى سفر... فقال: «يا عبدالله بن قيس قل لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة»، أو قال: «ألا أدلك على كلمة هى كنز من كنوز الجنة، لا حول ولا قوة إلا بالله»». (صحيح البخارى ـ باب الدعاء ـ المجلد الثالث ١٠٢٨ ـ ط دار الشعب).

(٢٥٤) بألحان السواجع: «قد كان ما كان». والتصويب من ديوان ابن المعتز/ ٢١٩. والبيت من قصيدته التى مطلعها:

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطال من المطر

(٢٥٥) فى الأصل: ، «وتسأل» وأثبت ما فى (أ، م).

(٢٥٦) اقتباس قوله تعالى: «وبلغت القلوب الحناجر» من الآية/ ١٠ من الأحزاب.

(٢٥٧) الآية/ ٨٥ من سورة النجم.

(٢٥٨) يشير إلى قول المعرى (وقد سبق):

قد أجبنا قول الشريف بقول فأثبنا الحصى عن المرجان

هذا ورواية الجملة فى (أ): فقد أثاب» بالتصحيف.

(٢٥٩) المرجان ـ فى الجملة الأولى: اللؤلؤ الصغار أو نحوه، واحدته مرجانة. وهو جوهر أحمر. والمرجان ـ فى هذه الجملة ـ: من المرج، وهو الفضاء. (اللسان(مرج)).

(٢٦٠) زيادة يقتضيها ارتباط الكلام مع ما بعده.

(٢٦١) البيت لمحمد بن كناسة الأسدى من شعراء الدولة العباسية ـ (بالأغانى ١٣/ ٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٧)، (تاريخ بغداد: ٥/ ٤٠٦ ط بيروت). وقبل هذا البيت:

فى انقباض وحشمة فإذا صادفت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسى على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم.

هذا والبيتان أيضاً فى (معجم الأدباء ١/ ١٤٣) برواية: «وجلت ما جلت غير محتشم» وفيه قوله: «نسب البيتان إلى ابن كناسة، وقد رواهما آخرون لأبى نواس». وفى (البيان والتبيين ٣/ ٢٨٥) برواية: «خليت نفسى على سجيتها» وفى (نهاية الأرب ٥/٧١) و(بهجة المجالس ١/ ٥٩٣) والرواية فى البيت الأول فيهما: «فإذا جالست أهل العفاف. والرواية فى الثانى هكذا: «وقلت ما شئت» وهذه الرواية هى التى وردت فى الأصل وفى (أ، ب، م) وأثبت ما فى (ز) والمصادر السابقة.

(الحسين بن على بن عبدالكافى)

(*) نال عناية الكثير من المترجمين، كابن تغرى بردى فى (المنهل ٢/ ٤٦، ٤٧) وابن حجر فى (الدرر ٢/ ١٤٨ ـ ١٥٠) وابن قاضى فى شبهة فى (طبقات الشافعية الورقة/ ١٣٣) والسبكى فى (الطبقات الكبرى ٩/ ٤١١) وغيرهم. وفاته سنة ٧٧٥ هـ.

(٢٦٢) فى البداية والنهاية ١٤/ ٢٥١: كمال الدين).
(٢٦٣) الزيادة عن جميع النسخ. والرواية فى (أ): «بالشام المحروسة».
(٢٦٤) قد أشار إلى ملهذا البيت من مكانة علمية فى دولة المماليك ـ الأستاذ/ محمد الصادق حسين فى كتابه: (البيت السبكى: بيت علم فى دولة المماليك) وقد نشر هذا الكتاب سنة ١٩٤٨م ط/ دار الكاتب المصرى.
(٢٦٥) ورد هذا البيت والأبيات الأربعة التى تليه فى (طبقات السبكى ٩/ ٤١٣، ٤١٤).
(٢٦٦) فى (أ): «أتى إذ أتاناه. وفى (طبقات): «لم ذا أتى يا شاكراً» والإشارة فى البيت إلى سورة الإنسان، وقد اقتبس أولها: «هل أتى على الإنسان حين من الدهر...» هذا، وأشار بقوله «أتانا شاكراً...» إلى قوله «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» الآية/ ٣ من هذه السورة.
(٢٦٧) فى (ب، وطبقات السبكى: «حديثاً يفترى» وهو يقتبس قوله تعالى: «لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب، ما كان حديثاً يفترى، ولكن تصديق الذى بين يديه..» «من الآية/ ١١١ من سورة يوسف، ويضمن قول البهاء زهير ـ والمقصود البيت الثانى ـ بديوانه/ ٥٧):

أيها الواشون ما أغفلكم لو علمتم ما جرى لى وجرى
وأذعتم عن فؤادى سلوة إن هذا لحديث مفترى.

(٢٦٨) هو القاضى الفاضل وزير صلاح الدين.
(٢٦٩) ورد هذا البيت والبيتان اللذان بعده فى (طبقات السبكى) والرواية ـ ثمة ـ: «وجوابه إن.... ذلك مكابراه. هذا وبالأصل: «وجوابه أن الكفور» وأثبت ما فى (طبقات).
(٢٧٠) فى (طبقات): «هاهنا». ورسمت الكلمة التى فى صدر البيت فى «ألحان السواجع» هكذا: «وإذاه.
(٢٧١) لم يرد هذا البيت فى (طبقات). وهو مأخوذ من قول البهاء زهير فى حديثه عن الواشين وغفلتهم إذ يقول ـ والمقصود الشطر الثانى من البيت الثانى هنا:ـ

وأذعتم عن فؤادى سلوة إن هذا لحديث مفترى
بين قلبى وسلوّى فى الهوى مثل ما بين الثريا والثرى

هذا، ولابن عنين فى مدح الملك العادل أخى السلطان صلاح الدين، قوله (وفيات ٥/ ٧٧ ط بيروت).

ما مدحه بالمستعار له، ولا آيات سؤدده حديث يفترى
بين الملوك الغابرين وبينه فى الفضل ما بين الثريا والثرى

(٢٧٢) ورد هذا البيت والأبيات الأربعة التالية له فى (الدرر ٢/ ١٤٩، شذرات الذهب ٦/ ١٧٨) ورواية هذا البيت فى (الدرر): «ومن به أصبحت».
(٢٧٣) إذا حذفت (الراء والياء) من كلمة: «ريباس» بقى ما يشير إليه بقوله: «وفيه بأس». ولعله مع هذا يقتبس من قوله تعالى: «...... وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس» من الآية/ ٢٥ من سورة الحديد.
(٢٧٤) فى (الدرر): «وفيه نفس ولين القامة النضرة». هذا. وقد ورد هذا البيت والذى بعده فى (طبقات السبكى ٩/ ٤١٣). وكلمة «ريبه»، وكلمة (بيس) من حروف كلمة: ريباس.
(٢٧٥) المقصود بالشطر الأول كلمة «ناس». وفى الشطر الثانى لعله يشير إلى «قلعة بانياس» وهى من أعمال دمشق، مشهورة.
(٢٧٦) كلمة «سر» عن أحرف كلمة (ريباس).

(٢٧٧) «الريباس»: نبت ينفع الحصبة والجدري والطاعون، وعصارته تحد النظر كحلا. القاموس المحيط (ر. ب. س).

(الحسين بن علي بن أبي بكر)

(*) له ترجمة في (الدرر ٢/١٤٦، وشذرات الذهب ٦/ ١٨٧) وفيهما وفاته: سنة ٧٥٩ هـ. هذا وبالأصل: «الحسن ابن علي» والتصويب من باقي النسخ، وكذا عن المصدرين المشار إليهما هنا.

(٢٧٨) الزيادة عن باقي النسخ، والدرر، وشذرات.

(٢٧٩) لم أستطع تحديد هذا المكان فيما تيسر لي من مصادر. ـ لعلها مدرسة. انظر «الدارس في المدارس».

(٢٨٠) المقصود من الشطر الأول: «لحن».

(٢٨١) المقصود هنا كلمة (بخل).

(٢٨٢) لعله يقصد العيون النجل.

(٢٨٣) لعله يريد قوله تعالى: «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات، فاسلكي سبل ربك ذللا، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس.....» الآيتان/ ٦٨، ٦٩ من سورة النحل.

(٢٨٤) الزيادة من (أ، ب).

(٢٨٥) الزيادة جاءت بها (أ، ب، ز، م) وهي ضرورية لسلامة الوزن.

(٢٨٦) في الأصل: «تغوص» تصحيف تصويبه من (أ، ز).

(٢٨٧) ورد اللغز في (الدرر ٢/ ١٤٦).

(٢٨٨) في الأصل: «الليطم» تحريف، تصويبه من باقي النسخ. ولم يرد البيت بأكمله في (الدرر). وقوله: «للغائب» كذا في ألحان السواجع.

(٢٨٩) في (الدرر) روى الشطر الأول هكذا: «طمم تصحيف معكوسة». هذا وقد ورد هذا لبيت في (مطالع البدور ٢/ ١٤): برواية: «ظللتم تصحيف مقلوبه».

(٢٩٠) في الأصل: «لا يضحك». وأثبت ما في باقي النسخ

(٢٩١) الزيادة جاءت بها جميع نسخ (ألحان السواجع). والرواية في (أ): ملغزاً في ميل. وهذه الأبيات الخمسة والإجابة عنها وردت في الأصل. وفي (ب) كل بيتان في سطر واحد، وانفرد الخامس في كليهما. وقد سجلتهما حسبما وردت بالنسخ الثلاثة الأخرى.

(٢٩٢) المقصود في البيت هو: «اللم».

(٢٩٣) قوله: «رابي الهدفه»: لعله يقصد به الطويل العنق قال ابن سيده: «والهدف من الرجال الجسيم، الطويل العنق، العريض الألواح على التشبيه» (لسان/ هدف).

(٢٩٤) لعل المقصود هنا هو عبد الملك بن مروان الذي «فحص عن النقود والأوزان والمكاييل، وضرب الدنانير والدراهم في سنة ست وسبعين من الهجرة» على حد تعبير المقريزي في (إغاثة/ ٥٣).

(الحسين بن علي بن مصلق)

(*) ترجم له الصفدي في (الوافي ١٣/ ٩)، وابن حجر في الدرر ٢/ ١٥٠ ـ ١٥٢) ولم يذكرا تاريخ وفاته.

(٢٩٥) ورد البيتان في (الوافي ٩/١٣)، وفي (الدرر ٢/ ١٥١) والرواية في الأخيرة: «تسير بدور اللثم» هذا وقد ورد البيتان في (روض الآداب ق ١٥٤ ب) لشهاب الدين محمود.

(٢٩٦) في الوافي: «متى جلت». والشطر الثاني صدر بيت. وتمامه:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد

(ويروى تعددت)

(٢٩٧) ورد البيتان التاليان فى: (فض الختام/ ١٤٩، والحسن الصريح الورقة/ ٧).

(٢٩٨) العبارة فى (الحسن): «أن يغنى له» بحذف فاء الكلمة.

(٢٩٩) فى (أ): «يا ممرضى قلبى» وفى (فض الختام): «يا وراق قلبى».

(٣٠٠) وردت الأبيات الثلاثة الآتية فى (الدرر ٢/ ١٥١).

(٣٠١) (الدرر): «فقلت له يا سيدى».

(الحسين بن محمد بن الحسين العوكلانى)

(*) من الذين نالوا عناية كثير من المترجمين، فقد ترجم له الصفدى أيضاً فى (الوافى) ١٣/ ١٩ - ٢٦) والمقريزى فى (السلوك القسم الأول من ج ٣/ ٦٩) وابن تغرى بردى فى (المنهل ٢/ ٤٧: وفيه: «الحسين.. الشهير بابن الركب» توفى سنة ٧٧٢هـ) وهو خطأ. (وابن تغرى أيضاً فى) النجوم ١١/ ١٠ وفيه: «حسين بن محمد...» وابن حجر فى: (الدرر٢/ ١٥٣ - ١٥٥ وفيه توفى سنة ٧٦٢ هـ). وغيرهم.

هذا، وقد جاء فى (ب) قوله: «الحسين بن على بن الحسين» بالتحريف فى إسم الأب.

(٣٠٢) ساقطة من (ز). هذا، والعبارة جاءت فى (الوافى ١٣/ ٢٥) هكذا «وكتبت إليه من رحبة مالك بن طوق....». وهذه الرسالة ورد منها فى «الوافى» الشعر فحسب.

(٣٠٣) «سلوة» بالتحريف فى (أ).

(٣٠٤) ساقطة من الأصل، والزيادة عن باقى النسخ وكذا (الوافى).

(٣٠٥) أذكر بدار علوة قول على بن إبراهيم البغدادى الواعظ (فوات ٢/ ٨٣):

يا دار علوة لا عداك غمام منى عليك تحية وسلام

(٣٠٦) فى الأصل، و(م): «ويحمل الواه»، وأثبت ما فى (أ، ب، ز).

(٣٠٧) البيت للمتنبى (بديوانه ٢/ ٢٩٢، وسرح العيون/ ٨٨) والرواية فيهما: فإن يكن... فأفعاله اللائى....» وهو من مقطوعة أولها:

ومنتسب عندى إلى من أحبه وللنبل حولى من يديه حفيف

(٣٠٨) البيت لأبى تمام (بديوانه/ ٢/ ١٧٧، وأخبار أبى تمام/ ٢٠٤). و (الوشى المرقوم/ ٢٠) والرواية فيها: «فإن يك جرم عن» وهو من قصيدته التى مطلعها

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى ومحت كما محت وشائع من برد

والمح: الثوب الخلَق البالى، ومحت الدار إذا عفت.

(٣٠٩) فى الأصل: «على وليه» تحريف. تصويبه من باقى النسخ.

(٣١٠) والعبارة فى (الوافى): «فكتب إلى الجواب عنها تسعة وستين فى وزنها ورويها وهى» ثم أورد الصفدى هناك ما أورده هنا من شعر.

(٣١١) ورد هذا البيت والذى يليه فى (الدرر ٢/ ١٥٤).

(٣١٢) السرو: شجر واحدته سروة. والسرو: ما ارتفع من الوادى، وانحدر عن غلظ الجبل. لسان (سرو). ولعل المقصود هنا هو المعنى الأول، أو هما معا.

(٣١٣) «فى كل لاة» بالتحريف فى (الوافى)، وقد ورد هذا البيت والذى يليه فى (الدرر) برواية «لهاة لمن يذكر لهوه». العذيب: ماء لبنى تميم، وقيل: ماء معروف بين القادسية ومغيثه. قال كثير:

لعمرى لئن أم الحكيم ترحلت وأخلت لخيمات العذيب ظلالها.

لسان (عذب).

(٣١٤) المراد خليل بن أحمد النحوى المشهور سيد أهل الأدب قاطبة فى علمه وزهده كما جاء فى (نزهة الألباء/٤٥ - ٤٨).

(٣١٥) رواية البيت فى (أ) هكذا

«كيف مثلى........... ولو أن الحبيب قد زاد جفوه»

(٣١٦) «لما لمحته فى (ز). وثبير: جبل بمكة. يشبه الحلم به فى ثباته ورزانته وقوله: «يا ذا الثبته أى يا صاحب القلب الثابت، والعقل الرزين.

(٣١٧) ساقطة من (ز، م) ومكتوبة على هامش (ب).

(٣١٨) يقصد «بالصناعتين»: الكتابة والشعر. ولعله يلمح إلى: كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر - لأبى هلال العسكرى. وهذا الكتاب، طبع عيسى البابى بتحقيق/ على محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣١٩) فى الأصل، و (أ، م): «عالجته كبوه» وفى (ب): فعالجته كبوة. وفى (ز): «عاجلته ألف كبوه» ولعل ما أثبته أقرب للصواب وأسلم للوزن.

(٣٢٠) البيت ساقط من الأصل، والزيادة عن النسخ الأربع، والوافى.

(٣٢١) رواية (أ): «...... الدهر بالغدر تمسكت منها بأوثق عروة»

(٣٢٢) فى (الدرر) هذه القصيدة: «نحو السبعين بيتاً». هنا وقد سقطت هذه العبارة بأكملها من (الوافى).

(٣٢٣) الزيادة عن (أ، ز) والعبارة فى الأولى منهما: «وهذا القدر الذى أثبته منها» وسقطت كلمة «كاف».

(٣٢٤) الملك الكامل هو: شعبان بن محمد بن قلاوون. ولى السلطنة سنة ٧٤٦هـ، وكان سيىء السيرة، مقبلاً على اللهو والنساء، مشتغلاً باللعب بالحمام، مبالغاً فى تحصيل الأموال، مما أدى إلى خلعه سنة ٧٤٧هـ وإعدامه بعد ذلك. نقلاً عن (البدر الطالع ١/ ٢٨٢، ٢٨٣).

(٣٢٥) ومقند: أى مصنوع بالقنديد. وهو عصارة السكر. والقنديد أيضاً الخمر. لسان (قند)

(٣٢٦) الشطر الثانى منظور فيه إلى قول أبى تمام:

أظلتك آمالى، وفى البطش قوة وفى السهم تسديد، وفى القوس منزع

(٣٢٧) الشطر الأول مأخوذ من قول عمرو بن الأطنابة (العمدة ١/ ١٦، ومعجم الشعراء/ ٢٠٣، وخزانة البغدادى ١/ ٤٢٣):

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى

(٣٢٨) الشطر الأول عجز بيت لأبى تمام (بديوانه ٢/ ٣٢٥) وتمامه:

لقد أسف الأعداء مجد ابن يوسف وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع

وابن يوسف هذا هو، أبو سعيد محمد بن يوسف الثغرى ممدوح أبى تمام.

(٣٢٩) يضمن قول متمم بن نويرة فى رثائه لأخيه مالك: (جمهرة أشعار العرب/ ١٤٢)

وكنا كندمانى جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وهو مثل عربى يضرب للملازمة. هذا، وجذيمة هو: جذيمة بن مالك بن فهم.... الأسدى، الملقب جذيمة الأبرش، وخبره مع عمرو بن عدى ابن أخته (رقاش) مشهور، مذكور فى (الأغانى ١٥/ ٣١٢)، وعيون الأخبار ١/ ٢٧٤) وغيرها. هذا،. ونديما جذيمة هما: مالك، وعقيل ابنا فالج - (انظر المصدرين السابقين) - وهما اللذان فى قول الهذلى:

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

(٣٣٠) ثمال المناسب: أى خلاصة الشرف، فإليه الملجأ والغياث.

(٣٣١) البتول: هى فاطمة الزهراء رضى الله عنها. وحيدرة: اسم من أسماء على، كرم الله وجهه.

(٣٣٢) إمام الحرمين هو: ضياء الدين أبو المعالى عبد الملك بن الشيخ أبى محمد بن عبد الله بن أبى يعقوب.. الجوينى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٤٧٨هـ ترجمته (وفيات ٢/ ٢٤١ - ٢٤٣). هذا، وفى قوله: «صلى خلفه وسلم» تورية، إذ المقصود جاء تالياً له. فالمصلى من الخيل الذى يجىء بعد السابق (لسان صلا).

(٣٣٣) يشير إلى كتاب: «تنبيه فى فروع الشافعية» للشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن على الفيروز ابادى الشيرازى الفقيه الشافعى المتوفى سنة ٤٧٦هـ. انظر (كشف الظنون ١/ ٧٣٣ط الأولى (در سعادت).

(٣٣٤) ابن الحاجب هو جمال الدين أبو عمر عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس. وهو ابن حاجب كردى للأمير عز الدين موسك الصلاحى. نحوى عربى، فقيه، له كتاب: «منتهى السؤال والأمل فى علمى الأصول والجدل» وغيره من المصنفات توفى سنة ٦٤٦هـ ترجمته (بدائرة المعارف الإسلامية مادة: ابن الحاجب).

(٣٣٥) الجزرى الذى أكمل كتاب: «بستان الحوادث - الجامع لتواريخ الزمان» لمؤلفه عماد الدين الأصفهانى - هو إبراهيم ابن أبى بكر بن إبراهيم بن مجد الدين أبو إسحاق الجزرى. نقلا عن حاشية برو كلمان ٦/ ١٣٢.

(٣٣٦) الشريف الرضى ستأتى ترجمته. وابن المعتز شاعر مشهور.

(٣٣٧) يشير إلى قول المتنبى (بديوانه/ ٣: ٣٨٧):

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفْقِرُ والإقدام قتال

(٣٣٨) الزيادة جاءت بها جميع النسخ المساعدة.

(٣٣٩) مأخوذ من قول المتنبى (بديوانه ١/ ١٣٠):

كالبحر يقذف للقريب جواهراً جوداً، ويبعث للبعيد سحائبا

وتمرع: أى يظهر فيها الكلأ.

(٣٤٠) الدهناء: الفلاة. وقيل: موضع كله رمل. وقيل: موضع من بلاد بنى تميم مسيرة ثلاثة أيام لا ماء فيه. لسان (دهن).

(٣٤١) صدر بيت لابن الرومى (بالصناعتين/ ٤٤، وزهر الآداب ١/ ١٠٣) وتمامه:

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة إذا عن عين البصير غطاؤها

وقيل: «إذا زال عن نفس البصير غطاؤها».
وعجز بيت لأبي الحسن التهامي (بديوانه/ ٢٧ ومعيد النعم/ ١٥٤) وتمامه:

حكم المنية في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار

(٣٤٢) صدر بيت لأبي نواس (بديوانه/ ١٦٤، ووفيات الأعيان١/ ٣٧٥) وتمامه فيه:

أرى كل حي هالكا وابن هالك وذا نسب في الهالكين عريق

(ويروى في العالمين).
وفي العقد ٣/ ١٧٥ والصناعتين/ ٢٢٦، والمستطرف ٢/ ٣٥٥، وزهر الآداب ١/ ٥٦، والتمثيل والمحاضرة/ ٣٠٥، والمنتخب للجرجاني/ ١٣٠، والرواية فيما سبق: «وما الناس إلا هالك.... وذو نسب». هذا، وبالأصل: «هالك بعد هالك» وقد أثبت ما في (أ) والمصادر المشار إليها هنا.
(٣٤٣) الشطر الثاني لعله مأخوذ من قول ابن خفاجة في مناجاته للجبل إذ يقول على لسانه:

فحتى متى أبقى ويظعن صاحبي أودع منه راحلا غير آيب

(٣٤٤) لعله مأخوذ من قول رؤبة (حاشية طبقات السبكي ١٠/ ١٨) نقلا عن ديوانه/ ١٥٩):

كالحوت لايرويه شيء يلهمه يصبح ظمآن وفي البحر فمه

هذا وقد نسب هذا البيت في (محاضرات الأدباء ٢/ ٦٣٥) إلى جرير، برواية: «لا يلهيه شيء يلهيه».
(٣٤٥) هذا البيت مأخوذ من قول ابن رشيق (العمدة: ٢/ ٢٩٨):

وتخيرت دون الملابس حلة عيت لصنعة مثلها صنعاء

(٣٤٦) الغريض: لعله عبد الملك الشاعر الأموي، لقب بذلك لأنه كان طري الوجه حسن المنظر (معجم ألقاب الشعراء/ ١٦٤). أما معبد، فلعله معبد بن وهب - وقيل بن قطني مولى ابن قطر، وقيل غير ذلك - توفي في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وكان فحل المغنيين؛ أحسنهم غناء، وأجودهم صنعة. وهو الذي يقول فيه الشاعر:

أجاد طويس والسُّريجي بعده وما قصبات السبق إلا لمعبد

(٣٤٧) أشجع، هو أشجع بن عمرو السلمي، كان شاعراً بارعاً ظريفاً جيد المعاني، اتصل بالبرامكة ومدحهم، ومدح الرشيد ترجمته (طبقات ابن المعتز/ ١١٧) هذا، ورواية هذا الشطر في الأصل هكذا: «على محل عنه بجبن أشجع»، وهو - وإن استقام وزناً - لم يستقم - عندي - معنى. وقد رأيت قراءته على ما أثبت اهتداء بأن «محل» من المحل، وهو البعد. وأن «يجبن» حكاها سيبويه «يجبن» بياء مضمومة وبعدها جيم مفتوحة، فباء مشددة مفتوحة - أي يرمى بالجبن. لسان (محل - جبن). والمعنى على ذلك: أن أشجع السلمي، مع أنه بعيد، يهاب الصفدي لبراعته (في نظر العر كلاني).

(٣٤٨) صدر بيت للهدم بن امرىء القيس بن الحرث، وقد وقف على قبر عمرو بن حممة الدوسي، ثم أنشد أبياتاً منها:

إذا قلت لم تترك مقالا لقائل   وإن صلت كنت الليث تحمى حمى الأجر

انظر (الأمالي٢/ ١٤٥). هذا، وقد سبق قول حسان بن ثابت في مدح عبد الله بن عباس، وهو:

إذا قال لم يترك مقالا لقائل   بملتقطات لاترى بينها فصلا

(٣٤٩) التعاويذي، هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله سبط بن التعاويذي، الصوفي، الزاهد، الشاعر. المتوفى سنة ٥٨٣هـ وقيل سنة ٥٨٤هـ ترجمته (برو كلمان ٥/ ١٥، ١٦). أما البارع المشهور فلعله «عبد الوهاب البغدادي النحوي، المعروف بالبارع» على حد تعبير ابن حجة في (تأهيل الغريب/ ١٢١) وقد أورد له في هذا المصدر شعرا. ولم أعرف تاريخ وفاته. أو لعل المقصود به هو من ذكره السبكي في (طبقاته ٤/ ٢٧٧) في ترجمة إسماعيل بن عبد الرحمن أبي عثمان الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩هـ بقوله: «وقال فيه (أي في الصابوني) البارع الروياني:

ماذا اختلاف الناس في متفنن   لم يبصروا للقدح فيه سبيلا

... «وعلى هذا، فالبارع المذكور من أدباء القرن الخامس الهجري. أو لعل المقصود كتاب: (البارع) لهرون بن على المنجم المتوفى سنة ٢٨٨هـ الذي جمع فيه أخبار الشعراء المولدين». وقد أثنى على اختيار هارون، كثير من العلماء، كما جاء في (معجم الأدباء ١٩/ ٢٦٢، ٢٦٣)؛ وحينئذ يكون المقصود أن شهاب الدين العو كلاني - صاحب القصيدة، يفضل شعر الصفدي على الأشعار المختارة في كتاب (البارع).

(٣٥٠) الشطر الثاني (في الأصل، ب، م): «وقولك في قول، وقد أثبت ما في (ز). هذا، والخالديان، هما: أبو عثمان سعيد المتوفى سنة ٣٥٠هـ، وأبو بكر محمد المتوفى سنة ٣٨٠هـ، ابنا هاشم: أوطنا بحلب، فكانا من حاشية سيف الدولة وبطانته، وكانا شاعرين أديبين. (برو كلمان ٣/ ٧١). والبديعان، هما: بديع الزمان الهمذاني صاحب الرسائل الرائقة، والمقامات الفائقة المتوفى سنة ٣٩٨هـ (وفيات١/ ١٠٩ - ١١١) .والبديع الأسطرلابي، هبة الله بن أحمد وقيل: ابن يوسف - عالم عربي مشهور، وطبيب وفيلسوف، وفلكي وشاعر، توفي سنة ٥٣٤هـ. ببغداد (دائرة المعارف الإسلامية: مادة: البديع).

(٣٥١) لعله يقصد بهما: عبيد بن حصين، الراعي النميري، الشاعر المشهور. وعبيد بن الأبرص بن جشم الأسدي. أو عبيد بن قماس بن ثعلبة، الشاعر الفارسي، وعبيد بن زهير الخزاعي. أو غيرهما ممن اسمه (عبيد) انظر (المؤتلف/ ١٥٣)، هذا، وقد جاء بمقدمة ديوان عامر بن الطفيل/ ١٠: «وكان عمرو بن معد يكرب وهو فارس اليمن يقول: ما أبالي أي ظعينة لقيت على ماء من أمواه معد ما لم يلقني دونها حرلها أو عبْداها يعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي، والعبدان عنترة العبسي والسليك ابن السلكة وهو ابن عامر بن يشرى السعدي».

(٣٥٢) «إلى وادي دمشق» في (أ، ب ز، م).

(٣٥٣) في الأصل، م: «وترجو شمله..» بالمثناة الفوقية في أوله. وفي (ز): «وترجع شمله» بالتحريف. وقد أثبت ما في (أ، ب) لسلامته.

(٣٥٤) اليرمع: الحصا البيض تتلألأ في الشمس. وقيل: هي حجارة لينة رقاق بيض تلمع (لسان/ رمع).

(٣٥٥) أبناء الهانئين: هما: أبو نواس الحسن بن هانىء. وابن هانىء الأندلسي.

(٣٥٦) الفرزدق: همام بن غالب التميمي، الشاعر الأموي المشهور. ترجمته (وفيات ٥/ ١٣٥، ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٩٧ - ٣٠٣).

(٣٥٧) ابن عباد، هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس، المشهور بالصاحب، لملازمته مؤيد الدولة البويهى، وكان وزيراً له ولأخيه من بعده. كان شاعراً كاتبا، وقد استطاع فى مدة وزارته التى استمرت أكثر من ثمانى عشرة سنة أن يشجع العلم والأدب توفى سنة ٣٨٥هـ ترجمته (برو كلمان ٢/ ٢٦٨ ـ ٢٧١).

(٣٥٨) الخوارزمى، هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى، أو الطبر خزى، صاحب الرسائل المشهورة، والذى به بلغ السجع كماله فى الأغراض الدنيوية، وقد زعزع مكانته العلمية فى أواخر حياته بديع الزمان الهمذانى ـ توفى الخوارزمى سنة ٢٨٢هـ ـ وقيل سنة ٣٩٣هـ (بروكلمان ٢/ ١١٠، ١١٢).

(٣٥٩) الإشارة هنا إلى كتابه: (قلائد العقيان).

(٣٦٠) ابن فارس، هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب. فقيه لغوى ونحوى من مدرسة الكوفة. توفى بالسرى سنة ٣٩٥هـ (دائرة المعارف ١/ ٣٥٧).

(٣٦١) الجوهرى، هو أبو النصر إسماعيل بن نصر بن حماد الجوهرى صاحب: «تاج اللغة وصحاح العربية». وقد سبق الحديث عنه.

(٣٦٢) فى (أ): «صاحب المتقن غير»، هذا، ولعل المراد من صاحب الحكم هو: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى. من مشاهير علماء اللغة فى فارس. توفى سنة ٤٢٩هـ. ومصنفاته عديدة منها الكتاب المشار إليه فى العبارة وهو: (درر الحكم) قال عنه برو كلمان ٥/ ١٩٦: «نسخة بخط ياقوت المستعصى فى سنة ٦٩٨هـ: القاهرة ثان ٣/ ١٠٢».

(٣٦٣) لعله يريد كتاب: «النهاية فى غريب الحديث والأثر» لمجد الدين أبى السعادات المبارك بن محمد... الجزرى المعروف بابن الأثير. والكتاب بتحقيق الأستاذين: محمود الطناحى، وطاهر الزاوى فى ٥ أجزاء ـ طبع عيسى البابى سنة ١٩٦٣م = سنة ١٣٨٣هـ.

(٣٦٤) فى (ب): «عند إتقانه» بالتصحيف. هذا، والأصمعى هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلى من مشاهير علماء اللغة فى البصرة وهو من تلاميذ أبى عمرو بن العلاء، وأخذ أيضاً عن خلف الأحمر. توفى بمرو سنة ٢١٥هـ وقيل سنة ٢١٦ وقيل سنة ٢١٧ ترجمته: (برو كلمان ٢/ ١٤٨).

(٣٦٥) هو، الحسن بن محمد بن حسن بن حيدر بن على العدوى... الصاغانى. حامل لواء اللغة فى زمانه، وصاحب: (مجمع البحرين فى اللغة) توفى سنة ٦٥٠هـ ترجمته (بغية الوعاة/ ٢٢٧).

(٣٦٦) هو، حماد بن سابور (وقيل: هرمز، وقيل: ميسرة) المشهور بحماد الراوية لكثرة ما روى من أشعار القدماء. ولد سنة ٧٥هـ بالكوفة وتوفى فى خلافة المهدى سنة ١٥٥هـ وقيل: سنة ١٥٨هـ ترجمته (برو كلمان ١/ ٢٤٥، ٢٤٦).

(٣٦٧) هو: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى. من أشهر الذين أكسبوا مدرسة البصرة شهرة وازدهاراً بتميزه فى العلم وهو صاحب كتاب: (الجمهرة فى اللغة) توفى سنة ٣٢١هـ ترجمته عن (نزهة الأولياء/ ٢٥٦ ـ والوافى بالوفيات ٢/ ٣٣٩).

(٣٦٨) فى (أ): «عن السحر» بالتحريف. والإشارة هنا إلى الخليل بن أحمد... الفراهيدى مؤسس النحو العربى وواضع علم العروض. ترجمته فى (برو كلمان ٢/ ١٣١).

(٣٦٩) السيرافى لقب شهر به اثنان من علماء العربية... أولهما: أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافى، الفقيه الحنفى المفتى، العالم اللغوى المتوفى سنة ٣٦٨هـ. وثانيهما: ـ هو ابنه ـ يوسف بن أبى سعيد السيرافى من علماء اللغة والنحو، وقد على بإتمام بعض مصنفات أبيه انظر فى ذلك (برو كلمان ٢/ ١٨٧ ـ ١٨٩).

(٣٧٠) هو أبو محرز خلف بن حيان أعجمى الأصل ولكنه «قد غاص فى الشعر العربى القديم، واصطبغ بصبغته حتى استطاع أن ينظم قصائد يذهب بها مذاهب القدماء، ولم يعرف أصلها إلا أحذق النقاد. روى عنه الأصمعى وغيره ترجمته عن (برو كلمان ٢/ ١٩).

(٣٧١) ابن رشيق، وكتابه: «العمدة» قد سبقت الإشارة إليهما. أما الميدانى، فهو: أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميدانى النيسابورى ـ صاحب كتاب (مجمع الأمثال) المتوفى سنة ٥٣٩هـ ترجمته عن (نزهة الألباء/ ٣٩٠).

(٣٧٢) ابن القطاع، هو الشاعر اللغوى المرموق، أبو القاسم على بن جعفر المعروف بابن القطاع السعدى الصقلى، هاجر إلى مصر، وعلم بها أولاد بدر الجمالى، توفى سنة ٥١٤هـ. ولعل فى العبارة إشارة إلى الكتاب المنسوب إليه هو: (كتاب أبنية الأفعال). عنه، وعن ترجمة الشاعر انظر: (برو كلمان ٥/ ٣٤٦).

(٣٧٣) الكلمة ساقطة من (أ). وابن حمدون، هو: كافى الكفاة أبو المعالى محمد بن أبى سعد الحسن البغدادى بن حمدون، المتوفى سنة ٥٦٢هـ. كان من مشاهير علماء اللغة فى العراق. والإشارة هنا إلى مؤلفه: (كتاب التذكرة فى السياسة والآداب الملكية)، وهو: «مختارات لغوية تاريخية فى ١٢ جزءاً» (برو كلمان ٥/ ١٦٧).

(٣٧٤) أما العسكرى، فهو لقب شهر به اثنان من علماء العربية: أحدهما: أبو على الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى ـ المتوفى سنة ٣٨٢هـ وهو أحد الأئمة فى الآداب والحفظ، وثانيهما: ـ هو ـ ابن أخت الأول وتلميذه ـ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥هـ. وصاحب (الصناعتين).

(٣٧٥) النحاس هو ـ أحد النحاة المشهورين وتلميذ الزجاج ـ أبو جعفر أحمد محمد بن إسماعيل النحاس (أو الصفار) توفى سنة ٣٣٨هـ ترجمته عن (الوافى ٧/ ٣٦٢، ٣٦٤، ونزهة الألباء/ ٣٩١)، هذا، وثمة من يسمى ابن النحاس وهو ـ من الكتاب الماهرين. والفقهاء المشهورين ـ محمد بن نصر الله بن إسماعيل... جمال الدين بن النحاس المتوفى سنة ٧١٩هـ ترجمته عن (الدرر ٥/ ٤٣ ـ ٤٤).

(٣٧٦) ابن مضاء هو ـ أحد من ختمت بها المائة السادسة من أفراد العلماء ـ أبو جعفر وأبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد.... بن عاصم بن مضاء اللخمى المتوفى سنة ٥٩٢هـ (حاشية الغصون اليانعة/ ٣١).

(٣٧٧) يشير إلى الولى العجمى ـ قال ابن حجر عن على بن يحيى بن فضل الله: «وكان حسن الخط جداً، لا يلحق فيه، ولاسيما قلم الثلث، فلم يلحقه فيه أحد ولا كتبه بعد الولى العجمى أحد مثله» (الدرر ٣/ ٢١٣).

(٣٧٨) ابن الشيرازى. لعله يقصد به أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف الشيرازى.. كان رئيس ديوان الرسائل لعضد الدولة البويهى، وزيراً لبنيه من بعده توفى سنة ٣٧٢هـ تقريباً. (برو كلمان ٢/ ١١٨).

(٣٧٩) أسامة هو ابن مرشد بن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الشزرى المتوفى سنة ٥٨٤هـ. كان من فرسان العرب، ومن الأدباء المقربين من الملوك والسلاطين. والإشارة هنا إلى كتابه (البديع فى نقد الشعر) وقد نشره الدكتور أحمد أحمد بدوى. وآخرون. ترجمته: (معجم الأدباء ٥/ ١٨٨). وأما قدامة فهو: أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى الشهير، صاحب التصانيف الكثيرة التى منها (كتاب نقد الشعر) وقد طبع فى استانبول سنة ١٣٠٢هـ) وكتاب نقد النثر ـ المعروف بكتاب البيان ـ وقد نشره الدكتور طه حسين، وعبد الحميد العبادى سنة ١٩٣٣ طبع بالقاهرة. توفى قدامة سنة ٣١٠هـ وقيل سنة ٣٢٧هـ وقيل سنة ٣٣٧ ونقلاً عن (برو كلمان ٤/ ٢٤٢..).

(٣٨٠) لعل آخر هذا الشطر «من جلق» وهو ما أثبته، والرواية فى ألحان «خلق» بالخاء المعجمة الفوقية.

(٣٨١) البيت مأخوذ من قول ميسون بنت بجدل زوج معاوية بن أبى سفيان، وأم ابنه يزيد (شرح ابن عقيل ٢/ ٢٨٠):

ولبس عباءة وتقرّ عينى ... أحب إلى من لبس الشفوف

(٣٨٢) رواية البيت فى (ز) هكذا:

وصلت إلى عوارفا وأياديا ... قربا وبعدا بعدها لن يفقدا

(٣٨٣) حرف الدال ساقط من الأصل، والزيادة من جميع النسخ والرواية فيها: «أدعوا له متهجداً».

(٣٨٤) فى الأصل: «يغد» بحذف لام الفعل. والتصويب من باقى النسخ.
(٣٨٥) على بن يحيى بن فضل الله بن محلى، من أعيان المائة الثامنة، ومن المقربين لدى السلاطين. توفى سنة ٧٦٩هـ. ترجمته (بالدرر ٣/ ١٢، ٢١٣).
(٣٨٦) المقنب: جماعة الخيل والفرسان. والقنيب: جماعة الناس. وقيل: المقنب كفّ الأسد. لسان (قنب). ولعل المعنى: أنه أباد الأعداء جماعاتٍ جماعات.
(٣٨٧) هكذا فى الأصل. والأسلوب هنا على النداء للتعظيم. هذا وفى (ز): «لأعلى» تحريف.
(٣٨٨) الإشارة إلى كتاب المرقص والمطرب. لعلى بن موسى بن سعيد المغربى المتوفى سنة ٦٧٣هـ.
(٣٨٩) من هنا انقطع الكلام من (ز). وسأشير عند استئنافه.
(٣٩٠) فى (أ، ب): «تتنازل».
(٣٩١) فى (ب): «ولأهدى».
(٣٩٢) يشير إلى قول القاضى الفاضل (الغيث ٢/ ٧٦):

وإذا السعادة لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

(٣٩٣) من الذين ترجم لهم الصفدى فى (ألحان السواجع) فى حرف الحاء (حسن).
(٣٩٤) هو: أرغون الصغير الكاملى، نائب حلب.. كان أحد مماليك الصالح إسماعيل... ولاّه الناصر حسن نيابة حلب، ثم ولى نيابة دمشق سنة ٧٥٢هـ، ثم تقرر فى نيابة حلب ثانياً سنة ٧٥٣هـ، ثم صرف عنها سنة ٧٥٥هـ. توفى سنة ٧٥٨هـ ترجمته عن (الدرر ١/ ٣٧٥).
(٣٩٥) يقتبس الحديث الشريف: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا». ويضمن البيت الثانى من قول القاضى الفاضل (بديوانه ١/ ٣١٥) مادحاً:

هذا، وكم لك فى الوغى من عزمة ... بكرن من ثقة بها العقبان
تغدو خماصا مثل ما قد مثلوا ... فى حربه، وتروح وهى بطان

(٣٩٦) الفرقدان: نجمان لا يغربان. وقيل: كوكبان. وغمص الناس احتقرهم، ولم يرهم شيئاً. وغمصه: حقره واستصغره ولم يره شيئاً. وغمص النعمة غمصا: تهاون بها وكفرها. لسان (غمص). كأنه يقول: هما كوكبان فى الرفعة، إذا نظر إليهما كوكبا السماء لم يتحملا حقداً وحسداً.
(٣٩٧) فى العبارة تضمين المثل: «ما يشق غباره» يضرب لمن لا يجارى، وهذا المثل من كلام قصير بن سعد اللخمى، لجذيمة الأبرش. (مجمع الأمثال ٢/ ٢٥٠، والعقد ٣/ ٩١).
(٣٩٨) من هنا استؤنف الكلام فى (ز) وقد أشرت من قبل إلى بداية انقطاعه.
(٣٩٩) فى البيت اقتباس قوله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً» من الآية/ ٣٠ من سورة الروم.
(٤٠٠) فى هذا المعنى يقول ابن رزيك مشيراً إلى الإمام على (ديوانه/ ١٤٦):

ذاك الذى طلق الدنيا لعمرى عن ... زهد، وقد سفرت عن وجهها الحسن

(٤٠١) يشير إلى قول على ـ كرم الله وجهه: «يادنيا.. غرى غيرى، لا حاجة لى فيك، قد طلقتك ثلاثا، لا رجعة لى فيه» وهو يقول ناصحاً:

طلق الدنيا ثلاثا ... واتخذ زوجا سواها
إنها زوجة سوء ... لاتبالى من أتاها

انظر البيتين فى (الوزراء والكتاب/ ١٢١)، وانظر فى حديثه السابق وشعره (مناقب آل أبى طالب ١/ ٣٧٠) فصل (فى المسابقة فى الزهد والقناعة).

(٤٠٢) الشطر الثانى عجز بيت لأبى الشيص الخزاعى (وفيات ٥/ ٣٨٣) وتمام البيت فيه:

عشق المكارم، فهْو مشتغل بها والمكرمات قليلةُ العشاق

هذا، وفى (أسرار البلاغة - للعاملى/ ٣٢٦) يقول: قدم رجل من قضاعة على يزيد بن المهلب فأنشده:

مالى أرى أبوابهم مهجورة وكأن بابكَ مجمع الأسواق

إنى رأيتك للمكارم عاشقًا والمكرمات قليلةالعشاق

(٤٠٣) يشير إلى قوله تعالى: «ما عندكم ينفذ، وما عند الله باق». من الآية/ ٩٦ من سورة النحل.

(٤٠٤) الأصل: «فاطمة الزهراء» بالممدودة ولا يستقيم الوزن إلا بالمقصورة. كما أثبت.

(٤٠٥) سيف الدين أيتمش - ويقال: أو تامش - الأشرفى المغلى، أحد مماليك الأشرف خليل، ثم كان فى خدمة العادل كتبغا، ثم الناصر محمد الذى استنابه بالكرك.. وأخيراً استنابه بصفد سنة ٧٣٦هـ، فأحسن السيرة فيهم، ولكنه مات فى تلك السنة. ترجمته عن (الدرر ١/ ٤٥٢، ٤٥٣).

(٤٠٦) فى (ب): «الأزمعان» تصحيف، والأرمغان - (أ - ر - م - غ - ا - ن) - نسيج حرير فاخر، أعجمية: معناها هدية، سمى به النسج المذكور، لأنه مما يهدى (محيط المحيط، وأقرب الموارد: رمغن).

(٤٠٧) لعله بهادر التمرتاش.. «دخل مع تمرتاش.. فلما قتل أخذه الناصر وقربه.. ولما ولى الصالح إسماعيل استحوذ على المملكة، لأن امرأته كانت شقيقة الصالح، وسكن الأشرفية، وانتهى إليه الأمر. مات سنة ٧٤٣هـ نقلاً عن (الدرر ٢/ ٣١، ٣٢) باختصار.

(٤٠٨) فى الجملة تضمين قول امرىء القيس: (ذيل الأمالى: ٢١):

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

(٤٠٩) يقتبس قوله تعالى: فى شأن المنافقين والمؤمنين: «فضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قِبله العذاب» من الآية/ ١٣ من سورة الحديد.

حرف الخاء

خالد(*) بنُ إسماعيلَ بنِ محمدِ بن عبد الله بن محمدِ بنِ أحمدَ بن خالدِ بنِ نصرٍ؛ القاضى الرئيس شرفُ الدين، بنُ القاضى عمادِ الدين بنِ القاضى شرفِ الدين بنِ الصاحبِ فتحِ الدين بنِ القيسرانى؛ موقِّعُ الدَّست الشريف بالشام المحروس.

كتبت أنا إليه من الديار المصرية أُعزيه فى ولده محمد فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة:-

(من الطويل)

أبَا شرَفَ الدِّينِ الَّذِى لم تَزَلْ لنا ... مآثرُه تأتِى بمَجْدٍ مُجدَّد
مضَى ابنُكَ فاصْبِر للزَّمانِ على الرَّدَى ... فمن قَبْلُ عزَّى خالدٌ فى مُحَمَّدِ
تَجَرَّدَ من ثَوبِ الحياةِ وما أتَى ... بوِزرٍ، فوَلَّى طاهرًا بالتَّجرُّدِ
وقد سارَ عن دارِ المقَرِّ نزاهةً ... وصارَ إلى دارِ المقَرِّ المؤيَّدِ
وما كانَ إلاَّ كوكبًا متوقِّدًا ... فأخمدَ منه الموتُ نورَ التَّوقُّدِ
تصبَّرْ فإنَّ المخلصينَ لك الوَلاَ ... (يقولونَ: لا تَهْلِكْ أسىً وتَجلَّد)(١)
وإنْ كُنْتَ مَعْذُورًا على النَّوحِ والبُكَى ... (فماضَرَّ أن نَغْدُو بِصبرِكَ نَقْتَدى)(٢)
وإنْ شئتَ إسعافًا على الوَجْدِ والأَسَى ... فكمْ مُسْعِفٍ تلقاه منَّا ومُسْعِد
إذَا كنْتَ تَبْكِى فالبنُونَ كثيرةٌ ... تجِىءُ نجومًا طالعاتٍ بأَسْعَدِ
(فلا تحْسبِ الأَقمارَ خلقًا كثيرةً ... فجُمْلَتُهَا من نيِّرٍ مُتَرَدِّدِ)(٣)

يُقبِّلُ(٤) الأَرضَ، لاطرَقَتْ لها الخطوبُ ساحَه، ولا مدَّ الزمانُ إليها يدًا بغيرِ يدٍ، ولا راحةً بغيرِ راحَه. وينهى ما بلَغَه من وفاة الولدِ محمدٍ، رزَقَ الله مولانا الصبرَ فى رزِيَّته، ولا أعدَمَه وثباتِ التَّجلُّد والثباتَ على بلِيَّته. فزادَ ما عند المملوك من فِراق موْلانا وأخيه، لواعجَ

لا يقدر الصبرُ أن يُعالجَها، وسدَّ الهمُّ عن النَّفس نَسَمَات الأَرواحِ ومخارِجها، وحمَّلَ المملوكَ من همِّ مولانا ما يَعْجزُ عن شَرْحه، ويتعذَّرُ على الزمان طَبُّ جرحِه، وما أَحقَّ الذاهبَ بأن يُنشَد:(٥)

(من الطويل)

(فإنْ تكُ في قَبْرٍ فإنَّكَ في الحشا — وإن تكُ طِفْلاً فالأَسَى لَيْسَ بالطفلِ
ومِثْلُكَ لا يُبْكَى على قَدْرِ سِنِّه — ولكن على قدْرِ المَخِيلَة والأصل)(٦)

فثبَّت الله قلبَ مولانا بصبرِه الجَميل، ولا جعَلَ للرزايا عليه بعدَها، مُنْعَرجَ طريقٍ، ولا هدايةَ سبيل. وفي بقائك ما يُسلي عن الحزَنِ فما يُظْلِمُ أُفُقُ المعالي إذا هوى كوكبه، وفيه منكم شموسٌ وأَقمار، ولا يُوحِشُ السَّاري مع وجودِ وجوهِكم المُشْرِقَة، إذا غابَ كوكبُ سحَرِه، فكواكبُ السَّحرِ قَصيرةُ الأَعمار(٧)، ولا يتعطَّلُ روضُ المَجْد، إذا ذَوَتْ منه زهرةٌ، وفيه منكم غصونٌ لها بالمحامد أزهارٌ وأثمار، ولا يَشْغَلُ النَّدامى هذه النازِلةُ، وعنْدَهم من حلومكم وثباتكم أَحاديثُ وأَسْمَار. على أنَّ هذه كأس(٨) لابد من شُرْبِها، وإنما يُعَجِّلُ الساقي على بعضٍ دون بعضٍ، وهذه النفوسُ جواهرُ شريفةٌ، وإنما أُصدافُها، التي تُودَعُ، في بطون الأَرض. ولله القائل(٩)

(من السريع)

(الناسُ للموْتِ كخيلِ الطِّرَاد — فالسَّابِقُ السابقُ منها الجوَاد(١٠)
والموتُ نقَّادٌ، على كفِّه — جواهرٌ، يختارُ(١١) منها الجيادُ)

والله تعالى يُمتِّع الوجودَ، بعد الذاهب من جدَّيْه، بشمْسه وعماده، ويَجْعَلُه لكل منهما فَرَطاً وذخراً يوم بعثْه، ومعَاده، ويرْبُطُ بالصَّبر الجميلِ على قلب مولانا الذي عدم ثمرةَ فؤاده، ولا يُذيقُه بعدها حُرقَةً، ينشرُ لها الطِّرْسُ ذوائبَ سُطوره، ويلْبَسُ القلمُ لها حِدادَ مداده، ومولانا في دَعَة الله وحفظه الحريزَيْن، وعينُ الله على ولديه العزيزَيْن. بمنّه وكرمه، إن شاءَ الله تعالى.

الخضرُ(*) بنُ محمدِ بنِ الخضرِ بنِ عبدِ الرحمن بنِ سليمانَ بنِ عليٍّ؛ القاضي زينُ الدين بنِ القاضي تاجِ الدين، بن زين الدين بن جمالِ الدين بن علم الدين بن نورِ الدين، المعروفُ بابن الزَّيْن خضر، موقع الدست الشريف بالقاهرة المحروسة.

كتب هو إليّ لما طُلبتُ إلى الديار المصرية فى الأيام الصالحية إسماعيل سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وذلك بعد ما تفضل الموالى السادة الموقعين؛ وكتب كل منهم إليّ شعراً هناء[١٢] بقدومى عليهم:

(من الطويل)

تـــأخَّرْتَ فـــى مَدْحِى لأنّى مُقَصِّرٌ ... وفـضلُ صـلاحِ الدّين مـازال يَسْتُرُ
خليلٌ، له الآدابُ حــقًا يَنالُهـــا، ... جليلٌ، به الأصحـابُ تسمُو وتَفْخَرُ
لقد آنسَ الأمصـارَ لما أتَى لَهَا ... وأوْحَشَ رَبْعَ الشام إذ كان يُقْفِرُ
فـلا شَهِدَتْ عَيْنَاىَ ســاعةَ بُعْدِه ... ولا سهِدَتْ شـوقًا إليـه فتَسْهَرُ
ودامَ إلـىّ[١٣] القَدْرِ يرقَى إلى العُلا ... مـحـامِدُهُ بينَ الأنَامِ تُسطَّرُ.

فكتبت أنا الجوابَ إليه[١٤].

(من الطويل)

تَفضّلْتَ زيـنَ الـديـنِ إذ أنـتَ أكبرٌ ... وأشـرفُ من مدْحٍ به العـبْدُ يُذْكَرُ
فَشرَّفْتَ قــدْرِى حين شنَّفْتَ مِسْمَعِى ... فيَا مَنْ رأى شعْرًا على الدُّرِّ يفـخَرُ
فـمـا هُوَ شِعْرٌ يحْصُرُ الوَزْنُ لَفْظَه ... ولكنّه شىءٌ من السِّحـرِ يُؤْثَرُ[١٥]
يَجُوزُ بـلا إذْنٍ عـلـى الأذْنِ خِفَّةً ... كـأنَّ الزُّلالَ العذْبَ منـه يُفَجَّرُ
فهَا أنَا مـنـه فـى نَعِيمٍ مُخَلَّدٍ ... وعيْشِى بخضرٍ فى رُبَا مصرَ أخْضَرُ.

وكتب هو إلى مُلغزاً فى قطن[١٦]:

ياسيدَ العلماءِ والبلغاءِ، وقُدْوةَ الكُتَّابِ والأدباءِ، ما اسمٌ أولُ سُورتَينِ من القرآنِ، وحرفٌ من أولِ سُورةٍ أُخرى، وهو ثلاثةُ أحرفٍ وتلقاه ثمانى[١٧] إذا أفردْتَ مجموعَه سراً وجهراً، أولُ حروفه ينْسب إليه أحدُ الجبال، وآخرُها قسماً لا يزَال[١٨]، إن حذفتَ أولَه، وصحفْتَ ثانيه، فهو ظنّ حقيقتَه الآمال، أو صحَّفْتَ جُملتَه كان وَصفَ مؤمنٍ يجرى على هذا المنوال، أو حَذَفْتَ[١٩] أوسطَه مع التحريف كان عبداً لا يُعتق، أو حذفت آخرَه مع بقاءِ التحريف كان حيواناً يَسْرِقُ ولا يُسْرَقْ، ويأنسُ وينْفِرُ ويُقَيَّدُ بالإحسان وهو مُطلَقْ، يطوفُ بالبيت، ويأوى فى المنازل إلى الحىّ والميّت، ولا يُباع ولا يُشترى، وعنه المجازُ حقيقةً يبلغُ[٢٠] قيمةً تماثلُ جوْهرَاً، وإنْ أبقَيْتَ هذا الاسمَ على حالتِه فهو شىءٌ لا يَسْتَغنى عنه مسجدٌ ولا جامع، ولا بيْعٌ

ولا صوامع، ولا مسلمٌ ولا كافر، ولا قاطنٌ ولا مسافر، ولا غنيٌ ولا فقيرٌ صابر، ولا قويٌ ولا ضعيف، ولا مشروفٌ ولا شريف، ولا خائنٌ ولا مأمون، ولا حيٌ ولا مَنْ سُقي بكأس المنون، ومع ذلك فهو جليلٌ حقير، قليلٌ كثير، يملكه المالكُ والمملوك، والمَلِيُّ والصُّعلوك، وهو شيءٌ ممتهنٌ ويعلو على رءوس الأُمراءِ والوزراءِ والملوك، قلبُه(٢١) بالتحريف فعلٌ مضى، واسمٌ إذا نَطق به قد يُرْتَضى، وهو قد يبدو به النورُ فى الدياجى، وعند الصَّباح ينقطعُ منه أملُ الراجى، لا يستغنى بيتٌ عنه ولا بُقعه، ومع ذلكُ يُباعُ بفلسٍ ودينارٍ وفوق ذلك فى الرِّفعه، وهو بيِّنٌ واضح، فاحْلُلْه(٢٢) بميزان عقلك الراجح. إن شاءَ الله تعالى.

فكتبت أنا الجوابَ عنه:

وقف المملوكُ على هذا اللُّغزِ العَجيب، والمُعَمَّى الذى ماله فى فنِّه مماثلٌ ولا ضَريب، وعَجِبْتُ منه نباتاً نطق معكوسه، وثُلثاه كتابٌ تزدانُ بسطوره طرُوسُه، أولُه يضافُ إليه الجبال، ومجموعُه مادّةٌ للجبال، أشبهَ بياضاً بالثلج، ومحبوبُه يروقُ ويَحْسُنُ بالحلَج، وقد خفَّ على اللسان وزنُه، وأعجبَ أربابَ الأموالِ ادّخارُه وخزنُه، كلُّه نابتٌ فى التراب، وثلثه سابحٌ(٢٣) فى البحر لا يُسْتَراب، إنْ جعلْتَ آخرَه وسْطاً كان فعلَ مَنْ انقطع رجاؤه، واتَّسَعَتْ به فى اليأس(٢٤) أرجاؤه، وإن صحَّفَتَ حروفَه فى هذه الحالة أتتك من الحرِّ واقدَه، وأصبحَتْ العَجاجَةُ وهى فى(٢٥) الجوِّ عاقدَه، وإنْ صَحَّفْتَهُ أيضاً كان أُمةً من الأُمم(٢٦)، وليسوا من العَرَبِ إذا عدُّوا ولا من العَجم، يُعَدُّ منهم فرعونُ وجنودُه، ولنا فيهم نسبٌ وصهرٌ يعزُّ منكرُه وجحُودُه، وإن عكسته فى هذه الحالة كان آنية(٢٧) لا محالَه.. ولهذا اللغز أوصافٌ أُخَرُ لم تُذْكَر، ولم تُعرَف بعدُ ولم تُنكر، أضربتُ عنها خوفَ الإطالة صفحاً، وعدَدْتُ هذا القدرَ ربحاً؛ لأنَّ مولانا ـ حرسه الله ـ مدّ فيه الأطناب، واستوعب أوصافَه بالإسهاب والإطناب. والله يديمُ حياتَه لأهل الإنشاء، وينشرُ محامدَه بلسان الإذاعةِ والإفشاء. بمنِّه وكرمه. إن شاءَ الله تعالى.

خليلُ(*) بن كَيْكَلَدِى الإمامُ العلامةُ المفْتَنُّ جامعُ أشتات العلوم الشَّيخُ صلاحُ الدين بن العلائى مدرِسُ الصلاحية(٢٨) بالقُدس الشريف.

كتب إلى (من القُدْس الشريفِ)[٢٩] وأنا يومئذ بصفدَ المحروسةِ فى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة.

فكتبت أنا الجواب إليه عند ذلك[٣٠]:

(من الطويل)

أتانى كتابٌ ما ظفرتُ بندّه … لأنّ نسيمَ الرّوضِ طابَ بنَدّه
وحلّ فحلّى ناظرىّ ومسمعى … بلفظٍ يفوقُ الدرّ فى نظمِ عقده
وأهدى إلى قلبى هدوًا فقدته … وأطفأ من جمر الحشا حرّ وقده
وما كنتُ أرجو، والحشا تلفتْ ظمًا … على بخلِ دهرى، أن أفوزَ بورده
فقبّلتُ من شوقى شفاهَ سطوره … شفاهًا، فروّى غلّتى طيبُ برده
وبتُّ أناجى فيه إخلاصَ باطنى … وأتلو لما قد ضمّ سورةَ حمده[٣١]
فإن قلتُ: روضٌ كان فى ذا محاسنٌ … سوى ما لروضِ الحزن من نفحِ ورده
وإن قلتُ: أفقٌ زاد هذا بأنّه … به كلُّ نجمٍ حلّ فى أوجِ سعده
بعثتَ به جبرًا لكسرِ أصابنى … وما كلُّ مولى يشتهى جبرَ عبده
وحققتَ أنّ الودّ منك مؤكّد … جزَى الله مولانا على حسنِ قصده
أقمتَ على عهدِ الصفاءِ ولم تخنْ … ومثلُك من يرعى مواثيقَ عهده
جفانى أخلاّى الذين ألفتُهم … وأنت خليلٌ سرّنى حفظُ ودّه
إليك صلاحَ الدين أُهدى على النّوى … تحيةَ صبٍّ ضاقَ صدرًا لبعده
فإنْ كان يلقاك النّسيمُ معنبرًا … فإنّ سلامى فيه فاسمعْ بردّه.

وكتب هو إلىّ من القدس الشريف فى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة:

(من الطويل)

سلامَ مشوقٍ لا يزالُ مردّدا … يضوعُ كروضٍ ناضرٍ طلّه الندَى
يضاهى ثغورَ الغيد من أقحوانه … تبسُّمُه والخدُّ وردٌ تنضّدا
إذا ما بكتْ عينُ السّحاب بجوّه … ترى الزّهرَ فيه ضاحكًا متودّدا
به أعينٌ للنرجسِ الغضّ حدّقتْ … بجفنٍ غضيضٍ خلته راح أرمدا
يجرّ النّسيمُ الرّطبُ فيه ذيوله … فيبدو به وجهُ الغدير مجعّدا
وتشدُو به الورقُ الهواتفُ سحرةً … فيطربُ غصنُ البانِ منها تأوّدا
على سيّدٍ أربتْ على ذا صفاتُه … فأضحى بها بين الأنام مفردا
وعطّرَ منه الكونَ أنفاسُه التى … لها المسكُ يعنو بالخضوع تعبّدا
وطوّق جيدَ العصرِ[٣٢] منه قلائدًا … لديها نفيسُ الدرّ أصبحَ جلمدا

(وسار مَسيرَ الشَّمْسِ منه فضائلٌ)(٣٣) — تُبَارِى النُّجُومَ الزَّاهِرَاتِ تَعَدُّدا
وزانَ بَنِى العَلْيَا محَاسِنُهُ الَّتى — بهَا راحَ فى كلِّ المنَاقِبِ أوْحَدَا
تَحِيَّةُ مُشْتَاقٍ يَوَدُّ لَوَ انَّهُ — مَكَانَ الَّذى خَطَّتْ يَدَاه فَيَسْعَدا
يُرَنِّحُهُ ذِكْرَاكُمُ كلَّ سَاعَةٍ — عَلَى مَا به مِنْ حَرِّ شَوْقٍ تَوَقَّد
يَهِيمُ بمَغْنَاكُمْ، ويَصْبُو فُؤادُهُ — لمَغْنَاكُمُ، والبُعْدُ قَدْ زادَ فى المدَى
فَهَلْ تَسْمَحُ الأقْدارُ يوماً بعَوْدَةٍ — فَأُصْبِحَ فى تلك المعَالِمِ مُنْشِدَا؟!
أعَيْنَىَّ نَامَا طَالَ مَا قَدْ سَهِرْتُمَا — وذَاكَ زَمَانُ الوَصْلِ أصْبَحَ مُبْعَدَا.

يُقَبِّلُ الأرْضَ مُتَمَسِّكاً من ولائه بوثيقِ العُرَا، مُتَمَسِّكاً من ثَنائه الذى لايزالُ الكونُ منه مُعَنْبِرا، (مُتَشَوِّقاً للقائه الذى بالمُهَجِ يُشْتَام، وبالنفوس يُشْتَرَى)(٣٤) مُتَشَوِّفاً إلى ما يَرِدُ من أنبائه التى تَسُرُّ خبراً وتُحْمَدُ أثراً.

(من الطويل)

لَهُ أضْلُعٌ تُحْنَى عَلَى بُرَحَائِه — ويَنْشُرُ منها الرُّوحَ إمَّا تَذَكَّرَا
يَهِيمُ غَرَاماً بِالنَّسِيمِ لأنَّهُ — إذا هَبَّ مِنْ ذَاكَ الجَنَابِ تَعَطَّرَا.

والَيدَ التى وكفتْ بوابل جُودِها، وكفتْ المُهِمَّ بنتائجِ سُعُودِها، ومناهجِ صعودِها، وحاكَتِ السَّحابُ صيِّبَ عِهادِها، والجبالُ الشُّمُّ وثيقَ عهودِها، وحاكَتِ الوشْىَ المرْقُوم، وسَلَكَتْ الدُّرَّ المنْظُوم، فهذا يَرْفُلُ فى حُلَلِها، وهذا يتحلَّى بعُقُودِها:

(من الكامل)

فَهِىَ الَّتِى تَعْنُو الرِّيَاضُ لِرَقْمِهَا — ويَغَارُ منها الدُّرُّ فى تَنْضِيدِهَا
ويَحَارُ أرْبابُ البَيانِ لِنَظْمِهَا — فَهُمُ بحَضْرَتِهَا كَبَعْضِ عَبِيدِهَا.

ويُنْهِى ذِكْرَ تَلَهُّفِه لنيرانِ أشواقه الَّتى لَهَبَتْ، وتأسُّفِه على الأيام السالفةَ مُذْهَبَةً فى خدمته لا ذَهَبَتْ، وتوجُّعِه لهذه الأزمانِ التى استَرْجَعَتْ بالبُعْدِ عنه من ذَمَّانه(٣٥) ما وَهَبَتْ، وتَطَلُّعه إلى ما يُشَنِّفُ به الأسماعَ من فضائله التى بها العقولُ سُلِبَتْ، والقلوبُ نُهِبَتْ؛ فلايزال يسألُ الرُّواةَ عنها، ليلتقطَ منها، ويَتَحَقَّقَ أن فرائدَها لا يلْقَى لها نظيراً ولا يُدْرِكُ كُنْهَا.. وكيف لا، ومنها يَتَعَلَّمُ الفاضلُ، وإليها يفتقر السعيد، ولها يتَوَدَّدُ حبيبٌ، ولديها يتأدَّبُ الوَلِيد، وعنها

يَرْوِي حمَّادٌ، وعليها يعتمدُ ابنُ العَميد، ولا تنفَكُّ راقيةً في دَرَج المزيد، وعبدُ الحميد عبدُ الحميد؟!..

هذا والعلمُ الكريمُ مُحيطٌ بصدق محبَّة المملوك وإخلاصها، وشدَّة حرصه على تحصيل فوائدِ مولانا واقتناصها، وأنَّه لايزالُ ذاكراً لمحاسنه التي ليستْ في غيره مجموعه، ومتطفِّلاً على ثمارٍ من أفكاره غيرِ مقطوعةٍ ولا ممنوعه(٣٦). والخاطرُ الشريفُ، وهو أبو الصفاء على الحقيقة يشهد بذلك، فلا يحتاجُ المملوك منه إلى بيِّنةٍ عند مولانا المالك، وقد حمله ما وصفَ على التَّهجُّم بمعمَّى بعث به، وتوصَّل إلى الأذكارِ به بسببه، سائلاً من كرمِ شِيَمه الإغضاء عن دَنِيِّ كلمه، والإلغاءَ لعثرات لسانه، والسَّتْرَ على هفوات قلمه، فإنه لم يأتِ لمباراةِ تُذْكَر، ولا سعى في ميدان مُجاراةٍ تُشْهر، هيهات والله إنَّ الشمس لا تُضاهى، والبدرَ لا يُباهى، والبحرَ لا يُماثَل، والسُّحُبَ لا تُساجَل، وأين سَعْيُ الضالع(٣٧) من ركضِ الفُرْسان، وعِيُّ باقلٍ من بلاغة قُسٍّ وبيانِ سَحْبان؟! ولكلِّ أحدٍ مقامٌ يقفُ عند حدِّه، وكفى بالمرء جهلاً أن يتعدّى عن حدِّه، ولكنَّها نفثةُ مصدورٍ غلبه الشوقُ فقال، وبَعْثَةُ معذورٍ حمَّله عليها الإدْلال:

(من الطويل)

(وأرسلْتُها حَصْبَاءَ تُرْبٍ بِحَزْنَةٍ	إلى أُفُقٍ فيه النُّجُومُ جَوارِ
فألقِ عليها سِتْرَ معروفِكَ الذي	سَتَرْتَ بها قِدْماً عَلَيَّ عَوَارِي)(٣٨).

على أنَّه وإن كان زَيْفاً عند النَّقْد، وضيْفاً لا قِرَى له سوى الرَّدِّ، وسُكَيْتاً في حلبة الرِّهان، ومَدَراً فلا يُقاس باللؤلؤ والمرْجان.

(من الطويل)

فما ضرَّ(٣٩) ما يُهْدَى إليكُمْ فإنَّهُ	على ثِقَةٍ بالفَضْلِ ليسَ يَخِيبُ
(يكونُ أُجاجاً دونَكمْ فإذا انتهى	إليكُمْ تَلَقَّى نَشْرَكُمْ فيطيبُ)(٤٠).

والله تعالى يمتِّعُ الوجودَ بفضائل مولانا التي سارَتْ وسرَّتْ، ووصلَتْ وبرَّتْ، وحلَّتْ بالأسماع والقلوب حيث مرَّتْ، وابتهجتْ بها النفوس والعيون فهذه لها أقرَّتْ وهذه بها قرَّتْ، وها هو:

يا إماماً ثمارُ علومه يانعه، وأنوارُ أفكاره ساطعه، وفضائله وفواضله لشَتَاتِ المحاسن جامعه، ويعلو قدْره على أهلِ عصره قاطعه. أيُّ شيءٍ ذي زوجين تَقَرُّ العيونُ بتصالحهما،

وتَقِرُّ النفوس بتناكحهما وتَقَرُّ العقولُ بعدم تسافحهما، وتُقَرُّ القلوبُ من استيلائه عليها وتَضيق الصدورُ عند انتسابه إليها «لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرة إلا أحصاها»[٤١]، ولا جليلةً ولا حقيرةً إلا استولى عليها وحواها. وله ولد يُعدّ من الصلحاء الأوتاد، وإليه ينتسب من جلّة[٤٢] العلماء أفراد، وبعقله يثق ذوو الرأي والسّداد، حافظٌ أمين، عاقلٌ رزين، حاجزٌ حصين، مالكٌ مكين، حاكمٌ لا يميل، مُحكَم ذكره في آي التنزيل، مُنزّلٌ بالقدره، مُرسَلٌ عند الفترَة، ثابتٌ لا يزول، مُقيمٌ على عهده لا يحول، يظهرُ في أجملِ زينه، ويَجلبُ لمصاحبه الطُّمأنينه، لا يُخفَرُ جاره، ولا يُجهَل مقداره ولا تَخفَى على مرّ الأيام آثاره، وربما تعسّرَ في أمره، ورُمِيَت النفوس بحصره ثم أجاب داعيه فشرحَ من صدره. إن عاينتَ لفظه فقل[٤٣] ما شئتَ في تصحيفه، وإن عاينت شخصه سرّك بحسن ترصيفه، تأمرُ به إذا ثانيه حذفته، أو أسقطت أوّله[٤٤] وصحّفته، أو خصصتَ بالحذف آخره وحرّفته، وإن عكسته لفق[٤٥] أعذاراً لك في عكسه، ويبرهن لمعانيه على صحّة حدْسه، ومنه جبلٌ لا تُطرَق مسالكه، ونوعٌ من الكتاب صعبتْ مداركه. وباقيه مرخمٌ، جاء[٤٦] ذكره في الأثر، وإن نقلته كان وصفاً لعزم وجمع انتثر[٤٧]، تتزينُ به الأبكارُ الموشحاتُ بالدّر النّضيد، ويكون لها أجمل من القلادة في الجيد، يتنوّع صورةً ومعنى، ويتأنّق فُرادى ومثنى، ويبدو تارةً ذاتاً وتارة لفظاً، ويُجيد لمّا استودع أمانةً وحفظاً، يُجمعُ له بين الحرّ والبرْد، ويصح من أفعاله العكسُ والطّرْد، ومن أجزائه ما يُلقي نفسه في النّار عمداً، على أنه قد صُلي بها حين ضُرِبَ حدّاً، وله صاحبٌ يُجانسه، ويغشاه كثيراً ويُلابسه[٤٨] يسلُبه إذا حضر جميعَ الأوصاف، ويجودُ لغيره بالمنّ والإسعاف، يُحمَد فعله وإن كان يُفرّقُ بين الزّوجين، وينأى عنهما إذا تلاقيا بعد البيْن، طالما فرّج الكُرَب، وأزال الحصْر، وتلا عند أفعاله سورةَ النّصر، إنْ حذفْت أوّله وأضعفْتَ[٤٩] عينه، كان نعتاً له يقتضي زينَه. وإن حذفتَ ثانيه كان وصفاً للقدر[٥٠] مذكوراً، فإن عكسْته ذكرْت به كرماً مشهوراً، وإن صحّفته كان فعلا لا حرَج في تعاطيه، أو مكاناً نُهي عن الصّلاة فيه، وإن حذفْتَ ثالثه وصحّفته كان وَصفاً لطارقٍ يأتي بغْته، إذا عنَيْتَ بأمره[٥١] وسهّلته، وإن صُحّف بعد ما سقَط من أوله حرفان، أذكَرك صاحبَ الإيوان، وواحدَ فزارة بن ذبيان[٥٢]، وباح بسرّه فلا كتمان؟.

هذا ما تيسّرَ من أوصافه عَجلاً، وتَسيّر إلىّ بين يديك خَجلاً، فاجلُ فيه فكرةً أضاءَتْ أنوارُها، فَحُمدتْ آثارُها، وعبقَ نوّارُها، فجُنيتْ ثمارُها، وتُليتْ أخبارُها، فتَجمّلتْ بها من الأقاليم أقْطارُها. لايزالُ بنانُك يرْقمُ أحرُفاً، فيبْدى زُخرُفاً، وبيانُك يتلو صُحفاً(٥٣)، فيبوأ من الجنّاتِ(٥٤) غرُفاً، وبديعُك يُحلىّ الأولياءَ عقودا، ويقرّظهم شُنُفاً بمنه وكرمه. إن شاءَ الله تعالى.

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك:

(من الطويل)

قَريضٌ كما غنّى الحمامُ وغرّدَا ... فباتَتْ له الأغصانُ فى الرّوض سُجّدَا
وإلاّ كمَا ازدانَتْ سماءُ دياجرٍ ... فكمْ كوكبٍ فى أفْقِهَا قد توقّدَا
ونثرٌ كما احمرّتْ خدُودُ شقائقٍ ... فكلّلَها لمّا ازدهَتْ لؤلؤُ النّدا
وإلاّ كمَا مُدّتْ مُلاءَةُ سُنْدسٍ ... من الرّوضِ فيها الزّهْرُ درٌّ تَبدّدَا
ولفظٌ كما غادى النّسيمُ غَديرَه ... حُسَاماً صقيلاً ثم ما ساهُ مبْردَا
وإلاّ كمَا هبّتْ صبًا فى صبَابَةٍ ... تُعيدُ على الأحبابِ عتْبًا مُردّدَا
وطرْسٌ كما تَرنُو لحاظٌ بزينُها احْـ ... ـوِرارٌ وتحشُوها(٥٥) يدُ الحُسْنِ إثْمدَا
وإلاّ كما وافَى لنا الصّبحُ أبيضَ الْـ ... ـمُحيّا، وولّى نافِقًا اللّيلُ أسودَا
وما هذه إلاّ نوافثُ ساحرٍ ... إذا شاءَ حَلّى الشّهْبَ عقْدًا مُنَضّدَا
نَوافذُ فى الأحْشاءِ حاشَا بيانُها ... يكونُ من السّحْرِ الّذى قدْ تَعقّدَا
بعثْتَ صلاحَ الدّين لى برسالةٍ ... فأصبحَ جِيدُ الدّهْرِ منها مُقلّدَا
فيا حُسْنَها جاءَتْ إلىّ هديّةً ... وَجدْتُ على نارِ البُعادِ بها هُدَى(٥٦)
تَعوّدْتُ جبْرى حيثُ كُنْتَ وإنّمَا ... (لِكُلّ امرِىءٍ من دهْرِه مَا تعوّدَا)(٥٧)
فأطْلقْتُ لفْظِى فى صفَاتِكَ مادحًا ... (ومن وَجدَ الإحسانَ قيْدًا تقيّدَا)(٥٨)
فأنْتَ إمامٌ، والورَى فى العُلاَ ورًا، ... فما رُحْتَ تُدْعَى سيّدًا فيهم سُدًى
فيالَكَ من حبْرٍ وبحْرِ مواهبٍ ... تجُودُ الفتَاوى والفُتَاوَةَ سرمدَا
علىَ هذه الأيّامِ ما تَستَحِلُّهُ ... فكمْ قدْ أضاعَتْ منكَ حقًا مُؤكّدَا
فلَوْ أنصفَتْ ساوَتْ محلّكَ بالسُّهَا ... (عُلُوّا، وصاغَتْ نَعْلَ نَعْلكَ عسْجدَا)(٥٩)
ولكنّهَا الأقْدارُ تَفْعَلُ ما تَشَا ... وَكَمْ حكْمَةٍ فى طيّهَا رَدّت الرّدَى
وبعدُ فلى فيها رجاءٌ، وعندَهَا ... ديونٌ، متَى تُقْضَى فأصبحَ مُنْشدًا؟!
هَنِيئًا لدهْرٍ أنتَ فيه مُحكّمٌ ... تَسُرُّ الموالى فيكِ إذْ تُكْبِتُ العِدَا.

يُقبِّلُ الأرضَ التى هى للعلوم رياض، وللبركات حياض، وللفوائدِ الغريبةِ غياض، وللمعالى معادن، وللمكارمِ مكامن، وللموائدِ مواطن، وللمسائل مسالك، وللمبارى مبارك، وللآراءِ الصائبةِ أرائك.

(من الوافر)

هِيَ الأرضُ الَّتــى وَفَتْ عُلاهــا ... وفــاحَ الطِّيبُ فــيهــا من وفــائِكْ
فــمــا تَمشِي بهــا إلاَّ وتَغْدُو ... مُظَلَّلَةً بــأجْنِحَةِ المــلائِكْ.

وينْهى بعد دُعاءٍ أخلصَه، وولاءٍ كُلَّمَا أطنب فيه توهَّمَ أنَّهُ لخصَه، وثناءٍ جلَّيَه من نفحاتِ المسك الإذْفَرِ، إذ فرَّ وخلَّصَه، ووصفِ محبَّةٍ تغَالَى فيها وما تغابى ولا ترخَّص، وأشواقٍ تعالى الصبْرُ عنها، وما تعانى غيرَ الصدق فيها ولا تَخرَّص، ولوْ عاتٍ تمادى أَلَمُه فيها وتعالى عليه، فما تصبرُ لها القلبُ ولا تربَّص.

(من الوافر)

وَذِكْرِ زَمــانٍ أُنسٍ مرَّ حلوًا ... وعــيشٍ بالتَّبَاعُدِ قــد تنَغَّصْ
تَقَنَّصَ فــيــه صرْفُ البَيْنِ صبْرِى ... ومــا زادَ الجوى حــتى تنقَّص.

ورُودُ المثالِ العالى - أعلاه الله تعالَى - ومدَّ به على القلوب الضاحيةِ ظلالاً، فوقف المملوك منه على رياضٍ يانعه، وألفاتٍ كأنها الغصون المائسه، وفوقَهَا الهمزاتُ كالحمائم السَّاجعه، وسطورٍ كالجداول أمواجُ معانيها متدافعه، وألفاظٍ صادقةِ الحلاوة فى الفصاحة الصَّادعَه، ومقاصدَ لم تَضِقْ بعبارتِها ساحاتُ البلاغةِ الواسعة، ومقاعدِ قوافٍ تنزَّلَتْ فى أماكنها كالبدور الطالعه:

(من الطويل)

وحَسْبُكَ مِــن فَضْلٍ تَدَانَتْ ثِمَارُهُ ... ولكِنْ مَبَانِيــه علَى النَّاسِ شاسِعَه
فكانَ صَبُوحِى منه كــأسًا رَوِيَّةً ... سُلافَتُهــا صــفــراءُ لِلْهَمِّ فــاقِعَهْ (٦٠).

فلو رآه الفاضلُ لنَقَصَ من قَدْرِه، أو ابنُ سناء الملك لما افتخر بقصْرِه(٦١) فى عصْرِه، ولا أنشدَه مملوكهُ من شعره، أو ابنُ أبى الإصبع لما مدَّ فى هذه الصَّناعةِ يدًا، أو القاضى الجليسُ(٦٢) لقامَ وقَعَدَ حسَدًا، أو الجزَّارُ لتقطَّعَتْ من الرُّعب مصارِينُه، أو السَّرَاجُ لانْطفأَ وكثُر

تَدْخِينِه، أو ابنُ النقيب لكان مُجَرّداً من محاسنه، فما يُسايره ولا يُباريه (أو الحمّامي لما عرَفَ حرّ الأشياء وباردَها، ولا أخذَ الماءَ من مجاريه)(٦٣)، أو شيخُ الشيوخ لما وجدَ له مُريداً(٦٤)، أو ابنُ لؤلؤ الذهبيُّ(٦٥) وشيعتُه لقالت لهم فصاحتُه: «قل كونوا حجارةً أو حديداً»(٦٦) أو ابنُ النّبيه لأخملته هذه الخمائل، ولم يباكرْ صبوحاً(٦٧) مع أهيفِ الشمائل، أو ابنُ السّاعاتي لهمتْ(٦٨) درَجاتُ مجدِه بالسُّقوط، ونَسي يوما كانتِ الريحُ تكْتُبُ والغمامُ يَنْقُطُ في سُيوط(٦٩).

ولَوْ أشبهَتْهُ الشمسُ في أوْجِ أُفْقِها ... لَمَا شَانَهَا في النيِّرات هُبُوطُ
وَلَوْ أنّ زَهْرَ الدَّوْحِ فازَ بِجِدَّةٍ ... حواهَا، لمَا أفْنَى قُواهُ سُقُوطُ.

فعينُ الله على هذه الكلماتِ السّحّاره، والبحارِ الزّخّاره، والكواعب التي هي بالكواكب سخّاره، والمحاسنِ التي ما التقط مثلَها السيّاره، والفضائلِ التي تَخْتَبِيءُ الشمسُ منها في الهالة والقمرُ في الدّاره، والفوائدِ التي لو حلَفَ أحدٌ أنّ السّمْعَانِيَّ(٧٠) ما سَمِعَ بها ما لزمته كفّاره.

يا مولانا دَعْ لنا من مأدبِ الأدب فضلةً بها نرتزق، وخُذْ في فُنونك من علوم الشّريعة، مع أقرانِك، (فبعضُ الفوارسِ قد تعتلقْ)(٧١)، ونَفِّسْ لنا ساعة كَرْبٍ، ولا تُضايِقْنا نَخْتَنِقْ. ودونك والحديثَ، فما أنتَ ممّنْ يأخُذُ بأطرافه إذا تكلّم، وأشْتَغِلْ عنّا بنَقْدِه، فالبخاريُّ يُثْني عليك، ومُسْلِمٌ(٧٢) لك سلَّم. وجادِلْ فُرْسان الكلام، فَسَيْفُها منك تثلَّم. وأقِم أدلّةَ التوحيد، فالإمامان(٧٣) لو رأياك لقدّماك، وقالا: هذا المُهمُّ المقدَّم(٧٤)، وخَلّ لنا منْبتَ الأدب، وإنْ لم نكن من خلّ بقْلِه، وولّ جانبك هذه التُرّهات، فأكثرها (أُخبُرْ تقْلِه)(٧٥)، وأعْرِضْ عن متاعها الذي لا فائدةَ في حضور حضْرَتِه، ولا لذّةَ في نقْلِ نقْلِه(٧٦)، واترُكنا نهيمُ في أوديةِ القريض، فمن أرْجان أرجه إلى صقلّيّة صقْلِه(٧٧).

وأمّا غيرُ ذلك فإنّ المُعمّى الذي تضمنَّه ذيلُ هذا المثال الكريم، وأمستْ به جناتُ غيره من أرباب هذا الفنّ وهي كالصّريم؛ فلما انتهى المملوكُ إليه، وقَفَ له إلى أنْ فكّ قُفْلَه، وأتمّ فَرْضَ حلّه ونَفْلَه، وشاهد محاسنَه التي غربتْ عن الألباب، وعلِم به كيف تكونُ مقاصدُ شيوخ الآداب:

(من المجتث)

يـــــــــا حُسْنَ لُغْزٍ أتَانِي أقـــــرّ قلبـــــا وطَرْفَا
أخْرَاهُ لاحَتْ عَجِيـــــبــــا اسمــــا وفــــعْلا وَحَرْفَا

وأما وَصفُه نثْرا، فقُلْ في ثلاثيٌّ جُمْلته مائتان تزيدُ عشرا، إن جعَلْتَ آخره راءً كان من جُمْلَة البِيد، أوزاياً كان حركةً تقرِّبُ المكان البَعيد، أو صاداً كان سجنا للطَّير الغرِّيد، أو طاءً كان بلدةً معروفةً في الصعيد. وإنْ صيَّرت وسطه باءً كان ظرفاً مبنياً لا يعملُ فيه الجرُّ من قَريبٍ ولا بعيد، أوتاءً كان فعلاً تحرِيمه في الشرع المُطهَّرِ لا يبيد، أو واواً كان(٧٨) ما يُلفظ به و «لديه رقـيب(٧٩) عتيد»، أو ياءً كان وصفاً لواحد الملوك الصِّيد، وإن تركت أوله حاءً كان وصفاً لجمعٍ عديد، أو سيناً كان ضداً للعلو(٨٠) البعيد، أو طاءً كان صفة للمولود الجديد. وأما صاحبه الذي يُجَانسه، ويَغشاه ويُلابسه، فمتى لفظْتَ به ذكرْتَ سكَّاكيَّ البيان(٨١)، أو جمعتَه كان اسمَ تفسيرٍ عظيم(٨٢) للقرآن، أو ذكرْتَ مُرادِفَ مفرده كان مُصنِّفاً لِواحدِ فَزارةَ بن ذبيان(٨٣). وأما إذا حذفت ثانيهُ وعكسته(٨٤) وصحَّفْتَه، كان حليةً لخناصر الإناث والذكور، أو صفةً لطائر في الجوِّ يدُور، أو فعلا له إذا تلَبَّدَ بالأرض فلا يذهب ولا يَحُور(٨٥)، ولــه خواصُ أُخرى أضرب المملوك عنها، وخاف إن سردها أوجَبَ الضجر منها.

(من البسيط)

أحْسِنْ به من مُعمّى قـــدْ بعثْتَ به سكِرْتُ مــــن حلّه إذْ راحَ لِي رَاحَا
عــــمّيْتَه فــــدَجَا، وَصفْتَه فأضَا مــــعْنىً، فــــأهْدَيْتَ لِي قُفْلاً ومِفْتَاحَا.

والله تعالى يُمتِّعُ الأيامَ والأنامَ بهذا الفضلِ الجليِّ الجليل، والأدبِ الذي لا يجده الرُّواةُ إلاَّ بالقُدْسِ، ولا يأخُذُونه إلاَّ عن الخليل. بمنه وكرمه إن شاءَ الله تعالى.

وكتبت أنا إليه، وقد ورد من القُدْسِ الشريف إلى دمشقَ المحروسة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة:

(من الوافر)

أتيْتَ إلى دِمَشْقَ وقـــــد تشَكّتْ إلــــيــك لــطُول بُعْدٍ وانتزَاحِ(٨٦)
وكــــانــت بعْدَ بُعْدِك في فَسَادٍ وجئتَ لهـــا فـــفـــازَتْ بالصّلاحِ.

وكتب هو إليَّ جوابا عن بيتين تقدم ذكرهما في ترجمة الشيخ بهاءِ الدين أبى حامد السبكى وهما:

(من الطويل)

أَلا خبِّرُونى عَنْ صَلاَةِ امــرِىءٍ غَدَتْ ... بحـــارٌ بسيطٌ عندها ووَجِيـــزُ[٨٧]
تَـجُـوزُ إذا صـلّى إمـاماً ومـفْـرَدَاً ... وإنْ كـــانَ مأمُوماً فلـيس تجُوزُ.

فكان ما كتب هو:

(من الطويل)

بَقِيـــتَ فلاَ يُلْقَى لكَ الـــدَّهْرَ مُشْبِهٌ ... ودُمْتَ لـــــكُـــنْ المعْلُوَاتِ تَحُوزُ[٨٨]
فـــإنَّ الّذِى ليْستْ تَجُوزُ صَلاَتُه ... له الـعقْلُ حـــــرزٌ دُونَ ذاكَ حريـزٌ
فقدْ صارَ محْفـــوظًا بـهذَا سَمِيُّهُ ... كمَا جاءَ فِى لَفْظ الحيـــاة وَجيـــزُ.

وهذا بناءٌ على ما فهمته أنَّ مراده بالمأْموم الذى أُصابته[٨٩] آمَةٌ، أذْهبت عقله، فإن صلاَتَه غيرُ صحيحةٍ لذهاب عقله. وأردتُ بقولى له العقل حرزٌ، الدِّيَةَ التى تجب فى المأمومة، فإنَّ إيجابها مانعٌ من تعاطيها، كما فى قوله تعالى: «ولكم فى القصاص حياة[٩٠]»، وهذا المرادُ بالسطر الأخيرِ من الأبيات. فقد صار العقلُ الذى تُذْهبُه[٩١] المأمومةُ محفوظاً بإيجاب العقْلِ الذى هو الدية.

هوامش حرف الخاء

(خالد بن إسماعيل)

(*) فى (ب): «خالد بن سعيد» بالتحريف، هذا، وقد ترجم له فى: (من ذيول العبر ٢/ ٣٢٢، والنجوم الزاهرة: ١٠/ ٣٢٨. والسلوك ـ ٣/ ١٤٤، والمنهل: ٢/ ٥٤، ٥٥) ووفاته ـ فيها ـ سنة ٧٥٩هـ.

(١) عجز بيت لطرفة بن العبد (بديوانه/ ١٩): وتمامه:

وقوفا بها صحبى على مطيهم   يقولون: لاتهلك أسى وتجلد

(٢) الشطر الثانى تضمين قول شرف الدين بن راجح بن إسماعيل الحلى (مفرج الكروب ٣/ ٢٣١) فى الرثاء:

صبراً أمير المؤمنين، فلم تزل   فى كل حادثة بصبرك يقتدى

(٣) البيت للمعرى (سقط الزند/ ٨٩ ط بيروت، والغيث ١/ ٥٧) من قصيدة مطلعها:

إليك تناهى كل فخر وسودد   فأبل الليالى والأنام وجدد

(٤) فى الأصل، ز: «تقبل» وأثبت ما فى (أ، ب، م).

(٥) البيتان للمتنبى (بديوانه ٣/ ٤٤)) ورواية البيت الثانى (فيه، وفى ب، والتذكرة الصفدية ١/ ٤٥): «على قدر المخيلة والأصل» وهما من قصيدته التى يرثى بها أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة، ومطلعها:

بنا منك فوق الرمل ما بك فى الرمل   وهذا الذى يضنى كذاك الذى يبلى

(٦) فى الأصل، و (أ،ز،م): «المخيلة والفضل» والتصويب من الديوان..

(٧) يشير إلى قول أبى الحسن التهامى فى رثاء ابنه (بديوانه/ ٢٧، ودمية القصر/ ٤٧، والغيث ١/ ١٠٥. والكشكول ٣/ ٣٦٤):

ياكوكبا ماكان أقصر عمره   وكذا تكون كواكب الأسحار

(٨) مأخوذ من قول أمية بن أبى الصلت (بديوان المتنبى ٤/ ١٠٣، والكامل للمبرد ١/ ٧١، ٣٤٣):

امن لم يمت عبطة يمت هرماً   للموت كأس، فالمرء ذائقها

أو من قول المعرّى (بلزوم ما لا يلزم ١/ ٤٠٤):

وللموت كأس تكره النفس شربها ... ولابد يوماً أن نكون لها شرباً.

(٩) فى (أ، م)): «ولله در القائل». والقائل: ابن النبيه، والبيت الأول مطلع القصيدة، والثانى، هو الثالث منها (ديوانه/ ٧، ٨).

(١٠) فى الأصل، و (أ، ب، م)): «منها الجياد» والتصويب من (ز) وديوان الشاعر.

(١١) فى (ألحان السواجع)): «يأخذ منها» والتصويب من الديوان.

(الخضر بن محمد، المعروف بابن الزين خضر)

(*) فى (ز): «خضر بن محمد». وقد نال عناية المترجمين فترجم له الصفدى فى (الوافى ١٣/ ١٢٩، ١٣٠)، وابن حجر فى (الدرر ٢/ ١٧٣، وبالحاشية مات: سنة ٧٥٦هـ))، وابن تغرى فى (النجوم ١٠/ ٣٢١، وفيه: مات سنة ٧٥٦هـ) وغيرهم.

(١٢) (ز): «شعراً مهندًا». هذا وقد وردت الأبيات فى (الوافى ١٣/ ١٢٩).

(١٣) «ودام على» فى: (أ، ز، م، والوافى).

(١٤) فى (الوافى) وقد ورد الجواب به – : «فكتبت الجواب إليه عن ذلك».

(١٥) يقتبس قوله تعالى حكاية عن الوليد بن المغيرة: «فقال إن هذا إلا سحر يؤثر» الآية/ ٢٤ من سورة المدثر.

(١٦) ورد هذا المعنى بأكمله فى (الوافى ١٣/ ١٢٩: ١٣٠).

(١٧) «ثمانية» فى (الوافى).

(١٨) يشير إلى جبل ق، وإلى قوله تعالى: «نون والقلم وما يسطرون».

(١٩) المقصود فى الجملة كلمة «قن» وهو العبد.

(٢٠) (الوافى): «وعينه المجاز... تبلغ» بالتحريف أيضاً.

(٢١) فى (ألحان السواجع): «قليلة» تحريف تصويبه من (الوافى). والمقصود فى الجملة «نطق».

(٢٢) فى الوافى: «واحلله».

(٢٣) المقصود هنا الحوت.

(٢٤) والمقصود هنا «قنط».

(٢٥) المقصود هنا «قيظ».

(٢٦) لعله يقصد: «القبط».

(٢٧) والمقصود هنا «طبق».

(خليل بن كيكلدى)

(*) الشيخ صلاح الدين العلائى، الحافظ، المفيد، أبو سعيد. ولد فى ربيع الأول ٦٩٤هـ، وتوفى فى خلمس المحرّم ٧٦١هـ. له ترجمة فى: (الدرر: ٢/ ١٧٩ ـ ١٨٢)؛ و (طبقات السبكى: ١٠/ ٣٥ ـ ٣٨)، و (طبقات المفسرين للداودى: ١/ ١٦٥، ١٦٦)، وطبقات الإسنوى: ٢/ ٢٣٩)، و (طبقات الحفاظ للسيوطى/ ٥٢٨، ٥٢٩)، و (البدر الطالع: ١/ ٢٤٥، ٢٤٦) وغيرها.

(٢٨) المدرسة الصلاحية بالقدس «بالقرب من السور من جهة الشمال بباب الأسباط. وقف السلطان صلاح الدين على الشافعية فى سنة ٥٨٨» (خطط الشام ٦/ ١٢٢).

(٢٩) أثبت الزيادة عن جميع النسخ المساعدة.

(٣٠) الجواب ورد فى (الوافى ١٣/ ١٥٩).

قل للذى يعجب من حسنه اقرأ عليه سورة الحمد

(٣١) لعله يشير إلى قول ابن رشيق (بديوانه/ ٦١، وديوان الصبابة/ ٩١):
(٣٢) «جيد الدهر» (ب، ز).
(٣٣) مأخوذ من قول على بن الجهم فى مدح المتوكل (بالمختار من شعر بشار/ ٦، والكشكول /٣ ٢٩٤):

فسار مسير الشمس فى كل بلدة وهب هبوب الريح فى البر والبحر

(٣٤) الزيادة عن جميع النسخ المساعدة.
(٣٥) بالأصل: «من دمائه». بالدال المهملة، ولعل ما اخترته أحسن. فالذُّماء: بقية الروح فى المذبوح وغيره وفى المثل: (أطول ذماءً من الضَّبّ). والذُّماء: قوة القلب.
(٣٦) يقتبس قوله تعالى - فى ثمار أهل الجنة -: «لا مقطوعة ولا ممنوعة من الآية/ ٣٣ من سورة الواقعة.
(٣٧) قوله: «سعى الضالع» لعله من قولهم: دابة مضلع لا تقوى أضلاعها على الحمل. وحمل مضلع مثقل للأضلاع. والضالع: المائل (لسان: ضلع).
(٣٨) ورد هذا البيت فى (طبقات السبكى ٩/ ٣٩٧) برواية: «فأسبل... سترت به»، و (بفوات الوفيات ١/ ٢٨٢ - بترجمة ابن قم الزبيدى اليمنى -، ومعجم الأدباء ١٠/ ١٤٠) والرواية فيهما: «فأسبل.. سترت به مخازى عورانى». هذا، وقد نسب البيت فى (تحرير التحبير/ ٦١٨، والكامل للمبرد: ٢ / ٩) للحسن بن هانىء الحكمى. والرواية فيهما مع ما قبله:

إليك غدت بى حاجة لم أبح بها أخاف عليها شامتا فأدارى
فأرخ عليها ستر معروفك الذى سترت به قدماً على عوارى

وهو بنفس الرواية من غير عزو فى (تأهيل الغريب/ ٢٠٤).
(٣٩) رواية (ألحان السواجع): «وما ضرّ...» ولعل السياق يقتضى ما أثبت.
(٤٠) هذا البيت لمجنون ليلى (بديوانه/ ٥٢ (برواية... نلقى طبيبكم فيطيب» وهو من قصيدة مطلعها:

ألا أيها البيت الذى لا أزوره وهجرانه منى إليه ذنوب

وهو منسوب إلى العباس بن الأحنف فى (سجع المطوق/ ٥٣) برواية (الألحان) وفى (بهجة المجالس ١/ ٨٢١) برواية: «يكون أجاجاً قبلكم.. نلقى طبيبكم» وهو مذكور (بديوان العباس/ ٢٩) برواية: «..... تلقى طبيبكم...» من قصيدته التى مطلعها:

جرى السيل فاستبكانى السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتى سروب.

(٤١) يقتبس من الآية/ ٤٩ من سورة الكهف.
(٤٢) «من جملة العلماء» فى (أ، ب)، من أشهر هؤلاء العلماء السكاكى صاحب المفتاح (مفتاح العلوم)) والخوارزمى صاحب (مفاتيح العلوم).
(٤٣) واضح أن تصحيف (قفل)، هو (فقل). وهذا هو المورى به فى قوله: «لفظة فقل».

(٤٤) المقصود هنا هو الفعل «قل».
(٤٥) هذا الفعل (لفق) هو عكس كلمة (قفل).
(٤٦) لعل المقصود هو: «فل» بضم الفاء.
(٤٧) والمقصود (فل) بفتح الفاء.
(٤٨) المقصود بهذا الصاحب: هو المفتاح.
(٤٩) لعل المقصود هنا «فتاح».
(٥٠) لعل المقصود من العبارة كلمة «متاح» وعكسها المشهور بالكرم «حاتم».
(٥١) هل المقصود كلمة «منح» هنا؟
(٥٢) في الأصل: «ذو بيان» والتصويب من (أ)، واللسان مادة (فزر). وجاء فيه: «فزارة وبنو الأفزر قبيلة. وقيل: فزارة أبو حي من غطفان... وهو فزاره بن ذبيان بن نعيض بن ريث بن غطفان». ولم أهتد إلى الغاية من العبارة هنا غير أن الفعل «باح» هو المقصود في فعل الشرط.
(٥٣) يقتبس قوله تعالى: «رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة» الآية/ من سورة البينة».
(٥٤) يقتبس قوله تعالى: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً...» الآية/ ٥٨ (العنكبوت).
(٥٥) في الأصل: «احورار تحشوها» بحذف حرف العطف (و) وأثبتها عن (أ، ب، م) لسلامة الوزن.
(٥٦) يقتبس من قوله تعالى: «لعل آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى» من الآية/ ١٠ من سورة طه.
(٥٧) صدر بيت للمتنبي - وهو مطلع القصيدة - (بديوانه ١/ ٢٨١) وتمامه:

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

(٥٨) الشطر الثاني عجز بيت من القصيدة السابقة للمتنبي «بديوانه ١/ ٢٩١، والإبانة/ ١١٣) وتمامه:

وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

(٥٩) الشطر الثاني لعله مأخوذ من قول المتنبي (بديوانه ١/ ٢٩١):

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وزنعلت أفراسي بنعماك عسجدا

(٦٠) استخدام الصفدي هذا في معنى آخر فقال (فض الختام/ ١٢٠)، و (جواهر العقد/ ١٩٢):

أدرها سلافاً ما ألمت بمنزل ولا نزلت إلا لتسعد طالعه
وما اجتمعت والهم يوماً لأنها بكاساتها صفراء للهم فاقعه

(٦١) ابن سناء الملك، هو: السعيد أبو القاسم هبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك، من أكبر شعراء مصر وأبرعهم في العصر الأيوبي توفي سنة ٦٠٨هـ- (خريدة - شعراء مصر - ١/ ٦٤).
(٦٢) ابن أبي الأصبع سبق التعريف به. أما القاضي الجليس فهو أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي السعدي التميمي المتوفى سنة ٥٦١هـ. يقول العماد: «وقد كان أوحد عصره في مصر نظماً ونثراً» (الخريدة ١/ ١٨٩ - شعراء مصر).
(٦٣) الزيادة عن جميع النسخ المساعدة.

(٦٤) لعله يقصد بشيخ الشيوخ: «أبا البركات إسماعيل بن أبى سعد بن أحمد النيسابورى الصوفى. (معيد النعم/ ٧٢)).
أو لعله محمد بن حمويه بن محمد بن محمد بن نصير الجوينى كما جاء فى (تلخيص ابن الفوطى ج ٤ القسم الثانى/ ٧٩٨ - ٧٩٩).

(٦٥) هو بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى، من أشهر شعراء عصر المماليك بالشام. توفى سنة ٦٨٠هـ.

(٦٦) من الآية/ ٥٠ من سورة الأسراء.

(٦٧) الإشارة هنا إلى قوله (بديوانه/ ٦) وفى (المستطرف ٢/ ٢٣٤):

باكر صبوحك أهنى العيش باكره ... فقد ترنم فوق الأيك طائره

(٦٨) وابن الساعاتى، هو أبو الحسن على بن رستم بن هردوز، المعروف بابن الساعاتى. والملقب بهاء الدين، الشاعر المشهور المتوفى سنة ٦٠٤هـ. ترجمته عن (وفيات: ٣/ ٧٣، ٧٤).

(٦٩) سيوط: كورة جليلة من صعيد مصر، خراجها - فى ذلك الحين - ستة وثلاثون ألف دينار، أو زيادة. كما يقول صاحب معجم البلدان (المجلد الثالث ٣٠١ ط بيروت). ويشير هنا إلى قول ابن الساعاتى (وفيات الأعيان: ٣/ ٣٩٦ ط بيروت، ومعجم البلدان):
(والمقصود الشطر الأخير من البيت الرابع).

لله يوم فى سيوط وليلة ... صرف الزمان بأختها لايغلط
تبنا وعمر الليل فى غلوائه ... وله بنور البدر فرع أشمط
والطل فى سلك الغصون كلؤلؤ ... رطب يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ، والغدير صحيفة ... والريح تكتب، والغمامة تنقط

(٧٠)السمعانى: هو تاج الإسلام أبو سعيد عبد الكريم بن أحمد - وقيل: ابن محمد بن منصور التميمى - الحافظ تاج الإسلام معين الدولة أبى بكر محمد المتوفى سنة ٦٥٢هـ - وقيل سنة ٥٦٣هـ. وهو صاحب الرحلات الواسعة لدراسة الحديث، وصاحب كتاب الأنساب (ط ليدن - المطبعة الشرقية سنة ١٩١٢م) ترجمته عن (بروكلمان ٦/ ٦٣ - وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٠٧ - ١١٠).

(٧١) هذه الجملة تضمين قول الشاعر: (الصناعتين/ ٣٦٧):

تركت الركاب لأربابها ... وأكرهت نفسى على ابن الصعق
جعلت يدىّ وشاحاً له ... (بوعض الفوارس لايعتنق)

والصعق الكلابى أحد فرسان العرب سمى بذلك لأنه أصابته صاعقة.. واسمه خويلد. قال سيبويه فالوا فلان ابن الصعق. والصعق صفة تقع على كل من أصابه الصعق ولكنه غلب عليه (لسان: صعق)). هذا، وقول الصفدى «قد تعتنق» أى قد تتساوى وتتكافأ. أو تسبق وتفضل. جاء فى (لسان: عنق) قوله: «المعانقة فى المودة والاعتناق فى الحرب قال:

نطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ... ضارب حتى إذا ماضاربوا اعتنقا

.... وقيل: التعنيق التخييب من العناق وهى الخيبة...».

(٧٢) يشير إلى الإمامين: البخارى المتوفى سنة ٢٥٦هـ، ومسلم المتوفى سنة ٢٦١هـ، صاحبى الصحيحين اللذين لا يشتملان إلا على الأحاديث المتفق على صحتها.

(٧٣) الإمامان، لعله يقصد بهما، الحسن البصرى، وواصل بن عطاء أو غيرهما من أئمة أهل السنة والمعتزلة.

(٧٤) يشير إلى قول عبيد الله بن طاهر:

فـقلت له: نعـمـاك فـيـهم أتمها ودع أمـرنا إن المهم المقـدم

(٧٥) مثل مشهور، جاء في «حديث أبي الدرداء وجدت الناس أخبر تقله... يقول جرب الناس. فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركتهم، لفظه لفظ الأمر، ومعناه الخبر، أي من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم، والهاء في «تقله» للسكت «كما جاء (بلسان: قلا). وانظر (بهجة المجالس ١/ ٦٤٨)).

(٧٦) جاء في (لسان: نقل)): «والنقل بالضم ما يتنقل به على الشراب.. عن ابن خالويه قال: النقل بفتح النون الانتقال على النبيذ والعامة تضمه».

(٧٧) أرجان: مدينة في فارس.. وقيل على حدودها قبالة الأهواز، تشتهر بكثرة مزارع النخيل والزيتون، كما تشهر بنسج الحرير. أنظر (دائرة المعارف الإسلامية: مادة: أرجان).

أما صقلية: فهي من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية كما يقول (ياقوت ٥/ ٥٧٣).

(٧٨) المقصود في هذه العبارة هو: قفر، قفز، قفص، قفط، قبل، قتل، قول. الخ.

(٧٩) يقتبس قوله تعالى: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» الآية/ ١٨ من سورة ق. والمقصود هنا كلمة «قول».

(٨٠) المقصود في هذه العبارة وما قبلها كلمتا: (حفل، وسفل).

(٨١) يقصد كتاب (مفتاح العلوم) والكتاب في ثلاثة أجزاء: الأول في علم الصرف، والثاني في علم النحو، والثالث في علم المعاني والبيان طبع بالقاهرة ١٣١٧هـ والإستانة.

(٨٢) المراد: كتاب (مفاتيح الغيب - المشتهر بالتفسير الكبير) للإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ. وقد طبع بالمطبعة الخيرية بمصر - طبعة أولى سنة ١٣٠٨هـ.

(٨٣) وفي الأصل: «ذوبيان» ولم أهتد إلى المقصود هنا.

(٨٤) المقصود هنا كلمة «خاتم».

(٨٥) المقصود من الجملة الأخيرة «جاثم».

(٨٦) ورد البيتان في الوافي/ ١٣.

(٨٧) ورد البيتان في (التذكرة/ ٣٨ الورقة/ ٣٢).

(٨٨) وردت الأبيات الثلاثة، والنثر بعدها إلى آخر الترجمة في (التذكرة: ٣٨/ ٣٢، ٣٣).

(٨٩) في (ز، م، والتذكرة): «امة في رأسه».

(٩٠) من الآية/ ١٧٩ من سورة البقرة.

(٩١) في (التذكرة): «يذهبه المأمومة».

ة

حرف الراء

رزقُ(*) الله الفاضلُ الكاتبُ تاجُ الدّين كاتبُ الإنشاءِ الشريف بالقاهرة المحروسة. كتب هو إليَّ من القاهرة المحروسة فى سنة أربع وأربعين وسبعمائة. فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك:

(من الطويل)

سُطُورُكَ أم راحٌ بَدَتْ فى زُجَاجِهَا ... فكانَ سُرُورُ القلبِ بعضَ نَتَاجِهَا؟
أَتَتْنِى من مصرٍ إلى أرضِ جِلَّقٍ ... فأهْدَتْ إلى نَفْسى عظيمَ ابْتِهَاجِهَا
فيَا نَفَسَ الأسْحَارِ فى كلِّ روضةٍ ... تَيَمَّمْ رُبَا مصرٍ، ولَطِّفْ مِزَاجَهَا
وقِفْ (لى) على دِيوانِ الإنْشاءِ وَقْفَةً ... وحَىِّ الكرامَ الكاتبينَ مُوَاجِهَا
فَثَمَّ وجوهٌ كالبُدُورِ تَكَامَلَتْ ... ولاقَ بها فى الفضلِ رَوْنَقُ تَاجِهَا
أئمةُ كُتَّابٍ إذا ما تَرَسَّلُوا ... فأقلامُهُمْ تَرمِى العِدا بانْزِعَاجِهَا
وإنْ نَظَمُوا قُلْتَ الدَّرَارِى تَنَسَّقَتْ ... وراقَ على الأيامِ حُسْنُ ازْدِوَاجِهَا
هُنَالِكَ رِزْقُ الله بينَ ظُهُورِهِمْ ... فَلاَ نَفْسَ إلاَّ ثَمَّ إبْلاغُ حَاجِهَا
فيالَيْتَ شِعْرِى هل أفوزُ بِقُرْبِهِمْ ... ويَهْدَأُ من عينِى اضطرابُ اخْتِلاجِهَا؟

وكتب هو إليَّ جوابا عن لُغْزٍ كتبتُه، وأنا بالقاهرة المحروسة فى سنة خمس وأربعين وسبعمائة، إلى القاضى ناصر الدين بن النَّشَّاى(١) فى عيد، وسيأتى ذكره.

(من مجزوء الرجز)

يـا فاضلاً آدابُهُ ... بهـا الورَى تَسْتَرْشِدُ
ومَـنْ على عُلُومِه ... أهْلُ النُّهى تَعْتَمِدُ
ألغزتَ فى عيدٍ إلىَّ ... عبدٍ إليكم يَسْنُدُ
ولم يوَزِّرْ نَظْمَه ... إلاّ حياءً يَخْمُدُ
ولم يُمَاثِلْ مَنْ لَهُ ... فى سائرِ الفضلِ اليَدُ
قَدَمْ(٢) سعيدًا تَنْتَقِى الـ ... آدابَ أو تَنْتَقِدُ.

هوامش حرف الراء

(رزق الله)

(*) فى (أ، ز، م): «رزق الله بن الفاضل...». هذا، وقد ترجم له ابن حجر فى (الدرر: ٢ / ٢٠٠)) وذكر: «رزق الله بن عبد الله المصرى.. ومات بعد سنة ٧٤٠هـ».

(١) ناصر الدين بن النشاى هو: «محمد بن عبد القاهر بن أبى بكر بن عبد الله. من أعيان المائة الثامنة - توفى سنة ٧٧٠هـ. ترجمته (الدرر ٤/ ١٤٠، ٤٤١). هذا، وقد ورد من هذه المقطوعة الآتية فى (الدرر ٢/ ٢٠٠) البيت الأول والثانى والسادس فقط.

(٢) فى (الدرر): «ابق سعيدا».

حرف الزاى

زيدُ(*) بنُ عبدِ الرحمن الشيخُ الفاضلُ البارعُ الفقيهُ العدْلُ القاضى زينُ (الدين)(١) المغرِبِىّ الشّافعىّ.

كتب إلى ملْغزاً:

يا موَلانا أثقلَ الله بفواضلِكَ الكواهل، وأخملَ بفضائلك الأوائلَ من الأفاضل. إنْ أمكنَ أن تلْمَحَ هذا اللُّغزَ اللطيف، وتُعْطِيَهُ حظًّا من سيَّال فكرك الشّريف، تقلّدَ المملوكُ به مِأنّةَ الفضل العمِيم، وتَحلَّى(٢) بوُرودِ لفظه، كما يتَحلَّى بوجودِ شخْصه بين يَدَىْ سيِّدٍ كريم؛ وهو: ما اسمٌ يعْتَنِى الصائمون غالباً بتحصيله، ويتنافسُ الأكابرُ منهم فى جُملته وتَفْصِيله، خماسىُّ الحروف فى الترصيف والترتيب، مُسَطَّحُ الشكل فى البَساطة، كرسىٌّ(٣) عند التّرْكيب، إنْ حُذِف خُمساه رأيتَه طائراً وَسيماً، طالما قَصَّ الأثرَ فاهتدَى به، وغالَبَ فى طُرقِ اللؤمِ(٤) تَميما، وإن اختُلِسَ أوَّلُه كان فى(٥) الثُّغور الحصينة كالِئاً فى اللَّيْلِ البهِيم، وفى سُورةِ القلم ناراً أحرقَتْ الجنَّةَ «فأصبحت كالصريم»(٦).

(من الطويل)

عزَمْتُ على إهْدائه غيرَ مرَّةٍ ... إلى بابِكَ العالى فأمْسَكْتُ عن قَصْدى

فقَدْ قِيل عاداتُ الأكابرِ أنّهمْ ... بإهْدائه أولى، فما جُزْتُ عن حَدِّى

فأوْضِحْهُ لِى مَعْنىً وإن شئتَ صُورةً ... وإنْ شِئْتَ فارسُمْ لِى فإنى لهُ أُبْدى.

فكتبت إليه الجواب وهو فى قطائف، وجهزت إليه شيئاً من ذلك:

(من الطويل)

أمولايَ زينَ الدِّينِ مِثْلُكَ مَن يَهْدِي نداهُ، وإنْ كانَ الضلالُ غدَا يَهْدِي
بعثتَ بلُغزٍ قد حلاَ منكَ لفظُهُ فأخملَ ذكرَ القَطْرِ، فضلاً عن الشُّهْدِ
فسامحْ. فقدْ أوضحتُه لكَ صورةً على أنَّه لابدَّ من شرحِ ما عندِي.

يا مولانا هذا لُغزُك بديعُ المعنى، بعيدُ المبنى، يترشَّفه السمعُ سُلافه، ويتلقَّفُه البصرُ ورداً جنيّاً متى أراد اقتطافه، قد أغربْتَ في قصْدِه، وأحكمْتَ عقْدَ بنْدِه، دلَّني على معناه حسنُ مبناه وقُرْبُ البيان من مغْناه، فلك الفضلُ في حلِّه، وسحَّ وابله وطلِّه. ومن غرائب خواصِّه أنَّه أخذَ من الحلاوة واللِّينِ حظًّا، ومتى صحَّفْتَ ثلاثةَ أخماسه عادَ فظًّا، قد راقتِ العيون ملاحتُه، وحُشيتْ القلوبَ حلاوتُه، يَخْتَصُّ بشهر رمضان، لأنَّ في قلبه حلاوةً كحلاوة الإيمان، بعضُه يُقْلَى وكلُّه محبوب، وآخرُه تحت القَطْرِ وأوَّلُه فوق الجمْرِ[٧] المشبوب، يروقُك إذا نثَرْتَ عقْدَه، وفصلْتَ زوْجَه وفرْدَه، أشبهُ (شيء)[٨] بالكواعب إذا اشتملَتْ بالمناشف المخمَّل، وأحسنُ ما ترى ثُريَّاها إذا اجتمع شملُها وتكمَّل، وأليقُ ما تُنْشَدُ إذا جفَّ ثَراها، وانفصمتْ عُراها.

(من الطويل)

(ألا يا اسلمي يا دار ميَّ على البلى ولازال منْهلاً بجرْ عائكِ القطْرُ)[٩]

هوامش حرف الزّاى

(زيد بن عبد الرحمن، زين الدين المغربي)

(*) ترجم له ابن حجر فى (الدرر ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩)، وذكر وفاته أنها فى سنة ٧٦٢هـ.

(١) الزيادة عن جميع النسخ المساعدة.

(٢) بالأصل: «ويتحلى». واخترت ما فى (ب).

(٣) لعل صحة اللفظ «كروى».

(٤) يقصد بالطائر الوسيم «قطا» وهو طائر معروف سمى بذلك لثقل مشيه. لسان: (قطا). والكاتب ينظر إلى قول الطرماح (معاهد التنصيص ٤/ ٢١٩):

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(٥) لعله يقصد الطائف هنا.

(٦) يقصد قوله تعالى فى سورة القلم: «فطاف عليها (طائف) من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم» الآيتان ١٩، ٢٠ من السورة. هذا، وفى الأصل: «الجنة أصبحت» وأثبت ما فى (أ، ز) لموافقتها نص الآية. والرواية فى (ب): «الجنة التى أصبحت».

(٧) الإشارة إلى بداية صنعته ونهايتها حينما يغمس فى شراب السكر.

(٨) الزيادة من (أ، ب، ز، م).

(٩) البيت لذى الرمة (بديوانه/ ٢٠٦، وذيل الآمالى/ ١٢٤).

حرف السين

سليمانُ(*) بنُ إبراهيمَ؛ القاضي الفاضل علمُ الدين مُسْتَوفى الصُحْبة بالشّام المحروس، المعروف بابن كاتب قَراسُنْقُر(١).

كتب إليّ من دِمَشْقَ المحروسة وأنا بالقاهرة سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وسبعمائة:

(من البسيط)

يا غائباً غــــابَ عنْ عيْني فلَمْ تَنَمِ ... وذاهباً فـــضْلُهُ قـــد شاعَ في الأُمَمِ
سافَرْتَ عـنَّا فطَالَ الـليلُ في سَهَدٍ ... فنَحْنُ بعْدَكَ فـــي ظُلْمٍ وفـــي ظُلَمِ
آنَسْتَ مصْرَ، وأَوْحَشْتَ الـــشَّامَ، فيَا ... خَلْوَهُ مـــــن حلَى الآدابِ والكَرمِ
ليهْنِ مصْرَ صلاحَ الدّين كـــونُكَ في ... أرْجَائِها كـــاتباً في أشْرَفِ الخَدَمِ
جمَّلْتَ ديــــوانَ إنْشاءٍ حلَلْتَ به ... يـا خَيْرَ حَبْرٍ يُوَشّي الطِّرْسَ بـالـقَلَمِ
فمَا مُحيَّاكَ إلاّ بــــدْرُ داجيةٍ ... ومـــا يمـــينُكَ إلاّ رُكْنُ مُسْتَلَمِ
سَقْياً لأيّام أُنْسٍ كـــانَ رونَقُها ... بفَضْلِ أُنسكَ فـــينا وافِرَ الـقِسَمِ
نَجْني(٢) فضَائلكَ الـغُرَّ الحسَانَ ولاَ ... نَعْباً بـرَوْضٍ سقَـــاهُ هاطِلُ الدِّيَمِ
أُقْسِمْتُ لافَرْقَ مـــا بينَ الجوَاهرِ في ... عقْدٍ وبيْنَ الـذي يُبْدي مـن الـكَلِمِ
فـالله يُبْقِيكَ، مـــا ناحتْ مُطَوَّقَةٌ، ... فـيـما ترَجّيه في سـعْدٍ وفي نِعَمِ.

فكتبت أنا الجواب إليه:

(من البسيط)

بـالَغْتَ في الجُودِ والإحسَانِ والـكَرَمِ ... وزِدْتَ فـــي شَرَفِ الأَخْلاَقِ والــهِمَمِ
ومـــا رَضِيتَ بـغَاياتِ الأُولى سبَقُوا ... إلَى المعَالي، ولاَ تَرْضى بــــعزْمِهِمِ
حــــتَّى تَجُوزَ على الجَوْزاءِ مُرْتَقِياً ... إلـــى معَالي(٣) لـم تَخْطُرْ بـفِكْرِهِمِ

وتدرك المجد سباقا. وشغلهم ... في عثرة القول، أو في عثرة القدم
كم اجتهدت لعلي أن أفوز فلم ... أفز سوى مرة في الدهر بالخدم
وأبعدتني الليالي بعد ذاك وفي ... قلبي حلاوة ذاك اللطف والشيم
(فكنت كالمتمني أن يرى فلقا ... من الصباح فلما أن رآه عمي)(٤)
فليت دهري يسخو لي بثانية ... حتى أعود إليها عود مغتنم
وأجتلي أوجه اللذات سافرة ... عن كل معنى حوى صنفا من النعم
فما خلائقك الحسنى التي بهرت ... عقلي سوى زهر في الروض مبتسم
أو نسمة خطرت بالبان نفحتها ... ولا أقول سرت بالضال والسلم
وما عبارتك المثلى سوى درر ... والناس تحسبها ضربا من الكلم
كم التقطت ومولانا يسامرني ... جواهر الفضل والآداب والحكم
وكم معان كأن السحر نضدها ... لم تبق عندي عقابيلا(٥) من السقم
نعم وأبيات شعر راق موردها ... لم أنسهن وما بالعهد من قدم
آها لأيامنا بالخيف لو بقيت ... عشرا، وواها عليها كيف لم تدم
يا سيدا بندى يمناه صح لنا ... أن الغمام بخيل غير منسجم
وماجدا، جد في كسب العلا فغدا ... (تخشى الصوارم منه صولة القلم)
شوقي إلى لثم ذاك الكف زاد على ... شوق الرياض إذا جنت(٦) إلى الديم
ووحشتي لمحياك الجميل، هل استو ... (م) ... حشت قط لبدر التم في الظلم؟!
وحسرتي لفوات القرب منك كما ... تحسر الساهد المضنى على الحلم
فهذه بعض أشواق أكابدها ... في وصفها قلمي ساوى لنطق فمي
أظهرت وجدي ولم(٧) أكتم لواعجه ... ومن يطيق خفا نار على علم؟!.

سليمان(*) بن داود بن سليمان بن محمد بن عبد الحق؛ الشيخ الإمام القاضي صدر الدين أبو الربيع بن الشيخ ناصر الدين بن عبد الحق الحنفي موقع الدست الشريف بالقاهرة.

كتبت أنا إليه. وقد ورد من الحجاز إلى دمشق المحروسة في سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، وقد أراد العود إلى اليمن:

(من البسيط)

يا من أباع دمشق الشام باليمن ... وقدم السير لا يلوي على سكن(٨)
ما كنت أحسب إنسانا سواك رأى ... جنات عدن، فعداها إلى عدن
هذا وكم نلت في ساحاتها وطرا ... وكم عمرت بها للهو من وطن

وكَمْ رَشفْتَ سُلافًا من أقــــــاحِ فَمٍ　　　وكَمْ رأيتَ بهـــــا بدرًا على غُصنِ

وكَمْ ظَفِرتَ بمَنْ لولا محــــــاسنُهُ　　　ولُطفُه خلَت الـدُّنـيا مــن الـفِتَنِ

وما برِحْتَ امرأً فـــــينا أخَا حكَمٍ　　　وكلُّ أفــــعــــــاله تَجرى على سَنَنِ

فكيف تَخدعُ عن هذى المحــــاسنِ أوْ　　　تُجوِّزُ العذْلَ فــيـهـا منكَ فى أذُنِ ؟!

لكنْ عُذْرَك بادٍ فى الرُّجُوعِ إلى الـ　　　ـــمَلْكِ المُجاهدِ مولانا أبى الحسنِ

ابنِ المؤيَّدِ، ذى البطْشِ الشَّديد، هِزَ　(م)　بْرِ الدِّين داوودَ ربِّ الفضْلِ والمِنَنِ

ابنِ المظفَّرِ بالأعـــــداء يوسفَ لا　　　جفَتْ مـــضــاجعهُ هطَّالةُ المُزَنِ

ابنِ المليكِ الَّذى قـــادَ العساكرَ نو　　　رِ الدِّين، والنَّصرُ معَهُ انقادَفى رسَنِ

(العارضِ الهتَنِ ابنِ العارضِ الهتَنِ　　　ابنِ العارضِ الهتَنِ ابنِ العارضِ الهتَنِ)(٩)

مُلوكُ بيتٍ إلى أيُّوبَ نسـبــتُهُ　　　أكْرِمْ ببــــيتٍ على تَقْوى الإلـه بُنى

أيامُهم لـلـورى نــورٌ بـــلا ظُلَمٍ　(م)　والظُّلْمُ لو حلَّ فى أفنائهم لَفَنِى

قد ذلَّلوا كلَّ صعْبٍ من سياستهم　　　بالمُرْهَفــات أو(١٠) الخطَّارةِ اللُّدُنِ

سلُّو السُّيوفَ فسلُّوا من ضمائرِها　　　مـا كان فيها على الأعداءِ من إحَنِ

كـم ورَّدُوا خدَّ أرضٍ مـن عدوِّهمُ　　　وقوَّمُوا أوَدًا مــن قامةِ الـزَّمنِ

وكمْ أسالُوا دمًا فى يومِ حربِهمُ　　　فخضَّبُوا السيفَ لمـا زيَّنُوا اليزَنى

وأنتَ عندكَ من كلِّ البضائعِ فى　　　شتَّى علومِ الورى والسُّوقُ بالـيمنِ

فليس يُنكَرُ أن تُهدى نفائسها　　　لمَنْ غدا يبذُلُ الغالى مـن الثَّمنِ

مَنْ راحَ يعرفُ ما استبْضَعْتَ من دُررٍ　　　بلْ عنده ضعفُ مــا تُهديه من حسنِ

وفضْلُه فى(١١) علُومِ النَّاسِ فضٌ له　　　ختْمُ البدائعِ فاستفْتِيه وامْتَحِنِ

تَجدْهُ بحرًا وحبْرًا فى فرائده　　　تُزرى فصاحتَه بالقالةِ اللُّسُنِ

وكفُّـــهُ وكفْـــهُ بالجُــود متَّصـــلٌ　　　فـكلُّ مَنْ هُوَ فى تلك الدِّيارِ غنى

نامَ الأنامُ بعدلٍ طابَ عيشُهمُ　　　به، فهُمْ مـن جنَى الجنَّات فى جُنَنِ

يُعنَى بفصلِ قضايـا كلِّ مُشكلةٍ　　　حتَّى يُفرِّقَ بين الماءِ واللَّبنِ

دعِ الملوكَ الكرامَ الذاهبين فهـ　(م)　ـذَا سيفُ الاسلامِ لا سيفُ بنُ ذى يزَنِ(١٢)

ومَنْ يكُنْ هذه أوصافُ سُؤدده　　　تَجِبْ مدائحُه فى السرِّ والعلَنِ

فاحثُثْ لأبوابه العليا بنات سُرىً　　　فى البرِّ بالعيسِ أو فى البحرِ بالسُّفُنِ

واسعَدْ برؤيته، وابشرْ بطلْعتِه　　　واملأْ جفونك بعد السُّهْدِ بالوسَنِ

ففى تَعزُّ(١٣) تعزُّ النفسُ منك متَى　　　حلَّتْ، وتَغسِلُ ما لاقيْتَ من دَرَنِ

فاذكُرْ هناكَ محبًّا لم يخُنْكَ، ولا　　　تَنسَ الوفاءَ له إنْ كنتَ ذا شجَنِ

(إنَّ الكرامَ إذا ما أسهَلُوا ذكَرُوا　　　مَنْ كانَ يألفُهُمْ فى المنْزِلِ الخَشِنِ)(١٤).

فكتب هو إلى الجواب إلىّ عن ذلك. وكتبت إليه وهو بالقاهرة (المحروسة (١٥)

(من السريع)

ذكـرك، صـدرَ الدّيـن، أنسـانى		ملعبَ أوطـــــــارى وأوطانى
وأشـــتغلتْ، نفْسـى بتـكراره		فـــاشتعلتْ منه بنيـــران(١٦)
ومقلتى عبرتهـــا مــن دمى		طافتْ على خـــدّى بطوفـــان
وُدُك فى قلبـى غـــداً داخــلاً		ومــــن هـــوى غيرك برانى
أقســـمتُ لو جهّزتُ كتْبى على		مقـــــــدارِ أشواقى وأشجانـى
كــلُّ بــريــد كلّ من حمّلــها		وهجٌ مـنـهـــــا كـلُ هجّان
يــا سيّداً فــضـلـــه فضلُهُ		كمام عـــــلْم ذات ألـــوان
فالحقُ مـــا تبعدُ أقـــوالُهُ		منَ ابنِ عبْد الحق فـــــى شان
وردت إلى مـــصرِ سقاها الحيا		تجـــاذبَ العـــيس بأوســـان
فـنــولـتــكَ الأملَ المرتجـى		من قُربِ ذى عـــــزّ وسلطان
وأجلستْ شــخصكَ فى دستهـــا		صدرًا أمـــينا غــيـر خوّان
توقـعُ، إنْ وقّعتَ، فى قـــصّةٍ		بـــــكلّ ذى ظلْم وعدْوان
وتوصلُ الحــقّ إلــى ربـــةً		وترْغمِ المبْطــــــلِ والجانى
فــا هنا بما أوتيتَ من رتبـــةً		مكانهـــا منَ فـــوق كــيوانى
ودَعْ معـــاديك يمتْ حســـرةً		مــــا بين ســـجْن وسجّان
وقـل لدستِ الملْك لا ينصــــدعْ		فأنتَ فى حـــرزِ سليمـــان

وكتب هو إلى من القاهرة المحروسة:

(من االوافر)

بعدتَ فـــمـــا لأجفانى رقادُ		وليلــى مـــــا لـهُ أبدًا صباحُ
خـلـيـلٌ بنتَ عـنهُ، وبـانَ عنّى،		فهلْ لفسادِ أحوالـــــى صلاحُ؟!

وكتب هو إلى قرين تين معزّى وصابون:

(من الكامل)

أهديْتَ تيـــنًا لــلّذى مـــن شرطه		أنْ يفتحَ المخــتـومَ بالمختــون
وخشـــيتُ أنّ الشّرْطَ يتبعهُ الجزا		فأتيتهُ بـــالــتّينِ والـــصّابونِ

فكتبت أنا الجواب عن ذلك:

(من الكامل)

حـــاشا لشرْطكَ أنْ يُقابل بالجزا		فيكونُ مـحـتـاجًا إلى صـابونِ
لـمْ تهْدِه تـــيـــنًا تفتّحَ أبيضًا		إلاّ لأنْ ألقاهُ بـــالــزّيتونِ

سليمانُ (*) بنُ داودَ؛ القاضى جمالُ الدين بنُ القاضى علم الدين المصرى كاتبُ الإنشاءِ الشريف بحلب المحروسة.

كتب إلى عند أول قدومى إليها فى شعبانَ سنة تسع وخمسين وسبعمائة:

(من الكامل)

فضحَ الذى أخفَى هواهُ فباحا ... حُبٌ بحبَّاتِ القلوبِ أباحا
وبكى فأضحكَ عاذليه جهالةً ... ورثَى له حتَّى الحمامُ وناحا
وأخو الهوى طوعُ الغرام عصَى من ... لاقَى بتعداد الملامِ ولاحا
هيهاتَ هل تلجُ الملامةُ سمعَ من ... عشقَ الأسيرَ ولايريدُ سراحا؟!
أمْ كيفَ يسلَمُ مسلمٌ من فتنةٍ ... والدهرُ قد ملأَ الوجودَ ملاحا؟!
من كلِّ ذى قدٍّ ولحظٍ فاتكٍ ... للفتك جرد ذابلاً وصفاحا
خنثُ اللواحظ، شاطرُ الحركاتِ ... الهجرِ، قاسٍ، لايلينُ جماحا
كالظبْى، أو كالغصنِ، أو كالصبْحِ ... أو كالشمسِ، أو كالبدرِ لمَّا لاحا
فضحَ الغزالةَ والغزالَ محاسنًا ... وجهًا، وجيدًا جيِّدًا، ومراحا
يبدو بخدٍ ناعمٍ ويمبسمٍ ... فيريك وردًا أحمرًا وأقاحا
ومليحةٍ مثلَ السيوفِ جفونُها ... حملَتْ بها عند(١٧) المحبِّ سلاحا
علقتُها طوعَ الغرامِ وخاطرى ... هيفاءَ، حوراءَ الجمالِ، رداحا
تجلو لنا وجهًا بديعًا ناضرًا ... ونواظرًا مرضَى الجفونِ صحاحا
ومراشفًا مثلَ العقيقِ، ووجنةً ... مثلَ الشقيقِ، ومنظرًا وضَّاحا
وروادفًا مثلَ الكثيبِ، يُقلُّها ... خصرٌ نحيفٌ، لايطيقُ وشاحا
تُركيةٌ تهوى التنافرَ والجفا ... تركتْ به أهلَ الهوى أشباحا
تسقى المحبَّ بكاسها وحديثها ... ورضابُها فى كلِّ حينٍ راحا
كتمتْ مزارى حينَ زارتْ فى الدُّجى ... فوشى بنا واشى العبيرِ وباحا
وضممتُها ضمَّ العفافِ يظلُّنا ... ثوبُ الوقارِ، فلا أخافُ جُناحا
كمْ بتُّ أجنى منْ ثمارَ وصالها ... حلوًا، وأغصانُ السرورِ كفاحا (١٨)
شهلاً(١٩) تبدَّى نرجسًا منْ لحظها ... غضًا، ومن وجناتها تفَّاحا
لله أيامٌ حزنتُ لفقدها ... كنَّا بها نقضى السرورَ مراحا
جارتْ علىَّ، وما اجترحتُ جنايةً، ... ومضتْ وأبقتْ فى الفؤادِ جراحا
وصبيحةٍ واصلتُها بغبوقها ... وبكرتُ استجلى الوجوهَ صباحا
ولربَّ عذراءَ الدنانِ سباتُها ... مع ماجدٍ ألقى الوقارَ فطاحا
فى ليلةٍ ظلماءَ خافٍ نجمُها ... (فقدتْ لنا حتىَّ الصباحِ صباحا (٢٠)

أيام تجريرى ذيول شبيبتى   سفرًا إلى فرص الهوى ومراحا

قد كنتُ أرجو بالقريض وبالصبا   دهرًا به ينجو الأديبُ نجاحا

كم قلتُ للأدب الذى أسواقه   بارت، وضر رواته واجتاحا

ذهب الصبى، والشعر أرخص سعره   حتى لقد القريض مُزاحا

قدْ أضحت الشهباء تروى العمر عنْ   عمرو، وورد روائك الضحضاحا(٢١)

فأجاب بعد فساده وكساده   إنى لأرجو بالصلاح صلاحا

الكاتب السرّ الذى بعلومه   أضحى لآفاق العلا مصباحا

ببلاغة إنْ أرعبتْ ضاق الفضا   أو أرغبتْ حكت السماء سماحا

وبراعةٍ مشكورةٍ مشهورةٍ   إعجازُها قد أعجز المدّاحا

وبراعةٍ كالسيف ماضٍ حدُّها   أمسى لأبواب العلا مفتاحا

ومكارمٍ بصنيعها ملك الورى   فضح العيون بها فرحن سحاحا

بحر الندى، حبرُ العلوم، ببابه   تجد المتاجر بالقريض رباحا

ندبٌ، إذا انتدب البراعة أبصرتْ   حسّاده القدر المطاع متاحا

ياماجدًا ألف المعالى فاغتدى   يهوى غدوًا نحوها ورواحا

قلدتَ جيد الدهر جودًا، سحبه   يروى البلاد عواليًا وبطاحا

أورى بنور المجد قدحك زنده   بيمين علم لا يمسُّ قداحا

بشرى بنى الشهباء منك بقبلة   للمجد قرّب ربعها فأراحا (٢٢)

قلْ للذى صاغ الثناء قلائدًا   كالمسك فاق شذا الرياض فقاحا

صرّحْ بمدح أخى المآثر والعلا   وأكثر فقدْ ملك الفخار صراحا

فليهن أهلُ الفضل منه بفاضلٍ   جعلته غرُّ علومه سفاحا

إيه صلاح الدين والدنيا الذى   أرجو لديه فى العلوم فلاحا

أخدمتَ للعلم الكريم فوارسًا   تردى العدا، وصوارمًا ورماحا

إذْ صنتَ عرضًا لانظير لصونه   بمكارمٍ، تذر النضار مباحا

حجّتْ بنو الآمال نحوك تبتغى   منك الحجا، يا فاضلاً جحجاحا

مات الحسود، وقدْ صعدتَ ذرا العلا،   تُحيى بطيب كلامك الأرواحا

بجنود كتبٍ كالتانب قد كفتْ   نصر الملوك، فلا تريدُ كفاحا

كم جربوا قبل الجلاد جدالها   فاستأصلتْ فرق العدوّ فراحا

منْ قس ساعدةٍ، ومنْ سحبان وا   نل فى الأوائل ما تركتَ فصاحا

قد شمتُ برق الشام لما أنْ علا   بكم، وأرسلَ وابلاً سحّاحا

إنى ظمئتُ لورد بحر علومكم   والورد ناء، يتعبُ الملتاحا

فاسعف بلفظ غرس فضلك إذ دنا   منكَ الورود، وأمكن الممتاحا

وامنحْ أحاديث الثناء إجازةً   فعساى أُسندها إليك صحاحا

واسلمْ على مرّ الزمان وكره   يهدى السرور لربعك الأفراحا

وكتب هو إليّ جوابا، وقد وقف على اللُّغز الذى نظمتُه الذى نظمتُه فى شهر رمضانَ، وقد تقدّم فى ذكر الشيخِ شرفِ الدين أحمدَ بن الحُسين، ويأتى فى ذكر القاضى فخرِ الدين عبدِ الوهاب.

(من السريع)

مـــتّعنا اللـهُ بـآدابكَ اللاتـى ... م ... تـــروّى غُلّةَ القلـــب

ألغزْتَ شهْرا عظّمـــتْ قدْره ... م ... الـعـــجم مع الأتراكِ والعرَبْ

وفــيــه رُمّان ويأتى لهُ(٢٣) ... أكلُهُ، حلاً، بــلا ذنـــب

وعكسه أضــمــر معْ حــزف ما ... يلفــى لــه قلــب بــلا قلْب (٢٤)

فــهــمتُهُ، فــافــضحْ لنا سيّدى ... عــن مُفعمِ الأجْزاء (٢٥) بــالكُتُب

أجـــزاؤه فى عدّها خــمــســه ... ثلث لـه، كــالليلِ (٢٦)، بالقلب

خمْساهُ خُسرانٌ (٢٧)، وإنْ صحّفا ... شىء بهـا فى ســـرنا ينْبى

وإن عكسْـــــاهُ وصحّفتـــــهُ ... فتُوبكم بـالفـــخـــرِ ذو عُجْب

وكتبت إليّ قرين عباءة بيضاءة وميزرٍ أسودَ:

(من مجزوء الكامل)

سرْيا قريضُ لـبـــابِ مَنْ ... بحـــر العلوم بمـوردهْ

واســـألْ قبول هـديتـي ... منْ عمّنا بنـــدى يـــدهْ

قـــد دبّجتْ أوصـــافهُ ... مـن لـونـهـــا بمنضّدهْ

فبياضُهـــا مـن كـــفّه ... وسوادُها مـــن سُوددهْ

فكتبت أنا الجواب إليه:

(من مجزوء الكامل)

وافـى قـــريضُك مـــا حـــيا ... ظُلَمَ الـــدُّجـــى بــتوقّدهْ

وقـــرينُهُ الفضْلُ الذى ... عنْقـــــى ازدهى بمقلّدهْ

خدٌّ نـــقىٌّ زانـــهُ ... خـــطُ الـــعذارِ بـــأسْودهْ

فـــأنـالنى منْ جـوده ... وأمالـــنـــى بمجوّدهْ

إنْ تبْتـــدِعْ فُقتَ الـــورى ... وفضلْعـــتهمْ إنْ تـبـــتدهْ

وتوجّهنا إلى حماه المحروسة، وكان معنا، فنظرتُ ونحن سائرون إلى الطريق وتعاريجها وعدمِ استقامتها وتلويها. فقلت أنا:

(من الوافر)

سلكنا البيد مع سادات قوم ... لهم همم إلى العليا سريعه
ووضع الطرق يبدو في اختلاف ... كحيات قد انسابت مروعه

ونظم المولى جمال الدين سليمان المذكور:

(من البسيط)

وأبيض الطرق بين أحمرها ... فاعجب له بين تكوين وتلوين
يمشي استواء وطورا يلتوي مرحا ... مثل الجداول ما بين البساتين

سعد(*) الله بن حيدر؛ الشريف السيد الكاتب الناظم سعد الدين الحسيني(٢٨) البغدادي كتب إلي بدمشق المحروسة في سنة إحدى وخمسين وسبعمائة:

(من الكامل)

إقرار عاذله بأن يعشق ... عذر له، ولكل صب شيق
لو ناله ما ناله من محنة ... ومحبة أبدى مقالة مشفق
أحبب بسهد كالهموم مجمع ... عندي، وصبر كالجفون مفرق
لاتعجبن ولن نطيق إذا امتلى ... غرب الدموع لبعد أهل المشرق
بخلوا بقربهم، وما من شأنهم ... بخل، فما في النوم يوما نلتقي
خير البلاد لدى بغداد وما ... والت، وإن كثرت محاسن جلق
فلكم رأيت بها غزالا، إن رأى ... شركا أتيح لصيده لم يفرق
ألفى أباه على المودة ناشئا ... فوداد خلق بغير تخلق
وتروقك الأشجار والأنهار إن ... ميزت بين مقيد أو مطلق
فتظل نشوانا، ولم تصبح طلا، ... فترى قرينالإثم أو لم تغبق
وتشم من مسك الأزاهير التي ... تزهي لناظرها بلون مونق
من أسود، في أحمر، أو أصفر ... في أبيض، أو أخضر، أو أزرق
لكنها تدع الغنى إذا غدا ... تبعا لشهوته فرين المملق
(لولا صلاح الدين لم تصلح بها ... حالي، ولم أرغير باب مغلق)(٢٩)
ذو المنطق العذب الذي قد أصبحت ... تروى النفوس بمائه المتدفق
لو لم يكن درا نفيسا نظمه ... ما كان في صدف القلوب الملصق(٣٠)
كم جاء بالمعنى البديع فأجمع (م) ... الفضلاء فيه أنه لم يسبق
لولاه لم يبرز ظلام النفس لـ ... أبصار أنوار الصباح المشرق
يمشي بميدان الطروس يراعه ... هونا، فيزري بالجياد السبق

ويجيء بالمعنى المراد مكملاً ... فيحيل أن يأتي بفصل ملحق
لافرق بين لسانه ويراعه ... فكلاهما يبدي بيان موفق
إن شاء إنشاءً، فأفصح محسن ... سعةَ العبارة في المجال الضيّق
نسخت عبارته رقاع الفاضل الـ ... ـماضي، ولم أنطق بغير مخفّق
لم يعل إلا ازداد حسن تواضع ... ورأى التكبر شر وصف الأحمق
يبغي الجهول مكانه أو بعضه ... فيظل ممنواً بما لم يرزق
إن كنت قد ضيعت أياما مضت ... بالبعد عنه، فلا أبع ما بقي
لأفوز منه بقرب خير أرتجي ... وأفوز منه ببعد شر أتقي
فلمثل شعري عنده غال، إذا ... هو عند ذي جهل به لم ينفق
شعر يقول: أجدت معناه فلو ... فاخرت كل مفوه لم ينطق
فانشره في الآفاق ينس بذكره ... ما كان يحفظه حداة الأينق
هذا هو الشعر الذي لم يغصب الـ ... ـمعنى، وقل اليوم من لم يسرق
ان يكس أسمال العبارة غيره ... فلباسه من باهر الاستبرق
فيحار بين حبائه وثنائه ... فكري، لأيهما المدائح ينتقي
وأظل في ظل من الإحسان بين ... الروض منه والغدير المتأق (٣١)
ونسيم شعري لايمر بروضة ... فيقال مر بها ولما يعبق
لاسيما وقد ارتضيت محله ... من شاعر جم المعاني مفلق
من شاعر باللمع يدرك كنهه ... ويجول في معنى به متعلق
فيرى حقيقة انني لست امرأ ... يرضى قول مموه متملق.

فكتبت أنا جوابه:

(بياض)(٣٢)

هوامش حرف السين

(سليمان بن إبراهيم، كاتب قراسنقر)

(*) ترجم له الصفدى فى (الوافى القسم الأول ج/ ٥ الورقة ٣٤: ٣٧) وابن حجر فى (الدرر ٢/ ٣٢٥)، وابن تغرى فى (النجوم ١٠/ ١٠٨)، وفى المنهل ٢/ ١١٤، ١١٥). وفاته سنة ٧٤٤هـ.

(١) قراسنقر الجوكندار، أحد مماليك المنصور قلاوون، ترقى حتى ولى نيابة حلب، ونيابة دمشق، وإليه تنسب المدرسة القراسنقرية بالقاهرة (السلوك ٢/ ٥٥٨).

(٢) فى (أ، م): «نجنى فضايلك» وهو ما أثبته، إذ بالأصل «تجلى». وفى (ب): «يجنى». وفى (ز): «تجلى».

(٣) هكذا بالياء فى الأصل وفى جميع النسخ وهى لازمة لسلامة الوزن مع الخبن، إذ لم أر (فعلن) بالقطع فى حشو البسيط. حتى يمكن تصويبها نحوياً إلى «معال».

(٤) ورد هذا البيت من غير نسبة فى (رحلة الشتاء/ ١١٦) برواية: «وكنت كالمتمنى». و (الغيث ١/ ٢١). هذا، وقد ورد فى (التذكرة ٧ الورقة ٩) من غير عزو قول الشاعر - وهو المتنبى -:

وقد تمنوا غداة الدرب فى لجب ... أن يبصروه فلما أبصروه عموا

(٥) العقابيل: بقايا العلة والعداوة والشق. وقيل: هو الذى يخرج على الشفتين غب الحمى. قال رؤية: «من ورد حمى أسأرت عقابلا» أى أبقت. لسان (عقيل).

(٦) لعلها «حنت». لأن الفعل جن: يتعدى بالباء غالباً.

(٧) فى الأصل: «وكم أكثم» واخترت عبارة جميع النسخ المساعدة. هذا وفى البيت تضمين قول الخنساء:

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار

(سليمان بن داود بن سليمان)

(*) له ترجمة فى (الطبقات السنية ٢/ ١١٥ - ١١٩)، (والدرر ٢/ ٢٤٤ - ٢٤٦) وفيه: توفى سنة ٧٦١هـ». و (المنهل ٢/ ١١٨) وقال: «توفى سنة ٧٦١هـ ... وكان له شعر جيد». (والنجوم ١٠/ ٣٣٦، ٣٣٧). وغيرها.

(٨) لعله نظر فى هذا الشطر إلى قول الصاحب بن عباد (بديوانه/ ٢٩٥):

وصاحبا كنت مغبوطا بصحبته دهرًا فغادرنى فرداً بلا سكن.

هذا ولابن الرومى أيضاً فى هذا المعنى (بديوانه ٣/ ٤٨):

حارب أجفانه الرقاد فما يسكن من ليله إلى سكن

(٩) البيت للمتنبى (بديوانه ٤/ ٢١٦) من قصيدته التى مطلعها:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وهو على نمط قول النبى (صلى الله عليه وسلم): «ذاك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين (الغيث ١/ ١١٣). العارض: السحاب. والهتن: الكثير الصب. هذا، وقد سقطت ألف «ابن» من البيت، فى الأصل فى الموضع الأول والثانى.

(١٠) فى الأصل: «بالمرهفات والخطاة» وأثبت ما فى (أ، ب) لسلامة الوزن.

(١١) فى الأصل: «وفضله من» تحريف. تصويبه من جميع النسخ المساعدة.

(١٢) سيف بن ذى يزن ملك حمير، الذى بقتله دخلت اليمن فى ملك الأحباش، وكان عالى الهمة قوى السلطان.. وهو الذى أخبر عبد المطلب جد النبى (صلى الله عليه وسلم) بنبوته وصفته (الإصابة ٣/ ١٩٠، وحاشية الأغانى ٦/ ٢١٠).

(١٣) تعز: قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات.

(١٤) البيت لدعبل الخزاعى (بديوانه/ ٣٥٧.. تحت عنوان: «الشعر الذى نسب إلى دعبل وليس له» (وهو فى (الشعر والشعراء ١/ ٥٤١) منسوب لدعبل، وكذا فى (خزانة الحموى/ ٢٦١) برواية: «... الكرام إذا ما أيسروا... فى الوطن الخشن». وفى (عيون الأخبار ٣/ ٢٠) لدعبل أيضاً) وفى بهجة المجالس ١/ ٧١٤: لدعبل ويروى لحبيب) هذا وفى (وفيات الأعيان ١/ ٢٩) منسوب لإبراهيم بن العباس. وفى حاشية ديوان دعبل/ ٣٥٧ قيل:

- إنه للبحترى.. ولغيره. وليس بديوان البحترى. أما فى (العقد ٢/ ٤٠، ١٤٠) فهو معزو إلى أبى تمام. وهو غير معزو فى (تاريخ ابن الفرات ٧/ ١٥٠) برواية «إذا ما أيسروا ذكروا».

(١٥) الزيادة جاءت بها جميع النسخ.

(١٦) فى الأصل: «منه نيران» تحريف تصويبه من جميع النسخ لسلامة الوزن.

(سليمان بن داود القاضي جمال الدين)

(*) هذه الترجمة برمتها ساقطة من الأصل، ومن (ب)، وأثبتها من (أ، ز، م). وقد ترجم له الكثير وأثنوا على نظمه ونثره، مثل ابن تغرى بردى فى (النجوم ١١/ ١٤٤. وفيه يقول: وكان معدودا من الكتاب الأدباء الفضلاء) ولعله أسهب فى الحديث عنه فى (المنهل ٢/ ١١٨) فقال: «... الكاتب الأديب، كان بارعاً فى صناعة الإنشاء والترسل، وله النظم الرائق والنثر الفائق.. مات فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائه، وقد قارب الخمسين، وكان له شعر جيد، وقصائد على حروف المعجم سماها بالشفعية فى مدح خير البرية (*): استوعب فيها بحور الشعر. هذا، وأثنى عليه ابن حجر فى (الدرر ٢/ ٢٤٦، ٢٤٧) فقال: «وكان فاضلا ناظماً وله مطارحات.. مات سنة ٧٧٨هـ».

(١٧) (١) لعل الأصوب: (نحو المحب).

(١٨) لعل قوله: «وأغصان السرور كفاحا» يعنى به، وأغصان السرور تستقبلنى. تقول: (كفحه) أى استقبله كفة. وفى الحديث: «إنى لأكفحها وأنا صائم»، أى أواجهها بالقبلة. وفلان يكافح أى باشرها بنفسه.

(١٩) فى (ز): «سهلا» تصحيف. والشهل والشهلة: أقل من الزرق فى الحدقة، وهو أحسن منه.. والشهلة: أن يكون سواد العين بين الحمرة والسواد. وقيل غير ذلك. وفى الحديث كان رسول الله (*) ضليع الفم أشهل العينين..» لسان: (شهل).

(٢٠) عجز بيت لأبى نواس ديوانه ٢٢٦) وتمامه:

فسكبت منها فى الزجاجة شربة كانت له حتى الصباح صباحاً

(٢١) رواية البيت فى (أ): «تروى الغم عن غم وورد روائك». وفى (ز) «تروى العمر - بالمهملة - عند عمرو... روائك». وفى (م): «الغمر عن عمر... روائك» ولعلى استطعت أن آخذ من كل منهما ما يفيد. والضحضاح: من قولهم: ضحضح الأمر إذا تبين. قال الأصمعى: هل مثل الضحضاح ينتشر على وجه الأرض» لسان (ضحح).

(٢٢) الشطر الثانى يحتمل وجهين: إما «قرب ربعها» على البناء للمجهول، وإما «قرب ربعها» على الالتفات بهذه الصورة الأخيرة وهى أجمل.

(٢٣) لعل قوله: «وفيه رمان» أى فيه حروف (الراء، والميم، والألف، والنون) وباقى البيت تعمية والشطر الثانى غير مستقيم الوزن.

(٢٤) أى مع حزف حرف النون من كلمة (مضان).

(٢٥) فى (أ): «عن مفعم الأحراء بالمهملتين. وفى (ز): «عن منعم الأجزاء».

وفى (م): «عن مضعم الاحراء ولعل ما أثبته قريب من الصواب. والمعنى عندى: أفصح لنا عن أجزائه كلها كناية.

(٢٦) فى (ز): ثلث له كالسبك بالقلب». وفى (م) (روى. البيت هكذا: «أجزاؤه فى غدها... كالتل....». وقد أثبت ما فى (أ). والمعنى عندى ثلاثة أحرف من الحروف الخمس، بقلبها تخفى كالليل. والمراد على هذا كلمة (ضمر).

(٢٧) لعل المقصود هنا: (الألف والنون) من كلمة خسران. وهما خمسا كلمة رمضان أما معنى باقى البيت فلم أهتد إليه.

(سعد الله بن حيدر)

(*) ترجم له ابن حجر فى (الدرر ٢/ ٢٢٦، ٢٢٧). وقال: سعد الله بن حيدر بن حسن الحسينى المشهدى ثم البغدادى.. نظم الشعر الوسط» ولم يذكر وفاته. ولم أجد فيما تيسر لى من مصادر أحد ترجم له غيره.

(٢٨) فى (الأصل، ب) سعد الدين الحسنى» وما أثبته من (أ، ز، م، والدرر).

(٢٩) البيت ساقط من الأصل والزيادة جاءت بها جميع النسخ المساعدة. والرواية فى (أ، م) «لولا صلاح الدين لم يصلح».

(٣٠) فى الأصل: «صدف القلوب المصلق» وأثبت ما فى جميع النسخ المساعدة. على أن معنى مصلق هنا - لعله من تصلق الحوت فى الماء إذا تقلب أو من الصلق وهو: القاع المطمئن اللين المستدير.. ولتكلف المعنى عندى أثبت ما أشرت إليه.

(٣١) الغدير المتأق: الشديد الامتلاء. لسان: (تأق).

(٣٢) الكلام بين الحاصرتين ساقط من الأصل، و(أ، ب، م) وأثبته عن (ز).

حرف الشين

شافع (*) بنُ عليِّ [عباس](1) بن إسماعيلَ بن عساكرَ، الشيخُ الإمامُ الكاتبُ البليغ ناصرُ الدين الكنانيّ العسقلانيّ المصريُّ ابن أُختِ القاضى مُحيى الدين بنِ عبدِ الظاهر(2).

كتبت (3) إليه أستدعى إجازته (4)، وأنا بالقاهرة المحروسة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة:

المسئولُ من إحسان سيِّدنا الشيخ الإمام (5) العَالِمِ المفيدِ القدوةِ، جامعِ شملِ الأَدب، قبلةِ أهلِ السَّعى فى تَحْصِيله والدَّأب.

(من الطويل)

أخى المُعْجزات اللاىِ أبدتْ (6) طروسَهُ	كـــأفقٍ بـه لـلـنّيْرات ظُهُورُ
وَمَا(7) ثمَّ الشَّمْسُ والبـدْر فى السَّمـا	وهــذا شُمُوسٌ كـلــهُ وبـدورُ.

البليغ الذى أثارَ أو ابدَ الكلم من مظانِّ البلاغه، وأبرزَ عقائلَ المعانى تَتَهَادىَ فى تيجان ألفاظه، فجمع بين صناعةِ السّحرِ والصّياغه، وأَبْدَعَ فى طريقته المُثْلَى فجلَّتْ عن المثَلْ.

وأنبتَ فى رياضِ الأدب غروسِ فضلٍ لاتُقاسُ بدوحات البان ولا الأَثَلْ، وأظهر نظامَه عقوداً حلَّتْ من الزمان كلَّ ما عطَلَ، وقال لسانُ الحال ممَّنْ يتعاطاَه: (مُكْره أخوك لا بَطَلَ)(8) وجلا عند نُثاره كلماتٍ مقصورات فى خيامه (9)، وذرَّ على كافورِ قرطاسِه مسك ختامه.. ناصرِ الدِّين شافعِ بنِ على.

(من السريع)

لاَ زالَ فـــى هـــذا الـــورَى فَضْلُه ... يَســـيـــرُ سيْرَ القَمَرِ الطَّالِعِ(١٠)
حـــتَى يقُولَ النـاسُ إذْ أجْمَعُوا ... مـــا مَالَكَ الإنْشـــا سِوى شَافِعِ

إجازَة كاتبِ هذه الأحرفِ ما يجوزُ له روايتَه (١١) من كتب الحديث وأصنافها، ومُصنّفَاتِ العلوم على اختلافها، إلى غير ذلك، كيفما تأدّى إليه من مشايخه الذين أخذ عنهم من قراءة أو سماعٍ أو إجازةٍ، أو مُناولةٍ أو وصيةٍ؛ وإجازةُ ماله ـ فسح الله فى مُدّته ـ من تأليف ووضع وتصنيف وجمع، ونظم ونثرٍ؛ والنّصُّ على ذكر مُصنفاته وتعيينِها فى هذه الإجازة ـ إجازةً عامة على أحد القولين فى مثل ذلك [والله (١٢) يُمتِّعُ بفوائدِه، وينظِمُ على جيد الزّمانِ (١٣) العَاطلِ دُرَّ قلائده . بمنّه وكرمه.

فكتب هو الجواب عن ذلك].

أما بعدُ فالحمد الله الذى أمتع (١٤) من الفُضَلاء بكل مُجيز ومُستَجيز، وأشهدَ من معاصرى ذوى الدّرايةِ والروايةِ منْ جمَع بين البسيط من علوّ الإسناد والوجيز، نحمدهُ على نعمه (التى)(١٥) يجبُ له عليها الإحماد ، ونشكرهُ على تَهْيئَةِ فَضلها المُخوّلِ شرف الإسعاف والإسعاد، ونُصلّى على سيّدنا محمدٍ المُعظّمِ (١٦) رُواةُ حديثه، وحقّ لهم التّعظيم ، العاليةَ قدراً وسنداً من شأنْه التّبْجيلُ والتّفْخيم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وما أحقّهم بالصلاة والتسليم.

وبعد، فإنّى وقفتُ على ما التَمَسه الإمامُ الفاضلُ الصّدْرُ الكاملُ المُحدّثُ الصادقُ العليُّ الإسنادِ، الرّاقى إلى درجات علْماءِ الحديث النّبوى، بعُلُو روايته السائرةِ على رُءُوس الأشهاد، وهو غرسُ الدين خليلُ بن أيْبك.

وحـــسبى به غـرْساً تَسامى أصـالَةً ... إلى أنْ سمَا نَحْوَ السّماءِ علاؤُها(١٧)
حوَى منْ بَديع النّظمِ والنّثْرِ مـا رَقَى ... إلى دَرجـــاتٍ لايُرامُ انتـــهـــاؤُها

استجاز ـ أعزّهُ اللهُ ـ فأتى (١٨) ببديع النظم والنثر فى استجازته، وقال فأبدع فى إبْدَائه وإعادته ، وتنوع فى مقالهما فأسْمع ما شنّف الأسْماع، وأبانَ عمّا انْعَقَد على إبداعه

الإجماع، وقال فما استقال، ورتّل آى مُحكَم كتابه فتميز وَحقّ له التّمييزُ على كلّ حال، وقد أجبْته إلى ما به رَسَم جُملةً وتفصيلا، وأصلاً وفرعاً، وأبْدَيْتُ به وجهاً من وجوه الإجابة جَميلا.. ما تجوز لى روايته من كُتب الحديث وأصنافها، ومُصنّفات العلوم حَسْبَ[١٩] إجازة الآفها، حسبما أجزتُ من المشايخ الذين أَخَذْتُ عنهم، وسألتُ الإجازة منهم، بقراءة أو سماعٍ، أو مناولة أو وصية، ومالى من تأليفٍ ووضعٍ ونظم ونثرٍ وجمعٍ. وذكر تصانيفه كلّها.

واستنشدى شيئاً من نظمى فأنشدته لنفسى:

(من الخفيف)

إنّ وِرْدى مـن الحمـــــــامِ قَريبٌ	فَلِهَذَا أَمْسَتْ دُموعي مُفَاضَهْ[٢٠]
وَلَكَمْ جَهْـدِ مـا يكونُ بَعيـدًا	وَمَشِيبِى رَشَاشُ تِلْكَ المَخَاضَهْ.

فأنشدنى لنفسه[٢١]

(من الخفيف)

قـالَ لي مَنْ رأى صَبَاحَ مَشِيبِى	عَنْ شِمَالٍ مِـنْ لِمّتِى ويَمِينِ
أىُّ شيءٍ هذا؟ فقلتُ مُجِيباً:	لَيلُ شَكٍّ مَحَاهُ صُبْحُ يَقِينِ!.

وأنشدنى هو لنفسه[٢٢]

(من الطويل)

تعجبتْ من أمرِ القَرَافَةِ إذْ غَدَتْ	علَىَ وَحْشَةِ الموتَى لهـا قلبُنا يَصْبُو
فألفيتُهـا مأوى الأحبّةِ كلِّهمْ	ومُسْتَوطَنُ الأحبابِ يَصْبُوله القَلْبُ.

فأنشدنه أنا لنفسه:

(ممن الوافر)

ألا إنّ القَـــــرافَةَ إنْ غَدَوْنَا	تَمِيلُ لهـا القلوبُ ولا عَجِيبُ[٢٣]
فـمـا فـينا مُصَابٌ قَطُّ إلا	تَضَمُّ له قريباً أو حبيباً.

فأنشدنى لنفسه أيضاً (فى مليح وسطه مشدودٌ ببندٍ أحمرَ)[٢٤]:

(من الطويل)

وَبِى[٢٥] قامةٌ كالغُصْنِ حينَ تَمَايَلَتْ	وكـالرمحِ فى طَعْنٍ يَقُدُّ وفى قَدّ
جَرَى مِنْ دمى بَحْرٌ بسَهْمِ فِراقِهِ	فخضّبَ[٢٦] منه ما على الخَصْرِ من

فأنشدته أنا لنفسي (٢٧):

(من المجتث)

قَدْ شَدَّ حُبِّيَ بَنْدًا فِي حُمْرَةٍ مِثْلِ خَدِّهْ
كَخَاتَمٍ مِنْ عَقِيقٍ قَدْ زَانَ خِنْصَرَ قَدِّهْ

فقال لو اتفق لك خنصرُ خَصره لكان أحسن. فقلت: (٢٨):

(من المجتث)

فِي حُمْرَةِ الْبَنْدِ مَعْنًى مِمَّنْ سَبَانِي بِهَجْرِهْ
كَخَاتَمٍ مِنْ عَقِيقٍ قَدْ زَانَ خِنْصَرَ خَصْرِهْ.

هوامش حرف الشين

(شافع بن علي)

(*) له ترجمة فى: (أعيان العصر ٣/ ٥٨) ، و(المنهل ٢/ ١٧٠)، و(نكت الهميان/ ١٦٣ ـ ١٦٧) وحدد وفاته سنة ٧٣٠هـ. (والدرر ٢/ ٢٨١ ـ ٢٨٣)، و(فوات الوفيات ٢/ ٣٧٦ ـ ٣٧٨) وفيه أنه توفى سنة ٧٣٣هـ.

(١) الزيادة عن المنهل، والسلوك).

(٢) هو: محيى الدين أبو الفضل عبدالله بن رشيد الدين أبو محمد عبدالظاهر. صاحب ديوان الإنشاء. المتوفى سنة ٦٩٢ هـ. انظر هذه المادة فى (دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول/ ٣٣٧ ط دار الشعب).

(٣) الرسالة، وإجابتها، وردتا فى: (أعيان: ٣/ ٥٩: ٦١)

(٤) جاء بدائرة المعارف المجلد ٢/ ٢٣١) فى «إجازة «أنها» كلمة اصطلاحية عند علماء مصطلح الحديث، وهى أن يأذن ثقة من الثقات لغيره بأن يروى عنه حديثا أو كتاباً (سواء أكان ذلك الكتاب من تصنيفه أم كان يرويه عن شيوخه بالإسناد إلى مؤلفه) وتكون هذه الرواية بالإذن معتبرة وموثوقاً بها» (عن شروطها وتطورها وأسلوبها راجع المادة بدائرة المعارف).

(٥) (أعيان) : «الشيخ الإمام المفيد»

(٦) بأعيان: «أبرزن»

(٧) فى (أ)، و(أعيان) : «نم» تصحيف.

(٨) سبق تخريج هذا المثل

(٩) إشارة إلى قوله تعالى «حور مقصورات فى الخيام» الآية/ ٧٢ من سورة الرحمن.

(١٠) البيتان وردا فى (نكت الهيمان/ ١٦٤).

(١١) (أعيان): «روايتها».

(١٢) الكلام ساقط من الأصل والزيادة من جميع نسخ المخطوط، وكذا أعيان العصر. هذا وفى (أ، ب، وأعيان): والله يمتع».

(١٣) جيد الزمن» فى (أ، وأعيان).

(١٤) فى (ز) ابتدأ بقوله: «الحمد لله». والعبارة بأعيان: «أما بعد فالحمد لله الذى أمتع الله من الفضلاء بكل وجيز».

(١٥) الزيادة عن (أعيان). وفى الأصل: «نعمة» وهو صواب.

(١٦) بالأصل: «محمد للمعظمة رواة» واخترت تعبير (أعيان).

(١٧) ورد البيتان فى (نكت / ١٦٤).

(١٨) (أعيان العصر): «استجاز فأتى ـ أعزه الله ـ ببديع».

(١٩) (أعيان): حسبما فى إجازه ألافها».

(٢٠) البيتان (بالتذكرة المجلد الأخير الورقة/ ٧٨)، و(أعيان ٣/٥٨)

(٢١) البيتان فى (فوات الوفيات ١/ ٣٧٧)، وأعيان ٣/ ٥٨، ونكت/ ١٦٥، ودرة الأسلاك ٢/ ١٩٣). هذا والرواية فى فوات الوفيات «لمن لمتى ويميلى».

(٢٢) البيتان أيضاً بالمصادر الثلاثة الأولى السابقة، و(رحلة الشتاء/ ٤٧).

(٢٣) البيتان واردان فى (أعيان ٣/ ٥٩).

(٢٤) الزيادة بين الحاصرتين، من (فوات الوفيات) . وفيه: «مشدود ببند أحمر» بباء ونون بعدها ياء ساكنة وذال معجمة. وهو تصحيف. فالبند: هو العلم الكبير، فارسىّ معّرب (انظر مادة: ب. ن. د باللسان). هذا وجميع النسخ جرت على قوله: و«أنشدنى» بالواو. والبيتان وردا فى (فوات) و(أعيان ٣/ ٥٩) و(نكت/ ١٦٦، ١٦٧).

(٢٥) بأعيان: «وذى» ولعله أصوب.

(٢٦) (فوات): «فخضنا به ماء على»، وهو تجريف.

(٢٧) البيتان وردا فى (أعيان ٣/ ٥٩)

(٢٨) البيتان وردا فى (أعيان ٣/ ٥٩).

حرف العين

عبدالله (*) بن علىٍّ بنِ محمدِ بنِ سلمانَ الكاتبُ البليغُ المجيدُ جمالُ الدين بنُ الشيخِ علاءِ الدين بنِ القاضى شمس الدينَ بنِ غانمٍ؛ كاتب الإنشاءِ الشريف بالشام المحروس.

كتب إلىّ عند قدومى من الرحبة المحروسة، ودُخولى إلى ديوان الإنشاءِ بالشام المحروس، فى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة:

(من الوافر)

تقولُ جماعةُ الدّيوانِ: فيه ... فسادٌ لايُزَالُ ولايُزاحُ(١)
فقُلْتُ: فسادُهُ سيزولُ عمّاَ ... قليلٍ إذْ بَدَا(٢) فيه الصّلاحُ

فكتبتُ أنا الجواب إليه:

(من الوافر)

هَويتُ جماعةَ الديوان دَهْرًا ... فلما ضَمَّنا بدمشقَ مَغْنَى(٣)
نَظَرْتُ إليهمُ نَظَرَ انتقادٍ ... فكُنْتَ جمالَهم لفظًا ومعنًى.

وكتب هو (٤) إلى، وأنا بصفدِ المحروسة ضعيف:

(من الوافر)

كتابكَ قدْ أتى عينى (٥) وفيها ... فسادُ نوًى لِشَوْقى وارتياحى
فَجدّدْهُ فليْسَ يزولُ إلاّ ... إذا عادَ الصّلاحُ إلى الصّلاحِ.

فكتبت أنا جوابه(٦)

(من الوافر)

كتابكَ جاءنى فَنَفَى هُمُومى ... وآذنَ سُقْمَ جسمى بالزّوالِ
وأذْكَرَ نَاظرِى زمنًا حميدًا ... تمتّعَ بالجمالِ من الجمالِ

وكنت قد وعدته بعارية[٧] رسالة لابن رشيق سمّاها ساجور الكلب، وتأخّر[٨] إرسالها، فكتب إلي:

(من الخفيف)

يـا جوادًا عنانُهُ فـي يـد الجو ... د تباخلتَ لي بساجور كلب
لاتضعْ رتبة التفضلِ والإيـ ... ـثار فالأمر دون بذل العتب
(وإذا لمْ يكنْ من العتبِ بدٌ[٩]) ... فمرادى، إنْ شئتَ، غيرُ الكتب.

فجهزتها إليه، وكتبتُ معها[١٠].

(من الخفيف)

أيها الأروعُ[١١] الذى فاقَ مجدًا ... لا تؤنّبْ منْ لا أتاكَ بذنب
أنتَ تدرى أنّ الوفاءَ المُوفّى ... لي طباعٌ فى الودّ من غير كسْب
أنا أخبَا لو كانَ طوقَ عروسٍ ... عنْكَ حتّى أصون ساجُور كلب؟!

وكتب هو إلي يوما:

(من السريع)

قد أصبحَ الملوكُ يا سيدى ... يختارُ أن يفترعَ الرَّبوه[١٢]
وقدْ أتى صحْبَكم ببتغى ... فاسعفوا، واغتنموا الخلْوه.

فكتبت أنا[١٣] جوابه ارتجالا:

(من السريع)

مَالى على الرَّبوةِ من قُدْرهِ ... لأنّنى أعجزُ عنْ خطْوه
وليس مركوبى هنا حاضرًا ... فمرّ نحوَ الخلوةِ الحلْوه.

وكتبت أنا[١٤] أنا إليه، وقد طوّل الغيبة فى بعلبك:

(من مجزوء الرجز)

فـربّكَ القلبُ الذى ... أبعدْتَهُ وقربَكْ
يا نازحًا عن جلّقٍ ... ونازلاً فى بعلبكْ
لكَ البلاغاتُ التى ... أبدعْتَ فيها مذهبكْ
جرتْ جريرًا فالتوى ... إلى النسيبِ وانسبكْ

وكلُّ سطرٍ كالدُّجى — وبرقُ معناهُ احتبكْ (١٥)
شواردُ المعنى غدتْ — مسيماتُه مثلَ الشَّبكْ
أشكو لكَ البُعدَ الذى — تطويلُه قد أعجبكْ
زواكَ فى نيلِ المُنى — عن ناظرى وغيّبكْ
فاطلُع علينا قمرًا — حتى تُنيرَ غيهبكْ
أنا خليلُ صُحبةٍ — ودادُها قد جلبكْ
حلّيك منه فاخرٌ — وسحرُه قد خلبكْ
جلّتك أنوارُ المُنى — فى خاطرٍ تطلّبكْ
حلّتك الحُسنى جلتْ — لى فى المعانى(١٦) شُهبكْ
حلّتك بالعلمِ الذى — به علَوْتَ رتبكْ
أبو جلّنكٍ(١٧) لو رأى — كما رأينا أدبك
حلَّ بك المعنى الذى — جلَّ بك الحقُّ التبكْ.

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك (١٨)

(مجزوء الرجز)

أمنْ عُقارٍ أنسبَى — أمْ منْ نُضارٍ انسبكْ؟!
أم منْ لآلٍ نُظمتْ — على عذارى كالشّبكْ؟!
أم نفَسُ الأحبابِ هبَّ (م) — موهِنًا فأطربكْ؟!
نسمَ فى دمشقَ فاشتممتَه(م) — فى بعلبكْ
يحملُ ذكراك، لقدْ — عطرتْ منه مركبكْ
يا حاضرًا فى خاطرٍ — مُحاضرٍ ما غيَّبكْ
وفاضلاً ذهّبك الله (م) — لنا، وهذّبكْ
فى أىِّ صورةٍ، لنا، — فضيلةٍ قد ركّبكْ(١٩)
نمتنى(٢٠) بك النسيبَ منْ — حقّق فيه نسبكْ
رتّبكَ للعلوم نفسٌ(م) — بلُقتك رُتبكْ
أعربَ عنكَ الدهرُ(م) — بالتمييز حتى نصبكْ
عاجَ بسحرِكَ الورى — لمّا تراءوا عجبكْ
سرَّ بكَ الرائى الذى — بفهمه قد سربكْ(٢١)
جلا بذوقٍ فهمه(٢٢) — نهاكَ لمّا جلبكْ
أنتَ خليلُ فطنةٍ — يعرفُ ذا منْ طلبكْ
جلّتك فارتضيتَ، ومَنْ — يرتاضُ إلا أدبكْ؟!
خلّتك معدومُ النظيرِ(م) — فردَ أفرادِ النُّبكْ(٢٣)

أنت خليل للعلا(٢٤) ... ولبها قد قربك
حل بك التنائل (م) ... بالنحلة منها أريك
حكتك في الذكا ذكا ... ولم تحاك نخبك
حل بك الفضل فحلى (م) ... للبرايا كتبك
جل بالبراع ياجوا ... د فيه، واحرز قصبك
حلتك الفضل حبا ... كها نهاك إذ حبك
سددت(٢٥) من تصحيف ذا الـ ... اسم الذى قد صحبك
بعض الذى فهمته ... إذا تمعنى(٢٦) حبيبك
بك اهتديت فهمها ... لما رأيت شهبك
لازلت في بيد النهى ... تغدو إليها نجبك

وكتب هو على الجزء الخامس من التذكرة التى لى:

وقفت على المجموع المنفرد (٢٧) بحسنه وحسناه، الزاهى على الزهر فى سنه والدر فى سناه، المشتمل على كل شذرة، المحتوى على مثاقيل من إبريز الكلام، «فمن يعمل مثقال ذرة (٢٨)»، اللائق جمعا وصنعا، الرائق وشيا من الكتابة لاتذكر عنده صنعا، المظر بكماله نقص ما سواه الدال بصحة جمعه على تفرد من سواه.

(من الوافر)

(وبالزهر المنضد فى رباه ... يشير إلى صنائعه الغمام)

(من كل معنى وحيد يكاد الميت يفهمه (٢٩)، وكل لفظ رقيق تكاد صفحة القرطاس تستلمه (٣٠)، وكل زهرة كتابة تكاد تقطف من أغصان سطورها، وكل فكرة إصابة تكاد تقهقه بقعقعة الأوراق من سرورها، كأنما ألقت فيه المحاسن ودائعها، وأجرت منه اللطائف ينابعها، وكأنما و ليل نقس أوقدت فيه المعاني سراجا، أو روضة ورد مد عليها الطرس سياجا، أو درر لها من الأسماع أصداف، أو سحر لصفائه ورقته لا لظلمة الأسداف، أو طرة صباح يستمد النهار من إضاءة ورقها، أو غرة نجاح تسامت النجوم بفرقها فتطن من فرقها، قد رقت ألفاظه حتى لو علق على حنق لسكنت عنه سورة غضبه، وأشرقت معانيه حتى رمقها الأفق بأعين شهبه، تنطق بشكر مؤلفه مخائله، وتفيض حتى من جداول سطوره

فضائله، وتدلُّ على ماله من أشتاتِ المحاسنِ من اشتمال، ويشيرُ إلى ما للآداب بحياته وحيائه من جاهٍ ومال.

(من الكامل)

رجلٌ فضائلُه وأنعمُهُ جازَ مدَى سحبانَ والسُّحُبِ
وسرورُ نعماهُ وسوْرتُه هاجا من القضبانِ والقُضُبِ
لوْ لمْ تَسلْ أنْدَى فضائله في مشْرَعِ الآدابِ لم يطبِ
ألفاظُهُ الحُسنى، وأسطُرُهُ يُنسين ذكرَ البانِ والعَذَبِ
وحروفُهُ مثلُ السُّلافِ بدَتْ وطفَا عليها النُّقْطُ كالحببِ
(وسطُورعُ كالليلِ خطَّ على خدِّ الصبَاحِ بِصنْعَةِ العَجَبِ)(٣١)
لو تعقلُ الورقاءُ فكْرتَهُ خلَعتْ قلادتَها من الطَّربِ

زاد الله عواصيَ أفكاره على حكُمِ الزمانِ منَعه، وجعلَ لفنون آدابه في كلِّ صوتٍ صيتاً، وفي كلِّ سمعٍ سُمعه. بمنه وكرمه. إن شاء الله تعالى.

وحكى لى قال رأيتُ البارحة فى المنام كأن فى بيتى نهراً عظيماً صافياً، وأنت من ذلك الجانب، وأنا من هذا الجانب، وكأنى أُنشدُك:

(من الخفيف)

يا خليلى أبَا الصفَا، لاتُكدِّرْ منْهلاً منْ نميرِ ودِّك أرْوَى(٣٢)
فجميعُ الذى جرَى كان بسْطًا ولعمْرى بُسْطُ المجالسِ يُطوى

فقلتَ لى: لا بل انظم فى زهر اللوز شيئاً فأنشدتُك:

(من المتقارب)

أيا قادمَ الزَّهرِ أهلاً وسهْلاً ملأْتَ البرايا هدَايَا أرَجْ
فوقْتُكَ فضُّ ختامِ السُّرُورِ وعهْدُك فُرْجَةُ بابِ الفرَجْ

فكتبت أنا إليه عندما قصَّ على هذه الرؤيا

(من الخفيف)

حاشَ للهِ أنْ أغيِّرَ عهْدًا لمْ يزلْ منْ وفَائكَ المحضِ صفوا(٣٣)
وإذا ما حديثُ فضْلك عندى(٣٤) ضاعَ منِّى فى نشْرِه كيفَ يُطوى؟!.

وكتبت أنا إليه وهو مع نائب الشام المحروس الأمير سيف الدين تنكز[٣٥] - رحمة الله - في الصيد بغزّة المحروسة جوابا عن كتاب ورد منه إليّ، وفيه عتب كثير لانقطاع كتبي عنه[٣٦].

(من مجزوء الكامل)

حَيثُ الغِيَامُ بِرَمْلِ غَزَّة ... لي سَادَةٌ عِندي أعِزَّه
وأنا كثيرٌ حبُّهم ... وهُمُ كمَا أخْتارُ عِزَّه
سِيمَا جمالِهِمُ الذي ... في فَضْلِه طرْفي تنزَّه
مَوْليَّ بِعطف يراعه ... طَرَبٌ يُرنِّحُهُ وهزّه
أضْحَى يُوشّي طِرْسَهُ ... ويحوكُ بالأسجاعِ طِرْزه
يُملِي عليه بدائعا ... تكسو المَهَارِقَ خيرَ بِزّه
لو فاخرَ الروضُ النسـ ... ـيمَ بكُتْبِه لأبانَ عَجْزَه
ألفٌ حكتْ غُصنَ النقا ... صدَحتْ عليه حمامُ هَمْزَه
مِنْ ميمِ مَيْلي عنهُ لا ... أدخلْتَ قلبيَ تحتَ زِرّه
وظفرتُ منه بمَعْقِلٍ ... لاتطرقُ الأحداثُ حرْزَه
وبهِ تبيَّنَ لي الهُدى ... وحلَلْتُ مِن معْنَاهُ رَمْزَه
وبه ملأتُ يدي غِنًى ... مِنْ فضلِه وفتحتُ كَنْزَه
فاللهُ يحرسُ مجدَه ... ويديمُ للآدابِ عِزّه.

يُقبِّل الأرضَ، ويصفُ شوقه الذي شقَّ الجوانح، وجرحَ الجوارح، وملأ الفؤادَ فوادح؛ ويذكر حنينه الذي شغلَه عن ذاته، وأذهله حتى عن تمنِّي اللقاء ولذّاته، ونغّص صفوَ عيشه بالبعد، وهذه أحسنُ حالاته. وينهي ورودَ المثال الكريم[٣٧]، فتلقىَّ منه أكرمَ وارد، وحوى من ألفاظه الغُرِّ مصائدَ الشوارِد، وشافهه منها ألْسُنُ عتْب لها في القلب وقْعُ السيوف، وإن كانت في فصاحتها مثل المبارد، وأضرمتْ في الحشا نيراناً لها الزفرتُ دخانٌ، والضلوع المحنيّه مواقد، فقابلها بأعذاره الملفّقة، فقالت حرارةُ تلك السطور: دعْنا من عذْرك البارد، ونظر من تلك الحروفِ المنظّمةَ إلى نوناتٍ كأنها براثن[٣٨] الأسود، وإلى ميماتٍ كأنها عيون الأساوِد.

(من الكامل)

فكأنّ ذاكَ الطِّرْسَ أصْبَحَ سلّةَ ال ... حاوي، وهاتيكَ السُّطورَ أفاعِيا[٣٩]

ثُمَّ إنَّ المملوكَ كابرَ نفسه، وقال رُبَّما تصحَّف عليهِ ما تصفَّح، وتَرجَّى أن يكون هذا القَدْرُ هو الذى تَرَجَّح، وجانسَ بين إساءتَه وعَطفه فذاك تَرنَّم وهذا ترنَّح.

(من مجزوءِ الكامل)

(ويدُلُّ هَجْرُهُمُ عـــلـــى	أنّى خَطَرْتُ بــبــالِهِمْ(٤٠)
وعلَّل نَفْسَه بقـــول (الآخـــر):	(ويبقى الوُدُّ مـــا بقى العِتَابُ (٤١)

وقال هَذا هو العَتْبُ المحمودُ العواقب (٤٢)، وهذا التأديبُ الذى يُعقِبُ الرِّضَى ولايُعاقِب، وقد عاد المملوكُ إلى صَوْبِ الصَّواب، وتضرَّعَ من تلك السطور على عَتبات العتابِ، وظن أنما فُتِنَ (به) (٤٣) «فاستغفر ربه وخرَّ راكعاً وأناب» .

(من الوافر)

(وهـــذا المـــذْنِبُ أولُ كـــلِّ ذَنْبٍ	وآخِرُهُ إلـــــى يـــــوم الحِسَابِ

فليغفر مولانا للمملوك هذه الهفوه، وليُقِلْه عثرةَ هذه الخطوهِ التى لم يلقَ فيها حُظوة، والله يُمتِّعُ العيون والنفوس بجماله وجلاله، ويزيِّنُ الوجودَ بمحاسنه التى يخْجلُ منها البدرُ فى كماله. بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى.

وكتب هو إلىّ من دمشق المحروسة، وأنا بالقاهرة المحروسة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة(٤٤):

(من الكامل)

ذكَرتُ قَلْبِىَ حينَ شطَّ مـــزارُهُمْ	بهِمْ، فَنابَ عن الجـوى تَذْكارُهُمْ
ويـــكـــى فُؤادى، وهُوَ مـــنـــزلُ حبِّهم	وأحقُّ منْ يبكى(٤٥) الأحبَّةَ دارُهُمْ
وتَخَلَّق الجَفْنُ الهَمُولُ، كـــأنَّمـــا	لمعَتْهُ عِنْدَ غـــروبِهِمْ أنوارُهُمْ
وذكـــرتْ عـــينِى عند عيْن فِراقِهِمْ	لما أثارتْ لَوْعـــتى آثارهم(٤٦)
تُذرى الدمـــوع عليـــهم، وكـــأنهم	زَهرُ الرُّبا، وكـــأنَّهـــا أمطارُهُمْ
وَنَيْنِ (٤٧) من حالىِ العواذلُ رحمةً	لمَّا بكيتُ، ومـــا الأنينُ شـــعـــارُهُمْ
وَيْحَ المحـــبـــين الذين بودِّهِمْ	قُربُ المزار، ولو نأت أعـــمـــارُهُمْ
فـــقـــدوا خليلهُم الحـــبـــيب فـــأذكـــيتْ	بالشَّوقِ فى حَطَبِ الأضالع، نارُهُم (٤٨)
مَوْلَى تقَلَّـــص ظلُّ أنـــس مـــنْهُ عَنْ	أصـحـابه. فـاسـتـوحـشتْ أفكارهمْ
كمْ راقَـــهمْ يومًا برُؤيةِ وجـــهِـــه	مـــا لاَ يَرُوقُهُم بــه دينـارُهُم

ولكم بدتْ أسماعُهم في حليةٍ   من لفظه وكذا غدتْ أبصارُهمْ
كانوا بصحبته اللذيذة رُتَّعًا   بمسرةٍ مُلئتْ بها أعشارُهم
يتنافسون على دنوِّ مزاره   فكأنما بلقاهُ (٤٩) كان فخارُهمْ
لا غيّبَ الرحمنُ رؤيةَ وجهه   عن عاشقيه فإنها أوطارُهم
وجلا ظلامَ بلادهم من بعده(٥٠)   فلقد تساوى ليلُهمْ ونهارُهمْ
يا سيدًا لي لم تزل ثقتي به   إنْ خادعتْني في الولا أسرارُهم(٥١)
أصرمتَ حبلَ مودّتي، ولصحبتي   عرفَ الطريقةَ في الوداد كبارُهمْ
أمْ تلك عاداتُ القلى أجريتَها   فكذا الأحبةُ هجرُهمْ ونفارُهمْ؟!.

فكتبت (أنا) (٥٢) الجواب إليه:

(من الكامل)

أفدي الذين إذا تناءتْ دارُهمْ   أدناهمْ من صبِّهمْ (٥٣) تذكارُهمْ
في جِلّق الفيحاء منزلُهم، وفي   مصرٍ بقلب الصبِّ توقّدُ نارُهمَ (٥٤)
قوم بذكرهمُ الندامى اعرضوا   عن كأسهم، وكفتْهمُ أخبارُهمْ
وإذا الثناء على محاسنهم أتى   طربوا له، وتعطلت أوتارُهم (٥٥)
وإذ همُ نظروا لحُسْن (٥٦) وجوههمْ   لم تبق أنجمُهمَ ولاأقمارُهمَ
فهم البدور إذا ادلهمّ ظلامُهم   وهمُ الشموس إذا استبان نهارُهمْ (٥٧)
دنت النجوم تواضعًا لمحلّهم   وترفعتْ من فوقها أقدارُهمْ
وبكفّهم، وبوجوههم، كم قد همَت   أنواؤهمَ، وتوقّدتْ أنوارُهمْ
أهدى جمالُهمُ إليَّ تحيةً   منها تُدارُ (٥٨) على الأنام عُقارُهمْ
أُفُق، وروضٌ في البلاغة، فهي إما   (م) زُهرُهمْ في الليل، أو أزهارُهمْ (٥٩)
لك يا جمال الدين سبقٌ في الوغا   [لو رامه الأصحابُ طال عثارُهمْ
وتودُّ مازال بصفو ودّهُ (٦٠)]   حتى تقرّ لصفوه أكدارُهم
(وفضائلٌ تُبقي لقومك سؤددًا   حسُنتْ بها بين الورى آثارُهمْ (٦١)
يا ابن الكرام الكاتبين، فشأنُهمْ   صدقُ المودّة، والوفاء شعارُهمْ
قوم إذا جازوا إلى شأو العلا   سبقوا إليه، ولمْ يُشقَّ غبارُهم
صانوا، وزانوا بالبراع، ملوكهمْ   أسوارُهمْ من كتْبهم وسوارُهم
ما مثلُهمْ في جودهم، فلذاك قدْ   عزّتْ نظائرُهمْ، وهانَ نضارُهم (٦٢)
ما في الزمان حليٌّ على أعطافه   إلا مآثرُهمْ به وفخارُهمْ
تتعلمُ النسماتُ (٦٣) من أخلاقهمْ   وتنوبُ عن زهر الربا أشعارُهم
(ولفضلهمْ ما ابنُ الفرات يعدُّ م   فيه قطرةٌ لما تمدُّ بحارُهمْ (٦٤)
وحماهمُ يحمي النزيلَ (٦٥) بربعه   من جور ما يخشى، ويمنعُ جارُهمْ

بالرغمِ مني أن بعدْتَ ولمْ أجِد ظلاً تُفيِّؤه على ديارهم
لو كانَ يمكنني، وما أحلى المنى، ما غابَ عني شخصهُمْ ومزارهُمْ
ويح النَّوى، شمْلَ الأحبةِ فرَّقتْ فمتى يُفكُّ من البعاد إسارهُمْ؟!.

يُقَبِّلُ (٦٦) الأرضَ، وينهى، بعد وصف أشواقه التي تترادفُ بعوثُها، وتنبعثُ من الدموع سُحُبُها وغيوثُها، وتتظافرُ على الفؤادِ المغلوب أساودُها وأسودُها، وإذا راعيتُ السَّجع، قلتُ: وليوثُها.

(من البسيط)

وما فؤادي مشتاقاً بمفرده بل كُلُ عضوٍ إلى لُقياكَ يشتاقُ)

وُرُودَ المشرَّفِ العالي مُشْتَملاً على تلك الأبيات، بل على القصورِ سكنها حسانُ معانيه، التي هنَّ له طائعات، وعلى غيره أبيات. فوقف المملوك لها واستوقف فأثنى الجمْعُ عليها، وثنوا إليها الأعنَّة، وبكى واستبكى؛ فاستخرج لها خبايا الدَّموعِ لأنَّها كانت مطيَّةً إلى تلك المظنَّة، وذكر الحبيبَ وهو مولانا، والمنزلَ وهو دمشقُ، فقيل: معذورٌ منْ ذكر رضوان والجنَّة.

(من الطويل)

(ومَنْ فَارقَ الأحْبَابَ والدَّارَ والهوى يَحقُّ لهُ أنْ تَعذِرُوهُ وتَرْحَمُوا)

وعلى ذكرِ دمشقَ المحروسةِ، فحيى الله وجهها الذى يُسْفِرُ عن طلَّعة القمر، ورَعَى الله عُهُودَها التي ما تركت بعدها للغريب من وطن ولا وَطَر، وحفظ الله تُربتَها التي تُطاول الزهرَ في الأفق بما تُنْبِتُه في الرَّوضِ الزَّهر، وسقى الله رُبُوعَها صوبَ السحائب، وإن كانتْ مع دموعِ النازحِ عنها لاتَحتاجُ إلى سُقيا المطر.

(من الطويل)

ألا يا اسْلَمي يا دارميَّ على البِلاَ ولازال مُنْهلاً بجرعائك القطرُ (٦٧)

ويعودُ المملوك إلى ذكر المُشرَّفِ العالى، فيا لله من فضائلِ مولانا، كم لها من معجزٍ في البيان، وتركيب ألفاظ يَشُدُّ بعْضُها بعضاً كالبنان، أو كما جاء كالبُنْيان (٦٨)، وسحرِ معانٍ، هو بمُفْرده عليها مُعان، فَحقيقٌ بأن تكونَ مشرَّفاتُ مولانا لبدور الأدب تماما، ولبنيه تمائم، وتصبحُ طروسُه رياضاً، لأن السطور جداولُ والألفاتِ غصونٌ، والهمزاتِ حمائم..

(من الخفيف)

أيـــنَ زَهْرُ الـــرِّيـــاضِ وهُوَ إذا مَا ... طَالَ عَهْدًا بالغَيْث عاد هَشِيماَ (٦٩)
من قَوافٍ كـــأنهــا الأنجُمُ الزُّهرُ ... سناها زانَ الظَّلامَ البَـهِـيـماَ؟!

(والله يُمتعُ بفوائد مولانا الجمّه، وتَقَرُّ العيونُ من كُتبه ببياضِها (٧٠) وسوادِها، [فما كلُّ بيضاء شحْمه، ولا (كلُّ (٧١)) سوداء فَحْمَه]. بمنه وكرمه. إن شاء الله تعالى.

وكتب هو إليَّ الجواب أيضا وأنا بالقاهرة المحروسة (٧٢)

(من الخفيف)

ســـــارَ دَمْعى مِنـى إليكَ رَسُولا ... حينَ أخْلَيْتَ رَبْعَهُ المـــــأهُولا(٧٣)
وَفُؤادى استَقَر إذْ أنتَ فـــيـــه ... يتـــراءاك(٧٤)، بُكْرةً وأصيـــلاَ،
ونســـيمُ الصَّبـــا تحمَّلَ منْ وصف ... اشـتـيـاقى فـيـه حـديثًا طويلا (م)
فـاسـتـمعْ مـا يُملى النسـيمُ بعلم ... عن غرامى، إذْ كان مِيلى عليلاً (٧٥)
تركَ القلب فى الأضـــالعِ يظمـــا ... فيُسقِّيه الاشْتـياقُ غَليلا (٧٦)
وقمــيصُ الكرى مُرقٌ فـــإنْ زا ... ر (٧٧) خـيـالٌ وصلتُه توصيـلا
حــبّذا قُرْبك الذى كـــان أنْدى ... فى فُؤادى منَ النَّســيم بليــلاَ
وليـالٍ كم غـــازلَ الطَّرفُ من أُنْ ... سكَ فى جُنْحهنَّ، وجْهًا جـمـيـلاَ
ومُدامٍ كـــأنّهـــا لونُ دمْعى ... عندمـا أزمعَ الحـبـيبُ رحـيـلاَ
كـأسُها فى الدُّجى تبـدَّى شِهـاباً ... وكَسَا المزجُ رأسه إكْليــــلا
فــتــهـــدَّيْتُ للسُّرور برؤيا ... ه، وإنْ كـــــان للهُدى تَضْلِلا
كمْ ركـــبْنَا لهـــا ســـوابِقَ لَهْو ... كَانَ جـرْس الغناءَ فـيـهـا صَهيلاً
(قــرّبَ اللهُ عـــهـــدَها من ليـالٍ ... لم أكُنْ لاقـــتـــرابهنّ ملولا) (٧٨)
أتلظَّى جـــــوًى، وفرْطَ حـنـينٍ ... إنْ تذكـــرتُ ظِلّهنَّ الظَّليـــلا
وإذا مـا احـتـرقتُ شوقًا فـقـولى ... ليتَ ،لم أتَّخـذ فـلانا خليـلاً، (٧٩)
يا صـــلاحَ الدين الذى فـــســد ... العيْشُ لنَا مُذْ نأى، وساءَ مقيلا (٨٠) (م)
قـــدْ أتتْنى أبيــــاتُكَ الغُرُّ تحْكى ... نَســمـــاتُ الصَّبـــا تجـرُّ ذُيولاَ
أو نبـــاتَ الرُّبا، يُصـــافحُهُ القطْ ... رُ، فيــغدُو رطْبَ الحـيــا مــصْقُولاَ
فتذكّرتُ منك جُودًا عــمـــيـــمًا ... ومُحــيـــاً طلْقًا، وفضْلاً فَضيـــلاَ
ورأيتُ السُّطور تَحْكى ليـــالى الْـ ... قُرْب حُسْنًا، ورِقّةً، لا طُولا
حــبّذا عــهْدُهُنّ، والعــيْشُ فــيــه ... إذ أنا مـــالكٌ إليـــه الوصولا
كنتُ أجْنِى ثمـــار أُنسِك فــيـــهنّ ... (م) فتَبــــــدّلتُ بـالنّوى تبديلا.

وينهي ـ بعدما غرّته بتخيل القرب أفكاره، وأعرته من حلل المدامع رُسُلُ النّوى وقد كُنَّ شعاره، وأحرقت الطرف نارُ الشوق إلى خليله، وخليلٍ جاره ـ وُرود كتابه الكريم الذى حلّ فى القلب مهابةً كانت وحسْناً كريم، وقوبل فى الحالتين بغاية الإجلال والتكريم؛ فتقلّد المملوك من طِرسه عقوداً حروفه دررها، وهصر من سطوره غصوناً معانيه زَهرها، وتخيل تلك الأبيات سرب ظباءٍ بدليل أنّ ميمات القافية سُرُرها. فبالله ما ألهج ألسنةَ الحمدِ بوصفه، وألْهى نواظرَ الاستحسانِ بمحاسنه التى كأنّ اليد الكريمة تناولت طِرْسه من ورق الجنّة، وعمدتْ إلى خصْفه، وأهلاً به سابقاً فى الفضل لا يُباريه إلا ظلّه، وسهماً قُرْطِسَ فى مُقْتَبَلِ الحوادثِ نَصلُه، لقد تَسَلْسَلَ ذلك ماءً فأورد فكرَه من معينه، ونصب ذلك الطِرسَ رايةَ مجْدٍ، فأخّر عنها عَرابةَ، وتلقّاها بيمينه (٨١).

ووقف على شيءٍ من تعاليقى بالديار المصرية المحروسة، ،فيها حلُّ منظوم اقْتُرِحَ علىَّ عمله.

فكتب إلى:

ويُنْهى أنه وقف فى المجموع المبارك على بيتىْ البحترىّ، وسرّح نظره فيما سمحتْ به القريحةُ من حلّها، فقبّل آثار اليد التى هى للقُبلَ قِبْلَه، وللأملِ إلى إدراك النّجاح سبْله، ولنيْلِ النفس مذَاق الأمانىّ نُجح، ولليل النّفْس بإشراقِ المعانى صُبْح، ولدُرّ الكرم، وبحرِ الكلمِ سِلْكٌ ومسلك، ولدقيق (٨٢) المعانى أملى، ولرقيق الألفاظ أملك، فلو رأت السماءُ حُسْنَ كتابتها لما رفعت بالجوزاء رأسا، ولو علمت كفُّ الثريا أن عدد أناملها خمسٌ لكانت كواكبها خمساً، ولو وصل إليها فَمُ الفرْقَدَ لقبّلها، ولو رأى الليلُ سوادَ نَقْسها لاسْتَخْفَى فى تلك الذوائبِ التى أسبْلها، إذ هى اليدُ التى تشير إلى المُشترى، فَيْشَى من السّنا؛ ويمتدُ نوءُ ذراعها إلى أرض الطِّرس، فينْبتُ بها من أزهار المعانى ،نباتا حسنا (٨٣)،.. فنظرالمملوك إلى تلك الأبيات، وهى بآثاره مُحلاّةُ المحلّ، مُقوّاةُ الدّعائمِ بما اقتضاه رأيهُ الكريمُ فيها من الحلّ، قد انتبه خامُلها، وتحلّى عاطلُها، واشتبه بالحقّ من كلام موْلاه باطلُها، ولحظتْها بلاغةُ مولانا وكان السّعدُ إلى خطّها أسرعَ من صدى الصوت، وحفظت عليها رونَقَ الحياةِ، بعد أن كان الدهر قد أطلع عليها صُورةَ الموت، وجعلَ لما فيها من كلام الأولين ذكراً فى الآخرين، وآتاها من الإسعادِ بما لو

بشرها به بشر لقالت: إنك «لمن الساخرين» (٨٥) فلو علم أبو عبادة بذلك لما هوّم على عيسه، ولبلغ قدره أن يخرج ليثَ الغاب من خيسه (٨٦). فإنه ما كان يفرح بمثل ذلك فيما أرسل إليه من طيف الخيال ليله المظلم (٨٧)، ولقد طرق مولانا فى معانى هذه الأبيات ما لا طرقه مُسلم، ولو علم مسلمٌ، بذلك لتناول من هذه الألفاظ قطوفاً عذبةَ المجانى، ولتلقّب صريع هذه المعانى لا صريع تلك الغوانى. فمن ذلك ما ذكره فى اعتذاريةٍ بكلام أقام الحجّة على ما كانت المعذرةُ إليه، وأوضح المحجّة لمن سيجىءُ (٨٨) فيما بعد عليه، وسحرِ ألفاظٍ خيّل للعاتب أنّه (هو) الجانى، وحضّه على طلب المعذرةِ لولا خوفُه من الذنب الثانى (٨٩) ودافعَ الحقّ بباطله. وجعل الدّين على صاحبه، كما يُقال، لما طله.

(من الكامل)

فــاللفظ بحــرٌ أنتَ مــالكُ طُرْقِه والـنطقُ بـحثٌ أنـتَ وجْهُ دليـلِه
لم لا يُســاعدُك المقــالُ أيصطفى من أهلِ هذَا الفنّ غــيـرَ خليلِه؟!

ومن ذلك ما هو فى ذكر لَهويّه قد حمدتْ مسرّاتٌ فيها من يده صُبْحَها، واعتنقتْ فيها قدودُ اللّامات والألفاظ التى قرّر أنسهُ صلْحَها، وزاحم طربُ ألفاظه فيها صوتَ العيدان بالمناكب، وخيّلتْ أزهارُ كتابته فى أنهار طرْسِهاَ ما يلوحُ فى الماء من حُلىِّ الكواكب، وبرزتْ فيها ألفاظُه من حلِى (٩٠) المعانى فى أنمق نمط، وجليت حدائقُ كتابته عروساً تقطّعها الأحداقُ بحبّاتها لا على الغلط، وسحَر بيانُه فى سواد النقْسِ صبغةَ السّحر، وأجرى بنانُه لونَ النهار من الطّرْس فى نهر، ولاحت تلك الأبياتُ كالقصور الآهلةِ بالسرور فتطلّعت أبكارُ معانيه من شرفاتِها، وناحت تلك الهمزاتُ ، إذ أشبهتها فى تغريدها حمائمُ الدوح على أغصان ألفاتها.

وخــافت نـارَ فطنتــه المعَانى فقـــال لهَا وقـــد أمِنَ الكلامْ:
ثقى بالأمن فـــيـــه فَذَا خليلٌ يرى فى نار فطنتـــــه سلامْ.

ومن حَربيّة أقامت الحرب على ساق، وأدارت الردّى على العدى ولهاَ من المحابر أكؤسٌ ومن القلم ساق، لم تجرّدتْ كتائبَ كتبها منى الأعداءُ منها بمعانٍ هى حقيقةُ الموت،

ولو تمردت القواضب أرسلَتْ على الفور صوارمَ من الطروس لا تخافُ الموت، ولو أفسد الزمانُ حالاً أعادَ صلاحُها ما أفسد، ولو استأسد من الأعداء، وعَلّ برزَتْ من سواد نقْسها، وبياض طرسها فى صورة فهْد لافتراس ما استأسد ومن ومن، ومن، وبلاغة مولانا أعظم من ذلك.

(من الخفيف)

فــــهْىَ فى كلّ حــــالةٍ تتبَدّى بمعـــانٍ تروقُ مبْنَـــى ومَبــدَا
فعلَتْ بالعقول مــــــا تفعلُ الخــمــر، وشدّتْ إلى المسرّات شدّا (م)
عرْفُها كالعــبـير والروض، لكن هــى مـــن ذا وذاكَ أنْمى وأنْدى
برزتْ من حروفهـا فى صـفـوفٍ بصنوفٍ من المحــاسنِ تُفدى
ألفـاتٌ بهـمـزها تُخجلُ البندَ يقـيناً وتُخجِل الخوْدَ قـدّا (م)
وعـيونٌ تَسبى اللّحاظَ صحيحـا تٍ لهـا فى روضِ الكتـابة أنْدا
يا كريما بدرُ لفظٍ ثمينٍ هـو أجلَى فـى كـلّ عيْنٍ وأجْدَى
فقْ على البحـرِ فى عطائك وافـخرْ فهْوَ أعطى دُرًا قليلاً وأكدَى (٩١)
قـدْ حللتَ الأشـعـارَ بالنّثر حـلاً فى استلاب العُقـول جـاوز حدّا
وكسَتْهــا ألفـاظُك الغــرُّ ثوبًا قـدْ حباها عـــزًا، وأورثَ مجْدَا
وقَرتْ وفْدَ كلّ سعـدٍ عليهـا فتَلقّتْ وفـرًا عـمـيـمًا ووفْدا
حفظَ الله للفضـائل ذهْنًا منكَ لم يُبْقِ فى الإجـادة جَهْدَا
عجَزتْ عنهُ كلُّ همـةِ ذهْنٍ وتَصدّى كـرونـقِ السّيف فـردا

لقد بلّغتْ ألفاظُ مولانا المسرّات إلى القلوب، فأحسنت البلاغ، وبالغ قلَمُهُ فى صوغ السّطور بالكلمِ المنْسجم، فورد طرفُ المملوك للكلم ما ساغَ، وللقلم ما صاغ . فهنّأ الله يدَهُ الكريمةَ إذ رقتْ إلى سماء السّماحَة، واستولتْ بحُسْنِ الكتابة على روضةَ النُّجوم المُسامحةَ فى المساحَة. فهى اليدُ التى كأنّمَا ضربَت السماءُ فوقها جسرًا لعبور السحائب على أمواهِها، وكأنما مَسحتْ أوْجهَ دُهمِ الليلِ فأثّرتْ تلك الغُرَرُ من الصّبَاحِ فى جباهها.

(من البسيط)

(يدٌ عَهدتكَ للتّقبيلِ تبْسُطُهـا فتسْتَقلُ الثُّريـا أن تكونَ فَمَا (٩٢)

انتهى المملوكُ إلى هُنا، والنجمُ قد أغْفَى بغير نُعاس، والثُّريًا قد سقَط إلى الغرب ما كانت مُعلّقةً فيه من الأمراس (٩٣)، والصبحُ قد قدَحَ فى أسارير الجنح شررًا، والأُفقُ قد أهدى من

النهار كافوراً، واسترَدَّ من الليلِ عنْبَراً والله تعالى يُسكِّنُ بوجوده قَطْرَ عبرات(٩٤) الفضل الذى غلبَه الدهرُ على السَلَبِ، ويصونُ بجوده قطراتِ اللفظ التى إذا وضعهاَ حاملُ قلمه، نادتْها القريحةُ:

(يَا أُختَ خَيْرِ أخٍ يا بِنْتَ خير أبِ (٩٥)، (بمنه وكرمه).

فكتبت أنا الجواب إليه:

أُقسمُ بكلمات مولانا التى مالها مثلٌ على تكاثُرِها فى العَصْرِ، وبمعانيها التى تَفَرَّدَتْ بالجمالِ، فلا جمْعَ بينها وبين مُخدَّرَاتِ القَصْرِ، وبسُطورِ ألفاظها التى هى أشْبهُ شىءٍ بالأغصان ذوات الهَصْرِ، وبطَلاوةِ تراكيبها التى ثبتتْ (٩٦) بيْدا مُجارِيها، وفازَت هى بالنّص على النصر، وبانسجامِ عباراتِها التى طارت حمائمُ همزاتِها الساجعةَ، ورَمَتْ غيرَهَا بالحَصْ والحَصْرِ، لقد حلَّ مولانا فى حلَبةِ الفضل، إلا أن يكون قد جلَّى، وسابق فحُول هذه الصناعة حتى سلَّمَ كلٌّ له الفضلَ عندما صلَّى (٩٧).

(من البسيط)

أنَّى تُجاريهِ فُرْسَانُ الكلام ومن غُبَارِهِ فى هَوَادِيهِنّ ما نفضُوا) (٩٨)

فابنُ زيدونَ عند بلاغته منسوبٌ إلى النَّقصِ، وصاحبُ الأغانى (٩٩) عند اطّلاعه يهتَزُّ بالطَرَبِ والرَّقص، وابنُ بسّامٍ قطّب من حَسده وعبَس، والميدانىُّ كفَّ عنانه عن مُجاراته وحبَس، والقالى رُمى عند ألفاظه بالعىِّ والخَرَس (١٠٠)، وابنُ الأثيرِ منْ حلِّ نظمه أصبحَ فى الحَضيض، وابن أبى الحديدِ (١٠١) من فصاحتِه، بعد قُواه، أصبح وهو مَهيض، وابنُ عَميرةَ(١٠٢) أمست أبياتُ نظمه وهىَ خراب، وأبو بحرٍ غدَت قصائدُه، إذا التمحها الظمآنُ، مثلَ السَّرَاب (١٠٣) ولَعَمْرِى، إذا كان مولانا بهذه المثابة فقد نفخَ من المملوك فى غير ضرم(١٠٤)، وطاف من أركان إنشائه بغير حرَمِ.

(من البسيط)

لطفتَ رأيكَ فى برِّى وتكرمتى إنَّ الكريمَ على العلياءِ مُحتالُ

ولا بدْع فيما أتيتَ، فإنَّك من أهل بيتٌ كلُّ منْهم كريمٌ وكاتب، وذو فضل، يُصبحُ المتعلِّقُ بهذا الفن وهوُ راتعٌ فى جوده الرّاتب.

(من الطويل)

ليـــــهنكُمْ يـا آل غـــــانم نبْعَةٌ		لَهَا فِى رياض الفَضْل بالمَجْد أثمارْ
جـــمالٌ لأهْل العصْرِ حــاز مناقبـاً		تروقُ لَدى الأسْمــاع فـهنَ أسـمار
تطوفُ علَى الأسـماعِ كـاساتُ لفظه		فيَحْصُل للألبـــــاب منهُنّ إسكار
ويَخْلُبُ عــقْلَ المرءِ ســحْرُ بيــانه		ومــا كُلُّ منْ عانَى المــعـانِى سحّار
ومـــا أنتمُ إلاّ ســمَاءُ فــضـائلٍ		مــحــاسنُه فــيكمْ شُمُوسٌ وأقَمــار

فاللّه يمتّعُ الوجودَ بفضائله، وينقل إلى النّغمات السّحريّة شمَائل لُطفه، ولطف شمَائله، ويَجْبُر صدعَ الأدب بفضائله الباهرة، ويُحلّى عطَل الآداب، من خطّه وخطابه بالعقود الفاخرة، بمنّه وكرمه.

وكتب إلىّ وقد مرض فلم أعده: (١٠٥).

(من الكامل)

مَوْلاى كيْف كسَرْتَنــــى فَهَجَرْتَنــــى		علمْـــــنا بأنّى كيـف كُنْتُمْ راض؟!
أوَ قُلْتَ إنّى لا أعـــود مُمــرّضـــاً		ظنّا بأنّى لا مــحـــالةَ مــاضٍ؟!

فكتبتُ الجواب إليه:

(من الكامل)

أرْسلْتــهـــا مــثل السّهــام مَوَاضى		نفَذتْ مــن الأعْراضِ فــى أغْرَاض
فأتتْ، وعتــبُك قــد تخلّل لفظَهـــا،		مــثل الأفــاعى بيْن زهرِ رياض
دعْنى من الجبروت(١٠٦) أوْ من أهله		لاتَجْعَلَنّ ســوادَهم كــبـيـاضى
حــاشاك أن تمضى وسَعْدُك قـد غـدا		مــســتـقـبلاً فينا، وأمـرك مـاضٍ

عبد الله(*) **(بنُ أحمدَ)** بن عبدِ الرحمن بنِ محمدٍ الشيخُ الإمامُ الفاضلُ الفقيهُ الأديبُ تقيُّ الدين الحنبليّ.

كتب إلىّ، وقد عمل نُسخةَ صداقٍ، فعاب ذلك عليه بعضُ الناسِ، فبعث بالنُّسْخة المذكورةِ، ومعها (هذه الأبياتُ)(١٠٧)

(من البسيط)

مــاذا يُجــاوبُ أهلُ الفــضْل والأَدب ... وأهلُ مــــعْرفَةِ الأشْعَارِ والخطب؟
ومنْ إليـــهمْ من الأقطارِ قَاطبـــةً ... شــدُّ الرحـــالَ لنيْلِ العلمِ والأدبِ
ومن بهمْ يقْتدى في عصرِنا، وهمْ ... أئمةُ الــوقْت مــن عجْمٍ ومن عربِ
كُفـيتم شـر ذي جهْلٍ وذي حسـد ... ولا بليـــتمْ بـأفّاك وذى كذبِ
هل هذه خُطبةٌ ممنْ حـوى أدباً ... أو الذى قدْ درَى مـا خطَّ فى الكتُب؟
أو جاهلٍ مـاله علمٌ ومـعـرفةٌ ... أو الذى ليْسَ يدْرِى نَزْرَ مُكْتَتَب؟
أو هل ترونَ بهـا عـيْباً يدنسـهـا ... أو ركّةً، أوْ بهـا نوْعٌ من الحطب؟!
وهل إذا اتّحـدتْ أسْجاعُهـا(٣) فترى ... يحطُّهـا، أوْ به تعلُو على القطب
أو هل بهـا منْ مـعـانٍ لا تليق بهـا ... فى مثْلها، فاكشفُوا عن وجْه محتجب؟
بما تجيبونَهُ فيـهَا فقدْ كثُـرتْ ... فيـهاَ الأقاويل منْ قـوم بذَا السبب:
بعضٌ يقـولُ: بهـا عيبٌ وبعـضُهمْ ... يقـول: كـلا، وقـد صيـغتْ من الذهب
فـبــيّنوا لا عدمنا فضْلكم أبدا ... ولا برحْتُم لنـا فى سـائر النُّوب
هل الذى عـابهـا حقٌ مـقالتُهُ ... أوْجـاهلٌ بفنون النظْم والخطب؟
هل الذى قـال: إنّ الدُّرَ صـيغتُهـا ... يكونُ ممّنْ سـرى فى منهج الأدب
فـإنْ يكنْ قـد أجـادَ اللفظَ قـائلُهـا ... لهُ أجـيزوا، تَماولوا أعظم القـرب
نظْماً يـكـونُ جوابـى يـا أئـمّتـنـا ... يشْفى الصدور، ويجلو همَّ مُكْتـئب.

فكتبت أنا الجواب إليه ارتجالا:

(من البسيط)

سألتَ يا فارس الهيجاء فى الأدب ... عمّا أتيتَ به من أحسنِ الخطب
هلْ فى محاسنها عيبٌ لمنتقـد؟ ... أوْ هلْ تراكيبُهـا مطولةُ الطنب؟
وهلْ إذا كـان منها السجْعُ متحـداً ... تعلُو وإلا بـه تنحطُّ منْ صبب؟
فحاش لله مـا فيـهـا سوى دررٍ ... تنظمتْ فـوق جيدِ الخُرّد العرب
ونثْرُها رائق مـا عنده كـدر ... بل قـدْ حلا فغدا ضرْباً من الضرَب
وكـونُه جـاءَ فى حرْف يدلُّ على ... تمكُّن القوْل حتّى انهلَّ بالسُّحب
تغْذو بهـا اللام عنتْ لام فى جُنَن ... ومـا لهـا فى سمـاع القوْل من أرب
يفتر مبسـمهـا فى القـول عن دررٍ ... وعن أقـاحٍ وعنْ طلْع وعن حـبب
قدْ غـدتْ فى رياض الحُسْن وجـمنهـا ... حمّـالة الورد لا حمّالة الحطب)(٤)
وبينهـا عند من يدرى مـحاسنهـا ... وبين درِ الدّياجى أقـربُ النّسب
مـصقولة كـغرار السّيف أرهفـه • ... فى حـدّه ذو بيـانٍ قـاطعٍ ذرب
فليْس تحتـاج ذا خطٍّ يـؤيدها ... (فالسّيف أصدق أنباءً من الكتُب)(٥)
قـدْ كدتُ أنشـدها لما خلوت بهـا ... يا أخت خيرِ أخٍ يا بنتَ خيرِ أب)(٦)

وكتب هو إلى أيضا قبل وصول جوابى هذا إليه:

(من البسيط)

منْ رامَ ربعَكَ ماخابت مقاصدُه … ومَن حياضَكَ قدْ طابتْ مواردُه
يامنْ غدا وهوَ فرْدٌ لا نظيرَ لهُ … وراح وهو بهذا القصْرِ واحدُه
حزْتَ البلاغةَ، لو قُسُّ بنُ ساعدةٍ … يروم مسائلتهُ ما طالَ ساعدُه
قدْ شاعَ فضلُكَ فى الأقطار قاطبةً … يا منْ غدا وهوَ فى ذا العصرِ ماجدُه
يا منْ غدا فى مراقى المجد مُرتقيا … وراح بالذُّلِّ والتبريح حاسدُه
إنّى سألتُك يا ذا الفضل مسألةً … وأنتَ منْ لمْ يخبْ فى الناس قاصدُه
سألْتُ عن خُطبةٍ قد بتُّ مقترحاً … بديعَها إذْ نأتْ عنى شواردُه
قدْ أصبحَ العبْدُ من طُول المدَى قلقاً … وقد غدا وهوَ فرحانٌ معانِدُه
فإن أجبْتَ ففضلٌ منك يغمرُنى … وإنَّنى عارفُ الإحسانِ حامدُه
وإنْ يكنْ عاجلاً فهوَ المرادُ، فقدْ … طالَ المطالُ، ولم يظهرْ شواهدُه
واسلَمْ ودمْ لا برحتَ الدهرَ فى دعةٍ … ومَنْ يُعاديك لمْ تنجحْ مقاصدُه

فكاتبا أنا الجواب إليه ارتجالاً

(من البسيط)

يا فارساً كلَّ عنهُ منْ يطاردُه … وفاضلاً ضلَّ عنهُ منْ يُجاودُه
أبدعتَ فى النَّظم من بعدِ الخمول له … طريقةً، نفقَتْ منها كواسدُه
أقصرْ فقدْ صحَّ لى أنّ البديع غدا … تُلقى إليكَ من العليا مقالدُه
نظمٌ بديعٌ خلا من ركّةٍ وغدا … من رقّةٍ، وهوَ حالى الثغر باردُه
يظلُّ يخلبُ لبَّ السامعين له … إذا تجلتْ لهم منه ولائدُه
من أجلِ ذا وجبتْ للفضل منك على … أهل القريضِ الذى يزْهى محامدُه
أمَّا الجوابُ فإنّى لمْ أخلَّ به … وحالةُ الوقتِ لم تُهمل مقاصدُه
وجهّزْتُه على جهلٍ قريحتى الـ … قرْحى وعذْرى على التقصير شاهدُه
لأن أمرى بادٍ فى الورى، فلذا … تُجرى على حللٍ منّى عوائدُه
فإن تُسامحْ فبالحُسنى، وإن تَرد الـ … مواخذات فزيفٌ أنت ناقدُه
واسلم لفنٍّ مضتْ فى الناس بهجتُه … وأنت فينا على التحقيق واحدُه.

وكتب هو إلىّ بعدما وصل الجواب الأول إليه.

(من البسيط)

أجبْتَ يا حبْر علمٍ عالىَ الرُّتب … جواب حبرٍ عليمٍ جدَّ فى الطلَب
حزْتَ البديعَ وحسْنَ الخطِّ معْ كرمٍ … فشاع فضلُك بين العجم والعرب
أحييتَ قلبَ كئيبٍ شفَّه سقمٌ … أطفأت نار الذى أشفى على عطب

شفيت غلته، أبرأت علته … كثرت قلته يا واحد الأدب
إذا تأمل رائيه لناضره … وما حوى من معان تاه من طرب
كأنما اللفظ درٌ راح منتظما … بحسن خطّ إلى ياقوت منتسب
كأنه النور في روض، سرت سحراً … عليه سارية تنهلُ في صبب
وباكرته الصبا في ذيلها أرج … ففتحته (١١٣) فأضحى غاية العجب
أزهى من الروض مرآه ومنظره … وذوقه قد غدا أحلى من الضرب
لقد غدا عبدكم بالعز مشتملاً … وراح حاسده بالويل والحرب.

وكتب هو إليّ أحسن الله إليه.

(من الكامل)

زمن تقضىّ بالحمى وربوعه … أترى يجود الدهرُ لي برجوعه؟!
يا راحلين عن المحب نزلتم … بفؤاده، وقطنتم في روعه
هل عودة بالوصل تشفي سقم من … وصف الطبيب له الدوا بنقوعه؟
حسبي من الهجران يا من حسنه … أزرى ببدر التم عند طلوعه
شردت عن قلبي الكئيب قراره … ومنعت طرفي من لذيذ هجوعه
جد بالوصال لمستهام واله … صب، تخدد خده بدموعه
وارحم كسير القلب، واغنم أجره … واجعل وصالك جابرا لصدوعه
هاقد أتاك بذلة وتخضع … فارفق، ورق لذله وخضوعه
أو ما تخاف الله في صبّ غدت … نار الفراق، تشب بين ضلوعه
ها قد شكوت إليك إن لم تشكني … ويزول عن قلبي أمض هلوعه
فليشكون العبد ما قد مسه … من شدة البلوى إلى مقروعه(١١٤)
بحر العلوم، وحبرها، من صيته … عمّ البلاد جميعها بذيوعه
أعني صلاح الدين سيدنا الذي … فاق الورى بأصوله وفروعه
منه ينابيع العلوم تفجرت … فالناس يستسقون من ينبوعه
وله اليد الطولى، وكل مصنف … قد فاق أهل الفضل في مشروعه
ما في البرية مثله في عصره … كم بين آساد الشرى وسموعه (١١٥)
أيشبه البحر الخضم بجدول … أو ليث غاب مشبل بدروعه (١١٦)
هو فارس يوم النزال مسربل … من كل قول واضح بدروعه
فيراعة، ويراعة، وبلاغة … وسجاعة (١١٧) قد فاق في مجموعه
ما المزن يحكي جوده في جوده … ونداه قد فاق الحيا بهموعه
تغني الملوك عن الكتائب كتبه … فبها يفر عدوهم بجموعه
يا من يروم لحاقه لا تطلبن (١١٨) … ما لا حقيقة في الورى لوقوعه

منْ ذا يبــارى الرِّيح عند هُبــوبهـا ... أم منْ يجــارى البـرق حين لُمــوعه؟
يا ملجأ الطلاب، يا كـــهف الورى ... أيقظت هذا العلم بعد هجـــوعـــه
إنْ جــاءَ قول فــيـــه خلفٌ مـشكلٌ ... أوضحْت مــا قــد شذَّ من مــسمُوعه
مـــا إنْ ســألنا قطُّ علماً غــامـضاً ... إلا وكنت مُقـــرِّبا لشـــمـــوعـــه
يا أيهـــا البـــحــــر الذى منْ أمَّهُ ... أمن الزَّمـــان وطوله من نُوعــه(١١٩)
أخملتَ ذكـــر ذوى البـــلاغـــة كلهم ... وضـيـــاءهم أخـمـدتَ بعـد سطوعـه
فالجـــوهرى صــحــاحــه قــد كُسِّرت ... وغَدت بسُوق كَســادها كُجـــزوعـــه
وكـــذا البـديعُ لديك أضحى خَامـــلا ... عـــدل الأنامُ إليك عنْ موضُوعـــه
وغــــدا المَعـــرّىُّ الذى عـــرِّيتـــه ... حُلل اللغـــات مُضـــرَّجا بدمـــوعـــه
وكـــســـرْت منوال الحـــريرىِّ الذى ... قــد أعــجــز النســاج عن مــصنوعـه
وعلى قــــدامــــة لا تزالُ مــــقــــدَمًا ... ولّت بـه الأقــــدام عند قُزوعـــــه
وقَناة حــمَّام النُّصـــيــــر كسرْتَهـــا ... وقطعت عنه الماء عن ينبـــوعـــه
نـورُ السِّراجِ بنفــــثـــــة أطفأته ... فغدا الظلام مُخـــيـــمـــا بربوعـــه
والفـــاضلُ القاضى تبـــيَّن نقصـــه ... وعن الرياض أُذيذ بعـــد رتُوعـــه
فـــقتَ الأنامَ بســـؤددٍ وســـيـــادةٍ ... كـالعبد إذ فـاق الورى بقُطوعـه (١٢١)
قـــــــد أخَّر المـمـلـوكَ حظٌّ أسودٌ ... كـيف احـتـيـالى فى القَضا ووقُوعـه
إنِّى التـــزمتُ الرِّدفَ قــبل رؤيهــا ... كــالصَّبِّ يلزم حبــه لرجـــوعـــه
خــذها صــلاح الدين نَفْثة قــاصــرٍ ... يومْ السِّباق على مطى مهْلوعه (١٢٢)
لا زلـــت فـــى نِعـــم دواماً سرْمدًا ... ما الطير غرد مسْحرًا فى شُوعه (١٢٣)

الحمد لله رب العالمين (١٢٤) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وعترته وسلم.

عبد الله (*) **بن محمد القاضى** الفاضل ولى الدين بن قاضى القضاه بهاء الدين أبى البقاء، موقِّع الدَّست الشريف بالشَّام المحروس. كتب إلى ملغزاً

(من الوافر)

ومـــا اسمٌ يـاإمـــامَ العصْر حـــقَّاً ... ويا من حـــاز إحْســـانا ولطفـــا
ثـلاثـىٌ إذا مـــــــا الثُّلْثُ مـنـهُ ... أبين غـــدا يراه الناسُ حرْفـــا(١٢٥)
ومعْ عكسِ الحـروف يصـيـر فـعـلاً ... لأنثى قـــد ثنت جيـــداً وعطفـــا
وإن صـحـــفـــتـــه من بعْد عكسٍ ... فدعه الأكبر الأعداء وصفا (١٢٦)
يرى فـــوق الثلوك بلا مــــراءٍ ... وكم قــدْ حــاز تشـريفاً وظرفـــا
أجبْ فلســـيـــدى فكرٌ دقـــيقٌ ... عليـــــه مثلُ هذا ليس يخفى.

فكتبت أنا الجواب (إليه) (١٢٧) وهو فى تاج:

(من الوافر)

لقد أتحفتنى ببديع لفظ حكى زهر الربا لطفا وعرفا
أدرت به على كئوس نظم كان مزاجها عسل مصفى
أراه باح بالتصحيف حتى لقد كشف المغطى منه كشفا
فصرت، وقد أتانى، رب تاج تزف له معانى النظم زفا
وبات نضاره للجيد طوقا وأصبح دره للسمع شنفا
فدمت تجد للآداب رسما عفا، وتجيد در الشهر رصف.

عبد الباقى* بن عبد المجيد بن عبد الله بن أبى المعالى متّى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن يوسف، الشيخ الإمام الأديب، الوزير تاج الدين اليمنى، وزير الملك المؤيد داود صاحب اليمن.

كتب بالقاهرة على كتاب جنان الجناس فى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة:

(من الطويل)

جنانُ جناسٍ فاقَ جنسَ جنانِ بعينِ المعانى فيه جلُّ معَانِ(١٢٨)
لقد نوّع الأجناس فيه مؤلفٌ طرائقَ وشيٍ، أو سموط جمانِ
غدا ناهجاً فيه مناهج لم يكن قدامةُ قدماً جاءها ببيانِ
مقاصدُ ما نجلُ الأثير مثيرُها بدائعُ فضلٍ من بديعِ زمانِ
محرّرةُ الألفاظ لكنّ حسنَها رقيقٌ، ينسّينا جليلَ حسانِ
إذا ابنُ فتى نجلُ الحديدِ أرادها تقولُ له: أقصر فلستَ بدانِ
وما أنت ممّن يسبكُ التبرَ ناقداً وما لك فى سبكِ النضارِ يدانِ
لقد أطربتْ أبياتُه كلَّ سامعٍ فرائدُ ما جاءتْ لهنَّ ثوانِ
تفوحُ بأرواحِ الصبا نفحاتُها حظيرةُ بانٍ عند حضرةِ بانِ
لقد صيّر الحسّاد تذرفُ عندها مدامعَ شانٍ فى محاجرِ شانِ
أقولُ لنظمى حين حاولَ شأوَها (رفيقُك قيسىٌّ، وأنتَ يمانِ)(١٢٩)
بقيتَ صلاحَ الدين للفضلِ صالحاً لحسنِ بيانٍ من يراعِ بنانِ

فكتبت أنا إليه:

(من الطويل)

لآلِ غوالٍ من حلىّ غوانِ وترجيعُ بمْ بعدَ خفقِ مثانى؟!

أم الشيخ تاج نظم شعره ... فما زهر روض من جلاه بدان؟!
إمام زمام الفضل أضحى بكفه ... يصرفه يومى ندى وبيان
وزير بتدبير الممالك عارف ... غدا الناس فى أيامه بأمان
إذا هو جارى الغيث يوم سماحه ... فذاك أوان ليس فيه بوان
يشيد مبانى المجد فى حومة العلا ... بهز يراع أو بسل يمان
فأقسم ما أثنى على ما وضعته ... بشعر، ولكن بالجنان حبانى
جناس بديع لو تقدم عصره ... أبان لنا فى ذاك عجز أبان(١٣٠)
فشكرى ما وفى حقوق صنيعه ... وكيف بشام شام برق يمان؟!

عبد الرحمن (*) بن محمد بن أحمد بن عبد الكريم القاضى البليغ تقى الدين بن القاضى الإمام الفاضل البارع النحوى محب الدين، كاتب الإنشاء الشريف بالديار المصرية المحروسة.

كتبت أنا إليه من الشام المحروس، وهو بالقاهرة المحروسة، أول دخوله الديوان:

(من البسيط)

جملت بالفضل للإنشاء ديوانا ... وشدت للمجد يوم الفخر أركانا
فسوف يفتر ثغر الدهر مبتسما ... عجبا، ويعطف منه القد نشوانا
أحببت يا ابن محب الدين صنة من ... قد أصبحوا فى مجال الفضل فرسانا
قوم إذا ما المعالى استشرفت لهم ... كانوا لها من جميع الناس أخدانا
ديوان الانشاء عين للزمان وقد ... (أصبحت أنت لتلك العين إنسانا)(١٣١)
وفيه من سادة الكتاب طائفة ... كم ألبسوا الملك بالإنشاء تيجانا
وقلدوا بالتقاليد التى نظموا ... حليها جيده درا ومرجانا
وينظر الناس روضا منهم نضرا ... وينشقون من الأقلام ريحانا
فاجهد على أن ترى فى العقد واسطة ... وأنا تكون محلا فوق كيوانا
وليس إلا علوم إن ظفرت بها ... تسحب ذيول العلا من فوق سحبانا
ورأس مالك فيها النحو، فانح له ... إن شئت تملك للانشاء أرسانا
حافظ على الدرس والإعراب فهو إذا ... حققت من أكبر الآلات أعوانا
ولا تفارق حمى التصريف إن له ... فلات قوم حكت رضوى وثهلانا
وما يضرك من حفظ الفصيح ومن ... بعض المقامات إن جانبت نقصانا
وسنة المصطفى خذ من معادنها ... جواهرا، فضلت فى الصرف عقيانا
وللحماسة قوم فى الكتابة قد ... (طاروا إليها زرافات ووحدانا)(١٣٢)

واحفظ من المتنبى ما استطعت تجد ... (أو فى البرية عند الشعر ميزانا (١٣٣)
ما فى الترسل كنز منه ينفق إلا ... (م) شعره، وسواه راح مجانا
وما الترسل إلا نثر سيدنا ... عبدالرحيم فخذ للحسن ألوانا
فاجعله دأبك واعقل من شوارده ... أو ابدًا لم ترد فى الحسن برهانا
طريقة هي مثلى فى الأنام فما ... أرى سواها مثالا قط أعيانا
وانظر تواريخ أقوام، حديثهم ... للمجد نشط من قد راح كسلانا
وأكثر مطالعة الآداب تحظ بما ... زان البليغ وحلاه وما شانا
وليس مثل الأغانى فى مطالعة ... لأنه من جميع الكتب أغنانا
وما البديع بعيد أن يطرز ما ... تأتى به يا تقى الدين إتقانا
هذا يسير، ومثلى من يشير به ... على الذى قد غدا بالعلم هيمانا
فاحفظ كلام محب ناصح جعل (م) ... النصح الحقيق له دينا وإيمانا

فكتب الجواب إلى عن ذلك:

(من البسيط)

من كان محبوبه للهجر يقظانا ... قد بات يرعى نجوم الليل هيمانا
صب بمصر يروم القرب قد تخذت ... أحبابه بأعالى الشام أوطانا
مضنى، كئيب، معنى، مغرم كلف ... لا يبتغى أبدًا فى الحب سلوانا
مازال يخفى عن العذال لوعته ... ويظهر الصبر تمويهًا وكتمانا
حتى غدا دمعه القانى ينم على ... كتمانه، فأعاد السر إعلانا
إن كان أحبابنا بالوصل قد بخلوا ... (وأورثوا القلب بالإبعاد أحزانا (١٣٤)
(فلست أشفق من دمعي علي بصرى ... لأن كل عزيز بعدهم هانا)(١٣٥)
من حقق الأمر فى دعوى محبته ... فقد أصم من العذال آذانا
ومن يكن لصلاح الدين نسبته ... فقد غدا لابسًا للعلم تيجانا
بحر العلوم، ومن ساد الزمان به ... لما علا رتبًا من فوق كيوانا
يريك زهر النجوم الشهب قد نظمت ... من نظمه، ويريك السحر ألوانا
رقاع منثوره إن رمت تنعتها ... فروضة أنبتت درًا ومرجانا
إذا تناول قرطاسًا ليرقمه ... بذت بلاغته قسًا وسحبانا
يا من فضائله تسرى مغربة ... فلايزال سناها منه يغشانا
أتحفتنا بوصايا منك نافعة ... وزدتنا بوضوح الأمر تبيانا
أقول قول الذى أعيت صفاتكم ... مقاله، فمضى فى المدح حيرانا:
(قد شرف الله دهرًا أنت واحده ... وشرف الناس إذ سواك إنسانا(١٣٦)

عبد القاهر(*) بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن موسى الخطيب قاضى القضاة بصفد المحروسة أبو بكر جمال الدين البخارى التبريزى الشافعى.

قرأت عليه مجلدة(١٣٧) أنشأها خطبا، ورتبها على حروف المعجم من أولها إلى آخرها بصفد المحروسة، سنة أربع وعشرين وسبعمائة وكتبت عليها: قرأت هذه الخطب(١٣٨) المسرودة على حروف المعجم من أولها إلى آخرها على منشئها(١٣٩) القاضى جمال الدين عبد القاهر ابن محمد التبريزى(١٤٠) الشافعى لازالت الطروس توشي وتوشع بكلامه (وأقلامه)(١٤١) وتُرَصَّفُ وترصع بحكمهَ وأحكامه، ومحاسن أيامه ولياليه تنشى وتنشد ودُرر نثره. ونظامه(١٤٢) تنظم وتنضد. قراءة من غاص باللجة من بحر حبْرها، وعلم قيمة المُنْتَقَى والمُنتقدِ من دراريها ودرْها، واستشف معانيها المجلوّة فى حبرِ حبرها، وصدق معجز. أبياتها وما شك فى خَيْرِ خُيْرِها، واستجلى وجوه عُربها وتوجيه أعرابها، وتحقق أن القرائح ما لها طاقة على مثلها فى بابها وتنزه فى حدائقها التى ضُربت عليها أرواق الأوراق، واجتلى أبكارها الغر فكانت حقيقة فتنة العشّاق، فسرحت سوام الطرف فيما أرضاه من روضاتها، ورشفت قطر البلاغة مما زُهى من زَهَراتها.

(من الكامل)

وتشنَّفَتْ أذنى بلؤلؤ لفظها ... وتنزهت عيْناى فى جناتها(١٤٣)
وتأملت أفهامنا فتمايلت ... بترشف الصَّهباء من كاساتها
فكأنَّ همز سطوها بطروسها ... ورقٌ على الأغصان من ألفاتها
وكأنها وجناتُ غيدِ نَقْطُها ... خالٌ على الأصداغ من جيماتها
لله ما أطرى وأطرب(١٤٤) ما أتى ... فى هذه الأوراق من سجعاتها(١٤٥)
لا غرو إن عقدت لسان أولى النُّهى ... عن مثِلها، بالسِّحْرِ من كلماتها.

فكتب إلى:(١٤٦)

(من الكامل)

شرَّفتَ غرس الدين حين قرأت ما ... أمليتُ من خُطَبِ أجدتَ ثباتها

بفصاحة لو أنَّ قُسًّا حاضرٌ لرآك تسبقه إلى غاياتها
يا فخر دهر أنت من بُلغائه وعلا(١٤٧) لبالٍ أنت من ساداتها
خُطَبِي التى أنشأتُها ما أنتَ خُطابها، فتجافَ عن علاتها
عظَّمْتَها، وبررتها، وجبرتها وغفرتَ ماقد كان من زلاتها
فلانت أكرم فاضل لمّا بدتْ لعيانه غطى على عوراتها
فاسلمْ ودمْ ما رنّحت ريحُ الصبا أعطافَ غُصنِ الروض فى هبّاتها.

وأنشدنى لنفسه فى الشبابة(١٤٨)

(من الوافر)

وناطقة بأفواه ثمانٍ تميلُ بعقلِ ذى اللُّبِّ العفيف
لكلّ فمٍ لسانٌ مستعارٌ يُخالفُ بين تقطيع الحروف
تخاطبنابلفظ لا يعيه سوى من كان ذا طبع لطيف
فصيحة(١٤٩) عاشقٍ، ونديمُ راعٍ وغرّة موكبٍ، ومدامُ صوفى.

فأنشدته لنفسى مُلْغزاً فى الكمنجا(١٥٠)

(من المجتث)

ما اسمٌ إذا خفتُ همًا رأيتُ لى فيه منجا
يشْدو(١٥١) بلحن عجيب من الحمائم أشجى
كم قد شجاك بصوتٍ حروفه ما تهجى
إن لم تجن لك طوعًا فى الحل فهو كمن جا

فأعجبه ذلك وزهزه وطرب(١٥٢)

عبدُالوهّاب(*) بنُ عبدِ الرحيم بنِ عبدِ الله القاضى فخرُ الدين، كاتبُ الإنشاءِ الشريف بالدّيار المصرية، يُعرف بكاتب الدَّرج، لأنه يكتبه عن نظّار الخاصّ(١٥٣) الشريف من القاضى جمال الدين، جمال الكفاءة، ومن بعده إلى آخر وقت.

كتبت إليه مُلغزا بالأبيات التى تقدمت فى ترجمة الشيخ شرف الدين(١٥٤)، وهى فى شهر رمضان، وكان القاضى فخر الدين قد ورد الشام صُحبة ركابِ السلطان الملك الصالح فى ذلك الشهر.. وأولها:

(من السريع)

يا فــاضــلاً أخــبــارُ أشعَارِه (مَشْهُورَةٌ فى العُجْمِ والعُرْبِ)(١٥٥)

فكتب هو الجواب إلىّ عن ذلك(١٥٦):

(من السريع)

يَا بَحْرَ أهْلِ الــعِلــم يَا حَبْرَهُمْ وذَا(١٥٧) الــنّدَى والمَوْرِدِ الــعَذْبِ
يَا كَوكَبَ الفــضــلِ الّذى نورُهُ يَظْهرُ عــن بُعْدٍ وعــن قُرْبِ
يــا سيِّدًا بــالــقُربِ مــن بــابِه غفَرْتُ مــا لِلدّهْرِ من ذَنْبِ
يــاحَائزًا كــلَّ عــلــومِ الــورَى وجــائزًا فــوقَ مَدَى الشُّهْبِ
يــا بَاسِمَ الــثَّغْرِ، ويــا جَائدًا لــراحَةِ الــصَّاحِبِ بــالجَنْبِ
يا رائقَ المنطقِ، يا صــادقَ الْـ مِقْيَاسِ(١٥٨) فى الإيجــابِ والسّلْبِ
ومَنْ لــه النَّظْمُ البــديعُ الّذى يَسْبِى، وأرْبَابُ الــنُّهــى تُصْبِى
فــى كــلِّ بَيْتٍ مِنــه سَامِى الــبِنَا يــقــول لــى طَرْفِى : هُنَا قِفْ بى
هَنَّأتُهُ شــهــراً شــريفًا أتَى الْـ ـقــرآنُ عــن تفْضِيلِه يُنْبِى
تَقَبَّلَ اللهُ تــعــالى بِهِ أعْمَالَكَ المُرْبِحَةَ الــكَسْبِ.

وكتبت أنا إليه قرين دِفْترٍ من الورقِ الأبيض :-

(من المجتث)

لمــا رأَيْتُكَ بَحْرًا ومــوْجُهُ مُتَوَالِ(١٥٩)
يمــجُ دُرّ قَرِيــضٍ عــلــى ممــرِّ الــلَّيَالى
أهــدَيْتُ نحــوكَ دَرْجًا(١٦٠) لــضَــمِّ تــلــكِ الــلآلى.

فكتب هو الجواب عن ذلك :(١٦١)

(من المجتث)

بالغت في إخجالي ... بفضلك المتوالي
فحزت، ما بين شكري ... فوائدا، ونوالي(١٦٢)
والدرج قد جمع الحسن ... عاطلا وهو حالِ
وسوف يملأ مدحا ... بجودك المتتالي
ومن محاسن تملي ... منكم بغير ملالِ
تالله يقصر قالي ... عن شكر تلك الأمالي.

عبدُ الوهاب(*) بن علي بنِ عبدِ الكافي، تقدم تمام النسب في ذكر أَخيه الشيخ بهاءَ الدين، أحمد(١٦٣)، هو قاضي القضاة الإمامُ العالِمُ الفاضلُ المُفَنَّنُ النَّاظمُ الناثرُ الشيخُ تاجُ الدّين أبو نصرٍ بنْ مولانا قاضي القضاة تقيّ الدين السُّبكيّ الشافعيّ.

كتب هو إلي من دمشق المحروسة وأنا بالقاهرة المحروسة في سنة خمس وأربعين وسبعمائة:

(من السريع)

غابَ صلاحُ الدين عن جلّقٍ ... فغابَ عنها العلمُ والفضلْ
واستوحشَ الشّامُ له واغتدتْ ... مصرُ به ليس لها مثلُ
قد عمرتْ كلُ الأراضي به ... وطابَ منها الحزنُ والسهْلُ
إن حلّ مصرًا فهْوَ نيلٌ لها ... أو جلّقًا فهْوَ لها وبْل.

يُقَبِّلُ كذا الغالي قَدْرُها، العالي ذكْرُها، وينهي بعد دعاءٍ ما أحرصَه على كونه فيه يُخلص، وثناءٍ ما أخلصَه من مُحبٍّ صادقٍ عليه يحْرِص، أنَّهُ منذ سافرَ مولانا وإلى هذه الأيام، التي هي عنده أعْوام، ما طاب له في هذه البلدة مقَام. وقد كتب هذه المطالعةَ تُنْهي بعضَ الأشواق، وتُبْدي ما حصَلَ لرافعها بسبب الفراق، فأصدرها تُعلِم استمرارَهُ على العبودية وتَستَعْرِضُ ما يَعْرِض من الخدَم العليّه، ليفوزَ بقضائه إياها، وتقْتضي بعضَ الواجب عليه بقضاياها، فإنه لم يزلْ في قلَق يمنعه النّوم، وفكرٍ يتجدّدُ له في كلّ يوم، حتي سَمِعَ أنْ مولانا

يُشرِّفُ بالحضور بعد العيد، وكان يومُ سماعه إياه عنده هو العيد،واطمأنَّ خاطرُه الّذى كان فى كل وقت همُّه يزيد. والله تعالى يُديمُ ظلَّه المَديد، ويُبْقِى على المسلمين إحسَانَه العَديد، حتى يقولَ فى كل يوم مُحسناً «هل من مزيد»(١٦٤) . بمنِّه وكرمه.

فكتبت أنا الجواب إليه :

(من السريع)

إنْ غِبْتُ عن جِلّقٍ يوماً فقد	رَجَوْتُ أنْ يَجتمعَ الشَّمْلُ
وليْسَ عَنْ عودى إليها غنىً	لأنّها ليْس لها مِثْلُ
فإنّكمْ شرّفْتُمْ ربْعَها	وامتدّ للناسِ بها الظِّلُّ
وهَكَذَا مِصْرُ. سقاها الحَيَا .	كانَتْ بِكُم تَفْخَرُ من قَبْلُ.

يُقبِّلُ الأرْضَ لا أبعدَ الله عهْدَها، ولا أنْسَى القُلوبَ وُدَّها، ولا أعدمَ الأَولياءَ ظلَّها ولا رِفْدَها، ولا حَرَمَ السحائبَ الهاطلةَ أن تستمدَّها، ويَصفُ أشواقَه التى تستعيرُ النارُ وقْدَها، ومحبَّتَه التى ما قَطَعَها جورُ البُعْدِ ولا صدَّها، وعُبوديتَه التى ما أدّتْ شهادَةَ إخلاصِها عند حاكمٍ فردَّها. ويُنْهِى ورودَ المشرَّفِ الكريمِ، فوقفَ لهُ مُنْتَصِباً، وخفّفَ عنه برؤيته وَصَباً، وذكَرَ أيَّامَه بدمشقَ، فهامَ وجداً بها وصباً، وفضَّهُ فاستَخَفَّه الإعجاب به طرباً، وشاهَدَ سُطورَه فقال: هكذا تكونُ الرِّياض، وعايَنَ لُطْفَهُ فقال: هكذا يكون الصِّبا، وانتهى إلى ذلك الإحسانِ الذى أَلِفَه، والفضلِ الذى ما أنكرَهُ منذ عرفَه، والخيرِ الذى لا يُفارِقُه، وكيف تُفارِقُ الموصوفُ الصِّفَه.

فأمّا الأبياتُ اللاميَّةُ فإنه سجَدَ خاضعاً لها فكرُه، وقرَّبَها، لمَّا قرَّ بها قرارُهُ، وسرَّ سِرُّهُ. وعَلِمَ أنّ مولانا بحرٌ وهذه السطورُ أمواجُه، وهذه لألفاظُ دُرُّه، وقال: إن طِرسَه روضٌ، وكل سطر فيه نهرٌ يحفُّه من الكلامِ زَهَرُه، ثم استدرك الصَّوابَ، وقالَ: (لا)(١٦٥)، بل أُفقٌ، ومدادُه ليلُه، ومعانيه أَنْجُمُه، والسَّجْعُ يقول: زُهْرُه. فالله يُمَتِّعُ الوجودَ بهذه الفوائدِ التى جواهرُها تاجيه، والمحاسِنِ التى إن لَم نَكُنْ نَكْتُبُهَا فى الفقه سِرَجيِّه، فإنَّها فى الأدبِ سِراجيه(١٦٦) . بمنِّه وكرمه، إن شاء الله تعالى.

(من مجزوء الكامل)

ولما وقف على قولى قديما :

يا خَجْلَتَا لجـــرير(١٦٧) مــــنْ فـــــولٍ كفَانا الله عارَه
(طَرَقَتْكَ صـــــائدةُ الـفُؤا د، ولَيْسَ ذا وَقْتَ الــــزِّيارَه)
هــلْ كـــانَ يَلْقـىْ إنْ(١٦٨) أتــــا هُ خيالُ منْ يـهـــوى خسارَه؟!
أو كـــــان قـلـبٌ قــــد حوا هُ مـن حديـدٍ أو حـــجارَه؟!

ـ رأيتُهُ قد كتب: لمّا رأيتُ جُرأةَ جريرٍ فى الحب وجسارتَه، حيثُ طرَدَ الخيالَ حتى نادَى المحبُوب بإخسارتِه، وعجب العاشقون الذين ما منهم إلاّ من يتمنّى التّعلقَ بحبال الخيال، ويتعنّى فى ترجيه ويرى عناءه لذةً، ولو ركب فى طلبه جياد الجبال، ويتغنّى بذكره ولو حمل فى طريقه أثقلَ عبْءٍ، وذاقَ أمرَّ أمر، ويقول: إنه حلْوٌ على ما فيه، وما يبْعُد فى قوله، إذ ليْسَ هُوَ أمرٌ من الصبر فى قولِه :

(من الكامل)

(طَرَقَتْكَ صائدَةُ الـفُؤاد(١٦٩) وليسَ ذا وقْتَ الزّيارة فــــارْجِـــعى بسَلام)

وَرأيتُ ما رثَى له به فلانٌ حيث قال ـ وذكر(١٧٠) الأبياتَ المُتقدمةَ ورأيتُه أبدع فيه فما بَعْدَه كلمةٌ تُقال، وما أحسنَ ما رثى به لجرير فى هذه العثْرَةِ التى لا تُقال، يالَها من عثْرَةٍ خَجلَتْ لها عثْرَةُ المُحبين، وجرَت خجلا على جريرٍ من أجلها عبْرَةُ السامعين. لكن لمّا رأيتَ فلاناً، لم يذكرْ أبشَعَ مقَالتِه التى ما رأينا غيرَهُ بمثلها فاه، وهى قوله: «فارجعى»(١٧١) التـى أخذت من النّكارةِ أوفرَ نصيبٍ وأوفاه، قلت:

(من الكامل)

إنّى لأَعْجَبُ مـــن جَريـــرِ وقَوْلِه قَوْلاً غدَوْتُ بــــه أُنْكِرُ حالَه(١٧٢)
(طَرَقَتكَ صـــائدةُ الـفــؤادِ وليس ذا وَقْتُ الزيّارَة) فـــاســتَمِعْ أقـــوالَه
واعْذِرْ فَلَسْتُ بـقــــادرٍ والله أنْ أحـكِى الّذى بَعْدَ الـزّيـارَةِ قـــــالَه.

وقلت أيضاً[١٧٣] :

(من مجزوء الكامل)

هـــذا مـــقـامك يـــا جـــريـــر لدىَ أشنعْ مـــــا يـقـــــالْ
هلْ ثمَّ وقـــتٌ لـــيس يـــصـــلحْ للـزِّيارَة والـوصـــــــالْ؟
أم قيــــــــلَ قبلكَ فارجعي ولــــذاك ذنـــبٌ لا يُقال!؟[١٧٤]
أم كـــــانَ حبُّك كـــــاذباً فمنامُه ينفي الخيـــــــالْ؟!
أم كان قـــلــبُك مـــن حديـــدٍ لـيــس تؤذيـــه الـنبال؟!

وكنت قبل ذلك قد قلت[١٧٥] :

(من مجزوء الكامل)

يــا ليتَ شعـــري هـــلْ أحـــبْ جريـــــرُ إذ أبــــدى اعتذاره
إنْ كـــانَ يصـــدقُ حبُّه فالقلبُ منـه كـــالحــجاره
لا بلْ أشـــدُّ قـــســاوةً وانظــــر[١٧٦] لــه أبـدى عواره
إذ قـــالَ قـــولاً لم يـــقلْـه عـــاشقٌ أو ذو جساره
(طرقتكَ صـــائدةُ الفـــؤاد، ولـيــس ذا وقـتَ الـزِّيـاره)

وقلت :

(من مجزوء الكامل)

شكْراً لنوْمٍ بـــــالخيا لِ أتى فـــلي مـــنه الـبشاره
مذْ جاءَ طـيـــفُه في المنا مِ أزال مـــن عقلـــي خماره
ونعـــمتُ إذ هوَ خيرُ وصـ ـلٍ لا يُنـاظَرُ فـي الـنَّضاره
لا إثمُ فـــيـــه، ولا رقيـ ـبُ هـــاكمْ يُبْدى القَذاره
وفرحتُ لا كجريـــر قا لَ بقسْوةٍ مـــثلِ الحجاره
(طرقتكَ صـــائدةُ القـلو بِ، ولـيس ذا وقـت الـزيـارة)[١٧٧].

انتهى ما نقلته أنا (من)[١٧٨] خطه.

وقلت أنا أستدرك ما لمحه القاضي تاج الدين المشار إليه في هذه المقاطيع :

(من مجزوء الكامل)

أمـــا جـــريرُ فلمْ يكنْ صبّاً ولـــكنْ يدّعي[١٧٩]
أو ما تراهُ أتـــتْه (صا ئدةُ الـــفؤادِ) فلمْ يعِ؟![١٨٠]

بل قال جهلاً: (ليس ذا ... وقت الزيارة فارجعي)
لو كنت حاضر أمره ... قلت: ارجعي، وله اصفعي.

وكتب هو إليّ ملغزاً في نجم(١٨١):

(من المجتث)

يا أوحد العلماء ... وواحد الأدباء
بيّن لنا من يرى في ... ظهر الثرى والعلاء
وثلثه في عباب(١٨٢) ... وكلّه في السماء
وذو الحروف ثلاث(١٨٣) ... تبدو بغير خفاء
ونوره قد هدانا ... في ليله والمساء
مقلوبه القطع فيه ... عن سيد الأنبياء(١٨٤).

فكتبت أنا الجواب إليه(١٨٥):

(من المجتث)

يا آدب الفقهاء ... وأفقه الأدباء
ومن تقمص ثوبك ... للعلم أعرى الكساء(١٨٦)
ألغزت لي في مسمى ... بادي السنا والسناء
فتم لي طرفاه ... بسره ذي الخفاء
ثلثاه وصف لفضل(١٨٧) ... حويته باعتناء
يكون مرعى بأرض ... وزينة للسماء
ورأسه(١٨٨) حيوان ... في البحر لا في الفضاء
فاسلم ودم في نعيم ... وعزة ونماء

وكتب هو إليّ(١٨٩):

(من السريع)

يا أيها البحر الذي لفظه ... درّ، وعلم الناس من مده
وصاحب الطول الذي فضله ... قصّر كل الخلق عن حده
أنت خليل العلم أو ربه ... ومن أتى الوفد إلى رفده
ما مر بي مثلك إلا فتى ... قد أجمع الناس على حمده

لمْ لاَ وإنْ لمْ تـــكُ فرْعاً لهُ فللّذى يحْويــه أوْ ضدّه؟
صدرُكَ مــوصُوفٌ بمقْلوبه وجانباهُ الخيْرُ مــن عنْده
وهْوَ إذا مــا حذَفُوا وسْطهُ أنتَ ومنْ يؤتَى إلــى وِرْده
لازِلتَ ذا مــغْنًى بنيلِ الغِنى ويلْفظُ الجوْهــرُ مــن عقْده.

فلم يظهر لى ما قاله، فكتبت إليه جوابا[١٩٠]:

(من السريع)

يــافضلاً لاشكّ فى فضْله ومــاجداً لا طعْنَ فــى مجْده
أنتَ الّذى إنْ قــالَ نظْماً فقَدْ أتْعبَ كــلّ الــنّاس منْ بعْده
أهـديْتَ لغــزاً لا يُرى مثْلُهُ كــأنّهُ الـكوْكـبُ فــى سعْده
لـكنّهُ خافٍ عــلى أكْمــه يجْهلُ رقْماً حبــك[١٩١] فــى بُرْده
فــإنّنى لمْ ألقَ بــاباً إذاً حاولْتُهُ أدْخلُ مــن عنْده
زدْهُ بيــاناً إنّنى عــاجزٌ (عـن)[١٩٢] حلّ عقْدٍ حلّ فــى عقْده

فكتبَ هو إلىّ[١٩٣] :

(من البسيط)

النّجمُ أنتَ، وقــد أهدَى دَراريه والبــحــرُ أنْتَ، وهذا دُرّهُ فــيــه
لله علمكَ، ليس البــحــرُ يشْبِهُهُ وليس عــبــدُ الرّحــيم الحبْرُ يحْكيــه
كــذاكَ فقْهُكَ مــا الحــاوى يواضعُهُ ومـــا الإمامُ وحقّ الله حــاويه[١٩٤]

قــد جُزْتَ[١٩٥] بابَ العُلاَ من غيْرِ مــا ريبٍ
وحُزْتَ منْ قدْرِه حــقّاً مــعاليــه

جبرْتَنى ونظرْتَ الــبخْس مــن كلمٍ لمــثْل فضْلكَ شــخْصٌ ليس يهْديه
وبعــدَ ذاكَ أردْتَ العــبــدَ تخْبرهُ وقلْتَ: أعْجزَّ عن حلّ لما فيــه

حاشَاكَ حاشَاكَ يـــا أذْكى الخلائقِ منْ
عجْزٍ، وأنْت عُبــابٌ منْ يُدانيــه؟!
يـافاضلَ الوقْت زادَ الفــضلُ منك ويـا
ربَّ النـدَى، وأخَا مــا رُحْتَ أحكيــه

أنتَ ابنُهُ بمقالِ الله خالقنا   كلُّ ابنِ آدمَ حيٌّ منه أُحْيِيه(١٩٦)
لازلتَ تجبُرني والناسَ أجمعَهم   فاللهُ يحفظُ مولانا ويُبقيه.

فكتبتُ الجواب(١٩٧) عن ذلك :

(من البسيط)

يا ناظماً لم نجد فينا مُباريه   ويا جواداً فقدنا مَنْ يُجاريه
ويا بليغاً ترقّى في فصاحته   على السِّماك فلا خلقٌ يُدانيه
هذا قريضُك من دُرٍّ تُنظِّمُه   أم السُّلافُ أدارتْها قوافيه؟!
ألغزتَ يا بحرَ علمٍ قد طما وربا   ولم تكد(١٩٨) ريحى اللفظ صافيه
فيما يحلُّ لكلّ النّاس ميتتُهُ   والماءُ منه طهورٌ(١٩٩) جلَّ باريه
وأنتَ(٢٠٠) في العلم يومَ البحث تُشبههُ   وفي السَّماحة يوم الجود تحكيه
وإنْ أفدتَ فلم تذكُرْ عجائبَهُ   وإنْ نظمتَ فقد هانتْ لآليه
لازلتَ تُظهرُ في فنِّ القريضِ لنا   بدائعاً يجتليها منك راويه.

وكتبت إليه من مصر(٢٠١) المحروسة :

(من الكامل)

يا سيِّداً سافرتُ عنه ولم أجدْ   جلدي يُطاوعني على توديعه
إنْ غبتُ عنك(٢٠٢) فإنَّ قلبي حاضرٌ   يُملي التّشوُّق(٢٠٣) للحمى وربوعه
وكأنّه بيتٌ توهّمَ شاعرٌ   من وزنه، فاحتالَ في تقطيعه
فاحفظْه لي حتّى أعودَ، فإنّهُ   رهنٌ على شكرِ النّدى وصنيعه.

فكتب هو إليّ الجواب(٢٠٤) :

(من الكامل)

يا راحلاً بحشا المُقيم على الوفا   ما الطَّرْفُ بعدكَ مؤذناً بهجوعه
إنْ غبتَ عنه فما تغيَّرَ منه(٢٠٥) يا   مولايَ غيرُ الجسمِ بعد دموعه
والقلبُ بيتُ هواك راح كأنَّهُ   بيتُ العروضيِّينَ في(٢٠٦) تقطيعه
وكذا يكونُ أخو الصفاءِ إذا نأى   عنه الخليلُ أبو الصفاءِ جميعه.

وكتب هو إليَّ وقد انقطعت عنه لضرورة، والتزم(٢٠٧) التاءَ:

(من الكامل)

يا ذا الذي قطعَ الزيارةَ ما الذي للفَصلِ بعدَ الوَصْلِ منك، قد اقتضَى؟
أنا لم أُغيِّرْ عادتي معَ أنها، ما قد علمتَ، عوائدَ لا تُرتَضَى
فلأيِّ شيءٍ أنتَ تقطعُ عادةً مَرْضِيَّةً وتَسُلُّ سيفًا مُنتَضَى؟!.

فكتبت أنا الجواب عن ذلك ملتزما:

(من الكامل)

حاشا عوائدكَ الكريمةَ إنَّهَا تُلْفَى إذا أنصفْتَهَا لا تُرتَضَى
يامن إذا نَظَمَ القريضَ بديهةً فاتَ الرِّضى سبْقًا،وفاقَ المُرتَضَى(٢٠٨)
وإذا ألاحَ بِفَهْمِهِ في مُشْكلٍ جلَّى دُجاهُ، لأنَّ ذاكَ المُرتَضَى
وعِداتُهُ تَمْضِي فما تحتاجُ من كرمِ السَّجِيَّةِ في النَّدَى أن تُقْتَضَى
وإذا دجا خَطْبُ الرَّدَى فَبِوَجْهِهِ وبِرأيِهِ يومَ الكريهةِ يُسْتَضَا
زِدْني جفًا حُوشيتَ منه، ازدَدْ وفًا والقَ الرَّدَى بي تلقَ سيفًا مُنتَضَى
لا زالَ جودُكَ صوبَ مُزْنٍ هاطلٍ يُطْفي من اللأواءِ جمْرًا مُحْتَضَا(٢٠٩)

وكتبت أنا إليه من حلب المحروسة وقد عُزِل عن منصب القضاء:

(من الطويل)

ألا ما لهذا العصرِ لا رُزِقَ البقَا يُغادِرُني من حيرَتي فيه مُطرِقَا؟
فكمْ راعَ من رُوعٍ بصَوْبِ مُصيبةٍ وكم زارَ(٢١٠) من زُورٍ ونمَّ ونَمَّقَا
وكمْ خصَّ بالتكديرِ صفوَ مَرَّةٍ، وضيَّعَ من حقٍّ وكمْ خانَ مَوْثِقَا
وأبعدَ عن أوطانِه كلَّ آلفٍ وروَّعَ خلًا بالبِعادِ وفَرَّقَا
خليلي أبا نصرٍ أبعدَ اتحادِنا خَذَلْنَا. وأمسَى الشَّملُ منا مُفرَّقًا؟!
فَغُودِرْتُ رَهْنَ الذُّلِّ في حلبٍ كما بقيتَ غريبَ الدَّارِ في أرضِ جِلِّقَا
فلا أنا في الشَّهباءِ لاقيْتُ أرْحَمًا ولا في دمشْقٍ أنتَ صادفتَ مُشْفِقًا
وقد كنتُ في حالٍ تَسُرُّ حواسدي فجاءَ كتابٌ منك زادَ الشَّقَا شَقَا
فَغَادَرَني سكرانَ من خمرةِ الرَّدَى كأنِّي شَرِبْتُ البابليَّ المعتَّقَا
أبيتُ سميرًا للكآبةِ والأسَى طريحًا على فُرُشِ الضَّنَى والعنَا لَقَى
بجسمٍ غدَا من حادثِ البينِ مُخْلَقًا وخدٍّ بمُحْمَرِّ الدموعِ مُخَلَّقَا

لقد زادنى غيظاً على الدّهر كونه ... أصارك فى أسر الحوادث مُوثقَا

ولم يرْعَ فيك العلمَ والحلمَ والنُّهى ... وبذلَ النّدى والعدْل والفضْلَ والتُّقى

وحُسْنَ تلقّى زائريك بطلْعةٍ ... بها البشرُ يكسوا الصبحَ فى الأُفْقِ رَوْنقَا

وتلك التّصانيفَ التى كلماتُهَا ... كدُرٍّ على جيد الكواعب مُنْتَقى

فما مَحْدِقٌ(٢١١) إلاّ سقتْه علومكَ الـ ... حيَا، فتَبدّى بالحدائقِ مُحْدِقَا

ودرْساً غدا فى الفقه ضمّتْ بحوثُه ... أُصولاً وتفسيراً ونحواً ومنطقَا

وبحثاً يُرينَا للصّواب إذا بدَا ... جيادَك من دون المُجارين سُبّقَا

ولفظاً غدا بالحبرِ فينَا مُقيّداً ... وكفّاً غدا إحسانُها الجمُّ مُطْلقا

فكَمْ راحَ سَمْعٌ من حُلاَكَ مُشنّفاً ... وكم بات جيدٌ من نداك مُطوّقَا

أأيّامَ تاجِ الدّينِ قد زُلْتِ بَعْدَمَا ... نهجْتِ طريقاً للصواب مُطرّقَا؟!!

وأنسيْتِنَا ما كان يذكُره الأُولى ... مضَوْا من زمانٍ مرّ حلْواً على النّقا(٢١٢)

وذُقْنَا بك الكأسَ التى خَنْدريسُهَا ... غدا زَنْجَبيلاً فى اللّهاةِ مُرَوّقَا

وَفَضْلُكَ ما يَخْفَى وقد ملأَ الملاَ ... وذكرُك عمَّ الأرضَ غرباً ومشْرقَا

لعمرُك إنّ المجدَ ليس بهيّنٍ ... فكم سابحٍ فى يمّه الموجُ أغْرَقَا

وما هضَبَاتُ الفضل ممّا تطامَنَتْ ... لقارعيهَا، لا بالرُّقىّ ولا الرُّقَى

لئن كُنتَ بعد الحكْم فى النّاس عاطلاً ... فكم زيّنَتْ تيجانُ حكمك مَفْرِقَا

فمَا الدّهْرُ إلاّ واهبٌ ثم سالبٌ ... وما زالَ فى سلْب الودائعِ شيّقَا

وقد نلتَ ما تختارُهُ من ولايةٍ ... وحُكْمٍ، فلا تَجْزَعَ إذا انحطّ ما أرتقَى

ولاَ تنْسَ إنْ جالَتْ بفكرك خطْرَةٌ ... تسُوكَ أنْ تتْلُو: «وإن يتفرّقا»(٢١٣).

فكتب هو الجواب إلىّ عن ذلك من جملته:

(من الطويل)

هو الدّهرُ لا ينفكُّ للحُرِّ مُقْلقَا ... هو الدهْرُ ذو التّغيير ليس له بقَا

يغيّرُ حالاً بعد حالٍ وذو النهى ... صبورٌ على الحالين جلْدٌ على الشّقَا

وَمَن يكُ بالله المُهيْمنِ عارفاً ... تَصبّرَ، لمْ يرْتَعْ إذا كانَ ذا تُقَى

وعندى بحمْدِ الله صبرٌ بها (٢١٤) قضَى ... ومُوثِقُ أمرٍ يمنعُ الشّعْرَ مُطْلقَا

فلولاه بالمملوكِ كانَ جوابُه ... بسيطاً، كساهُ من ثنائك رونَقَا

ولكنْ دهانِى نَحْوَ تصريفِه الّذى ... دهانى، فلا أستطيعُ واللهِ منْطقًا.

وكتبت إليه أهنئه، وقد عاد إلى منصبه قاضى القضاة فى شوال سنة ٧٥٩:

(من الكامل)

برجوع تاج الدين قاضي الشام   أضحى الهناء موفر الأقسام
قاضي القضاة الفاضل الحبر الذى (م)   انقادت له العليا بغير زمام
نال الكواكب قاعدا لا قائما (٢١٥)   من ذا يسوم فعاله ويسامى ؟!
من قومه الأنصار لا عجب له   أن صار مرتفعا على الأقوام
والخزرجيون الألى نسلوه أو   فى من يفى لمحبة بذمام
وهم أئمة من قضى بالأنا   م بيقظة، وهم «أولوا الأرحام» (٢١٦)
فى ذروة شماء تعلوا بالتقى   ومكارم الأخلاق ركن شمام
لما تولى أقبل الخير الذى   قد كان فى حجب من الأحجام
أفنى - فلا يفنى - مدى أيامه   فى العلم لم يطعم لذيذ منام
ناء عن الشهوات ليس تقوده الـ (م)   دنيا إلى معنى هوى وغرام
عار من العار الذى أطماره   غطت عوار سواه بالآثام
متمسك بالحق فى أفعاله   متوثق بالعدل فى الأحكام
ذهن يغوص على الحقائق لا كمن   خاض الغطا، أو هام فى الأحكام
انظر فتاويه التى من حسنها   تشفى غليل صبابة وهيام
كتم التقى، لكنه لم يستطع   كتم الشذا من عرفه النمام
هذا الذى قد راح فيه مضرة   للشرك مثل مسرة الإسلام
فى الفقه مثل الرفعي و النحو (م)   مثل الفارسى، والبحث كالنظام (٢١٧)
وكذا الحديث فإنه فى علمه   ورجاله علم من الأعلام
وله يد طالت لنقد صحيحه   فلكم شفاه من ضنى وسقام
وكذا أصول الدين والفقه انزوى   عنه الإمام فلم يكن بأمام
وكذا المعاني والبيان فصاحب ال   مفتاح سلمه له بسلام
وكذا القريض فما يشق غباره (٢١٨)   لو كان جاراه أبو تمام
قال الحسود، وقد أتى تقليده: (ما للدموع تروم (٢١٩) كل مرام)
والصبح قد ملأ الوجود بشائرا   راياتها خفاقة الأعلام
والنهر صفق، والغصون تراقصت (٢٢٠)   طربا لشدو بلابل وحمام
والنرجس انفتحت لواحظه، وشمر (م)   ساقه إذ عد فى الخدام
والأقحوان بروضة يفتر عن   ثغر شتيت ضاحك بسام
والروض حلى جيده بأزاهر   هى كالزواهر فى أديم ظلام
نشرت مطارفه التى ما طرزت   منها البرود أنامل الرقام

هَذا وأصـــحــــابُ الهَنَاءِ من الورَى ــــــــا بـين نـثَّارٍ إلـى نظَّامِ
قــد حبَّروا الأمــداح فـيــه، وحــرَّروا أوصــــافَهُ بـبــــدائـع الأفهَامِ
وجلَوْا على الأسـمـاعِ فـيـه عـرائسـاً كـــانـت، مـــواشطُهَا من الأقلامِ
(لـو يـقــــدرون سعَوْا عـلـى وجَنَاتِهِم وعـيـونِهمْ، فَضْلاً عن الأَقـدامِ) (٢٢١)
فأرَدْتُ أنْ أجرِى سُكَيْتَ قَريـــحَتِي لأفــوز فــيــمـــا بينهم بمــقَامِ
لا زال فى ســعْدٍ مــدى الأيامِ مــا رقَصتْ زهـورُ الرَّوضِ بـالأكمــامِ.

يُقبل الأرضَ ويهنئُ نفسَه والأنام، وليالىَ هذا العصر والأيام والقضايا والأحكام، وأصحابَ السيوف وأربابَ الأقلام، والمسلمين قاطبةً والإسلام، وأربابَ الطيالس والأعلام، بما منَّ الله ـ عز وجل ـ به من هذه العَوْدَةَ المباركة التى جَمْجَمَ ضميرُها زماناً وصرَّح، وأفشى سرَّها المُبارك بعدما لوى عُنُقَه حينا ولوَّح، وقابَلَ نُسخةَ طهورِها وصحَّح، فالقلوبُ قد امتلأت سروراً، واستُطيرَتْ حبوراً، والأبصارُ قد قرَّتْ، والبصائرُ قد زادت نُورا.

(من البسيط)

(وكوكَبُ الـصُّبـح نجّابٌ عـلـى يـدِهِ مُخلَّقٌ تملأُ الدُّنيـــا بشــائرُهُ (٢٢٢)

ويُنْهِى أنَّه لما بلَغَه هذا الخبرُ الذى مُبتدؤه مرفوع، وصدقُه غيرُ مطعونٍ فيه ولا مدفُوع، ومُفْرَدٌ لذاته فى الأسماع لا يوجد فى مجموع؛ أراد المبادرةَ بالهناء، والمسابَقَةَ إلى إظهار هذه المسرةِ الوافيةِ بالنعماء. ففَكَّ (٢٢٣) ختمَ ضميرِه لما فكَّرْ، وقدَّ عُنُقَ تطاوله لما قدَّرْ، وكرَّ راجعا، وأناب، واستغفرْ. وقال:

(من الكامل)

(ومــــن الــعـجَائبِ أنَّنِى هنَّأتُهُ وأنا المُهنَّأُ فـيــه بالنَّعـمــاءِ(٢٢٤)

ثم إنَّه ادَّكرَ قدْرَه فأمْسَك، وقال: اذْكُرْ يومَك وخلْ أمْسَك، واعْرَفْ لمَنْ تُخاطبُ، وارحم نفْسَك، وتمَسَّكْ بأذْيال الإغضاء، وخفْ نارَ المهابةِ أن تمسَّك. فأحْجَمَ المملوك إذ ذاك، وقال (العجزُ عن دركِ الإدراك إدراك (٢٢٥).

(من مجزوء الكامل)

(وإذا سَكِرْتُ فـــــــإنَّنى رَبُّ الخَوَرْنَقِ والــــسَّديـــر
وإذا صـــحــوتُ فـــإنَّنِى ربُّ الشُّوَيـهةِ والـبَعِيــرِ) (٢٢٦)

وقد بعث المملوكُ بهذه القصيدةِ الميميّةِ، وهى تعومُ فى يمّ من الخَجلِ، وتجُر وراءَها ذيلَ التّقصير والوَجل، والمسئول من صدقات مولانا الوقوفَ عليها، والصدقةَ بنظرة إليها، وتغطيةَ مساويها، وعدمَ عرضها على من يُناويها، والله يمتّع الأنامَ بهذه الأَيام، ويَجْبُرُ وليَّها إن عام فيما يراه من الإنْعَام، إن شاءَ الله تعالى.

فكتب هو الجواب إلىّ عن ذلك:

(من الكامل)

أبدًا للفظِكَ بهجةُ النّظَامِ … وسناءُ دُرّ لاحَ ضمْنَ نظَام

وعلامَةٌ شَهِدَتْ بأنّك بيْننَا … علامَةٌ قد فاق كلّ علاّمى

هل ذاكَ نَجمٌ فى سماءِ فصَاحَة … راقٍ بروقُ لصاحب الأفهامِ؟!

أو جوهرٌ فى البحرِ ناءٍ غائصٌ … أو زهْرُ روضٍ ضاحكٍ بسّامِ؟!

أو خَندريسٌ بالعقول تلاعبَتْ؟! … لا، بل كلامُ إمامِ كلّ كلامِ

شيخِ الكلام، وذى النّظام، أخى … العظامِ من الأَنامِ، الوافرِ الأَقسامِ

ربُّ التصانيفِ الّتى سارتْ وما … سرَتْ سوى الفهمَاءِ فى الإسلام

سامٍ على الشيخِ ابنِ بسّامٍ له … فَخْرٌ على نَجْدٍ وكلّ تهامى(٢٢٧)

فى ذُروَة الفصحاءِ أصبح صاعدًا … فَهْوَ ابنُ سيَارٍ (٢٢٨) بغيرِ مُسامِ

معْنَى الكمالِ تقلُّه فى لفظه … والنّقصُ تحسبُ فى أبى تمّام

فلْتَفْضُلِ الشّهباءُ كلّ مدينَةٍ … غراءَ، إذْ أذهبَتْ كلّ ظلامِ

شَرُفتْ بمولانا، وقد شرُفتْ به … من قبلها مصرٌ وقطرُ الشّامِ

إيهِ لعَمْرو أبيكَ لهْوَ فخَارُ هذى (م) … الأرضِ من قوصٍ (٢٢٩) لدارِ سلامِ

مُتيقظٌ والقومُ أيقاظٌ، وإنْ … تَرِد المقالَ فقلْ: ذَوُو الأحلامِ

حبْرٌ من الأعلامِ، فردُ زمانه … والعصرُ مملوءٌ، من الأعلامِ

لازالَ يعلُو والزّمانُ مُساعدٌ … وينَالُ ممّا شاءَ كلّ مرَامِ

يُقْبِلُ كذا شرّفه الله وعظّمه، وأدَامَ منه لأَوليائه فضلاً يُكاثِرُ مطرَ السماءِ وديَمه، وأَبقَى منه لأخلائه خليلاً لا يَستَسلِمُ الوفاءَ إلاّ مُلتزمَه، وينهى ورودَ كتابِه الذى هو أبهى من الوَشْىِ المرقومِ وأبهج، وألْهى بالعقول ـ لا أدرى بين يدَى مولانا ما أقول لولا الأدبُ قال اللسانُ: من العُقار وألْهج، وأنْهَى المملوكُ مطالعةَ أوامره، وما طرّفه فيه من الحقائق وأنْهج فوجدَ سجيةَ تسحبُ على البلاد ذيلَ أرجِها، وتُقابلُ الإصباحَ بضوءِ بلَجِها، وتُكافِيءُ الكواكبَ فى دَرَجِها،

وكتاباً ساطعاً نورهُ، وشمسُ السماءِ فى غروب، جامعاً لأقسامِ الفضائل الكثيرةُ الشُّعوب، طالعاً فى أُفق الفخارِ على أحسنِ أُسلوب. وورد فى أُخريات نَهار أَمس، فقام المملوك بوظيفة الدعاءِ طولَ ليلته الذاهبه، وجلَّى بأُثْنِيَته العاطِرة من ذلك الليل غياهبه، وفرّق فى أعمال الثناء مذاهبه، ثم خَدَم بها تلك العتبات الشريفة،وقد خدَمها قبلَه طالعُ الصَّباح، وأَشار بها إلى لثْمِ تلك الأَرض، وقد لثَمَها قُدّامه مبْسمُ (٢٣٠) الطَّلِّ فى ثَرى تلك البِطَاح، وجهَّزها لتفوزَ بفرْضِ التقبيل شِفَاهَا ، وأكثرُ ودّه لو سابقَت الرِّياح، واستمر هو على الدعاءِالذى باتَ عليه فى درره، وقعد مبْتَهِلاً إلى أَول النهار، وسيجْرِى عليه إلى تَمَام نهاره، ويدومُ عليه حتى يلبسَ اليوم ثوبَ غيَاره. إن شاءَ الله تعالى.

وكتب (٢٣١) إلىّ من القاهرة المحروسة فى شهر ربيع الأَول سنة أَربع(٢٣٢) وستين وسبعمائة:

(من مجزوءِ الكامل)

لا تَبْكِيَنْ مـــاءَ تَسَنَّهْ ... وَدَعِ الرُّسـومَ المُسْتَجِنَّهْ
خَلِّ اذكـارَكَ، فـالعيو ... نُ كليـلةٌ آثـارَ دمنَه(٢٣٣)
واهجُرْ غـزالاً نـارُ خَدِّ ... يهِ إذا حقّقْتَ جَـنَّهْ
وسَنَانُ كـم نبَّهتُـه ... والـعُجْبُ يُطْبِقُ مـنـه جفنَهْ
مُتَغافِلٌ أدعـوه مِنْ ... وَجْدٍ إذا مـا الـلّيـلُ جنَّهْ
فى النفسِ حـاجاتٌ إليـ ... ك من الوصـالِ، وفيك فطنَهْ(٢٣٤)
فَرْضٌ علـى الـعينِ الـبُكَا ... إذْ لحظُهُ لـلـفَتْك سنَّهْ
أحـوى، بـديعُ الحُسْنِ، (م) ظَبْيٌ فى الحـقـيـقـة، أوْ كأنَّهْ
ولـه مـعـاطفُ مـا دعَا ... هُنَّ الـصَّبَا إلاّ أجبْنَهْ
هـذا وذا معَ أنَّهُ ... لـم يلْتَفِتْ يـومًا لأنَّهْ
ويخافُ مـن واشٍ له ... عـيـنَ مُراقبةَ الأكنَّهْ
وفَـمٌ فُـضـوليٌّ تَقِلُّ ... الـرَّجـلُ مـنـه رأسَ فتنَهْ
(بكرَ(٢٣٥) الـعَوَاذلُ فـى الـغَزَا ... مِ يـلُمْنَنـى والُومهُنَّهْ
ويقلْنَ شـيبٌ قـد علا ... كَ وقـد كبِرْتَ فـقلتُ إنَّهْ)
أبْرزْنَ لمّا لُمْنَ قلـ ... ـبى المضْمرَاتِ المُسْتَكنَّهْ
فـتحـرَّكَتْ نفسٌ على ... نـارِ الـصَّبَـابةِ مطْمئنَّهْ

قــد هِجْنَ حين عـــذلْنَهَا ... وعَوَاذِلُ الـعـــانى يُهجْنَهْ
أنّي بـصـحٍ مـن الـعوا ... ذلِ مـن نَهَـى صـبًا ونَهْنَـهْ[٢٣٦]
هُمْ جـمعُ تَكسيـرٍ تصـرَّ ... فَ فـى دفـاعهِمُ الأعنّهْ
فـاهجُرْهُمُ الهجْرَ الجـمـيلَ ... (م) فَكـيـلُ[٢٣٧] مـا قـالوه هُجْنَـهْ
واذْكُرْ صـفاءَ أبى الصَّفـا ... والخَطْبُ مُعْتَكِرُ الـدُّجنّهْ
الـسيّدِ الـيقـظِ، الأغـرّ ... ر، أخي الـوفـاءِ بـدُونِ منّهْ
والـنّدْبُ ذو الـهِمّات مـا ... أبْدَ أنَ مـن جُودٍ أعدّنَهْ
والجُودُ مـثـلُ الجوْد ... (م) يَسْقى الألـفُ مثْلَ ألـفَ مُزْنَهْ [٢٣٨]
والـعلْمُ [٢٣٩] كـالجبَلِ اعتلَتْ ... فـيه الرِّيَاحُ فـما أزلْنَه
والجِدُّ يـنـهضُ لـو تَعَا ... ليـه[٢٤٠] النجومُ لمَا بلغْنَهْ
والأيْدُ[٢٤١] يبْطِشُ لـو تَفَا ... لِبُهُ الأسـودُ لما غلبْنَهْ
مُتَدرِّعٌ ثـوبَ الـتُّقَى ... حِصنًا، وتقْوَى الله جُنّهْ
مُتَفَنِّن، بحـرٌ إذَا ... جـاريْتَهُ لـم تدْرِ فَنَّهْ
أدَبٌ نـضيـرٌ يُسْتَحَبُّ (م) ... لمَنْ لـه الآدابُ سُنّهْ
ولـه بـنـاتُ الـفكـرِ غُرْ ... رتُهـا استهلّتْ كـالأجِنّهْ
فِكَرٌ إذا عـايَنَ مـعنىً (م) ... طـائرًا فـى الجـوّ صدْنَهْ
وعـلُومُ ديـنٍ لـم يُخِـلَّ (م) ... خـليلُهـا فـرضًا وسُنّهْ
وجـلـيلُ قـدرٍ دقَّ فَهْمًا (م) ... لا يُضاهِي الـمُـتَبِّرُ ذهنَهْ
يـأيُّهـا الحبْرُ الـذى ... جَعَلَ الإلـهُ الخـبـيـرُ ضِمْنَهْ
لـو فصّلَ الخـيّاطُ قـا ... ل: لـكلِّمـا وصلْتَ حسْنَهْ
أُسْدِى وأُلْـحـمُ لَـسْتُ أقْـدِرُ (م) ... أنْ أزيـدَ عـلـيـك طعْنَهْ
ولَو انّ الافـوهَ حـاضـرٌ ... لعرتْهُ بـيـن يديْكَ لُكْنَهْ
وغـدا الـصّريـعُ بـه كدَيـ ... ـك الجنّ [٢٤٢] ممـا قـلتُ جِنّهْ
دُمْ وابْقَ مـا بقِىَ الـزّمَا ... نُ فـإنْ وهَى زلزلْتَ وهْنَهْ
ولِقَدْرِك الـعـالـى الـعلُوّ ... (م) فـمـا النُّجُومُ علاً بطُلْنَهْ.

يُقَبِّلُ كـذا لا أَبعـدَ [٢٤٣] الله دارَها، ولا يجاوِزِ إلا بالجـوزا ءِ مقْدارَها، ولا يُسْمِعُهَا من أنباء من أعلَن لهـا أو سارَّها إلا سـارَّها، تقبيـلاً يقـومُ بسنّةِ الفَرضِ، ويعْرِبُ عن مبْنَى ودٍّ (مـديد [٢٤٤]) كامل الطولِ والعرض، ويفصح عن خضوعٍ لفضله،، فإذا أَنشدَ [٢٤٥] بين يديه منْشِدٌ: «بلغنا السماءَ» [٢٤٦]، تلاهو: «فلن أبرح الأرض[٢٤٧]»، وأنشد:

(من الرجز)

مِنْ أجْلِهِ جعَلْتُ نفسى أرضَا للصَّادِرِ الوارِدِ حتَّى يرْضَى(٢٤٨)

ويُنْهى (٢٤٩) بعد وَصفِ حبٍّ، اعتدَّه ديناً فَتسلم كتابَه باليمين، ثابتٍ يزيدُ حلاوةَ إيمانه فى القلب مرُّ السنين، باقٍ لا يتبَدَّلَ، (إذا غيَّر النَّأىُ المُحبِّين) (٢٥٠)

(من البسيط)

ما غيَّرَ البُعْدُ حالاً كنتَ تَعْرِفُهُ ولا تَبدَّلْتُ بعد الذِّكْرِ نسيانَا)
ولاذكرتُ خليلاً (٢٥١) كُنتُ آلَفُهُ إلاَّ جعلْتُكَ فوقَ الكلِّ عنْوانَا)

ـ أن مُوجبَ تأْخير كُتُبِه محضُ الاقتداء، والسَّيرُ على سُنَّتِكم فى قلَّةِ الكُتُبِ مع كثْرَةِ الوَفاء، وكيف لا، وقد رفَعَ أبو رافعٍ (٢٥٢) مولى القومِ منهم إلى سيِّد الأنبياء ــ وعند ذلك ينقلبُ معْتَذِراً عن تهَجُّمِه بهذه الضَّراعه، مبْتدراً إلى ذكر الفارق حيث أطال لسانَه وباعه، مزدَجِراً عمَّا لعلَّهُ ذنْبٌ إذا علمَ مولانا به سامه البُعْدَ وباعه، فيقول: قيدُ الحبِّ أطلقَ لسانى، فأعربَ عن المبنىِّ على السُّكون، وسرَّح يدِي فَخطَّتْ ما هو فى لَوْحِها المحفوظ مصُون، وأذنَ لِى فتَصرَّفْتُ فى الكتابة، وكيف لا يتصرَّف العبدُ المأْذون؛ فأصدرتُ هذه الواردةَ مُدلاًّ بأنِّى منهم، وهُم منِّى وهذا المنى، وقلت: اسألى عنهم وخبِّرى عنى حاشاكِ من عنَا، وبادرى مولاك، ولا تَخْشَىْ أن يُقال: «ما أتى بك ها هُنا(٢٥٣)، وخذُى من شرْحِ الحال فى كلِّ فنّ، وكُونِى ممنْ إذا سمعَ صالحاً أذَاعَ، ولوْ سمع طالحاً أو يرى (٢٥٤) ريبةً لدفَن، وأطْلِقى الدَّمعَ ولا تخافِى أن يُقال: ما هاج الدُّموعَ الذُّرَّفَنْ (٢٥٥)، واعتمِدى على المسامحَةِ فهم أهلُها، واتَّخِذِى إخلاصَ الولاء ذريعةً ألاَّ ينتقدوها (٢٥٦)، وثقى بهم فهُم أحسنُ النَّاس وجوهاً وأنْضرُ همُوها.

(من الطويل)

أضاءَتْ لهمْ أحسابُهُمْ ووُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيلِ حتَّى نَظَّمَ الجزْعَ ثاقِبُه (٢٥٧)

المملوكُ يُنْهى أنه مُنْذُ خرج (٢٥٨) من دمشقَ مستبشرا، وباع الأسافل بالأعلى وتلا، «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم (٢٥٩)، فحَمِدَ المُشْتَرى، ووصل إلى مصرَ مسرورا، وما شكا

إليــه جَمَلُه طولَ السُّرَى (٢٦٠)، بل حَمِدَ سيرَه خيلُ البريد وبهيمُ الليل وساحةُ البيداء، وقدم فنزل جِوارَ البحر فقالوا: نزل ماءُ السماءِ، وكاد ينشد:

(من الوافر)

(أقــمتُ بأرض مِصــرَ فــلا أمــامى تَخُبُّ بِىَ الرِّكـــابُ ولا وَرائى)[٢٦١]

ولم يُنشد:

(من الكامل)

(ذُمَّ المنــازِلَ بعــــد منزلةِ اللِّوَى والعيشَ بعْدَ أولئكَ الأقوامِ)[٢٦٢]

لكثْرَةِ مـا لَقِيَ بعد التعظيمِ الذى لو شَعَرَ به العدوُّ لما نَظَمَ أسبْابَه، خَيَّمَ المملوكُ على كرم الله، وسار مُتَوَكِّلاً عليه يحسِبُ كلُّ حمدٍ[٢٦٣].

فمدَّ الله سبحانه وتعالى أطنابه، ووردَ حيث قصد «ووجدَ الله عنده فوفَّاه حسابَه (٢٦٤)».

ولـم يَخْشَ لِحُسنِ[٢٦٥] ظنِّه من ذى العرش إقلالا، (ولم يُصادف إلا من قالَ له: (أهابُك إجلالا)[٢٦٦] ولم يُنَادِه كلُّ محبٍّ إلا (بهكذا هكذا وإلاَّ فلاَلا)[٢٦٧]، وقال كلُّ امرئ: أنْتَ الحكمُ التُّرْضَى حكومته[٢٦٨] هناك هناك، وأنشـد (اللهُ أعطاكَ فَضْلاً من عطيَّته)[٢٦٩] وأوْلاك، وبالغ في البِشرِ، (وما كلُّ من يبدى البشاشةَ كائناً أخاك[٢٧٠]، بل رُبَّما حَسِبته أبَاكَ[٢٧١].

وأما زُمَرُ الأعداء فكلٌّ منهم «عبس وتولَّى[٢٧٢]»، وتبيّن لولى الأمر أن لمثله يُقال: نوَلِّه ما تــولَّى[٢٧٣]، وناديْتُ كُلاً من زاجِرِى عن حضور هذه المعركـة (ألا أيُّهذا الزاجِرِى أحْضُرَ الوَغَى[٢٧٤] «أولى لكَ (٢٧٥) فأوْلى»، ولقد (٢٧٦) استولى الحقُّ على عرشه واستوى، ولم يكنْ غيرُ الإحراجات جراحاتِ الأهْوِيَة، والأغراض قائلةً: لا نبْرح «نحن ولا أنت مكاناً[٢٧٧] سوى». فلما طلع صبحُ الحقِّ على من كانت أمرضتْ قلبه، بان وبدَا (٢٧٨) له من بعد ما اندملَ الهوى، قومٌ أُشْرِبُوا فى قلوبهم المَنْصِبَ «فقطَّعَ أمعاءَهم (٢٧٩)»، وأُعْجِبُوا بألْسِنَةٍ حدادٍ صَلَّعــت[٢٨٠] أعضاءهم، واستَكْلبُوا على اصطياد جارِحَةٍ فطرحهم قتلى، وردُّ أهواءهم، لم يرجعوا حتى وقف الهوى (٢٨١)، وأهلكهم كلُّ «نزّاعَةٍ للشَّوَى (٢٨٢)»، وقُوبِلَ كلُّ أفّاكٍ منهم بما نوى. لَعب بهم شيطانُ الحسد، وشدَّ وثاقَهم، الذى لا يوثق به، بحبل من مسد، وطبع على قلبه واغتاله، فقلتُ له: غالَتْكَ إذاً الغولُ، بل اغتالك الأسد.

(من الكامل)

وَلَقَدْ عذَلْتُ حليمهم ونهيْتُهُ فأبى وقال: هَوَاىَ أمرٌ مُحْكَمُ
(وقفَ الهوى بى حيثُ أنتَ فليس لى متأخرٌ عنه ولا متقدَّمُ [282])
فأردتُ أطلبُ قال لى متبرِّمًا: أطنب وأوجز حبلَ كيدى مُبرِم
(أجدُ الملامةَ فى هواك لذيذةً حسدًا وبغيًا فلتَلُمنى اللُّوَّمُ)

فلما سمعتُ قوله: (أجدُ الملامةَ فى هواك لذيذةَ)، ورأيتُ من قلبه المعانى ما يحمله، على أن يجعلَ ضالَّةَ المؤمن [284] منبوذَه، ويطبع على قلبه (والأفئدةَ بدون هذا مأخوذه؛ عرفتُ أن العذلَ لا يرجعه، وأن الحقَّ ختَم على قلبه) [285] فلا ينجدُه الوعظُ ولا ينجعُه،وأنه لا يزالُ يحاولُ سقوطَ (مَن كانَ فوقَ محلِّ الشمس موضعُه[286])، وأنه لزم إطلاقَ اللِّسان فيما لا يعنيه، لزوم الخطيب للمنابر، وكتابةَ الباطلِ لزومَ الأقلام للمحابر، والاشتغالَ بمن نرفع [287] قَدْرَه عنه لزومَ الأعراض للجواهر، عدَلتُ عن عَذْله، واكتفيْتُ بالحكَم العدل وعدْله، ورفعتُ قصتى على يدَىْ إحسانه وفضله، وجدتُ فشاهدتُ من الأمير الكبير والسلطان ما رغم به أنفُ الشيطان، (وقد علمتْ بكُنْه ذلك عدنانُ وقحطانُ [288]) . وصرتُ المسئولَ، فيما حسبوا، أنَّى أحاولُه استقرارا، والمتضرِّعَ إليه فى العَود مرارا،والمعرِضَ عمَّا حسدوا عليه، استصغاراً لقوم «مكروا مكراً كبَّارا» [289]، وحفَّتْنى من الله ألطافُه ونعمُه، وأطلق فى الثناء علىَّ بفضل مَن هو كلُّ يوم فى شان لسانُه وقلمُه، وبان ووضح أنَّ العدوَّ ظمآن، وفى بحرِالغواية فَمهُ[290] وكلُّ ذلك ببركة سيِّدنا رسولِ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيِّد النبين. فلستُ والله قَدْرَ واحدةٍ من هذه النِّعمِ التى تقلَّدْتُ عِقْدَها اللَّمين، ولا أنا ممَّن يفتخر (بعلم ولا دين ولا نسب) [291] ولو شئتُ لأنشدت.:

(من الوافر)

(وكانَ لنا أبو حسَنٍ علىٌّ أبًا برًّا ونحن له بَنِينُ [292])

ثم لمَّا كانَ قد امتلأ من ماءِ دمشقَ بطْنِى، ونادانى[293] حوضُ الآمال: قطنى، وسَمَتْ نفسى صِداعَ الشَّام، (وما يدْرِى الشعراءُ ـ وغيرهُم ـ منِّى [294])، ورأيتُ هذا الإكرامَ الذى بلغ [295]

عَنانَ السماءِ، وذَكرتُ دمشقَ وما ، وما، وما، أقول، وكلُّ دمشْقَ ما، قلت لمن لا مَنى فيها: (خَلِيلَىَّ ما وافٍ بعَهْدِى أَنتما) (٢٩٦) . ومعاذ الله أن ألومَ أهلَ الشام، فقد أَحسنوا وأَنْعَمُوا.

(من البسيط)

(ومــــا أصـــاحِبُ من قـــوم فأذْكُرَهُمْ إلا يــزيـدُهُمْ حبًا إلــىَّ هُمُ) (٢٩٧)

وإنما أَلومُ فِرْقةً قلبوا الحقَّ، وبدَّلوا القرآن، فصمَوا وعموا (٢٩٨) .

فصل: وأما السادةُ الأَصحابُ فالمخصوصُ منهم (٢٩٩) بعمومِ التحيه، والمُقَبِّلُ كفَّه مائةً، وقال السجع (٣٠٠): مِيَه، مَن يَحْسُنْ سلامى كلَّ يوم إليه، سيدنا الشيخ عمادُ الدين (٣٠١) شيخ السَّلاَّمِيَه، والتالى بهذا المقدَّم (٣٠٢) فى الأَنظار، مَنْ تحقَّقَتْ مودَّته بعد البحث مع الأَشباه والأَنظار، وعُرِفَ تقواه من التَّقْوِيَة (٣٠٣) واهتمامه فى المعروف وإن لَمَ يُصلِحْ العطار (٣٠٤) . ثم سائرُ المخاديم، يُقَبِّلُ المملوكُ يدَهم سيِّداً سيِّداً، ويَخُصُّ السادةَالأَولادَ الأَعزةَ فلا يَجِدُ إلاَّ محمدا، ويلتفت متْهِماً ومُنْجِداَ (٣٠٥) فيُنادى أَصحابى أَين من لا أَعْدِلُ به أَحدا، كأَن صارِمه فتَكَ (٣٠٦)، فأتبعه قوما بورا، أو نَبَا فوجدَ قصورا، أَسْكَنَه قُبورا، أتراه فى جِهةٍ، أم لا تحْوِيه الجهات، «ارجعوا وراءكم فالتمسوا (٣٠٧) نوراً»، (ثم وكَمَّل) (٣٠٨) .

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك.. ولو وُفِّقْتُ لوقفتُ وما كَتَبْتُ:

(من مجزوءِالكامل)

وَافى مِثــالُك (٣٠٩) لى كــأَنَّهْ صُبْحٌ وقـــد شقَّ الدُّجُنَّهْ
أبـصــرتُه والـلَّيْلُ أَمْسَى (م) ذَا غيــاطِلَ مُرْجَحِنَّه (٣١٠)
وَفَضَضْتُهُ فــأضاءَتْ الـ أنـوارُ مــن هنَّا وهنَّهْ (٣١١)
لحمائِمِ الأَلـفـاظ مـنه (م) رَنَّةٌ مـن بـعـد رنَّه
فـالَّلحْنُ مـنهُ مُطْرِبٌ مَعَ أنَّه مـا فـيـه لَحْنَهْ
أبـيـاتُ شِعْرٍ ضَرَّةٌ للشَّمس، أو للبـدر كَنَّةُ (٣١٢)
كَمْ منَّةٍ أَوْلَيــتَ مِنــه (م) وكَمْ بـه قـوَّيتَ مُنَّهْ
هُوَ جَنَّةٌ بــل جُنَّةٌ فـى السـرِّ من ناسٍ وجِنَّهْ
أمَّا الـبـديعُ فــإنه أدْغَمْتَهُ فـيـه بِغُنَّهْ (٣١٣)
فـيـه بَدائِعُ مـا دَرَى أهلُ البـلاغة مـا اسْمُهُنَّه

خلّفت مـــفـــتـــاح العلو | م مـــــــعطّلاً وكسرت سنّهْ
وقهرت عـــبـــد القـــاهرِ الـ (٣١٤) | مسكين حـــتّى حاز حزنهْ
ا حسنةٌ مـن روضـــــــةٍ | أزهـــارهـــا لـــم تسق مزنهْ
أبرزت فـــضل حـــلاوةٍ | فـي الـنّيل كـــانت مستكنّهْ
فـــأرى مـــعـــانيه جزا | فا، والغـــلـــيل أحـــبُّ وزنهْ
كم فـــيـــه علق مضنّة (٣١٥) | لمنى الـنّفـــوس غدا مظنّهْ
كنز مـن الأدب أســتغنت | (م)بـــه عـــلـــى فقر ومحنهْ
هو كـــــــوم تبرٍ منه آ | خذ حفنةً مـن بـعـــد حفنهْ
لـــو أنّ جرولَ (٣١٦) ذاقَ من | جريـــاله لـــم يلق سجنهْ
وكـــذا زهيـــر لو رآ | ه روى (٣١٧)، ومـــا أصبته دمنهْ
وأرى الحزيـــن (٣١٨) لأجلـــه | كـم أسمع الأقـــوام أنّهْ
وكـــذلك الرّمّاح (٣١٩) كـــم | فـــي شعره لـــلنّاس طعنهْ
وجمـــيل (٣٢٠) قبّح فعله | إذ بثّ عـــنـــه حديـــث بثّنهْ
وكثيّر قـــد قلّ حـــ | ـــين أرته عزّة كلّ هنّهْ (٣٢١)
وأبـــو نواسٍ لـــو رآ | ه لما أقـــام بدير حنّهْ (٣٢٢)
وغـــدا فـــروق كـــأسهُ | ودنا فـــروق مـنـــه دنّهْ
وأرتهُ مسـلـــم مـــنـــه عن | حبّ الـــغواني إذ صرعنهْ
نظم يلين قـــاســـيو (٣٢٣) | ن ولـــو أبـــى لتفشّت عهنهْ
وشـــفـــعـــتـــه بتـــرسل | أدرجت لي الـتّسهيـل (٣٢٤) ضمنهْ
ونقلت فـــيـــه شـــواهداً | عند ابن مـــالك (٣٢٥) مستجنّهْ
لـــو كنت فـــي عصر مضى | يـا من أعـــار الـشّمس حسنهْ
مـــا جـــاء حظّ الجـــاحظ الـ | معروف فى التّبيـــان تبنهْ (٣٢٦)
ويـــكـــى ابن بسّام ألـــ | أن بـــل بـــالـــعبرات ردنهْ
والفتح أغلق بـــابهُ | ورمــــــى قلائده بمهنهْ
أســـفى على عـــبـــد الرّحيم | م (٣٢٧) فـــإنّه أخملت فنّهْ
وأتيت فـــيـــه بمعجزا | ت فتنهُ فـــأصـــاب فـــتنهْ
هو مـــالك، الإنشـــاء إن | شـــاء الـتّقدّم لـم ينهنهْ
وإمامنا لــــــكنّهُ | إن قسته بك فـــيـــه لكنهْ
لو عـــاش كـــان أولوا النّهى | مـــا داهنوا فـى الحـق دهنه
ولقال كـــل مـــنـــهم | والحقّ لـم يك فـــيـــه هدنه:
هذا عـــلـــيـــك مقدّم | فـــاضرب بـرأسك ألـف قرنهْ
لكن جعلت الـــشّام بعدك | م كـــالجحيم وكان جنّهْ

ودمشقُ بعـــدكَ قـــد تـردّ … (م) تَ ثوبَ حزنٍ فـــيــه دُكْنَهْ
لـم يُمْقَ مــن بردِ البـــــرى … ـض(٣٢٨) ولـو أتى أولادَ جِلْنَهْ
وكــــذاكَ ثَوْرا (٣٢٩) بعْدَ بعْد … كَ مـــــا تسنَّى بـل تمنَّهْ
والجـامعُ المعـمـورُ (٣٣٠) كـــا … دَ تُزَعْزِعُ الأشــــواقُ رُكْنَهْ
والـقُبَّةُ الـشمـــــاءُ لِبْـ … سَ بجـوّهـا للنَّسـرِ قُنَّهْ (٣٣١)
كــــــــانَتْ به الأعـطـافُ … (م) وهْيَ مـــوائدٌ يملأنَ صحنَهْ
والآنَ أقْفـــرَ وحْـــشةً … وأسالَ مـــنـــه الــسَّقفُ دُهنَهْ
ودُمُوعُهُ فــــــوّارةٌ … قـــد قرّحتْ بـالـفيضِ جفْنَهْ
وغـدَتْ قــسِيِّ قنــاطــرِ … فــيــه من البُرَحا مُرنَّهْ (٣٣٢)
ولكمْ نـفـــوسٍ مـن نُفُو … سٍ متْنَ حـــين أكلْنَ متْنَهْ
لــــم يبقَ إلاّ زَوْرَةٌ … لتَزيـــــلَ لمّا غبتَ غبنَهْ
فـــالله خيَّبَ فـيـكَ ما … قـــالَ الحـسودُ، وردَّ ظنَّهْ
قـد كـادَ، حـتّى كـادَ يُمسى … م مـــــا تقوّلَهُ عرضَنَهْ (٣٣٣)
عــمــلاً بقولِ محمَّدِ بنْ … م يَسيــرَ (٣٣٤) فهْوَ يسيـرُ سُنَّهْ
(تـخطى الأمـــورُ معَ الصُّوا … ب وقـد تـكونُ مع المظنَّهْ (٣٣٥)
كمْ مـــن مضيـقٍ فـى الـفضا … ءِ ومخرَجٍ بـــين الأسنَّهْ) (٣٣٦)
مـولاى يا قـاضى القضـا … ةِ ومنْ عـــوارفُه شهرنَهْ
ومُقـيـلُ عثْرةِ كلِّ منْ … قَلَبَ الزمانُ له مِـجنَّه (٣٣٧)
ومبلِّغَ الآمـــالِ ظمآنًا(م) … تشوّقَ مــــا مجنَّهْ (٣٣٨)
أنـا عنـد غيرِكَ فـى الـورى … ممنْ معـارفُه (٣٣٩) أضعفَنَهْ
فلأجلِ ذا أوقفتَ نفسى(م) … فـى الجـواب بغيرِ فطنَهْ
خِفتُ الحـريقَ بنـارِ(م) … تقصيرى وشيبُ الرأسِ قُطنَهْ (٣٤٠)
لـكـن أجبْتُ، فـــإنْ أجدْ … تُ فـلم أظنَّ ولن أظنَّهْ
إنَّ الشُّجـــاعَ بلحمه … سمحٌ إذا لـم يرضَ جبنَهْ
فـاسْلَمْ ودُمْ فـى نعمةٍ … مـــا زانَ زهرُ الروضِ حزنَهْ.

يُقبّلُ الأرضَ حيثُ تضعُ الملائكةُ بها الأجنحه، ويتّخذُ الأنامُ من الدعاءِ في مواطنها مواضيَ الأسلحـه (٣٤١)، ويفعلُ اللهُ بها ما أحبَّ فإنه لا يجب عليه شيٌ وإن راعى المصلَحَة (٣٤٢)، ويعْملُ طُلاّبُ العلمِ إليها كلَّ يعْمَلَه: (كأنَّ راكبها غصنٌ بمروَحه (٣٤٣).

(من الطويل)

(وإنّى بتقبيلى لكَ الأرضَ والثـــرى علــى كلِّ مَنْ فاخرتُه لفَخورُ) (٣٤٤)

تَقْبيلاً يُثْبتُ به الجوهر الفَرْد (٣٤٥)، فإنَّ كلَّ جزء منه للقُبَل يتجزّأ، ويحطُّ به أثقالَ خُطُوبُ أقعدتْه عن اللّحاقِ بها عجْزًا، ويتشرّفُ بمشافَهةِ ترابِها فإنْ نالَه منها أقلُّ الأجزاءِ أجزا.

(من الوافر)

تُـــــــرابُهُمْ وحقّ أبى تُرابٍ (٣٤٦) أعزُّ عـــلــىّ مــن عيْنى الـيمــين

وينْهى بعــد (وصف) (٣٤٧) ولاءٍ حكَمَ بتصدْيقِه لِما تصور ه كلُّ منطقىّ ومنْطيقٍ، ودَلَّ بالمُطابقَةِ والتضمنُ والالتـزامِ، على أنّه فى الوفـاءِ عريق، عــرِىٌّ من تلَفِ التّلفـيق، وأصبح وَحْدَه، وحدُّه جامعٌ مانع، لأنه جِنْسه القريبَ هو الإخلاصُ وفَصْلُه التّحقيق.

(من الطويل)

عرفْتُ بصـــــدقِ الوُدّ فيكَ لأنّنى رفَعْتُ بـــــلا عجْزٍ لواءَ ولائـــــى)

ورفع أُدْعيةٍ ما أخلَّ برفْعِ (٣٤٨) فرضِها إن بعْدَ أوْدنا، ولا أخذَها إلاَّ من النّابغةِ حيثُ قال: (بلَغْنا السّماءَ مجدُنا وجدودُنا (٣٤٩).

ولا أنكرتْهَا ملائكةُ القبولِ إلاَّ مرّةً، ثم اعترفَتْ بها فصارتْ ديْدَنًا،

(من الطويل)

(إذا رُفعَتْ يـوماً لِذى الـعرْشِ خيَّمـتْ لِصِدْقِ ولائــى فيــكَ بيْنَ الـسرَادقِ)

وبثُّ أُثنيــةٍ ما أمسَكَ المسْكُ مـعها رمقَه، ولا ثَبَت لهـا البدْرُ حتى خسفَ لمّا لمحَ محيّاها ورمَقَه، ولا طاَلَتْ دهاليزُ الأنهار بين قصورِ الرّوضِ إلاّ وأنفاسُ الأزهارِ منها مسْترقه.

(من الكامل)

(أثْنى علَيــــكَ ولَوْ تشَاءُ لقُلْتَ لى قصَرْتَ فـالإمْساكُ عنِّى نائلُ (٣٥٠)

- ورودَ المثـالِ (٣٥١) الذى ماله نظيرٌ ولا مثال، ولاجوّد ابنُ العديمِ فى الوجود إلا على سطوره، فإنها له مثال، ولا مضى له حسنٌ حتى تدخلَ سينَ السُرورِ على حالهِ، فتميُّزه وتُخلّصه للاستقبال، ولاَ تلقاه شاكى سلاحٍ من البلاغة إلاّ وراحَ كما قال امرؤ القيس:

(وليْسَ بذِى رُمْحٍ، وَلَيْسَ بِنبّالِ (٣٥٣)

(من الوافر)

(بِلاَ مَثَلٍ وإنْ أبْصَرْتَ فيه لِكلِّ مُغيّبٍ حَسَنٍ مثالاَ) (٣٥٤)

كَمْ أهْدَى ألْطافًا، وهزّ بالطّرَبِ أعطَافًا، وجعَلَ القلوبَ أغْراضًا لسهامِ محاسنه وأهْدَافا، وجلَبَ الفرح، وسلَبَ التّرَح، فأخَذَ تاءً من الثّانى وأهْدَى فا، تروقُ دُررُ أصدافه، وتفُوقُ درارِىَّ أسدافه .وكيف لاَ يهُولُ وكلُّ حرفٍ منه جاءَ لمعنَى؟، وكيف لا يطُولُ وكلُّ لفظ منه قد استَقَرَّ من البديع بمغنَى (٣٥٥)؟، وكيف لا يُغْرِبُ (٣٥٦) والأبصارُ تلْفتُ إليه بأعنّةِ الإعجابِ وتَثْنى؟ وكيف لا يُطربُ وما فيه سطرٌ واحدٌ إلاّ ويُسْمَعُ منه مُثَلّثٌ أو (٣٥٧) مُثَنّى؟. فما أحسنَ ما نَظَمَ وما نَثَر، وما أجْوَدَ ما جرى فى مَيدانِ الإنشاءِ وما غبّرَ لمّا عبر وما عثر، وما أعفَّ كلامهُ فإنهُ لم يلْتَمِسْ من كلام غيره شيئا، وهو يعلمُ (ألاّ قَطْعَ فى ثَمرٍ (٣٥٨) ولا كثَرٍ)، وما أتْقَنَ ما رتَّبَ ورتّلَ لمّاساقَ المثلَ والشاهدَ والأثَرَ: «وما كلُّ من ألقى القلائدَ نظّما».

(من البسيط)

(من كلِّ معنًى يكادُ الميتُ يفْهَمُهُ حُسْنًا ويَعْبُدُهُ القِرْطَاسُ والقلَمُ (٣٥٩)

فقال (٣٦٠) المملوكُ الله أكبر، وهى لفظٌ (٣٦١) لا يُقالُ إلاَ فى الصلاَةِ أو فى الآذان، أو عند عَجَبٍ ماله عن العين حاجب، أو عند خبَرٍ لا تأخذُ إذناً على الآذان، أو عندَ خَطْبٍ يطْرُقُ فيصبحُ مُلْتئمُ العصا منه وهو شذّان (٣٦٢)، وحُقّ لى أن أقول: الله أكبر، فإنّ هذا أمرٌ خرقَ العادهْ، واستعبدَ السّاده، واستقرب ما استبعد (٣٦٣) من مدى المادّة، وأخرجَ الأُدباءَ عمّا سلكوه من الجادّهْ، وأحْرَجَ الكُتابَ حتى كلّتْ ظُبَى أقلامهم الحادّهْ. ولقد عالَجتُ ببديعه جراحَاتِ

الفراق فإنّه لها كالمرْهَم، وأنِفتُ لعجزِى أنفةَ جُبِلَ عليها جبلَةُ بنُ الأَيْهَم (٣٦٤)، وأفلسْتُ فى جوابى فلو وجَدْتُ سطرا مثله يباعُ، كنت كما قال بعضُ العرب: اشتريتُه بوالله ألفِ درْهمٍ، لأنّه تلعّبَ بى (تلّعُبَ الأفعال بالأسماءِ) (٣٦٥)، والبطرِ بأهلِ الصّحة والنّعماء، وخلّبنى سجْعُ هذه الحمامه، وسلّبنى زَهرُ هذه الكمامه، وغلّبنى سكرُ هذه المُدامه.

من الوافر

(ومَنْ حكّمتَ كأسكَ فيـه فـاحكُمْ لَهُ بـإقالَةِ عنـد العِثَارِ) (٣٦٦)

وقد عوّلتُ على الفكر فى أن يلُمَّ شعْثَ قريحتى ويضمّ، وقلت للقلم: هلُمَّ المساعدة (٣٦٧) على هذا الجواب فقال لا أهلُمّ:

(من الطويل)

(وأطرَقَ الشُّجاعِ ولَوْ رأَى مساغًا لنَا باهُ الشجاعُ لَصمّمَا) (٣٦٨)

ولمّا ثقُلَ على رأسى هذا الجبلُ الراسى، ولم يفد فيه إيناسى قبل إيْساسى (٣٦٩)، وأفضتْ بى الحال إلى نسيان ما كنت أعلمه، ولا غروَ فقد قرأ سعيدُ بن جبير «ثم أفيضوا من حيث أفاضَ الناسى (٣٧٠)، وقد قال أبو الفتح البُستىُّ:

(وأعذِرْ فأوّلُ ناسٍ أوّلُ الناسى (٣٧١)

رجعتُ إلى ما عندى من فوائد مولانا ـ أعز الله نوافذ أحكامه ـ وما زيّنتُ بزهره من مرْجِ تعليقى وأكامه (٣٧٢)، فلم أدَعْ بقْعه، ولا سبْسبًا (٣٧٣) إلا وأثرْتُ فيه أثرًا، وأثرْت نقْعه، ولفقْتُ هذا الجواب وهو كما يقال:من كل زوقٍ رقْعه، حتى شملتْنى سعادتك، وحملّتنى بل جمّلتنى إفادتك.

(من الكامل)

(مــا زالَ يُوقِنُ مَن يؤُمُّكَ بـالغِنَى وسِواكَ مــانِعُ فَضْلَه المحتَاجِ (٣٧٤)

وقد أثبتَ الحصَى عن المرجانِ (٣٧٥)، وضاق بى وادى الإنشاءِ، كما اتّسع لمولانا من نظمه ونثره المرْجان.

وأما بيتُ أبى الحسن علىٍّ فإنه أُحكم تأسيس بِنْيَتِه، ورفع بكم نُون قافيته، وحرَّم سُكناه على غيركم، ولو حرَّكَ مولانا نُون رَوِيِّه لَعامَ فى بحر فضلكم، وما كأنَّ الله تعالى أوجد هذا البيتَ إلاَّ لهذا البيت، وللدّلالَةِ على فَضْلِ الحَىِّ منه والميْت.

(من الطويل)

(ومـــا كلُّ زَنْدٍ يَزْدَهى بسِوَارِهِ ... ولا كلُّ فَـــرْقٍ لاَقَ من فوقــه تَاجُ)

وأمَّا قولُ مولانا: وما، وما أقول وكلُّ دمشقَ ما. فهذه نكتةٌ يأْخذ الفضلُ حُسْنَها مُبَرْهِما[٣٧٦] والغَبِىُّ مُسلِّما. وأما (ما) [٣٧٧] وَصَفَهُ من حال مِصر المحروسة (وإقبالها)[٣٧٨] عليه، وإدلالِها لدْيه، فما يقول المملوك إلا:

تَغَايَرُ أَطارُ البلادِ مَحبَّةَ عليك، فهذا القُطْرُ يَحْسُدُ ذَا القُطْرَا (لا بل يقول) [٣٧٩]

تَغَـــايرَت الأَقطارُ فـــيك،، فـــواحدٌ ... لفَقْدِكَ يبكى، أو [٣٨٠] لقُرْبِكَ يبْسِمُ
وكلُّ مكانٍ أنْتَ فـــيـــه مُبَارَكٌ ... وفى كُلِّ يومٍ فـــيـــه عـــيـــدٌ وموسم
ولا شَكَّ فى أنَّ الدِّيارَ كـــأَهلِهَا ... كما قِيلَ تشقَى بالزّمانِ وتنعمَ [٣٨١]

وأمَّا وَصفُه [٣٨٢] من حال الحسَدة الباغينَ، والمَرَدةِ الطاغين، فقد رَدَّ الله كيدَهم فى نحرِهم[٣٨٣]، وزَخر تيَّار (بحرِ [٣٨٤] مولانا فأغرقَ وَشَلَ نَهْرِهم.

(من الطويل)

(ولو علِمُوا مـــا يُعْقِبُ البغْىُ قَصَّرُوا ... ولـكـنَّهـم لَمْ يُفكِرُوافـى الـعوَاقبِ).

ولو لَم يكُنْ مولانا فى هذا الكمالِ ما حُسِدَ على ما هُو عليه [٣٨٥] من غنائمِ المعالى، ولا وَدَّتْ النفوسُ الظالمةُ أن تَسْلُبَه مَا وَهَبه الله، وهو أَبْهَى وأَبْهَرُ من عقود اللآلى، ولا تَمالئوا على اهْتضامِ قدره،

(وكم هذا التّمارى والتّمالِى) [٣٨٦].

من البسيط

(إنَّ العَرَانينَ تَلْقَاهَا مُحَـــسَّدةً ... ولَم تَجِدْ لِلِئـــامِ النَّاسِ حُسَّادَا [٢٨٧]).

فالحمدُ للّه على النُّصره، وضَعْف أقوال أهْلِ الكُوفه، وتَرجيحِ أقوالِ أهْلِ البَصْرَه، وما يُغْلَقُ بابٌ إلاّ ويُفتَح دونه من الخيرات أَبواب، وعلى كُلِّ حال أَبو نصرٍ أبو نصر، وعبدُ الوَهاب عبدُ الوَّهاب، وما يقول المموكُ فى مولانا إلاّ كما قال الأَول:

(من الكامل)

(مَن بـالـسِّنـان يَصُولُ عنـدَ فِطَامِهِ لم يَخْشَ آخرَ بالشنْآنِ (٣٨٨) يُقَعْقِعُ).

وما بَقِيَ غير الخُروج من هذا الجوابَ وثْبا (٣٨٩)، وأن نقول لِركَابه الشريف إذا وَرَدَ أَهلاً وسَهْلاً ورُحْبا(٣٩٠)، [إن شاءَ اللّه تعالى(٣٩١)]

علي(*) بنُ الحسين بنِ القسم بنِ منصور بنِ علّى، الشيخُ الإمامُ العالمُ العلامة المفتنُ ذو الفضائل المنوعة، زينُ الدين أبو الحسن بنُ الشيخِ جمالِ الدين بنِ الشيخ شمسِ الدِّين الموصلىّ الشافعىّ ابنِ شيخِ العُوينة.

كتبت إليه وقد قدم إلى دمشقَ متوجها إلى الحجاز فى سنة خمسين وسبعمائة:

ألاَ إنّمـا القـرآنُ أكـبـرُ مُعْجِزٍ لأفـضلِ مَن يُهْدَى به الثَّقَلانِ(٣٩٢)
ومِنْ جُمْلَةِ الإعْجازِ كـونُ اخـتصارِه بإيجـازِ أَلفاظٍ وبسطِ مـعـانِ
ولكنني فى الكهف أبصـرتُ آيةً بها الفكرُ من طُولِ الزَّمانِ عنَانى(٣٩٣)
وماذاكَ إلا (استَطْعما(٣٩٤) أهلَهـا) فَقَدْ نَرَى(٣٩٥) اسـتطْعَمَاهُمْ مثلَهُ ببيَانِ
فمـا الحكمـةُ الغرّاءُ فى وضع ظاهرٍ مكانَ ضـمـيـرٍ إنَّ ذاك لشانِ.

فكَتب هو الجواب عن ذلك (٣٩٦):

(من الطويل)

سألتَ لماذا (استطعَمَا أهلَها) أتَى (٣٩٧) عن اسـتَطْعَمَاهُمْ إنَّ ذاكَ لَشَانِ
وفيـه اختصارٌ ليس ثَمَّ، ولم تَقِفْ(٣٩٨) على سـبب الرُّجْحَانِ منذُ زمانِ
فـهـاكَ جـوابًا رافـعًا لنقَابِه يصـيـرُ به المعنى كرأى عيانِ
إذا مـا استَوى الحالانِ فى الحكْمِ رُجّحَ م الضـمـيـرُ، وأمَّا حـينمـا يختلفانِ
بأَنْ(٣٩٩) كانَ فى التَّصْريح إظهارُ حكمةٍ كـرفـعـة شـأنٍ أو حـقـارة جـانِ
كَمثْلِ أَميـر المؤمنين يقولُ ذَا (٤٠٠) ومـا نحنُ فـيـه صـرّحُوا بأَمـانِ
وهذَا على الإيجـازِ واللَّفْظِ جـاءَ فى جـوابِى منثُورًا بحُسْنِ بيَانِ

فلا تَمْتَحِنْ بالنَّظم(٤٠١) مِنْ بعْدِ عَالماً — فليس لكلٍّ بالقريض يدانِ (٤٠٢)
وقد قيل إنَّ الشِّعْرَ يُزْرِى بهم فلا — يكادُ يُرى من سابقٍ برْهانِ
فلا (٤٠٣) تنْسَنِى عند الدُّعاءِ فإنَّنى — سأُبْدِى مزاياكُمْ بكلِّ (٤٠٤) مكانِ
وأسْتَغفِرُ اللهَ العظيمَ لما طغَى — بهِ قلمى أو طالَ فيهِ لسانِى.

وكتب بعد ذلك نثراً فيه طولٌ، وقد ذكرت ذلك كاملاً فى ترجمته فى تاريخى الكبير الوافى بالوفيات (٤٠٥).

علىُّ(*) بنُ الحُسين (بنِ على) (٤٠٦) بنِ أبى بكر بنِ أبى الخير محمدٍ، العدلُ الفاضلُ المُحدِّثُ الفصيحُ البارِع، عزُّ الدين أبو الخير بنُ الشيخِ بهاءِ الدين، الموصلىُّ الحنبلىّ

كتب هو إلىَّ سؤالاً:

(من السريع)

يأيُّها الفاضلُ أوْضِحْ لنَا — مُبْهَمَ أمْرٍ لَمْ يبِنْ حُكْمُهُ (٤٠٧)
فى رجلٍ نِسْبَتُهُ أُشْكِلَتْ — إذْ كانَ عمِّى وأنا عمُّهُ.

فكتبت أنا الجواب عن ذلك (٤٠٨):

(من السريع)

أمُّ أبِ زَوْجَتِهَا من أخٍ — لأمِّه. فافهمْ لمنْ عمِّى
فأوْلَدَ ابْنَيْهِمَا واحداً — عمًّا لمنْ أمْسَى له عمًّا.

وكتب إلىَّ:

(من البسيط)

أبشِرْ بوَصْلٍ من المحبوبِ عنْ كثَبٍ — يا قلبُ بالرَّغْمِ من ضدٍّ ومُرْتقِبِ
فكمْ رقيبٍ ثناهُ القُربُ مكتئباً — حيرانَ نُصْبَ عيونِ الهمِّ والنَّصَبِ
خابتْ مساعيهِ لمَّا رامَ فُرْقتَنا — وأُنجِحَتْ لى مساعٍ قطُّ لمْ تخِبِ
من غادةٍ وثَباتُ اللَّيْثِ كامنةٌ — فى لحْظِها بين أخْياسٍ من الهُدُبِ
ضَرْبٌ من السحرِ يجرى فى لواحظِها — يحمى لمىً طعْمُه أحلى من الضَّرَبِ
أجرى سحائبَ دمْعِى برقُ مبْسِمِها — غلِطْتُ، ما البرقُ يحكى لمعَةَ الشَّنَبِ

وبدرِ تمٍّ إذا ما لاح فى صفدٍ ... ولىَّ، وأدبرَ صبرى عنه فى صببَ
فى الطَّرْف منه شبا هنديَّةٍ قُضُبٍ ... والقدُّ لينُ قنا خطيَّةٍ سُلُبِ
لما تسبَّبَ فى قتلى أراقَ دمى ... يا ويحَ قلبى بلا ذنبٍ ولا سببِ
يظلُّ ناظرُه من سحرِ ناظرِه ... ما بين مبتهجٍ منه ومكتئبِ
لم أنسَه إذ بدا كالبدرِ طلعتُه ... فى ليل شعرٍ، فولَّى البدرُ فى هربَ
يجلو على الندماءِ الزهرَ فى فلكٍ ... قد صيغَ من فضةٍ شمساً من الذهبِ(٤٠٩)
فهى العروسُ أتتنا وهى لابسةٌ ... ثوبين ضدَّين من ماءٍ ومن لهبِ
فاستجلِ واشربْ على وجهِ الربيعِ فكم ... فى وجهه إذ بدا من منظرٍ عجبِ
فالروضُ يضحكُ بالأزهار مبتهجاً ... لمَّا بكاه الحيا من طرفِ منتحبِ
لكنْ شقائقُه شقَّتْ ملابسَها ... أيدى نسيمِ الصبا فى مأتمِ السُّحُبِ
وتحت أستارِ أوراقِ الغصونِ قيا ... نُ الورقِ شنَّفت الأسماعَ بالطربِ
كأنَّ فى كلِّ عودٍ عودَ غانيةٍ ... تجيدُ ضرباً ولم تبرزْ من الحُجُبِ
والحبُّ من سكرِه قد بات يرشفنى ... من ريقه العذبِ ما يجلو صدى كربى
تعبتَ حتَّى بلغتَ الوصلَ منه، وما ... (يجنى الفتى راحةً إلَّا من التعبِ(٤١٠)
وما خلىٌّ ينامُ الليلَ مثلُ فتى ... يسيِّرُ العزمَ بين الحزمِ والدأبِ
مثلُ الإمامِ صلاحِ الدين سيِّدنا ... بحرُ العلومِ إمامُ العُجْمِ والعربِ
فشأنُه دأبٌ، ما شأنُه مللٌ ... والجدُّ فى الجدِّ غيرُ اللهوِ واللعبِ (٤١١)
مليكُ علمٍ بدا بالجودِ طالبُه ... فقاصدُ الفضلِ منه قطُّ لم يخبِ
وجأشُه جيشُه، والرأىُ رايتُه ... وفكرُه النبلُ إنْ يرمِ به يصبِ
وما صفائحُه إلاَّ صحائفُه ... فيها اليراعُ ينوبُ السُّمْرَ فى النُّوبِ
مواهبُ العلمِ والإحسانُ لى كثرتْ ... منه فروَّتْ ثرى من ربعىَ الجدبِ
مكارمٌ قد همتْ كابنِ الغمامةِ مع ... فوائدٍ بمعانٍ كابنةِ العنبِ
ياذا الرفيعين (٤١٢) من قدرٍ ومن هممٍ ... ياذا البديعين من خطٍّ ومن أدبِ
ياذا المليحين من خَلْقٍ ومن خُلُقٍ ... ياذا الرجيحين من عقلٍ ومن أدبِ
وذى لكم جوهرٌ حاشاه من عرضٍ ... فكيف عدَّتْه أعدائى بمخشلبِ (٤١٣)
استجلِ واستحلِ من مدحى منقَّحةً ... طابتْ وطالتْ ولولا أنتَ لم تطبِ (٤١٤)
وطائرُ اليمنِ فى مدحى وليس له ... نقدٌ ونقرٌ كمنسوبٍ نسبَ
وما انتحلتُ كلامَ الناسِ أسرقُه ... كمثلِ ذى أدبٍ عارٍ من الأدبِ
المغربىُّ لديه العقلُ أغربُ من ... عنقاءِ مغربَ لم توجدْ ولم تصبِ
نذلٍ دنىٍّ لئيمِ الطبعِ ذى سفهٍ ... للقولِ مغتصبٍ بالجهلِ معتصبِ
الصدقُ مدحى ولكنْ قولُه كذبٌ ... والفخرُ بالصدقِ ليس الفخرُ بالكذبِ
مولاى رامَ بعادى عن جنابكمُ ... فلم ينلْ قطُّ تنفيساً من الكُرَبِ

وكانَ سيْرِى سيراً غيرَ منْعكسٍ — وكانَ يُرْجى يُرْجاً غيرَ منْقلبِ
رأفتَ بى، ثمّ قدْ أوليْتنى نعماً، — أفديكَ يا مالكى من مشْفقٍ حدبِ
فظللْنا بك ظلّ غيرِ منتقلٍ — ووردْنا منك وردَ غيرِ مؤتشبِ
تهنّ مولاى بالشهرِ العظيمِ، وبالـ — أجرِ العميمِ، ودُمْ فى أشرفِ الرُّتبِ
واسعدْ بإتيانِ شهرٍ أنتَ صائمهُ — فى نعمةٍ مدى الأيامِ والحقبِ.

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك ارتجالا:

(من البسيط)

أهذه دوحةٌ ميّاسةُ القضبِ — أم ثغرُ كأسٍ تبدّى باسمَ الحببِ؟!
أم خدُّ أغيدَ قد وشّاه سالفهُ — فلاحَ عنبرهُ فى ساطعِ اللهبِ؟!
أم السماءُ كساها الليلُ حلّتهُ — وزيّنتها يدُ الإمساءِ بالشهبِ؟!
أم عقدُ درٍّ نفيسٍ قد خُصِصْتَ به — من شاعرٍ نظمُهُ ينهلُّ كالسُّحُبِ!
روى الحديثَ فروّى أنفساً ظمئتْ — لصدقِ لفظٍ خلا من بدعةِ الكذبِ
إن قالَ حدّثنا، أو قال خبّرنا — فاسمعْ حديثاً تنقّاه من النُّخبِ
إيرادَ ذى منطقٍ جزْلٍ فصاحتُه — تسمو على من سما فى الشعْرِ والخطبِ
لو كان قابله فى ذلك ابنُ عصا — (٤١٥) كرٍ لما كانَ نجاه سوى الهربِ
أو جازَ فى أذنِ الجوزاءِ منطقُه (٤١٦) — لما رأينا له لُبّاً من الرّهبِ
أهديتَ نحوى عزّ الدينِ غانيةً — من نظمك المنتقى معسولةَ الشّنبِ
باتتْ تغازلنى ألحاظُ أسطرِها — فأسكرتنى، ولا سكْرَ ابنةِ العنبِ
فهمتُ منها معانيها، فهمتُ بها — ومالَ عطفى لها من شدّةِ الطربِ
أنزلتنى فوقَ مقدارى بمدحك لى — ولستُ ممّنْ علا فى شامخِ الرُّتبِ
فإن فقرى بادٍ لا خفاءَ به — وليسَ عندى إلاّ قلّةُ الأدبِ
وأنت ممّنْ سمتْ فى الفضلِ همّتُه — وجاءونا ببيانٍ بيّنِ العجبِ
وطارَ كلَّ مطارٍ فى حصولِ معا — نيه، ولم يكُ فيها قاصرَ السببِ
فما نرى حجلاً إلاّ اكتسى خجلاً — كذا العقابَ رأيناها بلا عقبِ
وقصّرَ الصكرُ عن شأوٍ تحاولُهُ — ولو علا الجوّ لاصطدناه بالحربِ
وما أغرتَ على ألفاظِ غيرِك فى — شيءٍ تحاوله، يا طيّبَ الحسبِ
ولم تخنْ لخليلٍ قد صفا ونفى — عنه الأذى والقذى من سالفِ الحقبِ
كذا يكونُ الكرامُ الطيبون إذا — ما عاملوا الناسَ فى جدٍّ وفى لعبِ
فاعذرْ إذا شانَ (نسْجَ)(٤١٧) النظمِ هلهلةً — ولم تجدْ بيته مستوثقَ الطّنبِ
واصفحْ فما هى إلاّ بنتُ ساعتِها — بلا مسوّدةٍ واغفرْ ولا تعبِ (٤١٨)

وكتب هو إليّ ملغزا:

يا إماماً شاعَ ذكْرُه، وطاب نشرُه، فطيّب الوجودَ وعطَّر، وفاضلا بيّنَ كلّ مُعمّى ومُتَرْجَم، وأرّخ، وتَرْجَم، وعمّنْ عبرَ عبّر، وكَتب فَكَبَتَ الأَعادى، وكَبَتْ من دون خطّه وحظّه فرسان الأذهان والأيادى فتخطّى قوامُ قلمِهِ وتَخطّر.

(من الطويل)

(إذَا أخَذَ الـقِرْطَاسَ خِلْتَ بِمِـهِـنَهُ تَفَتّحَ نَوْرًا أو تَنَظّمَ جَوْهَرًا(٤١٩)

مـا اسمٌ ثُلاثُى الحـروف، وهو بعضُ الظُّروفِ، مـاضٍ إن تُصَحّفْه عـادَ فـعلَ أمـر، وإن ضَمَمْتَ أوّله صار مُضارِعاً فاعجبْ لهذا الأمْر.

إن أردتَ تعريفَه بألْ تنكّر، أو تغيّرتْ عليه العواملُ فهو لا يَتَغيّر، كُلُّ يوم يزيد فى بُعْده، ولا تقْدِرُ على ردّه إنْ نَزَعتَ قلبَه [بعد قَلْبه (٤٢٠) فهو] فى لُعبةِ النّرْد موجود، وقَلْبه سَمَاً فلا تناله الأحـزابُ والجنود، وكلُّ مـا فـى الوجـود إلى حـالهِ يعُود، به يُضـرَبُ المثل، ومنه انقَطَعَ الأمَلَ، ثلثاه حرفُ استفهام، وإن تَعْكسْ يَطّردْ ذلك النّظام.

وثُلُثُه الأوَل كـذلك، وعكسُ ثُلثَيهِ يترك الحيَّ هالكاً فى الهوالك، لا يوصفُ إلاّ بـالذهاب، وليس له إلى هذا الوجودِ إياب، وهو ثلاثةٌ وعدده فوق المائه، وكم رَحَلَ بفئة بعد فئه. وُجِدَ وليس فى الوجود، بنى وفيـه أُسٌ ولكن لا فى السّماءِ ولا فى الأرض، ولا فى هبوطٍ ولا فى صُعود. طَرَفَاهُ اسمٌ لبعضِ الرياحين المعطّرَه، وكلّه جزءٌ من الياسمين لمن اعتبره (٤٢١)، مكسورٌ لا يُجْبَر، وغائبٌ لا يُستَحضَر، أقربُ من رجوعه منالُ (٤٢٢) معكوسه، يُدركه العاقلُ بفكره وليس من محسوسه. أبنه لا زلتَ تُزيلُ الإشكال، وتُزينُ الأضرابَ والأشكال.

(من السريع)

يـا مَلِكَ الـعِـلْـمِ ويا مـن غَدَا خـادمهُ فى الدهر سَعْدُ السُّعُودْ
صريفُ أقْـلامِكَ يا سيّدى يُخشَى كـمـا يُخشَى زئيـرُ الأُسـودْ
وخفقُ قِرطاسكَ من تحتهـا كـأنّه فى الوقـعِ خَفْقُ البُنُودْ
ورأيُكَ الـرايـاتُ، والجأشُ جيشٌ (م) لا يُلاقَى، والسُّطُـومُ الجـنُـودُ
لا زلتَ فـى عـزٍّ وفـى نـعمةٍ تَسُرُّ خِلاً، وتَسُـومُ الحَسُودْ.

فكتبت أنا الجواب إليه وهو فى أمس:

(من السريع)

يا فاضلاً أقلامه لم تزل		تحوك ما يكتبُه كالبُرُودْ
وناظماً (إنْ (٤٢٣)) قال شعرًا فقدْ		أزرتْ قوافيه بدرِّ العقودْ
ومَن إذا ألغزَ شيئًا فقد		أنجزَ فى الإبداع منه الوعُودْ
ومَن له كالماءِ فى رقّة		ذهنٌ رمى جمرَ الغضا بالخمُودْ
بقدرِ ما عندَك من خاطرٍ		متّقدٍ أصبح عندى جمُودْ

وقف المملوك على هذا اللُّغزِ الذى أبدَعتَه، وفهم بسعدِك السِّر الذى أوْدَعتَه، فوجدتُه ظرْفاً ملأتَه منك ظُرفًا، واسماً بُنِىَ لمَّا أَشبه حرفا، ثُلاثِى الحروف، ثُلْثُ ما انقسم إليه الزّمان من الظروف، إن قَلَبْتَه سما، وأراكَ حَرْفَ تنفيس وما بقى منه ماو ثُلُثَاَ مسّ، وكلُّه بالتحريف أَمَسّ، وهو بلا أولٍ تصحيفُهُ مبيّن، وفى عكسه سمٌّ تعيّن. التقى فيه ساكنان فبُنِىَ على الكَسْر، ووقع بذلك فى الأَسْرِ، لا يتصرّفُ بالإعراب، ولا يدْخلُه تنوينٌ فى لسان الأعراب، يَبعُدُ من كلِّ إنسان، وينطقُ به وما يتحرّكُ فيه لسان، لا يُدْرَكُ باللّمْسِ، ولا يُرَى وفيه ثُلُثَا شمس، تتغيّرُ صيغتُه حالةَ النِّسبةِ إليه، ويدخلُه التنوينُ إذا طرأَ التّنكيرُ عليه. متى بات فاتْ، ولم يَعُدْ له إليك التفاتْ.

(من السريع)

(أمْسُ على ما كانَ من قُرْبِهِ		يَعْجِزُ كلُّ النّاسِ عن ردِّهِ (٤٢٤))

فماضيه ما يُردّ، وثانيهِ ما يعدّ، وطريقُ ثالثه ما يُسَدّ.

(من الطويل)

(ثلاثةُ أيّامٍ هى الدّهرُ كلّهُ		وما هِى غيرُ الأمسِ واليومِ والغدِ)(٤٢٥)

قد استوعبَ مولانا أوْصافَه، وضمّ إلى دائرةِ الحُسْنِ أطْرافَه، فما تَراك فيه بعدهُ فَضلةَ تُلْقَطْ، ولا مُعجماً يُهمَلُ أو يُنْقَط، فلذلك لم يَتَمَكَّنْ المملوكُ فيه من العمل. ولم يبلُغْ من الإيداعِ فيه نِهايَةَ أمل، (وخبَط فى هذا الجواب خَبْطَ العشواءِ (٤٢٦)، فاختلَط المرْعِىُّ بالهَمَلِ (٤٢٧)،

وقال هذا يومُ صفّينَ مع عليٍّ أو يومُ الجمل (٤٢٨)، واللّه يمتّع الوجود بهذه الفوائدِ العزّيّهْ، والمحاسنِ التى لا تُنْشَر معها المطاوِى البزّيّه. بمنه وكرمه إن شاءَ اللّه اللّه تعالى.

(من المجتث)

يا فاضلاً ذا علُوم سمَتْ بذهنٍ شريفِ
ما اسمُ لشيءٍ لطيفٍ يأتى بمعنىً منيفٍ؟!
مدَوَّرُ الشكلِ لكن له ثلاثُ حروفْ.
يسيرُ طوراً بخيرٍ وتارةً بحتوفْ.

أصمُّ يصغى إلى النّجوى، أخرس يُفصحُ بالدعوى، له لسانان وعينٌ، واحده، وقامةٌ، تراها عند إسداء المعروف مايده، يسجد عند سماع الآيات، ويجرى - وليس له رجلان - إلى الغايات.

(من المجتث)

إذا علاَ صحنَ خدّ حلاّهُ بالتخْريف
وإن مشَى وهْوَ حافٍ سمعْتَ حُسْنَ الصّريفَ
وكم له من أيادٍ تطيعُ أمرَ الكفوفَ
إنْ ساقَ قولاً ثقيلاً أتى بمعْنًى خفيفْ.

كبيرُ القَدْرِ، صغيرُ الجُرمِ، يُقْطَع لسانُه وما أتى بجُرْم، يُحْيِي الآمال بيد، ويقْتُلُ بالأخرى ولا يدي(٤٢٩)، وإذا انعكس جفّتْ أعاليه وأسفله ندي. شجرةٌ ثمرُها تُخْجِلُ اللؤلؤ والمرْجانَ، غصنٌ فينانٌ يميس من رياضِ المعاني في بُستان، يسكُنُ إلي الراحة فيتْعبها ويتْعب، ويقْطَع إذ برأسه يلْعَب، كما أثار حرب عوان(٤٣٠)، ونفَث من عقْدِه سحرا جُهِدتْ منه الفُرْسَان.

(من المجتث)

سهْمٌ ويرمي سِهَامًا تُعدُّ فوقَ الألوفِ
وافٍ بكلِّ خليلٍ نساسٍ لكلِّ ألوفِ
فلم تُصحّفه إلاّ رأيتَ علْمَ اللّطيف
أبنْهُ بالقُرْبِ منهُ وجُدْ بلفظٍ ظريفِ

في قلبه عن التَّوَدُّدِ والانطباع أسفار، ومياهٌ تَعْكِفُ عليها الأطْيَار، إن عَصِيَ علي غيرك أجابَك أنِّي تَدْعُوه، وهو بين يديك كالمقياس يُفَرِّحُ قلبَ مَنْ يرجوه، وكيف لا، وأصابعُ البحرِ الحُلوِ تعلوه، والله يكشفُ بعلم مولانا عنّا من الجهل غمَمَ(٤٣١)، ويُديمه لِخدمتِه ما جرى في لوحٍ قلَم. بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى.

فكتبت أنا الجواب عنه ارتجالا، وهو في قلم:

(من المجتث)

يا مَنْ يَحُلُّ المُعَمَّى مِنه بذوقٍ لَطِيفِ
ومَنْ تَحُلُّ المَعَالي منه بطَودٍ مُنِيفِ
ومن إذا قال لُغزاً أتى بشيءٍ ظريفِ
دانٍ إلى كلّ فَهْمٍ على القلوبِ خَفِيفِ.

يا مولانا هذا الذي قَصَدْتَ إلغازَه، وعوَّضْتَ عن الحقيقة مَجَازَه، يَسجُدُ لباريه، ويَتْعَبُ، إذا كان في كفِّ المولي، مَنْ يُجاريه، يُترجِمُ عن ضمير الفؤاد، ويزينُ البياضَ بالسواد، يسعى على أُمِّ رأسه، ويروِّضُ الطُّروس فَيَضَلُّ من شبه الزهرَ بأنفاسه، قد أقسم الله - عز وجل - به في الكتاب (٤٣٢)، وجعَله في البنان نائباً عن البيان في الخِطاب،

(من المجتث)

كم قد أتاحَ فتوحاً وكم أتى بحُتُوفِ
وليس يطعنُ يوما سِنَانُه في الصُّفوفِ
وكمْ أباحَ العطايا في تالدٍ وطريفِ
إذا طفا الجودُ منه لم يقْتَنِعْ بالطّفيفِ.

أُحاشِيك من قَلْبِه، وقلبُ بعضه من الغواني تحكمُ (٤٣٣) على القلب بسلبه، إن حذفت أُولاهُ كان حرفَ سلب، وإن طرحتَ ثَنَاياه كان أمراً من الوثْب، وإن نَقَصتَ أُخْرَاه كان أولَ سُورة الإخلاص، وإن حذفت من إعجامه نقطةً في هذه الحالة، فهو كناية في الناسِ عن بعض الأشخاص،

قَوامُ كُـــــلِّ وزيـــــــرٍ		وزَيْنُ كُـــــلِّ شَريـــــفِ
لـم يَنْفَعِ المـرءَ حـــــتّى		يُعـــــــينَهُ بِرَدِيـفِ
لأنّهُ مـــــــــــعْ سُطَاهُ		تَلْقَاهُ جِدّ ضـــعــــيفِ
لـــكـــن يـــردُّ الــــرَّزايَا		منه برأيٍ حـصـيفِ (٤٣٤)

فيه المني والمنون، وآخرُ وسطِه آخرُهُ (٤٣٥) فاعجبْ لسِرِّه المكنون. يُلازِمُ الأَسفارَ- وهو مُقيم، ويدْفَعُ المعْضلاتِ ،وهو سقيم (٤٣٦)،، فسبحان من سَخَّره للمولي يُدِيره كيف يشا، ويُصرِّفه في فنون الإنشا، لا زال البيانُ طوعَ بنانه، ونفثاتِ (٤٣٧) فِيه ولِسانِه. بمنه وكرمه، إن شاءَ الله تعالي.

وكتب (٤٣٨) هو إليّ من حلب:

(من السريع)

تَعَطَّرِي بِانَسمَاتِ الـــــــرِّيَاحْ		بِنَفْحَةِ الزَّهْرِ، إذا الزَّهْرُ فَـــاحْ
وكلّمـــا اســـتَعْبَرَ دمعُ الحيَا		فَرْقِرقِـــيــه في خُدودِ البِطَاحْ (٤٣٩)
ورَنّحِي أعطافَ غُصْنِ النَّقــا		إذا تَغَنّتْ فـــيــه ذاتُ الجنَاحْ
ونَـــشّرِي فــي طَيِّ أوراقِه		أُرزًا علي مـــثلِ خُدودِ المِلاحْ
ونَثّرِي مـــن نـــظمِ أزهارِه		دُرًّا، بـه تُزْهَي عقُودُ الرَّدَاحْ (٤٤٠)
وصافِحِي الـنَّرجِسَ فــي مَرْجِها		وغَازِلِي تلكَ العيُونَ الوَقَاحْ (٤٤١)
وذَكّرِينا بـزمـــانٍ مَضـي		بالأُنسِ مَعْ تلكَ الوجوهِ الصِّبَاحْ
وخَبِّرِي المُشْتَاقَ عَنْهـــمْ فَفِي		ذِكْراهُمُ للقلبِ أيُّ انشـــراحْ
يا وَيْحَ صَبٍّ عَنْهُمْ مـــالَهُ		إنْ بَرّحَ الـــشّوقُ بــه من بَرَاحْ
إنْ فَسَدَتْ بالبَيْنِ أحـــوالُهُ		فَمن صلاحِ الدِّين يرجو الصَّلاحْ
الـفــاضلُ، الحبْرُ، الكريمُ، الّذي		زَانَت عطاياهُ ســماءَ السَّمَاحْ
وهْوَ الّذي إنْ لَمَسَتْ كَفُّهُ		طِرْسًا، فقدْ حَلّ الدُّجي في الصّباحْ
وهْوَ الّذي أعطافُ أشــعــارِه		تَوشّحَتْ بــالــدُّرِ أيَّ اتّشَاحْ (٤٤٢)
وهْوَ الّذي لاحتْ مــعـــانيــه في		ألفــاظِه غُرًّا، وضَاءَ الوَضَاحْ (٤٤٣)
لا أوحَشَ الــرّحمَنُ مـــن وَجْهِهِ		ومِنْ مــعـــانيــه الصِّحَاحِ الفِصَاحْ.

فكتبت أنا الجواب إليه:

(من السريع)

جاءَتْ وقد لاحَ مُحيّا الصبَاحْ
أبياتُك الغُرُّ الوِسامُ الصِبَاحْ
وللصبَا بين الثريّا وثبةٌ
مِنْ بعدما قدْ أبطأت في البِطاحْ
والأفقُ عُطلٌ من نجوم الدجى
والشرْخُ من دُرِّ الندي في وِشاحْ
فأخجلتْ وجهَ الحبيب الذي
لاحَ، وقد هام به كلُّ لاحْ
فيالها خمرةَ نظم، وقد
(أصبحْتُ يا صاحِ بها غيرَ صاحْ)
لمْ أغتبطْ إنْ لمْ بها أغتبقْ
ولا اصطبارٌ لي عن الاصطباحْ
وددْتُ أن البينَ ما بيننا
لم تطوِ منه شقّةُ الانتزاحْ
كي أتملّى بالقوافي التي
يزينُها في غدوةٍ أو رواحْ
فملّني الآن بها، وامْلَ لي
كؤوسَ راحٍ، عندها الهمُّ راحْ
فهي قوافيك التي صيَّرتْ
حمى فؤادي لهواها مباحْ
لو ساغَ للبرق مجاراتُها
لَحُطَّ عنه في الدُّجى واستراحْ
فما عسى تطلبُ منّي إذا
ما امتدَّ باعي ساعةَ الامتداحْ.

وكتب هو إليّ أيضا من حلب:

(من المتقارب)

ألا حبّذا عيشتي الراضيهْ
وأيامُ صبوتيَ الماضيهْ
ويا طيبَ أوقاتِ وصلٍ خلتْ
مُدبَّجةِ(٤٤٤) الذيلِ والحاشيهْ
ليالي أنصبُ فخَّ الهوى
فأقنصُ ذا المقلةِ الساجيهْ
ويا حسنَ جِلّقَ من جنّةٍ
قطوفُ الأماني بها دانيهْ
رحابٌ مساربُها ضافيه،
عِذابٌ، مشاربُها صافيهْ
تمايلَ أغصانُها مذْ شربْنَ
بكأسِ الصَبا من يدِ الغاديهْ
جواري أنهارُها قد غدتْ
بجوهرِ أزهارِها حاليهْ
مغانٍ يلذُّ سماعُ الغِنا
بها من هواتفِها الشاديهْ
إذا شاقَ طيبَ شذاها العليلَ
كَسَتْ جسمَه حُلّةَ العافيهْ
كأنّ الغمامَ إذا جادَها
يمينُ لسيّدِنا هاميهْ
أمينُ صلاحُ لدين الآله(٤٤٥)
إمامٌ له الهمّةُ العاليهْ
فلا أوحشَ اللهُ من وجهِه
ولا زالَ في نعمةٍ باقيهْ.

فكتبت أنا الجواب عن ذلك:

(من المتقارب)

أتتني أبيـــاتك الغـــاليهْ		فميـــزتْ بينَ الورَى حـــاليهْ
تلوحُ بدورَ المعـــانى لنَا		تماماً بـــأسطرِهَا الـــداجيهْ
لهـــا زُخرُفٌ قـــد سبَا خـــاطِرى		فـــأمسَتْ له الشُّعرَاجـــاثيهْ
فـــإنْ كنتَ أهدَيتَهَا غـــادةً		فـــإنْ نُموعِى لَهـــا جـــاريهْ
وإنْ كُنتَ حـــبَّرتَهَا روضَةً		فـــعينِى بهـــا قـــد جرَتْ ساقيهْ
لقـــد روَّضَتْ طِرسَهَا للورَى		ســـحـــائبُ آدابك الهامِيهْ
ويـــا طيـــبَ نفحَةَ أزهارِهَا		فقَد أرخَصتْ عـــندَى الـــغاليهْ
سطورُكَ أنهـــارُ فـــضلٍ جرَتْ		وكـــمْ لـــك يـــا بحرُ مـــن راويهْ
أتتني وقَدْ عبثَتْ بى الـــنَّوَى		ولـم يبْقِ منى الضنَا باقـــيهْ
فأهدَتْ لـعيْنِى طـيـفَ الكـرى		فلَيتَ عـــلـــى عيْنك الـــواقِيهْ
ولكنَّهـــا تُركَتْ فى الحـــشَا		بتـــأكـــيد خدمَتكَ العـــاليهْ
ولم تُطفِ ناراً بغَوْرِ الحـــشـــا		شـــريعـــةَ عيْنٍ غدَتْ داميهْ
ألا يـا علىُّ الـقَريضِ الـــتَفِرْ		فشيـــعتَكَ الفِرْقـــةُ الناجيهْ
وقـــد شَبِعَ النَّاسُ ممَّا رأوا		ولـــيحلُو وسْطَ الحشَا زاويهْ.

على(*) بن داودَ بن يحيى (٤٤٦) بنِ كاملِ بنِ يحيى بن جُبارة بن عبد الملك بنِ يحيى بنِ عبد الملك بنِ موسى بن حبارة، ينتهى إلى عبد الله بن الزبير بن العوام، الشيخ الإمامُ العالمُ العلامةُ الفريدُ الكاملُ النَّحوِىُّ الأصولىُّ، الفقيهُ الأديبُ نجمُ الدين أبو الحسن بن القاضى عماد الدين القحفازىّ الحنفى.

كتبت إليه أطلب منه ما استعين به على ترجمته فى تاريخى الكبير(٤٤٧) على العادة(ومنه(٤٤٨)).

(من الخفيف)

يا مفيـــدَ الورى مـــعانِى المَعالي		وإمـــامَ الأنـامِ فى كلِّ علمِ
إنّ لىِ مُعجَماً كأفْقٍ فـــســـيح		اشتهِى أنْ يزَانَ مـــنكَ بنَجْمِ(٤٤٩).

فتأخر جوابه إليّ(٤٥٠)، فكتبت إليه(٤٥١):

(من الطويل)

ظفرتُ بوعدٍ منكَ بلُقْيَى المُنَى ... وجودُكَ نَجْمَ الدين ليس يَحُولُ
وَقَدْ طَالَ ليلى لانتظارِ وُرُودِهِ ... (وليلُ الَّذى يَرْعَى النُّجُومَ طويلُ) (٤٥٢).

فكتب هو الجواب عن ذلك(٤٥٣):

(من مجزوءِ الرجز)

يا سائلى عنْ نَسَبِى ... وَمَوْلِدى وأَدَبِى
وما قرأتُ في العُلُو ... مِ منْ شريفِ الكُتُبِ
ومَنْ أخذتُ ذاك (م) ... عنهُ من شيوخِ مَذْهَبِى
وغيرِهِمْ ممّن حوى ... سِرَّ كلامِ العربِ
وما الذى سمعتُهُ ... عن النّبيِّ العربى
صلّى عليه اللهُ ما آخْ ... لَوْلَكَ جنْحَ غَيْهَبِ
وذكرِ(٤٥٤) شيءٍ صغْتُهُ ... من شعرِىَ المُنْتَخَبِ
وما الذى صنّفْتُهُ ... منْ كُتُبٍ وخُطَبِ
لَوْلاَ وُجوبُ حُرْمَةِ الْـ ... قَصدِ ورَعْىِ الرُّتَبِ
ما قُلْتُ ذاكَ خَشْيَةً (٤٥٥) ... منْ حاسدٍ مُؤَنِّبِ
يقولُ: إنّى قُلْتُهُ ... مُفْتَخِرًا بحسبِى
لكنّما البُخْلُ بما ... سُئِلْتُ لا يَحْسُنُ بى
والمُقْتَضِى مَنّى لَهُ ... لاَ يأْتَلِى (٤٥٦) فى الطَّلَبِ
وهْوَ خليلٌ فى الرَّخَا ... وَعُدَّةٌ فى الكُرَبِ

وَهَمُّهُ فى جمعِ شَمْلِ الفَضْلِ لا فى النَّشَبِ (٤٥٧)
وما صلاحُ الدِّينِ إلاَّ فى اقْتِنَاءِ القُرَبِ

هذَا (٤٥٨) الَّذى أوْجبَ لى ... يا صاحِ كشْفَ الحُجُبِ
عنْ مُحتدِى ومَوْلِدِى ... وفَضْلِىَ المُحتجِبِ
فقلتُ غيرَ آمِنٍ ... منْ عائبٍ (٤٥٩) مُنَدِّبِ
مُختصِرًا مُقتصِرًا ... مُعْتَذِرًا(٤٦٠) منْ رَهَبِى
ما (٤٦١) ستَراهُ واضحًا ... مُرْتَسِمًا عنْ كَثَبِ
لا زِلْتَ للفضْلِ حمًى ... ولبَنِيهِ كالأَبِ
تجمَعُ شَمْلَ ذِكْرِهِمْ ... مُخلَّدًا فى كُتُبِ(٤٦٢).

وأنشدتُه يوما قولي بالدّيار المصرية (٤٦٣):

(من البسيط)

رَكِبْتُ في البَحرِ (٤٦٤) يوماً مَعْ أخي أدبٍ فـقـال دَعْنِيَ مِنْ قـالٍ ومِنْ قِيلِ
شَرحتَ يا بَحْرُ صَدْرِي اليـومَ قُلْتُ لَهُ لا تُنْكِرِ الـشَّرْحَ يـا نَحْوِيُّ لـلـنِّيـل.

فاستحسن ذلك وأنشدني لنفسه (٤٦٥) ما كتبه هو إلى الشيخ بدر الدين مُحَمَّد بن بَصخَان(٤٦٦)، وقد أقام بمصر المحروسة:

(من الكامل)

يـا غـــــائباً قَدْ كُنْتُ أحْسِب قلبَهُ بِسِوَى دِمَشْقَ وأهلِهَا لا يَعْلَقُ(٤٦٧)
إنْ كـانَ صـدَّكَ نيلُ مـصـرٍ عنهمُ لا غَرْوَ فـهْوَ لنا العـدوُّ الأزرقُ(٤٦٨)

فأنشدته لنفسي في معنى زُرقة النيل:-

(من الخفيف)

قَالَ خِلِّي بـالله صِفْ أرْضَ مـــصْرٍ وَأتَتْ كتّانها بِوَصْفٍ مُحَقَّقْ(٤٦٩)
قـلـتُ أرْضٌ بـالـنـيـلِ يُرْوَى ثَرَاهـا فـلِـهذَا، الـــكَتَّانُ نَوْرٌ أزرقْ.

هنا (٤٧٠) تمَّ الجزءُ الأَول من ألحان السواجع، ويتلوه في الجزء الثاني علي بن عبد الكافي. والحمدُ لله حقَّ حمدِه، وصلاتُه على سيدنا محمد وآله وصحبه الطَّيِّبِينَ الطاهرين وسلامُه.

هوامش حرف العين

(عبدالله بن على... بن غانم)

(*) له ترجمة فى :(أعيان العصر ٣/ ٢٢٣) . و(الدر ٢/ ٣٨٢، ٣٨٣) وذكر تاريخ وفاته فى سنة ٧٤٤هـ. وقال: «وكان له نظم وسط»، و(فوات الوفيات ١/ ٤٧٧ ـ ٤٨١) ، و(من ذيول العبر ٢/ ٢٤٠)، و(الأعلام ٤/ ٢٤٤)، و(الوافى ١٧ الورقة ٧٧ ـ ٨١) .

(١) ورد البيتان فى : (أعيان ٣/ ٢٢٩، والوافى ١٧/ ٧٩، والدرر ٢/ ٣٨٣) .

والرواية فى الأولين : «يقول جماعة».

(٢) فى الأصل: «عما قليل إذا بدله ولايستقيم الوزن معه. وما أثبته من (أ، م) هذا ، وفى قوله: «الصلاح» تورية.

(٣) البيتان بالوافى «وأعيان».

(٤) بأعيان العصر: «وكتب هو إلى من دمشق ولنا...» والبيتان وردا (بأعيان ٣/ ٢٢٩، والوفى ١٧/ ٨٠) .

(٥) بأعيان: «أتى عيلى وفيه».

(٦) بالوافى: فكتبت الجواب» واورد البيتين الآتيين. وقد وردا كذلك فى (أعيان ٣/٢٢٩) .

(٧) بأعيان: «وكنت وعدته» بالحذف. وابن رشيق: هو أبو على الحسن بن رشيق المعروف بالقيروانى، أحد الأفاضل البلغاء وصاحب كتاب: «العمدة، وقراضة الذهب فى صناعة الأدب «توفى سنة ٤٥٦هـ. ترجمة (وفيات ١/ ٣٦٦، انباه الرواه ١/ ٢٩٨) . والرسالة المشار إليها لم أحل عليها. هذا، وقد ذكر صاحب (فوات ٢/ ٤١٠) فى ترجمة ابن شرف القيروانى: «وكان بينه وبين ابن رشيق مهاجاة ومعادلة جرى الزمان بها كعادته بين المتناظرين، ولابن رشيق فيه عدة رسائل يهجوه فيها.. منها رسالة (ساجور الكلب) ...» والساجور: القلادة أو الخشبة التى توضع فى علق الكلب. راجع مادة (س ج ر) بلسان العرب.

(٨) بأعيان: «فتأخرت إرسالها، فكتب هو إلى». والأبيات الثلاثة الآتية كما وردت فى (أعيان ٢٣٣، وردت كذلك (بالوافى ١٧/ ٧٩) .

(٩) لعل ابن غانم نظر فى هذا إلى قول الشاعر:

وإذا لم يكن من الموت بد ... فمن العجز أن تكون جبانا

(١٠) بأعيان «وكتبت معها الجواب» والأبيات الثلاثة الآتية وردت فى (أعيان، والوافى) .

(١١) الأروع من الرجال هو الذى يعجبك حسنه.

(١٢) البيتان في (أعيان ٣/ ٢٢٩، والوافي ١٧/ ٨٠) و(الدرر ٢/ ٣٨٣) ورواية الثاني في (الدرر، وأعيان): «وقد أتى صحبتكم خاطبا». أما الشطر الثاني منه في (أعيان) فقد ابتدأ هكذا: «فاشعفوا» وهو تحريف «فاشفعوا».

(١٣) بالوافي: «فكتبت أنا الجواب إليه ارتجالا». والبيتان الآتيان وردا في (أعيان، والوافي).

(١٤) بعلبك: بليدة في داخل أراضي لبنان (دائرة المعارف ٧/ ٣٥٨). هذا والقصيدة برمتها وردت بالوافي ١٧/ ٨٠.

(١٥) محكمة... فكل شيء أحكمته وانقلته فقد احتبكته. ولعله يريد أن معانيه تضيء سطوره كما تضيء النجوم وسط الليل الداجي.. هذا على تأويل من فسر قوله تعالى: والسماء ذات الحبك، بأنها طرائق طرائق النجوم. لسان: (ح ـ ب ك).

(١٦) (الوافي): «في المعالي» وهو مقبول.

(١٧) المشار إليه هو، أحمد بن أبي بكر الشيخ شهاب الدين أو جلنك الشاعر المشهور، صاحب النوادر الظريفة. المتوفى سنة ٧٠٠هـ. ترجمة عن (المنهل ١/٢٠٦).

(١٨) وردت هذه القصيدة الآتية في (الوافي ١٧/ ٨٠، ٨١).

(١٩) يقتبس قوله تعالى ـ والمراد الآية الثانية ـ: «الذي خلقك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك» الآيتان ٧، ٨ من سورة الانفطار.

(٢٠) في (أ): «نسب بك» بالتحريف وفي باقي النسخ مع الأصل والوافي: «نسبي بك للنسيب» بفتح الباء في الكلمة الأخيرة. والبيت على ذلك مضطرب نحويا ولعل صحة البيت: «بسبي بك النسيب...» والمعنى: شرفك وحسبك يفتن كل من دقق فيه.

(٢١) قوله: «قد سر بك» أي علم قدرك وأدرك مكانتك: فالسرب: حفير تحت الأرض، وقيل الوضع الذي حل فيه الوحش. وقيل: السرب، الماء السائل. (لسان/ سرب).

(٢٢) (الوافي): بذوق علمه». وجلبك في نهاية البت: صاح بك واستحثك للسبق.

(٢٣) النبك: قرية مليكة بذات الذخائر بين حمص ودمشق، فيها عين عجيبة باردة في الصيف قال الراجز:

ألا بك اليوم وأنى منك ركبا أناخوهنا بالنبك

(ياقوت ٨/ ٢٤٧).

(٢٤) «خليل للورى» في (الوافي).

(٢٥) «شدوت من» في (الوافي) بالتحريف...

(٢٦) في (ب): «بمعنى» تصحيف. هذا. وفي نسخة الاسكوريال: «تبخلي». ولعلى المعنى: أي فهمنا كلامك الرائق الصافي كالسلافة، وأدركناه. فقد جاء (محيط المحيط: معنى) قوله: «معنى يتمنى، فهم وأدرك المعنى واستخرجه وأتى بالمعاني، وهي مأخوذة من المعنى كتمندل من المنديل....».

(٢٧) في الأصل: «المتفرد» وأثبت ما في (أ، ب)، (م) أما (ز) فالرواية فيها: «المجموع الزهي» بالتحريف.

(٢٨) اقتباس من الآية/ ٢ من سورة الزلزلة.

(٢٩) يشير إلى قول أبي تمام (بديوانه ٤/ ٣٩٠):

مِن كلِّ معنًى يكادُ الميْتُ يفهمُهُ حُسْنًا، ويحسُدُه القرطاسُ والقلَمُ

(٣٠) أثبت ما في (ز)، إذ بالأصل وغيره: «القرطاس تسلمه». فالألفاظ تنظم وتقبل كالحجر الأسود.

(٣١) البيت ساقط من الأصل، ومن (أ) والزيادة عن (ب، ز، م).

(٣٢) وردت هذه الرؤية المنامية في (أعيان ٣/ ٢٣٣، والوافي ١٧/ ٨١). وفي (مصباح الظلام ق ٦٩).
(٣٣) الشطر الأولى في (أعيان، والوافي) برواية: «.... لن أكدر عهدا». والشطر الثاني في (أعيان): «لم تزل من» هذا، وقد ورد البيتان في (مصباح الظلام الورقة/ ٦٩، ٧٠).
(٣٤) (مصباح الظلام): «وإذا ما وجدت فضلك عندي... ضاع».
(٣٥) تنكز هو: ابن عبد الله الحسامي الناصري نائب الشام المتوفي سنة ٧٤٠هـ. ترجمته عن (الدارس ١/ ١٢٣ ـ، بدائع الزهور ١/ ١٧١ ـ ١٧٣).
(٣٦) وردت الرسالة الآتية في (أعيان العصر ٣/ ٢٣١)
(٣٧) «الكريم العالي» بالزيادة في (أعيان).
(٣٨) (أعيان، م): «براين الأسود».
(٣٩) البيت لأسامة بن منقذ ضمن أبيات صدرها (ديوانه ١٥٢).

وافى كتابك معلنا بملامة ... قدحتْ زنادًا في الجوانح واريا
وقرأته، فوجدت طرفي ضاحكا ... فرحا برؤيته وقلبي باكيا

(٤٠) البيت في (نصرة الثائر/ ٢٤٩، وتزيين الأسواق/ ٢١٠) غير معزو وبرواية: «هجركم... بهالكم».
(٤١) الشطر مذكور بالعقد ٤/ ٢٣٠ ـ لجنة التأليف، والذخيرة قسم ١ مجلد ١/ ٣٤٥، بدون نسبه. وهو عجز بيت لعلي بن الجهم بديوانه/ ٧، وبهجة المجالس ١/ ٧٢٦) وتمامه مع ما قبله:

أعاتب ذا المودة من صديق ... إذا ما رابني منه اجتناب
إذا ذهب العتاب فليس ود ... ويبقى الود ما بقي العتاب.

(٤٢) يشير إلى قول المتنبي (ديوانه ٣/ ٨٦):

لعل عتبك محمود عواقبه ... وربما صحت الأجسام بالعلل

(٤٣) ساقطة من الأصل، و(ب). وأثبتها عن (أ، ز، م، وأعيان) وهنا يقتبس قوله تعالى: «وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب» من الآية/ ٢٤ من سورة (ص).
(٤٤) وردت هذه القصيدة في (الوافي ١٧/ ٧٧، وفوات الوفيات ١/ ٤٧٩) وردت البيت الأول والثاني منها في (الدرر ٣/ ٣٨٣).
(٤٥) «من تبكي بالمثناة الفوقية». في (فوات، والوافي).
(٤٦) البيت برمته ساقط من (فوات).
(٤٧) (أ، والوافي): ويلن من «تحريف. وفي (فوات): «ويكين من».
(٤٨) (فوات): «بالشوق ما بين الأضالع».
(٤٩) في (ز. وفوات): «وكأنما».
(٥٠) (فوات): ظلام بلادهم من نوره» بالتحريف.
(٥١) سقط هذا البيت بأكمله والبيتان بعده من (فوات).
(٥٢) ساقطة من (الوافي) وفيه: «... الجواب إليه عن ذلك». هذا وقد ورد الجواب في (الوفي ١٧/ ٧٨، ٧٩، وفوات١/ ٤٨٠، ٤٨١).
(٥٣) (فوات): «من دارهم».
(٥٤) (فوات): بقلب الصب تضرم».

(٥٥) فى (فوات): «وتعطرت أوتارهم».
(٥٦) «نظروا بحسن» فى (فوات) تحريفا.
(٥٧) رواية البيت فى (فوات): «فهم النجوم... إذا استنار نهارهم».
(٥٨) «منها بدار» فى (فوات).
(٥٩) البيت بأكمله ساقط من (فوات)
(٦٠) الشطران ساقطان من (فوات)
(٦١) البيت برمته لم يرد فى (فوات، والوافى).
(٦٢) «وذل نظارهم» فى (فوات).
(٦٣) «فنظم الشيمات» بالتحريف فى (فوات)
(٦٤) البيت بأكمله ساقط من (ز، وفوات). وابن الفرات: هو أبو الحسن على بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات. وزير المقتدر بالله... كان كاتبا كافيا حبيرا قتل سنة ٣١٢ هـ ترجمته عن (وفيات ٣/ ٩٧ ـ ١٠٥).
(٦٥) الأصل: «تحمى» بالموحدة الفوقية فى أوله. وأثبت ما فى النسخ المصدرين. هذا، ورواية الشطر الثانى فى (فوات، والوافى): «..... ما يخشى ويرعى جارهم».
(٦٦) لم يرد النثر من هذا الرسالة فى (الوافى). هذا، والكلام من قوله: يقبل الأرض...» إلى منهلا بجرعايك القطر» مطموس فى الأصل. فاستوضحه من النسخ الأخرى.
(٦٧) البيت لذى الرمة. وقد سبق
(٦٨) يشير إلى الحديث الشريف: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».
(٦٩) البيتان بدون عزو فى (نفح الطيب ١/ ٧٨).
(٧٠) الكلام بين الحاصرتين ساقط من الأصل والزيادة عن جميع النسخ المساعد. والرواية فى (أ، م): «... ويقر العيون». وفى (ز): «والله تعالى يمتع».
(٧١) كلمة «كل» ساقطة من (ب). وفى العبارة تضمين المثل العربى، وصحته: «ما كل بيضاء شحمة، ولا كل سواد تمرة». وهو مثل يضرب فى موضع التهمة وقائله قيس بن ثعلبة بن عكابة، وقيل: عامر بن ذهل بن ثعلبة. (أمثال الميدانى ٢/ ٢٦، والمستقصى ٢/ ٣٢٨، والتمثيل والمحاضرة/ ٢٦٨) قال زفر بن الحارث الكلابى. وقيل: النابغة الجعدى:-

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة   ليالى قارعنا جذام وحميرا

ويقول القاضى الفاضل (بديوانه ١/ ٢٣٣):

فلا تعتقد كل النظم شعرا   فتحسب كل سواد منه تمرة.

(٧٢) وردت القصيدة اللامية الآتية فى (أعيان ٣/ ٢٢٩، ٢٣٠).
(٧٣) (أعيان): «أخليت ربعك».
(٧٤) فى الأصل: «بشرك». وفى (ب، وأعيان): «ببدرك». وفى (أ): «ببدرانك». وفى (ز): «وبشكرك» تحريف هذا. وفى (م): «بشرك» تحريف كذلك. ولعل ما أثبته صحيح. والشاعر يقتبس ـ هنا قوله تعالى: «وسبحوه بكرة وأصيلا». الآية/ ٤٢ من (الأحزاب).
(٧٥) فى (ز، م، وأعيان): إذ كان مثلى».
(٧٦) هذا البيت قد ورد فى (أعيان) سابق على ما قبله، وبرواية: «فشفه الاشتياق».
(٧٧) (أعيان): «إن زاره» بالحذف.

(٧٨) البيت ساقط من الأصل. والزيادة عن (أعيان، وجميع النسخ المساعدة).
(٧٩) اقتباس من الآية/ ٢٨ من سورة (الفرقان) وتمامها «يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا».
(٨٠) في (ب): «وساء مثيلا» بالتحريف. فالشاعر يلحظ قوله تعالى: «أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا» الآية/ ٢٤ من سورة (الفرقان).
(٨١) يشير في هذه العبارة إلى قول الشماخ بن ضرار يمدح عرابة بن أوس: (بديوانه/ ٢٣٥، ٣٣٦). والمقصود البيت الثاني من قوله:

رأيت عرابة الأوسي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

(٨٢) «ولدقيق المعاني» في (ب). وهو أثبته، إذ في الأصل، وغيره: «ويدقيق».
(٨٣) من قوله تعالى في شأن السيدة مريم: «فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا..» من الآية/ ٣٧ من (آل عمران).
(٨٤) في الأصل: «صدى صوت» وأثبت ما في (م) لانسجامه مع آخر الجملة التالية.
(٨٥) في الجملة اقتباس قوله تعالى: «أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله، وإن كانت لمن الساخرين» الآية/ ٥٦ من (الزمر).
(٨٦) ويقصد الكاتب بالسجعة الأولى قول البحتري (طيف الخيال/ ٣٨، ٢٤٠):

وليلة هومنا على العيس أرسلت بطيف الخيال يشبه الحق باطله

ولعه يشير بالسجعة الثانية إلى قول علي بن جهم (التذكرة ١/ ٦٢):

أوَما رأيت الليث يألفُ غِيلَه كِبْرًا، وأوباشُ السِّباع تردَّد؟!

(٨٧) للبحتري فظ طيف الخيال أشعار كثيرة في هذا المعنى، جمعها المرتضى في كتابه (طيف الخيال) وأكملها محقق الكتاب، ومنه قوله: (طيف/ ٢٦٢):

وما زارني إلاَّ وَلِهْتُ صبابة إليه، وإلا قلت: أهلاً ومرحبا

(٨٨) بالأصل: «لمن سجلي وفي (أ): «سيخبل». وفي (ز): «لسخلي» بالتحريف فيها. وقد أثبت ما في (ب).
(٨٩) لعله يشير في هذه العبارة إلى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (بالعمدة ١/ ٢٠):

وما بي خوف الموت إني لميت ولكن خوف الذنب يتبعه الذنب

أو إلى قول الخبز أرزي بمحاضرات الأدباء ١/ ٢٣٧:

وكم مذنب لما أتى باعتذاره جنى عذره ذنبا من الذنب أعظما

أو إلى قول الشاعر (بهجة المجالس ١/ ٤٨٦):

إذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه وكل امرئ لايقبل العذر مذنب

(٩٠) في الأصل: «من حل المعاني» وفي (ب) «من حلل المعاني». وأثبت ما في (أ، ز، م).
(٩١) في هذا البيت يقتبس قوله تعالى: أفريت الذي تولى، وأعطى قليلا وأكدى» (النجم/ ٣٣، ٣٤). وأكدى: قطع عطاء.

(٩٢) البيت لأبي بن اللبانة الداني، من قصيدة في فخر الدولة بن عباد، بعد أن جار عليه الدهر.. ومطلعها:
ملاحظة هذا بيت من الشعر، وكتابته على النحو الآتي:

أبكى القلوب أسىً، أجرى الدموع دماً خطبٌ، وهونُكَ فيه يشبه العدما

انظر (معاهد التنصيص ١/ ٢٥٦، وشرح لامية العجم ٢/ ١٧٥، والوافي ٣/ ١٨٥)، برواية: فأستقل الثريا.
(٩٣) يشير في هذه العبارة إلى قول امرىء القيس (بديوانه/ ١٩، وخزانة البغدادي ١/ ٥٦):.
(٩٤) على هامش (أ) صححت كلمة «يسكن» في قوله: «والله تعالى يسكن» بقوله: «يسكبه». ولعل هذا أصوب للمعنى.
(٩٥) صدر بيت للمتنبي من قصيدة يرثي أخت سيف الدولة (بديوانه ١/ ٨٦، نهاية الأرب ٥/ ٢٢١): وتمامه:

يا أخت خير أخ، يابنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب.

(٩٦) في (ب): «تركيبها التي تنبت جداه هذا، وقراءة الجملة التي بعدها على هذا النحو، «التي تنبت بدا تجارتها» وفي (م): «التي تبت يدا مجاريها» ولعل الناسخ ـ في الأخيرة ـ نظر إلى قوله تعالى: «تبت أبي لهب» ولما كانت العبارة جارية على التعبير بالماضي (فازت ـ طارت ـ رمت) اخترت «ثبتت». واخترت «بيداء» من باد يبيد إذا هلك. فكأن المجاري لهذه التراكيب هالك لامحالة في نظر الصفدي.
(٩٧) في قوله: «مصلي» تورية، فالمقصود: «سلم كل له الفضل عندما سبقهم» والمصلي من الخيل الذي يجئ بعد السابق، كما جاء في (لسان: صلا). وهذا السابق يدعى (المجلي).
(٩٨) البيت للوزير الكاتب أبي محمد بن القاسم مذكور في قلائد العقيان/ ١٣٢) برواية: «أني تضاهيه».
(٩٩) هو: علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم، القرشي الكاتب المعروف بأبي الفرج الأصبهاني. المتوفى سنة ٣٥٦هـ. ترجمة عن (معجم الأدباء ١٣/ ٩٤ ١٣٦، ومقدمة الأغاني/ ١).
(١٠٠) القالي: هو: أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون ـ القالي.. كان من أوائل الذين نقل إلى الأندلس علم الأدب. وهو صاحب (الأمالي، والنوادر) توفي سنة ٣٥٦ هـ ترجمته عن (برو كلمان ٢/ ٢٧٧ ـ ٢٨٠).
(١٠١) ابن أبي الحديد هو: العلامة الإمام عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين عز الدين ابن أبي الحديد المدائني.. المتوفى ببغداد سنة ٦٥٥هـ وهو صاحب (الفلك الدائر على المثل السائر، وشرح نهج البلاغة) ترجمة عن (الدارس ٢/ ٢٩٥، السلوك القسم الثاني ١/ ٤٠٧، بروكلمان ٥/ ١٧٧). هذا وهناك ابن أبي الحديد: أحمد بن عثمان ابن عبدالرحمن بن عبدالله المتوفى سنة ٦٢٥ هـ ترجم له الصفدي في (الوافي ٧/ ١٧٦ ـ ١٧٨).
(١٠٢) لعل ابن عميرة المراد هنا، هو أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي. من علماء وأدباء الأندلس توفي سنة ٥٩٩هـ (بروكلمان ٦/ ١١٢).
(١٠٣) من قوله تعالى: «كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء» من الآية/ ٣٩ من (النور).
(١٠٤) مأخوذ من قول عمرو بن معد يكرب: (سرح العيون/ ٣٢٣)

ولو نار نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رماد

هذا، وقد جاء للحريري ـ في المقامة الحلوانية/ ٢٥ ط بيروت ـ قوله: «لقد لاسامست يا هذا ذا ورم، ونفخت في غير ضرم». وفي (نصر الثائر/ ٢٦٠): يقول الصفدي: «نفخ في غير ضرم وطاف بغير حرم».
(١٠٥) ورد البيتان، والجواب عنهما في (أعيان ٣/ ٢٢٤، والوافي ١٧/ ٧٧).
(١٠٦) الشطر الأول في (أعيان): «دعني من الجرموت».

(عبدالله بن أحمد تقي الدين الحنبلي)

(*) «بن أحمد» زيادة أثبتها عن (شذرات الذهب/ ٦: ١٨٣، ومن ذيول العبر ٢/ ٣١٤). وفي الأول: «... المعروف بابن الناصح. وهو لقب عبدالرحمن الحنبلي... توفي سنة ٧٥٧هـ» وفي الثاني: «... ابن الناصح الحنبلي، والد الفتى شمس الدين بن الناصح...» هذا وقد ترجم له ابن حجر في (الدرر ٢/ ٣٧٥) وفيه: «عبدالله بن عبدالرحمن... بن الناصح الصالي.... توفي سنة ٧٥٧هـ».

(١٠٧) زيادة عن (م).

(١٠٨) في (ب): «بها نوع من الخطب».

(١٠٩) الشطر الأول في الأصل: اتحدت أسماعها». تصحيف. تصويبه من النسخ المساعدة.

(١١٠) هذا الشطر عجز بيت لابن النبيه (نصرة الثائر/ ٣٢٤) وتمامه:

تبت يدا عاذلي فيه، ووجنته		حمالة الورد لاحمالة الحطب

(١١١) الشطر الثاني صدر بيت مطلع قصيدة لأبي تمام (بديوانه ١/ ٤٠) وتمامه:

السيف أصدق أنباء من الكتب		في حده الحد بين الجد واللعب

(١١٢) صدر بيت مطلع قصيدة للمتنبي يرثي أخت سيف الدولة. سبق تخريجه.

(١١٣) في الأصل «ففتحه فأضحى» تحريف. تصويبه من النسخ الأخرى.

(١١٤) المقروع: السيد.

(١١٥) السموع: أولاد الضبع من الذئب».

(١١٦) «الدروع: أولاد البقر الوحشية».

(١١٧) قوله: «وسجاعة» بالسين المهملة، من سجع يسجع سجعا، استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا. (لسان: سجع).

(١١٨) في الأصل: «لاتطلبا».

(١١٩) النوع: العطش.

(١٢٠) قوله: «عند قزوعه» أي عند استعجاله. فالقزوع: الاستعجال.

(١٢١) لعله يقصد (بالعبد) عنترة العبسي، إذ سوّده سلاحه وشجاعته على الناس، فالقطوع: جمع قطع وهو النصل القصير. وقيل: السهم. وقيل غير ذلك. لسان (قطع).

(١٢٢) المهقوع - كما جاء بهامش الأصل، و(ب) - «الفرس الذي يكون في زوره كهيئة الهقعة، وهو عيب في الخيل والفرس المهقوع لايزال مسبوقا».

(١٢٣) الشوع - كما جاء بالهامشين السابقين - هو: شجر البان.

(١٢٤) اقتباس الآية/ ١ من فاتحة الكتاب الكريم.

(عبدالله بن محمد.. بن أبي البقاء)

(*) هذه الترجمة برمتها ساقطة من (أ، ز، م)، ها وقد ترجم لولي الدين السبكي ابن حجر في (الدرر ٢/ ٢٩٨)، وابن قاضي شهبه في (طبقات الشافعية. الورقة/ ١٥٢)، وابن العماد في (شذرات ٦/ ٢٨٨) وغيرهم. وفي هذه المصادر جميعها: أنه توفي سنة ٧٨٥هـ

(١٢٥) الثلث المحذوف هو حرف «الجيم» وبعد الحذف تصير الكلمة «تا»

(١٢٦) لعله يقصد هنا - (خان) - أو - (جان) والأول أرجح.

(١٢٧) الزيادة عن (ب).

(عبدالباقى بن عبدالمجيد تاج الدين اليمنى)

(*) نال الوزير تاج الدين اليمنى عناية الكثير من المترجمين منهم ابن حجر، فى (الدرر ٢/ ٤٢٣ - ٤٢٥)، والشوكانى فى (البدر الطالع ١/ ٣١٧، ٣١٨)، وابن العماد فى (شذرات ٦/ ١٣٨) وغيرهم ، وأشاروا إلى أن تاج الدين توفى سنة ٧٣٤هـ. ولم يختلف عن ذلك إلا ابن تغرى بردى فى (النجوم ١٠/ ١٠٤) حيث جعل وفاته فى سنة ٧٤٤هـ. على الرغم من أنه فى (المنهل ٢/ ٢٧٧، ٢٧٨) جعلها فى سنة ٧٤٣هـ.

(١٢٨) هذه القصيدة وردت فى (الوافى ١٨/ ٥) ورواية الشطر الثانى من هذا البيت فيه وفى (م) «يعين المعانى».

(١٢٩) الشطر الثانى عجز بيت للمتنبى (بديوانه ٤/ ٢٤٣) - من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب ومخالفته كافورا- وتمام البيت مع ما قبله:

برغم شبيب فارق السيف كفه ... وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه ... رفيقك قيسى، وأنت يمانى.

(١٣٠) لعله يريد أبان بن عبدالحميد اللاحقى الشاعر العباسى المشهور نديم البرامكة والخليفة هارون الرشيد. المتوفى فى حدود سنة ٢٠٠ هـ. كما يشير (برو كلمان ٣/ ١٠٤، ١٠٥).

(عبدالرحمن بن محمد القاضى محب الدين)

(*) فى (أ، ب، ز، م): «عبدالرحمن بن محمد بن احمد بن عبدالدايم، وكذا فى (المنهل ٢/ ٣٠٢، ٣٠٣) وقد وردت ترجمة الشاعر فيه برواية: «عبدالرحمن بن محمد بن يوسف بن أحمد». هذا، وقد ترجم لتقى الدين عبدالرحمن أيضا ابن العماد فى (شذرات ٦/ ٢٩١ وأبن تغرى فى (النجوم ١١/ ٣٠١) . ووفاته سنة ٧٨٦ هـ. كما هو مذكور فى هذه المصادر وغيرها.

(١٣١) لعله مأخوذ من قول الغزى (نهاية الأرب ٧/ ٩٠، والجامع الكبير / ٢٥٧):

لم يبق غيرك إنسان يلاذ به ... فلا برحت لعين الدهر إنسانا

أو من قول الشاعر فى مدح سودانى (بمعاهد التنصيص ١/ ١٥٧) . و(سكردان السلطان/ ٣٨٣)، و(الغيث ٢/ ١٦٠):

(١٣٢) عجز بيت الاقريط بن أنيف (حاشية المثل السائر ٢/ ٣٠٨) ط نهضة مصر، و(شرح ديوان الحماسة ١/ ٢٧)، و(الصناعتين/ ٢٩٤). وغير معزو فى (العقد ٢/ ٣٢٤) وتمام البيت:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا

(١٣٣) عجز بيت لعمران بن حطان من قصيدة يرثى بها عبدالرحمن بن ملجم (بمعجم الأدباء ١٦/ ٢١٢، والإصابة ٥/ ١٨٢)، و(الاستيعاب ٣/ ١١٢٨)، و(الكامل للمبرد ٣/ ١٦٩): وتمامه مع ما قبله:

يا ضربة من تقى ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره يوماً فأحسبه ... أو فى البرية عند الله ميزانا.

(١٣٤) الشطر الثانى مأخوذ من مطلع قصيدة المتنبى فى مدح أبى سهل سعيد (ديوانه ٤/ ٢٢٠):

قد علم البين منا البين أجفانا ... تدمى، وألف فى ذا القلب أحزانا

(١٣٥) البيت للمتنبى من قصيدته السابقة، برواية:

قد كنت أشفق من دمعى على بصرى … فاليوم كل عزيز بعدكم هانا

(١٣٦) البيت للمتنبى من قصيدته السابقة، برواية:
(قد شرف الله أرضا أنت ساكنها

(عبد القاهر بن محمد جمال الدين)

(*) له ترجمة فى (أعيان العصر ٣/ ٣٥٣ ـ ٣٥٨)، و(الدرر٣/٧٨: ٩٠) وحدد «وفاته سنة ٧٤٠ هـ بدمياط وله ٩٢ سنة»، و(فوات الوفيات ١/ ٦١٠ ـ ٦١٢)، و(النجوم الزاهر ٩/ ٣٢٥)، و(المنهل ٢/ ٢٤٠)، و(الأعلام ٤/ ١٧٤)، و(السلوك القسم الثانى من ج٢/ ٥٠٥)، (والوافى بالوفيات ١٩ ـ ٤٢ ـ ٤٤).

(١٣٧) فى (أعيان): «قرأت عليه ديوان خطبه سماه تحفة الألباء».

(١٣٨) بأعيان «هذه الخطبة».

(١٣٩) بأعيان، والوافى: «على مصنفها وكاتبها العبد الفقير إلى الله تعالى القاضى جمال الدين».

(١٤٠) بأعيان: «التبريزى الحاكم بصفد لازالت». وفى (الوافى): «التبريزى الشافعى الحاكم بصفد».

(١٤١) الزيادة من (أعيان، والوافى).

(١٤٢) ساقطة من أعيان. ولعل صحة الكلمة «ونظمه».

(١٤٣) وردت هذه الأبيات الست أيضا فى (أعيان ٣/ ٣٥٧) و(الوافى ١٩/ ٤٤).

(١٤٤) فى (ب): «ما أطرى وأطرف».

(١٤٥) بالأصل: «شجعانها» والتصويب من النسخ وأعيان والوافى.

(١٤٦) الأبيات التالية وردت بأعيان.

(١٤٧) بأعيان: «وعلى».

(١٤٨) وردت الأبيات الأربعة الآتية فى (الوافى ١٩/ ٤٤)، و(أعيان ٣/ ٣٥٨) و(فوات الوفيات ١/ ٦١٣)، و(الغيث المسجم ١/ ١٧) وفيه: «وأنشدنى لنفسه سنة أربع وعشرين وسبعمائة يصف الشبابة وهو مليح». وجاء فى (أعيان): «.... فى الشبابة، وقد وجدتها فيما بعد فى ديوان جوتان القواس بخطه».

(١٤٩) فى (أ)، و(الغيث المسجم): «نصيحة»، وفى (م) و(الوافى، وأعيان): «فضيحة».

(١٥٠) العبارة بدايتها فى (أعيان): وأنشدته. ونهايتها فى (ز): فقلت». فقلت». وقد وردت هذه الأبيات فى (أعيان).

(١٥١) هذا البيت والبيت الذى يليه وردا (بأعيان) هكذا:

يشدو بلحن عجيب … حروفه ما تهجى
كم قد شجاك بصوت … من الحمائم أشجى

(١٥٢) (ه) زيادة من (أعيان).

(عبد الوهاب بن عبد الرحيم، المعروف بكاتب الدَّرْج)

(*) له ترجمة : فى (الدرر ٣/٤٦) ولم يذكر تاريخ وفاته. وفيه: «عبد الوهاب المصرى الفخرى كاتب الدرج... وكان صاحب نوادر ومجون وسلك طريقة ابن حجاج فى الشعر السخيف». وله ترجمة أيضا فى (الوافى ١٩/١٤٤،١٤٥).

(١٥٣) نظار الخاص من الوظائف الديوانية. وهى وظيفة أحدثها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون. وأصل موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان. ولناظر الخاص أتباع من كتاب ديوان الخاص. انظر (صبح الأعشى ٤/ ٣٠، والخطط ٢/٢٢٧).

(١٥٤) هو أحمد بن الحسن بن عبد الله أبي عمر بن محمد بن قدامه، صاحب الترجمة رقم/ ٨، (بألحان السواجع) للجزء الأول.

(١٥٥) زيادة الشطر الثاني عن (الوافي).

(١٥٦) الأبيات التالية وردت (بالوافي ١٩/ ١٤٣، ١٤٤).

(١٥٧) في (ب، ز) «وذو الندى» وكلاهما صحيح لغويا.

(١٥٨) بالأصل: «القياس» واخترت عبارة (أ) لكمال الوزن.

(١٥٩) الوافي: «وأهديت إليه دفترا من الورق الأبيض وكتبت معه إليه «وأورد الأبيات الثلاثة. هذا، وقوله: «وموجه متوالي» هكذا بالياء في جميع النسخ، والوافي. والقاعدة النحوية ترفضه.

(١٦٠) بالأصل «درجا» بضم الدال.

(١٦١) بالوافي، «فكتب الجواب إلي عن ذلك» وأورد الأبيات الستة.

(١٦٢) في (ب): «فوائد ونوال» وبالأصل: «فوائد وتوالي» بكسر الدال.

(عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي)

(*) له ترجمة في: (الدرر ٣/ ٣٩ : ٤١) وذكر وفاته في سنة ٧٧١هـ، و(طبقات ابن شهبه. الورقة/ ١٤٠، ١٤١)، و(شذرات الذهب ٦/ ٢٢١، ٢٢٢) و(النجوم الزاهرة ١١/ ١٠٨، ١٠٩)، و(حسن المحاضرة ١/ ١٣٥) و(الدارس ١/ ٣٧، ٣٨)، و(المنهل ٢/ ٣٦٠)، و(الأعلام ٤/ ٣٣٥) و(السلوك القسم الأول من ج ٣/ ١٨٧)، و(الوافي ١٩/ ١٤٧)، وغيرها.

(١٦٣) سبقت ترجمته في هذا الجزء. انظر ص/ ٢٣ من (حرف الهمزة).

(١٦٤) اقتباس قوله تعالى: «يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد» الآية/ ٣٠ من سورة (ق).

(١٦٥) الزيادة من (أ، ب، م).

(١٦٦) الإشارة في العبارة إلى الفقيه أبي العباس أحمد بن عمر بن سريج الشافعي. أستاذ الطبري وغيره من مشاهير الفقهاء. توفي سنة ٣٠٥هـ ترجمته (برو كلمان ٣/ ٣٠٣).

- وأيضاً الإشارة إلى الأديب الشاعر المصري المكثر سراج الدين الوراق. أو السراج الاسكندري.

(١٦٧) وردت هذه الأبيات الأربعة في (الغيث ١/ ١٤٨، وطبقات السبكي ٩/ ١٥٠) ورواية الأول بالغيث: «ياخجلة» وبالطبقات: «ياخجلنا» ولعلها أصوب وهو ما أثبته إذ بالأصل: «يارحمنا».

(١٦٨) في (أ): «يلقى من أتيه» تحريف. وبالغيث والطبقات: «إن» وهو ما أثبته، إذ بالأصل: «يلقى إذا».

(١٦٩) «صائده القلوب» في (ب، والغيث، والشعر والشعراء ١/ ٩٥، والنقائض ١/ ٢٥٧، ويتيمة الدهر ٤/ ٢٠٥). وبرواية:

«القلوب وليس ذا حين الزيادة» وفي (الأغاني ١٦/ ١٦١، ١٦٩، والموشح ١٢٦، ١٥٩، ١٦٧، ١٦٨). برواية: «فليس ذا حين الزيارة» و(في المثل السائر ٣٣١ - ٣٣٢).

وهذا البيت من قصيدة لجرير يجيب بها الفرزدق مطلعها (شرح ديوان جرير/ ٥٥١ - ٥٥٣):

سرت الهموم فبتن غير نيام		وأخو الهموم يروم كل مرام

(١٧٠) فى (ب) : «وذكر» وهو ما أثبته، وبالأصل «وذكرت».

(١٧١) بالأصل : «ارجعي» واخترت ما بديوان جرير، وما فى (ب ، ز).

(١٧٢) الأبيات الثلاثة التالية وردت بطبقات السبكى ٩/١٥١.

(١٧٣) الأبيات الخمسة التالية وردت بديوان الصبابة / ١٠١.

(١٧٤) يشير إلى ما قاله طرفة بن العبد فى هذا المعنى وهو :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب		إليها ، فإنى واصل حبل من وصل

يقول ابن قتيبة (الشعر والشعراء ١/٩٥) : وطرفة أول من طرد الخيال فقال: فقل لخيال...» ثم قال: «وقال جرير: «وطرقتك صائدة...»». وفي (طيف الخيال/ ٦٧، ٦٨، ١٨٦) قوله: «وأول من طرد الخيال طرفه فقال... وتبعه جرير فقال...» وانظر أيضا هذه الإشارة فى (الغيث ١/١٤٨). وفى (زهر الآداب ٢/٧٠٢) وفى (ديوان الصبابة/ ١٠١). هذا، وقد قال ابن رشيق فى باب النسيب فى (العمدة ٢/١٢٥): فأما طرد الخيال والمجازلة فى المحبة فهو مذهب مشهور، وقد ركبه جلة الشعراء.. منهم طرفة، ولبيد...» ثم أورد بيت طرفة السابق، وبعده قوله لبيد وهو:

فاقطع لبانة من تعرض وصله		ولشر واصل خلة صرامها .الخ

(١٧٥) الأبيات الخمسة التالية وردت بديوان الصبابة/ ١٠١.

(١٧٦) فى (ز، وديوان الصبابة): قوله: «فانظر».

(١٧٧) ساقط من (الأصل، ز ، م) والزيادة عن (أ ، ب).

(١٧٨) الزيادة من جميع نسخ المخطوط.

(١٧٩) الأبيات الأربعة وردت بطبقات السبكى ٩/١٥١.

(١٨٠) «فلم يعى» بطبقات والأصل. والصحيح بالحذف.

(١٨١) أبيات اللغز والإجابة عنها وردت (بالتذكرة المجلد الأخير الورقة/ ٨٩). والبيت الأول يذكر بقول أبى تمام (بديوانه ١/٣٨):

يا غاية الأدباء والظرفاء بل		ياسيد الشعراء والخطباء

(١٨٢) يقصد ـ هنا ـ الحوت.

(١٨٣) بالأصل وفى (ب): «ثلث» والتصويب من (ز).

(١٨٤) مقلوبة «المجن» وهو الترس. ولعله يشير إلى حديث السرقة: «القطع فى ثمن المجن» انظر (النهاية فى غريب الحديث والأثر: جلن).

(١٨٥) بالتذكرة: «فكتب الجواب وهو فى نجم».

(١٨٦) الإشارة إلى على بن حمزة بن يهمن الكسائى من مؤسسى مدرسة النحو بالكوفة، وكان مع هارون الرشيد، ومؤدب ابنيه الأمين والمأمون. تعددت الأقوال فى تحديد وفاته. انظر: (بروكلمان ٢/١٩٧ ـ ١٩٩).

(١٨٧) يقصد «جم».

(١٨٨) المقصود بالرأس. وهو الحرف الأول (ن): الحوت كما سبق.

(١٨٩) الأبيات وردت (بالتذكرة المجلد الأخير/ ٧٢).

(١٩٠) بالتذكرة: «فكتبت إليه» وفى (ز): «فكتبت أنا».

(١٩١) بالأصل وغير (ز): «حكت». واخترت تعبير (ز). هذا، وبالتذكرة. «حكت برده» بالحذف.

(١٩٢) ساقطة من التذكرة.

(١٩٣) بالتذكرة: «فكتب إلى» بالحذف.

(١٩٤) يشير فى الشطر الأول إلى أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى، المعروف بالماوردى ـ المتوفى سنة ٤٥٠هـ ـ الفقيه الشافعى.. كان حافظاً للمذهب وله فيه كتاب: (الحاوى): «الذى لم يطالعه أحد، إلا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب» كما يقول ابن خلكان فى (وفيات ٣/٢٨٢: ٢٨٤ ط بيروت). هذا، ولعله يقصد فى الشطر الثانى الإمام الشافعى رضى الله عنه.

(١٩٥) بالأصل، أ، م، والتذكرة: «حزت» بالحاء المهملة. واخترت تعبير (ب، ز). هذا، ورواية الشطر فى التذكرة: «.... من دون ماريب».

(١٩٦) لعله يقصد هنا قوله تعالى: «وجعلنا من الماء كل شئ حى».

(١٩٧) ورد بالتذكرة، الورقة/ ٧٣.

(١٩٨) فى (أ، م، والتذكرة): «ولم يكد». هذا. والربعى: الذى ولد فى الربيع، وربعى الشباب: أوله، والربعى: نوع من المطر يأتى بعد الولى. (لسان: ربع) وفى (النوادر/ ٨٧): الربعيون الذين ولدوا وآباؤهم شباب فهم رجال». وعليه، فهو يصف الألفاظ بالقوة والجزالة. ونزل قوله: «ولم تكد» بمنزلة «ولم تزل». أو لعله من مثل قولهم: «فلان يكيد أمراً...» أى يحتال له، ويكون المعنى: جاء لغزك طبيعياً، غير متكلف، صافى الألفاظ جزلها.

(١٩٩) بالأصل «طهوراً»، وما أثبته ـ لمراعاة القواعد النحوية ـ من (م، والتذكرة) والرواية فى الأخير: «طهور رجل باديه».

(٢٠٠) بالتذكرة: «فأنت».

(٢٠١) بالأصل: «من حمص» والتصويب من (ز)، وطبقات السبكى ٦/١ والعبارة فيها (كتب إلى مرة وقد سافر إلى مصر ولم يودعنى) وأورد البيت الأول والثانى.

(٢٠٢) الزيادة من (أ، ز، م، والطبقات). وفى (ب): «إن غبت عنه».

(٢٠٣) والطبقات: «يصف اشتياقى».

(٢٠٤) بالطبقات: فكتب الجواب، وأورد الأبيات الثلاثة الأولى فقط.

(٢٠٥) بالطبقات: «منه ألا جسمه سقماً ولون دموعه» وهو مأخوذ من قول البهاء زهير (بديوانه/ ١٠١ ط الموسوعات) والمقصود البيت الثانى منه:

يقـــبل الأرض وينهي إلى مـــالكه شدة أشـــواقـــه
ماغـيـر البـعد سوى جسمه ولم يغـير صـفـو أخـلاقـه.

(٢٠٦) بالطبقات : «من».

(٢٠٧) بالأصل: «والتزمت» بالتحريف. والتصويب من النسخ الأخرى.

(٢٠٨) يشير إلى الشريف الرضي وهو: أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين الموسوي الشاعر الشهير المتوفى سنة ٤٠٦هـ ترجمته (وفيات ٤/٤٤ ـ ٤٨).

والمرتضى: على بن الحسين بن موسى.. نقيب الطوبين.. السيد المشهور بالعلم المتوفى سنة ٤٣٦هـ ترجمته (معجم الأدباء ١٣/١٤٦ ـ ١٥٧).

(٢٠٩) الجمر المحتضا: أي الملتهب المستعر. من قولهم: حضأت النار حضأ: التهبت واستعرت. والمحضأ: ما يحرك به النار (لسان: حضأ). واللأواء: الشدة.

(٢١٠) ولعل قوله (زار) من زور الشئ ـ بتصعيف الواو ـ حسنه. وزور: كذب.

(٢١١) بالأصل وفي (ز) «مهرق». وفي (أ): «مترف» واخترت تعبير (ب) للانسجام بين «محدق ـ بالحدائق ـ محدقا».

(٢١٢) مما «يذكره الأولى»، قول ابن زيدون في نونيته المشهورة:

حالت لفقـدكمُ أيامُنا فغـدت سودا، وكانت بكم بيضـاً ليالينا
إذْ جانب العيش طلق من تألفنا ومورد اللهو صاف من تصافينا

(٢١٣) في (أ): «وان تفرقا». وما أثبته مقتبس من الآية: «وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته»/ ١٣٠ من سورة النساء.
(٢١٤) في (ب): «صبرعلى»
(٢١٥) تضمين قول إسحق بن إبراهيم الموصلي، والمقصود الشطر الرابع. والبيتان برواية (ذيل الأمالي/ ٩٢):

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ودافع ضيمي خازم وابن خازم
عطست بأنف شـامخ، وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قائم

(٢١٦) اقتباس قوله تعالى: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض» من الآية/ ٧٥ من سورة الأنفال.
(٢١٧) الرافعي : عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، فقيه من كبار الشافعية توفي سنة ٦٢٣هـ. ترجمته بطبقات السبكي ٥/ ١١٩ نقلا عن حاشية (نصرة الثائر/ ٧٣).. والفارسي النحوي هو: أبو علي الحسن بن أحمد، أو محمد ابن عبد الغفار الفسوي الفارسي الشيرازي (صاحب كتاب الإيضاح، والتكملة في النحو) وهو من تلاميذ الزجاج. توفي سنة ٣٧٧هـ. ترجمته. (إنباه الرواة ١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥).. والنظام: إبراهيم بن سيار بن هاني أبو إسحاق النظام. وقف حياته رئيساً لمدرسة ضد الدهرية. وقد دافع عن القول (بخلق القرآن) ونشأعن فكرة (الظهور والكمون). وكان ينكر (حرية الإرادة)، وحارب من أجل ذلك قول الحنفية (بالرأى والقياس) ترجمته في (بروكلمان ٤/ ٢٦، ٢٧).
(٢١٨) تضمين المثل العربي ولعله هنا مأخوذ من قول سالم بن دارة في عدي بن حاتم الطائي (بالشمور بالعور/ ١٥٧):

أبوك جــواد مــا يشق غــبــاره وأنت جــواد ليس تعــذر بالعلل

(٢١٩) الشطر صدر بيت مطلع قصيدة لأبي تمام (بديوانه ٣/ ٢٠٣ (وتمامه:

مــا للدمـــوع تروم كل مـــرام والجــفن ثاكل هجــعــة ومنام

(٢٢٠) لعله تضمين من قول ابن الصائغ. يصف جلق (بالنجوم الزاهرة ٩/ ٢٤٩ط دار الكتب):

والطيــر يقــرأ، والنســيم مــردد والغــصن يرقص والغــدير يصــفق

أو قول مرداش الدمشقي (بالشعور/ ٢٣٢، وفوات ٢/ ٣٣٦)

والنهــر من طرب يصــفق فــرحــة والغـــصن يرقص والرياض تميــد.

(٢٢١) البيت لأبي تمام بديوانه ٣/ ٢٠٦ برواية: «...مشواه وهو من قصيدته في مدح الواثق التي مطلعها:

مــا للدمـــوع تروم كل مـــرام والجــفن ثاكل هجــعــة ومنام

(٢٢٢) البيت لكمال الدين بن النبيه من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها:
(بديوانه/ ٦).

باكــر صـبـوحك أهنى العيش باكـره فــقــد ترنم فــوق الأيك طائرة
والليل تجــرى الدرارى فى مــجرته كــالروض تطفــو على نهــر أزاهره

(٢٢٣) في (أ): «فقل: «ختم، والجملتان مأخوذتان من قوله تعالى:«إنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر» الآيتان/١٨، ١٩ من المدثر. هذا والجملة الثالثة مأخوذة من قوله تعالى: «فاستغفر ربه، وخر راكعاً وأناب» من الآية/ ٢٤ من سورة (ص).
(٢٢٤) البيت لأبي إسحق الصابي (بيتيمة الدهر ٢/ ٢٥٩) وقد سبق.
(٢٢٥) صدر بيت نسب للإمام علي - كرم الله وجهه - (بديوانه/ ١٩٤)، وتمامه:

العــجـــز عن درك الإدراك إدْراكُ والبـحث عن سرّ ذات السرّ إشـراك

(٢٢٦) الشعر للمنخّل الشكري من قصيدة

إن كنت عــاذلتى فــســيــرى نحــو العــرا قــولا تحــورى

وهو (بالأصمعيات/ ٦٠)، و(معجم الشعراء/ ٣٨٧) والرواية فيهما: «فإذا انتشيت». وفى (الأغاني ١١/ ١٥، والشعر والشعراء ١/ ٢٣٩، والبيان والتبيين ٣/ ٢٠٧) والرواية فيها: «فإذا سكرت» وفى (نصرة الثائر/ ٢٠٠، ومحاضرات الأدباء ٢/٦٨٥) برواية، «وإذاسكرت» هذا وقد رد البيت الأول فقط فى (المعرب للجواليقى/ ١٧٥).
(٢٢٧) نجد: قيل: كل ما ارتفع عن تهامه فهو نجد.
وقيل: نجد هو اسم للأرض العريضة التى أعلاها تهامه واليمن وأسفلها العراق والشام.

وقيل غير ذلك (ياقوت ٨/ ٢٥٣). وتهامي. نسبة إلى تهامه: وهي الغور الضيق الذى يساير البحر فيمتد من شبه جزيرة سيناء بمحازاة الجانب الغربي والجانب الجنوبي من جزيرة العرب. وقيل غيز ذلك. انظر (دائرة المعارف ١٠/ ٩٦ - ١٠١).

(٢٢٨) ابن سيار سبق ترجمته، وهو أبو إسحق النظام وثمة علم من أعلام النحو على مذهب الكوفيين يقال له ابن سيار أيضاً وهو «ثعلب» أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار (أو يسار) الشيباني توفى سنة ٢٩١ راجع (دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١٠/ ٣٣٥ - ٣٣٧).

(٢٢٩) قوص: هي مدينة كبيرة عظيمة واسعة بصعيد مصر(ياقوت/ ٧/ ١٨٣) وقوله: دار سلام: ومدينة السلام هي بغداد وهي حاضرة العراق في الوقت الحاضر، وتقع على ضفتى نهر دجله(دائرة المعارف الإسلامية ٧/ ٣٦٩ - ٣٤٤ ب و (ياقوت ٤/٩).

(٢٣٠) بألحان السواجع: «مقسم» ولعل ما اخترته صواب.

(٢٣١) من هنا سقط الكلام من (أ، ز، م) إلى نهاية ترجمة عبد الوهاب بن على بن الكافي. وقد وردت هذه الرسالة برمتها في (طبقات الشافعية الكبرى ١٠/ ٩ وما بعدها). هذا، وقد ذكر ابن حبيب في (درة الأسلاك ٣/ ١٤٢، ١٤٣) من هذه القصيدة عشرة أبيات هي «الأبيات من ١: ٤، ٧: ١٠ مع تقديم وتأخير، والبيتان ١٣، ١٤» والرواية في البيت السابع هي:

فـــــرض البكاءُ على المحب   واحـظـه لـلـفـــــتـك منـه»

(٢٣٢) بالطبقات: «في ثلاث وستين».

(٢٣٣) لعل السبكي يقصد التورية في (كليله، ودمنه). وفي البيتين دعوة إلى التخلص من الحاضر الآسن، والعودة إلى ذكريات الماضي وأطلاله.

(٢٣٤) مخوذ من قول المتنبي (ديوانه١/ ١٩٨):

وفي النفس حـاجـاتٌ وفـيك فطانةٌ   سكوتي بيـــــانٌ عندها وخطاب

(٢٣٥) هذا البيت والذى بعده لعبيد الله بن قيس الرقيات. وهما من الشواهد النحوية فسيبويه يرى في قوله: «فقلت: إنه» أن هذه الهاء للسكت. وأبو عبيدة أنها اسم إن، أي: إنه كذلك . واليزيدي: أنها بمعنى نعم. انظر البيتين في (الأغاني١/ ١٦)، و(العقد ٣/ ٤٥٦) و(المغني١/ ٥١ بولاق)، و(شرح أبيات سيبويه ٢٣٤، ٢٥٣) وحاشية طبقات الشافعية) وثمة: قيل إن البيت بديوان ابن قيس الرقيات/ ٦٦ برواية:

بـكـرتْ عـلـيَّ عـــــواذلـي   يـلْحَيْنـنـي وألـومـــــهـنّه

(٢٣٦) النهنهة: الكف. تقول: نهنهت فلاناً إذا زجرته أي كففته فكف. لسان(نهنه)

(٢٣٧) بالأصل «فكلما» والتصويب من الطبقات. وفي البيت اقتباس قوله تعالى:

«واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا» الآية/ ١٠/ من المزمل.

(٢٣٨) بالطبقات: «يسقي الألف منه ألف مزنه»

(٢٣٩) بالطبقات: «والحلم كالجبل» ولعله أصوب.

(٢٤٠) بالطبقات: «لو تعالنه».

(٢٤١) بالطبقات: «والأيد تبطش». (٢٤٢) ديك الجن هو عبد السلام بن رغبان. من أشهر شعراء الشام توفى سنة ٢٣٥ هـ (بروكلمان ٢ /٧٧)

(٢٤٣) في (ب، والطبقات) «لا يبعد الله».

(٢٤٤) الكلمة زيادة من الطبقات ١٠ / ١٢).
(٢٤٥) بالطبقات: فإذا أنشد منشده بين يديه»
(٢٤٦) إشارة إلى قول النابغة الجعدى:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

(ديوانه/ ٥١، نقلا عن حاشية الطبقات (وانظر: «خزانة البغدادى ١ /٥١٣، والنهاية لابن الأثير ٣ / ٦٠، وحاشية العضرى ١ /١٢١ «مع اختلاف فى الرواية.
(٢٤٧) اقتباس قوله تعالى حكاية يوسف عليه السلام: «فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى....» الآية / ٨٠ من سورة يوسف.
(٢٤٨) فى (ب): «حتى يرضى». والبيت فى الأصل:

من أجلك قد جعلت نفسى أرضا للصادر والوارد حتى ترضى.

وأثبت ما فى (طبقات الشافعية) ليستقيم وزن البيت على الرجز.
(٢٤٩) فى (ب)، والطبقات: «وينهى» وهو ما أثبته، أذ بالأصل: «ونهى».
(٢٥٠) جاء هذا على هيئة الشعر، ولا يستقيم - كما جاء فى حاشية الطبقات - على بحر من بحور الشعر المعروفة والمعنى مأخوذ من قول ذى الرمة: (الموشح/ ١٨٠)

إذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

(وانظر حسن التوسل/ ٥٨ رواية «من حب بثنه»)
(٢٥١) بالطبقات: «ولا ذكرت جليساً». قال صاحب (بهجة المجالس ١ / ٣٦٠) «: قال الزبير بن أبى بكر: كتب إلى المغيرة بن محمد يستبطئ كتبى فكتبت إليه:

ما غير النأى ودا كنت تعهده ولاتبدلت من الذكر نسيانا
ولا حمدت إخاء من أخى ثقة إلا جعلتك فوق الحمد عنوانا

هذا وقد ورد البيتان بدون عزوفى (جمع المنثور/ ٦٦) برواية

ما غير البعد ودا أنت تعرفه ولاتبدلت من ذكراك نسيانا
ولا ذكرت إماماً سيدا سندا إلا جعلتك فوق الكل عنوانا

(٢٥٢) أبو رافع، مولى النبى (صلى الله عليه وسلم (مشهور بكنيته، سماه مصعب الزبيرى إبراهيم، وسماه غيره «أسلم» ترجمته (الإصابة ١ / ١١، ٣٧)، هذا، وقوله: «مولى القوم منهم «حديث انظر (بهجة المجالس ١ / ٧٧٤).، وفى رواية البخارى ٢ / ١١٧: «ابن أخت القوم منهم».
(٢٥٣) أخذه من قول المنذ بن درهم الكلبى (خزانة البغدادى ٢/١٢٢:.

فقالت حنان ما أتى بك ها هنا أذو نسب أم أنت بالحى عارف.

(٢٥٤) بالطبقات: «وإن سمع صالحا، وفى (ب): «صالحا ظن، وهو مأخوذ من قول قعنب بن أم صاحب:

أن يسمعوا شيئاً طاروا به فرحاً منى وماسمعوا من صالح دفنوا

انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٣ / ١٤٥٠ مع تغيير فى الرواية، وعيون الأخبار ٤٨/٣، ولسان العرب مادة (هيع، وشور) مع اختلاف، (وبهجة المجالس ١ / ٧٢٣)، (وحاشية الطبقات).

(٢٥٥) هذا من قول العجاج. فى ديوانه / ٤٤٨ نقلا عن حاشية الطبقات: «يا صاح ما هاج الدموع الذرفا» قيل: والذروف: السيلان، و «الذرفن» هى رواية النحويين، شاهدا على تنوين الترنم.

(٢٥٦) بالطبقات: «أن لا يفتقدوها»

(٢٥٧) قائلة أبوا الطمحان القينى، وينسبه ابن قتيبة فى (الشعر والشعراء ١ / ٤٤٧، وعيون الأخبار ٤ / ٢٤) إلى لقيط بن زرارة. والأغلب أنه للأول لكثرة الإشارة إليه فى (أخبار أبى تمام للصولى ١٣٦)، و(المستطرف ١ / ١٥٧)، و(لسان العرب مادة (ح. ض. ض)، و(شرح ديوان الحماسة ٤ / ١٥٩٨)، و(شرح الشواهد الكبرى ١ / ٥٦٧) (والكامل للمبرد ١ / ٤٩)، (الموشح / ٧٨، ٢٤٤) وغيرها.

(٢٥٨) فى (ب): أنه خرج «بالحذف، وبالطبقات: «أنه منذ سافر».

(٢٥٩) الآية / ١١١ من سورة التوبة.

(٢٦٠) مأخوذ من قول الراجز:

يشكو إلى جملى طول السرى صبر جميل، فكلانا مبتلى

(انظر: شرح أبيات سيبويه للنحاس / ١٣٠)، و(الكتاب لسيبويه ١ / ٣٢١).

وقد ورد الشطر الأول بديوان المتنبى ١ /٣٩ وانظر: حاشية الطبقات والمصادر المشار إليها ثمة.

(٢٦١) البيت للمتنبى بديوانه: ١٤٥/٤ من قصيدته التى مطلعها:

ملومكما يجل عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام

ورواية البيت فى الديوان:

أقمت بأرض مصر فلا ورائى تخب بى المطى ولا أمامى.

(٢٦٢) البيت لجرير (شرح ديوان جرير / ٥٥١ ط بيروت) من قصيدة مطلعها:

سرت الهموم فبتن غير نيام وأخو الهموم يروم كل مرام.

(٢٦٣) بالأصل «بحساب كل خير فحمده. وفى (ب): «كل خير». وهو غير مستقيم والتصويب من الطبقات.

(٢٦٤) من الآية/ ٣٩ من سورة النور.

(٢٦٥) بالطبقات «بحسن». والكلام مأخوذ من قول النبى (صلى الله عليه وسلم) لبلال.

«انفق ولا تخشى من ذى العرش إقلاقا» وهو مثل يضرب فى التوسع وترك البخل (مجمع الأمثال ٢ / ٣٠٣ . ويقول جحظه البرمكى (معجم الأدباء ٢ / ٢٤٩).

أنفق ولاتخشى إقلالا فقد قسمت بين العباد مع الآجال أرزاق.

(٢٦٦) الزيادة عن الطبقات. والكلام مأخوذ من قول مجنون بنى عامر، أو نصيب بن رباح:

أهابك إجــلالا ومــا بك قــدرة   على ولكن ملء عين حـبـيـبـهـا

(والبيت بديوان المجنون / ٧١ ط دار مصر)

(٢٦٧) عجز بيت للمتنبى (بديوانه ١٤٣/٣)، والبيت:

ذى المعــالى فليــعلون من تعــالى   هـكـذا هـكـذا وإلا فــــلالا

(٢٦٨) مأخوذ من قول الفرزدق:

مــا أنت بالحكم التــرضى حكومــتــه   ولا الأصــيل ولا ذى الرأى والجــدل

انظر (خزانة البغدادى ١٤/١، وشرح الشواهد ١١١/١وشرح ابن عقيل ١/ باب الاسم الموصول)، وحاشية الطبقات وما أشارت إليه».

(٢٦٩) صدر بيت لابن هرمة القرشى من قصيدة يمدح فيها الحسن بن زيد (ديوانه / ٢٢٣):

وعجزه: (على هن وهن فيما مضى وهن)

(٢٧٠) يشير إلى قول الشاعر:

ومــا كل من يبـدى البـشــاشـة كـائنا   أخــاك إذا لم تلفــه لك منجــداً

انظر (شرح ابن عقيل ١ / ٢٣٣)، و(حاشية الطبقات).

(٢٧١) بالأصل: «حسبته إياك» واخترت عبارة الطبقات.

(٢٧٢) الآية/ ١ من سورة عبس.

(٢٧٣) من الآية/ ١٥٥ من سورة النساء.

(٢٧٤) لطرفه بن العبد، من المعلقة المشهورة، وعجزه:

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى؟

انظر (شرح المعلقات للزوزنى / ٢٨). والرواية فيه «ألا أيهذا الائمى»

(٢٧٥) الآية / ٣٤ من سورة القيامة.

(٢٧٦) بالطبقات: «لقد». والكلام مقتبس من قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» الآية/ ٥ سورة طه.

(٢٧٧) من الآية /٥٨ من سورة طه.

بالطبقات «بان وبدأ له» وهو أثبته. وبالأصل «بان بدا».

(٢٧٨) مأخوذ من قوله تعالى، «وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما أتيناكم بقوة، واسمعوا، قالوا: سمعنا وعصينا، وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم» الآية٩٣/ من سورة البقرة. وآخر الجملة اقتباس من الآية / ١٥ من سورة محمد.

(٢٨٠) بالطبقات: «فضلت». وفى الجملة اقتباس قوله تعالى: «... وسلقوكم بألسنة حداد» من الآية/ ١٩ من سورة الأحزاب.

(٢٨١) الإشارة إلى قوله أبى الشيص الخزاعى:

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخر عنه ولا متقدم

(٢٨٢) اقتباس من الآية / ١٦ من المعارج.
(٢٨٣) هذا البيت والبيت الأخير لأبى الشيص (ديوانه / ٩٢، ٩٣ نقلا عن حاشية الطبقات). وانظر (شرح ديوان الحماسة ٣ / ١٣٧٣)، (والعقد:٥/٣٧٤)، و (الأمالى ١/٢٢٢ ـ والرواية فى الأخير وكذا فى (الصناعتين٢٥٧) «حباً لذكرك فليلمنى اللوم» ـ و(نكت الهيمان/ ٢٥٧) (الإبانة/ ١١٤، ٢٠٥)، و(الشعر والشعراء /١/ ٥٣٥)، والأغانى /١٦/ ٤٠٢) (ومعاهد التنصيص ٢ / ٤١)، وهو بدون عزو فى (المخلاة/ ١٤٢).
(٢٨٤) في (ب، والطبقات): «منبوذه ويطبع، ولعله نظر إلى الحديث الشريف: «... الحكمة ضالة المؤمن فهو أحق بها إذا وجدها، انظر (المثل السائر ١ / ١٠٠).
(٢٨٥) بالطبقات «على قلبه فلا ينجده العدل». وما بين الحاصرتين ساقط من (ب).
(٢٨٦) للمتنبى بديوانه ٢ / ٢٣٢ وتمامه: فليس يرفعه شئ ولا يضع.
(٢٨٧) بالطبقات: «يترفع».
(٢٨٨) من قول الشاعر:

قومى ذرا المجد بانوها وقد علمت بكنه ذلك عدنان وقحطان.

وهذا البيت من الشواهد النحوية على عدم إبراز الضمير فى «بانوها هم» لان الإبراز يكون عند خوف اللبس، ولا لبس هنا. انظر (شرح الشواهد الكبرى ١ / ٥٢٧)، (وشرح ابن عقيل ١ / ١٨٠)، و(حاشية الطبقات).
(٢٨٩) اقتباس قوله تعالى: «ومكروا مكراً كباراً» الأية/ ٢٢ من سورة نوح.
(٢٩٠) بالأصل، وفى (ب) «حر» والتصويب من الطبقات. وهذا من قول رؤبة:
(بديوانه / ١٥٩، نقلا عن حاشية الطبقات) والصناعتين/ ٦٨ .

كالحوت لايرويه شىء يلهمه يصبح ظمآن وفى البحر فمه

وقد نسبه الراغب فى (محاضرات الأدباء ٢ / ٦٣٥) إلى جرير، برواية: «ولايلهيه».
وانظر: (التمثيل والمحاضرة/ ٢٦١) برواية «شئ يلقمه». وهذا البيت من الشواهد النحوية.
راجع (الشواهد للعينى ١ / ١٣٩).
(٢٩١) الزيادة من الطبقات ١٠ / ١٨ .
(٢٩٢) نسب بحاشية الطبقات إلى سعيد بن قيس الهمدانى. ونسبه العينى فى (شراح الشواهد الكبرى ١ / ١٥٦) إلى أحد أولاد على بن أبى طالب. وهذا البيت من الشواهد النحوية ـ راجعه ثمة.
(٢٩٣) بالطبقات: «ونادى» . وقوله: قطنى: أى حسبى.
(٢٩٤) يدرى: يختل ويخدع. أو ينتظر. وهو من قول سحيم بن وثيل الرياحى (بالكامل للمبرد /٢/١٠٨):

وماذا يدرى الشعراء منى وقد جاوزت حد الأربعين

و(الأصمعيات / ١٩)و (والطبقات الشعراء الجاهلين والإسلاميين/ ١٩١) برواية (وماذا يغمز الشعراء منى..... رأس الأربعين)، و(الأغانى ١٣/١٣٥) . وفيه أن الأصمعى قال هذا الشعر لأبى زيد الطائى، و(الإصابة ٣/ ١٦٤). برواية: «وماذا يدرك».

(٢٩٥) بالطبقات: «ملأ».
(٢٩٦) الشطر تمامه: إذا لم تكونا لى على من أقاطع، (حاشية الطبقات).
(٢٩٧) قائله زياد بن حمل بن سعد، وقيل زياد بن منقذ العدوى (شرح الحماسة للمرزوقى ٣/ ١٣٩٢، وزهر الآداب ٤/ ١١٣٦) برواية: لم ألق بعدهم حيا فأخبرهم. وهى نفس رواية (العينى ١/ ٢٥٦) والبيت من قصيدة مطلعها:

حبذا أنت ياصنعاء من بلد ولا شعوب هوى منى ولا نقم

وكما نسب إلى زياد، نسب فى (الأغانى ١٠ / ٣٢٣) لبدر بن سعيد أخى المرار.
ونسب (بمعجم الشعراء/ ٤٠٩، وخزانة البغدادى ٥/ ٢٥٣ ط الهيئة) للمرار بن منقذ وروى لأخيه.
(وبعيون الأخبار ١/ ٢٦٩) برواية: «وما أصاحب قوما ثم أذكرهم».
ضمن أبيات معزوة للمرار بن منقذ.
(٢٩٨) اقتباس قوله تعالى فى شأن بنى إسرائيل: «وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا...» الآية/ ٧١ من المائدة.
(٢٩٩) بالطبقات: «فالمخصوص بينهم».
(٣٠٠) أى ضرورة السجع تقتضى تشديد الياء وبالطبقات بعدها «ميه من يحسن» وكلاهما صحيح.
(٣٠١) بالطبقات الشيخ عزالدين. هذا ولم أستطع فيما توصلت إليه من مصادر الوقوف على ترجمته أو معرفة المدرسة السلامية.
(٣٠٢) (الطبقات): «والثانى لهذا المقدم فى الأقطار».
(٣٠٣) فى (الطبقات): «وعرف بقوله فى التقوية» والمدرسة التقوية من مدارس دمشق (عن حاشية الطبقات.
(٣٠٤) إشارة إلى المثل: «وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟» وهو مأخوذ من قول الشاعر:

عجوز ترجى أن تكون صبية وقد شاب منها الرأس واحد ودب الظهر
تدس إلى العطار ميرة أهلها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

انظر المثل فى (التمثيل والمحاضرة/ ٢١٩، ٢٨٦)، و(الكامل للمبرد ١/ ١٧٦)، و(بهجة المجالس ٢/ ١٥٠)، و(المخلاة / ٢٧٨).
(٣٠٥) فى الطبقات: « متهما منجدا». وفى (ب): «فينادى السادة أصحابى».
(٣٠٦) هكذا بألحان السواجع، وفى الطبقات: «صارمة قل» وفى حاشيتها: ولعل الصواب: «فل» بضم الفاء» وهذا ما أميل إليه.
(٣٠٧) اقتباس من الآية / ١٣ من سورة الحديد.
(٣٠٨) ساقط من (ب، والطبقات).
(٣٠٩) بالطبقات: «وافى قريضك».
(٣١٠) غياطل: جمع غيطلة: وهى التباس الظلام وتراكمه (اللسان مادة: غ . ط . ل) وبالأصل: «مزجحنه» بالزاى المعجمة. والتصويب من الطبقات. وارجحن الشئ: اهتز ومال. وليل مرجحن: ثقيل واسع (اللسان: ر. ج. ح. ن).
(٣١١) أى من يمين وشمال. أو من كل ناحية وهو مأخوذ من قول أبى وجزة:

أتاك المجـــد من هنا وهنا وكنت له كمجتمع السيول

أو من قول المتنبى من قصيدة يمدح سيف الدولة (٤ / ١٦٧):

وخيل حشوناها الأسنة بعدما تكدسن من هنا علينا ومن هنا

(٣١٢) يقال هذه كنة فلان ـ بفتح الكاف ـ لامرأة ابنة أو أخيه. وهذا البيت ورد بعد البيتين التاليين له فى الطبقات.

(٣١٣) وادغام: بالتشديد لغة البصريين. وبالتخفيف عبارة الكوفيين وهو: «اصطلاح نحوى يدل على اتحاد وثيق فى النطق بين حرفين متجانسين،... والادغام بغنة له أربعة أحرف مجموعة فى لفظ (ينمو) فإذا وقع حرف من هذه الاحرف بعد النون الساكنة بشرط أن يكون من كلمتين، أو بعد التنوين وجب الإدغام، ويسمى إدغاما بغنة مثل: من نعمة ـ عذاب مقيم، انظر هذه المادة (بدائرة المعارف الإسلامية ٢٤٧٠، ٢/ ٤٧١ ـ والإتقان فى علوم القرآن ٢/ ٩٥ ـ ٩٨)

(٣١٤) هو عبد القادر بن عبد الرحمن الشيخ أبو بكر الجرجانى النحوى، المتكلم ، الأديب، الفقيه. ترجمته عن (مقدمة دلائل الإعجاز)

(٣١٥) باللسان (ض ن ن) يقال علق: مضنه ـ بكسر الضاد وفتحها ـ أو هو شئ نفيس مضنوم به ويتنافس فيه.

(٣١٦)جرول: هو الحطيئة الشاع الشهير. واسمه جرول بن أوس بن مالك بن جؤيه بن مخزوم. ترجمته (الأغانى ٢/١٥٧) والجريال والجريالة بكسر الجيم ـ الخمر الشديدة الحمرة. وقيل هى الخمرة (اللسان ج ر ل) وهو يشير فى البيت إلى ما كان من أمر الحطيئة مع الزبرقان بن بدر وغيره، وإلحاق تهمة شرب الخمر بالحطيئة، وإدخاله سجن عمر الخطاب. ولعمر يقول وهو فى حبسه.

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ حمر الحواصل، لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة واغفر عليك سلام الله ياعمر

فعفا عمر رضى الله عنه ـ انظر (الأغانى: بترجمته الحطيئة) وانظر: (الكامل للمبرد: ٢/١٩١: ١٩٤).

(٣١٧) بالطبقات: «روى» بالراء. وفى ألحان «ودى» بالدال.. وقد اخترت الأول: وهو يشير إلى زهير بن أبى سلمى. وقوله فى مطلع معلقته (الزوزنى/ ٩٩):

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

والدمنة: ما أسود من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما. وقيل غير ذلك. لسان: دمن)

(٣١٨) الحزين الكنانى: شاعر أنوى. واسمه: عمر بن عبد وهيب بن مالك الديلمى (المؤتلف /١٢٢)

(٣١٩) الرماح بن أبرد، وهو ابن ميادة من شعراء الدولتين الأموية والعباسية (المؤتلف / ١٨٠)

(٣٢٠) جميل بن معمر الشاعر العذرى الشهير، وبثينة عشيقته. هى بنت حبا بن حسن بن ربيعة من عذرة. (المؤتلف/ ٧٢، ١٦٨)، و(مقدمة ديوانه).

(٣٢١) فى (ب) وقل حتى، تحريف. وبالأصل: «كل أهنة» والتصويب من الطبقات). وهن يهن: لكى بكت مثل الحميم، والهدين، والأنين والحدين قريب وبعضها من بعض (اللسان هـ ن ن).

والإشارة فى هذا البيت إلى كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الشاعر المشهور صاحب عزة.
وعزة هى: بنت جميل بن حفص بن إياس بن عبد العزى (الوفيات ٣/٢٦٥).
(٣٢٢) أبو نواس هو الحسن بن هانئ بن الجراح الحكمى البصرى الشاعر العباسى الشهير (نزهة الألباء /٧٧ ـ ٨٠) ودير حنة: دير قديم بالحيرة منذ أن بناه المنذر لقوم بن تنوخ. ودير حنة بالأكيراح: هذا أيضا بظاهر الكوفة (ياقوت ١٣٥/٤) وهذا الذى عناه أبو نواس فى قوله (بديوانه /١٠٧):

حنة من ذات الأكيــــراح … من يصح عنك فإنى لست بالصاح

يادير ورواية الشطر الثانى بالطبقات: «ما أقام».
(٣٢٣) قاسيون: الجبل المشرف على مدينة دمشق (ياقوت ١١/٧) وفى الشطر الثانى نظر إلى قوله تعالى: «وتكون الجبال كالعهن المنفوش» الآية / ٥ من سورة القارعة.
(٣٢٤) المراد: «كتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» لابن مالك (حاشية الطبقات) و(بروكلمان ٥/ ٢٧٥).
(٣٢٥) ابن مالك: هو جمال الدين محمد بن عبدالله بن محمد... بن مالك إمام اللغويين فى عصره توفى سنة ٦٧٢هـ)بروكلمان ٥/٢٧٥ ـ ٢٩٦).
(٣٢٦) الجاحظ هو العالم المشهور صاحب التصانيف فى كل فن. عمرو بن بحر بن محبوب والإشارة فى البيت إلى كتاب البيان والتبيين» (نزهة الألباء/ ١٩٢).
(٣٢٧) هو القاضى الفاضل: صاحب صناعة الإنشاد ومن أئمة الترسل.
(٣٢٨) فى البريض: اسم نهر بدمشق. وأولاد جفنة: ملوك غسان. وهذا البيت مأخوذ من قول حسان بن ثابت (بديوانه/ ٧٤).

أولاد جفنة حول قبر أبيهمُ … قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريض عليهم … بردى يصفق بالرحيق السلسل

(٣٢٩) ثورا: اسم نهر عظيم بدمشق.
(٣٣٠) الجامع الأموى بدمشق
(٣٣١) القنة: الجبل الصغير. وقيل: الجبل السهل المستوى المبسط على الأرض. وقيل غير ذلك. لسان (قنن).
(٣٣٢) بالطبقات: «مزنة» والقسى المرنة: الصلبة اللدنة. لسان (مرن) والمزنة:ـ بالزاى ـ المزن: الإسراع.
(٣٣٣) عرضنه: «يقال فلان يغدو العرضنة: وهو الذى يسبق فى عدوه» وهو يمشى العرضنى: إذا مشى مشية فى شق فيها بغى من نشاطه. ورجل عرض. وامرأة عرضه وعرضن وعرضنه: إذا كان يعترض الناس بالباطل (اللسان ع ر ض)
(٣٣٤) بالأصل «محمد بن مسير» والتصويب من الطبقات. وترجمته بالأغانى ١٤/ ١٧.
(٣٣٥) البيتان لمحمد بن يسير الرياشى» برواية «تخطى النفوس» (بالأغانى ١٤/ ٤٤). أما الصفدى فى الوافى ٢٥٣/٢ فقد أوردهما لمحمد بن بشير الرياشى برواية: «تخطى النفوس» أيضا. ويبدو فى الاسم التصحيف. وبمعجم الشعراء/ ٣٦٧ نسب البيتان إلى محمد بن مخلد بن قيراط الكاتب المدائنى:
برواية: «تخطى النفوس على العيان» ورواية الطبقات: تخطى النفوس مع العيان وقد تصيب مع المظنة.
(٣٣٦) بهامش (ب) قوله: يذكرنا بقول القائل:

العـامـة مما ضـاق الفـضـاء بأهله وأمكن من بين الأسنة مــخـــرج

(هكذا رسم أول البيت)

(٣٣٧) تضمين المثل العربي: «قلب له ظهر المجن» ويضرب للمحاربة بعد المسالمة (مجمع الأمثال ٢/ ٤٧).

(٣٣٨) أي ماء مجنة «حاشية الطبقات» وهو: ماء معروف يقترن دائما بعكاظ.

(٣٣٩) بالطبقات: «عوارفة».

(٣٤٠) قطلة: مفرد. جمعها: قطن.

(٣٤١) لعله نظر في هذا الكلام إلى قول النبي ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن»، والدعاء يرد القدر «أنظر (العقد ٣/ ٢١٨).

(٣٤٢) العبارة تشير إلى قضية في علم التوحيد طال الجدل حولها وهي: «مسألة الصلاح والأصلح» فالمعتزلة يقولون: يجب على الله فعل الصلاح والأصلح، وأنه إذا كان ثمة أمران أحدهما صلاح والآخر فساد وجب على الله فعل الصلاح وترك الفساد. وإذا كان هناك أمران أحدهما صلاح والآخر أصلح وجب عاى فعل الأصلح وترك الصلاح. وأهل السنة ـ بهذه العبارة ـ يردون عليهم، بأنه تعالى لا يجب عليه شيء وأنه تعالى «فعال لما يريد» قال صاحب الجوهرة:

وقـــولهم إن الصـــلاح واجب عليـــه زور مـــا عليـــه واجب
ألـم يروا إيلامــــه الأطفـــال وشـبـــهــا فـحـــاذر المحـــالا

انظر (العقائد النَّسفيّة، مسألة أفعال العباد) وغير ذلك من كتب التوحيد

(٣٤٣) صدر بيت عجزه: (إذا تدلت به أو شارب ثمل) وهذا البيت غير معزو (بأدب الكاتب/ ١٧١) .بطقات الشافعية ١٠/ ٢٥) قوله «وقد اختلف في نسبة هذا البيت فقيل: إنه لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقيل إنه لابنه عبدالله وقيل إنه بيت قديم تمثل به سيدنا عمر» انظر لسان (روح) والمروحة، بالفتح الموضع الذي تخترقه الريح. وهو المراد ـ وبالكسر: الآلة التي يتروح بها. وانظر في هذا البيت مادة (روح) في: «النهاية ٢/ ٢٧٣» و «التاج ٦/ ٤٢٥».

(٣٤٤) البيت لتميم بن المعز لدين الله الفاطمي يمدح الخليفة العزيز بالله بديوانه / ١٤٤ من قصيدة مطلعها:

طوى البين عهد بالوصل فهو قصير فــفـــاض له دمع وطال زفـــيـــر

(٣٤٥) الجوهر الفرد: يعني العين الذي لايقبل الانقسام لا فعلا ولا وهما ولا فرضا ـ كما يقول التفتازاني في شرحه للعقائد النسفية. انظر: ما كتب حول حدوث العالم وقدمه ثمة ص ٤٢ وما بعدها

(٣٤٦) أبوتراب: كنية الإمام علي ـ كرم الله وجهه.

(٣٤٧) الزيادة من الطبقات.

(٣٤٨) بالطبقات: «ما أخل بأداء».

(٣٤٩) صدر بيت للنابغة الجعدي وتمامه: «وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا». وقد سبق تخريجه.

(٣٥٠) البيت للمتنبي بديوانه ٣/ ٢٥٩ من قصيدته التي يمدح بها أبا الفضل الأنطاكي ومطلعها:

لك يامنـازل في القـلوب منـازل أقـــفـــرت أنت وهن منك أواهل

(٣٥١) بالطبقات: «ورود المثال العالي الذي ما ناله» ولعله أصوب وهو ما أثبته إذ بالألحان «ورد».

(٣٥٢) هو الصاحب محيي الدين أبوعبد الله محمد بن نجم الدين أبي الحسن أحمد بن هبة ـ بن عامر بن أبي جرادة العقيلي. ابن العديم الحنفي المتوفى سنة ٦٥٦هـ ترجمته (السلوك، القسم الثاني من ج

١ / ٤١٣) وثمة شخص آخر يعرف بابن العديم هو: عمر بن أحمد بن أبى جرادة ترجمته (بمعجم الأدباء ١٦ / ٥ ـ ٥٧).

(٣٥٣) (ديوانه / ٣٣) وتمام البيت:

وليس بذى رمح فيطعننى به وليس بذى سيف وليس بنبال

(٣٥٤)للمتنبى بديوانه / ٣/ ٢٢٦) من قصيدة يمدح بدر بن عمار مطلعها:

بقائى شاء ليس همُ ارتحالا وحسن الصبر زموا لا الجمالا

(٣٥٥) بالطبقات: «بمعنى» بالعين

(٣٥٦) بالطبقات: «لا يعرب».

(٣٥٧) بالطبقات: «ومثلى».

(٣٥٨) قال أبو عبيدة: «وأما قوله ﷺ فى الثمر (ثمر).. فإنه يعنى به التمر المعلق فى النخل الذى لم يجذ ولم يحرز فى الجرين». غريب الحديث ١/ ٢٨٧ من حاشية الطبقات. والكثر بفتحتين جمار النخل، وهو شحمه الذى فى وسط النخلة. النهاية ٤/١٥٢. وحاشية الطبقات. وصبح الأعشى ١/ ٢٠٣. ويقول الصاحب بن عباد (بديوانه/ ٢٣١):

فأخافنى قوم فقلت لهم لاقطع فى ثمر ولا كثر

هذا، كما ضمنه صاعد بن الحسين الربعى المتوفى سنة ٤١٧هـ (بغية الوعاة: ٢/ ٧) فى المجون فقال:

خالسته تفاح وجنته فأخذتها منه على غرر

فأخافنى قوم فقلت لهم «لا قطع فى ثمر ولا كثر».

(٣٥٩) لأبى تمام والرواية فى ديوانه ٤/ ٤٩٠:

من كل بيت يكاد الميت يفهمه حسنا ويحسده القرطاس والقلم

من قصيدة يعاتب فيها محمد بن سعيد كاتب الحسن بن سهل مطلعها:

محمد بن سعيد أرعنى أذنا فما بأذنك عن أكرومة صمم

ونسب فى اليتيمة ٤/ ٣٠٢ لأبى الفتح البستى وروايته «ويعبده القرطاس».

(٣٦٠) بالطبقات: وقال».

(٣٦١) فى (ب): وهى لفظ لا يقال، وهو ما أثبته؛ إذ بالأصل: «وهى لفظ لا تقال» وبالطبقات: «وهى كلمة لا تقال».

(٣٦٢) فى الأصل: «سدان» بالدال المهملة. وأثبت ما فى (ب، والطبقات). والشذان: المتفرق من الحصى (اللسان: ش ذ ذ).

(٣٦٣) بالطبقات: «ما استبعد» وهو ما أثبته؛ إذ بالألحان «واستبعد».

(٣٦٤) جبلة بن الأيهم الغساني يضرب به المثل في الأنفة. وذلك أنه ارتد حين أراد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يقتص منه رجل من مزينة، كان جبلة قد لطم عينه. إلى آخر القصة التى أوردها النويرى فى نهاية الأرب ١٥/ ٣١١ وانظر أيضا (حاشية الطبقات) والمصادر المشار إليها ثمة.

(٣٦٥) مأخوذ من قول أبى تمام يصف الراح: (بديوانه ١/ ٢٩):

خرقاء يلعب بالعقول حبابها كتلعب الأفعال بالأسماء.

(٣٦٦) البيت لأبى نواس. انظر (أبونواس فى تاريخه وشعره، لابن منظور ص ١٨٥) برواية «فإن حكمت» وهو في (معجم الشعراء/ ٣٧٧)، و(زهر الآداب ٢/ ٤٩٦ ط بيروت) منسوب إلى عبدالرحمن العطوى ضمن أبيات أولها:

حقوق الكأس والندمان خمس فأولها التزين بالوقار

وقبل البيت: قوله:

حديث الأمس ننساه جميعاً فإن الذنب فيه للعقار

وهو بدون عزو فى: (محاضرات ٢/ ٦٩٥) برواية:

إذا حكمت كأسك فى الندامى فحقهمُ الإقالة للعثار

(٣٦٧) بالطبقات: «هلم إلى المساعدة على الجواب».

(٣٦٨) البيت للمتلمس. والرواية بديوانه / ٣٤: «فأطرق..... ولويرى». وهو من قصيدة يرد فيها على الحارث بن التوأم اليشكرى، وعمرو بن هند، مطلعها:

يعيرنى أمى رجال، ولا أرى أخا كرم إلا بأن يتكرما.

(٣٦٩) فى الأصل «إيساس». والعبارة مثل عربى «الإيناس ثم الإبساس» (بالتمثيل والمحاضرة / ٢٧٩). ورواية (المختار من شعر بشار/ ٤٧): «الإيناس قبل الإبساس». وهو ماورد بالمقامة الشتوية من مقامات الحريرى/ ٣٩١. والبسوس الناقة التى لا تدر إلا بالإبساس، وهو أن يقال لها: بس بس بالضم والتشديد. أو بس بس، بكسر فسكون. وهو الصويت الذى تسكن به الناقة عند الحلب، اللسان (ب س س).

(٣٧٠) الناسى: أى آدم عليه السلام (المحتسب فى تبيين وجوه القراءات الشاذة / ١١٩). وحاشية الطبقات.

(٣٧١) صدره: «نسيت عهدك والنسيان مغتفر». انظر (الكشكول للعاملى/ ١٥٦) و(جنان الجناس/ ٩) برواية: «واعذر فأول أناس»: ، و(الغيث ٢/ ١٢٢) وقبله فيه:

يا أكثر الناس إحسانا إلى الناس وأكرم الناس إغضاء عن الناس.

(٣٧٢) بالطبقات: «وأكمامه».

(٣٧٣) فى (ب): «ولاسيما». والسبسب: القفر والمفازة، والأرض المستوية البعيدة. وقيل: الرمل الغليظة أيضاً. وفى العبارة إشارة إلى قوله تعالى: «وأثرن به نقعا» الآية ٤/ من العاديات.

(٣٧٤) البيت من الشواهد النحوية فى (باب الإضافة) انظره فى (شرح التصحيح على التوضيح ٢/ ٥٨) و(حاشية الطبقات).

(٣٧٥) إشارة إلى قول المعرى: بديوانه (٩٨):

قد أجبنا قول الشريف بقول فأثبنا الحصى عن المرجان

(٣٧٦) بالأصل «مبر هنا» والتصويب لتحقيق السجع من الطبقات. والبرهمة: إدامة النظر وسكون الطرف. اللسان (برهم).

(٣٧٧) ـ الزيادة فى الموضعين من الطبقات. والعبارة فى (ب): «وأما وصفه من حال مصر المحروسة عليه، وإقبالها عليه» وهو تحريف صوابه ما أثبتناه والله أعلم.

(٣٧٨) فى (ب): «تغاير» وهو ما أثبته وبالأصل «يغاير» بالمثناه التحتية. وبالطبقات: «تغايرت الأقطار فيك محبة».

(٣٧٩) الزيادة عن (ب) والطبقات.

(٣٨٠) بالطبقات: «يبكى أذ».

(٣٨١) هذا البيت يذكرنى بقول أبى تمام (بديوانه ٣/ ١٩٥):

وإذا تأملت البلاد وجدتها تثرى كما يثرى الرجال وتعدم

وبما جاء فى (حسن المحاضرة ٢/ ٦٥) غير معزو:

وإذا نظرت إلى البقاع رأيتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعد.

(٣٨٢) فى (ب): «وأماما وصفه».

(٣٨٣) فى (ب): «فى نحورهم». وبالأصل (وزخر بكار) وهو تصحيف. وزخر البحر: ازداد وارتفع.

(٣٨٤) الزيادة عن الطبقات.

(٣٨٥) بالطبقات: «ما حسد على ما حازه من غنائم المعالى».

(٣٨٦) الرواية فى (ب)، و(الطبقات): «وكم هذا التمادى فى التمالى» وهو من قول المتنبى (بديوانه ١/ ٣٥٥):

إلى كم ذا التخلف والتوانى (وكم هذا التمادى فى التمادى).

(٣٨٧) البيت لسفيان بن معاوية المهلبى فى (عيون الأخبار ٢/ ٩) وروايته: «ولا ترى». ونسب لسليمان بن معاوية فى. العقد الفريد ٢/ ٣٢٤وروايته «ولن ترى». ونسب فى (المستطرف ١/ ٢٥٣). للمغير شاعر لمهلب. برواية: «ولا ترى». وفى تاريخ بغداد: ٢/ ٣٧٢) لعمر بن لحاء برواية «إن الغرانيق... ولا ترى» من قصيدة يمدح فيها يزيد بن المهلب. مطلعها:

إن المهلب قوم إن نسبتهم كانوا الأكارم آباء وأجدادا

وهو غير معزو فى (المختار من شعر بشار/ ٦٩) برواية: ولا ترى». وانظر أيضاً (حاشة الطبقات) والمصادر المشار إليها ثمة.

-(حاشة الطبقات) والمصادر المشار إليها ثمة.

(٣٨٨) بالأصل: «بالسنان» بالسين المهملة. والتصويب من (ب)، والطبقات. وفى المثل: «ما يقعقع له بالشنان» وفى اللسان (ش ن ن): الشن والشنة. الخلق - بفتح المعجمة واللام - من كل آنية من جلد. وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع. وجمعها شنان. والقعقعة: تحريك الشئ اليابس الصلب، مع صوت، مثل السلاح وغيره. والمثل فى (أمثال الميدانى ٢/٢١٥).

(٣٨٩) لعله مأخوذ من قول المتنبى:

نكرت به وصلا كأن لم أفز به وعيشا كأنى كنت أقطعه وثبا.

(٣٩٠) مأخوذ ةمن قول الأعشى (بديوانه/ ٣٢):

فقال له: أهلا وسهلا ومرحبا أرى رحما قد وافقتها صلاتها

أو من قول عمرو بن الأهتم:

فقلت له: أهلا وسهلا ومرحبا فهذا صبوح راهن وصديق.

(٣٩١) ساقطة من الطبقات.

(على بن الحسين بن القسم.. بن شيخ العوينة)

(*) وردت له ترجمة فى: (المنهل ٢/ ٣٩٥)، و(أعيان ٤)، (بغية الوعاة ٣٣٥/)، و (الدرر١/ ٣٤٤ - ١١٥) وحدد وفاته فى سنة ٧٥٥ هـ وقال: «وشعره أكثر انسجاما وأقل تكلفا من شعر الصفدى». وهذه العبارة وردت أيضاً فى ترجمته فى شذرات الذهب ٦/ ١٧٨). عن مصنفاته راجع (كشف الظنون: ٢٣٦، ٤٠٦، ٦٢٧، ١٧٦٤، ١٨٥٥).

(٣٩٢) وردت الأبيات الخمس التالية فى: (أعيان، والدرر ١/٤٤٣، والبدر الطالع ١/ ٣٤٤ والإتقان فى علوم القرآن ٢/ ٧٣، ٧٤) ضمن أبيات تسع. برواية «رأيت كتاب الله أكبر معجز» فى البيت الأول. هذا وقد وردت الأبيات أيضا فى الطبقات السنية ٢/ ٧٢٤، ٧٤١).

(٣٩٣) فى (ز)، و (الدرر): بها الفكر فى». ورواية هذا الشطر فى (الإتقان:) «بها الكفر فى طول الزمان عيان».

(٣٩٤) الإشارة إلى قوله تعالى حكايه عن الخضر وسيدنا موسى عليه السلام: «فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما....) الأية/ ٧٧ من الكهف.

هذا، ورواية الشطر فى (الإتقان): «وما هى» إلا استطعما أهلها فقد».

(٣٩٥) بالبدر الطالع: «يرى» بالياء التحتية.

(٣٩٦) وردت الأبيات التالية فى: (الدرر٣/١١٥، والبدر ١/ ٤٤٣، ٤٤٤، والطبقات السنية ٢/ ٧٤٧، ٧٤٨).

(٣٩٧) فى (أعيان): «أبى» وهو تصحيف.

(٣٩٨) فى (ز)، (والطبقات السنية): «ولم يقف».

(٣٩٩) فى (الدرر، والبدر): «فإن». وتتفق رواية (الدرر، والبدر، وأعيان)، وفى الشطر الثانى من البيت مبتدئنا بقوله: «لرفعه» باللام. وينفرد (البدر) بقوله فى نهاية الشطر الأول: «أظهر حكمة».

(٤٠٠) بالدرر: «يقول فى»

(٤٠١) بالأصل: «تمتحن» والصواب (م) و (أعيان، والبدرو، وأعيان) وبالأخير فلا تمتحن بالظلم، والصواب ما أثبتناه.

(٤٠٢) بالطبقات السنية: «ندلن» بالنون وهو تصحيف. والشطر الأخير من هذا البيت لعله مأخوذ من قول أبى العتاهية - مع أختلاف المعنى - (بهجة المجالس ٢/ ٢٤٩): وهو:

رضيت ببعض الذل خوف جميعه وليس لمثلى بالملوك يدان

أو من قول عروة بن حزام مجيبا عن العرافين المشهورين:

فقالا: شفاك الله، والله مالنا بما حملت منك الضلوع يدان

(٤٠٣) ف (ب، ز، م، والدرر، وأعيان، والطبقات): «ولا تنسى».

(٤٠٤) فى (ز): «لكن مكان». وقد سقط البيت وما بعده من (البدر).

(٤٠٥) وكذا ذكر فى (أعيان العصر) وأوله: (بسم الله الرحمن الرحيم. سأل بعض الفضلاء عن الحكمة فى «فاستطعما أهلها» دون فاستطعماهم..) الخ.

(على بن الحسين..بن أبى الخير)

(*) ترجم لعلى بن الحسين: ابن حجر فى (الدرر ٣/ ١١٢) وفيه: «مات سنة ٧٧٩هـ» وابن تغرى بردى فى (المنهل٢/ ٣٩٤، ٣٩٥) وفيه «مات سنة ٧٨٩ هـ». وغيرهما.

(٤٠٦) الزيادة عن (الدرر، والمنهل، وأنباء الغمر /١ ٣٤٢ حيث ترجمته).

(٤٠٧) ورد هذان البيتان، والإجابة عنهما فى (التذكرة ٣٨/ ١٠٦).

(٤٠٨) فى التذكرة: «فكتب الجواب إليه عن ذلك».

(٤٠٩) لعل الشطر الثانى مأخوذ من قول ذى الرمة فى وصف (ميه)، بديوانه/ ٥:

كحلاء فى برج، صفراء فى نعج كأنها فضة قد مسها ذهب.

(٤١٠) تضمين قول أبى تمام:

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جسر من التعب

أو قول العماد الكاتب مهنئا أسد الدين (الروضتين ١/ ١٥٩):

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب كم راحة جنيت من دوحة التعب.

والمثل العربى: «لا تدرك الراحة إلا من التعب» (العقد ٣/ ١٠٧).

(٤١١) لعله مأخوذ من قوله تميم بن المعز (عبقرية الفاطميين/ ١٥٧):

قواضب الرأى أمضى من شبا القضب والحزم فى الجد ليس الحزم فى اللعب

(٤١٢) فى الأصل، (ب، ز): «يا ذا الرفعين» وأثبت ما فى (أ، م) لسلامة الوزن.

(٤١٣) «المخشلب، والمشخلب - بتقديم الشين، أو تصحيفه - وهو قطع الزجاج المنكسر، وقيل: الخزف «كما جاء فى (محيط المحيط: خشلب)
(٤١٤)قوله «طابت وطالت، يذكر بقول القاضى الفاضل - ولعل الشاعر هنا نظر إليه، (ديوان الفاضل ١/ ٢٣٤):

لئن طالت لقد طابت وراقت	على نظر الخواطر حسن نظره

(٤١٥) ابن عساكر، هو: علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقى المعروف بابن عساكر. محدث، حافظ، فقيه، مؤرخ. توفى سنة ٥٧١ هـ ترجمته (تذكرة الحفاظ ٤/ ١١٨، ومعجم الأدباء /١٣ ٧٣).
(٤١٦) فى الأصل، و (ب): «... فى أذن الجوزى» وما أثبته يقتضيه الوزن.
(٤١٧) الكلمة ساقطة من الأصل، والزيادة عن (ب، ز، م) هذا وبالأصل أيضاً و (م): قوله: «إذا شاب» وأثبت ما فى (ب، ز) والبيت بأكمله ساقط من (أ).
(٤١٨) لعل الشطر الأول من هذا البيت مأخوذ من قوله القاضى الفاضل (بديوانه/ ٢٣٤):

فخذها بنت ليلتها ارتجالا	ولكن أصبحت شمطاء سحرة

(٤١٩) البيت لابن المعتز (بديوانه/ ١٩٣). وقبله بالديوان:

عليم بأعقاب الأمور كأنه	بمختلسات الظن يسمع أو يرى

(٤٢٠) ساقط من الأصل، والزيادة عن جميع النسخ المساعدة.
(٤٢١) فى الأصل، و (أ): لمن اعتبر، وأثبت ما فى النسخ الأخرى، لتحقيق السجع فى الجملتين.
(٤٢٢) والمقصود هنا (سماء).
(٤٢٣) الزيادة عن جميع النسخ المساعدة وهى ضرورية لسلامة الوزن.
(٤٢٤) الشطر الثانى فى (م): «... الناس عن رده» وهو ما أثبته، إذ فى الأصل وغيره: «من رده» والبيت لأبى العلاء المعرى بديوانه (سقط الزند/ ٢٥) برواية:

أمس الذى مر، على قربه	يعجز أهل الأرض عن رده

والبيت من قصيدة له فى الرثاء مطلعها:

أحسن بالواجد من وجده	صبر يعيد النار فى زنده

(٤٢٥) البيت لأبى العلاء المعرى (بديوانه/ سقط الزند/ ٨٩ من قصيدته التى مطلعها:

إليك تناهى كل فخر وسودد	فأبل الليالى والأنام

(٤٢٦)تضمين المثل العربى: «يخبط خبط عشواء» وبرواية: «أخبط من عشواء».
والعشواء: الناقة التى لا تبصر ليلا. (مجمع الأمثال ١/ ٢٧١ - ٢/ ٣٧٩). ومن كلام الجاحظ «يخبط خبط العشواء» (بثمار القلوب/ ٣٥٤، ٣٥٥)، وهو مأخوذ من قول زهير بن أبى سلمى (شرح المعلقات للزوزى/ ١١٨، وجمهوره أشعار العرب/ ٥١، وبهجة المجالس ٢/ ٢٣٩):

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته، ومن تخطئ يعمر فيهرم

(٤٢٧) المرعى من الأبل: التي فيها رعاؤها. والهمل: ضدها. وهو مثل عربي يضرب للقوم وقعوا في تهليط. (مجمع الأمثال ١/ ٢٣٨).

(٤٢٨) يوم الجمل وقعة كانت بين علي بن أبي طالب - ومعه أهل الكوفة، وعائشة - رضي الله عنها - وكانت النصرة فيها لعلي ومن معه. ويوم صفين: وقعة كانت بين علي بن أبي طالب ومعه أهل العراق، ومعاوية بن أبي سفيان، ومعه أهل الشام، وكان ابتداؤها سنة ٣٦ هـ انظر فيهما (صبح الأعشى ١/ ٣٩٣، ٣٩٤)

(٤٢٩) في الأصل: «تقيل بالأخرى» تصحيف تصويبه من (ب، ز، م).

(٤٣٠) في الأصل، و (أ ، م): «حرباً عواناً». وفي (ب، ز): «حرباً عوان» ولعل صحة التعبير «أثار حرب عوان». وهو ما أثبته.

(٤٣١) في الأصل: «من للجهل غم» «تحريف» تصويبه من النسخ الأخرى.

(٤٣٢) يشير إلى قوله تعالى: «ن والقلم وما يسطرون» الآية/ ١ من سورة (القلم).

(٤٣٣) لعله يريد هنا - الملق - والملل.

(٤٣٤) «خصيف) في الأصل وفي غيره من النسخ. ولعله تصحيف لما أثبته. أو لعله من «خصفه» بمعنى «لزق» ويكون المعنى: برأي محكم.

(٤٣٥) لعله يريد بآخر وسطه، (الميم)، في قولك (لا م) وهي آخر الكلمة في قلم.

(٤٣٦) يقتبس قوله تعالى في شأن يونس - عليه السلام - «فنبذناه بالعراء وهو سقيم» الآية/ ١٤٥ (الصافات).

(٤٣٧) يقصد بكلمة (فيه) الفم.

(٤٣٨) من هنا إلى نهاية هذه الترجمة ساقطة من الأصل، ومن (ب). وقد أثبته عن (أ، ز، م).

(٤٣٩) الشطر الثاني في (أ) برواية: «ففرّقيه». واخترت عبارة النتشخ الأخرى.

(٤٤٠) الرادح: من قولهم: امرأة رداح ورداحة وردوح عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق. لسان: (ر د ح)

(٤٤١) الوقاح: أي الصلبة. أو الجزئية التي لا تستحي. (لسان. وقح).

(٤٤٢) في النسخ الثلاثة: «توشحت بالداري انشاح» ولا يستقيم الوزن معها. ولعل ما أثبته عو الصواب زو القريب منه.

(٤٤٣) في (أ): «في أوصافه غرا وضناً وضاح» وفي (م): «وضناً وصباح» والكلمة الأخيرة غير واضحة في (ز). ولعل أثبته قريب من الصواب. أو: «وضا كالوضاح» هذا. والوضوح: بياض الصبح، والقمر، والبرص. وقيل غير ذلك. لسان (وضح).

(٤٤٤) في النسخ الثلاثة: «مذبحة الذيل» بالدال المعجمة، والحاء المهملة تصحيف لعل تصويبه ما أثبت.

(٤٤٥) في (ز): «أمن صلا الدين أملاكه» تحريف. وفي (م): «يمين صلاح الدين الاله» تحريف. هذا وى (أ): «يمين صلاح الدين الاله» ولعل ما أثبته صواب.

(علي بن داود بن يحيى)

(*)له ترجمة في: (المنهل الصافي ٢/ ٣٩٨، ٣٩٩) وفيه (علي بن داود بن كامل بن يحى)... توفي بعد عشرين تخمينا... وشعره كثير جيد»، و (زعيان العصر ٤)، و (الدرر الكامنة ٣/ ١١٦ - ١١٨) ووفاته سنة ٧٤٥ وقيل: سنة ٧٢٥، و (الطبقات السنة ٢/ ٧١٩ - ٧٥٣)، و(شذرات الذهب٦/ ١٤٣ في وفيات سنة ٧٤٥هـ)، و(البداية والنهاية ١٤/ ٢٢٤) في وفيات سنة ٧٤٥هـ. وفيه: «عماد الدين القفجاري»،، و(من ذيول العبر٢/ ٢٤٥)، (والدارس ١/ ٥٤٨)و (فوات الوفيات ٢/ ١٠٤ - ١٠٦)و جعل وفاته سنة٧٤٤هـ .و (الوافي ٢١/ الورقة ٣٢ - ٣٩)و (معجم المؤلفين ٧/ ٩٠)، و (تاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٤٠)وفيه:«نجم الدين القحفيري مات سنة ٧٤٥هـ »، و (بغية الوعاة/٣٣٧).

(٤٤٦) «بن يحيى» ساقط من المنهل.

(٤٤٧) يقصد: الوافي بالوفيات.

(٤٤٨) زيادة من أعيان العصر. هذا، وقد ورد البيتان الآتيان في: (درة الأسلاك ٢/ ٤٢٨).

(٤٤٩) ورد البيتان أيضاً في: أعيان العصر، والطبقات السنة ٢/ ٧٢٣، والوافي ٢١/ ٣٣.

(٤٥٠) «الي» ساقطة من الوافي.

(٤٥١) بالوافي «كتبت إليه ثانيا» و بأعيان العصر) : إليه أيضاً.

(٤٥٢) ورد البيتان بالطبقات السنية ٢/٧٢٢ ، والوافي ٢١/٣٣ وبعد هذا في (أعيان العصر) قوله: وكتبت معه السؤال الذي تقدم ذكره في ترجمة الشيخ زين الدين بن العويدة آنفاً وأوله:

ألا أن القرآن أكبر معجز لأفضل من يهدى به الثقلان

وقريب من هذا المعنى ورد بالطبقات السنية ٢/ ٧٢٤. والوافي ٢١/ ٣٤.

(٤٥٣) بأعيان العصر: «فكتب هوالي بخطه». وقد ورد هذا الجواب بالطبقات ٢/ ٧٢٤، ٧٢٥. وأعيان العصر، والوافي.

(٤٥٤) وذكرت: بالوافي.

(٤٥٥) بأعيان العصر: خمسه.

(٤٥٦) «لا يأتلي» كذا في جميع النسخ. ولعل صحته «لا يأتل» من «أتل» الرجل، يأتل، أتولا، إذا قارب الخطو في غضب. (لسان: أتل) . والمعنى: والمقتضى مني له لا يخالف، ولا يتأخر عن طلبه.

(٤٥٧) «الشلب» بالوافي. و(الكسب) بالطبقات.

(٤٥٨) «هو الذي» بأعيان.

(٤٥٩) «غائب» تصحيف بأعيان، والطبقات السنية.

(٤٦٠) ما بين الحاصرتين ساقط من الطبقات.

(٤٦١) «ما سراه» في: أعيان العصر.

(٤٦٢) قد ذكر نجم الدين القحفازي مصنفاته وأساتذته بالوافي ٢١/ ٣٤، والطبقات السنية.

(٤٦٣) ورد البيتان. (بحسن المحاضرة ٢/ ١٩٠)، (وفص الختام/٤٤)

(٤٦٤) «في النيل» بحسن المحاضرة.

(٤٦٥) بأعيان قوله: «قال الشيخ نجم الدين ولما ذهب بدر الدين بن نعمان مع الجفال إلى مصر وأقام هناك كتبت إليه».

(٤٦٦) بدر الدين هو محمد بن أحمد بن بصخان. عنى بالقراءات وكان حسن الصوت بالقراءة طيب النغمة توفى سنة ٧٤٣هـ. راجع: الدرر ٣/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٤٦٧) ورد البتان (بأعيان العصر، ونفح الطيب ١/ ٩٧، وفوات ٢/ ١٠٦).

وفيه: «ولما ذهب بدر الدين بن بصخان مع الجفال إلى مصر أقام هناك، فكتب إليه ...».

(٤٦٨) العدو الأزرق: يذكرنا بما ورد بالمقامة البغدادية للحريرى (شرح المقامات ٢/ ٤٠) وحاشية ص ٦٠ من (نصرة الثائر) و(الكشكول ٢/ ١٠٧). وهو: «فذ اغبر العيش الأخضر، وازور المحبوب الأصفر، أسود يومى الأبيض، وابيض فودى الأسود، حتى رثى لى العدو الأزرق، فحبذا الموت الأحمر» ١ - هو و (بأعيان العصر) قوله: «قلت: وقد ذكرت فى ألحان السواجع ما جاء فى هذه المادة»١هـ.

(٤٦٩) ورد البيتان فى (حسن المحاضرة ٢/ ٢٠٧).. و(الكشف والتنبيه الورقة/ ١٠٢)

(٤٧٠) فى (ب) قوله: «تم الجزء الأول من كتاب ألحان السواجع بمن الله وحمده». وفى معظم النسخ - بعد ذلك لم ترد إشارة إلى نهاية الجزء الأو، وبداية الجزء الثانى، بل ورد ذكر الشيخ: على بن عبد الكافى مباشرة بعد قوله.

قلت أرض بالنيل يروى ثراها		فلهذا الكتان نوّر أزرق

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW. egyptianbook. org. eg

E - mail : info @egyptianbook.org. eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٣٤٧ / ٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 419 - 012 - 2